(فهرسة كتاب خزانة الادب)

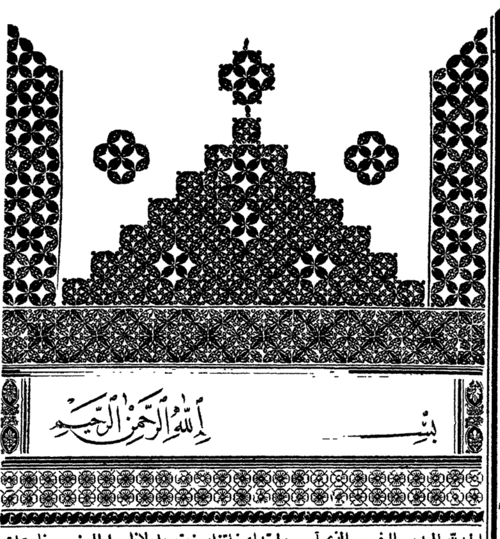
(فهذه الانواع البديعية مائة واثنان وأربعون نوعا)

خزانة الادب وغاية الارب للعالم الاديب
واللوذعى الاريب الشيخ تقى
الدين أبى بكر على المعروف
بابن حجة الحموى
رحمه الله

م

{ وبهامشها رسائل ابى الفضل احمد بن الحسين بن يحيى }
{ ابن سعيد الهمذانى المعروف ببديع الزمان رحمه الله }

[illegible]
[illegible]



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله البديع الرفيع الذى أحسن ابتداء خلقنا بصنعته واولانا جميل الصنيع فاستهلت الاصوات ببراعة توحيده وهو البصير السميع أدب نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم فاحسن تاديبه حتى أرشدنا جزاه الله عنا خيرا الى سلوك الادب وأوضح لنا بديعه وغريبه نحمده حمدا يحسن به التخلص من غزل الشهوة الى حسن الختام ونشكره شكر من شعر ببديع صفاته فاحسن النظم وأعوذ بالله من قوم لا يشعرون بهذا النظام ونشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له شهادة شاعر بانه الواحد وان سيدنا محمدا عبده ورسوله المبعوث من بيت عربى فصاحته على الأعراب والاعراب أعظم شاهد صلى الله عليه وعلى آله واصحابه الذين هم نظام هذا البيت الشريف ودوائر بحره وأنواع بديعه وديباج صدره وسلم تسليما كثيرا (وبعد) فهذه البديعية التى نسجتها بمدحه صلى الله عليه وسلم على منوال طرز البردة كان مولانا المقر الاشرف العالى المولوى القاضوى المخدومى الناصرى سيدى محمد بن البارزى الجهنى الشافعى صاحب ديوان الانشاء الشريف بالممالك الاسلامية المحروسة جمل الله الوجود بوجوده هو الذى ثقف لى هذه الصعدة وحلب لى ضرعها الحافل لحصول هذه الزبدة وما ذاك الا انه وقف بدمشق المحروسة على قصيدة بديعية للشيخ عز الدين الموصلى رحمه الله تعالى التزم فيها بتسمية النوع البديعى وورى بها من جنس الغزل ليتميز بذلك على الشيخ صفى الدين الحلى تغمده الله تعالى

برحمته

(بسم الله الرحمن الرحيم)* الحمد لله حق حمده والصلاة على محمد النبى وآله سالت أدام الله توفيقك وسهل الى نفائس الخيرات طريقك ان اجمع لك آثار ابى الفضل أحمد بن الحسين البديع نظمها ونثرها واؤلف شواردها قلها وكثرها ليكون متفكها لخاطرك

برجته لانه ماالتزم فى بديعيته بحمل هذا العبء الثقيل غير أن الشيخ عزالدين ماأعرب عن بناء بيوت اذن الله ان ترفع ولاطالت يده لابهام العقادة الى شئ من اشارات ابن أبى الاصبع وربما رضى فى الغالب بتسمية النوع ولم يعرب عن المسمى وتنزل الالفاظ والمعانى لشدة ماعقده نظما

فيادارها بالخيف ان مزارها * قريب ولكن دون ذلك أهوال

فاستخار الله مولانا الناصرى المشار اليه ورسم لى بنظم قصيدة اطرز حلتها بديع هذا الالتزام وأجارى الحلى برقة السحر الحلال الذى ينفث فى عقد الاقلام فصرت أشيد البيت فيرسم لى بهدمه وخراب البيوت فى هذا البناء صعب على الناس ويقول بيت الصفى أصفى موردا وأنور اقتباس فاسن كل ماحده الفكر واراجعه ببيت له على المناظرة طاقه فيحكم لى بالسبق وينقلنى الى غيره وقد صار لى فكرة الى الغايات سباقه فجاءت بديعية هدمت بها ماانحته الموصلى فى بيوته من الجبال وجاريت الصفى مقيدا بتسمية النوع وهو من ذلك محلول العقال وسميتها تقديم أبى بكر عالما انه لايسمع من الحلى والموصلى فى هذا التقديم مقال وكان المشار اليه عظم الله شأنه هو الذى مشى امامى وأشار الى هذا السلوك وارشد فاقتديت برأيه وهل يقتدى أبو بكر بغير محمد فقلت

*(لى فى ابتدا مدحكم ياعرب ذى سلم * براعة تستهل الدمع فى العلم)*

اعلم انه اتفق علماء البديع على ان براعة المطلع عبارة عن طلوع أهلة المعانى واضحة فى استهلالها وان لايتجافى بجنوب الالفاظ عن مضاجع الرقة وان يكون التشبيب بنسيبها مرقصا عند السماع وطرق السهولة متكفلة لها بالسلامة من تجشم الحزن ومطلعها مع اجتناب الحشو ليس له تعلق بما بعده وشرطوا ان يجتهد الناظم فى تناسب قسميه بحيث لايكون شطره الاول أجنبيا من شطره الثانى وقد سمى ابن المعتز براعة الاستهلال حسن الابتداء وفى هذه التسمية تنبيه على تحسين المطالع وان أخل الناظم بهذه الشروط لم يأت بشئ من حسن الابتداء وأورد فى هذا الباب قول النابغة

كلينى لهم ياأميمة ناصب * وليل أقاسيه بطئ الكواكب

قال زكى الدين بن أبى الاصبع لعمرى لقد أحسن ابن المعتز الاختيار فانى أظنه نظر بين هذا الابتداء وبين ابتداء امرئ القيس حيث قال

قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل * بسقط اللوى بين الدخول فحومل

فرأى ابتداء امرئ القيس على تقدمه وكثرة معانيه متفاوت القسمين جدا لان صدر البيت جمع بين عذوبة اللفظ وسهولة السبك وكثرة المعانى وليس فى الشطر الثانى شئ من ذلك وعلى هذا التقدير مطلع النابغة أفضل من جهة ملاءمة الفاظه وتناسب قسميه وان كان مطلع امرئ القيس أكثر معانى وماعظم ابتداء امرئ القيس فى النفوس الا الاقتصار على سماع صدر البيت فانه وقف واستوقف وبكى واستبكى وذكر الحبيب والمنزل فى شطر بيت واذا تأمل الناقد البيت بكماله ظهر له تفاوت القسمين وقال أعنى ابن أبى الاصبع اذا وصلت الى قول البحترى من هذا الباب وصلت الى غاية لاتدرك وهو قوله

أوان فراغك من دواعى أشغالك ومتنزها لناظرك وقت انتفاضك من عوارض أحوالك وكان أبو الفضل وضى الطلعة رضى العشرة فتان المشاهدة سحار الفاتحة غاية فى الظرف آية فى اللطف معشوق الشيمة مرزوقا فضل القيمة طلق البديهة سمح القريحة شديد العارضة سديد السيرة

بودّى لو يهوى العذول ويعشق * ليعلم أسباب الهوى كيف تعلق

انتهى كلام زكى الدين بن أبى الاصبع ولقد أحسن أبو الطيب المتنبى حيث قال

اتراها لكثرة العشاق * تحسب الدمع خلقة فى المآقى

ومثله قوله (اى قول حبيب)

حشاشة نفس ودعت يوم ودعوا * فلم ادر أى الظاعنين أشيع

وما ألطف قول أبى تمام فى هذا الباب

لا انت انت ولا الديار ديار * خف الهوى وتقضت الاوطار

ومثله قول أبى العلاء المعرى

يا ساهر البرق ايقظ راقد السمر * لعل بالجزع أعوانا على السهر

وقد خلب القلوب ابن المعتز فى تناسب القسمين بقوله

أخذت من شبابى الايام * وتولى الصبا عليه السلام

وما أحلى ما ناسب ابن هانئ قسمى مطلعه بالاستعارات الفائقة حيث قال

بسم الصباح لاعين الندماء * وانشق جيب غلالة الظلماء

وقال الشريف أبو جعفر البياضى يشير الى الرفق بالابل عند السرى وتلطف ما شاء فى تناسب القسمين حيث قال

رفقا بهن فما خلقن حديدا * أو ما تراها اعظما وجلودا

وهذه القصيدة طريقها الغريب لم يسلكها غيره فانه نسجها جميعها على هذا المنوال ومنها

يقلين ناصية الفلا بمناسم * وسم الوجا بدماتهن البيدا

فكانهن نثرن درا بالخطا * ونظمن منه بسيرهن عقودا

ومما يعذب فى الذوق من هذا الباب قول ابن قاضى ميلة

يزيد الهوى دمعى وقلبى المعنف * ويجنى جفونى الوجد وهو المكلف

وقد نبه مشايخ البديع على يقظة الناظم فى حسن الابتداء فانه أول شئ يقرع الاسماع ويتعين على ناظمه النظر فى أحوال المخاطبين والممدوحين ويتفقد ما يكرهون سماعه ويتطيرون منه ليتجنب ذكره ويختار لاوقات المدح ما يناسبها وخطاب الملوك فى حسن الابتداء هو العمدة فى حسن الادب فقد حكى ان ابا النجم الشاعر دخل على هشام بن عبد الملك فى مجلسه فانشده من نظمه

صفراء قد كادت ولما تفعل * كأنها فى الافق عين الاحول

وهشام بن عبد الملك احول فاخرجه وأمر بحبسه وكذلك اتفق لجرير مع أبيه عبد الملك فانه دخل عليه وقد مدحه بقصيدة حائية أولها

* أتصحو أم فؤادك غير صاح *

فقال له عبد الملك بل فؤادك يا ابن الفاعلة ومن هذه الجهة بعينها عابوا على أبى الطيب المتنبى خطابه لممدوحه فى مطلع قصيدة حيث قال

كفى بك داء ان ترى الموت شافيا * وحسب المنايا ان يكن أمانيا

زلال الكلام عذبه فصيح اللسان عضبه ان دعا الكتابة جابته عفوا فاعطته قيادها صفوا أو القوافى أتته ملء الصدور على التوافى ثم كانت له طرق فى الفروع هو افترعها وسنن فى المعانى هو اخترعها ومصداق ما ادعيناه له تشهد فى أثناء شعره ونثره وكان فى صفاء العقيدة بين

ومن

ومن مستقبحات الابتداء قول البحترى وقد أنشد يوسف بن محمد قصيدته التى أولها

* لك الويل من ليل تقاصر آخره *

فقال بل لك الويل والخزى وأما قصة اسحق بن ابراهيم الموصلى فى هذا الباب فانى انفعل واخجل عند سماعها وماذاك الا انه دخل على المعتصم وقد فرغ من بناء قصره بالميدان فشرع فى انشاء قصيدة تزل بمطلعها الى الحضيض وكان هو وحكاية الحال فى طرفى نقيض وهو

يا دار غيرك البلا ومحاك * ياليت شعرى ما الذى ابلاك

فتطير المعتصم من قبح هذا المطلع وأمر بهدم القصر على الفور فنعوذ بالله من آفة الغفلة هذا مع يقظة اسحق وسير الركبان بحسن محاضرته ومنادمته للخلفاء ولكنه قد يخبو الزناد وقد يكبو الجواد مع انه قيل ان أحسن ابتداء ابتدأ به مولد قول اسحق الموصلى حيث قال

هل الى ان تنام عينى سبيل * ان عهدى بالنوم عهد طويل

فانظر الى هذا الاديب الحاذق المتيقظ كيف استطردت به خيول السهو الى ان خاطب المعتصم فى قصر رياحين تشييده غضة بخطاب الاطلال البالية وانظر الى حشمة أبى نواس كيف خاطب الدمن بخطاب تود القصور العالية ان تحلى بشعاره مع بلوغه فى تناسب القسمين الطرف الاقصى حيث قال

لمن دمن تزداد حسن رسوم * على طول ما أقوت وطيب نسيم

وقصة ذى الرمة مع عبد الملك تقارب قصة اسحق مع المعتصم فانه دخل عليه يوما فامره بانشاد شئ من شعره فانشد قوله

* ما بال عينك منها الماء ينسكب *

وكان بعين عبد الملك رمش فهى تدمع أبدا فتوهم أنه خاطبه وعرض به فقال له ماسؤالك عن هذا يا ابن الفاعلة فمقته وأمر باخراجه انتهى ما أوردته فى حسن الابتداء للعرب والمولدين وفحول الشعراء ونبهت على حسنه وقبحه ولكن جذبتنى يا أخا العرب نسبة المتأخرين الى ان أثبت فى هذا المحل تشبيبها ونسيبها وأظهر فى شرح هذه البديعية لاهلها بديعها وغريبها ليعلم من تنزه فى هذه الحدائق الزاهرة ان ماربيع الآخر من ربيع الاول ببعيد واذا تحقق ان لكل زمان بديعا تمتع بلذة الجديد وهنا بحث لطيف وهو ان الاستشهاد بكلام المولدين وغيرهم من المتأخرين ليس فيه نقص لان البديع أحد علوم الادب الستة وذلك انك اذا نظرت فى الكلام العربى اما أن تبحث عن المعنى الذى وضع له اللفظ وهو علم اللغة واما ان تبحث عن ذات اللفظ بحسب ما يعتريه وهو علم التصريف واما ان تبحث عن المعنى الذى يفهم من الكلام المركب بحسب اختلاف أواخر الكلم وهو علم العربية واما ان تبحث عن مطابقة الكلام لمقتضى الحال بحسب الوضع اللغوى وهو علم المعانى واما ان تبحث عن طرق دلالة الكلام ايضاحا وخفاء بحسب الدلالة العقلية وهو علم البيان واما ان تبحث عن وجوه تحسين الكلام وهو علم البديع فالعلوم الثلاثة الاول يستشهد عليها بكلام العرب نظما ونثرا لان المعتبر فيها ضبط الفاظهم والعلوم الثلاثة الاخيرة يستشهد عليها بكلام العرب وغيرهم لانها راجعة الى المعانى ولا فرق فى ذلك بين العرب وغيرهم اذا كان الرجوع

الكفاة قدوة وفى حسن النظر لكافة نظرائه اسوة وقد اوتى حفظا لا يسمع كلمة الا اعتلقها فاعتقلها ثم اذا شاء اعادها ونقلها وقد اجبت الى مسؤلك وجعلت بعض اوقاتى مصروفة لتحصيل مأمولك وجمعت لك ماوجدته من الرسائل والرقاع لتنظر فيها وتستفيد ويقرب اليك منها ماتريد

الى العقل وقال أبو الفتح عثمان بن جني المولدون يستشهد بهم فى المعانى كما يستشهد بالقدماء فى الالفاظ قال ابن رشيق فى العمدة الذى ذكره أبو الفتح صحيح بين لان المعانى اتسعت باتساع الناس فى الدنيا وانتشار العرب بالاسلام فى أقطار الارض فانهم حضروا الحواضر وتفننوا فى المطاعم والملابس وعرفوا بالعيان ما دلتهم عليه بداهة عقولهم من فضل التشبيه ونحوه ومن هنا يحكى عن ابن الرومى ان لائماً لامه وقال له لم لا تشبه تشبيه ابن المعتز وأنت أشعر منه فقال له انشدنى شيأ من قوله أعجز عن مثله فانشده فى صفة الهلال

فانظر اليه كزورق من فضة * قد اثقلته حمولة من عنبر

فقال له ابن الرومى زدنى فانشده

كأن آذريونها * والشمس فيه كاليه

مداهن من ذهب * فيها بقايا غاليه

فقال واغوثاه لا يكلف الله نفساً الا وسعها ذاك انما يصف ماعون بيته لانه ابن الخلفاء وأنا مشغول بالتصرف فى الشعر وطلب الرزق به امدح هذا مرة واهجو هذا كرة وأعاتب هذا تارة واستعطف هذا طوراً انتهى كلام ابن رشيق * ورايت الشيخ شمس الدين بن الصائغ رحمه الله تعالى قد استشهد فى شرح البردة الذى سماه بالرقم بغالب أهل عصره فيما عرض له من أنواع البديع حتى أورد لهم شيأ من محاسن الزجل * رجع الى ما كنا فيه من حسن الابتداء وتناسب القسمين وايراد ما وعدنا به من كلام المتأخرين قال قاضى هذه الصناعة وفاضلها والمتأخر الذى لم يتقدم عليه بغير الزمان أوائلها

زار الصباح فكيف حالك يادجى * قم فاستتر بفرعه أو فانجلا

انظر الى حسن هذا الابتداء كيف جمع مع اجتناب الحشو بين رقة النسيب وطرب التشبيب وتناسب القسمين وغرابة المعنى ومثله قوله يخاطب العاذل

اخرج حديثك من سمعى فما دخلا * لا ترم بالقول سهماً ربما قتلا

وما ألطف ما قال بعده

وما يخف على قلبى حديثك لى * لا والذى خلق الانسان والجبلا

ومثله قوله

سمعتك والقلب لم يسمع * فكم ذا تقول وكم لا اعى

وما ألطف ما قال بعده

يقول وما عنده اننى * بغير فؤاد ولا اضلع

اما مع هذا الفتى قلبه * فقلت نعم يافتى ما معى

واما مطلع قصيدة ابن النبيه فان الاذواق السليمة تنتبه به الى فتح هذا الباب وهو

ياساكنى السفح كم عين بكم سفحت * نزحتم فهى بعد البعد ما نزحت

والقصيدة كلها تحف وطرف عارضها ابن نباتة فما حلا معها مكرر نباته واجرى الصفى معها ينابيع فكره فما صفا له معها مورد وجاراها الصفدى فتصفدت سوابق قوافيه عن لحاقها ومنها

والله الموفق للصواب اولها * (كتب) * الاستاذ ابو الفضل الهمذانى بديع الزمان الى الشيخ ابى العباس الفضل بن احمد الاسفراينى وهو اول ما استوزر لابى القاسم محمود ابن سبكتكين الناصر لدين الله فاتح السند والهند * كتبت اطال الله بقاء الشيخ الجليل السيد وادام علوه

ورونة

وروضة وجنات الورد قد خجلت * فيها ضحى وعيون النرجس انفتحت
تشاجر الطير في أفنانها سحرا * ومالت القضب للتعنيق فاصطلحت
والقطر قد رش ثوب الدوح حين رأى * مجامر الزهر في أذياله نفحت

ومما يحسن نظامه في هذا السلك قوله

رنا وانثنى كالسيف والصعدة السمرا * فما أكثر القتلى وما أرخص الاسرى

ومما اختاره الشيخ جمال الدين بن نباتة رحمه الله من ديوان أبي الفتوح نصر الله بن قلاقس وهو حسن في هذا الباب قوله

كم مقلة للشقيق العض رمداء * انسانها سابح في بحر انداء

وقوله

قفا واسألا مني زفيرا وادمعا * اكانا لهم الا مصيفا ومربعا

وهو من الغايات التي اختارها الشيخ جمال الدين بن نباتة من شعر ابن قلاقس فانه قال طالعت ديوان الاديب البارع أبي الفتوح نصر الله بن قلاقس فطالعت الفن الغريب وفتح علي بتأمل الفاظه فتلوت نصر من الله وفتح قريب بيد أني وجدت له حسنات تبهر العقول فضلا وسيئات يكاد يذكرها ابن قلاقس بقلي انتهى كلام الشيخ جمال الدين بن نباتة ومما وقع في تناسب القسمين الى الغاية قول الشيخ ظهير الدين بن البارزي رحمه الله وهو

يذكرني وجدي الحمام اذا غنى * لانا كلانا في الهوى يعشق الغصنا

ذكر الصلاح الكتبي في كتابه فوات الوفيات ان الشيخ اثير الدين ابا حيان قال رأيت الشيخ المذكور في حماة المحروسة وأنشدني لنفسه هذه القصيدة وعدة مقاطيع منها

أراك فاستحيي فاطرق هيبة * واخفي الذي بي من هواك واكتم
وهيهات ان يخفي وانت جعلتني * جميعي لسانا في الهوى يتكلم

وتوفي بعد الثمانين والستمائة واما مطلع الشيخ شمس الدين بن العفيف في هذا الباب فطراوته لا تنكر لانه كان ينعت بالشاب الظريف قال في شطره الاول

* اعز الله انصار العيون * وفي الثاني
* وخلد ملك هاتيك الجفون *

وما اظرف ما قال بعده

وضاعف بالفتور لها اقتدارا * وجدد نعمة الحسن المصون

وما أحسن ابتداآت الشيخ عبد العزيز الانصاري شيخ شيوخ حماة فجميعها نسجت على هذا المنوال منها قوله

حروف غرامي كلها حرف اغراء * على ان سقمي بعض افعال اسماء

وقوله

ويلاه من نومي المشرد * أواه من شملي المبدد

وقوله

اهلا بطيفكم وسهلا * لو كنت للاغفاء أهلا

وعقد كينه عن سلامة والحمد لله رب العالمين وصلاته على محمد وآله وسلم ليسوسوا افقه بالباب تسعد بالحضرة واخرى بالمغيب تكمد بالحسرة والله ما للساعة من ولي النعمة عن ولا كالاعتياض من لقائه غبن وغبن فليت كتاب الاذن شفى مما نجد وليت هذا الحجز تنا ما تعد معاذ الله ان

وما أحلى ما قال بعده

لكنه وافى وقد * حلف السهاد على أن لا

وقد تواردهو وابن عنين فى هذا المعنى وكل كساه ديباجة تأخذ بمجامع القلوب ومطلع ابن عنين قوله

ماذا على طيف الاحبة لو سرى * وعليهم لو سامحونى بالكرى

وقول مهيار الديلمى فى هذا الباب مشهور والذى أقوله ان الشيخ جمال الدين بن نباته نبات هذا البستان وقلادة هذا العقيان ومن مطالعه التى هى ابهج من مطالع الشمس قوله فى هذا الباب

فى الريق سكر وفى الاصداغ تجعيد * هذا المدام وهاتيك العناقيد

وقوله

بدا ورنت لواحظه دلالا * فما ابهى الغزالة والغزالا

وقوله

سلبت عقلى باحداق واقداح * يا ساجى الطرف بل يا ساقى الراح

وما ألطف ما قال بعده

سكران من مقلة الساقى وقهوته * فاترك ملامك فى السكرين يا صاح

وقوله

انسان عينى بتحجيل السهاد بلى * عمرى لقد خلق الانسان من عجل

وقوله

قام يرنو بمقلة كحلاء * علمتنى الجنون بالسوداء

وقوله

نفس عن الحب ما حادت وما غفلت * باى ذنب وقال الله قد قتلت

وقد تقدم شروط لا بد من اجتنابها فى حسن الابتداء منها الحشو ولكن وقال الله حشو اللوزينج وقوله

لام العذار اطالت فيك تسهيدى * كانها لغرامى لام توكيد

ولولا الاطالة لافعمت الاذواق من هذا السكر النباتى ورايت للشيخ صفى الدين الحلى فى الارتقيات قصيدة قافية مطلعها فى هذا الباب غاية وهو قوله

قفى ودعينا قبل وشك التفرق * فما انا من يحيا الى حين نلتقى

وانشدنى من لفظه لنفسه الشيخ عز الدين الموصلى قصيدة نونية نظمها بحماة ومطلعها فى حسن الابتداء حسن

سمعنا حمام الدوح فى روضة غنا * فاذكرنا ربع الحبائب والمغنى

ولقد سهوت عن مطلع الشيخ علاء الدين على بن المظفر الكندى الشهير بالوداعى فانه ليس له فى تناسب القسمين قسيم وهو

بدر اذا ما بدا محياه * اقول ربى وربك الله

اشتاق الى حضرته لكنى افتقر اليها فقر الجسد الى الحياة والحوت الى الفرات وانما مثل العبد مع الاصحاب مثل الارض مع السحاب افيسمى القحط شوقا ام يكون الموت وجدا انى عبد الشيخ واسمى احمد وهمذان المولد وثعلب المورد ومضر المحتد وعبد بهذه الصفة غريب نادر

وعارضه الشيخ جمال الدين بن نباته في هذه القصيدة بعينها وترقى الى مطلع بدره وزاحمه في حسنه فمطلع الشيخ جمال الدين

له اذا غازلتك عيناه * سهام لحظ أجارك الله

ومن مطالعي التي حصل لي فيها الفتوح في هذا الباب قولي

طلعتم بدورا في أعز المطالع * فبشرني قلبي بسعد طوالعي

وقولي

اغرامطلك مالي منه تحذير * ولا لتعريف وجدي فيك تنكير

وقولي

في عروض الجفا بحور دموعي * ما أفادت قلبي سوى التقطيع

وقولي

لله قوم لنظم الوصل قد نثروا * شعرت في حبهم بالبين شعروا

وقولي

جردت سيف اللحظ عند تهددي * ياقاتلي فسلبتني بتجرد

وقولي

هواي بسفح القاسمية والجسر * اذا هب ذاك الريح فهو الهوى العذري

وكأني بمنتقد تألم قلبه على المتقدمين بكثرة النقد ومالت نفسه الى مع المتأخرين ليستوفي الشروط الادبية في مباشرة هذا العقد وقولي

قد مال غصن النقا عن صبه هيفا * ياليته بنسيم العتب لو عطفا

فاقول وبالله المستعان ان جماعة من الخادم بدمشق رسموا ان أعارض شيأ من نظم الشيخ جمال الدين بن نباته وتخيروا لي خمس قصائد منها قصيدته الكافية التي مطلعها

تصرمت الايام دون وصالك * فمن شافعي في الحب يا ابنة مالك

فلما انتهيت الى معارضتها وجدت بين الشطر الثاني من المطلع وبين الشطر الاول مباينة كما تقدم في مطلع امرئ القيس من الكلام على ان في شطره الاول ماليس في الثاني * وقد اتفق علماء البديع على ان عدم تناسب القسمين نقص في حسن الابتداء * وقد تقدم قول زكي الدين ابن أبي الاصبع ان مطلع النابغة أفضل من مطلع امرئ القيس لتناسب القسمين وان كان مطلع امرئ القيس اكثر معاني انتهى ولو قال الشيخ جمال الدين في مطلعه

تمذهبت في هجري بطول مطالك * فمن شافعي في الحب يا ابنة مالك

لجمع بين تناسب القسمين ومطلعي الذي عارضت به الشيخ جمال الدين

رضيع الهوى يشكو فطام وصالك * فداوي بني الحب يا ابنة مالك

وكذلك من مطلع الشيخ صفي الدين الحلي في قصيدته الجيمية التي هي من جملة القصائد الارتقيات التي امتدح بها الملك المنصور صاحب ماردين

جاءت لتنظر ما بقت من المهج * فعطرت سائر الارجاء بالارج

فالشطر الثاني ليس من جنس الشطر الاول فان الشطر الاول في الطريق الغرامية ليس له

والصدور والملوك بغريب الاعلاق ولوع والمولى أحق بعبده له ولاؤه وعليه بلاؤه واليه انتسابه وله وعليه كسبه واكتسابه ولا أزيده بجالي وباستقرائها علما وقد قطول عام أول وخولني من العناية ما خول ووافقت القوم على نصف المال في العاجل وانظارهم في الباقي الى القابل ورأيت ارجاء الامر مظلمة فاغتنمت وانتهزت صفو المال ولم آخذ من القوم صفراء ولا بيضاء انما أخذت منهم الجار والجاره والابن والغراره والطست والمناره والكوز والغضاره والازار والغفاره والجبة والفاره ثم لطف الله في تلك العقود فحلها وأحياها كلها وذلك بكريم عناية الشيخ الجليل السيد أدام الله تأييده فالله يحسن جزاءه ويجعلني واهلي من كل مكروه فداءه وارتهن الباقي بعون الله

مثيل ومن أنكر هذا النقد ينظر فى مطلع الشيخ شرف الدين عمر بن الفارض قدس الله سره فانه فى هذا الباب طرفة وهو

ما بين معترك الاحداق والمهج * أنا القتيل بلا اثم ولا حرج

وهنا نكتة لطيفة تؤيد هذا النقد اتفق ان الشيخ نور الدين على بن سعيد الاندلسى الاديب المشهور الذى من نظمه قوله

واطول شوقى الى ثغور * ملأى من الشهد والرحيق

عنها أخذت الذى تراه * يعذب من شعرى الرقيق

لما ورد الى هذه البلاد اجتمع بالصاحب بهاء الدين زهير وتطفل على موائد طريقته الغرامية وسأله الارشاد الى سلوكها فقال له طالع ديوان الحاجرى والتلعفرى واكثر المطالعة فيهما وراجعنى بعد ذلك فغاب عنه مدة واكثر من مطالعة الديوانين الى ان حفظ غالبهما ثم اجتمع به بعد ذلك وتذاكرا فى الغراميات فانشده الصاحب بهاء الدين زهير فى غضون المحاضرة يا بان وادى الاجرع * وقال اشتهى أن يكمل لى هذا المطلع فافكر قليلا وقال سقيت غيث الادمع * فقال والله حسن لكن الاقرب الى الطريق الغرامى أن تقول هل مات من طرب معى * وما الطف مطلع الحاجرى فى هذا الطريق

لك أن تشوقنى الى الاوطان * وعلى أن ابكى بدمع قانى

والآراء على هذا النوع تستحسن هنا مطلع ناصر الدين بن النقيب فانه اعدل شاهد مقبول والتشبيب بنفسه الطيب يغنى فى هذه الحضرة عن الموصول وهو

قلدت يوم البين جيد مودّعى * دررا نظمت عقودها من أدمعى

وبالنسبة الى حسن الابتداآت مطلع الشيخ برهان الدين القيراطى مع حسنه وبهجته فيه نقص وهو

قسما بروضة خدها ونباتها * وبآسها المخضل فى جنباتها

فانه لم يأت بجواب القسم ولا مايحسن السكوت على مطلعه ولا تتم الفائدة الا به ومشايخ البديع قرروا ان لا يكون المطلع متعلقا بما بعده فى حسن الابتداء وقد آن ان أحبس عنان القلم فان الشرح قد طال ولم اطله الا ليزداد الطالب ايضاحا ويداوى علل فهمه بحكم المتقدمين ويتنزه فى رياض الادب على النبات الغض من نظم المتأخرين انتهى ما أوردته فى حسن الابتداء وقد فرع المتأخرون منه براعة الاستهلال فى النظم والنثر وفيها زيادة على حسن الابتداء فانهم شرطوا فى براعة الاستهلال ان يكون مطلع القصيدة دالا على ما بنيت عليه مشعرا بغرض الناظم من غير تصريح بل باشارة لطيفة تعذب حلاوتها فى الذوق السليم ويستدل بها على قصده من عتب أو عذر أو تنصل أو تهنئة او مدح أو هجو وكذلك فى النثر فاذا جمع الناظم بين حسن الابتداء وبراعة الاستهلال كان من فرسان هذا الميدان وان لم يحصل له براعة الاستهلال فليجتهد فى سلوك ما يقوله فى حسن الابتداء وما سمى هذا النوع براعة استهلال الا لان المتكلم يفهم غرضه من كلامه عند ابتداء رفع صوته به ورفع الصوت فى اللغة هو الاستهلال يقال استهل المولود صارخا اذا رفع صوته عند الولادة

تعالى ثم بعالى رأيه فان تدارك فقد ابنعث الحقوق وحان قطافها وهنالك النوائب واختلافها والايدى واجترافها والافواه واعتلافها والعمالة واعتسافها والزعامة والتقافها والاكرة واتصافها والاعوان واسرافها هذه التى أعلمها ثم التى أخافها الجراد واجتماعها والقمل واتلافها والعساكر واجترافها والريح واتسافها فاذا امتلأت أجوافها فالعطاش واغترافها والبطان واستفافها والشفاه وارتشافها والصوفة وانتزافها والقطنة واستنطافها والشمس واشرافها أفليس عما قريب جفافها هى أيد الله الشيخ الجليل السد لا تسعها الرخصة انه لا يفيض للناحية بعد شهرين عرق ولا يوجد

وأهل الحجيج اذا رفعوا أصواتهم بالتلبية وسمي الهلال هلالا لان الناس يرفعون أصواتهم عند رؤيته * ومما وقع من براعات الاستهلال التي تشعر بغرض الناظم وقصده في قصيده براعة قصيدة الفقيه نجم الدين عمارة اليمني حيث قال

اذا لم يسالمك الزمان فحارب * وباعد اذا لم تنتفع بالاقارب

فاشارات العتب والشكوى لاتخفى على أهل الذوق في هذه البراعة ويفهم منها ان بقية القصيدة تعرب عن ذلك فان زكي الدين بن أبي الاصبع قال براعة الاستهلال هي ابتداء المتكلم بمعنى ما يريد تكميله وهذه القصيدة في حكمها وتحتمها وتسيير أمثالها نهاية والموجب لنظمها على هذا النمط أنه كان بينه وبين الكامل بن شاور صحبة اكيدة قبل وزارة أبيه فلما وزر استطال عليه فكتب اليه هذه القصيدة التي من جملتها

ولا تحتقر كيدا صغيرا فربما * تموت الافاعي من سموم العقارب

ومنها

اذا كان رأس المال عمرك فاحترز * عليه من الانفاق في غير واجب

فبين اختلاف الليل والصبح معرك * يكر علينا جيشه بالعجائب

ومنها

وما راعني غدر الشباب لانني * ألفت لهذا الخلق من كل صاحب

ومنها

اذا كان هذا الدر معدنه فمي * فصونوه عن تقبيل راحة واهب

رأيت رجالا حالهم في مآدب * لديكم وحالي عندكم في نوادب

تأخرت لما قدمتكم علاكم * علي وتأبى الاسد سبق الثعالب

ترى اين كانوا في مواطني التي * غدوت لكم فيهن أكرم خاطب

ليالي اتلو ذكركم في مجالس * حديث الورى فيها بغمز الحواجب

ومن الطف البراعات واحشمها براعة مهيار الديلمي فانه بلغه انه وشي به الى ممدوحه فتنصل من ذلك بالطف عذر وابرزه في معرض التغزل والنسيب فقال

اماوهواها حلفة وتنصلا * لقد نقل الواشي اليك فامحلا

وما احلى ما قال بعده

سعى جهده لكن تجاوز حده * وكثر فارتابت ولو شاء قللا

واذكرني مهيار بحسن براعته ما كتبت به الى سيدنا ومولانا قاضي القضاة صدر الدين ملك المتأدبين أبي الحسن علي بن الآدمي الحنفي الناظر في الحكم العزيز بالديار المصرية والممالك الاسلامية جمل الله الوجود بوجوده من حماة المحروسة الى أبوابه العالية بدمشق المحروسة ورياحين الشبيبة غضة وكانت مطالعاتي قد تأخرت عن أبوابه العالية لعارض حجب الفكر عن هذا الفن وهي رسالة مشتملة على نظم ونثر فصدرت الجواب بقصيدة ترفل في حلل النسيب على طريق مهيار وكلها براعة استهلال أولها

وصلت ولكن بعد طول تشوقي * ودنت وقد رقت لقلبي الشيق

بأهلها طرق من ورد حوضها الآن ورده ملآن فان احتسب الشيخ الجليل ونشط لقاصد ينهضه بمنشور يسد له عن عناية يؤكدها بكتاب يصحبه الى الشيخ الرئيس أبي عامر رجوت أن يرتفع المراد والافلا وان استسقى عمر ابن الخطاب بالعباس بن عبد المطلب فسقي الناس وكشف الجدب فقد استسقيت بشيخي الجماعة والسنة وابني سيدي شباب اهل الجنة وتعززت بكابهما (وليس امرؤ في الروع كانا سلاحه * عشية يلقى الحادثات باعزلا) والشيخ الجليل السيد ولي النعمة مولانا في تشريف عبده وخادمه وتصريفه على أمره ونهيه عالي رأيه ان شاء الله تعالى

(وله اليه صدر كتاب) كتابي اطال الله بقاء الشيخ عن سلامة يغبر في وجهها

وما أحلى ما قلت بعده

فملت من طرب برجع حديثها * فكأنما قد نادمت بدمشق

وجمعها على هذا الطريق البديعي ومثل ان المقر المخدومي الاميني الحمصي لما انتقل من توقيع حمص المحروسة الى صحابة ديوان الانشا بدمشق قصد نقلتي من حماة المحروسة الى أبوابه العالية وحب حماة يفتر العزم عن ذلك وهذا يفهم من قولي في بعض قصائدي فيها

بلاد عناق الفقر لي بفنائها * وفي غيرها لم ارض بالملك والرهط

ولكنه قطع اسئلته العالية بعد أن كانت كؤس الانشاء دائرة بيننا فكتبت اليه بقصيدة تشعر بعتب لطيف و بلابل الغزل تغرد في أفنانها على طريقة مهيار الديلمي وطريق مولانا قاضي القضاة صدر الدين عظم الله تعالى شأنه و براعة استهلالها

من باسياف هجرهم كلمونا * ما عليهم لو انهم كلمونا

ولم اعرب في نحو هذه القصيدة عن غير هذه الاشارات اللطيفة

ومنها

غلقوا باب وصلهم فتح الـ * ـله لهم بالهناء فتحا مبينا

وصلوا هجرنا وعيش هواهم * لم نخل عنهم ولو قطعونا

ملكوا رقنا فصرنا عبيدا * ليتهم بعد رقنا كاتبونا

ولم ازل اغازل عيون هذه المعاني الى المخلص فقلت

حبكم فرضنا وسيف جفاكم * قد غدا في بعادنا مسنونا

والحشا لم يخن عهود وفاكم * فاسئلوا من غدا عليها أمينا

ومما يشعر بالتهنئة والنصر على الاعداء براعة العلامة لسان الدين بن الخطيب وهي

الحق يعلو والاباطل تسفل * والحق عن أحكامه لا يسئل

فانه قال نظمت للسلطان أسعده الله وانا بمدينة سلا لما انفصل طالبا حقه بالاندلس قصيدة كان صنع الله مطابقا لاستهلالها ووجهت بها الى رندة قبل الفتح ثم لما قدمت انشدتها بين يديه بعد الفتح وفاء بنذري وسميتها الفتح الغريب في الفتح القريب منها

فاذا استحالت حالة وتبدلت * فالله عز وجل لا يتبدل

واليسر بعد العسر موعود به * والصبر بالفرج القريب موكل

والمستعد بما يؤمل ظافر * وكفاك شاهد قيدوا وتوكلوا

ومنها

الحمد والحمد منك سجية * بحليها بين الورى يتجمل

اما سعودك فهو دون منازع * عقد باحكام القضاء يسجل

ولك السجايا الغر والشيم التي * بغريبها يتمثل المتمثل

ولك الوقار اذا نزلت على الربا * وهفت من الروع الهضاب المثل

ومنها

عوذ كمالك ما استطعت فانه * قد تنقص الاشياء مما تكمل

الحرب والحصار وعافية معها الخوف والحذار وصنع الله حارس أثناء الخطوب والشيخ الجليل بحمد الله ملي القلب ثابت القدم وافر الاعوان والخدم مخيل بالظفر والسلاح بعض ويكلم ويهد ويهدم والحرب على ساق والقنيات على تلاق ونحن الى هذه الغاية متضعون ومتعلون والله ولي الكفاية

(وله اليه عتاب)

كتابي والثمرة أدام الله عز الشيخ تخرج من اكمامها فتكون صرة قبل تمامها ثم تصير مزة كثيرا من ايامها ثم تكون فجة عفصة ثم لا يزال الليل والنهار ينضجانها حتى تصبح رطبا جنيا وتؤكل حلوا هنيا وقد تصورني الشيخ الجليل حجرا لا يؤثر في الماء والنار ولا ينضجني الليل والنهار وللشباب نزقة وطيش ثم يربعون اذا جاء الاربعون وينزعون

تاب الزمان اليك مما قد جنى * والله يأمر بالمتاب ويقبل
ان كان ماض من زمانك قد مضى * باساءة قد سرك المستقبل
هذا بذاك فشفع الثانى الذى * ارضاك فيما قد جناه الاول
والله قد ولاك أمر عباده * لما ارتضاك ولاية لا تعزل
واذا تغمدك الاله بنصره * وقضى لك الحسنى فمن ذا يخذل

ومنها

وظعنت عن أوطان ملكك راكبا * متن العباب فاى صبر يجمل
والبحر قد خفقت عليك ضلوعه * والريح تبتلع الزفير وترسل
ولك الجوارى المنشآت قد اغتدت * تختال فى برد الشباب وترفل
خرقاء يحملها ومن حلت به * من يعلم الانثى وماذا تحمل
صبحتهم غر الجياد كأنما * سد الثنية عارض متهلل
من كل منجرد أغر محجل * يرمى الجياد به اغر محجل
زجل الجناح اذا اجد لغاية * واذا تغنى للصهيل فبلبل
جيد كما التفت الظليم وفوقه * اذن ممشقة وطرف اكحل

ومنها

وخليج هند راق حسن صفائه * حتى يكاد به يقوم الصيقل
غرقت بصفحته النمال واوشكت * تبغى النجاة فاوثقتها الارجل
فالصرح منه ممرد والصفح منه مورد والشط منه مهدل
وبكل ازرق ان شكت الحاظه * مرهاء العيون فبالعجاجة يكحل
متأود أعطافه فى نشوة * مما يعل من الدماء وينهل
عجبا له ان الجميع بطرفه * رمد ولا يخفى عليه مقتل
لله موقفك الذى وثباته * وثباته مثل به يتمثل
والخيل خط والمجال صحيفة * والسمر تنقط والصوارم تشكل
والبيض قد كسرت حروف جفونها * وعوامل الاسل المثقف تعمل

وهى طويلة وجميعها فرائد ولما كرمنها الالعالى ان نظم الوزير لسان الدين بن الخطيب رحمه الله تعالى غريب فى هذه البلاد ومن البراعات التى يفهم من اشاراتها انها تهنئة بمولود قول أبى بكر بن الخازن رحمه الله تعالى

بشرى فقد انجز الاقبال ماوعدا * وكوكب المجد فى أفق العلا صعدا

ومما يشعر بقرينة الذوق أن الناظم يريد الرثاء قول التهامى

حكم المنية فى البرية جارى * ماهذه الدنيا بدار قرار

وهذه القصيدة يرثى بها ولده وهى نسيج وحدها وواسطة عقدها

ومنها

ومكلف الايام ضد طباعها * متطلب فى الماء جذوة نار

وإن كانوا الاوزعون ولقد نظرت فى المرآة فوجدت الشيب يتلهب و ينهب والشباب يتأهب ويذهب وما أسرج هذا الاشهب الالسير واسأل الله خاتمة خير وأنا أرجو أن يكون ما نسبنى اليه ولى النعمة أدام الله علوه من الظلم والعدوان مطايبة ومزاحا فان كان اعتقادا فلاتمى الويل وسال بى السيل فأما انسراج وتوابعه فوالله ما أحوج عاملا الى اقتضائه انما الحديث فى جزاف يطلب ومحال يكتب فاما حقوق الديوان أصلا وفرعا فلا يدعى العمال على باقيا الا غرمت الدرهم دينارا المجنون أنا واما الشركاء فهم يفدونى بالامهات والآباء وقد سمع الشيخ الجليل كلامهم والذكرى تنفع المؤمنين * ومما أطرف به المجلس العالى زاده الله شرفا انه كان فى جيرتنا رجل

جبلت على كدر وانت تريدها * صفوا من الاقذاء والاقذار
واذا رجوت المستحيل فانما * تبنى الرجاء على شفير هار
فالعيش نوم والمنية يقظة * والمرء بينهما خيال سارى

وما اعلم ان أحدا استهل للمراثى باحسن من هذه البراعات ومنها يشير الى ولده وهو من المعانى المستغربة

جاورت اعدائى وجاور ربه * شتان بين جواره وجوارى

وأما قصيدة الشيخ جمال الدين بن نباتة رحمه الله تعالى فى تهنئة السلطان الملك الافضل بسلطنة حماة وتعزيته بوفاة والده الملك المؤيد سقى الله ثراه فانها من عجائب الدهر فانه جمع فيها بين نقيضى المدح والرثاء فى كل بيت وبراعتها

هناء محاذاك العزاء المقدما * فما عبس المحزون حتى تبسما
ثغور ابتسام فى ثغور مدامع * شبيهان لا يمتاز ذو السبق منهما
يرد مجارى الدمع والبشر واضح * كوابل غيث فى ضحى الشمس قد همى

سبحان المانح والله من لا يتعلم الادب من هنا فهو من المحجوبين عن ادراكه (وكتب اليه) الشيخ صلاح الدين الصفدى قصيدة ضمن فيها أعجاز معلقة امرئ القيس وصرح فى براعتها بتغليظ العتب ولم يأت فى البراعة باشارة لطيفة يفهم منها القصد بل صرح وقال

أفى كل يوم منك عتب يسوءنى * كجلمود صخر حطه السيل من عل

فاجابه الشيخ جمال الدين بقصيدة ضمن فيها الاعجاز المذكورة وبراعة استهلالها

فطمت ولائى ثم اقبلت عاتبا * أفاطم مهلا بعض هذا التدلل

والاشارة بقوله افاطم مهلا بعض هذا التدلل لا يخفى على حذاق الادب ما مراده منها وفى هذا القدر كفاية وما أحلى ما قال بعده وهو مما قصده فى تلك الاشارة

فدونك عتب اللفظ ليس بفاحش * اذا هى نصته ولا بمعطل

(وهنا بحث) وهو انى وقفت على بديعية الشيخ شمس الدين أبى عبد الله محمد بن جابر الاندلسى الشهيرة ببديعية العميان فوجدته قد صرح فى براعتها بمدح النبى صلى الله عليه وسلم وهى

بطيبة انزل ويمم سيد الامم * وانثر له المدح وانشر طيب الكلم

فهذه البراعة ليس فيها اشارة تشعر بغرض الناظم وقصده بل أطلق التصريح ونثر المدح ونشر طيب الكلم فان قال قائل انها براعة استهلال قلت ان البديعية لابد لها من براعة وحسن مخلص وحسن ختام فاذا كان مطلع القصيدة مبنيا على تصريح المدح لم يبق لحسن التخلص محل ولا موضع ونظم هذه القصيدة سافل بالنسبة الى طريق الجماعة غير أن الشيخ الامام العلامة شهاب الدين أبا جعفر الاندلسى شرحها شرحا مفيدا (وهنا فائدة) وهو ان الغزل الذى يصدر به المديح النبوى يتعين على الناظم أن يحتشم فيه ويتأدب ويتضاءل ويتشبب مطربا بذكر سلع ورامة وسفح العقيق والعذيب والغوير ولعلع واكناف حاجر ويطرح ذكر محاسن المرد والتغزل فى ثقل الردف ورقة الخصر وبياض الساق وحمرة الخد وخضرة العذار وما أشبه ذلك وقل من يسلك هذا الطريق من أهل الادب وبراعة الشيخ صفى الدين

الحلى

يكنى أبا الهول كما سمعه اسطوانة المسجد لكثرة صلاته وكان له عم موسر لا عقب له فرزق ولدا على كبر السن فحمل أبا الهول فرط غمه ان زوى الله عنه ميراث عمه على ترك الصلاة أصلا فكان لا يؤدى فرضا ولا نفلا ولا يرد سلاما ولا يعمل فى الخير عملا ولا يغسل استه مثلا وقد وجدت لابى الهول عدلا وهو أبو فلان وكان فيما مضى يعتق فى كل شهر عبدا ويصلى بالليل وردا ويتخذ مصانع وربطا فرجع من الحضرة وقد سلخه الله من كل خير وضربه فى قالب غير فهو الآن لا يشهد جامعا ولا جمعه ولا يصلى فى الظاهر ركعة ولا يعطى فقيرا حبه ولا يرزق طفل منه محبه وقد اتخذ نقباء واعوانا وارتبط رجالة وفرسانا وقد ملأ الرساتيق والبلاد اجمالا وما حل أحد قبلى على سعايه ولولا أمر خصنى لرأيت حقا

الحلى فى هذا الباب من أحسن البراعات واحشمها وهى

ان جئت سلعا فسل عن جيرة العلم * واقر السلام على عرب بذى سلم

فقد شبب بذكر سلع والسؤال عن جيرة العلم والسلام على عرب بذى سلم ولا يشكل على من عنده أدنى ذوق ان هذه البراعة صدرت لمديح نبوى ومطلع البردة أيضا فى هذا الباب من أحسن البراعات أيضا وهو

أمن تذكر جيران بذى سلم * مزجت دمعا جرى من مقلة بدم

فمزج دمعه بدمه عند تذكر جيران بذى سلم من الطف الاشارات الى ان القصيدة نبوية وما أحلى ما قال بعده

أم هبت الريح من تلقاء كاظمة * وأومض البرق فى الظلماء من اضم

وحشمة الشيخ جمال الدين بن نباتة فى براعة قصيدته الرائية النبوية يتعلم الادب منها اولو الادب وهى

صحا القلب لولا نسمة تتخطر * ولمعة برق بالغضا تتسعر

وما احشم قوله بعده

وذكر جبين المالكية ان بدا * هلال الدجى والشئ بالشئ يذكر

سقى الله اكناف الغضا سائل الحيا * وان كنت أسقى أدمعا تتحدر

وأما قصيدتى النبوية الموسومة بامان الخائف فانها عذيب هذا البارق وحلبة مجرى هذه السوابق لانى لم اخرج فى تغزلها عن التبارى والتشبيب بذكر المنازل المعهودة وبراعتها

شدت بكم العشاق لما ترنموا * فغنوا وقد طاب المقام وزمزم

وقلت بعده

وضاع شذاكم بين سلع وحاجر * فكان دليل الظاعنين اليكم

وجزتم بوادى الجزع فاخضر والتوى * على خده بالنبت صدغ منمنم

ولما روى أخبار نشر ثغوركم * اراك الحمى جاء الهوى يتنسم

وما أليقه أن يكون صدر اللمدائح النبوية ومنها

فيا عرب الوادى المنيع حجابه * واعنى به قلبى الذى فيه خيموا

رفعتم قبابا نصب عينى وفحوها * تجرذيول الشوق والقلب يجزم

ويا من اماتوا نا اشتياقا وصيروا * مدامعنا غسلا لنا وتيمموا

منعتم تحيات السلام لموتنا * غراما وقد متنا فصلوا وسلموا

يقولون لى فى الحى أين قبابهم * ومن هم من السادات قلت هم هم

عريب لهم طرفى خباء مطنب * بدمعى وقلبى نارهم حين تضرم

ومن ألطف الاشارات الى ان هذا التغزل صدر قصيدة نبوية قولى منها

أورى بذكر البان والرند والنقا * وسفح اللوى والجزع والقصد أنتم

ولم ازل فى براعة الاستهلال استهل أهلة هذه المعانى الى ان وصلت الى حسن التخلص فقلت

لله ان انهض الى المجلس العالى لتصوير حاله وقد طويت هذا الكتاب على ما عاملنى به واذا كانت هذه حالى وأنا امشى بالنهار على الماء واعرج بالليل الى السماء علم الشيخ الجليل حال العامة واذا أنعم بالنظر فى الرقعة التى طويت كتابى هذا عليها وفى جواب القاضى فى آخرها وعلى ظهرها علم صدق ما يقوله العبد وللشيخ الجليل فى تأهيل العبد للجواب وزجر هذا الطويل عما يتعاطاه رايه العالى ان شاء الله تعالى

(وله اليه فى شأن أبى البحترى)

جزى الله الشيخ الجليل السيد النبيل أفضل ما جازى مولى عن عبده ثم أضعف الله له من عنده ومن قال جزاك الله خيرا فقد أولى جميلا وأعطى جزيلا وما قصر من اتخذ الله وكيلا وما بى آدام الله تمكين الشيخ الجليل مال حصل أو حق وصل انى لا اعدم فى كنفه المال

تقنعت في حبي لهم فتعصبوا * عليّ وهم سادات من قد تلثموا
لهم حسب عال يطاعكة * لان رسول الله في الاصل منهم

ومن الاغزال التي لا تليق أن يكون غزلها المديح قصيد نبوي قصيد السري الرفاء فانه مدح بها الفاطميين وجدهم صلى الله عليه وسلم وجرح القلوب بندبة الحسين عليه السلام فانه قال منها

مهلا فما نقلوا آثار والده * وانما نقضوا في قتله الدينا

وهذه القصيدة مشتملة على مدح النبي صلى الله عليه وسلم وآل بيته وندبة الحسين بن علي عليهما السلام فما ينبغي ان تكون براعتها

نطوي الليالي علما ان ستطوينا * فشعشعيها بماء المزن واسقينا

ما أحق هذه البراعة لبعدها من المديح بقول القائل

تميتهم بالرقمتين ودارهم * بوادي الغضى يابعد ما اتمناه

وما كفاه حتى قال بعد ذلك

وتوجي بكؤس الراح راحتنا * فانما خلقت للراح أيدينا
قامت تهز قواما ناعما سرقت * شمائل البان من اعطافه اللينا
تدير خمرا تلقاها المزاج كما * القيت فوق جني الورد نسرينا
فلست ادري أتسقينا وقد نفحت * روائح المسك منها أم تحيينا
وقد ملكنا زمان العيش صافية * لوفاتنا الملك راحت عنه تسلينا

أقول غفر الله هذا الغزل فيه اساءة أدب على ممادحه فانه شبب بوصف القيان وبذكر الخمر وبينه وبين المديح مباينة عظيمة (رجع) الى البراعات البارعة التي تشعر انها صدر المديح النبوي بالاشارات اللطيفة منها براعة الشيخ برهان الدين القيراطي وهي قوله

ذكر الملتقى على الصفراء * فبكاه بدمعة حمراء

وأما براعة بديعيتي فانها ببركة ممدوحها صلى الله عليه وسلم نور هذه المطالع وقبلة هذا الكلام الجامع فاني جمعت فيها بين براعة الاستهلال وحسن الابتداء بالشرط المقرر لكل منهما وابرزت تسمية نوعها البديعي في أحسن قوالب التورية وشنفت باقراط غزلها الاسماع مع حشمة الالفاظ وعذوبتها وعدم تجافي جنوبها عن مضاجع الرقة وبديعية صفي الدين غزلها لا ينكر غير أنه لم يلتزم فيها تسمية النوع البديعي مورى به من جنس الغزل ولو التزمه لتجافت عليه تلك الرقة واما الشيخ عز الدين الموصلي فانه لما التزم ذلك نحت من الجبال بيوتا وقد أشرت الى ذلك في الخطبة بقولي وهي البديعية التي هدمت بها ما نحته الموصلي في بيوته من الجبال وجاريت الصفي مقيدا بتسمية النوع وهو من ذلك محلول العقال وسميتها تقديم أبي بكر عالما انه لا يسمع من الحلي والموصلي في هذا التقديم مقال ومن أحسن اشارات براعتي التي تشعر انها صدر مديح نبوي تشبيبي بعرب ذي سلم وخطابي لهم بان لي في مدائحهم براعة تستهل الدمع وكأني وعدتهم بشيء لا بد من القيام به وهذا حسبما أراده ابن أبي الاصبع بقوله براعة الاستهلال هي ابتداء الناظم بمعنى ما يريد تكميله انتهى ما أوردته هنا من البراعات

وابلغ في دولته الآمال ولكن أبو البحتري جاني الذنب النوم ومنعني بياض اليوم أني يكون مثلي وأنا صاحب ضرب يعبث به صفعان كانه درب وكنت أسمع بطرار كانه النبل ولم أسمع بمحتال كانه الطبل ويقولون لص كالحية في الظلم وطرار كالازلم فاما طرار كالسلم واص في طول المنارة وعرض الغرارة فلا الا هذا الحر وعنوان الاحمق كنيته ثم بنيته ثم حليته ثم مشيته ووالله ما أعرف معنى أبي البحتري فهلا أبو حامد وأبو خالد وان امرأة تقعد مدة تعصر بدنها وظهرها وتعد يومها وشهرها ثم تسميه أبا البحتري لرعناء لا تستحق مهرها وخليقة ان تطلم نهرها فلا تلد دهرها ثم الوجه اللحيم لا يحمله كريم والانف السمين لا ينقله الامين والقطف سير الحمير والهرولة مشية الخنازير

البارعة نظما وأما براعات النثر فانها امثلها ان لم تكن براعة الخطبة أو الرسالة او صدر الكتاب المصنف دالة على غرض المنشئ والا فليست ببراعة استهلال وقد رأيت غالب البديعيين قد اكتفوا عند استشهادهم على براعة الاستهلال فى النثر بقول الصاحب عمرو بن مسعدة كاتب المأمون فانه امتحن أن يكتب للخليفة يخبره ان بقرة ولدت عجلا وجهه كوجه الانسان فكتب الحمد لله الذى خلق الانام فى بطون الانعام ورأيت الشيخ صفى الدين الحلى فى شرح بديعيته قد القى عند الاستشهاد بها عصى التسيار واحتجبت عنه فى هذا الافق الشموس والاقمار أين هو من علو مقام القاضى محيى الدين بن عبد الظاهر وقد كتب عن السلطان الملك الظاهر الى الامير سنقر الفارقانى جوابا عن مطالعته بفتح سوس من بلاد السودان واستهل بقوله وجعلنا الليل والنهار آيتين فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة الله اكبر ان من البلاغة لسحرا والله ما أظن هذا الاتفاق الغريب اتفق لناثر ولا هلال كاتب المأمون فى هذا الاستهلال بزاهر وهذا المثال الشريف ليس له مثال منه صدرت هذه المكاتبة الى المجلس السامى تثنى على عزائمه التى دلت على كل أمر رشيد وأنت على كل جبار عنيد وحكمت بعدل السيف فى كل عبد سوء وما ربك بظلام للعبيد وبراعة الشيخ جمال الدين بن عبد الرزاق الاصفهانى فى رسالة القوس تجارى براعة القاضى محيى الدين بن عبد الظاهر فى هذه الحلبة وتساويها فى علو هذه الرتبة فانه أتى فيها بالعجائب وأصاب غرض البلاغة بسهم صائب واستهلها بعد البسملة بقوله تعالى ويسألونك عن ذى القرنين قل سأتلو عليكم منه ذكرا انا مكناله فى الارض وآتيناه من كل شئ سببا فاتبع سببا *(منها)* شيطان تطلع شمس النصرة من بين قرنيه مارد لا يصلح الا بتعريك اذنيه صورة مركبة ليس لها من تركيب النظم الا ما حملت ظهورها أو الحوايا أو ما اختلط بعظم وأما براعة الشيخ جمال الدين بن نباتة فى خطبة كتابه المسمى بخبز الشعير فانها خاص الخاص ولا بد من مقدمة تكون هى النتيجة الموجبة لتسمية هذا الكتاب بخبز الشعير فانه مأكول مذموم وماذاك الا انه كان يخترع المعنى الذى لم يسبق اليه ويسكنه بيتا من أبياته العامرة بالمحاسن فيأخذه الشيخ صلاح الدين الصفدى بلفظه ولا يغير فيه غير البحر وربما عام به فى بحر طويل يفتقر الى كثرة الحشو واستعمال ما لا يلائم فلم يسع الشيخ جمال الدين الا انه جمعه من نظمه ونظم الشيخ صلاح الدين واستهل خطبته بقوله تعالى رب اغفر لى ولوالدى ولمن دخل بيتى مؤمنا ورتب كتابه المذكور على قوله (قلت انا) فاخذه الشيخ صلاح الدين وقال) فمن ذلك قول الشيخ جمال الدين قلت

ومولع بفخاخ * يمدها وشباك
قالت لى العين ماذا * يصيد قلت كراكى

فاخذه الشيخ صلاح الدين وقال

أغار على سرح الكرى عندما رمى الشكرا كى غزال للبدور يحاكى
فقلت ارجعى ياعين عن ورد حسنه * ألم تنظر به كيف صاد كراكى

ومن ذلك قال الشيخ جمال الدين قلت

وله اليه فى هزيمة السامانية بباب سرخس
ما أظن أطال الله بقاء الشيخ السيد الساسان الامدعين على الله مقاطعة أرضه ومساقاة ثمارها ياهؤلاء لا تكابروا الله فى بلاده ولا تراودوا الله تعالى غير مراده ان الارض لله يورثها من يشاء من عباده وما أرى آل سمجور الا معتقدين انهم يأخذون خراسان قهرا كانما كانت لامهم مهرا فلهم من حولها محيط والله من ورائهم محيط وبلغنى ان صاحبهم أسر فان كان ما بلغنى صحيحا فرحبا بالاسر ولا لعا للعاثر حتام كفر الكافر وغدر الغادر وابو الحسين بن كثير خذله الله لا يكاد يرى الخير من ابن واحد افترجوه من ابن كثير وهو الترياق المجرب للملك المقرب يقذف من

اسعد بها يا قمرى برزة * سعيدة الطالع والغارب
صرعت طيرا وسكنت الحشا * فاتعديت عن الواجب

فاخذه الشيخ صلاح الدين وقال من البحر

قلت له والطير من فوقه * يصرعه بالبندق الصائب
سكنت فى قلبى فحركته * فقال لم أخرج عن الواجب

قال الشيخ جمال الدين قلت

وبمهجتى رشأ يميس قوامه * فكأنه نشوان من شفتيه
شغف العذار بخده ورآه قد * نعست لواحظه فدب عليه

فاخذه الصلاح وقال

واهيف كالغصن الرطيب اذا انثنى * تميل حمامات الاراك اليه
له عارض لما رأى الطرف ناعسا * أتى خده سرا فدب عليه

وأحسن ما وقع فى هذا الباب للشيخ جمال الدين أنه قال

بروحى عاطر الانفاس ألمى * ملئ الحسن خالى الوجنتين
له خالان فى دينار خد * تباع له القلوب بحبتين

فاخذه الصلاح وقال

بروحى خده المحمر اضحت * عليه شامة شرط المحبه
كأن الحسن يعشقه قديما * فنقطه بدينار وحبه

فلما وقف الشيخ جمال الدين على هذين البيتين قال لا اله الا الله الشيخ صلاح الدين سرق كما يقال من الحبتين حبة قال الشيخ جمال الدين قلت

يا غادرا بى ولم اغدر بصحبته * وكان منى محل السمع والبصر
قد كنت من قلبك القاسى اخال جفا * فجا ما خلته نقشا على حجر

فأخذه الشيخ صلاح الدين وقال

مازلت اشكو حين زفرلى الضنا * قسما وأسلمنى الى البلوى وفر
حتى توفر من شكاية لوعتى * لى قلبه فرأيت نقشا فى حجر

قال الشيخ جمال الدين قلت

ياعاذلى شمس النهار جميلة * وجمال فاتنتى ألذ وأزين
فانظر الى حسنيهما متأملا * وادفع ملامك بالتى هى أحسن

فاخذه الشيخ صلاح الدين مع البحر بل آخذ الكل مع القافية وقال

بأبى فتاة من كمال صفاتها * وجمال بهجتها تحار الاعين
كم قد دفعت عواذلى عن وجهها * لما تبدت بالتى هى أحسن

ومن ذلك قال الشيخ جمال الدين واجاد الى الغاية

فديتك أيها الرامى بقوس * ولحظ ياضنى قلبى عليه
لقوسك نحو حاجبك انجذاب * وشبه الشئ منجذب اليه

كل جانب دحورا هذا المؤيد من السماء بين تدبيره يلتمس فى بيره وهذا سنان الدولة ببركة ضميره وقع فى تحبيره ولا يزال هذا البائس حتى يسأل الله العافية عن بدنه وحديث ماحديث هذا الجمال كان ابليس يقسم كل صيحة اللعى القاصار يقسم الوفا سلطان آتاه الله واسطة البرو حاشية البحر وامكنه من طاغية الهند وسخر له ملوك الارض يريد جمال مراغمته

* باللرجال لنازل الحدثان * انى لاعجب من رأس يودع تلك الفضول فلا ينشق ومن عنق يحمل ذلك الرأس فلا يندق وما أجد لابن محمود مثلا الا ابن الراوندى اذ ذهب الى ابن الاعرابى يسأله عن قول الله تعالى فأذاقها الله لباس الجوع والخوف اتقول العرب ذقت اللباس فقال

فاخذه

فاخذه الشيخ صلاح الدين وقال

تشرّط من أحب فذبت وجدا * فقال وقد رأى جزعى عليه
عقيق دمى جرى فأصاب خدى * وشبه الشئ منجذب اليه

وما اظن الشيخ صلاح الدين غفر الله له لما سمع ما قاله الشيخ جمال الدين ونظم بعده هذين البيتين كان فى حيز الاعتداد لان انجذاب القوس الى الحاجب من انجذاب الدم الى الخد وأبيته فى براعة استهلاله بقول الله تعالى رب اغفرلى ولوالدى ولمن دخل بيتى مؤمنا قال بعدها اللهم ومن دخل بيتى كافرا بفوائدى المنعمة وبيت شعرى سارقا من الفاظه ومعانيه المحكمة فاخجله فى سره وعلانيته وعاقبه على قوله ونيته * ومنها بلغنى ان بعض أدباء عصرنا ممن منحته ودى وانفقت على ذهنه الطالب ما عندى واقمته وهو لا يدرى الوزن مقام من ركاه نقدى واودعته ذخائر فكرى فانفقها واعرته أوراقى العتيقه فلا والله ما ردها ولا اعتقها بل انه غير الثناء بالهجاء والولاء بالجفاء ونسبنى الى سرقة بيوت الاشعار مع الغناء عنها والغنى فتغاضيت وقلت هما زمشاء بنميم وغصة صديق اتجرعها ولو كانت من جحيم واخليت من حديثه بابى فى ومجلس صدرى وصرفت ذكره عن فكرى * ولكن وقفيت له على تصانيف وضعها فى علم الادب والعلم عند الله تعالى ووشحها بشعره وشعرى المغصوب المنهوب يقول يا صاحبى الالا * وما يتوضح من جيد تلك الاشعار لمعة الاومن لفظى مشكاتها ولا تتضوع زهرة الاومنى فى الحقيقة نباتها فضحكت والله من ذهنه الذاهل وذكرت على زعمه قول القائل

وفتى يقول الشعر الا أنه * فيما علمنا يسرق المسروقا

وعجبت له كيف رضى لنفسه هذا الامر منكرا وكيف حلا لذوقه اللطيف هذا الحرام مكررا وقد أوردت الآن فى هذا الكتاب قدرا كافيا ووزنا من الشعر وافيا وسميته خبز الشعير المأكول المذموم وعرضته على معدلة مولانا بالعلم ليشاع خليله مظلوم ولولا الاطالة لاوردت جميع أبيات الشيخ جمال الدين التى دخلها الشيخ صلاح الدين بغير طريق ليرتدع القاصر عن التطاول الى معانى الغير * ومن البراعات التى يستهل بها فى هذا الافق الذى مرآة سمائه صقيلة براعة المقر المخدومى القضائى الفخرى عبد الرحمن بن مكانس مالك أزمة البلاغة وملك المتأخرين نظما ونثرا فى رسالة كتبها الى المقر المرحومى القضائى الزينى أبى بكر ابن العجمى عين كتاب الانشاء الشريف بالابواب الشريفة وبقية الفضلاء الذين فضلوا بالطريق الفاضلية بسبب عبد الله القيروانى الضرير فانى نقلت من خط المشار اليه ما صورته * ورد علينا شخص من القيروان ضرير يتعاطى نظم الشعر المقفى الموزون الخالى من المعانى فتردد الى فى مجالس متفرقة ثم بلغنى بعد ذلك أنه وشى الى صاحبى الشيخ زين الدين بن العجمى بانى اهتضمت من جانبه وانتقصته وغضضت منه بالنسبة الى الادب وانه يستعين بكلام الغير كثيرا فتأذى بسبب ذلك وتأذيت من كذب الناقل فكتبت اليه رقعة براعة استهلالها * ليس على الاعمى حرج * (أقول) انه يستغنى بهذه البراعة عن الرسالة * منها وبلغ المملوك أنه رماه بعض الاصحاب برمية مثل هذه فاصمى وتردد اليه مرة اخرى فعبس وتولى ان جاءه الاعمى * ولقد

لا بأس ولا باس واذا حيا الله الناس فلا حيا ذلك الراس هبك تتهم محمدا لم يكن نبيا أتتهمه بأن لم يكن فصيحا عربيا وجئت تسأل ابن الاعرابى أليس الاعرابى نفسه جاء بهذا الكلام كذلك ابن محمود ينقض استه ويضرب مذرويه لينال الملك لا لوافر عدة ولا لكثرة عدة انما يطمع فى الملك لانه ابن محمود أفليس محمود نفسه بالملك أحق فالحمد لله الذى نصركم واخزاهم وثبتكم ونفاهم واركب اخراهم أولاهم فلا رحم الله قتلاهم ولا جبر الله جرحاهم ولا فك اسراهم ولا اراكم الاقفاهم وان اقبلوا ففض الله فاهم * ويرحم الله عبدا قال آمينا *
(وله اليه فى هزيمة السامانية بباب مرو)
وردت رقعة الشيخ الجليل أدام الله بسطته منى على

خسرت صفقته اذا المملوك ما برح مخلصا لمولانا فى ولائه ومبايعا له على سلطنة البلاغة
واجل من تشرف بحمل لوائه ومولانا بحمد الله أولى من استفتى قلبه واستدل
على صفاء صدق محبته بشواهد المحبة والمسؤل من صدقاته امران أحدهما الجواب
فانه يقوم عند المملوك مقام الفرج من هذه الشدة والا آخر ردة كل فاسق عن هذا الباب
العالى فان أبابكر أولى من يصلب فى الردة انتهى كلام القاضى فخر الدين * ولقد كشف الشيخ
جمال الدين بن نباته عن هذا الوجه القناع واظهر من بهجته فى رسالة السيف والقلم
ماليس لمطالع البدور عليه اطلاع فان الرسالة مبنية على المفاخرة بينهما ولما انتصب القلم
لمفاخرة السيف كانت براعته ن والقلم وما يسطرون ما أنت بنعمة ربك بمجنون واستهل
بعدها بقوله الحمد لله الذى علم بالقلم وشرفه بالقسم * وبراعة استهلال السيف قوله تعالى
وانزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس وليعلم الله من ينصره ورسله بالغيب ان الله قوى
عزيز واستهل بعده بقوله الحمد لله الذى جعل الجنة تحت ظلال السيوف وشرع حدها
فى ذوى العصيان فاغصتهم عاء الحتوف وما أظن ان احدا من المتقدمين نسج على هذا
المنوال ولا نفث فى عقد أقلامهم مثل هذا السحر الحلال * وممن طلع من العصريين فى هذا
الافق الساطع فابدر ورقى ببلاغته أعواد هذا المنبر القاضى ناصر الدين بن البارزى
صاحب دواوين الانشاء الشريف بالممالك الاسلامية فانه اتفق له بحماة محنة كان لطف الله
تعالى متكفلا له بالسلامة منها ولم يضرم نارها الا من غذى بلبان نعمته قديما وحديثا فالحمد
لله الذى اسعف الاسلام والمسلمين بنجاته وامتع العلم الشريف والرياسة بطول حياته ولما
هاجر من حماة المحروسة الى دمشق المحروسة كان اذ ذاك مولانا السلطان الملك المؤيد كافلها
ففوض اليه خطابة الجامع الاموى فلم يبق أحد من اعيان دمشق حتى حضر فى تلك الجمعة
لاجل سماع الخطبة فكانت براعة خطبته الحمد لله الذى أيد محمدا بهجرته ونقله من أحب
البقاع اليه لما اختاره من تأييده ورفعته فعلا بالجامع الاموى أصوات ترنم حركت أعواد
المنبر طربا وكاد النسر أن يصفق لها بجناحيه عجبا * وما ألطف براعة الشيخ العلامة
نور الدين أبى الثناء محمود الشافعى الناظر فى الحكم العزيز بحماة المحروسة والشهير بخطيب
الدهشة بحماة المحروسة فى كتاب أدعيته المسمى بدواء المصاب فى الدعاء المجاب وهى
الحمد لله سامع الدعاء ودافع البلاء وفيها البناء والتأسيس فانه أشار بسامع الدعاء الى
الدعاء المجاب وبدافع البلاء الى دواء المصاب * واما براعة خطيب الخطباء ابى يحيى
عبد الرحيم بن نباتة الفارقى فانها شغلت أفكارى مدة ولم يسعنى غير السكوت والاحجام عنها
فانه استهلها فى خطبة وفاة النبى صلى الله عليه وسلم بقوله الحمد لله المنتقم ممن خالفه المهلك
من آسفه ولقد اعتذر عنها جماعة من اكابر العلماء وأورد الشيخ سرى الدين بن
هانئ فى شرحه الذى كتبه على ديوان الخطب على هذه البراعة عذرا لابى البقاء ارجو
ان تهب عليه نسمات القبول * وما احشم ما استهل الشيخ جمال الدين أبو الفرج
ابن الجوزى فى خطبة وفاة النبى صلى الله عليه وسلم بقوله الحمد لله الذى استأثر بالبقاء
وحق له أن يستأثر وحكم بالفناء على سكان هذا الفناء فاذعنوا لحكمه القاهر * واما

صدر أنتظرها وقلب
استشعرها وانى لا أغلط
فى قوم أميرهم صبى ولا فى
دولة عميدها خصى
وسنانها حلقى ونصيرها شقى
وعدوها قوى انى اذا
اغوى باقوام بماذا
ينصرون أبمال عليه
اعقادهم أم بجمع هو مداده
أم بعدل به اعتضادهم
أم لرأى هو عمادهم هل هم
الاسطور فى قطور ان الله
تعالى علم انهم ان ملكوا لم
يصلحوا وأمرهم أن لا يفلحوا
فسمعوا واطاعوا طائفة
من المدابير وقوفهم بين
النار والنير ان أقاموا
فالسيوف الهندوانيه
وان أعنوا فلا ترالك
والخانيه وان أيسروا
فجرجان والجرجانيه وان
استأخروا فالعطش والبريه
هو الموت ان شاء الله آخذا
بالحلاقيم محيطا بالظاعن
منهم والمقيم جرجان
باصدابير جرجان انها
أ كالة من الدين ومونة فى

خطبة الشيخ صفي الدين في صدر شرح بديعيته فان استهلالها نير ولكن فيه نظر وبعض مباينة عما نحن فيه فانه قال الحمد لله الذي حلل لنا سحر البيان وكتابه مبني على البديع ولهذا استهليت خطبة شرح بديعيتي بقولي الحمد لله البديع الرفيع ولما جمعت ديواني استهليت خطبتي بقولي الحمد لله الذي لايحصر مجموع فضله ديوان * وكان قد رسم لي أن انشئ صداقا للملك الناصر وانا اذ ذاك بدمشق وقد حل ركابه الشريف بها على بنت المرحوم الشريف السيفي كشبغا الظاهري الحموي فاستهليت بقولي الحمد لله الذي أيد السنة الشريفة بقوة وناصر وعملت بعد هذا التاريخ بالمواقف الشريفة الامامية الخليفية المستعينية العباسية زاد الله شرفها تعظيما فبرزت الى أوامرها المطاعة ان انشئ عهدا بكفالة السلطنة بالبلاد الهندية للسلطان العادل مظفر شاه شمس الدنيا والدين صاحب دهلي والفتوحات الهندية فاستهليت براعته بقولي الحمد لله الذي وثق عهد النجاح للمستعين به وقلت بعد الاستهلال وثبت أوتاده ليفوز من تمسك من غير فاصلة بسببه وزين السماء الدنيا بمصابيح وحفظا فافرغ على اطراف الارض حلل الخلافة الشريفة وعلم ان في خلفها الزاهر زهرة الحياة الدنيا فقال عز من قائل اني جاعل في الارض خليفة واختارها من بيت براعة استهلاله من أول بيت وضع للناس وسبقت ارادته وله الحمد ان تكون هذه النهلة الشريفة من سقاية بني العباس وذلك في العشر الاواخر من رمضان سنة ثلاث عشرة وثمانمائة * ومما انشأته في الديار المصرية وقد استقريت منشئ ديوان الانشاء الشريف بالممالك الاسلامية تقليد مولانا المقر الاشرف القاضوي الناصري محمد بن البارزي الجهني الشافعي عظم الله شأنه بصحابة ديوان الانشاء الشريف بالممالك الاسلامية بتاريخ شوال سنة خمس عشرة وثمانمائة واستهليته بقولي الحمد لله الذي أودع محمدا سره وقلت بعد الاستهلال وجعله ناصر دينه فحل به عقد الشرك وشد أزره وارسله لينشئ مصالح الامة فهذبنا بترسلاته والله أعلم حيث يجعل رسالاته وبين ديوان الانشاء الشريف بصاحب من بيت ظهر التمييز بكتابته وأيد الاسلام والمسلمين بالمؤيد تمسك بمحمد وصحابته * وانشأت بعد هذا التاريخ توقيعا لرئيس الطب بالديار المصرية فكانت براعته الحمد لله الحكيم اللطيف * وبراعة الشيخ صلاح الدين الصفدي في شرح لامية العجم في غاية الحسن فانه استهلها بقوله الحمد لله الذي شرح صدر من تأدب والكتاب مبني على شئ من علم الادب * واما البراعات التي يحلو تقبيلها بوجنات الطروس فمنها براعة الشيخ جمال الدين بن نباتة من رسالة كتبها الى القاضي علاء الدين الحسني واستهلها بقوله يقبل الارض العلية على السحاب نسبا وقال بعد الاستهلال الموفية على حصباء الانجم حسبا هذا الادب ان اطنبت في وصفه فهو فوق الوصف * وكتب اليه الشيخ برهان الدين القيراطي من القاهرة المحروسة الى دمشق المحروسة رسالة بليغة واستهلها بقوله يقبل الارض التي سقت السماء نباتها وقال بعد البراعة وحرس الله ذاتها وعمر بمعاني الحسن أبياتها * ومن اظرف ما وقع من البراعات المتوشحة برداء التبكيت براعة القاضي فخر الدين عبد الوهاب كاتب الدرج فانه كان له صديق متيم بعبده فكتب اليه رسالة يداعبه فيها

الحسين ونظرة الى النجار والاخرى الى التابوت والحفار ونجارا اذ اراى الخراساني نجر التابوت على قده واسلف الحفار على لحده وعطارا يعد الحنوط برسمه وبه اللغوب ثلاث فتحات للمكيس أولها الكراء البيوت والثانية لابتياع القوت والثالثة لثمن التابوت اغلى الله بهم أسواق النجارين والحفارين والمكارين آمين يارب العالمين

(وله اليه في فتح بهاضية)

ان الله وهو العلي العظيم المعطي ماشاء من على الانسان بهذا اللسان خلق ابن آدم وأودع فكيه مضغة لحم يصرفها في القرون الماضية ويخبر بها عن الامم الآتية يخبر بها عما كان بعد ما خلق وعما يكون قبل أن يخلق ينطق بالتواريخ عما وقع

واستهلها بقوله يقبل اليد الشهابية كثر الله عبيدها وقال بعد البراعة وضاعف خدمها واضعف حسودها وقد خطر لي ان أوردها بكمالها لوجازتها وغرابة اسلوبها فانه قال بعد يقبل الارض الخ وينهي بعد ولاء يتجدد ودعاء يستمد وثناء كانه عنبرا وكافورا وند ان مولانا توجه والاعضاء خلفه سائره وكل عين لغيبته ساهره ولا يخفى عليه شوق العليل الى الشفاء والظمآن الى صبيب الماء والغريب الى بلده والمحصور الى سعة مسلكه ومقعده فمولانا يطوي هذه الشقة ويقصر هذه المدة ويدع أحد غلمانه يسد مسده فالمملوك قلق لسماع أخبار التشويش في البلاد وتطرق اهل الجرائم والفساد فمولانا يرسم لغلمانه أن يشمروا في خدمته ذيلا ويسهروا عليه بالنوبة لمن يطرق ليلا والله المسؤل أن تكون هذه السفرة مجلة ويخص فيها بالتبرك مخرجه ومدخله ويبلغه من فضله مزيدا ويجعل يومه عليه مباركا وليله عليه سعيدا * وكتب المقر المخدومي فضل الله بن مكانس مجد الادب الذي ظهر من بيته فخره ورضيع لبانه الذي ما سقا ما منه ذرة الا قلنا لله دره الى والده المقر المرحومي الفخري من القاهرة الى حلب وهو صحبة الركاب الشريف الظاهري يشكو اليه رمدا حصل له بعده وكان مبدأ الرسالة قوله

ما الطرف بعدكم بالنوم مكحول * هذا وكم بيننا من ربعكم ميل

وقال بعد الاستهلال لا استهلت لولا نا دموع ولا جفا جفنه مدى الليالي هجوع (منها) يطالع العلوم الكريمة بما قاساه طرف المملوك من الرمد وما حصل عليه من الكمد

ان عيني مذ غاب شخصك عنها * يأمر السهد في كراها وينهى

بدموع كأنهن الغوادي * لا تسل ما جرى على الخد منها

فلو رآه وقد أخذت عيناه من العناصر الثلاثة بنصيب وعوضها الهواء عن التراب بمضاعفة الماء واللهيب لرأى من نارها ما يفحم القلوب ومن دمعها ما هو الملاء المصبوب واستمر انهمالها حتى أنشدها المتوجع فانها الدمع فبئس القرين وطالت مدة رمده حتى اقعد أتى على الانسان حين وتزايد خوف المملوك على مقلتيه وشحه بكريمتيه ففصد في الذراعين وكاد أن يصير لولا أن من الله تعالى عليه أثرا بعد عين * وكتب الى المقر المخدومي المشار اليه سيدنا الامام العلامة الذي صلت جماعة أهل العصر خلف امامته وملك قياد البلاغة ببراعته وعبارته بدر الدين رحلة الطالبين أبو عبد الله محمد بن الدماميني المخزومي المالكي جوابا عن حل لغز في ورد أرسله اليه فاستهله بقوله يقبل الارض وينهي ورود الجواب الذي شفى الصدور وروده وقال بعد الاستهلال واللغز الذي نسي بوروده منه بان الحي و زروده (منه) فاستحلى المملوك منه بالتحريف ورده وود لو اقتطف من أغصان حروفه ورده فرده ذيل التقصير عاريا عن ملابس عزه وأنشد قول ابن قلاقس وهو يتلى بشار عجزه

اذا امتنعت أشجار المعالي * جناها الغض فاقنع بالشميم

فظهر من طريق سعده نصره وعلم ان هذا الورد لا يحسن من غير تلك الحضره وان هذه الفاكهة لا تخرجها الا اغصان اقلام لها بيدي الراحة المخدومية بهجة ونضره (ومنه)

من خطب وجرى من حرب وكان من يابس ورطب وينطق بالوحي عما سيكون بعد وصدق عن الله بالوعد ولم ينطق التاريخ بما كان ولا الوحي بما يكون بأن الله تعالى خص أحدا من عباده ليس النبيين بما خص به الامير السيد يمين الدولة وأمين الملة ودون الجاحد ان يجد أخبار الدولة العباسية والمدة المروانية والسنين الحربية والبيعة الهاشمية والايام الاموية والامارة العدوية والخلافة التيمية وعهد الرسالة وزمان الفترة ولولا الاطالة امتددنا الى عاد وثمود بطنا بطنا والى نوح وآدم قرنا قرنا ثم لم يجد قائل مقالا أن ملكا وان علا أمره وعظم قدره وكبر سلطانه وهبت ريحه طرق الهند فأمر طاغيتها بسطة ملك ثم خلاه وعرض الارض قوة

وغشى نظر المملوك من هذا اللغز فى بساتين الوزير على الحديقة فرأى كل وردة واخت الوجنات الحمر فحسبها وردة هى أم شقيقة وعلمت ان الفكر القاصر لايجارى من بديهته من بحار الفضل رويه وان الخاطر الذى هو على ضعف من رعايا الادب لا يقوى على سلطان هذا الغزلان شوكته قويه (منه) وتمتعت من ورده الوارد بالمشموم ثم تذكرت البعد عن جناب المخدوم فاستقطر الدين ماء الورد من حدقى * وكتبت اليه من القاهرة المحروسة فى منتصف ربيع الآخر سنة اثنتين وثمانمائة عند دخولى اليها فى البحر هاربا من طرابلس الشام وقد عضت على أنياب الحرب بثغرها رسالة مشتملة على حكاية الحال وزيت فى براعتها بمصنفين له * أحدهما الفوائد البدرية الذى جمعه من ثمار أدبه * والثانى نزول الغيث الذى تكلمت فيه على الغيث الذى انسجم فى شرح لامية العجم للشيخ صلاح الدين الصفدى واستهليتها بقولى يقبل الارض التى سقى دوحها بنزول الغيث واثمر بالفوائد البدرية وقلت بعد الاستهلال وطلع بدر كمالها من الغرب فسلمنا المعجزاته المحمدية وجرى لسان البلاغة فى ثغرها فسماعلى العقد بنظمه المستجاد وانشد لافض الله فاه وقد ابتسم عن محاسنه التى لم يخلق مثلها فى البلاد

لقد حسنت بك الايام حتى * كأنك فى فم الدنيا ابتسام

فاكرم به من مورد فضل مابرح منهله العذب كثير الزحام ومدينة علم تشرفت بالجناب المحمدى فعلى ساكنها السلام ومجلس حكم مانبت لمدعى الباطل به حجة وعرفات أدب ان وقعت بها وقفة صرت على الحقيقة ابن حجة وافق معان بالغ فى سمو بدره فلم يقنع بمادون النجوم وميدان عربية يجول فيه فرسان العربية من بنى مخزوم (منها) أورى بدخوله الى دمشق ومطارحته للجماعة وبالله ما الفرسان الشقر أوالبلق فى هذا الميدان مجال واذا عرفوا ماحصل للفارس المخزومى عندهم من الفتح كفى الله المؤمنين القتال وينهى بعد أدعية مابرح المملوك منتصبا لرفعها وتغريدا ثنية ماالسجع المطوق فى الاوراق النباتية منـل سجعها واشواق برحت بالمملوك ولكن تمسك فى مصر بالآثار

وابرح مايكون الشوق يوما * اذا دنت الديار من الديار

وهذه الرسالة لكونها انظمت فى طويل البحر ومديده يفتقر الى سرد غالبها المتعلق بحكاية الحال وينهى وصول المملوك الى مصر مخيما بكآبتها وهو بسهم البين مصاب مذعور لماعاينه من المصارع عند مقاتل الفرسان فى منازل الاحباب مكاما من ثغر طرابلس الشام بألسنة الرماح محمولا على جناح غراب وقد حكم عليه البين ان لا يبرح سفره على جناح

وكان فى البين ما كفانى * فكيف بالبين والغراب

(منها) يامولانا وابثك مالاقيت من أهوال البحر واحدث عنه ولا حرج فكم وقع المملوك من أعاريضه فى زحاف تقطع منه القلب لما دخل الى دوائر تلك اللجج وشاهدت منه سلطانا جائرا يأخذ كل سفينة غصبا ونظرت الى الجوارى الحسان وقد رمت ازر قلوعها وهى بين يديه لقلة رجالها تسبى فتحققت ان رأى من جا يسعى فى الفلك غير صائب واستصوبت هنا رأى من جاء يمشى وهو راكب وزاد الظما بالمملوك وقد اتخذ فى البحر سبيله

قلب وصبح ببستان وهى المدينة العذراء والغطة العوراء والطية الغراء فاخذ ملكها أخذ عز وعنف ثم خلاه بتخلية فضل ولطف ثم لم يلبث ان خاض البحر الى جهاضبة والسيل والليل جنودها والشوك والشجر سلاحها والضح والريح طريقها والبر والبحر حصارها والجن والانس أنصارها فقتل رجالها وغنم أموالها وساق اقيالها وكسر أصنامها وهدم اعلامها كل ذلك فى فسحة شتوة قبل أن يتطرقها الصيف توسطها السيف وهو الله مالك الملك يؤتى الملك من يشاء وينزعه ممن يشاء ثم حكمت علماء الامة واتفق قول الائمة ان سيوف الحق أربعة وسائرها للنار سيف رسول الله فى المشركين وسيف أبى بكر فى المرتدين

وكم قالت من شدة الظمأ يا ترى قبل الحفرة أطوى من البحر هذه الشقة الطويلة

وهل أبا كر بحر النيل منشرحا * واشرب الحلو من أكواب ملاح

بحر تلاطمت علينا أمواجه حتى متنا من الخوف وحملنا على نعش الغراب وقامت
واوات دوائره مقام مع فنصبنا للغرق لما استوت المياه والاخشاب وقارن العبد فيه
سوداء استرقت مواليها وهي جارية وغشيهم منها في اليم ما غشيهم فهل أتاك حديث
الغاشية واقعها الريح فحملت بنا ودخلها الماء فجاءها المخاض وانشق قلبها لفقد رجالها
وجرى ما جرى على ذلك القلب ففاض وتوشحت بالسواد في هذا المأتم وسارت على البحر
وهي مثل وكم سمع فيها للمغاربة على ذلك التوشيح زجل برج مائي ولكن تعرب في رفعها
وخفضها عن النسر والحوت وتتشامخ كالجبال وهي خشب مسندة من بطنها عدة من
المصبرين في التابوت تأتي بالطباق ولكن بالمقلوب لان بياضها سواد وتمشي مع الماء وتطير
مع الهواء وصلاحها عين الفساد ان نقر الموج على دفوفها العبت أنامل قلوعها بالعود
ورقصنا على آلتها الحدباء فتقوم قيامتنا من هذا الرقص الخارج ونحن قعود وتتشامم وهي
كما قيل أنف في السماء واست في الماء وكم تطيل الشكوى الى قامة صار بها عند الميل وهي
الصعدة الصماء فيها الهدى وليس لها عقل ولا دين وتتصابى اذا هبت الصبا وهي ابنة مائة
وثمانين وتوقف أحوال القوم وهي تجري بهم في موج كالجبال وتدعي براءة الذمة
وكم أغرقت لهم من أموال هذا وكم ضعف نحيل خصرها عن تثاقل أرداف الامواج
وكم وجلت القلوب لما صار لاهداب مجاذيفها على مقلة البحر اختلاج وكم أسبلت على وجنة
البحر طرة قلعها فبالغ الريح في تشويشها وكم مر على قريتها العامرة فتركها وهي خاوية على
عروشها تتعاظم فتهزل الى ان ترى ضلوعها من السقم تعد ولقد رأيتها بعد ذلك التعاظم
وقد تبت وهي حمالة الحطب في جيدها حبل من مسد * وأما البراعة التي لخطبة كتابي المسمى
بمجرى السوابق في وصف الخيول المسومة فانها أحرزت قصبات السبق وهي الحمد لله الذي
يقف عند سابق فضله كل جواد ويقصر في حلبة هذا الكرم الذي ليس له غاية في بديع
الاستطراد فن ألهمه الحزم وارشده الى حد المعرفة حاز قصبات السبق ولا نقول كاد
نحمده على ان جعل لنا الخير معقودا بنواصي الخيل ونشكره شكرا نعلو به على أشهب
الصبح ونمتطي أدهم الليل ونشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له شهادة نرجو ان نكون
منها في ميادين الرحمة من السابقين ونشهد ان سيدنا محمدا عبده ورسوله قائد الغر المحجلين
وقد آن ان نقطع طول هذا البحث برسالة السكين فان استهلالها يسن ما كل من الذوق
ويبرزه من قراب الشك الى القطع باليقين وماذاك الا أنه لما انفرد كمال الدين عبد الرزاق
الاصفهاني برسالة القوس واستوفى جميع المحاسن وجاء الشيخ جمال الدين بن نباتة برسالة
السيف والقلم واظهر فيها معجزات الادب اردت ان اعززهما من اختراع رسالة السكين
بثالث واستهليتها بقولي يقبل الارض التي قامت حدود مكارمها وقطعت عنا مكروه
الفاقة بمسنون عزائمها (منها) وينهي وصول السكين التي قطع المملوك بها اوصال الجفا
واضافها الى الادوية فحصل بها البرء والشفا وتالله ما غابت الا و بلغ الاقلام من تقشيرها

وسيف علي في الباغين
وسيف القصاص بين
المسلمين وسيوف الامير
وفقه الله في مواقفه لا تخرج
عن هذه الاقسام فسيفه
بظاهر هراة فمن عطل الحد
واتهم بأنه ارتد وسيفه
بظاهر غزنة سد في وجه
العقوق نوعا من الكفر
والفسوق وسيفه بظاهر
مرو فيمن نقض العهد بعد
تغليظه ونبذ اليمين بعد
تأكيده وسيفه بظاهر
سجستان فمن نبه الحرب
بعد رقودها وخلع الطاعة
بعد قبولها وسيفه الآن
في ديار الهند سيف قرنت
به الفتوح واثنت عليه
الملائكة والروح وذلت
به الاصنام وعزبه الاسلام
والنبي عليه السلام
واختص بفضله الامام
واشترك في خيره الانام

الى الخفي (منها) ماشاهدها موسى الاسجد في محراب النصاب وذل بعد ماخضعت له الرؤس
والرقاب كم ايقظت طرف القلم بعد ماخط وعلى الحقيقة ماروى مثلها قط وكم وجد
الصاحب بها في المضايق نفعا وحكم بحسن صحبتها قطعا من أجل انها تدخل في مضايق ليس
للسيف قط فيها مدخل وكلما تفعله توجزه والرمح في تعقيده مطول تطرف باشعتها الباهرة
عين الشمس وباقامتها الحد حافظت الاقلام على مواظبة الخمس وكم لها من عجائب تركت
السيف في بحر غمده كالغريق ولو سمع بها من قبل ضربه ماحل التطريق انتهى ما أوردته من
براعة الاستهلال نثرا ونظما ومن لم ير بهجة ما أبرزته للمتأخرين فهو في هذه اعمى

(ذكر الجناس المركب والمطلق)

* (بالله سر بي فسربي طلقوا وطني * وركبوا في ضلوعي مطلق السقم) *

اما الجناس فانه غير مذهبي ومذهب من نسجت على منواله من أهل الادب وكذلك كثرة اشتقاق الالفاظ فان كلا منهما يؤدّي الى العقادة والتقييد عن اطلاق عنان البلاغة في مضمار المعاني المبتكرة كقول القائل واستحي ان أقول انه أبو الطيب

فقلقلت بالهم الذي قلقل الحشا * قلاقل عيش كلهن قلاقل

ولقد تصفحت ديوانه فلم أجد لوارد هذا النوع نزولا الا ماقل في أبياته وهو نادر جدا ولا العرب من قبله خبت بأبياتها عليه غير ان هذا البيت حكمت على أبي الطيب بها المقادير ومثله قول القائل

وقبر حرب بمكان قفر * وليس قرب قبر حرب قبر

فقرب وقبر لاجل الجناس المقلوب هو الذي قلب عليه القلوب اللهم الا ان يقع الجناس في حشو بيت من البحور التي تحمل ثقله من غير اعتناء بامره كقول القائل

لله لبنى كما البنا على * تعنيقها ونهودها تتقاعد
وبنار اسما وهي اسمى رتبة * لقد احترقت وريقها بابارد

ففي طلعة شمس التورية هنا مايغني عن النظر الى زحل الجناس ولقد احسن من قال

انظر الى صور الالفاظ واحدة * وانما بالمعاني تعشق الصور

والجناس من صور الالفاظ وممن وافق على ذلك علامة عصره الشهاب محمود وقال انما يحسن الجناس اذا قل وأتى في الكلام عفوا من غير كد ولا استكراه ولا بعد ولا ميل الى جانب الركة ولا يكون كقول الاعشى

وقد غدوت الى الحانوت يتبعني * شأو مشل شلول شلشل شول

ولا كقول مسلم بن الوليد

شلت وشلت ثم شل شليلها * فاتى شليل شليلها امشلولا

ولا بأس به في مطالع القصائد ان تعذر على الناظم ان يركبه تورية فانه نوع متوسط بالنسبة الى مافوقه من أنواع البديع كما قرره مشايخه كالتورية والاستخدام والاستعارة والتشبيه وما قارب ذلك من أنواع البديع وحكي عن ابن جني ان الاصمعي كان يدفع قول العامة اذا قالوا هذا يجانس هذا اذا كان من شكله ويقول ليس بعربي خالص

الجناس المركب والمطلق

وارخت بذكره الايام واحفت لشرحه الاقلام وسنذكر من حديث الهند وبلادها وغلظ اكبادها وشدة احقادها وقوة اعتقادها وصدق جلادها وكثرة اجنادها نبذا يعلم السامع أي غزوة غزاها الامير السيد انها بلاد لولم تحيها السحاب بدرها لاهلكتها الشمس بحرها فهي دولة بين الماء والنار ونوبة بين الشمس والامطار تقدمها صعاب الجبال وتحجبها رحاب القفار ويعصمها ملتف الغياض وتحفها طواغي الانهار حتى اذا خرقت هذه الحجب خاص الى عدد الرمل والحصار جالا وشبه الجبال افيالا وازاع المخاض

وقال ابن رشيق صاحب العمدة هو من أنواع الفراغ وقلة الفائدة ومما لا يشك في تكلفه وقد كثر منه هؤلاء الساقة المتعقبون في نظمهم ونثرهم حتى بردورك انتهى كلامه ولم يحتج اليه بكثرة استعماله الا من قصرت همته عن اختراع المعاني التي هي كالنجوم الزاهرة في افق الالفاظ واذا خلت بيوت الالفاظ من سكان المعاني تنزلت منزلة الاطلال البالية وما احلى قول الفاضل هنا

انما الدار قبل بالسكان * ثم بعد السكان بالجيران

فاذا ما الارواح شردها الحتف * فماذا يراد بالابدان

وكان الشيخ صلاح الدين الصفدي يستسمن ورمه ويظنه شحما فيشبع افكاره منه ويملأ بطون دفاتره ويأتي فيه بتراكيب تحتف عندها جلاميد الصخور كقوله غفر الله له

ونم في امان بالحبيب ولا تخف * لقاتط واش في لقاء طواشي

وقوله

وكم ساق في الظلماء والليل شاهد * رواحل واط في رواح لواط

وقوله

واين اذا كان الفراق معاندي * مطالع ناء في مطال عناء

وقوله في الراح

وكم البست نفس الفتى بعد نورها * مدارع قار في مدار عقار

وقوله

اذا جرح العشاق فالواقف * مدار جراح في مدارج راح

وقوله

وكم شمت لما قست مقدار ودكم * بوارق ياس في بوارق ياس

وقوله

ولا تقصن باب الهدايا وعدها * مطار فراش لا مطارف راش

وقوله

ثنت نحوه الاغصان قامة لينها * طواعن شاط في طواع نشاط

وقوله

ومر على غيري سقام وصحة * ولم يرقان مثل ذي يرقان

ورأيت بخط الشيخ بدر الدين البشتكي تحت هذا البيت والذي قبله وهو اضعف بالبرقان وان من ذلك مبالغه من النظم بجدير ان يقعد مع صغار المتأدبين انتهى ومنه قوله

لجار واجرى حين جاورت واجترى * فما فاته مما يروم جناس

وقوله

زاروا وزانوا وزادوا * هذا الجناس المليح

وفي ذلك من الركة ما لا يخفى على أهل الذوق السليم ولولا الخشية من سام الاسماع لاوردت له كثيرا من هذا النمط وما اظرف ما وقع له مع الشيخ جمال الدين بن نباتة وذلك

جلادا وصنائف الجبال طعانا وأركان الجبال ثباتا ثم لا يعرفون غدرا ولا بياتا ولا يخافون موتا ولا احياتا ولا يبالون على أي جنبيه وقع الامر وينامون ويحتمم الجمر ورب عـاهـد أحدهم لغير ضرورة داعية ولا حمية باعثة فاتخذ رأسه من الطين اكليلا ثم قور نخفه نخشاه قنبلا ثم اضرم في القنبل نارا ولم يتأوه والنار تحطمه عضوا فعضوا وتأكله جزأ فجزأ فاما محرق نفسه ومغرقها وآكل لحمه ومفصل عظمه والرامي بها من شاهق فاكثر من ان يعد واقلهم من يموت حتف أنفه فاذا مات هذه الميتة أحدهم سب بها اعقابه وعظم عندهم عقابه بلاد هـذه حالها وقبلة تلك أهوالها وجبال في السماء قلالها وفلاة يلمع آلها وغياض ضيق مجالها وانهار كثيرة أوحالها

انه لما وقف على كتابه المسمى بجنان الجناس وقد اشتمل على كثير من هذا النوع قرأه جنان
الجناس وجرى بينهما بسبب ذلك ما يطول شرحه وهذا مما يؤيد قولي انه غير مذهبي
ومذهب من نسجت على منواله ويعجبني هنا قول الشيخ زين الدين عمر بن الوردي رحمه الله
تعالى

اذا أحببت نظم الشعر فاختر * لنظمك كل سهل ذي امتناع
ولا تقصد مجانسة ومكن * قوافيه وكله الى الطباع

وكان الاسعد بن مماتي أيضا ممن لم يجعل الجناس له مذهبا في نظمه وما احلى ما قال

طبع المجنس فيه نوع قيادة * او ما ترى تأليفه للاحرف

ومن غريب ما يحكى ان الشيخ صلاح الدين الصفدي مع تهافته على الجناس والتزامه بما صنفه
في جنسه وأنواعه زاحم ابن مماتي في لفظ بيته ومعناه فقال

الا ان من عاني القريض بطبعه * يقود فارسله لمن صد واحتشم
الم تره ان قال شعرا مجانسا * يؤلف ما بين الحروف اذا نظم

فانظر كيف أخذ المعنى وغالب الالفاظ ولم يتمكن من نظم ذلك الا في بيتين أتى فيهما بكثرة
الحشو مع قلة الادب على أهله فان الاسعد اثبت القيادة لطبع المجنس والشيخ صلاح الدين
اثبت الحكم المذكور لمن يعاني نظم الشعر وقد طال الشرح وتعين الكلام على الجناس
لان الشروع فيه يلزم لاجل المعارضة لمن تقدمني من ناظمي البديعيات اما هذا النوع
فانه ما سمي جناسا الا لمجيء حروف الفاظه من جنس واحد ومادة واحدة ولا يشترط فيه
تماثل جميع الحروف بل يكفي في التماثل ما تعرف به المجانسة واما اشتقاق الجناس فمنهم
من يقول التجنيس هو تفعيل من الجنس ومنهم من يقول المجانسة المفاعلة من الجنس
أيضا الا ان احدى الكلمتين اذا تشابهت بالاخرى وقع بينهما مفاعلة الجنسية والجناس
مصدر جانس ومنهم من يقول التجانس التفاعل من الجنس أيضا لانه مصدر تجانس الشيئان
اذا دخلا في جنس واحد ولما انقسم أقساما كثيرة وتنوع أنواعا عديدة تنزل منزلة الجنس
الذي يصدق على كل واحد من أنواعه فهو حينئذ جنس وأنواعه التام والمحرف والمصحف
والملفق وهلم جرا كما أن البديع جنس وانواعه الجناس واللف والنشر والاستعارة والتورية
والاستخدام وغير ذلك من أنواع البديع واما حدود أنواع الجناس فقد اختلفت فيها عبارات
البديعيين ولكن نأتي بحد كل واحد من الانواع في موضعه ونذكر ما وقع الاتفاق عليه وقد
صدرت بديعيتي هذه بالجناس المركب والمطلق حسبما رتبه الشيخ صفي الدين الحلي في بديعيته
ولكن فانه شنب التسمية وابرازها في شعار التورية من جنس التغزل فحد المركب أن يكون
احد الركنين كلمة مفردة والاخرى مركبة من كلمتين وهو على ضربين فالاول ما تشابه لفظا
وخطا كقول الشاعر

عضنا الدهر بنابه * ليت ما حل بنابه

ومثله قول القائل

ناظراه فيما جنى ناظراه * أو دعاني امت بما أودعاني

وطريق طويل مطا الهائم
الهند ورجالها والهندوانية
واستعمالها زحم الامير
السيد أدام الله ظله هذه
الاهوال بمنكبيه محتسبا
نفسه معتمدا نصر الله وعونه
فركض اليم بعون من الله
لا يخذل ومدد من التوفيق
لا يفتر وقلب من الاهوال
لا يجبن وحث على المطلوب
لا يقصر وسيف على
الضريبة لا يشكل فسهل
الله له الصعب وكشف به
الخطب ورجع ثانيا من عنانه
بالاسارى تنظمهم الاغلال
والسبايا تنقلهم الجمال
والفيلة كأنها الجبال
والاموال ولا الرمال فتح
ذخره الله عن الملوك السالفة
الخالية الكفرة الطاغية
الجبابرة العاتية حتى وسمه
بناره وجعله بعض آثاره
والحمد لله معز الدين وأهله
ومذل الشرك وحزبه
وصلى الله على محمد وآله

(وله أيضا)

دواء الشوق أطال الله بقاء

وحفظت من شيخي العلامة الشيخ شمس الدين الهيتي الحسني الحموي وانا في مبادي العمر والاشتغال من الجناس المركب المتشابه قول القائل من دو بيت

في مصر من القضاة قاض وله * في اكل مواريث اليتامى وله

ان رمت عدالة فقل مجتهدا * من عدله دراهما عدله

وكان يقول لا أعرف لهما ناظما وما الطف قول القائل

ياسيدا حاز رقي * بما حباني واولى

أحسنت برا فقل لي * أحسنت في الشكر أولا

وقال العلامة شهاب الدين محمود أنشدني الشيخ شمس الدين محمد بن عبد الوهاب لنفسه من المتشابه لفظا وخطا

حارفي سقمي من بعدهم * كل من في الحي داوى او رقا

بعدهم لا طل وادي المنحنى * وكذا بان الحمى لا آورقا

واورد الشيخ صلاح الدين الصفدي لنفسه في كتابه المسمى بجنان الجناس من هذا النوع قوله

يامن اذا ما أتاه * أهل المودة اولم

انا محبك حقا * ان كنت في القوم اولم

وهذا النوع لم يذكره الشيخ صفي الدين في بديعيته انتهى الكلام على المتشابه من المركب لفظا وخطا والثاني ما هو متشابه لفظا لا خطا ويسمى المفروق وهو الذي نظمه صفي الدين في بديعيته كقول الشاعر

لا تعرضن على الرواة قصيدة * مالم تكن بالغت في تهذيبها

واذا عرضت الشعر غير مهذب * عدوه منك وساوسا تهذي بها

ومثله قول القائل

يامن تدل بمقلة * وانامل من عندم

كفي جعلت لك الفدا * أسيافك لحظك عن دمي

ومثله قول ابن أسد الفارقي

غدونا بآمال ورحنا بخيبة * أماتت لنا افهامنا والقرائحا

فلا تلق منا غاديا نحو حاجة * لتسأله عن حاجة والق رائحا

ويحسن هنا قول أبي الفتح البستي فيه

وان أقر على رق أنامله * اقر بالرق كتاب الانام له

وما ألطف قول العلامة شهاب الدين محمود من هذا النوع

ولم أر مثل نشر الروض لما * تلاقينا بينت العامرية

جرى دمعي وأومض برق فيها * فقال الروض في ذا العام ربي

ومن لطائف الشيخ جمال الدين بن نباتة

قمر اراه أم مليحا أمردا * ولحاظه بين الجوانح أم ردا

القاضي الامام ان يخلص قلم لا يطلب منه الخلاص وان انتظر حتى تمكنه قضية همته طال عليه وعلى منتجعي ماله وودّ الشيطان لو ظفر بهذا منه لحاضر الوقت وموجود اليوم ان هذا العالم الاصيل متبرم بالمقام متنفض للمطار صوفي الطبع في الانتظار ناري المزاج حار الامشاج ولا علاقة له بمرآة الا القاضي الامام والسلام

(وله اليه أيضا)

رقعتي هذه أطال الله بقاء الشيخ الجليل من بعض الفلوات ولو جهلت ان الحذق لا يزيد في الرزق وان الدعة لا تحجب السعة لعذرت نفسي في الرحل أشده والحبل أمده ولكني أعلم هذا وأعمل ضده وأصل سراي بسيري ليعلم أن الامر لغيري والافن أخذني بالمطار في هذه الاقطار والمصار في هذه

ومثله قول شمس الدين محمد بن العفيف

اسرع وسرطالب المعالى * بكل وادو كل مهمه
وان لحا عاذل جهول * فقل له يا عذول مه مه

ومثله قوله

ان الذى منزله * من سحب دمعى أمرعا
لم أدر من بعدى هل * ضيع عهدى أم رعى

ومثله قول القاضى بهاء الدين السبكى رحمه الله تعالى

كن كيف شئت عن الهوى لا أنتهى * حتى تعود لى الحياة وانت هى

وأنشدنى قاضى القضاة تقى الدين بن الحسنى الحنفى بحماة فى مبادى العمر وقد ذكرت بين يديه الجناس المركب

قلت للعاذل الملح على الدمـ * ـع واجرائه على الخد نيلا
سل سبيلا الى النجاة ودع دمـ * ـع عيونى تجرى لهم سلسبيلا

ومن أنواع الجناس المركب نوع يسمى المرفو وهو أن يكون أحد الركنين جزأ مستقلا والآخر مجزأ من كلمة أخرى كقول الحريرى

والمكر مهما اسطعت لاتأته * لتقتنى السودد والمكرمه

وقوله

ولا تله عن تذكار ذنبك وابكه * بدمع يحاكى المزن حال مصابه
ومثل لعينيك الحمام ووقعه * وروعة ملقاه ومطعم صابه

وهذا النوع لايخلو من تعسف وعقادة فى التركيب انتهى الكلام على الجناس المركب واقسامه غير ان هنا بحثا لطيفا وهو أنه قد تقرر ان ركنى الجناس يتفقان فى اللفظ ويختلفان فى المعنى لانه نوع لفظى لامعنوى وهو نوع متوسط بالنسبة الى مافوقه من أنواع البديع والتورية من اعز أنواعه وأعلاها رتبة فاذا جعلت الجناس تورية انحصر المعنيان فى ركن واحد وخلصت من عقادة الجناس وحركت الاذواق وابهجت خاطر السامع بما تحققه من بديع تركيبها وتأهيله بغريبها وانا اذكر المثالين هنا ليتضح فى الاذهان الصحيحة ان النهار لم يحتج الى اقامة دليل قال صاحب الجناس المركب

أعن العقيق سالت برقا أومضا * أأقام حادبالركائب أومضى

قال صاحب التورية

واذا تبسم ضاحكا التفت * ان عاد برقا فى الدياجى أومضا

وهنا يحسن ان يتمثل بقول القائل

ومن يقل للمسك أين الشذا * كذبه فى الحال من شما

ومثله قول الشاعر

نديمى لاتسقنى * سوى الصرف فهو الهنى
ودع كاسها اطلسا * ولا تسقنى مع دنى

الامصار لولا الشقاء لم يأتنى العمر مهجا والرزق نهجا نضيجا حتى آتيه قصدا واتكلفه زرعا وحصدا واعارضه شيا وطبخا واعرض له الشعاب والجبال الصعاب وانزل بمناخ دوه لكن المرء يساق الى ماراد به لا الى ما يريد اما هذه الاشقاص ان تيسر منها الخلاص بعد ماسافرت وسفرت وناظرت ونظرت وحفرت وحرثت وبذرت ونذرت وزرعت وعمرت حمدت الله كثيرا ورأيته مغنما كبيرا وان لم يكن من اتمام القصة بد فلا غنى عن نظر كريم ومهلة فيها مجال وتسويغ يصلح به فاسد وقرض يتألف به شارد وما كل يوم لى بارضك حاجة وما كل يوم لى اليك رسول والسلام

نسخة ماجرى بينه وبين الاستاذ أبى بكر الخوارزمى

ومن التورية المركبة ما أنشدني من لفظه علامة عصرنا القاضي بدر الدين بن الدماميني مما كتب به الى مولانا الحافظ الشيخ شهاب الدين ملك المتأدبين وعمدة المحققين أبي العباس أحمد بن حجر الشافعي

حمى ابن علي حوزة الجد والعلا * ومن رام اشتات المعالي وحازها
وكم مشكلات في البيان بفهمه * تبينها من غير عجب ومازها (ومازها)

فاجابه شيخنا المشار اليه

بروحي بدرا في الندا ما أطاع من * نهاه وقد حاز المعالي فزانها
يسائل ان ينهى عن الجود نفسه * وها هو قد بر العفاة ومانها (ومانهى)

وما أحلى ما قال متغزلا

سالت من لحظه وحاجبه * كالسهم والقوس موعدا حسنا
ففوق السهم من لواحظه * والقوس الحاجبان وقت رنا (واقترنا)

ومن نثر الشيخ بدر الدين المشار اليه في التورية المركبة يشير الى تقريظ كتبه لبعض أهل الادب على مصنف سأل لم يمكن تسميته والتزم في التقريظ نوع الايهام من الاول الى الآخر (٢) وكتب الشيخ بدر الدين على ذلك المصنف قوله ولقد كنت أرتجي بابا أدخل منه الى التقريظ ففتح لي المقر التقوى بابا مرتجا ونهج الطريق الى المدح فاقتفيت آثاره واهتديت حين رأيت منهجا ومثله قوله في التقريظ الذي كتبه على بديعتي هذه كتبت واسياف الخطوب ليس لها الا الجوانح اغماد والزمن قد كادني بسهام أوتاره المصيبة ورماني بعد ان كاد ومثله ما أنشدني من لفظه لنفسه الكريمة احد اعيان العصر القاضي مجد الدين ابن مكانس حيث قال

اقول لحبي قم ومس يا معذبي * كميسة خود حولك السكر راسها
ولا تسه عن شيء اذا ما حكمتها * فقام كغصن البان لينا وماسها

واجية الشيخ شهاب الدين ابن حجر في هذا الباب من طرف الادب فانها تورية خفية مركبة في الاصل

يا فاضلا هو في الاحا * جي ليس يخلو من ولع
ما مثل قولك للذي * يشكو الحبيب اسكت رجع

فسه مرادف اسكت وبامر ادف رجع فحصلت التورية في صهباء وصهبا ومن النظم في هذا النوع الغريب قول المعمار

وخادم يعلو على عشاقه * برتبة من الجمال نالها
واسمه وهو العجيب محسن * وكم دموع في الهوى اسالها (اساء لها)

ومثله قول الشيخ شمس الدين المزين في غلام مليح وله لالا مليح

ومليح لالاه يحكيه حسنا * فهو كالبدر في الدجا بلالا
قلت قصدي من الانام مليح * هكذا هكذا والا فلالا

ومن نظمي الغريب في هذا النوع

(٢) قوله وكتب الشيخ بدر الدين على ذلك المصنف هكذا في النسخ والصواب اسقاطه

من المناظرة يوم اجتماعهما في دار الشيخ السيد أبي القاسم المستوفي بمشهد من القضاة والفقهاء والاشراف وغيرهم من سائر الناس وهي باملاء الاستاذ ابي الفضل بديع الزمان رحمه الله

(من هجا)

(أنكاد)

قال الاستاذ أبو الفضل احمد بن الحسين الهمذاني بديع الزمان سأل السيد امتع الله ببقائه اخوانه ان أملي جوامع ما جرى بيننا وبين أبي بكر الخوارزمي أعزه الله من مناظرة مرة ومنافرة أخرى وموادعة اولا ومنازعة ثانيا املاء يجعل السماع له عيانا فما

تصديتم لقتل ضعيف جسم * لغير الوجد فيكم ما تصدى
وعد ضلوعه بالسقم لما * تعديتم عليه وما تعدى (وما تعدا)

وقلت فيه

بعد هند وبعد سلمى تعطشت الى رشف كل العس الى
وفؤادي يقول لا تطلب الرى من الريق بعد هند وسلمى (وسلما)

وقلت من قصيدة مطولة

حين قابلت خده بدموعى * أثرت خات ثوب خز منمنم
وانظر اليوم خده مع دموعى * واحك ما شئت عن عقيق وعن دم (وعندم)

والبيت الاول من المعانى المخترعة التى لم يسبق اليها انتهى ما أوردته من الكلام على الجناس المركب واستجلاء عرائس التورية وأما الجناس المطلق فان للناس فى الفرق بينه وبين المشتق معارك ومعاه السكاكى وغيره المتشابه والمتقارب لشدة مشابهته وقربه من المشتق وكل منهما يختلف فى الحروف والحركات ولكن الفرق بينهما دقيق قل من أتى بصحته ظاهرا فان المشتق غلط فيه جماعة من المؤلفين وعدوه تجنيسا وليس الامر كذلك فان معنى المشتق يرجع الى أصل واحد والمراد من الجناس اختلاف المعنى فى ركنيه والمطلق كل ركن منه يباين الآخر فى المعنى وانا اذكر لكل واحد منهما شاهدا يزول به الالتباس فالمشتق كقوله تعالى قل يا أيها الكافرون لا أعبد ما تعبدون ولا أنتم عابدون ما أعبد ولا أنا عابد ما عبدتم وقيل ان ما مصدرية أى لا أعبد عبادتكم ولا تعبدون عبادتى فعلى كل تقدير الجميع راجع الى العبادة والمعنى فى الاشتقاق راجع الى أصل واحد ومنه قوله تعالى ومن شر حاسد اذا حسد وقوله تعالى اذا وقعت الواقعة وقوله تعالى أزفت الآزفة ومن النظم قول عمرو بن كلثوم فى معلقته

الا لا يجهلن أحد علينا * فنجهل فوق جهل الجاهلينا

وما ألطف قول كشاجم فى خادم اسود مشهور بالظلم

يا مشبها فى فعله لونه * لم تخط ما أوجبت القسمه
فعلك من لونك مستخرج * والظلم مشتق من الظلمه

فان النبى صلى الله عليه وسلم قال الظلم ظلمات يوم القيامة ومن السحر الحلال قول بعض المتأخرين فى هذا الباب

عاتبت طيف الذى أهوى وقلت له * كيف اهتديت وجنح الليل مسدول
فقال آنست نارا من جوانحكم * يضى منها الذى السارين قنديل
فقلت نار الجوى معنى وليس لها * نور يضىء وهذا القول مقبول
فقال نسبتنا فى الحال واحدة * انا الخيال ونار الشوق تخييل

وقد نبه على الاشتقاق فى قوله نسبتنا فى الحال واحدة ورأيت الشيخ شمس الدين بن الصائغ فى شرحه على البردة لما انتهى الى قول المصنف

ظلمت سنة من أحيا الظلام الى * ان اشتكت قدماه الضر من ورم

تلقيته الا بالطاعة على حسب الاستطاعة الآن للقصة تشبيبا لا تطيب الابه ومقدمات لا تحسن الامعها وسأسوق بعون الله صدر حديثنا الى العجز كما يساق الماء الى الارض الجرز فنبدأ فيها باسم الله عز وجل والصلاة على النبى محمد صلى الله عليه وسلم ذهابا بالقصة ان تكون بتراء وصيانة لها عن ان تدعى جذماء وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كل خطبة لم يبدأ فيها باسم الله فهى بتراء وقد خطب زياد خطبته البتراء لانه لم يحمد الله عز وجل ولم يصل على رسوله عليه السلام وهذا مقام نعوذ بالله منه ونسأله التوفيق والصواب بورده وصدره نعم أطال الله بقاء السيد وامتع ببقائه أحباءه ان قعدنا نعد آثاركم ونروى

قال ظلمت وظلام جناس اشتقاق وهو كقوله تعالى واسلمت مع سليمان قلت اما ظلمت وظلام فاشتقاق بلا خلاف وأسلمت مع سليمان جناس مطلق لانه لم يرجع فى المعنى الى أصل واحد وهو أعظم شواهد البديعيين على الجناس المطلق انتهى الكلام على المشتق وأما الجناس المطلق فلشدة تشابهه بالمشتق يوهم أحد ركنيه ان أصلهما واحد وليس كذلك كقوله تعالى وان يردك بخير فلا راد لفضله وكقوله تعالى ليريه كيف يوارى سوأة أخيه ومنه ما كتب به الى المأمون فى حق عامل له وهو فلان ماترك فضة الا فضها ولا ذهبا الا ذهب به ولا مالا الا مال عليه ولا فرسا الا افترسه ولا دارا الا ادارها ملكا ولا غلة الا غلها ولا ضيعة الا اضاعها ولا عقارا الا عقره ولا حالا الا أحاله ولا جليلا الا اجلاه ولا دقيقا الا دقه فهذه الاركان هنا شواهد على الجناس المطلق ليس فيها ركنان يرجعان الى أصل واحد كالمشتق بل جميع ما ذكرنا اسماء أجناس وهى محولة على عدم الاشتقاق ومثل ذلك من النظم قول الشاعر

عرب تراهم أعجمين عن القرى * متنزلين على الضيوف النزل

فاقت بين الازد غير مزود * ورحلت عن خولان غير مخول

ومثله قول الآخر

بجانب الكرخ من بغداد عن لنا * ظبى بنفره عن وصلنا نفر

ضفيرتاه على قتلى تظافرتا * يامن رأى شاعرا أودى به الشعر

وما أحلى قول القائل

سلم على الربع من سلمى بذى سلم

فالثلاثة عنان جنسها مطلق فى المطلق وقال الآخر واجاد

اذا اعطشتك اكف اللئام * كفتك القناعة شبعا وريا

فكن رجلا رجله فى الثرى * وهامة همته فى الثريا

وما أحلى قول أبى فراس فى هذا النوع

فما السلاف ازدهتنى بل سوالفه * ولا الشمول دهتنى بل شمائله

ومثله قول الصاحب بهاء الدين زهير

يامن لعبت به شمول * ما ألطف هذه الشمائل

وللبحترى

واذا ما رياح جودك هبت * صار قول العذول فيها هباء

ويحسن هنا قول الشاب الظريف محمد بن العفيف

أراك فيمتلى قلبى سرورا * واخشى أن تشط بك الديار

بجور واهجر وصد ولا تصلنى * رضيت بان تجور وانت جار

وما احسن ما قال الشيخ شرف الدين عبد العزيز الانصارى شيخ شيوخ حماة رحمه الله تعالى عنه وكرمه

تولى شبابى فولى الغرام * ولازم شيبى لزوم الغريم

ولولم يصدنى بازيه * لما صار متى مهاة الصريم

ما ترى كم نفذ المصر قبل ... نفوذها وفنيت الخواطر قبل أن تفنى المآثر فكيف لا وان ذكر الشرف فأنتم ... بجدته أو العلم فأنتم عاقد وبرده او الدين فأنتم ساكنوا بلدته او الجود فأنتم لابسو جلدته او التواضع صرتم لسدته والرأى صلتم بنجدته وان ... تولى الله عزوجل بناءه لزم الرسول صلى الله عليه وسلم فناءه وأقام الوصى كرم الله وجهه عماده وخدم جبريل عليه السلام أهله لحقيق ان يصان عن مدح ... لسان قصير نعود للقصة سوقها (وأولها) انا وطئنا خراسان فما اخترنا الا نيسابور دارا والاجوار السادة جوارا لا جرم أنا حططنا بها الرحل ومددنا عليها الطنب

انتهى

انتهى الكلام على المطلق وعلى الفرق بينه وبين المشتق منه نظما ونثرا وقد رسم لى ان أثبت فى بديعيتى هذه أبيات من تقدمنى فى النظام كالشيخ صفى الدين الحلى والشيخ عز الدين الموصلى وماورد فى بديعية العميان من القدر الذى استعملوه ليشاهد المتأمل فى هذا الميدان مجرى السوابق فان الشيخ صفى الدين جمع بين الجناس المركب والمطلق فى بيت واحد وهو المطلع فقال

ان جئت سلعا فسل عن جيرة العلم * واقر السلام على عرب بذى سلم

والعميان لم يأتوا فى البيت الا بنوع واحد فقالوا فى المركب

دع عنك سلمى وسل ما بالعقيق جرى * وأم سلعا وسل عن أهله القدم

وقالوا فى الجناس المطلق

جار الزمان فكفوا جوره وكفوا * وهل أضام لدى عرب على اضم

فالمطلق فى أضام واضم واما جار وجور فمشتق ولكن لم يخف ما فى البيتين من الثقل مع خفة الالتزام وبيت الشيخ عز الدين الموصلى

فحى سلمى وسل ماركبت بشذا * قد اطلقته أمام الحى عن ام

فالشيخ أتى بالنوعين فى بيت واحد وورى بالاسمين من جنس الغزل ومع ذلك تلطف وتضاءل عليهم واحتشم وبيتى تقدم ذكره ولكن دعت الضرورة الى ذكره هنا حسب المرسوم وهو

بالله سر بى فسربى طلقوا وطنى * وركبوا فى ضلوعى مطلق السقم

وفى تسمية النوع هنا مايغنى عن التنبيه عليهما وقد تقدم الشرح على كل واحد منهما والشيخ صفى الدين والعميان لم يثقل التقييد بتسمية النوع لهم كاهلا مع ان يكون مورى به من جنس الغزل وشتان بين عالم الاطلاق والتقييد بضيق هذا الخناق لان الرقيق لم يقم له سوق بل يسدق اذا ما ادعى عتقه والله المسؤل أن يقيم لنا سوق القبول فى متاجر الرقة فان الشيخ صفى الدين قال فى خطبته مع اطلاق قياده فانظر أيها العالم الاديب الى غزارة الجمع وهى ضمن الرياقة فى السمع ثم قال بعد ذلك

ودع كل صوت غير صوتى فاننى * أنا الصائح المحكى والآخر الصدى

(ذكر الملفق)

*(ورمت تلفيق صبرى كى أرى قدمى * يسعى معى فسعى لكن أراق دمى)

حد الملفق ان يكون كل من الركنين مركبا من كلمتين وهذا هو الفرق بينه وبين المركب وقل من أفرده عنه وغالب المؤلفين مافرقوا بينهما بل عدوا كل واحد منهما مركبا الا الحاتمى وابن رشيق وأمثالهما ولعمرى لو سموا الملفق مركبا والمركب ملفقا لكان أقرب الى المطابقة فى التسمية لان الملفق مركب فى الركنين والمركب ركن واحد كلمة مفردة والثانى مركب من كلمتين وهذا هو التلفيق وما ألم بالملفق احد من أصحاب البديعيات غير الشيخ صفى الدين الحلى وما ذاك الا أنه قال فى خطبة بديعيته انها نتيجة سبعين كتابا فى هذا الفن وهذا دليل على انه لما عارضه الشيخ عز الدين والتزم تسمية الانواع التى ذكرها الشيخ صفى الدين لم يجد بدا من نظمه لاجل المعارضة ولكن نحت فيه بيتا من الجبال وسيأتى وأما العميان فانهم عدوه فى بديعيتهم من المركب فاختصرته هنا وكذلك بقية أبياتهم فى انواع

وقديما كنا نسمع بحديث هذا الفاضل فنتشوقه ونخبره على المغيب فنتعشقه ونقدر أنا لو وطئنا ارضه ووردنا بلده يخرج لنا فى العشرة عن القشرة وفى المودة عن الجلدة فقد كانت لحمة الادب جمعتنا وكلمة الغربة نظمتنا وقد قال شاعر العرب غير مدافع

أجارتنا انا غريبان ههنا
وكل غريب للغريب نسيب

فأخلف ذلك الظن كل الاخلاف واختلف ذلك التقدير كل الاختلاف وقد كان اتفق علينا فى الطريق من العرب اتفاق لم يوجبه استحقاق من بزة بزوها وفضة فضوها وذهب ذهبوا به ووردنا نيسابور براحة أنقى من الراحة وكيس أخلى من

الملفق

جوف حار وزى أوحش من طلعة المعلم بل اطلاعة الرقيب فما حالنا الا خصبة جواره ولا وطئنا الا عتبة

الجناس تعين اختصارها فانهم لم يأتوا في البيت الا بالنوع الواحد ومن الملفق في النظم قول الشاعر

وكم لجباه الراغبين اليه من * مجال سجود في مجالس جود

وما الطف ما قال القاضي أبو علي عبد الباقي بن أبي حصين في هذا النوع وقد ولي القضاء بالمعرة وهو ابن خمس وعشرين سنة وأقام في الحكم خمس سنين وهو

وليت الحكم خمسا وهي خمس * لعمري والصبا في العنفوان
فلم تضع الاعادي قدر شاني * ولا قالوا فلان قد رشاني

وما احلى قول الشيخ شرف الدين بن عنين في هذا الباب

خبروها بانه ما تصدى * لسلو عنها ولو مات صدا

ويعجبني قوله بعد المطلع

وسلوها في زورة من خيال * ان تكن لم تجد من الهجر بدا

انتهى وبيت الحلي في الملفق

فقد ضمنت وجود الدمع من عدم * لهم ولم استطع مع ذاك منع دمي

ولم يمكن الشيخ صفي الدين ان يحصر مع الملفق غيره من انواع الجناس في بيت واحد لما تقدم من صعوبة مسلكه وهو عزيز الوقوع ولكن له رونق وموقع في الذوق لطلاوة تركيبه وغرابة اسلوبه وبيت الشيخ صفي الدين في غاية الرقة والانسجام غير ان التحريف حكم عليه فصار مشوشا والمشوش كل جنس تجاذبه طرفان من الصنعة فلا يمكن اطلاق احدهما على الآخر وبيت صفي الدين تجاذبه المحرف والملفق انتهى وبيت الشيخ عز الدين

ملفق ظاهر سري وشان دمي * لما جرى من عيوني اذ وشى ندمي

هذا البيت فيه الجناس الملفق على الصنعة وتسميته على الشروط المذكورة ولكن عجزت لعقادة تركيبه عن الطيران بأجنحة الفهم لا احوم له على معنى ونظرت بعد ذلك في شرحه فوجدته قد قال ان لفظة ملفق صفة الجار والمجرور في قوله خفي سلي وسل ما ركبت بشذا يعني ان الشذا الذي أطلقته سلمى امام الحي كان ملفقا وبقي المسؤول له من الله السلامة

ورمت تلفيق صبري كي أرى قدمي * يسعى معي فسعى لكن أراق دمي

والكلام في رقة قولي ورمت تلفيق صبري الخ البيت انما وقع من أصحاب الغراميات لا من أصحاب البديعيات وقد تقدم قولي ان الفرقة الناجية من التعسف والتكلف في النظم لم ترض بالجناس اذا امكنت التورية وقال المقر المرحوم الفخري في التورية التي سماها جناسا ملفقا

ان الهوى امين يا معشوق قد عبثا * بالروح والجسم في سري وفي علني
فالروح تفديك بالممدود قد تلفت * والجسم حوشيت بالمقصور فيك فني (في كفني)

وانشدني من لفظه لنفسه علامة عصره الشيخ بدر الدين الدماميني

تدري لماذا أتاك قلبي * في عسكر الوجد وهو ذائب
اذنب ثم اختشى فوافى * من ذلك الذنب فيك تائب (في كتائب)

داره وهذا بعد رقعة كتبناها واحوال انس نظمناها فلما أخذنا الحظ عينه سقانا الدردي من أول دنه وأجنانا سوء العشرة من باكورة فنه من طرف نظر بشطره وقيام دفع في صدره وصديق استهان بقدره وضيف استخف بأمره لكنا أقطعناه جانب أخلاقه ووليناه خطة رأيه وقاربناه اذ جانب وواصلناه اذ جاذب وشربناه على كدورته وابتلعناه على خشونته ووردنا الامر في ذلك الى زي استغثه ولباس استرثه وكاتبناه نستمد وداده ونستلين قياده ونستميل فؤاده ونقيم منآده بما هذا نسخته

(بسم الله الرحمن الرحيم)

الاستاذ أبو بكر والله يطيل بقاءه ازرى بضيفه أن وجده يضرب اليه آباط القلة في أطمار الغربة فأعمل في رتبته أنواع المصارفة وفي الاهتزاز اليه أنواع المضايقة من ايماء بنصف الطرف واشارة

وانشدني

وأنشدني من لفظه لنفسه الكريمة احد أعيان العصر ابن مكانس

كمال أوصافي يامنيتي * في الحب أن اصبحت مثل الخلال
وملت من سكر الهوى نشوة * فارحم معنى مغرما فيك مال (في كمال)

ومن نظمي في هذا النوع الغريب

رأت حياة شبابي قد قضت اجلا * والسقم قد زاد لما قل مصطبري
قالت سرقت نحول الخصر قلت لها * مايحمل الشيخ هذا وهو في كبر (فيك بري)

انتهى والله عز وجل أعلم (المذيل واللاحق)

*(وذيل الهم هل الدمع لي فجرى * كلاحق الغيث حث الارض في ضرم)*

المذيل اختلف جماعة المؤلفين في اسمه ولم يتقرر له أحسن من هذه التسمية فان فيها مطابقة للمسمى وماذاك الا أن المذيل هو مازاد احد ركنيه على الآخر حرفا في آخره فصار له كالذيل وهو الفرق بينه وبين المطرف و يأتي الكلام على المطرف في موضعه فالمذيل كقول كعب بن زهير

ولقد علمت وأنت خير علمية * أن لا يقربني الهوى لهوان

وما الطف من قال

وسألتها باشارة عن حالها * وعلي فيها للوشاة عيون
فتنفست صعدا وقالت ما الهوى * الا الهوان فزال عنه النون

ومنه قول أبي تمام

يمدون من أيد عواص عواصم * تصول باسياف قواض قواضب

وقال آخر

عذيري من دهر موار موارب * له حسنات كلهن ذنوب

ومن النثر فلان حام حامل لأعباء الامور كاف كافل لمصالح الجمهور ومثله فلان سال عن اخوانه سالم من زمانه * ومن غراميات البهاء زهير في الجناس المذيل قوله من قصيدة

أشكو وأشكر فعله * فاعجب لشاك منه شاكر
طرفي وطرف النجم فيك كلاهما ساه وساهر

ولم يضرح عما نحن فيه قوله منها

ياليل بدرك حاضر * ياليت بدري كان حاضر
حتى يبان لناظري * من منهما زاه وزاهر

وما احلى ماختم القصيدة بقوله

بدري أرق محاسنا * والفرق مثل الصبح ظاهر

وقد تأتي الزيادة في آخر المذيل بحرفين كقول حسان بن ثابت

وكنا متى يغزو النبي قبيلة * نصل جانبيه بالقنا والقنابل

ومنه قول النابغة

(المذيل واللاحق)

بشطر الكف ودفع صدر القيام عن القيام ومنع الكلام وتكلف رد السلام وقد قلبت تربيته صغرا واحتملته وزرا واحتضنته نكرا وتأبطته شرا ولم آله عذرا فان المرء بالمال وثياب الجمال ولست مع هذه الحال وفي هذه الاسمال أنقز زمف النعال فلو صدقته العتاب وناقشته الحساب لقلت ان بواديها ناغية صباح وراغية رواح وناسا يجرون المطارف ولا يمنعون المعارف (شعر)

وفيهم مقامات حسان وجوههم *
واندية ينتابها القول والفعل

ولو طوحت بأبي بكر أيده الله طوائح الغربة لوجد منال البشر قريبا ومحط الرحل رحيبا ووجه المضيف خصيبا ورأى الاستاذ أبي بكر في الوقوف في هذا العتاب الذى معناه ود والسر الذى يتلوه شهد موفق ان شاء الله تعالى

لها نار جن بعد الينع تحولوا * وراثهم صرف النوى والنوائب

ومنه في رثاء قوله

فيالك من حزم وعزم طواهما * جديد الردى تحت الصفا والصفائح

وارق ما سمعته في هذا الباب قول القائل

ان البكاء هو الشفا * من الجوى بين الجوانح

انتهى الكلام على الجناس المذيل وأما اللاحق فقد فرق بينه وبين المضارع والمراد بالمضارع هنا المشابه والفرق بينهما دقيق فان اللاحق هنا ما أبدل من أحد ركنيه حرف من غير مخرجه ومتى كان الحرف المبدل من مخرج المبدل منه سمي مضارعا وان كان قريبا منه كان مضارعا أيضا وانا اذكر شاهد كل منهما فان الفرق بينهما دقيق عن كثير من الافهام ولم يساعده على ظلمة شكه غير ضياء الحسن والمضارع هو المتشابه في المخرج كقوله تعالى وهم الى الغاية التي لا تدرك وهم ينهون عنه وينأون عنه ومنه قوله صلى الله عليه وسلم الخيل معقود في نواصيها الخير الى يوم القيامة ومثله قول بعضهم البرايا أهداف البلايا ومن النظم قول الشريف الرضي رحمه الله

لا يذكر الرمل الا حن مغترب * له الى الرمل أوطار وأوطان

فاللام والراء والنون من مخرج واحد عند قطرب والجرمي وابن دريد والفراء قال بعض أهل الادب في كتاب راش سهامه بالعقوق ولوى ماله عن الحقوق فالعين والحاء من مخرج واحد ويعجبني قول الشيخ جمال الدين بن نباتة في هذا الباب

رق النسيم كرقتي من بعدكم * فكأننا في حبكم نتغاير

ووعدت بالسلوان واش عابكم * فكأننا في كذبنا نتخاير

فالغين والخاء من مخرج واحد انتهى الكلام على المضارع ومقاربه في مخارج حروفه على الابدال واللاحق قد تقدم انه ما أبدل من أحد ركنيه حرف من غير مخرجه كقوله تعالى فأما اليتيم فلا تقهر وأما السائل فلا تنهر * وكتب بعضهم في جواب رسالة وصل كتابك فتناولته باليمين ووضعته مكان العقد الثمين ومن النظم قول البحتري وأجاد الى الغاية

عجب الناس لاعتزالي وفي الاطـ * ـراف تلقى منازل الاشراف

وقعودي عن التقلب والار * ض لمثلي رحيبة الاكناف

ليس عن ثروة بلغت مداها * غير أني امرؤ كفاني كفافي

فكفاني وكفافي هو اللاحق الذي لا يلحق * وهنا نكتة لطيفة تؤيد قول البحتري في بيته الاول وهو

عجب الناس لاعتزالي وفي الاطـ * ـراف تلقى منازل الاشراف

قيل لبعضهم في أي موضع في القرآن الاطراف منازل الاشراف فقال في قوله تعالى وجاء من أقصى المدينة رجل يسعى قال يا قوم اتبعوا المرسلين فهذا أشرفهم وكان صلى الله عليه وسلم ينزل من أقصى المدينة والاطراف والاشراف مما لحن فيه * وما أحلى قول أبي

* (فأجاب بما نسخته) *
* (بسم الله الرحمن الرحيم) *
وصلت رقعة سيدي ومولاي ورئيسي أطال الله بقاءه الى آخر السجاج وعرفت ما تضمنه من خشن خطابه ومؤلم عتبه وعتابه وصرفت ذلك منه الى الضجر الذي لا يخلو منه من مسه عسر ونبا به دهر والحمد لله الذي جعلني موضع انسه ومظنة مشتكى ما في نفسه اما ما شكاه سيدي ورئيسي من مضايقتي اياه في القيام فقد وفيته حقه أيده الله سلاما وقياما على قدر ما قدرت عليه ووصلت اليه ولم أرفع عليه الا السيد أبا البركات العلوي أدام الله عزه وما كنت لارفع أحدا على من جده الرسول وامه البتول وشاهداه التوراة والانجيل وناصراه التأويل والتنزيل والبشير به جبريل وميكائيل فاما القوم الذين صدر سيدي عنهم فكما وصف حسن عشرة وسداد طريقة وكمال

هلال العسكرى فى اللاحق

ارى عى تحت حاشية الدياجى * شقائق وجنة سقيت مداما
وان ذكرت لواحظ مقلتيه * حسبت قلوبنا مطرت سهاما
وان مالت بعطفيه شمول * سقانا من شمائله سقاما

انتهى الكلام على الجناس اللاحق والفرق بينه وبين المضارع ومن الناس من يسمى كل ما اختلف بحرف تجنيس التصريف سواء كان من المخرج أو من غيره ولكن رأيت استجلاء الفرق أنور ولا يشترط ان يكون الابدال فى الاول ولا فى الوسط ولا فى الآخر فان جل القصد الابدال كيفما اتفق وبيت الشيخ صفى الدين يشتمل على المذيل واللاحق وهو

أبيت والدمع هام هامل سرب * والجسم فى اضم لحم على وضم

وبيت الشيخ عز الدين الموصلى

يذيل الدمع جاد جارح بأذى * كلاحق ماحق الآثار فى الاكم

قال شيخنا الشيخ شمس الدين الهيتى وقد تقدمت ترجمته لما أنشدته هذا البيت والذى قبله بعد حفظى لهما من المصنف بحماة لو عزا أحد هذين البيتين الى الجان ما شككت فى قوله وبيت بديعيتى

وذيل الهم همل الدمع لى بجرى * كلاحق الغيث حيث الارض فى ضرم

فالمذيل فى هم وهمل واللاحق فى غيث وحيث (التام والمطرف)

*(ياسعد ماتم لى سعد يطرفنى * بقربهم وقليل الحظ لم يلم)*

أما الجناس التام فهو ما تماثل ركناه واتفقا لفظا واختلفا معنى من غير تفاوت فى تصحيح تركيبهما واختلاف حركتهما سواء كانا من اسمين أو من فعلين أو من اسم وفعل فانهم قالوا اذا انتظم ركناه من نوع واحد كاسمين أو فعلين سمى مماثلا وان انتظما من نوعين كاسم وفعل سمى مستوفى وجل القصد تماثل الركنين فى اللفظ والخط والحركة واختلافهما فى المعنى سواء كانا [٢] من اسمين أو من غير ذلك فان المراد أن يكون الجناس تاما على الصفة المذكورة من حيث هو أكمل الانواع ابداعا واسماها رتبة وأولها فى الترتيب فمنه قول الامام أمير المؤمنين على بن أبى طالب كرم الله وجهه صولة الباطل ساعة وصولة الحق الى الساعة وقيل ما وقع فى القرآن العظيم غير هذين الركنين وهو قوله تعالى ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون ما لبثوا غير ساعة ولكن استخرج ابن حجر من القرآن جناسا آخر تاما عظيما وهو قوله تعالى يكاد سنا برقه يذهب بالابصار يقلب الله الليل والنهار ان فى ذلك لعبرة لاولى الابصار * ومن الشعر قول بعضهم واجاد

وسميته يحيى ليحيى فلم يكن * الى رد امر الله فيه سبيل

ومن ملح هذا النوع قول ابن الرومى

للسود فى السود آثار تركن بها * وقعا من البيض يثنى أعين البيض

ومثله قول أبى الفتح البستى

سما وحمى بنى سام وحام * فليس كمثله سام وحام

تفصيل وجملة ولقد جاوزتهم فاحمدت المراد وتلك المراد

فان كنت قد فارقت نجدا وأهله * فما عهد نجد عندنا بذميم

والله يعلم بنى للاخوان كافة ولسيدى من بينهم خاصة فان أعانتى الدهر على ما فى نفسى بلغت اليه ما فى الفكرة

(التام والمطرف)

وجاوزت مسافة القدرة وان قطع على طريق عشرتى بالمعارضة وسوء المؤاخذة صرفت عنانى عن طريق الاختيار بيد الاضطرار فما النفس الانطافة بقرارة فان لم تكدر كان صفوا معينها وبعد فجند عتاب سيدى اذا استوجبنا عتبا واقترفنا ذنبا فاما أن يسلفنا

[٢] قوله سواء كانا الخ المناسب حذف من وكذا فيما بعد

أما ابو الفتح فانه ثابر على استعمال الجناس كثيرا ولكن ما أعلم انه نظم أحسن من هذا البيت وقد تجمل به نوع الجناس وكاد ان يكون تورية سوما أحسن قول المعرى فيه واحسنه

لم نلق غيرك انسانا يلاذ به * فلا برحت لعين الدهر انسانا

ومطلع الشيخ صفى الدين فى قصيدته البائية التى عارض بها المتنبى وامتدح بها السلطان الملك الناصر سقى الله عهده حسن فى هذا الباب وهو

اسبلن من فوق النهود ذوائبا * فتركن حبات القلوب ذوائبا

ومن محاسنها

عاتبته فتضرجت وجناته * وازور ألحاظا وقطب حاجبا

فأذابنى الخد الكليم وطرفه * ذو النون اذ ذهب الغداة مغاضبا

ومطلع قصيدة ابن نباتة التى امتدح بها الملك الافضل صاحب حماة غاية فى هذا النوع وقد عارض أبا الطيب المتنبى ولكن أتى فيها بما لو سمعه ابو العلا لرجع عن ديوان احمد واقر بمعجزات محمد فمطلع المتنبى

ارق على ارق ومثلى يأرق * وجوى يزيد وعبرة تترقرق

ومطلع ابن نباتة

ما بت فيك بدمع عينى اشرق * الا وأنت من الغزالة اشرق

ولاجل اطنابى فى هذه القصيدة تعين ايرادشئ من محاسنها هنا * فمنها

انفقت عينى فى البكاء وحبذا * عين على مرأى جمالك تنفق

وتكاثرت فى الجفن انجم ادمعى * فكأن غرب الجفن منى مشرق

وا خافنى فيك العذول ومادرى * أنى بجورك فى الهوى اتشوق

قسما بجن جعل الاسى بك لذة * والدمع راحة من يحب ويعشق

ان العذول هو الغبى وان من * يغوى عليك حياته لموفق

لى من نصيب هواك سهم وافر * وسهام سحر من جفونك ترشق

يمتار من دمعى عليك ذو والبكا * فاعجب له من سائل يتصدق

ولقد سقيت بكاس فيك مدامة * فى غيظ عذالى عليك فلا سقوا

وضممت من عطفيك غصن ملاحة * بالحلى يزهر والغلائل يورق

وقرأت من خديك بعد تأمل * خطا به حب القلوب معلق

ورزقت من جفنيك ما حسد الورى * حظى عليه وهو رزق ضيق

ونعمت باللذات وهى جديدة * ولبست ثوب الراح وهو معتق

فى ليل أفراح كأن هلاله * للشرب ما بين الندامى زورق

حتى استطال الفجر يطعن فى الدجى * فهو السنان أو العدو الازرق

يا حبذا ليل نبيع به الكرى * لكننا لا عن رضا نتفرق

حث الشباب الى المسرة راكض * لا يستقر وطالب لا يرفق

ما سرلى أن الكميت يحثها * نحوى السقاة وأن نودى ابلق

العربدة فنحن نصونه عن ذلك ونصون أنفسنا عن احتماله ولست أسومه أن يقول استغفر لنا ذنوبنا انا كنا خاطئين ولكنى اسأله أن يقول لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين حين ورد الجواب وعين العذر رائدة تركناه بعزه وطويناه على غره وعدنا الذكر فسحوناه عن صحيفتنا ومحوناه وصرنا الى اسمه فأخذناه ونبذناه وتركنا خطته وتجنبنا خاطئه فلا طرنا اليه ولا طرنا به ومضى على ذلك الاسبوع ودبت الايام ودرجت الليالى وتطاولت المدة وتصرم الشهر وصرنا لا نعير السماع ذكره ولا نودع الصدور حديثه وجعل هذا الفاضل يستزيد ويستعيد بالفاظ تقطعها الاسماع من لسانه وتوردها الى كلام تخطفه الالسنة من فيه وتعيده على فكاتبناه بما هذه نسخته

(بسم الله الرحمن الرحيم)

أنا أرد من الاستاذ سيدى

زار الشناو نأى الحبيب وعادنى * ارق على ارق ومثلى يأرق

والعذر عن طول ما أوردته واضح لغرابة اعلو بها غزلا ومدحا منها فى المدح

قوم اذا كراهم على صحف العلا * أصل الفضار وكل ذكر ملحق
الملك بعض ديارهم فلينزلوا * والنجم بعض جدودهم فليرتقوا
ان يسمع الدين الحنيف بمدحهم * فلانهم باب الفتوح مطوق
أو يبق ماضيهم على سنن الوفا * فلانهم بيقاء أفضلهم بقوا
ملأت مواهبه القلوب مهابة * فالقلب قبل الطرف فيها مطرق
وكانما اقلامه بسوادها * غربان بين فى الخزائن تنعق
لاعيب فيه سوى العزائم قصرت * عنها الكواكب وهى بعد تحلق

منها

يا أيها الملك المكمل فضله * وقيت من حدق البلى تحدق
وبقيت للمداح تجلب عيسهم * جلبا بغير بلاد كم لا ينفق
اذ كرتنا زمن المؤيد لا عدت * مثواه باكية الغمامة تشهق
حتى تجر بهذيول حديقة * اكمامها بيد النسيم تفتق

منها

وبديعة كالروض الا انها * تجلى بجارحة السماع وتنشق
نظمتها عقدا بدون مثاله * فى النظم شاب من الوليد المفرق
لافضل لى فيها وبحرك قاذف * درر الصفاء يقول للناس أنفقوا
من عش بيتك قد درجت فطار لى * فى الخافقين جناح ذكر يخفق
ولكم علقت من القريض صناعة * ماكنت لولا كم بها أتعلق
لكم الولا منى لان نداكم * فى كل حادثة لفقرى يعتق

ومن مطالعى فى الجناس التام قولى

ياطيب الاخبار ياريح الصبا * يامن اليه كل قلب قد صبا

وهذه القصيدة كتبت بها من القاهرة المحروسة سنة اثنتين وثمانمائة الى القاضى تاج الدين بن البارزى صاحب دواوين الانشاء الشريف تشوقا اليه والى حماة المحروسة وقلت بعد المطلع أخاطب النسيم بما هو ارق منه

ياصادق الانفاس يا أهل الذكا * ياطاهر الاذيال كم لك من نبا
يامن نراه عبارة عن حاجر * ياروح نجد مرحبا بك مرحبا
يانسمة الخبر الذى من طيبه * تتنشق الاخبار عن تلك الربا
بالله ان رفعت ذيلك بالحمى * ووردت شعبا من دموعى معشبا
وهززت فيه كل عود أراكة * اضحى بها تيك الثغور رمطيبا
ولثمت من ثغر الاقاحى مبسما * أبدى بدر الطل ثغرا أشنبا
ودخلت كل خباء زهر قد غدا * بدموع أجفان الغمام مطنبا

أطال الله بقاء مشرعة ودّه وان لم تصف وألبس خلعة برّه وان لم تضف وقصاراى أن اكيله صاعا عن مدّ وان كنت فى الادب دعى النسب ضعيف السبب ضيق المضطرب سيئ المنقلب أمت الى عشرة أهله بذمة وانزع الى خدمة أصحابه بطريقة ولكن بقى أن يكون الخليط منصفا فى الوداد ان زرت زار وان عدت عاد وسيدى أطال الله بقاءه ناقشنى فى الحساب القبول أولا وصارفنى فى الاقبال ثانيا فاما حديث الاستقبال وأمر الانزال والانزال فنطاق الطمع ضيق عنه غير متسع لتوقعه منه وبعد فكلفة الفضل بينة وفروض الودّ متعينة وأرض العشرة لينة وطرقها هينة فلم اختار قعود التعالى مركبا وصعود التغالى مذهبا وهلا اذا الطبع عن شجر العشرة وذاق الحلو من غرها فقد علم الله أن

وطلوقت حتى العامرية ظامئا * فنعمت في الوادي برياً زينبا
وحملت من نشر الخزامى نفحة * مشمولة بالطيب من ذاك الخبا
عج بالعذيب فان مجير عينه * أضحى لما حملته مترقبا
واصحب عبير المسك منه فانه * لشوارد الغزلان أضحى مشربا
واذا تنسمت الشذا وتعطرت * منك الذيول وطبت يا ريح الصبا
عرج على وادي حماة بسحرة * متيمما منه صعيداً طيبا
واحمل لنا في طي بردك نشره * فبغير ذاك الطيب لن نتطيبا
وأسرع الى وداو في مصر به * قلبا على نار البعاد مقلبا
تلك الذاك السفح والوادي الذي * ما زال روض الانس فيه مخصبا
وانعم بمصر نسبة لكن أرى * وادي حماة والطفه لي أنسبا
أرض رضعت بها ندي شبيبتي * ومزجت لذاتي بكاسات الصبا
ياساكني مغني حماة وحقكم * من بعدكم ماذقت عيشا طيبا
ومهالك الحرمان تمنع عبدكم * من أن ينال من التلاقي مطلبا
واذا اشتهيت السير نحو دياركم * قرأ النوى لي في الاواخر من سبا
وقد التفت اليك يادهري بطو * ل تعتبي ويحق لي أن أعتبا
قررت لي طول الشتات وظيفة * وجعلت دمعي في الخدود مرتبا
وأسرتني لكن بحق محمد * يادهر كن في مخلصي متسببا
فمحمد ومدينة قد حلها * لم ألق غيرهما لقلبي مطلبا
مولى اذا قصد الزمان بمحنه * خفضي غدا عن رفع قدري معربا
ذو رتبة نصب السعود بيوتها * من فوق هام الفرقدين وطنبا
وفضائل أمست على حلل العلو * م برقها الزاهي طرازا مذهبا
وكتابة منسوبة لكن الى * عين الكمال وحقها أن تنسبا
واذا تسنم ذروة من منبر * لخطابة فابن الخطيب هناهبا
من بيت فضل قد علت طبقاته * وأراه للعلم الشريف مبوبا
واذا وقفت لحاجة في بابه * تلقاه بابا للنجاح مجربا
ياكاتب الاسرار يامن فضله * قد جمل الدنيا وزان المنصبا
اقلامك السمر الرشاق اذا انثنت * أغنت نهار الخطب عن بيض الظبا
سود العيون كانما الحاظها * قد كحلت بسوادها حداق الظبا
لكن الى وجه الطروس اذا رنت * ابدت لنا سحرا حلالا طيبا
وسرى نسيم الذوق في قصباتها * فغدا بها بين الانام مشببا
فلاجل ذا ان رجعت أقوالها * لم نلق الامر قصا أومطربا
رجع الى ما كان فيه من الجناس التام * ومن نظمي فيه أيضا مع زيادة التورية
طلبت تقبيل من احب وقد * انكرت في الخد نقطة حسنه

شوقي اليه قد كذا الفؤاد برحا الى برح وفكاه قرحا على قرح ولكنها مرة ممرة ونفس حرة لم تقعد الا بالاعظام ولم تلق الا بالاجلال واذا استخفاني من معاتبته وأعفى نفسه من كلف الفضل يتجشمها فليس الا غصص الشوق أتجرعها وحلل الصبر أتدرعها ولم أغره من نفسي فانا لو اعرت جناح طائر لما طرت الا اليه ولا وقعت الا عليه وبقينا نلتقي خيلا ونقنع بالذكر وصلا حتى جعلت عواصفه تهب وعقاربه تدب وهو لا يرضى بالتعريض حتى يصرح ولا يقنع بالنفاق حتى يعلن وأنضت الحال به وبشامعه الى أن قال لو أن بهذا البلد رجلا تأخذه أريحية الكرم وتملكه هزة الهمم يجمع بيني وبين فلان يعنيني فلما وردت عليه الرقعة

فسرق لى قلبه وقال اذا * لمت خدى لا تنكر الحسنه

انتهى الكلام على الجناس التام وقد تقدم قولى ان جميع من نحلت من شرابهم الصافى لم يرضوا بالجناس التام اذا أمكن استدراك التورية من ركنيه لعلمهم بعلو رتبتها عنه والتفات الاذواق الصحيحة السليمة الى حسن موقعها واذا راجعت النظر فى كلامهم وجدت غالب ما نظموه من التورية جناسا تاما فمن ذلك قول الشيخ صدر الدين بن الوكيل من دوبيت

كم قال معاطفى حكتها الاسل * والبيض سرقن ما حوته المقل

والآن أوامرى عليهم حكمت * البيض تحد والقنا تعتقل

فنى تحد وتعتقل جناسان تامان اذا أبطلت الاشتراك وأبرزت كلا من الركنين فى موضعه على طريق من له رغبة فى الجناس ومثله قول محيى الدين بن عبد الظاهر فى كوز

وذى أذن بلا سمع * له قلب بلا قلب

اذا استولى على حب * فقل ما شئت فى الصب

ومثله قول بدر الدين يوسف بن لؤلؤ الذهبى

تعشقته لدن القوام مهفهفا * شهى اللمى أحوى المراشف أشنبا

وقالوا بدا حب الشباب بوجهه * فيا حسنه وجها الى محببا

ومثله قول الشيخ شرف الدين الانصارى شيخ شيوخ حماة

لنا من ربة الخالين جاره * تواصل تارة وتصد تاره

تعاملنى بما يحلو وتلوى * ولكن ليس فى جوفى مراره

ومثله قول الشيخ ظهير الدين البارزى سقى الله ثراه

يا حبة الحب التى * طال لها تلفتى

هل أنت مسك الترك أو * هل أنت مسك تبتى

ومثله قول الشيخ علاء الدين الوداعى

أنخنت عينها الجراح ولا اثم عليها لانها نعساء

زاد فى عشقها جنونى فقالوا * مابه قد افقلت بى سوداء

ومثله قول لسان الدين بن الخطيب

جلس المولى لتسليم الورى * ولفصل البرد فى الجو احتكام

فاذا ما سألوا عن يومنا * قلت هذا اليوم برد وسلام

ومثله قول الشيخ سراج الدين الوراق فيمن بخل بالراح والتورية ثلاثية وهو

لا تطمعن براحة من معشر * سادوا بغيرما ثر السادات

قطعت عن المعروف أيديهم وقد * سرقوا العلا فخلت من الراحات

ومثله قول نصير الدين الحمامى

لى منزل معروفه * ينهل غيثا كالسحب

اقبل ذا العذر به * واقبل الجار الجنب

ومثله قول شهاب الدين الحاجبى

حشرتلامذته وخدمه وزم عن الجواب قلمه وجشم الايجاف قدمه وطلع مع الفجر علينا طلوعه ونظمنا حاشيتنا دار الامام أبى الطيب فقلت الآن تشرق الحشمة وتنور وتصعد فى الفضل وتغور وقصدناه شاكرين لأنائه فانتظرنا عادة بره وتوقعنا مادة فضله فكان خابيا شمناه وآلا وردناه وصرفنا الامر فى تأخره وتأخرنا عنه الى ما قاله ابن المعتز

انا على البعاد والتفرق
لنلتقى بالذكر ان لم نلتق

وأنشدنا قول ابن عصرنا أبى الطيب

أحبك يا شمس البلاد وبدرها
وان لامنى فيك السها والفراقد

وذاك لان الفضل عندك باهر
وليس لان العيش عندك بارد

وقول آخر وقد أحسن وزاد

أحبك فى البتول وفى ابيها
ولكنى أحبك من بعيد

شرأى اذا انجلى الغبار
أفرس تحتى أم حمار

له عين لها غزل وغزو * مكحلة ولي عين تباكت
وحاكت في فعائلها المواضي * فيالك مقلة غزات وحاكت

ومثله قول ابن الوردي

قالت اذا كنت ترجو * وصلي وتخشى نفوري
صف ورد خدي والا * أجور ناديت جوري

ومثله قول ابن الصائغ

هجرت فاحشائي لذاك توقدت * جمرا وليست في المحبة فاتره
هذا وتحرمني التقبيل في الهوى * من ذا الذي يرضى بنار الهاجره

ومثله قول ابن نباتة في الملك المؤيد صاحب حماة

لنا ملك قد قاسمتنا هباته * فنثر العطا منه ونظم الثنا منا
يذكرنا أخبار معن بجوده * وننشى له لفظا فينشي لنا معنى

ومثله قوله وهو أعدل شاهد في هذا الباب

دمعي عليك مجانس قلبي * فانظر على الحالين في الصب

فذكر الجانس هنا أحد لازمي التورية والدمع هو اللازم الآخر وقد نبه هنا الشيخ جمال الدين على أنه لم يرض بالجناس ويؤيد ذلك قوله على الحالين ومنه قول القيراطي

أباح لي نرجس ألحاظه * في مجلس ما فيه ما نكره
فقلت ورد الخد جد لي به * أيضا فقال الكل في الحضره

ومثله قول بدر الدين بن الصاحب

فتنت بنبت من عوارض خده * فها أنا في قيد الغرام أسير
وما كان لي بالعشق قط تعلق * ولا بالهوى قبل العذار شعور

ومثله قول صلاح الدين الصفدي

ان لم تصدقني تصدق بالكرى * ليزورني فيه الخيال الزائل
وانظر الى فقري لوصلك واغتنم * أجري وقل للدمع قف يا سائل

ومثله قول ابن أبي حجلة

يا صاح قد حضر الشراب ومنيتي * وحظيت بعد الهجر بالايناس
وكسا العذار الخد حسنا فاسقني * واجعل حديثك كله في الكاس

وما أظرف قول يحيى الخباز الحموي

أصبحت في العالم أعجوبة * عند ذوي المعقول والفهم
جدي حموي فاسمعوا واعجبوا * وما كفى حتى ابي امي

ومثله قول المعمار

قدبت من كربي افقد النسا * أفور كالتنور من ناريه
وقد طغى الماء فمن لي بأن * أحمل بالجود على جاريه

ومثله قول الشيخ شرف الدين حسن المشهور بالزغاري

وعلم يقينا أينا يبرز خلابه
عقوا وأينا يغادر في المكر
وود فلان بوسطاه بل بعناه
لو رحلنا وقلنا في المناخ له نم
الى كلمات تحدو هذا الحذو
وتنحو هذا النحو وألفاظ
أتتنا من عل وكان من
جوابنا ان قلنا بعد الوعيد
يذهب بالعبد وقلنا الصدق
ينبئ عنك لا الوعيد وقلنا
ان أجرأ الناس على الاسد
اكثرهم رؤية له وقد قال
بعض أصحابنا قلت لفلان
لا تناظر فلانا فانه يغلبك
فقال أمثلي يغلب وعندي
دفتر مجلد ووجدنا عندنا
دفاتر مجلده وأجزاء مجوده
وأنشدنا قول حجل بن نضله
جاء شقيق عارضا رمحه
ان بني عمك فيهم رماح
بل أحدث الدهر بنا نكبة
أم بل رقت أم شقيق سلاح
وقلنا انا نقتحم الخطب
ونتوسط الحرب فنردها
مقحمين ونصدرها بلغاء
وألسنتنا قبل النزال قصيرة
ولكنها بعد النزال طوال

قيل

قـل لى اذا رأيت أقمار تم * عن بدور اسماء الطرف تلهى
أى وجه أضنالى قلت دعونى * فـسقامى قد صح من كل وجه

ومثله قول عز الدين الموصلى

حديث عذار الحب باد وساقه * له أوجه تبدى لقلبى اشتياقه
درى انّنا نصغى الى الحسن دائما * فابدى لنا ذا الحديث وساقه

ومثله قول ابن مكانس

يقول معذبى اذهمت فيه * بخد خلت فيه الشعر غلا
أتعرف خده للعشق أهلا * فقلت له نعم أهـلا وسهلا

وأنشـدنى من لفظه لنفسه بقية السلف ومن كان للفروع النباتية نعم الخلف الشـيخ زين الدين أبو بكر بن العجمى عين كتاب الانشاء الشريف بالديار المصرية وقد تمثلت بين يديه بالقاهرة المحروسة سنة احدى وثمانمائة وطالبته بشئ من لفظه فى المواليا فانه كان امام فنونه المتشعبة فقال

للحب قالوا معنالك الذى اذبلتو * جدلو بقبله فقلبو فيك خبلتو
فقال اقسم لوان البوس سبلتو * ومات للشرق مادرتو وقبلتو

ومنه قول ابن خطيب داريا

تقول وقد أتتنى ذات يوم * مخـبرة عن الظبي الجموح
يسرك ان أروح اليه أجرى * فقلت لها خذى مالى وروحى

ومنه قول بدر الدين الدمامينى

قم بنا نركب طرف الـ * ـلهو سبقا للمدام
واثن يا صاح عنانى * لكميت ولجام

ومثله قول ابن حجر

سالوا عن عاشق فى * قمر باد سـناه
اسقمته مقلتاه * قلت لا بل شفتاه

ومثله قولى

عاتبته ودمعى غـير جارية * لأن دمعى من طول البكا نشفا
فقال لم أر وكف الدمع قلت له * حسبيك الله يا بدر الدجى وكفا

ولم استطرد الى هـذا الا تأييدا لقولى ان جميع من نسجت على منوالهم لم يرضوا بالجناس التام اذا أمكنت التورية التامة وصح الفرق بينهما بحمد الله ظاهر وبدر مثاله فى ليالى السطور سافر انتهى ما أوردته من محاسـن التورية التامة ووجوب تقديمها على الجناس التام اذا كان عنـد الناظم يقظة وكان ممن يميل الى هـذا المذهب واما الجناس المطرف فهو ما زاد أحد ركنيـه على الآخر حرفا فى طرفه الاول وهذا هو الفرق بينه وبين المذيل فان الزيادة فى المذيل تكون فى آخره واما المطرف فتكون زيادته فى أوله لتصير له كالطرف ويسمى الناقص والمردف وفى تسميته اختلاف كثير ولكن مطابقة المطرف فى التسمية طرفة كقوله

فأرضك ارضك ان تأتنا
تنم نومة ليس فيها حلم
فمن ظن أن سيلاقى الحروب
وان لا يصاب فقد ظن عجزا
فانك متى شئت لقيت منا
شخصا ضخما ينهشك قضما
ويأكلك خضما وحثثناه
على الاخـذ بأدب الله من
قوله والصلح خير وان جنحوا
للسلم فاجنح لها وأنشدناه
قول القائل
السلم تأخذ منها ما رضيت به
والحرب يكفيك من أنفاسها
جرع
(وقلنا له)
نصحتك فالتمس يا ويك غيرى
طعاما ان لحمى كان مرا
الم يبلغك ما فعلت ظباه
بكاظمة غداة ضربت عمرا
وجعل الشيطان يثقل بذلك
أجفان طرفه ويقبح به
شعرات أنفه
وحتى ظن ان الغش نصحى
وخالفنى كأنى قلت هجرا
واتفق انّ السـيد أبا على
نشط للجمع بينى وبينه فدعانى
فأجبت ثم عرض على حضور

قوله حرفا المناسب ان يزيد
أو حرفين بدليل تمثيله

تعالى والتفت الساق بالساق الى ربك ومئذ المساق والزيادة تارة تكون فى أول الركن الثانى كما تقدم وتارة فى أول الركن الاول كقول أبى الفتح البستى

أبا العباس لاتحسب بانى * بشئ من حلى الاشعار عارى
فلى طبع كسلسال معين * زلال من ذرى الاحجار جارى
اذا ما كبت الادوار زندا * فلى زند على الادوار وارى

ومثله

وكم سبقت منه الى عوارف * ثنائى على تلك العوارف وارف
وكم غرر من بره ولطائف * فشكرى على تلك اللطائف طائف

ومثله قول القائل

قام يسعى ما بين شرب أعزه * من بنى الترك أغيد فيه عزه

وقصيدة هذا المطلع رأيتها فى بعض التذاكر بخط الشهاب محمود ولم أعرف لها ناظما وأعجبنى فيها أبيات منها

يقظ ما يشير طرف اليه * بمرام الاويعرف رمزه
كلما تفعل الصوارم تغنى * عنه الحاظه المراض بغمزه

ومن نظم ابن نباتة الذى جعله نفثا

عطفت كأمثال القسى حواجبا * فرمت غداة البين قلبا واجبا

ومثله قولى

والله ما هب النسيم بحاجر * الا ترقرق مدمعى بمحاجرى

انتهى الكلام على الجناس التام والمطرف وهما فى بيت البديعية ظاهران وبيت صفى الدين الحلى قوله

من شأنه حمل اعباء الهوى كمدا * اذا همى شأنه بالدمع لم يلم

وبيت عز الدين الموصلى

مذ تم للعين انس حين طرفها * مرأى الحبيب يذل العين لم يلم

وبيتى

ياسعد ماتم لى سعد يطرفنى * بقربهم وقليل الحظ لم يلم

وللمتأمل ان يستحلى ويستجلى ما يظهر فى مرآة ذوقه ولا يميل عن جادة الانصاف

(المصحف والمحرف)

*(هل من بنى ويقى ان صحفوا عذلى * وحرفوا وأتوا بالمكلم فى الكلم)*

بنى ويقى فيهما جناس التصحيف ومنهم من يسميه جناس الخط وهو ما تماثل ركناه خطا واختلفا لفظا والمقدم فى هذا قوله تعالى والذى هو يطعمنى ويسقين واذا مرضت فهو يشفين ومنه قول النبى صلى الله عليه وسلم لعلى بن أبى طالب كرم الله وجهه قصر ثوبك فانه انقى وأتقى وأبقى وقول النبى صلى الله عليه وسلم حين سمع رجلا ينشد على سبيل الافتخار وقيل سأله عن نسبه فقال

انى امرؤ حميرى حين تنسبنى * لامن ربيعة آبائى ولا مضر

أبى بكر فطلبت ذلك وقلت هذه عدة كنت أستنجزها وفرصة لأأزال انتهزها فتجشم السيد أبو الحسين وكاتبه يستدعيه فاعتذر أبو بكر بعذر فى التأخر فقلت لولا كرامة للدهر أن نقعد تحت حكمه أو نقبل خسف ظلمه ولا عزازة للعوائق أن تضعنا ولا نضعها وتعيننا ولا ندفعها وكاتبته أنا أشحذ عزيمته على البدار وألوى رأيه عن الاعتذار وأعرفه ما فى ذلك من ظنون تشتبه وتهم تتجه وتصاوير تختلف واعتقادات تختلف وقد نااليه مركوبا بالسكون قد ألزمناه الحج وأعطيناه الراحلة فجاءنا فى طبقة اف وعدد تف كل بغيض قذاه اصبع وانفه خمسة أشبار مع أرباب عانات وأصحاب

(المصحف والمحرف)

فقال له النبي صلى الله عليه وسلم ذلك والله الأم لحدك وأقل لحدك ومنه قول عمر بن الخطاب رضي الله عنه لو كنت تاجرا ما اخترت غير العطر ان فاتني ربحه لم تفتني ريحه ومنه قول القاضي الفاضل في بعض رسالاته فانتم يا بني أيوب ايديكم آفة انفس الاموال كما ان سيوفكم آفة انفس الابطال فلو ملكتم الدهر لاعطيتم لياليه أداهم وقلدتم بيض أيامه صوارم ووهبتم شموسه واقماره دنانير ودراهم واوقاتكم اعراس وما ثم الاعلى الاموال فهي ماتم والجود خاتم في أيديكم ونقش خاتم نقش في ذلك الخاتم وقال أهل الادب خلف الوعد خلق الوغد والاربعة أركان بغير حشو وهو غاية في هذا الباب ومن النظم قول الشاعر

فان حلوا فليس لهم مقر * وان رحلوا فليس لهم مفر

ومثله قول أبي فراس

من بحر جودك اغترف * وبفضل علمك اعترف

ولم اذكر هنا من جناس التصحيف الا النوع السالم من اختلاف الحركة بالتحريف فانه اذا اجتمع فيه النوعان صار مشوشا كقول الحريري

زينت زينب بقد يقد

فهذا فيه التحريف والتصحيف وقد تقدم ان الركنين اذا تجاذبهما نوعان من التجنيس ولم يخلصا لواحد كان الجناس مشوشا ومثله قول أبي تمام

في حده الحد بين الجد واللعب

ومن المصحف السالم ما كتبت به الى المقر المخدومي فخر الدين بن مكانس في رسالتي التي ذكرت فيها حريق دمشق وهو وأضحت أوقات الربوة بعد ذلك العيش الخضل واليسر عسيره ولقد كان أهلها في ظل ممدود وماء مسكوب وفاكهة كثيرة فعبس بعد ذلك ثغر روضها الباسم وضاع من غير تورية عطره الناسم ومن غراميات البهاء زهير ولطائفه في الجناس المصحف قوله

وليس مشيبا ما ترون بعارضي * فلا تمنعوني ان أهيم وأطربا

وما هو الا نور ثغر لثمته * تعلق في اطراف شعري فالهبا

وأعجبني التجنيس بيني وبينه * فلما تبدى اشنبا رحت اشيبا

وما أظرف قول شمس الدين بن العفيف وقد كنى باحد الركنين عن الآخر وهو

ياذا الذي صد عن محب * فيه أذاب الغرام قلبه

مالك في الهجر من دليل * لكن هذي علو قلبه

ولم يطالب فيه بالتشويش لظرافته ولطافته انتهى الكلام على الجناس المصحف واما قولي وحرفوا وأتوا بالكلم في الكلم فهذا جناس التحريف وهو ما اتفق ركناه في عدد الحروف وترتيبها واختلفا في الحركات سواء كانا من اسمين أو فعلين أو من اسم وفعل أو من غير ذلك فان القصد اختلاف الحركات كما تقرر والمقدم فيه وهو الغاية التي لا تدرك قوله تعالى ولقد أرسلنا فيهم منذرين فانظر كيف كان عاقبة المنذرين ولا يقال ان اللفظين متحدان في المعنى لانهما من الانذار فلا يكون بينهما تجنيس فاختلاف المعنى ظاهر اذ المراد بالاول الفاعلون

جريانات لا تنال العين منهم الاجسا وسرحنا الطرف منهم ومنه في احمى من است النمر وأعطش من أنف النغر فظننا انه يريد أن يلقى كتيبة أو يهزم دوسرا أو يفل الاتكدين أو يرد الوفدين ثم رأينا رجالا جوفا قد حلقوا صوفا فأمنا المعرة ولم نخش المضرة وقنا اليه وجلس يحرق أرمه ويتسل بيت لا تقتضيه الحال

مرّ اتاني الحبالة تستبق فتركناه على غلوائه حتى اذا نفض ما في راسه وفرغ جعبة وسواسه عطفنا عليه فقلنا يا عافاك الله دعونا وغرضنا غير المهاوشة وأستر زنادك واقصد ناغير المناوشة فلتهد أضلوعك وليفرخ روعك

يامارسرحس لانريد قتالا وما اجتمعنا الا لخير فلتسكن سورتك ولتلن فورتك ولا ترقص لغير طرب ولا تحم لغير سبب وانما ذكرنالك

وهم الرسل وبالثانى المفعولون وهم الذين وقع عليهم الانذار وقول النبى صلى الله عليه وسلم اللهم كما حسنت خلقى فحسن خلقى ومثله قولهم جبة البرد جنة البرد ومثله قولهم رطب الرطب ضرب من الضرب ومنه قول القاضى الفاضل لازالت الملوك ببابه وقوفا والاقدار له سيوفا والخلق له فى دار الدنيا ضيوفا ودين دين الحق اذا جردوا لتقاضيه سيوفا سيوفى ومن النظم قول أبى تمام

هن الحمام فان كسرت عيافة * من حائهن فانهن حمام

وما أحلى قول أبى العلاء المعرى

لغيرى زكاة من جمال فان تكن * زكاة جمال فاذكرى ابن سبيل

ومثله قول ابن الفارض رحمه الله تعالى

هلا نهاك نهاك عن لوم امرئ * لم يلف غير منعم بشقاء

ومثله قول الشيخ عبد العزيز شيخ شيوخ حماة

لعينى كل يوم فيه عبره * تصيرنى لاهل العشق عبره

وغاص هو والقاضى الفاضل فى هذا البحر وأظهروا من هذا الروى جواهر العقود فمن قصيد شيخ الشيوخ بحماة

اذا غفل الوشاة بعثت دمعى * فيغدو مرسلا من غير فتره

علامة شقوتى فى الحب انى * ثقلت عليك لا من طول عشره

سالزم باب خمار الثنايا * ليطلق لى ولو فى العمر سكره

وظريف هنا قول الشاب الظريف شمس الدين محمد بن العفيف من قصيدة

لا اجازى حبيب قلبى بظلمه * انا أحنى عليه من قلب أمه

جوره مثل عدله عند من يهـ * ـواه مثلى وظلمه مثل ظلمه

وما اظرف قول الصاحب بهاء الدين زهير من غرامياته فى هذا النوع

زها ورد خديك لكنه * بغير النواظر لم يقطف

وقد زعموا أنه مضعف * وما علموا أنه مضعفى

وأورد الشيخ كمال الدين الدميرى فى كتابه المسمى بحياة الحيوان عندما انتهى الى ذكر المها أبياتا تعجبنى فى هذا الباب أولها تام وآخرها مطرف وباقى الابيات تحريفها تمتزج بالاذواق حلاوته المعتدلة والابيات لجميل بثينة

خليلى ان قالت بثينة ماله * أتانا بلا وعد فقولا لها لها

أتى وهو مشغول لعظم الذى به * ومن بات طول الليل يرعى السها سها

بثينة تزرى بالغزالة فى الضحى * اذا برزت لم تبق يوما بها بها

لها مقلة كحلاء نجلاء خلقة * كأن اباها الظبى أو أمها مها

دهتنى بود قاتل وهو متلفى * وكم قتلت بالود من ودها دها

ويعجبنى قول من قال ان الصديق الصدوق أول العقد وواسطة العقد ومثله قولهم البدعة شرك الشرك وما أحلى قول ابن نباتة

لتملأ المجالس فوائد وتذكر أبياتا شوارد وامثالا فرائد ونباحثك فتسعد بما عندك وتسألنا فتسر بما عندنا ويقف كل واحد منا موقفه من صاحبه وقديما كنت أسمع بحديثك فيعجبنى الالتقاء بك والاجتماع معك والآن اذ سهل الله ذلك فهلم الى الادب نتفق يوما عليه والى الجدل نتجاذب طرفيه فاسمع خبرا واسمعنا مثله ولنبدأ بالفن الذى ملكت به زمانك وفقت به أقرانك وملكت به عنانك وأخذت منه مكانك فطار به اسمك بعد وقوعه وارتفع له ذكرك عقب خضوعه واختصمت به الرجال حتى اذعن العالم وقلد الجاهل وقالوا قول الصوفية يا دهشا كله نجار نابفرسك وجدلنا بنفسك فقال وما هو فقلت الحفظ ان شئت والنظم ان أردت والنثر ان اخترت والبديهة ان نشطت فهذه أبوابك التى أنت فيها ابن دعواك تملأ منها فاك فاجمع عن الحفظ رأسا ولم

قوامك تحت شعرك شباً أمامه * غدا لك حاملا علم الامامه

ولى مع زيادة التورية

ولما أرانى الشعر وهو مذيل * وجانب ذاك الصدغ وهو مطرف

بدا بخمار من خمار بريقه * فقلت لهم هذا الجناس المحرف

انتهى الكلام على الجناس المصحف والمحرف وبيت الشيخ صفى الدين الحلى

من لى بكل غرير من ظبائهم * غزير حسن يداوى الكلم بالكلم

وبيت الشيخ عز الدين الموصلى الحنبلى

هل من تقى نقى حين صحف لى * محرف القول زان الحكم بالحكم

أما التصحيف والتحريف فى هذا البيت فظاهران واما المعنى فالسر به عند الله ويتى

هل من يقى وبنى ان صحفوا عذلى * وحرفوا وأتوا بالكلم فى الكلم

(ذكر اللفظى والمقلوب)

*(قد فاض دمعى وفاظ القلب اذ سمعا * لفظى عذل ملا لا سماع بالالم)*

اما اللفظى فهو النوع الذى اذا تماثل ركناه وتجانسا خطا خالف أحدهما الآخر بابدال حرف منه فيه مناسبة لفظية كما يكتب بالضاد والظاء وشاهده قولى فى البيت فاض وفاظ فان الاول من فيض الماء والثانى من التلف وجاء فى هذا النوع من القرآن العظيم وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة فالاول من النضارة والثانى من النظر والحقوا به ما يكتب بالهاء والتاء كقولهم جبلت القلوب على معاداة المعادات وقيل هو حديث أو بالنون والتنوين كقول الأرجانى

وبيض الهند من وجدى هواز * باحدى البيض من عليا هوازن

أو بالالف والنون كقول الشاعر ابن العفيف

أحسن خلق الله وجها وفما * ان لم يكن أحق بالحسن فمن

ولم ينظم هذا النوع غير الصفى وهو قليل جدا وأصعب مسالكه تركيبه بالضاد والظاء لاجل ابدال الحرف الذى فيه المناسبة اللفظية وقد تقدم قول الشيخ شمس الدين بن الصائغ انه أورد فى شرحه الذى سماه رقم البردة شيأ من محاسن الزجل على هذا النوع البديعى الذى أطلق عنان القلم فى الكلام عليه والزجل فن تمكن الناظم فيه من المعانى لجولانه فى ميادين الاغصان والخرجات وهو لا يحسن رسمه فى الكتابة الا من عرف اصطلاحه وكان الشيخ علاء الدين بن مقاتل اذا ذكر الزجل كان ابن بجدته وأبا عذرته وممن سلك المسالك هذا الفن وأورد الشيخ صلاح الدين الصفدى له نبذة من غرر ازجاله فى تذكرته وتاريخه تغنى عن الاكثار فى ترجمته وله فى الجناس اللفظى زجل جانسه بالظاء والضاد لم يسبق اليه ومطلعه قوله

ان مع معشوقى جفون ولحاظ * لو رآهم عابد لهام وحاض

ومع أنوار من سحر عينيه اذا * حفظو بباب أنسا صلا تودا

ان ماعو عيون فواتر حور * فى فجور ولدانها بوا ترجفون

(اللفظى والمقلوب)

يحل فى النثر قدحا وقال ابادهك فقلت انت وذاك قال الى السيد أبى الحسين يسأله بيتا البحيز فقلت ياهذا أما اكفيك ثم تناولت جزأ فيه اشعاره وقلت ان حضر هذا شعر أبى بكر الذى كد به طبعه وأسهر له جفنه وأجال فيه فكره وأنفق عليه عمره واستنزف فيه بوه ودونه فى صحيفة ما ترجو جعله ترجمان محاسنه وعبر به عن باطنه وأخذ مكانه وهو ثلاثون بيتا وساقرن كل بيت بوفقه وانظم كل معنى الى لفقه بحيث اصيب اغراضه ولا اعمد الفاظه وشريطتى ان لا أقطع النفس فان تهيأ لواحد أوامكن لناقد ممن قد حضر يريد النظر ان يميز قولهم من قولى ويحكم

كيف لا يفتتن عشاقه وذلك الفتور * وعلى خده شامه بنقطة فنون
من نظرهم نظره بقى مسحور * وكيف أنو ما ينسحر من عيون
يعتقدهم رقودوهم ايقاظ * وجفون كل جفن بسيف أى قاض
يقضى فين بسر وباح وهذى * حكمه من أضل ناس وهدى
حضرتى لما ان يغيب عنى * فى غيابو ياما بتحفظ فصول
حتى نوا يصير قريب منى * ولو انو يكون فى ميدان يجول
ايش تضيق الدنيا على ذهنى * ولا يدرى ايش كان يريد لو يقول
وانس ما قد حفظتو من الالفاظ * ويضيق بى رحب المكان الفاض
ولا اطلب يومى شراب وغذا * فابق سكران طول ليلتى وغدا
يانسيم السحر على حبى * بث منى طيب السلام كاو
لله وأوصيه بالعاشق المسبى * وبقلبى ذاك الذى استلو
وان تيسر لك أن ترى قلبى * وان يسل عن جسمى الضعيف قلو
انو تحيل من بعدك الى ان فاظ * واغتسل ممامن عيونو فاض
وعلى حذو الدارجين قد حذا * وفى نايو حادى المنايا حدا
اذكرانى فى عنبو خد البهار * عصتو حتى وقف على ماجرا
وبقى هو يحمرونا بصفار * ونوادر منى ومنوترا
فلا تعجب من خد وكيف بحمار * فوق ورد الخدود وتحتو جرا
ماء الحيا فى وجناتو لما اغتاظ * ونشف ماء لونى الى ان غاض
ومايشكى رحالى وحالو فذا * سر فيه ممن أنا لو فدا

ونظمت فى هذا النوع الغريب تورية جاءت فى غاية الحسن ولم أسبق اليها الامن الشاب الظريف محمد بن العفيف كقوله

عبتم من المحبوب حمرة شعره * واظنكم بدليله لم تشعروا
لاتنكروا ما احمر منه فانه * بدماء أرباب الغرام مضفر

وقولى

خاطرت فى عشقى له يامهجتى * لاتشغلى قلبى الحزين وخاطرى
فالطرف شاهد منه ناضر قده * فغدا يهيم بكل غصن ناضر

وقولى

مرج حماة بنواغيره * زاد على المقياس فى روضته
واغتاظ نمروذ دمشق له * فقلت لا افكر فى غيضته

وقولى

حضيت عزمى اليك شوقا * فلم أطق مكثة بارض
وحيث لم احظ بالتلاقى * فغايتى ان اوم حضى

انتهى الكلام على الجناس اللفظى واما الجناس المقلوب وسماه قوم جناس العكس وهو

على البيت انه له أولى او يرجح ما نظمه بشار الروية على ما امليته على لسان النفس فلا بد السبق او يكون غيرها فاعفاء عن هذه المقاومة و يتنحى لنا عن أرض المماثلة ويخلى بنا الطريق لمن يثنى المناربه فقال أبو بكر ما الذى يؤمننا من ان تكون نظمت من قبل ماتريد انشاده الآن فقلت اقترح لكل بيت قافية لا اسوقه الا اليها ولا أقف به الا عليها ومثال ذلك ان تقول حشر فاقول بيتا آخره حشر ثم عشر فانظم بيتا قافيته عشر ثم هلم جرا الى حيث يتضح الحق وينفضح الزرق وتستقر الحجة وتستقل الشبهة وتنطرد فيعرف الحالى من العاطل و يفرق بين الحق والباطل قال ابو بكران يشاركنى هذا العنان ومال الى السيد ابى الحسن يسأله بيتا البيت زقبعنا رأيه فيها وآه ولم نرض الارضاه وأعمل كل منا لسانه وفمه وأخذ

الذى يشتمل كل واحد من ركنيه على حروف الآخر من غير زيادة ولا نقص ويخالف أحدهما الآخر فى الترتيب كقوله تعالى حكاية عن هرون خشيت ان تقول فرقت بين بنى اسرائيل ومنه قول النبى صلى الله عليه وسلم يقال لصاحب القرآن يوم القيامة اقرأ وارق وما ألطف ما أشار الصاحب بن عباد الى الجناس المقلوب بقوله لابى العباس بن الحرث فى يوم قيظ وقد طلب مروحة الخيش مايقول الشيخ فى قلبه يعنى الخيش ومروحة الخيش احدثها بنو العباس وذكرها الحريرى فى المقامات وقال اسمعوا وقيتم الطيش وانشد لغزا فى مروحة الخيش

وجارية فى سيرها مشمعلة * ولكن على اثر المسير قفولها
لها سائق من جنسها يستحثها * على انه فى الاحتثاث رسيلها
ترى فى اوان القيظ تنطف بالندى * ويبدو اذا ولى المصيف نحولها

وكان السبب فى حدوث هذه المروحة ان هرون الرشيد دخل يوما على اخته علية بنت المهدى فى يوم قيظ فألفاها وقد صبغت ثيابها من زعفران وصندل ونشرتها على الحبال لتجف فجلس هرون قريبا من الثياب المنشورة فصارت الريح تمر على الثياب فتحمل منها ريحا بليلة عطرة فوجد لذلك راحة من الحر واستطابه وأمر أن يصنع له مثل ذلك وقال ابن الشريشى فى شرح المقامات وهذه المروحة شبه الشراع للسفينة تعلق بالسقف ويشد بها حبل وتبل بالماء وترش بالماء ورد فاذا أراد الرجل فى القائلة ان ينام جذبها بحبلها فتذهب بطول البيت وتجىء فيهب على النائم منها نسيم بارد رطب انتهى كلامه * رجع الى الجناس المقلوب * فمنه قول بعضهم

حكانى بهار الروض حين ألفته * وكل مشوق للبهار مصاحب
فقلت له مابال لونك شاحبا * فقال لانى حين اقلب راهب

وما احلى قول ابن العفيف مع زيادة التورية

أسكرنى باللفظ والمقلة الـ * ـكحلاء والوجنة والكاس
ساق يرينى قلبه قسوة * وكل ساق قلبه قاس

وبديع هنا قول الشيخ جمال الدين بن نباتة فى الامير شجاع الدين بهرام

قيل كل القلوب من * رهب الحرب تضطرب
قلت هذا تحرص * قلب بهرام مارهب

وبيت عبد الله بن رواحة غاية فى هذا النوع وقيل أمدح بيت قالته العرب فانه من جملة مديح النبى صلى الله عليه وسلم وهو قوله

تحمله الناقة الادماء معتجرا * بالبرد كالبدر جلى نوره الظلما

وما احلى قول القائل

والقيتهم يستعرضون حوائجا * اليهم ولو كانت عليهم جوائحا

ومثله

ان بين الضلوع منى نارا * تتلظى فكيف لى ان أطيقا

دواته وقلمه فاجزنا البيت الذى قاله وكلما اجزناه اجازه جارى القلم فيها الطبع وبارى اللسان بها السمع وسارق الخاطر بها الناظر وسابق الجنان فيها البنان اذ قلنا

هذا الاديب على تعسف فتكه * وبروكه عند القريض بركه
متسرع فى كل مايعتاده * من نظمه متباطئ عن تركه
والشعر أبعد مذهبا ومصاعدا * من أن يكون مطيعه فى فكه
والنظم بحر والخواطر معبر * فانظر الى بحر القريض وفلكه
فتى توانى فى القريض مقصر * عرضت اذن الامتحان بعركه
هذا الشريف على تقدم بيته * فى المكرمات ورفعه فى سمكه
قد رام منى أن أقارن مثله * وانا القرين السوء ان لم أنكه
واذا تطمت قصمت ظهر مناظرى * وحطمت جارحة القرين بدكه

حلّي لطفك يا تيّ سلطاني * أرتجيك تلقيني لم حبيبا

ومن الغايات في هذا الباب قول القائل

ليل أقبل فيه هيف * كل ما أملّ نان حق حبه

فهذا البيت كل كلمة منه بانضمامها الى أختها تجانسها في القلب وأعلى منه رتبة قول سيف الدين ابن المشد

ليل اضاء هلاله * أني يضيء بكوكب

وهذا البيت كل كلمة منه تقرأ مستوية ومقلوبة وهو مما لا يستحيل بالانعكاس كقول الحريري ساكب كاس وهذا النوع يأتي الكلام عليه في موضعه لان المراد هنا جناس القلب وللشيخ علاء الدين بن مقاتل الحموي ايضا زجل في هذا النوع سارت به الركبان انشده المصنف في حماة بحضرة الملك المؤيد والشيخ صفي الدين والشيخ جمال الدين بن نباتة فوقع في المجلس شئ اذا استوعبت الزجل كتابة علمته

قلبي يحب تياه * ليس يعشق الا اياه * فاز من وقف وحياه * يرصد على محياه
بدر السما لو يطلع * من رام وصالو يطمع

صغير يحير في امرو * غزال قهر بسمرو * ليث الهوى وغمرو * فاعجب لاصغر عمرو
ريم ابن عشر واربع * اردى الاسود واعب

اذ كر نهار تبعتو * وروحي كنت بعتو * ويخيب ما فيه طمعتو * فقال وقد سمعتو
ارجع ولا لي تتبع * اخشى عليك لا تتعب

كم قدامو وخلفو * مشيت مطيع لحلفو * ورمت لثم كفو * قال دع مناك وكفو
فان لثم اصبع * من الثريا اصعب

ما زلت لو نداري * حتى حصل في داري * ناديت ودمعي جاري * ايش كان يصيب يا جاري
لو كنت من فيك اشبع * قال ايش يكن لك اشعب

من حاز حسن خدو * لحظو لقتلي حدو * وورد خدو ندو * ما في الرياض شي ندو
روض الحيا مبرقع * عليه ساج معقرب

من في الجمال فريدو * للصب من وريدو * يذبح وهو يزيدو * وكم ذا شيخ مريدو
خلاه دموعو يبلع * وهو بعقلو يلعب

كم خصم في المقاتل * صابو ابن مقاتل * وكم ذا في المحافل * قد انشا لو جحافل
من كل بيت مربع * ملحون بالف معرب

والشئ اللطيف الذي وقع في المجلس المشار اليه ووعدت بذكره ذكروا ان الشيخ علاء الدين بن مقاتل لما وصل الى قوله ملحون بالف معرب صار الشيخ جمال الدين بن نباتة ينظر الى الشيخ علاء الدين بن مقاتل ويشير الى الشيخ صفي الدين الحلي ويقول ملحون بألف معرب والملك المؤيد يتبسم لذلك اه واذا نظر المتأمل الى بعض هذه الاحرف في رسم كتابة الزجل لا ينتقد فان شرط رسمه ان يوضع كذا لاجل تحرير وزنه انتهى الكلام على الجناس اللفظي والمقلوب وبيت الشيخ صفي الدين الحلي فيهما

ربغت منه أديه وتركته
نهج الاديم يبيغه ويدلكه
صغوا الى الشعر الذي نظمته
كالدر رصع في مجرة سلكه
عجزت عن القرين بديهة
دمي الحرام له اراقة سفكه
قال أبو بكر ابياتا جهدنا
أن نخرجها عن الغلاف
يبرزها من اللحاف فلم
نفعل دون أن طواها
جعل يعركها ويفركها
قلت ان البيت لقائله كالولد
ناجله قال الملك نعق ابنك
وتضمه أبرزها للعيون
يخلصها من الظنون فكره
بو بكر أيده الله ان تكون
هرة أعقل منه لانها
عدث فتغطي فلم يستجرئ
ن يظاهر ثم مسح جبينه
بسط يمينه للبديهة نفسا
ون ان يكتب فقلنا أنت
ذلك واقترح علينا أن
قول على وزن قول أبي

بكل قد نضير لا نظير له * لا ينقضي أملي منه ولا ألمي

وبيت الشيخ عز الدين

لفظي حضّ على حظ بسامعه * مقلوب معنى ملا الاحشا من ألم

وبيتي

قد فاض دمعي وفاظ القلب اذ سمعا * لفظي عذول ملا الاسماع بالالم

انتهى والله أعلم

(ذكر الجناس المعنوي)

*(أبا معاذ اخا الخنساء كنت لهم * بامعنوي تهذ وفي بجورهم)*

اما الجناس المعنوي فانه ضربان تجنيس اضمار وتجنيس اشارة ومنهم من سمى تجنيس الاشارة تجنيس الكناية وكل منهما مطابق التسمية ولم ينظم الشيخ صفي الدين الحلي في بديعيته غير نوع الاضمار وهو اصعب مسلكا من جناس الاشارة ولابد أن اتوج هذا الشرح بمحاسن النوعين فان المعنوي طرفة من طرف الادب عزيز الوجود جدا ولم يذكره الشيخ جلال الدين القزويني في التلخيص ولا في الايضاح ولا ذكره ابن رشيق في العمدة ولا زكي الدين بن أبي الاصبع في التحرير ولا ابن منقذ في كتابه والعميان ذكروه في شرح بديعيتهم ولكن ما تيسر لهم نظمه وذكر الشهاب محمود في كتابه المسمى بحسن التوسل في صناعة الترسل منه نوع الاشارة لا نوع الاضمار ولكن ما نظمه ولم يذكر نوع الاضمار في بديعيته غير الشيخ صفي الدين الحلي وقد تقدم القول أنه قال عن بديعيته انها نتيجة سبعين كتابا في هذا الفن وكان شيخنا قاضي القضاة علاء الدين بن القضامي رحمه الله يقول وهو امام هذا العلم ما اعلم لبيت أبي بكر بن عبدون في اضمار الركنين ثانيا غير بيت الشيخ صفي الدين الحلي ولولم يفتح ابن عبدون هذا الباب في بيته ما حصل للشيخ صفي الدين دخول الى نظم هذا النوع انتهى والكلام على البيتين يأتي بعد تعريف النوع فالمعنوي المضمر هو أن يضمر الناظم ركني التجنيس ويأتي في الظاهر بما يرادف المضمر للدلالة عليه فان تعذر المرادف اتى بلفظ فيه كناية لطيفة تدل على المضمر بالمعنى كقول أبي بكر بن عبدون المشار اليه وقد اصطبح بخمرة ترك بعضها الى الليل فصارت خلا

الا في سبيل اللهو كاس مدامة * اتتنا بطعم عهده غير ثابت

حكت بنت بسطام بن قيس صبيحة * وامست كجسم الشنفرى بعد ثابت

فبنت بسطام بن قيس كان اسمها الصهباء والشنفرى قال

اسقنيها يا سواد بن عمرو * ان جسمي من بعد خالي لخل

والخل هو الرقيق المهزول فظهر من كناية اللفظ الظاهر جناسان مضمران في صهباء وصهباء وخل وخل وهما في صدر البيت وعجزه ومن هنا أخذ الشيخ صفي الدين الحلي وقال

وكل لحظ أتى باسم ابن ذي يزن * في فتكه بالمعنى أو أبي هرم

فابن ذي يزن اسمه سيف وابو هرم اسمه سنان فظهر له جناسان مضمران من كنايات الالفاظ الظاهرة فظهر قول شيخنا قاضي القضاة علاء الدين ان هذا الباب ما فتحه للشيخ صفي

(الجناس المعنوي)

الطيب المتنبي حيث يقو
أرق على ارق ومثلي يأرق
وجوى يزيد وعبرة تترقرق
وابتدر أبو بكر ابده الله الى
الاجازة ولم يزل الى الغاية
سباقا فقال
واذا ابتدهت بديهة يا سيد
* فأراك عند بديهتي تتق
واذا اقرضت الشعر في صيد
* لاشك أنك يا أخي تتشبه
اني اذا قلت البديهة قلتها
عجلا وطبعك عند طبعي ير
مالي أراك ولست مثلي عند
* متموّها بالترهات تمخر
اني أجيز على البديهة مثل
* تريانه واذا نطقت أصدق
لو كنت من صخر أصم له
* من البديهة واغتدى يتف
لو كنت ليثا في البديهة عاد
* لرؤيت يا مسكين مني تفر
وبديهة قد قلتها متنفسا
فعل الذي قد قلت يا ذا الأخر
ثم وقف يعتذر ويقول ان

الدين غير ابن عبدون وكثت أود أن يكون شيخنا رحمه الله حيا ويرانى قد عززته بثالث وهو

أبا معاذ أخا الخنساء كنت لهم * يا معنوى فهدونى بجورهم

أبو معاذ اسمه جبل وأخو الخنساء اسمه صخر فظهر لهم من كنايات الالفاظ الظاهرة أيضا جناسان مضمران فى صدر البيت وهما جبل وجبل وصخر وصخر وبالنسبة الى الجبل فى الركن الواحد يحسن قولى فهدونى بجورهم وقد أظهرت محاسن هذا الجناس المضمر وكشفت عن جماله الباهر سطور الاشكال ليتمتع به صاحب الذوق السليم فان فحول المتأخرين وقفوا عن المجاراة فى حلبته ولم يتعلق أحد منهم الا بأذيال الضرب الثانى وهو جناس الاشارة ويأتى الكلام عليه * ومن غريب ما يحكى ان الشيخ صلاح الدين الصفدى قال فى شرح لامية العجم وفى كتابه المسمى بجنان الجناس لما اعترضه الجناس المعنوى قال هذا النوع عندى باطل ولم يتيسر لهم منه نظم بيت واحد مع كثرة تهافتهم على الجناس وانواعه والذى يظهر لى انه عجز عن نظمه فانه قال فى غضون ذلك وقد استخرجت من شعر أبى الطيب المتنبى من الجناس المعنوى قوله

حاولن تفريبى وخفن مراقبا * فوضعن أيديهن فوق ترائبا

وهذا دليل على أنه لم يفهمه انتهى الكلام على الجناس المعنوى الذى يضمر فيه الركنان وما أخرت بيت الشيخ عز الدين الموصلى ونثرت نظام الترتيب الذى تقدم الا لتحصيه عن نظم الجناس المعنوى المضمر الركنين وميله الى جناس الاشارة لسهولة ما أخذه فلم يبق لبيته طاقة على المناظرة لتحوله عن النوع الذى عارض فيه الشيخ صفى الدين والظاهر انه قنع بقول القائل

اذا امتنعت أشجار المعالى * جناها الغض فاقنع بالشميم

والضرب الثانى من المعنوى وهو جناس الاشارة والكناية هو غير الاول وسبب وروده هذا النوع فى النظم أن الشاعر يقصد المجانسة فى بيته بين الركنين من الجناس فلا يوافقه الوزن على ابرازهما فيضمر الواحد ويعدل بقوته الى مرادف فيه كناية تدل على الركن المضمر فان لم يتفق له مرادف الركن المضمر يأتى بلفظة فيها كناية لطيفة تدل عليه وهذا لا يتفق فى الكلام المنثور والذى يدل عليه المرادف قول امرأة من عقيل وقد أراد قومها الرحيل عن بنى ثهلان وتوجه منهم جماعة يحضرون الابل وهو

فما مكثنا دام الجمال عليكما * بثهلان الا أن تشد الاباعر

ارادت أن تجانس بين الجمال والجمال فلم يساعدها الوزن ولا القافية فعدلت الى مرادفة الجمال بالاباعر والذى يدل على مضمره اللفظة الظاهرة بالكناية اللطيفة قول دعبل فى امرأته سلمى

انى أحبك حبا لو تضمنه * سلمى سميك ذاك الشاهق الراسى

فالكناية اللطيفة فى سميك لانها أشعرت ان الركن المضمر فى سلمى ايظهر منه جناس الاشارة بين الركن الظاهر والمضمر فى سلمى وسلمى الذى هو الجبل ومثله قول الآخر

هـذا كما يجىء لا كما يجب
فقلت قبل الله عذرك لكنى
أراك بين قواف مكروهة
وقافات خشنة كل قاف
كجبل قاف منها تنقاق
وتنشق وتنفلق وتعرق
وتحرق وتطلق وتعلق
وتبرق وتشرق وأحق
واخرق الى أشياء لا أكثر
بها العدد فخذ الآن بجزاء
عن قرضك وأداء لفرضك
وقالت
مهلا أبا بكر فزندك اضيق * فاخرس فان أخاك حى يرزق
دعنى أعرك اذا سكت سلامة * فالقول ينجد فى ذويك ويعرق
وافاتك فتكات سوء فيكم * تدع الستور وراءها لا تخرق
وانظر لا شنع ما أقول وأدعى * أله الى اعراضكم متسلق
يا أحمقا وكفاك ذلك خزية * جربت نار معرق هل تحرق
فلما أصابه حر الكلام
ومسه لفح هـذا النظام

وتحت البراقع مقلوبها * تدب على ورد تلك الخدود

فكنى عن العقارب بمقلوب البراقع ولا شك ان بين اللفظ المصرح به والمكنى عنه تجانسا ومثله قول الآخر يهجو مغنيا ثقيلا

قال غنيت ثقيلا * قلت قد غنيت نفسك

ومن الكنايات بالمرادف قول شرف الدين بن الحلاوى وهو غاية فى هذا النوع

وبدت لطائر ثغره فى قرطه * فتشابها واختلفا فاشكلا

فرأيت تحت البدر سالفة الطلا * ورأيت فوق الدر مسكرة الطلا

اراد أن يجانس بين سالفة الطلا وسلافة الطلا فلم يساعده الوزن فعدل بقوته الى المسكرة وهى مرادفة السلافة وقد تقدم ان الشيخ عز الدين الموصلى لم ينظم من المعنوى الا هذا الضرب وهو الذى أوجب تأخيريته عن المناظرة وقد تقرر ان الشاعر يريد فى هذا النوع اظهار الركنين فلا يساعده الوزن فيعدل بحسن تصرفه الى مرادفه وأراد الشيخ عز الدين أن يمشى على هذا الطريق فحصل له فى الطريق عقلة فانه قال

وكافر بضمر الاحسان فى عذل * كظلمة الليل عن ذا المعنوى عمى

فالليل يسمى كافرا وهو الذى يستر الاشياء وكافر هنا بمعنى ساتر وهذا هو الركن الذى اضمره عز الدين ورادفه بالظلمة وكنى بها عنه فظهر منها جناس الاشارة بين كافر وكافر غير أن الوزن ما مشى على عز الدين حتى عدل الى المرادف فلو أراد ان يبرز الركنين لكان الوزن داخلا تحت طاعته اذا قال

وكافر بضمر الاحسان فى عذل * ككافر الليل عن ذا المعنوى عمى

ولما وقف مولانا الشيخ شهاب الدين بن حجر على هذا النوع قال هذا عزيز الوجود وانشدنى بعد أيام فى مولانا السلطان الملك المؤيد هذين البيتين وهما فى نوع المضمر المقدم ذكره غاية وهما

جمع الصفات الصالحات مليكنا * فغدا بنصر الحق منه مؤيدا

كابى الامين برأيه وبجده * أنى توجه وابن يحيى فى الندى

ومن نظمى فى نوع الاشارة الغريبة قولى من جملة قصيدة فى سكر حماة

وجناس ذاك السكر يحلو لورى * تحريفه ويروق فى تشرين

ففى صريح الجناس وتورية التحريف كنايتان لطيفتان يظهر منهما جناس الاشارة محرفا بين السكر والسكر والمراد بقولى يروق فى تشرين ان عاصى حماة يروق فى هذا الفصل الى ان يرى قراره من أعالى شطوطه وهذه القصيدة كتبت بها من القاهرة المحروسة فى عام ثمان عشرة وثمانمائة الى مولانا المقر الاشرف القاضوى الناصرى محمد بن البارزى كاتب دواوين الانشاء الشريف بالممالك الاسلامية وقد حل ركابه الكريم بحماة المحروسة وقالت شطوطها اهلا بعيش اخضر يتجدد وروى عاصيها بعدنا رشوقه الكامل عن المبرد وعادت الى عصر الشبيبة وقد شاهدت الملك المؤيد ومطلع القصيد

خل التعلل فى حمى يبرين * فهوى حماة هو الذى يبرينى

قطع علينا فقال يا أحمقا لا يجوز فان أحمق لا ينصرف فقلنا يا هذا الا تقطع فان شعرك ان لم يكن عيبة عيب فليس بظرف ظرف ولو شئنا لقطعنا عليك ولوجد الطعن سبيلا اليك واما احمق فلا يزال يصفعك لتصفعه حتى ينصرف وتنصرف معه وعرفناه أن للشاعر أن يرد مالا ينصرف الى الصرف كما ان له رأيه فى القصر والحذف وانشدناه حاضر الوقت من اشعار العرب فقال يجوز للعرب مالا يجوز لك فلم يدر كيف يجيب عن هذا الموقف وهذه المواقفة وكيف يسلم من هذه المصارفة لكاقلنا أخبرنا عن بيتك الاول امدحت ام قدحت وزكيت أم جرحت ففيه شيئان متفاوتان ومعنيان

وأطلع ولايغذ كرمع العاصي حي * مافى وبنا ءالهيبر طيرضيق
انا سائل والنهر فيها الفلك * ومع افتقارى لقطرة تغنيني
والنبت يضبطها بشكل معرب * لمايزيد الطير فى التلحين
والغصن يحكى النون فى سبلانه * وخياله فى الماء كالتنوين
والله ماانا آيس من قربها * بالله صدقنى وخذ بيمينى
فالطرف قد أبقى بقايا ادمع * وهناك اجريها برجع انينى
فاعذر ملامى عند فيض مدامعى * فالدمع دمعى والعيون عيونى
قالوا تسلى عن عمار شطوطها * فاجبت لا والتين والزيتون
بالاعين على شريعتها لكم * فى ذاك دينكم ولى أنا دينى
فلنا على الاعراف من ريحانها * قصص أتت بتناسخ اليشنين
وبشط شرعا يالنا كم شرعت * اعوادها وتنقفت باللين
لكن اذا اشتبكت رأيت الظل قد * ألقته مضطربا شبيه طعين
وخيال ضوء الشمس فى تدويره * يحكى فم الطعنات فى التكوين
وعيونها كم قال هدب نباتها * ماالنباق مثل شرح عيونى
تلك المعالم والمعاهد بغيتى * بحماة لا الجيران من جيرون
كم قال دمع الصب ليتهم على * تلك الرسوم بفضلهم يجرونى
يانا زلين حمى حماة نعمتم * فيها صباحا نوره يهدينى
قد كنت أنساها برؤيتكم وقد * صرتم بها فالصبر غير معينى
غبتم وهذا محضرى لى شاهد * بالعسر من صبرى وبالمضمون
وحللتم دارا السعادة بالحمى * فحقكم بالبعد لاتشقونى
ذنبى عظيم لانقطاعى عنكم * فلاجله فى مصر لاتبقونى
وتكونت نار اشتياقى فى الحشا * لفساد تكوينى فدع تكوينى
وعجزت ضعفا عن وفادين اللقا * فترفقوا بفؤادى المرهون
فعسى يزول ظلام بعدى عنكم * وارى ضياء القرب من شمسين
ولرقة فيكم أظن بانكم * حنيتم طربا لرجع حنينى
هذى غراميات صب ماله * أرب بتورية ولا تضمين
لكن اذا ذكروا بديع مدائح * فى البارزى فكل فوق دونى
ما القصد نخرى انما أنا عبده * فالشك أدفعه بحسن يقينى
الغصن نسقيه وغصن يراعه * يسقى الورى لكن أنا يشفينى
فالطرس وهو مطوق بيمينه * ينسى السواجع معرب التلحين
هو كامل فى فضله وعلومه * والله اعطاه كمال الدين
حسنت لياليه وايام له * فهدى الزمان بطرة وجبين
ياصاحب البيت الذى عن وصفه * قد اعجمت شعراء هذا الحين

متباينان منها انك بنات
تخاطبت ياسيدى والثانية
انك عطفت فقلت تتفق
وهما الاركضان فى حلبة
ولا يضطان فى خطة ثم قلت
لهم خذ وزنا من الشعر حتى
اسكت عليك فتستوفى من
القول حظك واسكت علينا
حتى نستوفى حظنا ثم انى
احفظ عليك انفاسك
واوافقك عليها واحفظ على
أنفاسى ووافقنى عليها فان
عجزت عن اختلافها حفظتها
لك فسألنى عنها بعد ذلك
وأخذنا بيت أبى الطيب
المتنبى
أهلا بدار سباك اغيدها
أبعد ما بان عنك خردها
فقلت
يانعمة لاتزال تجددها
ومنة لاتزال تكندها
فأخذ بخنق البيت قبل
تمامه ومضيق الشعر قبل

ان جاء نظمى قاصرا عن وصفه * عذرا فهذى نشطة الحسين
ولم كبرت وبان عجزى انما * كانت مسرات اللقا تصبينى
وبحبتمونى عن حماة وعيتوا * عنى فهذا من فنون جنونى
وقعدت عن ديوان شيخ شيوخنا * فى مصر جار عويس والمتبنى
برهان شوقى قد أقمت دليله * بسنا نجوت مع ضياء الدين
لازلتم بكمالكم فى نعمة * مقرونة بالنصر والتمكين انتهى

(ذكر الاستطراد)

*(واستطردوا اخيل صبرى عنهم فكبت * وقصرت كالبنا بوصلهم)*

الاستطراد فى اللغة مصدر استطرد الفارس من قرنه فى الحرب وذلك ان يفر من بين يديه يوهمه الانهزام ثم يعطف عليه على غرة منه وهو ضرب من المكيدة وفى الاصطلاح ان تكون فى غرض من اغراض الشعر توهم أنك مستمر فيه ثم تخرج منه الى غيره لمناسبة بينهما ولابد من التصريح باسم المستطرد به بشرط أن لا يكون قد تقدم له ذكر ثم ترجع الى الاول وتقطع الكلام ٣ فيكون المستطرد به آخر كلامك وهذا هو الفرق بينه وبين التخلص فان الاستطراد يشترط فيه الرجوع الى الكلام الاول وقطع الكلام بعد المستطرد به والامران معدومان فى التخلص فانه لا يرجع الى الاول ولا يقطع الكلام بل يستمر الى ما يخلص اليه وحد صاحب الايضاح الاستطراد بحد أتى فيه بالغرض بعد ما بالغ فى الايجاز فانه قال الاستطراد هو الانتقال من معنى الى معنى آخر متصل به ثم يقصد بذكر الاول التوصل الى الثانى فنى قوله متصل به جل القصد وعدم الاحتياج الى الكلام الكثير وذكر الحاتمى فى حلية المحاضرة انه نقل هذه التسمية عن البحترى وذكر غيره ان البحترى نقلها عن أبى تمام وقال ابن المعتز الاستطراد هو الخروج من معنى الى معنى وفسره بان قال هو ان يكون المتكلم فى معنى فيخرج منه بطريق التشبيه او الشرط او الاخبار او غير ذلك الى معنى آخر يتضمن مدحا وهجوا او وصفا وغالب وقوعه فى الهجاء فمنه قوله تعالى فى كتابه العزيز الا بعدا لمدين كما بعدت ثمود فذكر ثمود استطراد وقيل ان أول شاهد ورد فى هذا النوع وسار مسير الامثال قول السموأل

وانا لقوم لا نرى القتل سبة * اذا ما رأته عامر وسلول

فانظر الى خروجه الداخل فى الافتخار الى الهجو وحسن عوده الى ما كان عليه من الافتخار بقوله

يقرب حب الموت آجالنا لنا * وتكرهه آجالهم فتطول

ومنه قول حسان بن ثابت رضى الله تعالى عنه

ان كنت كاذبة الذى حدثتنى * فنجوت منجى الحرث بن هشام
ترك الاحبة أن يقاتل دونهم * فنجا برأس طمرة ولجام

فانظر كيف خرج من الغزل الى هجو الحرث بن هشام والحرث هو أخو أبى جهل أسلم يوم الفتح وحسن اسلامه ومات يوم اليرموك بالشام ومنه قول البحترى من قصيدة فى

(الاستطراد)
تظلمه فقال ما معنى تكندها فقلت يا هذا كند النعمة كفرها فرفع يديه ورأسه وقال معاذ الله أن يكون كند بمعنى جحد وانما الكنود القليل الخير فأقبلت الجماعة عليه يوسعونه بربا وفربا ويتلون له قول الله تعالى ان الانسان لربه لكنود وقلت له أليس الشرط أملك والعهد بيننا ان تسكت وتسكت حتى تتم وتنم ثم نبحث ونفحص فنبذ الادب وراء ظهره وصار الى السخف يكيلنا بصاعه ومده وينفض فيه جهده

٣ قوله فيكون المستطرد الخ صوابه فلا يكون المستطرد كما يفهم من سابقه ولاحقه

وصف فرس

كالهيكل المبنى الا انه * فى الحسن جاء كصورة فى هيكل
ملك العيون فان بدا أعطينه * نظر المحب الى الحبيب المقبل
ما ان يعاف قذى ولو أوردته * يوما خلائق حمدويه الاحول

ومنه قول أحمد بن يحيى البلاذرى يرثى أبا غسان

أمسى حبيب رهن قبر موحش * لم يدفع الاقدار عنه بكيد
لم يحبه لما تناهى عمره * أدب ولم يسلم بقسوة أيد
قد كنت أرجو أن تنالك رحمة * لكن أخاف قرابة ابن حميد

ما أحسن ما خرج من الرثاء الى الهجو فى حميد بن قحطبة والقرابة التى بينه وبين ابن حميد انهما كانا طائيين ومنه قول الحسين بن على القمى

جاورت أجبالا كأن صخورها * وجنات نجم ذى الحياء البارد
والشوك يفعل فى ثيابى مثل ما * فعل الهجاء بعرض عبد الواحد

ومنه قول أبى محمد بن مكرم وهو غاية فى هذا الباب

وليل كوجه البرقعيدى ظلمة * وبرد اغانيه وطول قرونه
قطعت فنومى عن جفونى مشرد * كعقل سليمان بن فهد ودينه
بذى اولق فيه اعوجاج كانه * أبو جابر فى خبطه وجنونه
الى أن بدا ضوء الصباح كانه * سنا وجه قرواش ونور جبينه

فانظر الى قوة الاستطراد من وصف حاله مع الليل الى هجاء الثلاثة ومدح قرواش * ومنه

اذا ما اتقى الله الفتى وأطاعه * فليس به باس وان كان من جرم

انظر ما أبلغ ما خرج من الوعظ الى الهجو المؤلم فى قبيلة جرم ومثله

وشادن بالدلال عاتبنى * واميتى من تدلل العاتب
فكان ردى عليه من خجل * ابرد من شعر خالد الكاتب

ومنه قول ابن المعتز

ولقد شربت مدامة كرخية * مع ماجد طلق اليدين حميد
علت بماء بارد فكأنما * علت ببرد قصيدة ابن سعيد

ومثله قول بعضهم يصف خمرا طبخت حتى راقت وصفت

لم يبق منها وقود الطابخين لها * الا كما بقت الانواء من دارى

انظر ما أحلى استطراده من وصف الخمر الى وصف داره بالخراب بألطف كناية والغريب فى هذا الباب الاستطراد من الهجو الى الهجو وهو كقول جرير يهجو أم الفرزدق

لها برص بأسفل اسكتيها * كعنفقة الفرزدق حين شابا

ومثله قوله

وكأنى اقرا بحرف ابى عمرو على القوم سورة الانعام
محنة تصفع ابن عمرو بن يحيى * فى دماغ الاعشى بنعل القطامى

جهده وأفضى الى السفه يغرف علينا غرفا ويستقى من بحرنه جرفا فقلت إهذا ان الادب غير سوء الادب للمناظرة حضرنا الا للمنافرة فان نفضت عن هذا السخف يدك وثنيت عن هذا السفه قصدك والا تركت مكالمتك ولو كان فى باب الاستخفاف شئ أعظم من الاحتقار والانكار ابلغ من ترك الانكار لبلغته منك فاخذ يمضى على غلوائه ويمعن فى هرائه وهذائه فاستندت الى المسند ووضعت اليد على اليد وقلت أستغفر الله من مقالتك ونقضتها قائمة معه وسكت حتى عرف

ولقد اردت ان استطرد هنا الى ذكر ما وقع لى وللمتأخرين من الاستطرادات الغريبة فلم اجد أبدع من بيت البديعية فاكتفيت عند قضاة الادب بحسن آدابه فانه اعدل شاهد فى هذا الباب وحبست عنان القلم عن الاستطراد فى وصفه علما ان فى انصاف علماء الادب اذا وقفوا عليه ما يغنى عن ذلك وبيت الشيخ صفى الدين الحلى فى بديعيته

كأن آناء ليلى فى تطاولها * تسويف كاذب آمالى بقربهم

الذى يظهر لى ان الشيخ صفى الدين عبر على الاستطراد ٢ بتقديم اداة التشبيه فى اول البيت وقد تقدم قول صاحب الايضاح أن يقصد بذكر الاول التوصل الى الثانى وما خرج أحد من الاستطراد بطريق التشبيه الا جعل اداة التشبيه مع المستطرد به فى آخر الكلام كقول السرى الرفاء

لنا روضة بالدار صبغ لزهرها * قلائد من حلى الندى وشنوف

* يمر بنا فيها اذا ما تبسمت * نسيم كعقل الخالدى ضعيف

فاداة التشبيه جاءت هنا فى الآخر مع المستطرد به كما تقرر ولم يقدم الناظم فى اول البيت ما يتوصل به الى آخره اه ومثل هذا الايراد قول ابن جلنك الحلبى وهو أظرف ما رأيت فى هذا الباب حكى أنه كتب رقعة الى بعض الحكام وقيل الى قاضى القضاة كمال الدين بن الزملكانى يسأله فيها شيأ فوقع له بخبز وأستحى أن اقول انه رطلان فتوجه ابن جلنك يوما الى بستان يرناص فيه فقيل انه لقاضى القضاة المشار اليه فكتب على حائط البستان

لله بستان حللنا دوحه * فى جنة قد فتحت ابوابها

والبان تحسبها سنانيرا رأت * قاضى القضاة فنفشت اذنابها

فاستطرد من وصف البستان وتشبيه البان التشبيه المخترع الى هجو قاضى القضاة مرقص عند سماعه * وما شك احد من اهل الادب أن التشبيه غريب فى اختراعه وقيل ان الشيخ بدر الدين بن مالك املى عليهما كراسة فى البديع وانا بالاشواق الى رؤيتها ٣ ومن استطرادات ابى عبد الله محمد بن حجاج البغدادى فى طريقه التى لم ينسج على منوالها غيره فان الشيخ جمال الدين ابن نباتة قال فى خطبة كتابه المسمى بتلطيف المزاج فى شعر ابن حجاج فانى رأيت نتائج افكار الشعراء ذرية بعضها من بعض وامم اشعارهم تبعث جميعها فى صعيد واحد من الارض الا اشعار الاديب الفريد ابى عبد الله الحسين بن حجاج فانها امة غريبة تبعث وحدها وذرية عجيبة تبلغ باتقان اللهو واللعب رشدها لم يخط خاطرا احد مثالها خبرا ولا استطاع على معارضة شهدها صبرا انتهى قول الشيخ جمال الدين واستطراده الموعود بذكره

قوله

تفديك امى وابى * وابنى وان كان صبى

يا من اليه حيثما * وجدته منقلبى

يا من مديح غيره * عندى عزيز المطلب

لحية من يشنأك فى * حال رضا وغضب

من عين من يطلبها * بالليل فى است محتبى

الناس وايقن الجلاس انى املك من نفسى ما لا يملكه وأسلك من طريق الحلم ما لا يسلكه ثم عطفت عليه وقلت يا ابا بكر ان الحاضرين قد عجبوا من حلمى اضعاف ما عجبوا من علمى وتعجبوا من عقلى أكثر مما تعجبوا من فضلى وبقى الآن ان يعلموا ان هذا السكوت ليس عن عىّ وأن تمكنى للسفه اشد استمرارا من طبعك وغربى فى السخف امتن عودا من نبعك وسنقرع باب السخف معك ونفترع من ظهر السفه مفترعك فتكلم

٢ قوله على الاستطراد كذا فى النسخ وصوابه الى الاستطراد وقوله بعد ذلك من الاستطراد كذا فى النسخ وصوابه الى الاستطراد

٣ قوله ومن استطرادات الخ كذا فى النسخ وهو خبر مقدم لم يذكر مبتدأه ولو قال ولنذكر بعض استطرادات الخ لسلم من هذا

واسمه ام الشكو * لثقل استها والريب
ذات حر أوسع من * شارع باب اللعب
وشعرة غليظة * ذات نبات اشيب
قد شاب منها بعضها * وبعضها لم يشب
تفت منها طاقة * بشدة او تعب
فاشكت انها * لحية بن الحلى

ومنها فى الاستطرادات الغريبة لما بلغه ان المهذب يعشق ابن اخيه وشكر ذلك ويعقد الأيمان عليه بسببه قوله

جارية مثل شرا * ع المضرب المطنب
صعدت من علها * بالليل فوق مرقب
حتى رأيت ابن اخى * بحضرة المهذب

ومثله قوله من قصيدة

حتى متى أفديك ياستى * بندف قطن استك دفاستى
متى ارى سرمك منهدما * وخصيتى تنهزم من تحتى
قالت بهذا الاير واستعقرت * وكان قد نام على بختى
قلت نعم هذا على مابه * قد ضرط الجنث فالتت
هذا اذا قام استوى طوله * بطول ساقيك اذا نمت
فلو رأيته على بيضه * مثل ابى منصور فى الدست
خريت بالطول على عارضى * صاحب ديوانى او بلت
* يا أيها الاستاذيا من به * يمسى كما أملته وقتى
خذ بيدى انى فى محنة * زلقت فيها فى خرا تحتى

وأما قول القاضى الفاضل فى هذا الباب على طريقته الفاضلة فانه عجيب وهو

لى عندكم دين ولكن هل له * من طالب وفؤادى المرهون
فكانى الف ولام فى الهوى * وكان موعد وصلكم تنوين

ومثله قول مسلم بن الوليد

سريت بها حتى تجلت بغرة * كغرة يحيى حين يذكر خالد

وغاية الغايات فى هذا الباب قول عبد المطلب جد النبى صلى الله عليه وسلم

لنا نفوس لنيل المجد عاشقة * ولو تسلت اسلناها على الاسل
لا ينزل المجد الا فى منازلنا * كالنوم ليس له مأوى سوى المقل

انظر الى هذه البلاغة الهاشمية كيف جمعت بين حشمة الافتخار وتفخيم الحماسة وبديع الافتنان وغريب الاستطراد ورقة الانسجام انتهى الكلام على بيت الشيخ صفى الدين الحلى وبيت العميان

قد افصح الضب تصديقا لبعثته * افصاح قس وسمع القوم لم يهم

الآن فقال لى انا قد كسبت بهذا العقل دية أهل همذان مع قلته فما الذى افدت انت بعقلك مع غزارته فقلت أما قولك دية أهل همذان فما اولالى أن لا أجيب عنه لكن هذا الذى تمدح به وتتبجح وتتشرف وتتصلف من انك شحذت فاخذت وسألت فصلت واجتديت فاقتنيت فهذا عندنا صفة ذم يا عافاك الله ولأن يقال للرجل يا فاعل يا صانع احب اليه من ان يقال يا شحاذ ويا مكدى وقد صدقت انت فى هذه الحلبة اسبق وفى هذه الحرفة اعرق ولعمرك انك اشحذ وانك فى الكدية انفذ وانا قريب العهد بهذه الصنعة حديث الورد لهذه الشرعة مرمد المد فى هذه الرقعة فأما مالك فعندنا يهودى عمائك فى مذهبه ويزيدك بذهبه ومع ذلك لا يطرفنى الابعين الرهبة ولاعيد الى الآيد الرغبة ولو كان حظا لأخطا مثل هذا العقل ولو كان المال غنما لما ادرك بهذا السعى ولكن عرفنى هل كنت فيما سلف من زمانك ونبت من اسنانك الاهاربا بذمائك مضرجا بدمائك مرتهنا بقولك بين وجنة

وهذا البيت على طريق الشيخ صفى الدين الحلى فان ناظمه قصد بذكر الاول التوصل الى الثانى وبيت الشيخ عز الدين الموصلى

يستطرد الشوق خيل الدمع سابقة * فيفضل السحب فضل العرب للعجم

الذى اقوله ان الشيخ عز الدين رحمه الله أحرز قصبات السبق بما استطرد هنا على الشيخ صفى الدين وعلى العميان مع التزامه بتسمية النوع المورى به من جنس الغزل ومراعاة جانب الرقة وتلم الاستطراد على الشرط المذكور وبيت بديعيتى

واستطردوا الخيل شوقى عنهم فكبت * وقصرت كلما الجنا بوصلهم

وهذا البيت غريب ولابد لاهل الادب من تأمل غريبه انتهى

(ذكر الاستعارة)

(وكان غرس التأنى يانعا فذوى * بالاستعارة من نيران هجرهم)

الاستعارة عندهم افضل من المجاز وهى اخص منه اذ قصد المبالغة شرط فى الاستعارة دون المجاز وموقعها فى الاذواق السليمة ابلغ وليس فى انواع البديع اعجب منها اذا وقعت فى مواقعها والناس فيها اختلاف كثير وأما اصحاب المعانى والبيان فانهم اطلقوا فيها اعنة اقلامهم وجالوا بها فى ميادين البحوث وليس الغرض هنا الا نفس الاستطراد الى ماوقع فيها من المحاسن نظما ونثرا بعد تقريبها الى الاذهان بحد ويزول بها الالتباس * حد الرمانى الاستعارة فقال هى تعليق العبارة على غير ما وضعت له فى أصل اللغة على سبيل النقل وذكر ابن الخفاجى كلام الرمانى وقال تفسير هذه الجملة قوله عز وجل واشتعل الرأس شيبا استعارة لان الاشتعال للنار ولم يوضع فى اصل اللغة للشيب فلما نقل اليه بان المعنى لما اكتسبه من التشبيه لان الشيب لما كان يأخذ من الرأس شيأ فشيأ حتى يحيله الى غير لونه الاول كان بمنزلة النار التى تسرى فى الخشب حتى تحيله الى غير حاله المتقدمة فهذا هو نقل العبارة عن الحقيقة فى الوضع للبيان ولابد ان تكون الاستعارة ابلغ من الحقيقة لاجل التشبيه العارض فيها لان الحقيقة لو قامت مقامها لكانت اولى بها ولا يخفى على اهل الذوق أن قوله تعالى واشتعل الرأس شيبا ابلغ من كثر شيب الرأس وهو حقيقة ولا بد للاستعارة من مستعار منه ومستعار ومستعار له فالنار مستعار منها والاشتعال مستعار والشيب مستعار له انتهى * ومنهم من قال هى ادعاء معنى الحقيقة فى الشئ للمبالغة فى التشبيه وهذا يؤيد قول ابن جنى ان لم تكن الاستعارة للمبالغة والا فهى حقيقة وكلام ابن جنى حسن فى موضعه فان الشئ اذا اعطى وصف نفسه لم تكن استعارة وقال ابن المعتز هى استعارة الكلمة لشئ لم يعرف بها من شئ عرف بها كقول النبى صلى الله عليه وسلم ضموا ماشيتكم حتى تذهب فحمة العشاء فاستعار صلى الله عليه وسلم الفحمة للعشاء لقصد حسن البيان ومنهم من قال هى استعارة الشئ المحسوس للشئ المعقول قال فخر الدين الرازى هى جعلك الشئ للشئ للمبالغة فى التشبيه وقال ابن ابى الاصبع فى تحرير التحبير هى نقل اسم الراجح الى المرجوح لطلب المبالغة فى التشبيه وحسن البيان فانك اذا قلت زيدا اسد فقد نقلت اسم الاسد لزيد لكن الاسد راجح فى الجراءة وزيد مرجوح وقد بالغت فى تشبيه زيد بالاسد واحسنت البيان انتهى ولا تحسن الاستعارة

(الاستعارة)

موشومه وجوارح مهشومه ودار مهدومه وخدود ملطومه ومتى صفت مشاربك اواخصبت مرابعك الا فى هذه الايام القذرة وستعرف غدك من بعد وتنكر أمسك وتعلم قدرك فى غد وتعرف نفسك وما أضيع وقتا أنطقته بذكرك واساءا دنسته باسمك وملت الى القوال فقلت أسمعنا خيرا فدفع القوال وغنى ابياتا منها

وشبهنا بنفسج عارضيه
بقايا اللطم فى الخد الرقيق

فقال ابو بكر احسن ما فى الامر انى احفظ هذه القصيدة وهو لا يعرفها فقلت يا عافاك الله اعرفها وان انشدتكها ساءك مسموعها ولم يسرك مصنوعها فقال انشد فقلت انشد ولكن روايتى تخالف هذه الرواية وأنشدت

وشبهنا بنفسج عارضيه
بقايا الوشم فى الوجه الصفيق

الا اذا كان التشبيه مقررا وكلما زاد التشبيه خفاء زادت الاستعارة حسنا وما احسن قول ذي الرمة هنا

أقامت بها حتى ذوى العود في الثرى * وكف الثريا في ملاءته الفجر

فاستعار للفجر ملاءة واخرج لفظه مخرج التشبيه وكان ابو عمرو بن العلاء لا يرى ان لاحد مثل هذه الاستعارة واحسن الاستعارات ما قرب منها دون ما بعد واعظمها في هذا الباب قوله تعالى والصبح اذا تنفس فان ظهور الانوار من المشرق من اشعة الشمس قليلا قليلا بينه و بين اخراج النفس مشابهة شديدة القرب ومن هذا النور استضاء الحريري في مقاماته بقوله الى أن عطس انف الصباح وقد تقدم ان بعد الاستعارة يبعد من القلوب عند أهل الذوق كقول ابي نواس مع يقظته

بح صوت المال مما * منك يشكو و يصيح

فاي شئ ابعد استعارة من صوت المال وكيف يصيح و يبح من الشكوى ومثله قول بشار

وجدت رقاب الوصل اسياف هجرنا * وقدت لرجل البين نعلين من خدي

قال ابن رشيق في العمدة ما اقبح رجل البين واهجن استعارتها وكذلك رقاب الوصل ومثله قول ابن المعتز وهو من انقد النقاد

* كل يوم يبول زب السحاب *

واين هذا البعد من قرب استعارة ابن نباتة القديم في قوله

حتى اذا نهر الاباطح والثرى * نظرت اليه باعين النوار

فنظر اعين النوار من اشبه الاستعارات وأليقها وأقربها لان النوار يشبه العيون اذا كان مقابلا لمن يمر به كانه ناظر اليه ويعجبني هنا قول القائل ولم يلحق فيما قاله

مجرة جدول وسماء آس * وانجم نرجس وشموس ورد

ورعد مثالث وسحاب كاس * وبرق مدامة وضباب ند

ومن الغايات في هذا الباب قول مجير الدين بن تميم

وليلة بت أسقى في غياهبها * راحا تسل شبابي من يد الهرم

مازلت اشربها حتى نظرت الى * غزالة الصبح ترعى نرجس الظلم

والذي اتفق عليه علماء البديع ان الاستعارة المرشحة هي المقدمة في هذا الباب وليس فوق رتبتها في البديع رتبة واعلاها واغلاها قوله تعالى اولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم فان الاستعارة الاولى وهي لفظ الشراء رشحت الثانية وهي لفظ الربح والتجارة ومن الاستعارات المرشحة قول الامام علي بن ابي طالب رضي الله تعالى عنه الدنيا من أمسى فيها على جناح امن أصبح فيها على قوادم خوف فان الاستعارة الاولى التي هي لفظ الجناح رشحت الثانية وهو لفظ القوادم مع زيادة المطابقة بين الامن والخوف والاصباح والمساء وناهيك بالبلاغة الهاشمية وباب المدينة وما احلى قول بعض العرب فيما جعلنا رماحنا ارشية الموت فاستقينا بها ارواح العدا ومثله قول الشاعر

سلامة بن نجاح * يجدحث الراح

فاتته السكتة واضمرته السكتة و انطفأت تلك الوقدة واهملت تلك العقدة واطرق مليا وقال والله لاضربنك وان ضربت ولاشتمنك وان شتمت ولتعلمن نبأه بعد حين ولتعلمن اينا الضارب واينا المضروب وقلت يا ابا بكر مهلا فانك بين ثلاثة فصول لم تخطها من عمرك وثلاثة احوال لم تتعدها في امرك وانت في جميع الثلاثة ظالم في وعيدك متعد في تهديدك لانك كهل وانت شاعر وكنت شابا وأنت مقامر وكنت صبيا وانت مؤاجر فنطاق القدرة في الفصول الثلاثة ضيق عن هذا الوعيد لكن انصفعك الآن وتضربنا فيما بعد فقد قيل اليوم قصف وغدا خسف وقيل اليوم خمر وغدا امر فقال ابو بكر والله لو دخلت الجنة واتخذت السندس والاستبرق جنة لصفعت نقلت والله لو ان فقال

اذا تغنى زمرنا * عليه بالاقداح

ومثله لابن سكرة وشتان بين قوله هنا وبين قوله فى الكافات

قبل ما اعددت للبرد * فقد جاء بشده

قلت دراعة عرى * تحتها جبة رعده

والذى يشاهنا قول القائل

والشمس لا تشرب خمر الندى * فى الروض الا بكؤس الشقيق

ومثله قول ابن رشيق رحمه الله

باكر الى اللذات واركب لها * سوابق اللهو ذوات المزاح

من قبل ان ترشف شمس الضحى * ريق الغوادى من ثغور الاقاح

وما الطف قول ابى زكريا المغربى وقد ترجمه ذو الوزارتين لسان الدين ابن الخطيب فى تاريخه المسمى بالاحاطة فى تاريخ غرناطة وهو

نام طفل النبت فى حجر النعامى * لاهتزاز الطل فى مهد الخزامى

كحل الفجر لهم جفن الدجى * وغدا فى وجنة الصبح لثاما

تحسب البدر محياً ثملا * قد سقته راحة الصبح مداما

ويعجبنى هنا قول ابن قلاقس

وفى طى ابراد النسيم خميلة * باعطافها نور المنى يتفتح

تضاحك فى سر المعاطف عارضا * مدامعه فى وجنة الروض تسفح

وتورى به كف الصبا زند بارق * شرارته فى فحمة الليل تقدح

وقال ابو الحسن على بن ظافر العسقلانى فى كتابه المسمى ببدائع البداية اجتمعت انا والقاضى الاعز يوما فى روضة فقلت له اجز * طار نسيم الروض من وكر الزهر * فقال وجاء مبلول الجناح بالمطر * وما ابدع قول ابن خفاجة فى هذا الباب

وقد نظرت شمس الاصيل الى الربا * باضعف من طرف المريب وافترا

وصفرة مسواك الاصيل تروقنى * على لعس من مسقط الشمس اسمرا

وممن تلطف فى استعمال الاستعارة المرشحة الى الغاية مجد الدين الاربلى بقوله

اصغى الى قول العذول بجملتى * مستفهما عنكم بغير ملال

لتلقطى زهرات ورد حديثكم * من بين شوك ملامة العذال

وممن جاراه فى هذه الحلبة ابو الوليد بن حيان الشاطبى بقوله

فوق خد الورد دمع * من عيون السحب يذرف

برداء الشمس اضحى * بعد ما سال يجفف

وظريف قول مجير الدين بن تميم منها

كف السبيل لان اقبل خدمن * أهوى وقد نامت عيون الحرس

وأصابع المنثور تومى نحونا * حسدا وتغمزها عيون النرجس

ومثله قوله

غدا فى درج فى خرج فى برج لاخذلك من النعال ما قدم وما حدث وشملك من الصفع ما طاب وخبث وانشدت قول ابن الرومى

ان كان شيخا سفيها
يفوق كل سفيه
فقد اصاب شبيها
له وفوق الشبيه

ثم لما آبت نفس العقل وزال سكر الغيظ تمثلت بقول القائل

وازلنى طول النوى دار غربة * اذا شئت لاقيت امرأ لا اشاكله
أحامقه حتى يقال سجية * ولو كان ذا عقل لكنت أعاقله

ودفع القوال فبدأ بأبيات ولحن باصوات وجعل النعاس يثنى الرؤس ويمنع الجلوس فقمنا عن الليل وهو بحر مائل الذقن الى ما وطأ من مضجع ومهد من مهجع ولم يكن النوم ملء الجفون ولا شغل العيون حتى اقبل وفد الصباح وجعل المؤذن

لما ادعى المنثور انَّ الورد لا * يزهو وانَّ جسمى بنار سعير
ودت ثغور الاقحوان لو انها * كانت تمص اصابع المنثور

ومثله قوله

كيف السبيل للثم من احببته * فى روضة للزهر فيها معرك
ما بين منثور اقام ونرجس * مع اقحوان فضله لا يدرك
هذا يشير باصبع وعيون ذا * ترنو الىَّ وثغر هذا يضحك

وما احلى قول محيى الدين بن قرناص الحموى

قد اتينا الرياض حين تجلت * وتحلت من النبت اجمل حليها
ورأينا خواتم الزهر لما * سقطت من انامل الاغصان

وقال البدر الذهبى واجاد

هلم يا صاح الى روضة * يجلو بها العانى صدا همه
نسيمها يعثر فى ذيله * وزهرها يضحك فى كمه

ومثله قول ابن عمار

يا ليلة بتنا بها * فى ظل اكناف النعيم
من فوق اكمام الربا * ض وتحت اذيال النسيم

واما مطلع قصيد ابن النبيه فى هذا الباب فانه ابهى من مطالع الاقمار * وديباجة الاستعارة من حليه تستعار * وهو

تبسم ثغر الزهر عن شنب القطر * ودب عذار الظل فى وجنة النهر

وهذا المعنى مولد من قول ابن خفاجة الاندلسى

* وطرة ظل فوق وجه غدير *

ولكن ابتسام ثغر الزهر عن شنب القطر فى قول ابن النبيه غاية وتلطف الشريف العقيلى فى هذا الباب بقوله

وروضة الجام فيها * من زهرة الراح ورد
فاشرب على وجه روض * له من الماء خد

وما احلى قول القاضى السعيد بن سناء الملك هنا

ولبعدهم طالت ذوائب ليلهم * فيها تغطى ضوء وجه نهارهم

واحلى منه قوله

سرى طيفه لا بل سرى لى شرابه * وقد طار من وكر الظلام غرابه
اتى مع نقس الليل صفحة خده * فقلت حبيب قد اتانى كتابه

وقال من غيرها بشوك القنا يحمون شهد رضابها

وما احلى تكميله بقوله * ولا بد دون الشهد من ابر النحل

ومثله قوله

الى حبائل صيد من ذوائبه * فصاد قلبى باشراك من الشعر

واحلى منه قوله

خصر ادير عليه معصم قبلة * فكأن تقبيلى له تعنيق

بالفلاح وندب الى النهوض بالمفروض فاجبنا فلما قضينا الفرض فارقنا الارض فأوى الى ام مثواه واويت الى الحجرة وظنى ان هذا الفاضل ياكل يده ندما ويبكى على ما جرى دمعا ودما فانه اذا سمع بحديث همذان قال الهاء هم والميم موت والذال ذل والالف آفة والنون ندامة وانه اذا نام هاله مناطيف واذا انتبه راعه مناسيف واخذ الناس يتراهزون بما جرى ويتغامزون وراب هذا الفاضل غمزاتهم مثل ماراب المريض تغامز العوّاد فجعل يحلف الناس بالعتق وتحرير الرق والمكتوب فى الرق انه اخذ قصب السبق وانه ينطق عن الحق والناس اكياس لا يقنعهم عن المدعى يمين دون شاهدين وسعوا بيننا بالصلح يحكمون قواعده ومعاقده وعرفناه فضل السن فقصدناه معتذرين

وغاية الغايات قوله

بعثت لى على فم الطيف قبله * فأتانى ببعض المسرة جله

ومن الاستعارات الحسنة فى هذا الباب قول شمس الدين بن العفيف فى مديح النبى صلى الله عليه وسلم

حيا الثنايا تربة الهادى الرسول حيا * يطلق الرعد بادمن فم السحب

وظريف هنا قول ابن قلاقس

هدتنا السرور نجوم راح * بها قذفت شياطين الهموم

وكف الصبح تلقطها تبدى * بجيد الليل من درر النجوم

ومن اللطائف فى هذا الباب قول ابى الحسن العقيلى

لنا اخ يحسن ان يحسنا * رضاه للجانين عذب الجنى

قد عرفت روضة معروفه * بانها تنبت زهر الغنى

اذا تبدى وجه احسانه * تنزهت فيه عيون المنى

ويعجبنى فى الاستعارة المرشحة قول ابن سعيد الموصلى من قصيدة يتشوق فيها الى دمشق المحروسة فانه اتى فيها فى بيت واحد باستعارات كثيرة مع اجتناب الحشو ومطلع القصيدة قوله

سقى دمشق واياما مضت فيها * مواطر السحب ساريها وغاديها

وبيت الاستعارة بعده

ولا يزال جنين النبت ترضعه * حوامل المزن فى احشا اراضيها

ومن اغرب الاستعارات وأبدعها واحشمها قول ابن زيدون من قصيدته النونية المشهورة

سران فى خاطر الظلماء يكتمنا * حتى يكاد لسان الصبح يفشينا

وقد عن لى ان انثر فى حدائق الاستعارة نبذة من زهر المنثور واورد منه مايزهو بورده على روضات الزهور كقول القائل وطفقنا نتعاطى شموسا من أكف بدور وجسوم نار فى غلائل نور الى ان ذاب ذهب الاصيل على لجين الماء وشبت نار الشفق فى فحمة الظلماء ومثله قول على بن ظافر الحداد فى دوح انعطفت قدود أشجاره وابتسمت ثغور ازهاره وذر كافور رمانه على عنبر طينه وامتدت بكاسات الجلنار انامل غصونه وقال آخر وأجاد وقد عرق بالندا جبين النسيم وابتل جناح الهواء وضربت خيمة الغمام واغرورقت مقلة السماء وقام خطيب الرعد فنبض عرق البرق ولقد حاز القاضى الفاضل قصبات السبق فى هذا الميدان بقوله كتبها المملوك وقد عمشت مقلة السراج وشابت لمة الدواة وخرس لسان القلم وكل خاطر السكين وضاق صدر الورق وما احلى قول القاضى محى الدين بن عبد الظاهر والاغصان قد اخضر نبات عارضها ودنانير الازهار ودراهمها قد تهيأت لتسليم قابضها وقال جمال الدين بن نباتة كتبها المملوك ودمع الغيث قد رقا ووجه الارض قد راق وقدود الاغصان قد راسلت اهواء القلوب بالاوراق وقيان حمائمها قد ترنمت وجذبت القلوب بالاطواق والورد قد احمر خده الوسيم وفككت ازراره من اجياد القضب انامل النسيم وخرجت أكفه من أكمامه لاخذ البيعة على

اليه فاو ما ايماءة مهيضة واهتز اهتزازة مغيضة واشار اشارة مريضة بكف مصها على الهواء سحبا وبسطها فى الجو بسطا وعلمنا أن للمقمور ان يستخف ويستهين وللقاهر ان يحتمل ويلين فقلنا ان بعد الكدر صفوا كما ان عقب المطر صحوا فهل لك فى خلق فى العشرة نستأنفها وطرق فى الخلطة نسلكها فان ثمرة الخلاف ما قد بلوتها فقال ظهر الوفاق لفظا كما ذكرت والجميل اجمل كما علمت وسنشترك هذا العنان وعرض علينا الاقامة عنده صحابة ذلك اليوم فاعتللنا بالصوم فلم يقبل العذر والح فقلت انت وذاك فطعمنا عنده واخذنا دنانير مزده وخرجنا والنية على الجميل موفورة وبقعة الود معمورة وصرنا لانتعال الابحمده ولا ننتقل الا بذكره ولا نمتد الا بوده لا بل

الازهار بالتقديم ومما كتبته في البشارة الصادرة عن الملك المؤيد عند عوده من البلاد الرومية وحلول ركابه الشريف بحلب المحروسة المتضمنة ما من الله به من الفتح الذي صار له في الروم قصص سنة عشرين وثمانمائة فمن ذلك قولي عند حصار قلعة طرسوس وفتحها ورأوا ألسن السهام في افواه تلك المرامي فقالوا رأينا المصائب ناطقة ومارموا على سماء برج غيوم ستائر الا لمعت فيها من بوارق تقوطها بارقة وحكم عليهم القضاء بالاعتقال ولم يأتوا عند ذلك الحكم بدافع هذا بعد ما صفق مقبلهم جادوجهه فبصقت فيه أفواه المدافع وقولي في الاستعارة المرشحة أيضا عند حصار قلعة درندة وفتحها وقررنا صدع سورها باختلاف الآلات فلما قررناه نقشا على حجر وادعت ان صخرها اصم فاسمعناه من آذان المرامي تنقير المدافع وتحريك الوتر وقرعنا سن جبالها بنابات المدافع وكسرنا منه الثنية وامست حلق مراميها كالخواتم في أصابع سهامنا المستوية ومثله قولي عند حصار قلعة كختار وفتحها على لسان حال القلعة في سموها وافراط علوها فانا الهيكل الذي ذاب قلب الاصيل على تذهيبه وودّ دينار الشمس ان يكون من تعاويذه والشجرة التي لولا سمو فرعها تفكهت به حبات الثريا وانتظمت في سلك عناقيده وتشامخ هذا الحصن ورفع أنف جبله وتشامم فارمدنا عيون مراميه بدم القوم وأميال سهامنا على تكحيلها تتزاحم وغاية الغايات في هذا الباب قولي عند حصار قلعة كركر وتنكرت اكراد كركر بسور القلعة فعرفناهم بلامات القسي وألفات السهام وعطست انوف مراميها باصوات مدافعنا وكان بها زكام ومن حسن ختامها ولم نخرج عما نحن فيه من بديع الاستعارة وغريبها قولي فلا بكر قلعة الا افتضينا بكارتها بالفتح وابتذلنا من ستائرها الحجاب ولا كاس برج اترعوه بالتحصين الا توجنا رأسه من حبات مدافعنا بالحباب انتهى ولم احبس عنان القلم عن الاستطراد الى ما وقع لي من محاسن الاستعارة نظما الا للتخفيف عن بيت البديعية وقلت تكفيه المزاحمة في مناظرة الشيخ صفي الدين الحلي ومبارزة الشيخ عز الدين الموصلي رحمه الله وحمل ثقل العميان فبيت الشيخ صفي الدين رحمه الله في بديعيته وهو الشاهد على نوع الاستعارة

ان لم أحث مطايا العزم مثقلة * من القوافي تؤم المجد عن أمم

وبيت العميان

يقول صحبي وسفن العيس خائضة * بحر السراب وعين القيظ لم تنم

بيت الشيخ صفي الدين وبيت العميان لم يحسن السكوت عليهما ولا تتم الفائدة بهما فان بيت الشيخ صفي الدين متعلق بما قبله وبيت العميان متعلق بما بعده وبيت الشيخ عز الدين صالح للتجريد وهو

دع المعاصي فشيب الرأس مشتعل * بالاستعارة من ازواجها العقم

اقول ولو بلغت ما عسى ان يكون ان في قوله من ازواجها العقم ما يرعب السامع وبيت بديعيتي

وكان غرس التمني يانعا فذوى * بالاستعارة من نيران هجرهم

وقد تقدم ان المقدم عند علماء البديع الاستعارة المرشحة فلفظة غرس رشحت بيانع واما قولي بالاستعارة من نيران هجرهم بعد ذوى فما اعده الا من المنح الالهامية فان اسم النوع

ملأنا البلد شكرا والاسماع نشرا وبينما نحن من الحال في اعذبها شرعة ومن الثقة في أطيبها جرعة ومن الظنون في احلها فرعة ومن المودة في اعزها بقعة واوسعها رقعة حتى طرأ علينا رسولان متحملان لمقالته مؤديان لرسالته ذاكران ان ابا بكر يقول قد تواترت الاخبار وتظاهرت الآثار في أنك قهرت واني قهرت ولا أشك ان ذلك التواتر عنك صدرت او اثله والخبر اذا تواتر به النقل قبله العقل ولا بد ان نجتمع في مجلس بعض الرؤساء فنتناظر بمشهد الخاصة والعامة فانك متى لم تفعل ذلك لم آمن عليك تلامذتي او تقر بعجزك وقصورك عن بلوغ امدي وما أبدى فعجبت كل العجب مما سمعت واجبته فقلت اما قولك قد تواتر الخبر بانك قهرت وان ذلك عن جهتي صدر

الذى هو الاستعارة جمع بين التورية والاستعارة والترشيح مع عدم الحشو وصحة التركيب والمشى على جادة الرقة والالتزام بتسمية النوع مورى به من جنس الغزل انتهى

(ذكر الاستخدام)

(واستخدموا العين منى وهى جارية * وقد سمحت بها أيام عسرهم)

الاستخدام هو استفعال من الخدمة وأما فى الاصطلاح فقد اختلفت العبارات فى ذلك على طريقتين الاولى طريقة صاحب الايضاح ومن تبعه ومشى عليها كثير من الناس وهى ان الاستخدام اطلاق لفظ مشترك بين معنيين فتريد بذلك اللفظ أحد المعنيين ثم تعيد عليه ضميرا تريد به المعنى الآخر أو تعيد عليه ان شئت ضميرين تريد باحدهما أحد المعنيين وبالآخر المعنى الآخر وعلى هذه الطريقة مشى أصحاب البديعيات والشيخ صفى الدين الحلى والعميان والشيخ عز الدين وهلم جرا الثانية طريقة الشيخ بدر الدين بن مالك رحمه الله تعالى فى المصباح وهى ان الاستخدام اطلاق لفظ مشترك بين معنيين ثم يأتى بلفظين يفهم من احدهما أحد المعنيين ومن الآخر المعنى الآخر ثم ان اللفظين قد يكونان متأخرين عن اللفظ المشترك وقد يكونان متقدمين وقد يكون اللفظ المشترك متوسطا بينهما والطريقتان راجعتان الى مقصود واحد وهو استعمال المعنيين وهذا هو الفرق بين التورية والاستخدام فان المراد من التورية هو احد المعنيين وفى الاستخدام كل من المعنيين مراد ونقل الشيخ صلاح الدين الصفدى فى كتابه المسمى بفض الختام عن التورية والاستخدام مايؤكد هذا فانه قال المشترك اذا لزم استعماله فى مفهوميه معا فهو الاستخدام وان لزم فى أحد مفهوميه فى الظاهر مع لمح الآخر فى الباطن فهو التورية ومنهم من قال الاستخدام عبارة عن ان يأتى المتكلم بلفظة مشتركة بين معنيين اشتراكا أصليا متوسطة بين قرينتين تستخدم كل قرينة منهما معنى من معنى تلك اللفظة المشتركة وهذا مذهب ابن مالك وعلى كل تقدير فالطريقتان راجعتان الى مقصود واحد وهو استعمال المعنيين بضمير وغير ضمير وأعظم الشواهد على طريقة ابن مالك ومن تبعه قوله تعالى لكل أجل كتاب يمحو الله مايشاء ويثبت فان لفظة كتاب يحتمل ان يراد بها الاجل المحتوم والكتاب المكتوب وقد توسطت بين لفظتى اجل ويمحو فاستخدمت أحد مفهوميها وهو الامد بقرينة ذكر الاجل واستخدمت المفهوم الآخر وهو الكتاب المكتوب بقرينة يمحو ومنه قوله من القصيدة النباتية

حويت ريقا نباتيا حلا فغدا * ينظم الدر عقدا من ثناياك

فان لفظة نباتى يحتمل الاشتراك بالنسبة الى السكر والى ابن نباتة الشاعر وقد توسطت بين الريق وحلاوته وبين الدر والنظم والعقد فاستخدمت احد مفهوميها وهو السكر النباتى بذكر الريق والحلاوة واستخدمت المفهوم الآخر وهو قول الشاعر النباتى بذكر النظم والدر والعقد وليس فى جانب من المفهومين اشكال وأما شاهد الضمائر على طريق صاحب الايضاح فجميع كتب المؤلفين لم يستشهدوا فيها على عود الضمير الواحد الا بقول القائل

اذا نزل السماء بارض قوم * رعيناه وان كانوا غضابا

فلفظة السماء يراد بها المطر وهو أحد المعنيين والضمير فى رعيناه يراد به المعنى الآخر وهو

(الاستخدام)

ومن لسانى سجع فبالله ما اتمدح بقهرك ولا أتبجح بقصرك وان لنفسك عندك لشأنا ان ظننتنى أقف هذا الموقف أنا ان شاء الله تعالى أبعد مرتقى همة وصعد نفس أسأل الله ستر ايمتد ووجها لايسود فاما التواتر من الناس والتظاهر على انى قهرتك فلو قدرت على الناس لخطت افواههم ولقبضت شفاههم فما الحيلة وهل الى ذلك سبيل فاتوسل أم ذريعة فاتوصل ثم هذا التواتر ثمرة ذلك التناظر مع ذلك التساتر فان كان قد ساءك فاحرى ان يسوءك عند مجمع الناس ومحتفل أولى الفضل ولان يترك الامر محتملا فيه خير لك من ان يتفق عليه وان احببت ان تطهر هذا الواقع وتهيج هذا الساكن فرأيك موفقا فاما هذا الوعيد فقد عرضته

النبات وأما شاهد الضميرين فانهم لم يظفر بجوابه عن قول البحتري وهو

فسقى الغضى والساكنيه وان هم * شبوه بين جوانحي وضلوعي

فان لفظة الغضى محتملة الموضع والشجر والسقيا صالحة لكل منهما فلما قال والساكنيه استعمل احد معنى اللفظة وهو الموضع بدلالة القرينة عليه ولما قال شبوه استعمل المعنى الآخر وهو الشجر بدلالة القرينة عليه انتهى والشيخ صفى الدين رحمه الله لم يستطرد فى شرح بديعيته الى غاية ذلك ولكن رأيته فى شرحه قد أورد على بيت البحتري نقدا حسنا ليس فيه تحمل ولا اشكال فانه قال شرط علماء البديع ان يكون اشتراك لفظة الاستخدام اشتراكا أصليا والنظر هنا فى اشتراك لفظة الغضى فانه ليس بأصلي لان أحد المعنيين منقول من الآخر والغضى فى الحقيقة الشجر وسموا الوادى غضى لكثرة نبته فيه وقالوا جمر الغضى لقوة ناره فكل منقول من أصل واحد ولم يرد فى كتب المؤلفين غير هذين البيتين وقول أبي العلاء

قصد الدهر من ابى حمزة الاواب مولى حجى وخدن اقتصاد

وفقيها افكاره شدن للنعمان مالم يشده شعر زياد

فالنعمان يحتمل هنا اباحنيفة رضى الله عنه ويحتمل النعمان بن المنذر ملك الحيرة فان الزمخشري صنف كتابا فى مناقب أبي حنيفة سماه شقائق النعمان فى حقائق النعمان وأما أبو العلاء فانه أراد بلفظ النعمان اباحنيفة وأراد بالضمير المحذوف ابن المنذر ملك الحيرة وزياد هنا هو النابغة وكان معروفا بمدح النعمان بن المنذر وهذا يصح على طريقة ابن مالك فان فقيها يخدم أبا حنيفة وشعر زياد يخدم النعمان بن المنذر ولا يصح على مذهب صاحب الايضاح فان ضمير يشده لم يعد على واحد منهما لان شرط الضمير فى الاستخدام ان يكون عائدا على اللفظة المشتركة ليستخدم بها معناها الآخر كما قال البحتري فى شبوه فهذا الضمير عائد على الغضى وهذا جعل الضمير فى يشده غير عائد على اللفظة المشتركة التى هى النعمان فصار طيب الذكر الذى يشيده زياد لا يعلم لمن هو لان الضمير لا يعود على النعمان اللهم الا ان يكون التقدير مالم يشده له فيعود الضمير على النعمان بهذا التقدير انتهى وما أحلى قول بعض المتأخرين مع عدم التعسف والسلامة من النقد وصحة الاشتراك الاصلى وهو

وللغزالة شئ من تلفته * ونورها من ضيا خديه مكتسب

وأنا بالاشواق الى معرفة الناظم وهذا النوع أعنى الاستخدام قل من البلغاء من تكلفه وصح معه بشرطه لصعوبة مسلكه وشدة التباسه بالتورية وقد تقدم ما أوردنا فيه من النقد على بيتى البحتري وأبي العلاء وهو أعلى رتبة عند علماء البديع من التورية وأحلى موقعا فى الاذواق السليمة ولكن قل من ظفر منه بسلامة التخلص من علاق النقد وصعد من غور التعسف الى نجد السهولة قال الشيخ صلاح الدين الصفدى فى كتابه المسمى بفض الختام عن التورية والاستخدام ومن أنواع البديع ما هو نادر الوقوع ملحق بالمستحيل الممنوع وهو نوع التورية والاستخدام الذى تقف الافهام حسرى دون غايته عند مرامى المرام

نوع يشق على الغبى وجوده * من أى باب جاء يغدو مقفلا

لا يفرع هضبته فارع ولا يقرع بابه قارع الا من نحا البلاغة نحوه فى الخطاب ويجرى

على جوانحى اجمع وجوارحى كلها فلم تنشد الا بيت القائل

وعيد تخرج الآرام منه * وتكره نية الغنم الذئاب

فكم تتكوكب تلامذتك ويتعسكرون ويتجيش أصحابك ويتجرفون واستاراك الابن تتين احداهما (تروح الى اتى وتغدوا الى طفل) والاخرى تجيب دعوة المضطر اذا دعاك بمسافات

فان كان الله قضى أن القتل * بأخس السلاح فلا مفر من القدر المتاح

رزقنا الله عقلا به نعيش ونعوذ بالله من رأى بنا يطيش وقلنا من بعد ان رسالتك هذه وردت مورد المغتسبه ووصلت موقفا لم نرتقبه فلذلك خرج الجواب عن البصل نوما وعن الجذل لوما فلما ورد الجواب عليه وسع من الغيظ فوق طاقته وحمل من الحقد فوق عبئه وقال قد بلغ السيل الزبا وعلت

ربحها باسره رخاء حيث أصاب على ان المتقدمين ماقصدوه جملة كافيه ولا شعروا به لماشعروا انه دخل معهم فى بيت تحت قفل قافيه وأما المولدون من الشعراء كالفرزدق وجرير ومن عاصرهما وخاض معهما لجة بحر البلاغة فلم يرد أحد منهم ورد هذا الغدير وأما الذين تفقهوا من بعدهم فى الادب وتنبهوا التخلل طرقه بالطلب فربما قصدوا بعض أنواع البديع فجادت اذهانهم مرة وفاتت مرة أخرى وأخرى فاتت وقد قصد ابو تمام كثيرا من الجناس وفتح أبوابه وشرع طرقه للناس وأما التورية والاستخدام فما تنبه لمحاسنهما وتيقظ وتحرى وتحرر وتحفظ وتحفظ الامن تأخر من الشعراء والكتاب وتضلع من العلوم وتطلع من كل باب واظن ان القاضى الفاضل رحمه الله تعالى هو الذى ذلل منهما الصعاب وأنزل الناس بهذه الساحات والرحاب حتى ارتشف هذه السلافة أهل عصره وأصحابه الذين نزلوا ربوع مصره وخفقت رياحهم بالاخلاص فى نصره كالقاضى السعيد هبة الله بن سناء الملك ومن انخرط معه فى هذا السلك ولم يزل هو ومن عاصره على هذا المنهج فى ذلك الاوان ومن جاء بعدهم من التابعين باحسان الى ان جاء بعدهم حلبة اخرى وزمرة تترى فكلهم يرمون فى هذا الاحسان عن قوس واحده وينفقون من مادة هى فى الجود معن بن زائده ويصلون المقطوع بالمقطوع فلا تخلو فيه كلمة فائتة من فائده وغالب شعرهم على هذا النمط وا كثره درر اسماع متى تلتق تلتقط كابى الحسين الجزار والسراج الوراق والنصير الحمامى والحكيم شمس الدين بن دانيال والقاضى محيى الدين بن عبد الظاهر فهؤلاء هم الفحول الذين جدوا بعد القاضى الفاضل الى هذه الغايه ورفعوا رايه هذا النوع وكان كل منهم عرابة تلك الرايه تسابقوا جيادا والديار المصرية لهم حلبه وتلاحقوا أفرادا وهم فى شرف هذا الفن من هذه النسبه وجاء من شعراء الشام جماعة تأخر عصرهم وتأزر نصرهم ولان فى هذا النوع هصرهم وبعد حصرهم فيما أرادوه كما زاد حصرهم كل ناظم تود الشعرى لو كانت له شعرا ويود الصبح لو كان له طرسا والغسق مدادا والنثرة نثرا منهم شرف الدين عبد العزيز الانصارى شيخ شيوخ حماة والامير مجير الدين بن تميم وبدر الدين يوسف بن لؤلؤ الذهبى ومحيى الدين بن قرناص وشمس الدين بن محمد بن العفيف وسيف الدين بن المشد ثم ان الشيخ صلاح الدين قال فى آخر هذا الفصل وهؤلاء معهم جماعة يحضرنى ذكرهم عند شعرهم ويعز على ان لم ارهم على تكاثرهم لفوات عصرهم وكانى بقائل يقول لقد أفرطت فى التعصب لاهل مصر والشام على من دونهم من الانام وهذا باطن باطل وعدوان وحمية لاوطانك وماجاورها من البلدان فالجواب ان الكلام فى التورية والاستخدام لاغير ومن هنا تقطع المادة فى السير ومن ادعى انه ياتى بدليل وبرهان فالمقياس بيننا والشقراء والميدان وقد رجح صاحب يتيمة الدهر شعراء الشام على شعراء العراق وقال انهم حازوا قصبات السبق عليهم فى حلبة السباق فانهم قوم جبلت طباعهم على اللطافه وطبعت جبلاتهم على الكيس والظرافه انتهى كلام الشيخ صلاح الدين الصفدى قلت واتصل هذا الحديث القديم بالشيخ جمال الدين بن نباتة فاينع فرعه النباتى بغضه

الوهاد الرباقى أمرك وستوى فى يومك وتعرف فى قومك ثم مضت على ذلك أيام ونحن منتظرون لفاضل ينشط لهذا الفصل ويتطربننا بالعدل فاتفقت الآراء على أن يعقد هذا المجلس فى دار الشيخ أبى القاسم الوزير واستدعيت فسرحت الطرف من ذلك السيد فى عالم افرغ فى عالم وملك فى درع ملك ورجل تطم الى التنبل تبذلا والى الترفع تواضعا ونطق فودت الاعضاء لو انها اسماع مصغيه واستمع فتمنت الجوارح لو أنها السن ناطقه فقلت الحمد لله أن عقد هذا المجلس فى دار من يفرق بين من يحق ومن يرزق وكنت أول من حضر وانتظرت مليا حضور من ينتظر وقدوم من يناظر وطلع الامام أبو الطيب وأخذ من المجلس موضعه

ووريقه واستعبد التورية والاستخدام في سوق رقيقه فمن استخداماته ما أراناه من استخدام البحتري عبث الوليد وقلنا بعده في استخدام أبي العلاء ليس على الاعمى حرج فانه مشى على الحس في ظلمة التعقيد واستخدام الشيخ جمال الدين الموعود به قوله من قصيدة رائية امتدح بها النبي صلى الله عليه وسلم

اذا لم تفض عيني العقيق فلا رأت * منازله بالقرب تبهى وتبهر
وان لم تواصل عادة السفح مقلتي * فلا عادها عيش بمغناه أخضر

انظر أيها المتأمل الى صحة الاشتراك بين الاستخدامين وانسجام البيت الاول مع البيت الثاني وسيلان الرقة اذا القطر النباتي والتشبيب المرقص بالمنازل الحجازيه والغزل الذي يليق ان تصدر به المدائح النبويه ولعمري انه مشى على طريق صاحب الايضاح فزاده ايضاحا ولو دعى الى عروس الافراح زاده افراحا وهذه القصيدة التي ظفرت منها بهذين الاستخدامين محاسنها غرر في جباه القصائد ولانواع البديع بها صلة ومن أبياتها عائد منها

سقى الله اكناف الغضى سائل الحيا * وان كنت اسقى ادمعا تتحدر
وعيشا نضى عنه الزمان بياضه * وخلفه في الرأس يزهو ويزهر
تغير ذاك اللون مع من أحبه * ومن ذا الذي يا عز لا يتغير
وكان الصبا ليلا وكنت كحالم * فوا أسفي والشيب كالصبح يسفر
يعللني تحت العمامة كتمه * فيعتاد قلبي حسرة حين أحسر
وينكرني ليلى وما خلت انه * اذا وضع المرء العمامة ينكر

ومنها

وغيداء أما جفنها فمؤنث * كليل وأما لحظها فمذكر
يروقك جمع الحسن في لحظاتها * على أنه بالجفن جمع مكسر
يشف وراء المشرفية خدها * كما شف من دون الزجاجة مسكر
خليلي كم روض نزلت فناءه * وفيه ربيع للنزيل وجعفر
وفارقتها والطير صافرة بها * وكم مثلها فارقتها وهي تصفر

ومنها في وصف الناقة

ورب طموح العزم أدماء جسرة * يظل بها عزمي على البيد يجسر
طوت بذراعي وخدها شقة الفلا * وكف الثريا في دجى الليل يشبر
ومد جناحي ظلها الف الضحى * فشدت كما شد النعام المنفر
بصم الحصى ترى الحداة كأنما * تغار على محبوبها حين يذكر
اذا ما حروف العيس خطت بقفرة * غدت موضع العنوان والعيس أسطر
فلله حرف لا ترام كأنها * لوشك السرى حرف لدى الشد مضمر

وعارض الشيخ جمال الدين بن نباتة جماعة نسجوا على منواله في عصره لكن الذوق السليم يشهد أنهم كانوا خلاسة قطره وهذا الشرح هو جامعهم الكبير واذا ذكرت فيه نظائرهم فاعلم انه ليس لهم نظير نرجع الى الاستخدام وشواهده وايراد أبيات البديعيات فيه فبيت صفي الدين قوله

والامام أبو الطيب نفسه أمة وحده عالم ثم حضر السيد أبو الحسين وهو ابن الرسالة والامامة وعامر ارض الوحي والمحتبي بفناء النبوة والضارب في الادب بعرقه وفي النطق بحذقه وفي الانصاف بحسن خلقه يجشم الى المجلس قدم سبقه وجعل يضرب عن هذا الفاضل بسيفين لامر كان قدموه عليه وحديث كان شبه اديه وفطنت لذلك فقلت أيها السيد أنا اذا سار غيري في التشيع برجلين طرت بجناحين واذا مت سواى في موالاة أهل البيت بلمعة دالة توسلت بغرة لائحة فان كنت أبلغت غير الواجب فلا يحملنك على ترك الواجب ثم ان لي في آل الرسول صلى الله عليه وسلم قصائد قد تطلعت حاشيتي البر والبحر وركبت الافواه ووردت

من كل أبلج واري الزند يوم قرى * مشمر عنه يوم الحرب مصطلم

وبيت العميان

ان الغضى لست أنسى أهله فهم * شبوه بين ضلوعي يوم بينهم

أقول لو عاش البحتري ماصبر للعميان على هذه السرقة الفاحشة فانهم أخذوا لفظه ومعناه وضميره وما اختشوا من الحرج ولا سلموا من النقد وبيت عز الدين

والعين قرت بهم لما بها سمعوا * واستخدموها من الاعدا فلم تنم

قوله والعين قرت بهم لما بها سمعوا في غاية الحسن فانه أتى بالاستخدام وعود الضمير في شطر البيت مع الانسجام والرقة واستخدامه في العين الناظرة وعين المال وأما قوله في الشطر الثاني واستخدموها من الاعدا فلم تنم ما اعلم ما المراد به فان الاستخدام في العين التي هي الجارحة قد تقدم والذي يظهر لي ان اضطراره الى تسمية النوع ألجأه الى ذلك وبيت بديعيتي

واستخدموا العين مني فهي جارية * وكم سمحت بها ايام عسرهم

فالتورية في جارية بعد استخدموها لم يوجد في سوق الرقيق مثلها والعود بالضمير مع تمكن القافية وعدم التكلف والحشو لايخفى على أهل الذوق السليم فان قافية مصطلم في بيت صفي الدين تمجه الاذواق انتهى الكلام على الاستخدام (ذكر الهزل الذي يراد به الجد)

*(والبين هازلني بالجد حين رأى * دمعي وقال تبردانت بالديم)*

قال صاحب التلخيص ومنه يعني فن البديع الهزل الذي يراد به الجد كقوله

اذا ماتميمي أتاك مفاخرا * فقل عدّ عن ذا كيف اكلك للضب

ولم يزد على ذلك شيأ والهزل الذي يراد به الجد هو ان يقصد المتكلم مدح انسان أوذمه فيخرج من ذلك المقصد مخرج الهزل والمجون اللائق بالحال كما فعل أصحاب النوادر مثل أشعب وابي دلامة وأبي العيناء ومزيد ومن سلك مسلكهم كما حكي عن اشعب انه حضر وليمة بعض ولاة المدينة وكان رجلا بخيلا فدعا الناس ثلاثة أيام وهو يجمعهم على مائدة فيها جدي مشوي فيحوم الناس حوله ولايمسه أحد منهم لعلمهم ببخله واشعب كان يحضر مع الناس ويرى الجدي فقال في اليوم الثالث زوجته طالق ان لم يكن عمر هذا الجدي بعد ان ذبح وشوي اطول من عمره قبل ذلك ومن شواهد الهزل الذي يراد به الجد ماانشده ابن المعتز من قول أبي العتاهية

ارقيك ارقيك بسم الله أرقيكا * من بخل نفسك عل الله يشفيكا

ماسلم كفك الامن يناولها * ولاعدوك الامن يرجيكا

والفاتح لهذا الباب امرؤ القيس وقوله ابلغ ماسمع فيه والطف وهو

وقد علمت سلمى وان كان بعلها * بان الفتى يهذي وليس بفعال

قال زكي الدين بن أبي الاصبع مارأيت احسن من قوله ملتفتا وان كان بعلها انتهى وهذا النوع أعني الهزل الذي يراد به الجد ماسبكه في قوالبه الامن لطفت ذاته وكان له ملكة في هذا الفن وحسن تصرف ومن أظرف ماوقع في هذا الباب انه حصل لي

(الهزل الذي يراد به الجد)

المياه وسارت في البلاد ولم تسر بزاد وطارت في الآفاق ولم تسر على ساق ولكني أتسوق بها اليكم ولا أتنفق بها عليكم وللآخرة قلتها لا للعاضرة وللدين ادخرتها لا للدنيا وقال أنشدني بعضها فقلت بالمة ضرب الزما ن على معرسها خيامه لله در لئ من خزا مى روضة عادت ثغامه لرزية قامت بها للدين اشراط القيامه لمضرج بدم النبو ة ضارب بيد الامامه متقسم بظبا السيو ف مجرع منها حمامه منع الورود وماؤه منه على طرف الثمامه نصب ابن هند رأسه فوق الورى نصب العلامه

بالديار المصرية بجوية أشرفت منـه على التلف فوصفها لي الحكيم بطيخا وهو عزيز الوجود في تلك الايام فبلغني انه أهـدى الى مولانا المقر الاشرف القاضوي الناصري محمد بن البارزي صاحب دواوين الانشاء الشريف بالممالك الاسلامية عظم الله تعالى شأنه بطيخ فكتبت اليه

مولاي عاقبني الزمان بجوبة * وقد انقطعت بجسمي المسلوخ
وعميت من حزني على ماتم لي * لكن شممت روائح البطيخ

فالكناية على طلب البطيخ سبكت في أحسن قوالب الهزل مع حسن التضمين ومثله قولي

جاء الشتاء فرأسي * والجسم صار اشماته
بطيلسان ابن حرب * وفروة ابن نباته

ففي طيلسان ابن حرب وفروة ابن نباتة مع ما فيهما من الهزل الظاهر كنايتان عن الفقر الذي تزايد حده وطيلسان ابن حرب معروف لشهرته وأما فروة ابن نباتة ففيها الاشارة الى قوله

زرقة جسمي وبياض ثلجها * سنجابي الابلق في فصل الشتا

ومثله قولي

وصاحب تسمح لي نفسه * بغدوة لكن اذا ما انتشا
يضحك سني للغدا عنده * ٢لكنني اقلع ضرسي للعشا

نبه على الهزل الذي يراد به الجد زيادة تلطف الاستدراك ومراعاة النظير وكان هذا الصاحب تغمده الله برحمته ورضوانه من أعز الاصحاب علي ولكن التصريح باسمه غير ممكن هنا وبين الهزل الذي يراد به الجد وبين التهكم فرق لطيف وهو أن التهكم ظاهره جد وباطنه هزل وهذا النوع بالعكس وبيت الشيخ صفي الدين الحلي في بديعيته

اشبعت نفسك من ذمي فهاضلك ما * تلقى وا كثر موت الناس بالتخم

فقوله وا كثر موت الناس بالتخم كناية يهزلون بها على من يفرط في أكل شيء ويخص به نفسه وبيت العميان

قل للصباح اذا مالاح نورهم * ان كان عندك هذا النور فابتسم

لم أر في بيت العميان هزلا يراد به الجد والله اعلم وبيت الشيخ عز الدين الموصلي

هزل اريد به جد عتابك لي * كما كتمت بياض الشيب بالكتم

الشيخ عز الدين غفر الله له حكى هنا حكاية لم يسعني الكلام عليها لئلا يطول الشرح وبيت بديعيتي

والبين هازلني بالجد حين رأى * دمعي وقال تبرد انت بالديم

انظر ايها المتأمل هنا بنور الله تعالى فان الهزل الذي يراد به الجد انا ما التزم تسميته وقد استوعب شطر البيت وانظر كيف افرغت هذا النوع الغريب في أحسن القوالب واغرب المعاني فان الدمع تزايد انهماله الى ان صار كالديم الهاطلة والبين يغبطني بذلك مهازلا ويقول لي تبرد انت بهذه الديم

(ذكر المقابلة)

*(قابلتهم بالرضا والسلم منشرحا * ولوا غضابا فيا حربي لغيظهم)*

ومنه بل كان النبي
بلمه يشفي غرامه
قرع ابن هند بالقضيـ * ـب
عذابه فرط استضامه
وشدا بنغمته عليـ * ـه
وصب بالفضلات جامه
والدين ابلج ساطع
والعدل ذو خال وشامه
يا ويح من ولي الكتا
ب قفاه والدنيا امامه
ليضرس يد الندا
مة حين لا تغني الندامه
وليدركن على الغرا
مة سوء عاقبة الغرامه
وحمى اباح بنو أمية
عن طوائلهم حرامه
حتى اشتفوا من يوم بد
ر واستبدوا بالزعامه
لعنوا أمير المؤمنيـ * ـن
بمثل اعلان الاقامه

٢ قوله لكنني الخ كذا بالاصل وفيه ان هذه رجز والشعر سريع اه

(المقابلة)

المقابلة ادخلها جماعة فى المطابقة وهو غير صحيح فان المقابلة أعم من المطابقة وهى التنظير بين شيئين فاكثر و بين ما يخالف وما يوافق فبقولنا وما يوافق صارت المقابلة أعم من المطابقة فان التنظير بين ما يوافق ليس بمطابقة وهذا مذهب زكى الدين بن ابى الاصبع فانه قال صحة المقابلات عبارة عن توخى المتكلم بين الكلام على ما ينبغى فاذا أتى باشياء فى صدر كلامه أتى باضدادها فى عجزه على الترتيب بحيث يقابل الاول بالاول والثانى بالثانى لا يخرم من ذلك شيأ فى المخالف والموافق ومتى أخل بالترتيب كانت المقابلة فاسدة وقد تكون المقابلة بغير الاضداد والفرق بين المطابقة والمقابلة من وجهين أحدهما ان المطابقة لا تكون الا بالجمع بين ضدين والمقابلة تكون غالبا بجمع بين أربعة اضداد ضدان فى صدر الكلام وضدان فى عجزه وتبلغ الى الجمع بين عشرة اضداد خمسة فى الصدر وخمسة فى العجز والثانى ان المطابقة لا تكون الا بالاضداد والمقابلة بالاضداد وغير الاضداد ولكن بالاضداد أعلى رتبة وأعظم موقعا ومن معجزات هذا الباب قوله عز وجل ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله فانظر الى مجىء الليل والنهار فى صدر الكلام وهما ضدان ثم قابلهما فى عجز الكلام بضدين وهما السكون والحركة على الترتيب ثم عبر عن الحركة بلفظ الارداف فالتزم الكلام ضربا من المحاسن زائدا على المقابلة فانه عدل عن لفظ الحركة الى لفظ ابتغاء الفضل لكون الحركة تكون لمصلحة ولمفسدة وابتغاء الفضل حركة المصلحة دون المفسدة وهى تشير الى الاعانة بالقوة وحسن الاختيار الدال على رجاحة العقل وسلامة الحس واضافة الظرف الى تلك الحركة المخصوصة واقعة فيه ليهتدى المتحرك الى بلوغ المآرب ويتقى أسباب المهالك والآية الشريفة سيقت للاعتداد بالنعم فوجب العدول عن لفظ الحركة الى لفظ هو ردفه ليتم حسن البيان فتضمنت هذه الكلمات التى هى بعض آية عدة من المنافع والمصالح التى لو عددت بالفاظها الموضوعة لها لاحتاجت فى العبارة عنها الى الفاظ كثيرة فحصل فى هذا الكلام بهذا السبب عدة ضروب من المحاسن الا تراه سبحانه وتعالى كيف جعل العلة فى وجود الليل والنهار حصول منافع الانسان حيث قال لتسكنوا ولتبتغوا بلام التعليل فجمعت هذه الكلمات من انواع البديع المقابلة والتعليل والاشارة والارداف وائتلاف اللفظ مع المعنى وحسن البيان وحسن النسق فلذلك جاء الكلام متلائما آخذا اعناق بعضه باعناق بعض ثم أخبر بالخبر الصادق ان جميع ما عدده من النعم باللفظ الخاص وما تضمنته العبارة من النعم التى تلزم من لفظ الارداف بعض رحمته حيث قال بحرف التبعيض ومن رحمته وهذا كله فى بعض آية عدتها عشر كلمات فالحظ هذه البلاغة الباهرة والفصاحة الظاهرة انتهى ومن أمثلة صحة المقابلة فى السنة الشريفة قول النبى صلى الله عليه وسلم ما كان الرفق فى شىء الا زانه ولا كان الخرق فى شىء الا شانه فانظر كيف قابل الرفق بالخرق والزين بالشين باحسن ترتيب وأتم مناسبة وهذا الباب فى مقابلة اثنين باثنين ومنه قوله تعالى فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيرا ومنه قول النبى صلى الله عليه وسلم ان لله عبادا جعلهم مفاتيح الخير مغاليق الشر

لم لا تخضرى يا سما ❊ ولم تسبى يا غمامه

لم لا تزولى يا جبا ❊ ل ولم تشولى يا نعامه

يا امة صارت على ❊ اعناقهم طوق الحمامه

ان العمامة لم تكن ❊ للشيم ما تحت الغمامه

من سبط هند وابنها ❊ دون البتول ولا كرامه

يا عين جودى للبقيع ❊ فذرعى بدم رغامه

جودى بمذخور الدمو ❊ ع وراسلى بدرا تطامه

جودى بمشهد كربلا ❊ فوفرى منى ذمامه

جودى بمكنون الدمو ❊ ع اجدى ما جادا بن مامه

فلما أنشدت ما انشدت وسردت ما سردت وكشف له الحال فيما اعتقدت الصلات له العقدة وصار سلما يوسعنا حلما وحضر بعد ذلك الشيخ أبو عمر البسطامى وناهيك من حاكم يفصل وناظر يعدل يسمع فيفهم ويقول فيعلم ثم حضر بعد

ومنه وهو ظريف في مقابلة اثنين باثنين أن المنصور قال لمحمد بن عمران انك لبخيل فقال يا أمير المؤمنين لا أجمد في حق ولا أذوب في باطل ومنه في النظم قول النابغة

فتى كان فيه ما يسر صديقه * على أن فيه ما يسوء الاعاديا

وقول الحلي

ورنح الرقص منه عطفا * خف به اللطف والدخول

فعطفه داخل خفيف * وردفه خارج ثقيل

واخبرني مولانا قاضي القضاة الشافعي نور الدين الحاكم بحماة المحروسة المشهور بخطيب الدهشة أنه كان بحماة يهودي يطوف بالحناء والصابون على رأسه ويقول معي حناء اخضر جديد وصابون يابس عتيق وأما مقابلة ثلاثة بثلاثة فقيل ان المنصور سأل ابا دلامة عن أشعر بيت في المقابلة فأنشده

ما أحسن الدين والدنيا اذا اجتمعا * وأقبح الكفر والافلاس بالرجل

فالشاعر قابل بين أحسن وأقبح وبين الدين والكفر والدنيا والافلاس قال ابن أبي الاصبع انه لم يقل قبله مثله ومن مقابلة أربعة باربعة قوله تعالى فأما من اعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى وأما من بخل واستغنى وكذب بالحسنى فسنيسره للعسرى المقابلة بين قوله واستغنى وقوله واتقى لان معناه زهد فيما عنده واستغنى بشهوات الدنيا عن نعيم الآخرة وذلك يتضمن عدم التقوى ومن مقابلة أربعة باربعة قول أبي بكر الصديق رضي الله عنه في وصيته عند الموت هذا ما اوصى به أبو بكر عند آخر عهده بالدنيا خارجا منها واول عهده بالآخرة داخلا فيها فقابل أولا بآخر والدنيا بالآخرة وخارجا بداخل ومنها بفيها فانظر الى ضيق هذا المقام كيف صدر عنه مثل هذا الكلام قال علماء البديع كلما كثر عددها كانت ابلغ فمن مقابلة خمسة بخمسة قول أمير المؤمنين علي كرم الله وجهه لعثمان بن عفان رضي الله عنهما ان الحق ثقيل مرى والباطل خفيف وبي وانت رجل ان صدقت سخطت وان كذبت رضيت واوردوا لابي الطيب في مقابلة خمسة بخمسة

أزورهم وسواد الليل يشفع لي * وانثني وبياض الصبح يغري بي

قال صاحب الايضاح ضد الليل المحض هو النهار لا الصبح والمقابلة الخامسة بين بي ولي فيها نظر لان الباء واللام صلتا الفعلين ورجح بيت أبي دلامة المتقدم على بيت ابي الطيب بجودة المقابلة ولكن القافية مستدعاة فان الذي ذكره مختص بالرجل وبغيره والمعنى قد تم بدون الرجل قال زكي الدين بن أبي الاصبع لو كان لما اضطر الى القافية افاد بها معنى زائدا بحيث يقول بالبشر لكان البيت نادرا وعلى كل تقدير بيت ابي دلامة افضل من بيت المتنبي لصحة المقابلة لانه قابل بالاضداد والمتنبي بغير الاضداد والمقابلة بالاضداد افضل وهو مذهب السكاكي فانه قال المقابلة ان تجمع بين شيئين متوافقين فاكثر ثم اذا شرطت هنالك شيأ شرطت هنا ضده انتهى وبيت المتنبي افضل بالكثرة عند غير السكاكي وان المقابلة عنده لا تصح الا بالاضداد واسلم من بيت ابي الطيب في التركيب ما اورده الصاحب

شرف

...لك القاضي أبو نصر والادب ... في فضائله وأيسر فواضله ... العدل شيمة من شيمه والصدق مقتضى هممه ... وحضر بعده الشيخ أبو سعد محمد بن أرمك أيده الله ... هو الرجل الذي يحميه لألاؤه ولو ذعيته من أن يدال بمن أو بمن الرجل وهو الفاضل الذي يحطب في حبل الكتابة ما شاء ويركض في حلبة العلم ما اراد وحضر بعده أبو القاسم بن حبيب وله في الادب عينه وفراره وفي العلم شعلته وناره وحضر بعده الفقيه أبو الهيثم ورائد الفضل يقدمه ورائد العقل يخدمه وحضر بعده الشيخ أبو نصر بن المرزبان والفضل منه بدا واليه يعود وحضر بعده أصحاب الامام أبي

قوله مختص بالرجل الخ صوابه غير مختص بالرجل

شرف الدين مستوفى اربل

على رأس عبد تاج عز يزينه * وفى رجل حر قيد ذل يشينه

و بيت صفى الدين الحلى

كان الرضا بدنوى من خواطرهم * فصار سخطى لبعدى عن جوارهم

فقابل الرضا بالسخط والدنو بالبعد ولفظة من بعن فاذا قلنا ان من ضد عن سلم له أربعة بأربعة وخواطرهم بجوارهم على مذهب من يرى ان المقابلة تجوز بالاضداد وبغيرها و بيت العميان

بواطئ فوق خد الصبح مشتهر * وطائر تحت ذيل الليل مكتتم

بيت العميان أمكن من بيت صفى الدين فى المقابلة لانهم قابلوا واطئا بطائر لان الواطئ هو الماشى على الارض والطائر السائر فى الهواء وفوق بتحت وخد بذيل لما بينهما من معنى العلو والسفل والصبح بالليل ومشتهر بمكتتم وانظر لفظة مشتهر مع مكتتم وهى القافية التى لا يمكن أمكن منها ولفظة خواطرهم ومقابلتها بجوارهم فى بيت صفى الدين وما بينهما من المباينة غيران ثقل قولهم بواطئ يشق حمله على لطيف الذوق و بيت الشيخ عز الدين

ليل الشباب وحسن الوصل قابله * صبح المشيب وقبح الهجر واندمى

قابل بين ليل وصبح وشباب ومشيب وحسن وقبح والوصل والهجر وهى مقابلة صحيحة بين الاضداد وأتى بلفظة قابله اضطرارا لتسمية النوع وأما قوله واندمى فقافية مستدعاة أجنبية من المقابلة فانه لم يوفها المقابلة ضدا ولا لغيره بل تركها بمنزلة الاجانب و بيت بديعيتى

قابلتهم بالرضا والسلم منشرحا * ولوا غضابا فواحربى لغيظهم

قد تقرران الشيخ عز الدين لم يأت بلفظة قابله فى بيته الا اضطرارا لتسمية النوع فانه لم يقابلها بشئ فانظر كيف أتيت بلفظة قابلتهم فى أول البيت وقابلتها فى الشطر الآخر بلفظة ولوا ومقابلة بقية الاضداد من الرضا والغضب والسلم والحرب ظاهرة وتمكين القافية بغيظهم ومقابلتها بالانشراح اظهر فان القافية اذا كانت ممكنة وهى جارية فى عدد المقابلات كانت من اعلى رتب هذا النوع كما تقدم فى بيت المتنبى و بيت أبى دلامة وقافية العميان منتظمة فى هذا العقد بخلاف بيت صفى الدين و بيت عز الدين انتهى

(ذكر الالتفات)

*(وما أرونى التفاتا عند نفرتهم * وانت بالظبى أدرى بالتفاتهم)*

فسر قدامة الالتفات بان قال هو ان يكون المتكلم آخذا فى معنى فيعترضه اما شك فيه او ظن أن رادا يرده عليه أو سائلا يسأله عن سببه فيلتفت اليه بعد فراغه منه فاما ان يجلى الشك أو يؤكده او يذكر سببه كقول الرماح بن ميادة

فلا صرمه يبدو وفى اليأس راحة * ولا وصله يصفو لنا فنكارمه

فكأن الشاعر توهم ان قائلا يقول له وما تصنع بصرمه فقال لان فى اليأس راحة وأما ابن المعتز فقال الالتفات انصراف المتكلم عن الاخبار الى المخاطبة ومثاله فى الكتاب قوله تعالى بعد الاخبار بأن الحمد لله رب العالمين اياك نعبد واياك نستعين وكقوله تعالى ان أراد

الطيب الاستاذ *وما منهم الا اغر نجيب* وحضر بعدهم أصحاب الاستاذ الفاضل أبى الحسن الماسرجسى وكل اذا عد الرجال مقدم وحضر بعدهم أصحاب الاستاذ أبى عمر البسطامى وهم فى الفضل كاسنان المشط ومنه بأعلى مناط العقد وحضر بعدهم الشيخ أبو سعيد الهمذانى وله فى الفضل قدحه المعلى وفى الادب حظه الاعلى وحضر بعد الجماعة أصحاب الاسبلة المسبلة والاسوكة المرسلة رجال يلعن بعضهم بعضا فصاروا الى قلب المجلس وصدره حتى رد كيدهم فى نحرهم واقيموا

(الالتفات)

النبي أن يستنكحها خالصة لك من دون المؤمنين وكقوله تعالى ألم يروا كم أهلكنا من قبلهم
من قرن مكناهم في الارض ما لم نمكن لكم ومثال ذلك من الشعر قول جرير

متى كان الخيام بذي طلوح * سقيت الغيث أيتها الخيام

وانصراف المتكلم عن الخطاب الى الاخبار وهو عكس الاول كقوله تعالى حتى اذا كنتم في
الفلك وجرين بهم بريح طيبة ومثاله أيضا قول عنترة

ولقد نزلت فلا تظني غيره * مني بمنزلة المحب المكرم

ثم قال يخبر عن هذه المخاطبة

كيف المزار وقد تربع أهلنا * بعنيزتين وأهلها بالغيلم

أو انصراف المتكلم عن الاخبار الى التكلم كقوله تعالى والله الذي يرسل الرياح فتثير سحابا
فسقناه الى بلد ميت أو انصراف المتكلم عن التكلم الى الاخبار وهو كقوله تعالى ان نشأ أنذهبكم
ونأت بخلق جديد وما ذلك على الله بعزيز والقراءة في الكلمات الثلاث بالنون شاذة نقلها
صاحب البحر الزاخر وفي هذا الكتاب سبعة آلاف رواية وقد جمع امرؤ القيس الالتفاتات
الثلاث في ثلاثة أبيات متواليات وهو قوله

تطاول ليلك بالاثمد * ونام الخلي ولم ترقد
وبات وباتت له ليلة * كليلة ذي العائر الارمد
وذلك من نبأ جاءني * وخبرته عن أبي الاسود

فخاطب في البيت الاول وانصرف عن الخطاب الى الاخبار في البيت الثاني وانصرف عن
الاخبار الى التكلم في البيت الثالث على الترتيب وما أحلى قول مهيار بن مرزويه في قصيدته
التي سارت بمحاسنها الركبان وامتدح بها الوزير زعيم الدين في يوم نوروز سنة ثمان وعشرين
وأربعمائة وهو المطلع

بكر العارض تحدوه النعامى * فسقاك الري يا دار أماما

فانصرف عن الاخبار الى المخاطبة في بيت واحد ومثله في اللطف قول القاضي الارجاني

وهل هي الا مهجة يطلبونها * فان ارضت الاحباب فهي لهم فدى
اذا رمتم قتلي وانتم أحبتي * فماذا الذي اخشى اذا كنتم عدى

ومثله قول أبي الطيب

لولا مفارقة الاحباب ما وجدت * لها المنايا الى ارواحنا سبلا
بما بجفنيك من سحر صلى دنفا * يهوى الحياة وأما ان صددت فلا

ومثله قول ابي العلا

يود ان ظلام الليل دام له * وزيد فيه سواد القلب والبصر
لو اختصرتم من الاحسان زرتكم * والعذب يهجر للافراط في الخصر

ومن لطائف الالتفات بالانصراف من الخطاب الى الاخبار قول ابن نبيه

من سحر عينيك الامان الامان * قتلت رب السيف والطيلسان
اسمر كالرمح له مقلة * لو لم تكن كحلاء كانت سنان

بالنعال الى صفة النعال فقلت لمن حضر من هؤلاء فقالوا أصحاب الخوارزمي فلما أخذ المجلس زخرفه من حضروا انتظر أبو بكر فتأخر اقترحوا على قوافي أبنيتها واقتراحات كانوا يبنونها فما ظنك بالالقاء أديت اليها النار من لفظ الى المعنى نشقته وبيت الى القافية سقته على ريق لم ابلعه ونفس لم أقطعه وصار الحاضرون بين اعجاب بما أوردت وتعجب مما أنشدت وقال أحدهم بل اوحدهم وهو الامام أبو الطيب لن نؤمن لك حتى نقترح القوافي ونعين المعاني وننص على بحر فان قلت حينئذ على الروي الذي أسومه وذكرت المعنى الذي أرومه فانت حي القلب كما عهدناك منشرح الصدر كما شاهدناك شجاع

فقوله عن المقلة بعد تشبيه القوام بالرمح أنها لو لم تكن كحلاء كانت سنان بديع وغريب ومن اغرب ما وقع لى فى هذا النوع اللطيف انى صرحت باسم الالتفات عند وقوعه بقولى من قصيد

والله ان لم القهم من بعد ذا * فعلى زمانى لم ازل متعتبا
وقد التفت اليك يا دهرى بطو * ل تعتبى ويحق لى ان اعتبا
قررت لى طول الشتات وظيفة * وجعلت دمعى فى الخدود مرتبا

واتفق لى أيضا نظير ذلك فى رسالة كتبت بها الى العلامة بدر الدين ابن قاضى اذرعات رحمه الله منها سكن القلب وغير بدع اذا كان القلب للبدر منزلا ورام هلال الافق ان يباهى سموه ومطالعه فقلنا ما أنت من براعة هذا الاستهلال ولا وتطاول الرامح الى الطعن فى محله الذى يحل قدرا عن مناظر ومباهى فقلنا له اقصر مكتفيا والا فعند التناهى ولقد شوقتنى ظباء المعالى فى هذا المسرح الى الالتفات فقلت متلفتا الى تلك الليالى المقمرة بنوره وقطوف الفوائد البدرية دانيات

أيا بدرا سما افق المعالى * واوقع طائرا من كل نسر
ذكرت لياليا مذ قد تقضت * فيا شوقى الى ليلات بدر

وأما بيت القصيدة اعنى البديعية فانه البيت الذى حظيت من بابه بالفتح وناداه الغير من وراء حجراته وتغايرت ظباء الصريم وهو فى سرب بديعه على حسن التفاته وودت ربوع البديعيات ان يسكن منها فى بيت ولكن راودته التى هو فى بيتها عن نفسه وغلقت الابواب وقالت هيت ولقد انصف الحريرى فى المقامة الحلوانية عند ايراد البيت الجامع لمشبهات الثغر بقوله يا رواة القريض واساة القول المريض ان خلاصة الجوهر تظهر بالسبك ويد الحق تصدع رداء الشك وها أنا قد عرضت خبيئتى للاختبار وعرضت حقيبتى على الاعتبار وقلت وانا ماش فى عرض بيت بديعيتى على هذا السنن وارجو ان يكون بحسن التفاته فى مرآة الذوق مثل الغزال نظرة وانقة وسابرزه بين اقرانه واذا انسدلت غدائر الاشكال ظهر الفرق من نور بيانه فبيت الشيخ صفى الدين

وعاذل رام بالتعنيف رشدى * عدمت رشدك هل أسمعت ذا صمم

ولم ينظم العميان فى بديعيتهم هذا النوع وأما بيت عز الدين

وما التفت لساع ج فى شغف * ما أنت للركن من وجدى بملتزم

وبيت بديعيتى

وما أرونى التفاتا عند نفرتهم * وانت يا ظبى أدرى بالتفاتهم

فهذا البيت فيه التورية بتسمية النوع وقد برزت فى أحسن قوالبها ومراعاة النظير فى الملاءمة بين الالتفات والظبى والنفرة والانسجام الذى أخذ بمجامع القلوب رقة والتمكين الذى ما تمكنت قافية باستقرارها فى بيت كتمكين قافيته والسهولة التى عدها التيفاشى فى باب الظرافة وناهيك بظرافة هذا البيت والتوشيح وهو الذى يكون معنى اول الكلام دالا على آخره ورد العجز على الصدر والالتفات الذى هو المقصود دون غيره من الانواع فقد

الطبع كما وجدناك وشهدنا انك قد أحسنت وان لا فتى الا أنت فما خرجت من عهدة هذا التكليف حتى ارتفعت الاصوات بالهيللة من جانب والحوقلة من آخر وتعجبوا اذ أرتهم الايام ما لم ترهم الاحلام وجاءهم العيان بما يخل به السماع والجزهم الفهم ما أخلفهم الوهم ثم التفت فوجدت الاعناق تلتفت وما شعرت الا بهذا الفاضل وقد طلع فى شملته وهب بجملته باوداج ما يسعها الزمان وعينين فى رأسه تزنان ومشى الى فوق أعناق الناس وجعل يدس نفسه بين الصدور يريد الصدر وقد أخذ المجلس أهله فقلت يا أبا بكر تزحزح عن الصدر قليلا

اشتمل هذا البيت على ثمانية أنواع من البديع مع عدم التكلف والله تعالى أعلم

(ذكر الافتنان)

*(تغزلي وافتناني في شمائلهم * أمحى رثا الاصطباري بعد بعدهم)*

الافتنان هو ان يفتن الشاعر فيأتي بفنين متضادين من فنون الشعر في بيت واحد فأكثر مثل النسيب والحماسة والمديح والهجاء والهناء والعزاء فأما ما اتفق به الشاعر من النسيب والحماسة كقول عنترة

ان تغدفي دوني القناع فانني * طب باخذ الفارس المستلئم

فأول البيت نسيب وآخره حماسة وكقول أبي دلف ويروى لعبد الله بن طاهر

أحبك ياظلوم وأنت مني * مكان الروح من جسد الجبان

ولو أني أقول مكان روحي * خشيت عليك بادرة الطعان

ومما جمع فيه بين التهنئة والتعزية قوله تعالى ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا ومما جمع فيه بين التعزية والفخر قوله تعالى كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام ومن انشاء العلامة الشهاب محمود مما كتب به من رسالة تهنئة وتعزية ان رزقه الله تعالى ولدا ذكرا في يوم وماتت له بنت قوله ولا عتب على الدهر فيما اقترف ان كان قد ساء فيما مضى فقد أحسن الخلف واعتذر بما وهب مما سلب فعفا الله عما سلف ومما جمع فيه من النظم بين التهنئة والتعزية قول بعض الشعراء ليزيد بن معاوية لما دفن اباه وجلس للتعزية

اصبر يزيد فقد فارقت ذا ثقة * واشكر حباء الذي بالملك اصفاكا

لا رزء اصبح في الاسلام نعلمه * كما رزئت ولا عقبى كعقباكا

وقال زكي الدين بن أبي الاصبع أحسن شعر افتن فيه صاحبه بالجمع بين التعزية والتهنئة قول أبي نواس للعباس بن الفضل بن الربيع يعزيه بالرشيد ويهنيه بالامين حيث قال

تعز ابا العباس عن خير هالك * باكرم حي كان أو هو كائن

حوادث ايام تدور صروفها * لهن مساو مرة ومحاسن

وفي الحي بالميت الذي غيب الثرى * فلا انت مغبون ولا الموت غابن

ولعمري ان جمال الدين بن نباتة رحمه الله قال في تعزية الملك المؤيد صاحب حماة وتهنئة ولده الافضل بالسلطنة بعد أبيه ما هو أحسن من قول أبي نواس الذي استحسنه ابن أبي الاصبع وقول من تقدمه وان تأخر ابن نباتة فقد تقدم بنباته فانه استطرب في قصيدة مطولة بالجمع بين التهنئة والتعزية الى آخرها وأتى بمعان منها سلامة الاختراع والذي يؤدي اليه اجتهاد ذوقي ان هذه القصيدة من العجائب في هذا النوع واوردت مطلعها في براعة الاستهلال لكن تعين ايراده هنا لندخل منه الى بيوت القصيدة المشتملة على هذا النوع ليتأبد ما أشرت اليه من غرابة اسلوبها وهو قوله رحمه الله تعالى

هناء محا ذاك العزاء المقدما * فما عبس المحزون حتى تبسما

ثغور ابتسام في ثغور مدامع * شبيهان لا يمتاز ذو السبق منهما

(الافتنان)

(قوله ثم ننجي الآية) الذي فيها انما هو تبشير وانذار

الى مقابلة الخميس فقال لست برب الدار فتأمر على الزوار فقلت يا عافاك الله حضرت لتناظرني والمناظرة اشتقت اما من النظر أو من النظير فان كان اشتقاقها من النظر فان حسن النظر ان يكون مقعدنا واحدا حتى يتبين الفاضل من المفضول ثم يتطاول السابق ويتقاصر المسبوق فقضت الجماعة بما قضيت وغض هذا الفاضل من تلك الحكمة وانحط عن تلك العظمة وقابلني بوجهه فقلت أراك أيها الفاضل حريصا على اللقاء سريعا الى الهيجاء (ولو نفثك الحرب لم تترمرم) ففي أي علم تريد أن تناظر

نزدّ مجارى الدمع والبشر واضح * كوابل غيث فى ضحى الشمس قد همى
سقى الغيث عنا تربة الملك الذى * عهدنا سجاياه أعز وأكرما
ودامت يد النعمى على الملك الذى * تدانت به الدنيا وعز به الحمى
مليكان هذا قد هوى لضريحه * برغمى وهذا للاسرة قد سما
وروضة أصل شاذوى تكافأت * فغصن ذوى منها وآخر قد نما
فقدنا لاعناق البرية مالكا * ومعنا لانواع الجميل متمما
كأن ديار الملك غاب اذا انقضى * به ضيغم أنشابه الدهر ضيغما
كأن عماد الدين غير مقوض * وقد دقت يا ازكى الانام وأحزما
فان يك من أيوب نجم قد انقضى * فقد أطلعت أوصافك الغر انجما
وان تك أيام المؤيد قد مضت * فقد جددت عليائك وقتا وموسما
هو الغيث ولى بالثناء مشيعا * وأبقاك بحرا بالمواهب منعما

وكانت وفاة الملك المؤيد فى شهر المحرم فقال ولم يخرج عما نحن فيه

بك انبسطت فينا التهانى وانشأت * ربيع الهنا حتى نسينا المحرما

والجمع بين التهنئة والتعزية فى نوع الافتنان أصعب مسلكا من الجمع بين النسيب والحماسة لشدة التناقض بينهما ومن أظرف ما رأيت فى هذا النوع ان ابن حجاج جمع فى الافتنان بين التعزية والمدح المؤدى الى التهكم بقوله فى تعزية بعض الرؤساء بابيه فى بيت واحد وهو

أبوك قد جهل أهل الثرى * فجمل الله به المقبره

وأما الغزل المخمس فكثير فى نظم الفحول وغيرهم وما أحلى قول مهيار الديلمى فى بيت واحد

وأتعب من حاولت يا قلب وصله * حبيب سنان السمهرى رقيبه

وممن اتحف الاذواق بحلاوة هذا النوع وجمع فيه بين النسيب والحماسة القاضى الارجانى رحمه الله تعالى فى قوله

نزل الاحبة ساحة الاعداء * فغدا اللقاء منهم بلقاء

وما احلى ما قال بعده

كم طعنة نجلاء تعرض بالحمى * من دون نظرة مقلة نجلاء
فتصدّنا سمرا لخول قبابها * سمر الرماح يملن للاصغاء
من كل باكية دما من دونها * يوم الطعان بمقلة زرقاء
يا دمية من دون رفع سجوفها * خوض القنا بالخيل بحر دماء
لو ساعد الاحباب قلت تجلدا * أهون على بملتقى الاعداء

ومثله قول أبى الطيب فى بيت وكل من النصفين كامل فى معناه

عدوية بدوية من دونها * سلب النفوس ونار حرب توقد

وممن تفنن فى هذا النوع وجمع بين رقة النسيب وفخامة الحماسة ابراهيم بن محمد الانصارى الساحلى المنبوز بطويجن بجرى ذكره فى التاج بما نصه جوّاب الآفاق ومحالف الرفاق رفع له ببلده راية للادب لا تحجم واصبح نسيج وحده فيما يسدى وألحم فان نسب صار

فنا وما الى النحو فقلت يا هذا ان اليوم قد متع والنهار قد ارتفع والظهر قد أزف ولئن قرعنا باب النحو أضعنا اليوم فيه فبماذا يخرج الناس فعلا هتاف الناس ايهما ردّ الجواب هناك ما يدرى المجيب فان شئت أن اناظرك فى النحو فسلم الآن لى ما كنت تدعيه من سرعة فى البديهة وجودة فى الرويه وقدرة على الحفظ ونفاذ فى الترسل ثم أنا اجاريك فى هذا فقال لا أسلم ذلك ولا أناظر فى غير هذا وارتفعت المضاجة واستمرت الملاحة حتى أبلغ الاستاذ الفاضل أبو عمر اليه وقال ايها الاستاذ انت أديب خراسان وشيخ هذه الديار وبهذه الابواب التى قد عدّها هذا الشاب كنا نعتقد لك السبق والحذق

للنسيب شرف ونسب وان مدح قدح من أنوار فطنته ما قدح كم حرك الجامد ونظم الجمان في سلوك المحامد فمن قوله في الافتنان الذي جمع فيه بين الحماسة والتشبيب

خطرت كيماد القنا المتأطر * ورنت بلحاظ الغزال الاعفر
وأتتك بين تطاعن وتداعب * في فتك قسورة وعطفة جوذر

وما أبدع قوله منها

وبجلعب الصدغين مطرد وجنة * زحفت عليه كتائب ابن المنذر

وله ولم يخرج عما نحن فيه

زارت وفي كل مرمى لنا محترس * وحول كل كناس كف مفترس

وما أحلى ما قال بعده

مهما تلا خدها الزاهي الضحى نطقت * سيوف آمانها عن آية الحرس

ويعجبني قول أبي الفتوح بن قلاقس

عقدوا الشعور معاقد التيجان * وتقلدوا بصوارم الأجفان
ومشوا وقد هزوا رماح قدودهم * هز الكماة عوالي المران
وتدرعوا زردا نخلت أراقما * خلعت ملابسها على الغزلان

وممن افتن في قصيدة كاملة وتفنن وخلص من تفخيم الحماسة والفخر الى رقة الغزال وأحسن القاضي السعيد هبة الله بن سنا الملك رحمه الله فانه قسم القصيدة شطرين وتلاعب في ميدان البلاغة بالفنين وهذه القصيدة تقف دونها فرسان الحماسة ويكبو الجواد من خولها ويتفى من لطائف غزلها من لعبت بلطف شمائله خمر لطف شمولها وهي

سواي يخاف الدهر ويرهب الردى * وغيري يهوى ان يكون مخلدا
ولكنني لا أرهب الدهر ان سطا * ولا أحذر الموت الزؤام اذا عدا
ولو مد نحوي حادث الدهر طرفه * لحدثت نفسي أن أمد له يدا
توقد عزم يترك الماء جمرة * وحلية حلم تترك السيف مبردا
وفرط احتقار للأنام فانني * أرى كل عار من حلا سؤددي سدى
وآظما أن أبدي الى الماء منة * ولو كان لي نهر المجرة موردا
ولو كان ادراك الهدى بتذلل * رأيت الهدى أن لا أميل الى الهدى
وقدما بغيري أصبح الدهر أشيبا * وبي بل بفضلي أصبح الدهر أمردا
وانك عبدي يا زمان وانني * على الكره مني أن أرى لك سيدا
وما أنا راض أنني واطئ الثرى * ولي همة لا ترتضي الافق مقعدا
ولو علمت زهر النجوم مكانتي * لخرت جميعا نحو وجهي سجدا
وبذل نوالي زاد حتى لقد غدا * من الغيظ منه ساكن البحر مزبدا
ولي قلم في أنملي ان هززته * فما ضرني أن لا أهز المهندا
اذا جال فوق الطرس وقع صريره * فان صليل المشرفي له صدى

وتثاقلك عن مجاراته فيها عما يتهم ويوهم واضطره الى منازلة او نزول عنها ومقارعة فيها أو اقرار بها فقال سلت الحفظ فانشدت قول القائل

ومستلئم كشفت بالرمح ذيله
أقمت بعضب ذي شقاشق ميله
فجعت به في ملتقى الحي خيله
تركت عتاق الطير تحجل حوله

وقلت يا ابا بكر خفف الله عنك كما خففت عنا في الحفظ قد كفيتنا مؤنة الامتحان ولم نضع وقتا من الزمان فلو تفضلت وسلمت البديهة ايضا مع الترسل حتى نفرغ للنحو الذي أنت عليه اكبر واللغة التي أنت بها اعرف والعروض الذي أنت عليه اجرأ والامثال التي لك

والتخلص من الحماسة والفخر الى الغزل قوله

ومن كل شئ قد صحوت سوى هوى * أقام عذولى بالملام وأقعدا
اذا وصل من أهواه لم يك مسعدى * فلت عذولى كان بالصمت مسعدا
يعب حبيبي من يكون مفندا * فيا ليتنى كنت العذول المفندا
وقال لقد آنست نارا بخده * فقلت والى قلو بحسدت بها هدى
وكم لى الى دار الحبيب التفاتة * تذكرنى عهدا قديما ومعهدا
ولم أدم ذاك الحمد بالحفظ انما * جهلت خلوفا حين ابصرت مسجدا
تراقب طرفى أن يلوح هلالها * فقد طالما قد قام حين تعبدا
عبرت عليها واعتبرت تجلدى * فيا حسرتى لما اعتبرت التجلدا
كأن بطرفى ما بقلبى صبابة * فلم ير تلك الدار الا تنفدا
وكم بالوادى وقفة فى عراصها * تعودمنها جيد تعودا
تعود ذاك الجيد منى أننى * أصيره من در عينى مقلدا
ويارب ليل بت فيه وبيننا * عناق أعاد العقد عقدا مبددا
ولم اجعل الكف الشمال وسادة * فبات على كفى اليمين موسدا
وجردته من ثوبه وأعدته * بثوب عفافى كاسيا متجردا
وقربنى حتى طربت الى النوى * واوردنى حتى صديت الى الصدا
شهدت بان الشهد والمسك ريقه * وما كنت لولم أختبره لأشهدا
وأن السلاف البابلية لحظه * والا سلوا انسانه كيف عربدا

وممن حذا هذا الحذو ونسج على هذا المنوال ومشى فيه على طريق ماسلكها احد قبله الصاحب بهاء الدين زهير فانه كتب الى كمال الدين بن العديم أبياتا نامعناها أنه انتخبه لقضاء حاجة له ولم يؤهل غيره لها وتخلص منها الى الغزل بما تستجلى منه عرائس البيان ويظهر به الافتنان وهى

دعوتك لما أن بدت لى حاجة * وقلت رئيس مثله قد تفضلا
لعلك للفضل الذى أنت ربه * تغار فلا ترضى بأن تتبدلا
اذا لم يكن الاتحمل منة * فمنك وأما من سواك فلاولا
حملت زمانا عنكم كل كلفة * وخففت حتى آن لى أن أثقلا
ومن مذهبي المشهور مذ كنت أننى * لغير حبيب قط لن أتذللا
وقد عشت دهرا ماشكوت لحادث * بلى كنت أشكو الاغيد المتدللا
وما همت الا بالصبابة والهوى * ولا خفت الا سطوة الهجر والقلا
أروح وأخلاقى تذوب حلاوة * وأغدو وأعطافى تسيل تغزلا

وقد طال الشرح ولكن رأيت الافتنان نوعا غريبا فطلبت بالكثرة زيادة ايضاحه ليستضئ المتأمل فى ظلمات الاشكال بنور مصباحه وبيت الشيخ صفى الدين

ما كنت قبل ظبا الالحاظ قط أرى * سيفا أراق دمى الا على قدم

فيها السبق والقدم والاشعار التى انت فيها تقدم فقال ما كنت لاسلم الترسل ولا سلمت الحفظ فقلت الراجع فى شيئه كالراجع فى قيئه لكنا تقابلت عن ذلك السماح فهذه انشدنا خمسين بيتا من قبلك مرتين حتى أنشدك عشرين بيتا من قبلى عشرين مرة فعلم أن دون ذلك خرط القتاد تهاب شوكتها اليد فسلمه ثانيا كما سلمه باديا وصرنا الى البديهة فقال احد الحاضرين ها نواعلى شعر أبى الشيص فى قوله ابقى الزمان به ندوب عضاض ورمى سواد قرونه ببياض فاخذ ابو بكر يخضد ويعضد مقدرا انا نغفل عن انفاسه

كان المطلوب من الشيخ صفي الدين في هذا النوع غير هذا النظم مع عدم تكلفه بتسمية النوع وأما العميان فانهم لم ينظموا هذا أيضا في بديعيتهم ويت الشيخ عز الدين

كان افتناني بثغر راق مبسمه * صار افتناني بثغر فيه سفك دمي

و بيت بديعيتي

تغزلي وافتناني في شمائلهم * أضحى رثا لاصطباري بعد بعدهم

والجمع في افتنان هذا البيت بين النسيب الخالص والتعزية وكل من الشطرين مستقل بمعناه هو جمع غريب والكناية عن موت الصبر بان التغزل أضحى رثاء له من ألطف الكنايات ويؤيد ذلك قولي بعد بعدهم ذكر ابن أبي الاصبع في كتابه المسمى بتحرير التحبير نوعا يسمى التمريج لم ينظمه أصحاب البديعيات وهو قريب من الافتنان ولكن بينهما فرق دقيق لان الافتنان لا يكون الا بالجمع بين فنين من أغراض المتكلم كما تقدم والتمريج يخالف ذلك وهو الجمع بين الفنون والمعاني والله تعالى أعلم

(ذكر الاستدراك)

*(قالوا ترى لك لما بعد فرقتنا * فقلت مستدركا لكن على وضم)*

الاستدراك على قسمين قسم يتقدم الاستدراك فيه تقرير لما أخبر به المتكلم وتوكيد وقسم لا يتقدمه ذلك فمن أمثلة الاول قول القائل

واخوان تخذتهم دروعا * فكانوها ولكن للاعادي

وخلتهم سهاما صائبات * فكانوها ولكن في فؤادي

وقالوا قد صفت منا قلوب * لقد صدقوا ولكن من ودادي

قال ابن أبي الاصبع لم اسمع في هذا الباب أحسن من قول ابن دويدة المغربي يخاطب رجلا أودع بعض القضاة مالا فادعى القاضي ضياعه وهو

ان قال قد ضاعت فيصدق أنها * ضاعت ولكن منك يعني لو تعي

أو قال قد وقعت فيصدق أنها * وقعت ولكن منه أحسن موقع

وممن تلطف في هذا الباب وأجاد للغاية القاضي الارجاني بقوله

غالطتني إذ كست جسمي ضنا * كسوة أعرت من اللحم العظاما

ثم قالت أنت عندي في الهوى * مثل عيني صدقت لكن سقاما

ولقد احسن القائل في شكوى الزمان بقوله

ولي فرس من نسل اعوج سابق * ولكن على قدر الشعير يحمحم

وأقسم ما قصرت فيما يزيدني * علوا ولكن عند من اتقدم

وهذه كلها شواهد القسم الاول من الاستدراك وأما شواهد القسم الثاني وهو الذي لا يتقدم الاستدراك فيه تقرير ولا توكيد مثل قول زهير

أخو ثقة لا يهلك الخمر ماله * ولكنه قد يهلك المال نائله

ومتى لم يكن في الاستدراك نكتة زائدة عن معنى الاستدراك لم تدخله في أنواع البديع والا فلا يعد بديعا ولا يخفى على الذوق السليم ما في بيت زهير من الزيادة على معنى

(الاستدراك)

أو نوليه جانب وسواسه ولم يعلم انا نحفظ عليه الكلم ثم نوافقه عليها فقال

يا قاضيا ما مثله من قاض
انا بالذي تقضي علينا راض
فلقد لبست ضفية ملومة
من نسج ذا البارق الفضفاض
لا تغضبن اذا نظمت تقسا
ان الغضا في مثل ذلك تغاض
فلقد بليت بشاعر متقادر
ولقد بليت بناب ذئب غاض
ولقد قرضت الشعر فاسمع واسمع
لنشيد شعر طائعا وقراض
فلا غلبن بديهه بديهتي
ولا رمين سوادا ببياض

فقلت يا ابا بكر ما معنى قولك ضفية ملومة وما الذي اردت بالبارق الفضفاض فانكر أن يكون قاله فاقبة فوافقه على ذلك

الاستدراك بقوله ولكنه قديم المال نائله فانه لو اقتصر على صدر البيت دل على ان ماله موفور وتلك صفة ذم فاستدرك مايزيل هذا الاحتمال ويخلص الكلام للمدح المحض واذا تأمل الذائق بيت الارجانى متع ذوقه بحلاوة الادب من قوله

ثم قالت أنت عندى فى الهوى * مثل عينى صدقت لكن سقاما

فالنكتة الزائدة على معنى الاستدراك لا تخفى الا على من حجب عن ذوق هذا العلم وهو من شواهد القسم الاول فانه قرر ما اخبرت به من قولها انت عندى فى الهوى مثل عينى ثم أكد بقوله صدقت ثم نكت بالزيادة على معنى الاستدراك التنكيت الذى يتطفل النسيم على رقته ولولاه ماسكن هذا النوع بيتا بديعيا ولا تأهل بعد غربته واصحاب البديعيات على هذا المنوال نسجوا وأداروا كؤس السلافة على أهل الاذواق ومازجوها بلطف مزاجهم فامتزجوا والذى أقوله ان الشيخ صفى الدين حلا فى هذا المنهل الصافى مورده وعلا فى هذا السلك البديعى منظمه ومنضده وبيته

رجوت أن يرجعوا يوما وقد رجعوا * عند العتاب ولكن عن وفا ذممى

فانه قرر ما اخبر به قبل الاستدراك وأكده بقوله وقد رجعوا وفى قوله عند العتاب تكميل بديعى وأما العميان فانهم ما نظموا هذا النوع فى بديعيتهم وبيت عز الدين

فكم جبت بالاستدراك ذا أسف * لكن عن المشتهى والبر من سقمى

وأما هذا البيت فانه عامر بقلق البنا مع عقادة التركيب وبيت بديعيتى

قالوا أرى للتحابعد فرقتنا * فقلت مستدركا لكن على وضم

وفى انصاف اهل العلم والذوق السليم ما يغنى عن التطويل فى محاسن هذا البيت

(ذكر الطى والنشر)

(والطى والنشر والتغيير مع قصر * للظهر والعظم والاحوال والهمم)

الطى والنشر هو أن تذكر شيئين فصاعدا اما تفصيلا فتنص على كل واحد منهما واما اجمالا فتأتى بلفظ واحد يشتمل على متعدد وتفوض الى العقل رد كل واحد الى ما يليق به لا أنك تحتاج أن تنص على ذلك ثم ان المذكور على التفصيل قسمان قسم يرجع الى المذكور بعده على الترتيب من غير الاضداد اذ تخرج المقابلة فيكون الاول للاول والثانى للثانى وهذا هو الا كثر فى اللف والنشر والاشهر وقسم على العكس وهو الذى لا يشترط فيه الترتيب ثقة بأن السامع يرد كل شئ الى موضعه تقدم أو تأخر وأما المذكور على الاجمال فهو قسم واحد لا يتبين فيه ترتيب ولا يمكن عكس مثاله ان يقول لى منه ثلاثة بدر وغصن وظبى فصل من هذا ان اللف والنشر على ثلاثة اقسام واذا كان المفصل المرتب فى اللف والنشر هو المقدم نبدأ بشواهده فمنه بين شيئين قوله تعالى ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله فالسكون راجع الى الليل والابتغاء راجع الى النهار ومنه قول الشاعر

ألست انت الذى من ورد نعمته * وورد راحته أجنى واغترف

وقد جمع هذا البيت مع حشمة الالفاظ بين جناس التصريف والاستعارة واللف والنشر وما ألطف قول شمس الدين محمد بن دانيال الحكيم

أهل المجلس وقالوا قد قلت ثم قلت فما معنى قولك ذئب غاض فقال هو الذى يأكل الغضا فقلت استنوق الجمل يا أبا بكر وانقلبت القوس ركوة وصار الذئب جملا يأكل الغضا فما معنى قولك ان الغضا فى مثل ذلك تغاض فان الغضا لا أعرفه بمعنى الاغضاء فقال لم أقل الغضا فقلت ما قلت فانكر البيت جملة فقلت يا ويحك ما أغناك عن بيت تهرب منه وهو يتبعك وتتبرأ منه

الطى والنشر

وهو يلحق بك فقال لى مامعنى قراض فلم أسمعه مصدرا من قرضت الشعر ولكن هلا قلت كما قلت وسقت الحشو الى القافية كسقته فقال هذه طريقة لم تسلكها العرب فلا أسلكها ثم دخل الرئيس

ما عاينت عيناي في عطلتي * أقل من حظي ومن بختي
قد بعت عبدي وحماري وقد * اصبحت لا فوقي ولا تحتي

ومن غراميات البهاء زهير

ولي فيك قلب بالغرام مقيد * له خبر يرويه طرفي مطلقا
ومن فرط وجدي في لماه وثغره * اعلل قلبي بالعذيب وبالنقا

ومثله قوله

يا ردفه يا خصره * من لي بنجد أو تهامه

ومثله قول ابن نباتة

له قلب ولي دمع عليه * فهذا قاسيون وذا يزيد

ومثله قوله مع زيادة التورية

لا تخف عيلة ولا تخش فقرا * يا كثير المحاسن المختاله
لك عين وقامة في البرايا * تلك غزالة وذي قتاله

ومثله قوله مع زيادة التورية

سألته عن قومه فانثنى * يعجب من اسراف دمعي السخي
وأبصر المسك وبدر الدجى * فقال ذا خالي وهذا أخي

ولابن حيوس بين ثلاثة وثلاثة

ومقرطق يغني النديم بوجهه * عن كأسه الملأى وعن ابريقه
فعل المدام ولونها ومذاقها * من مقلتيه ووجنتيه وريقه

ومثله قول ابن الرومي

آراؤكم ووجوهكم وسيوفكم * في الحادثات اذا دجون نجوم
منها معالم للهدى ومصابح * تجلو الدجى والاخريات رجوم

ومثله قول حمدة الاندلسية وهو

ولما أبى الواشون الا فراقنا * ومالهم عندي وعندك من ثار
غزوناهم من ناظريك وأدمعي * وأنفاسنا بالسيف والسيل والنار

قال الشيخ شهاب الدين ابو جعفر الاندلسي نزيل حلب وقد اورد هذين البيتين في شرحه على بديعية صاحبه ابي عبد الله محمد بن جابر الاندلسي ان حمدة كانت من ذوي الالباب وفحول اهل الآداب حتى ان بعض المتطفلين تعلق بهذه الاهداب وادعى نظم هذين البيتين لما فيهما من المعاني والالفاظ العذاب وما غره في ذلك الا بعد ديارها وخلو هذه البلاد من أخبارها وقد تلبس بعضهم بشعارها وادعى هذا من أشعارها وهو قولها

وقانا لفحة الرمضاء روض * وقاه مضاعف الطل العميم
تظل غصونه تحنو علينا * حنو الوالدات على الفطيم
وأسقانا على ظمإ زلالا * ألذ من المدامة للنديم
تروع حصاه حالية الغواني * فتلمس جانب العقد النظيم

قوله عبدي في نسخة ثوبي بدل عبدي وهو اللائق

أبو جعفر والقاضي أبو بكر الحربي والشيخ أبو زكريا الحبري وطبقة من الافاضل مع عدة من الاراذل فيهم ابو رشيدة فقلت ما أحوج هذه الجماعة الى واحد يصرف عنهم عين الكمال وأخذ الرئيس مكانه من الصدر والدست وله في الفضل قدم وقدم وفي الادب هم وهم وفي العلم قديم وحديث فتم المجلس وظهر الحق بنظره وقال قد ادعيت عليه أبياتا أنكرها فدعوني من البديهة على النفس واكتبوا ما تقولون وقولوا على هذا فقلت

برز الربيع لنا برونق مائه * فانظر لروعة أرضه وسمائه
فالترب بين ممسك ومعنبر * من نوره بل مائه ورواية

فهذه الابيات نسبوها الى المنازى من شعرائهم وركبوا التعصب فى جادة ادعائهم وهى ابيات لم يحكها غير لسانها ولا رقم بردها غير حسانها وقد رأيت بعض المؤرخين من اهل بلادنا اثبتوها الها قبل ان يخرج المنازى من العدم الى الوجود ويتصف بلفظة الموجود انتهى كلام الشيخ شهاب الدين المذكور * ومنه بين ثلاثة وثلاثة قول الشيخ جمال الدين بن نباتة رحمه الله تعالى وعفا عنه امين

عرج على حرم المحبوب منتصبا * لقبلة الحسن واعذرنى على سهرى

وانظر الى الخال فوق الخد تحت لمى * تجد بلالا يراعى الصبح فى السحر

ومنه بين اربعة وأربعة

ثغر وخد ونهد واحمرار يد * كالطلع والورد والرمان والبلح ٣

ومثله قول شمس الدين بن العفيف رحمه الله تعالى

راى جسدى والدمع والقلب والحشا * فاضنى وافنى واستمال وتيما

ومثله قولى من قصيدة

من محياه والدلال ومسك الـخال والثغر يا شيوخ البديع

انظروا فى التكميل واللف والنشـر وحسن الختام والترصيع

وللشيخ شهاب الدين ابى جعفر الشارح المذكور بين خمسة وخمسة ولكن لم يخل من التعسف وهو

ملك يحيى بخمسة من خمسة * كفى الحسود بها فات لما به

من وجهه ووقاره وجواره * وحسامه بيديه يوم ضرابه

قمر على رضوى تسير به الصبا * والبرق يلمع من خلال سحابه

ولابن جابر ناظم البديعية بين ستة وستة

ان شئت ظبيا او هلالا او دجى * اوزهر غصن فى الكثيب الاملد

فالحظها ولوجهها واشعرها * ولخدها والقد والردف اقصد

صبرنا على الاملد لكونه صفة الكثيب ولكن لم نصبر على دخول القصد فانها زيادة اجنبية وقد جمع قاضى القضاة نجم الدين عبد الرحيم بن البارزى بين سبعة وسبعة

يقطع بالسكين بطيخة ضحى * على طبق فى مجلس لاصاحبه

كبدر بيرق قد شمسا أهلة * لدى هالة فى الافق بين كواكبه

قال شهاب الدين المذكور فى شرح بديعية صاحبه ابن جابر ان اللف والنشر فى هذين البيتين غير كامل التفصيل لانه نص فى اللف على ستة ونص فى النشر على سبعة وكل منهما راجع الى منصوص عليه فى اللف الا الاهلة فانه راجع الى الاشطار وهى غير مذكورة فى اللف قلت هذا يفهم من قوله يقطع قال الشيخ شهاب الدين قوله ضحى فى بيت اللف مطرح لانظير له فى النشر قلت ضحى ليس لها فى الحسن نظير فانه جعل البطيخة شمسا وهى انور من قول صاحبه فى بيته املد واقصد فانه لم ينص عليهما فى اللف وهما أجنبيان مما نحن فيه ووصلوا فى الجمع بين اللف والنشر المفصل المرتب الى اثنى عشر لكن تكلفوا وتعسفوا واتوا به فى بيتين ولم تسفر لهم

والماء بين مصندل ومكفر * فى حسن كدرته ولون صفائه
والطير مثل المحصنات صوادح * مثل المغنى شاديا بغنائه
والورد ليس بممسك رياه اذ * يهدى لنا نفحاته من مائه
زمن الربيع جلبت أزكى متجر * وجلوت للرائين خير جلائه
فكأنه هذا الرئيس اذا بدا * فى خلقه وصفائه وعطائه
يعمى أعز مجير وندى أغز * محجل فى خلقه ووفائه
يعشو اليه المحتوى والمجتدى * والمحتوى هو هارب بدمائه
ما البحر فى تزخاره والغيث فى * أمطاره والجو فى أنوائه
بأجل منه مواهبا ورغائبا * لازال هذا المجد حلف فنائه
والسادة الباقون سادة عصرهم * متمدحون بمدحه وثنائه
فقال ابو بكر تسعة ابيات قد غابت عن حفظنا لكنه

٣ قوله والبلح فى نسخ والرهج وحرر الروى

ونحوه المعانی المستترة عن متبرجة * ولابن بلدتنا الشيخ علاء الدين بن مقاتل مالك ازمة الزجل
وقد تقدم ذكره فيما أوردنه له من أزجال على الجناس المقلوب واللفظی الجمع في اللف والنشر
بين ثمانية وثمانية مع عدم الحشو والفرار من التعسف وصحة الانسجام وهو

خدود واصداغ وقد ومقلة * وثغر وأرياق ولحن ومعرب
فورد وسوسان وبان ونرجس * وكاس وجريال وجنك ومطرب

ومما سمعت فی هذا النوع وفيه الجمع بين عشرة وعشرة قول بعضهم

شعر جبين محيا معطف كفل * صدغ فم وجنات ناظر ثغر
ليل صباح هلال بانة ونقا * آس أقاح شقيق نرجس در

و جل القصد هنا ان يكون اللف والنشر فی بيت واحد خاليا من الحشو وعقادة التركيب جامعا
بين سهولة اللفظ والمعانی المخترعة انتهی الكلام علی اللف والنشر المفصل المرتب * وأما القسم
الذی هو العكس أعنی غير المرتب فكقول الشاعر

كيف أسلوا وأنت حقف وغصن * وغزال لحظا وقدا وردفا

فعدم الترتيب ظاهر فی البيت * واما القسم المذكور علی الاجمال فهو قسم واحد لا يتبين فيه
ترتيب ولا عكس كما تقدم ومثله قول ابن سكرة فی بيت الكافات الشتائية

جاء الشتاء وعندی من حوائجه * سبع اذا القطر عن حاجاتنا حبسا
كن وكيس وكانون وكاس طلا * مع الكباب وكس ناعم وكسا

وظريف هنا قول من قال

جاء الصفاع وعندی من حوائجه * سبع اذا الصفع فی ميدانه وقفا
نطع وطرق وزربول وغاشية * وركوة وجراب ناعم وقفا

ففی قوله بعد ماذكره من آلات الصفع وقفا غاية فی اللطف وقوة فی تمكين القافية انتهی الكلام
علی اللف والنشر المفصل المرتب وعلی غيره * واما أصحاب البديعيات فانهم ما نظموا الا
المفصل المرتب لانه المقدم عند علماء البديع فی هذا الباب ولم يأتوا به الا فی بيت واحد بحيث
يكون مثالا شاهدا علی هذا النوع وماشيا علی سنن الابيات المفردة المشتملة علی أنواع
البديع وبيت صفی الدين غاية فی هذا الباب لما اشتمل عليه من السهولة والرقة وعدم الحشو
وهو قوله

وجدی حنينی انينی فكرتی ولهی * منهم اليهم عليهم فيهم بهم

والعميان لم يأتوا بهذا النوع الا فی بيتين مع عقادة التركيب واقد حبست عنان القلم عن
الكلام عليهما لكونهما من جملة مديح النبی صلی الله عليه وسلم وهما

حيث الذی ان بدا فی قومه وحبی * عفاته ورمی الاعداء بالنقم
فالبدر فی شبهه والغيث جاد لذی * محل وليث الشری قد جال فی الغنم

وبيت عز الدين الموصلی

نشر ويسر وبشر من شذا وندی * وأوجه فتعرف طی نشرهم

قوله فتعرف طی نشرهم ليس له نص فی اللف لانه نص فيه علی ثلاثة وعجز عن ترتيب اللف

جمع فيها بين اقواء واكفاء
واخطاء وايطاء فرددنا
عليه بهذا عشرين ردا
ونقدنا عليه فيها كذا نقدا
ثم قلت لمن حضر من وزير
ورئيس وفقيه وأديب
أرأيتم لو أن رجلا حلف
بالطلاق الثلاث لا أنشد شعرا
قط ثم انشد هذه الابيات فقط
هل كنتم تطلقون امرأته
عليه فقالت الجماعة لا يقع
بهذا طلاق ثم قلت انقد
علی فيما نظمت واحكم
عليه كما حكمت فأخذ
الابيات وقال لا يقال نظرت
اليه هكذا وانما يقال نظرت
اليه فكفتنی الجماعة اجابته
ثم قال شبهت الطير بالمحصنات
وأی شبه بينهما فقلت يا رقيع
اذا جاء الربيع كانت
شوادی الاطيار تحت ورق
الاشجار فيكن كأنهن
المخدرات تحت الاستار ثم
قال لم قلت مثل المحصنات
مثل المغنی فقلت هن فی
الخدر كالمحصنات وكالمغنی
فی ترجيع الاصوات ثم قال
لم قلت زمن الربيع جلبت
اذ كی عنبر وهلا قلت اريح
عنبر فقلت ليس الربيع

والنشر

والنشر في نص اللف وعلى كل تقدير فلابد له من تسمية النوع فسماه ولكن أتى به فضلة ولو
التزم الشيخ صفي الدين أن يسمى هذا النوع البديعي في بيته لتجافت عليه تلك الرقة ويتي

فالطي والنشر والتغيير مع قصر * للظاهر والمعظم والاحوال والهمم

فالطي والنشر في نص اللف قبالة الظاهر والعظم والتغيير مع القصر قبالة الاحوال والهمم
هذا مع زيادة العدة على الشيخ عز الدين وعدم التكلف ولولا الالتزام بتسمية النوع ومراعاة
السهولة والانسجام وصلت الى أكثر من هذه العدة

(ذكر الطباق)

(بوحشة بدلوا انسى وقد خفضوا * قدرى وزادوا علوا في طباقهم)

المطابقة يقال لها التطبيق والطباق والمطابقة في اللغة أن يضع البعير رجله في موضع يده فاذا
فعل ذلك قيل طابق البعير وقال الاصمعي المطابقة أصلها وضع الرجل موضع اليد في مشي
ذوات الاربع وقال الخليل بن أحمد يقال طابقت بين الشيئين اذا جمعت بينهما على حذو واحد
انتهى وليس بين تسمية اللغة وتسمية الاصطلاح مناسبة لان المطابقة في الاصطلاح الجمع بين
الضدين في كلام أو بيت شعر كالايراد والاصدار والليل والنهار والبياض والسواد وليس في
الالوان ما تحصل به المطابقة غيرهما أعني البياض والسواد فقد قال الرماني وغيره البياض
والسواد ضدان بخلاف بقية الالوان لان كلا منهما اذا قوى زاد بعدا من صاحبه انتهى واذا
ألحقوا بقية الالوان بالمطابقة فالتدبيج أحق منها بذلك فانهم أوردوا في المطابقة من التدبيج
قول ابن حيوس على جهة الكناية

فانعم بيوم عم جود يمينه * وأبى لأفعال الدنية آبى

ببياض عرض واحمرار صوارم * وسواد نقع واخضرار رحاب

وقد تقرر أن المطابقة الجمع بين الضدين عند غالب الناس سواء كانت من اسمين أو من فعلين
أو من غير ذلك وقال الاخفش وقد سئل عنها أجد قوما يختلفون فيها فطائفة وهم الاكثر انها
الشيء وضده وطائفة يزعمون أنها اشتراك المعنيين في لفظ واحد منهم قدامة بن جعفر الكاتب
وأوردوا في ذلك قول زياد الاعجم

ونبئتهم يستنصرون بكاهل * وللؤم فيهم كاهل وسنام

فكاهل الاول اسم رجل والثاني العضو المعروف فاللفظ واحد والمعنيان مختلفان وهذا هو
الجناس التام بعينه وقال الاخفش من قال ان المطابقة اشتراك المعنيين في لفظ واحد فقد
خالف الخليل والاصمعي فقيل أوكانا يعرفان ذلك فقال سبحان الله من أعلم منهما بالطيبه
والخبيثه وما احسن ما أتى الاخفش في الجواب بالمطابقة (ومنهم) من أدخل المقابلة فيها
وليس بمليح اذ لم يبق للفرق بينهما محل فان السكاكي قال المقابلة ان تجمع بين شيئين فأكثر
وتقابل بالاضداد ثم اذا شرطت هنا شرطا شرطت هناك ضده والمطابقة هي الاتيان بلفظتين
والواحدة ضد الاخرى وكأن المتكلم طابق الضد بالضد ولقد شفى زكي الدين بن ابي الاصبع
القلوب فيما قرره فانه قال المطابقة ضربان ضرب يأتي بالفاظ الحقيقة وضرب يأتي بالفاظ
المجاز فما كان بلفظ الحقيقة سمي طباقا وما كان بلفظ المجاز سمي تكافؤا (فمثال التكافؤ)

بتاجر يجلب البضائع المربحة
ثم قال ما معنى قولك الغيث
في أمطاره والغيث هو المطر

الطباق .

نفسه فكيف يكون له مطر
فقلت لا سقى الله الغيث
أديبا لا يعرف الغيث وقلت
له ان الغيث هو المطر وهو
السحاب كما ان السماء هو
المطر وهو السحاب وقال
الجماعة قد علمنا أى الرجلين
أشعر وأى الخصمين أقدر
وأى البديهتين أسرع وأى
الرويتين أصنع . فقال أبو بكر
فاسقوني على الظفر فقالوا
كفاك ما سقاك ثم دنا الى
الترسل فقلت اقترح على غاية
ما في طوقك ونهاية ما في
وسعك واختر ما تبلغه بذرعك
حتى أقترح عليك أربعمائة
صنف في الترسل فان سرت
فيها برجلين ولم أطر
بجناحين بل ان أحسنت
القيام بواحد من هذه
الاصناف ولم تخلف كل
الاخلاف فلك يد السبق
وقصبه ومثال ذلك ان أقول
لك اكتب كتابا يقرأ منه

وهو من انشادات قدامة *

حلو الشمائل وهو مرّ باسل * يحمي الذمار صبيحة الارهاق

فقوله حلو ومر يجري مجرى الاستعارة اذ ليس في الانسان ولا في شمائله ما يذاق بحاسة الذوق ومن أمثلة التكافؤ قول ابن رشيق وهو حسن

وقد أطفؤا شمس النهار وأوقدوا * نجوم العوالي في سماء عجاج

ومثله

ان هذا الربيع شيء عجيب * تضحك الارض من بكاء السماء

ذهب حيثما ذهبنا ودر * حيث درنا وفضة في الفضاء

وما أحلى قول القائل في هذا الباب

اذا نحن سرنا بين شرق ومغرب * تحرك يقظان التراب ونائمه

فالمطابقة بين اليقظان والنائم ونسبتهما الى التراب على سبيل المجاز وهذا هو التكافؤ عند ابن أبي الاصبع * واما المطابقة الحقيقية التي لم تأت بغير الفاظ الحقيقة فأعظم الشواهد عليها قوله تعالى وأنه هو أضحك وأبكى وأنه هو أمات وأحيى وكقول النبي صلى الله عليه وسلم للانصار رضي الله تعالى عنهم انكم لتكثرون عند الفزع وتقلون عند الطمع فانظر الى هذه البلاغة النبوية والمناسبة التامة ضمن المطابقة * ومن الشواهد الشعرية قول الحماسي

تأخرت استبقي الحياة فلم أجد * لنفسي حياة مثل أن أتقدما

(ولآخر)

لئن ساءني أن نلتني بإساءة * لقد سرني أني خطرت ببالك

ولآخر في وصف فرس وأجاد

وأرى الوحش في يميني اذا ما * كان يوما عنانه بشمالي

والمعجز الذي لا تصل اليه قدرة مخلوق قوله تعالى وما يستوي الاعمى والبصير ولا الظلمات ولا النور ولا الظل ولا الحرور وما يستوي الاحياء ولا الاموات فانظر الى عظم هذه المطابقة وما فيها من الوجازة * ومن ذلك في الحديث قول النبي صلى الله عليه وسلم فليأخذ العبد من نفسه لنفسه ومن دنياه لآخرته ومن الشبيبة للكبر ومن الحياة للممات فوالذي نفسي بيده ما بعد الحياة مستعتب ولا بعد الدنيا دار الا الجنة والنار انتهى ما قررته في المطابقة لغة واصطلاحا وما أوردته من الفرق بينها وبين التكافؤ على رأي ابن ابي الاصبع (ولهم مطابقة السلب بعد الايجاب) وهي المطابقة التي لم يصرح فيها باظهار الضدين كقوله تعالى قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون فالمطابقة حاصلة بين ايجاب العلم ونفيه لانهما ضدان ومثله قول البحتري

يقيض لي من حيث لا أعلم النوى * ويسري الي الشوق من حيث أعلم

فالمطابقة باطنة ومعناها ظاهر فان قوله لا اعلم كقوله جاهل والسابق الى هذا امرؤ القيس بقوله

جوابه هل يمكنك ان تكتب أو اقول لك اكتب كتابا على المعنى الذي أقترح لك وانظم شعرا في المعنى الذي أقترح وافرغ منهما فراغا واحدا بل كنت تمد له ساعدا أو أقول لك اكتب كتابا في المعنى الذي أقول وأنص عليه وانشد من القصائد ما أريده من غير تثاقل ولا تغافل حتى اذا كتبت ذلك قرئ من آخره الى أوله وانتظمت معانيه اذا قرئ من أسفله بل كنت تفوق لهذا الغرض سهما أو تجيل قدحا أو تصيب نجحا أو قلت لك اكتب كتابا اذا قرئ من أوله الى آخره كان كتابا فان عكست سطوره مخالفة كان جوابا بل كنت في هذا العمل وارى الزند قاصد القصد أو قلت لك اكتب كتابا في المعنى الذي يقترح ولا يوجد فيه حرف منفصل من راء تتقدم الكلمة أو دال تنفصل عن الكلمة بديهة ولا يجم فيها قلمك بل كنت تفعل أو قلت لك اكتب

جزعت ولم اجزع من البين مجزعا ❊ وعزيت قلبا بالكواعب مولعا

فالمطابقة حاصلة بين ايجاب الجزع ونفيه ومن المستحسن فى ذلك قول بعضهم

خلقوا وماخلقوا لمكرمة ❊ فكانهم خلقوا وماخلقوا

رزقوا ومارزقوا سماح يد ❊ فكانهم رزقوا ومارزقوا

ومثله قول بشر بن هرون وقد ظهر منه الفرح عند الموت فقيل له اتفرح بالموت فقال ليس قدومى على خالق أرجوه كمقامى عند مخلوق لاأرجوه فالمطابقة حاصلة بين ايجاب الرجاء ونفيه انتهى الكلام على مطابقة السلب بعد الايجاب (ولهم ايهام المطابقة) كالهم ايهام التورية والشاهد على ايهام المطابقة قول الشاعر

يبدى وشاحا ابيضا من سيبه ❊ والجو قد لبس الوشاح الاغبرا

فان الاغبر ليس بضد الابيض وانما يوهم بلفظه أنه ضده ومثله قول دعبل

لاتعجبى ياسلم من رجل ❊ ضحك المشيب برأسه فبكى

فالضحك هنا من جهة المعنى ليس بضد البكاء لانه كناية عن كثرة الشيب ولكنه من جهة اللفظ يوهم المطابقة (ولهم) الملحق بالطباق وهو راجع الى الضدين كقوله تعالى اشداء على الكفار رحماء بينهم طابق الاشداء بالرحماء لان الرحمة فيها معنى اللين ومثله قوله تعالى مماخطاياهم أغرقوا فادخلوا نارا فالمطابقة بين الغرق ودخول النار فان من دخل النار احترق والاحتراق ضد الغرق (ومنه) قول الحماسى

اهم جل مالى ان تتابع لى غنى ❊ وان قل مالى لاأكلفهم رفدا

فى قوله تتابع لى غنى معنى الكثرة واما قول ابى الطيب

لمن تطلب الدنيا اذا لم ترد بها ❊ سرور محب أو اساءة مجرم

فتفق عليه انه من الطباق الفاسد فان المجرم ليس بضد للمحب بوجه ما وليس للمحب ضد غير المبغض انتهى وذكروا فى آخر الباب (طباق الترديد) وهو أن ترد آخر الكلام المطابق على اوله فان لم يكن الكلام مطابقا فهو من رد الاعجاز على الصدور ومنه قول الاعشى

لايرقع الناس ما اوهوا وان جهدوا ❊ طول الحياة ولايوهون مارقعوا

وجل القصد فى هذا الباب المطابقة فى الحقيقة التى قررها ابن ابى الاصبع وتقدم ذلك فى أول الباب مع الشواهد عليه ومثله قول بشار

اذا أيقظتك حروب العدا ❊ فنبه لها عمرا ثم نم

ومن لطيف هذا الطباق ماأورده القاضى جلال الدين القزوينى فى ايضاحه على تلخيصه وهو قول القاضى الارجانى

ولقد نزلت من الملوك بماجد ❊ فقر الرجال اليه مفتاح الغنى

والذى اقوله ان المطابقة التى يأتى بها الناظم مجردة ليس تحتها كبير أمر ونهاية ذلك أن يطابق الضد بالضد وهو شئ سهل اللهم الا أن تترشح بنوع من أنواع البديع تشاركه فى البهجة والرونق كقوله تعالى تولج الليل فى النهار وتولج النهار فى الليل وتخرج الحى من الميت وتخرج الميت من الحى وترزق من تشاء بغير حساب ففى العطف بقوله تعالى وترزق

كتابا خاليا من الالف واللام نصب معانيه على قالب الفاظه ولاتخرجه عن جهة أغراضه بل كنت تقف من ذلك موقفا مذموما أو يبعثك ربك مقاما محمودا أو قلت لك اكتب كتابا يخلو من الحروف العواطل بل كنت تحظى منه بطائل أو تبدل اهمالك بناطل أو قلت لك اكتب كتابا أوائل سطوره كلها ميم وآخرها جيم على المعنى الذى يقترح بل كنت تغلو فى قوسه غلوة أو تخطو فى أرضه خطوة أو أقول لك اكتب كتابا اذا قرئ معرجا وسرد معوجا كان شعرا بل كنت تقطع فى ذلك شعرا بلى والله تصيب ولكن من بدنك وتقطع ولكن من ذقنك اوأقول لك اكتب كتابا اذا فسر على وجه كان مدحا واذا فسر على وجه كان قدحا بل كنت تخرج عن هذه العهدة أو قلت لك اكتب كتابا اذا كتبته تكون قد حفظته من دون أن تحفظه بل كنت تنق من

من تشاء بغير حساب بدلالة على أن من قدر على تلك الافعال العظيمة قدر على ان يرزق بغير حساب من شاء من عباده وهذه مبالغة التكميل المشحونة بقدرة الرب سبحانه وتعالى فانظر الى عظم كلام الخالق هنا فقد اجتمع فيه المطابقة الحقيقية والعكس الذى لا يدرك لوجازته وبلاغته ومبالغة التكميل التى لا تليق بغير قدرته ومثل ذلك قول امرئ القيس

مكر مفر مقبل مدبر معا * كجلمود صخر حطه السيل من عل

فالمطابقة فى الاقبال والادبار ولكنه لما قال معا زادها تكميلا فى غاية الكمال فان المراد به اقرب الحركة فى حالتى الاقبال والادبار وحالتى الكر والفر فلو ترك المطابقة مجردة من هذا التكميل ما حصل لها هذه البهجة ولا هذا الموقع ثم انه استطرد بعد تمام المطابقة وكمال التكميل الى التشبيه على سبيل الاستطراد البديعى ولم يكن قد ضرب لانواع البديع فى بيوت العرب وتداولا امتداده سبب وقد اشتمل بيت امرئ القيس على المطابقة والتكميل والاستطراد على طريقة فان ابن المعتز قال هو ان يكون المتكلم فى معنى فيخرج منه بطريق التشبيه الى معنى آخر وممن كسا المطابقة ديباجة التورية أبو الطيب المتنبى حيث قال

برغم شبيب فارق السيف كفه * وكانا على العلات يصطحبان

كأن رقاب الناس قالت لسيفه * رفيقك قيسى وأنت يمانى

لعمرى لقد رفع أبو الطيب قدر المطابقة وازال حقارتها بمجاورة هذا النوع البديعى الذى عظم عند أهل الادب قدرا ومثله قول الصاحب بن عباد فى رثاء الوزير كثير بن احمد

يقولون قد أودى كثير بن أحمد * وذلك رزء فى الانام جليل

فقلت دعونى والعلا نبكه معا * فمثل كثير فى الانام قليل

وابو تمام كساها ديباجة المجانسة بقوله

بيض الصفائح لا سود الصحائف فى * متونهن جلاء الشك والريب

وما احلى قول الارجانى من قصيدة

تعلق بين الهجر والوصل مهجتى * فلا أربى فى الحب اقضى ولا نحبى

وقد أزر المطابقة بديع اللف والنشر واهلها بغريب هذا المعنى بعد ما سال رقة وعلق بخاطرى من هذه القصيدة

فلا تعجب أنى عشت بعدهم * فانهم روحى وقد سكنوا قلبى

ومنها

وحرف تجوب القاع والوهد والربا * كحرف مديم الجر والرفع والنصب

نجائب يقدحن الحصى كل ليلة * كأن بايديها مصابيح للركب

ومن المطابقة باللف والنشر ايضا قول شيخ شيوخ حماة المحروسة

ان قوما يلحون فى حب ليلى * لا يكادون يفقهون حديثا

سمعوا وصفها ولاموا عليها * أخذوا طيبا وردوا خبيثا

ومثله قوله يخاطب العاذل

نفسك به الى ملا أطاولك بعده بل است البائن اعلم فقال أبو بكر هذه الابواب شعبذة فقلت وهذا القول طرمذة فما الذى تحسن أنت من الكتابة وفنونها حتى أباحثك على مكنونها وأكاثرك بمخزونها وأشيرفيها قبلك وأسير فيها السائك وفك فقال الكتابة التى يتعاطاها اهل الزمان المتعارفة بين الناس فقلت اليس لا تحسن من الكتابة الاهذه الطريقة الساذجة وهذا النوع الواحد المتداول بكل قلم المتناول بكل يد وفم ولا تحسن هذه الشعبذة فقال نعم فقلت هات الآن حتى أطاولك بهذا الحبل وأناضلك بهذا النبل ثم تقايس ألفاظى بالفاظك وبعارض انشائى بانشائك واقترح كتابا يكتب فى النقود وفسادها والتجارات ووقوفها والبضاعات وانقطاعها والاسعار وغلائها فكتب أبو بكر ما نسخته (بسم الله الرحمن الرحيم)

آراك بخيلا بعونى فهبنى * سكونك عنى اذا لم تعنى
ذممت الهوى ورجوت السلو * فأبكيت عينى وأضحكت سنى

ومثله قوله

ياوجوها زانت سناها فروع * حالكات أغنتكم عن حلا كم
لى من حسنكم نهار وليل * أنعم الله صبحكم ومساكم

ومثله قوله من قصيد

توغل حرقتى أجرى دموعى * فقل ماشئت فى دخل وخرج

ومنه قول أبى حفص المطوعى فى الباب

اوماترى نوار الخلاف كأنه * لما بدا للعين نور وفاق

فالمطابقة هنا بزيادة التورية مع الاستعارة البديعة ويعجبنى قوله بعد هذا البيت

كأكف سنور ولكن نشره * يسعى بفأر المسك فى الآفاق

وأما سحر البلاغة هنا فقول القاضى الفاضل

دام صاحى وداده عمر الدهر جنينا السكرى النشوان

انظر أيها المتامل ما أبدع ما أبرز المطابقة فى حلل هاتين الاستعارتين الغريبتين وما ألطف ما أبدى معنى المطابقة بقوله بعدها

وبنات الصدور اوقع فيها * زعم الجد من بنات الدنان

فالقاضل أبرز هذه المطابقة فى حلل الاستعارة ولكن من أين للمستعير صحو الوداد ونشوة السكر سبحان المانح ماهذه الامواهب ربانية وأما الذين تقدم القول بالاقتداء برأيهم فى هذا الفن فانهم ما أبرزوها الافى شعار التورية فمن ذلك قول القاضى محيى الدين بن عبد الظاهر فى موصول

وناطقة بالنفخ عن روح ربها * تعبر عما عندنا وتترجم
سكتنا وقالت للقلوب فأطربت * فنحن سكوت والهوى يتكلم

فانه جمع بين التورية والتضمين والمطابقة وما احلى قول الشيخ شرف الدين بن الفارض فى المطابقة بالتورية فى قوله

أرج النسيم سرى من الزوراء * سحرا فأحياميت الاحياء

ومثله قول الوداعى فى قصيد وهو فى غاية الحسن

يفتن بالفاتر من طرفه * ويقه البارد يا حار

وما الطف قول الشيخ شمس الدين الواسطى فى دوبيت

ان ضر منى بجذوة التذكار * حبى وبرى عظمى شكرت البارى
فالعاذل فى هواى لاعقل له * ما ابلد عاذلى وأذكى نارى

ومثله قول سراج الدين الوراق

وبى من البدو كلاء الجفون بدت * فى قومها كمهاة بين آساد
فلو بدت لحسان الحضر قن لها * على الرؤس وقلن الفضل للبادى

الدرهم والدينار عن الدنيا والآخرة بهما يتوصل الى جناب النعيم ويخلد فى نار الجحيم قال الله تبارك وتعالى خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وصل عليهم وقد باغتنام فساد النقود ما أكبرناه أشد الاكبار وأنكرناه أعظم الانكار لما تراه من الصلاح للعباد وتنويه من الخير للبلاد وتعرفنا فى ذلك ما ينجح للناس فى الزرع والضرع ويعود اليه أمر الضر والنفع الى كلمات لم تعلق بحفظنا فقلت ان الاكبار والانكار والعباد والبلاد وجنات النعيم ونار الجحيم والزرع والضرع اسجاع قد نبتت فى المهد ولم تزل فى البد وقد كتبت وكتبت ولا أطالبك بمثل ما أنشأت فاقرأ ولك اليد وناولته الرقعة فبقى وبقيت الجماعة وبهت وبهتت

ومثله قول أبي الحسين الجزار

أمولاي ما من طباعي الخروج * ولكن تعلمته من خمول
أتيت لبابك أرجو الغنى * فأخرجني الضرب عند الدخول

ومثله قول الوداعي في مطلع قصيد

ما كنت أول مغرم محروم * من باخل بادي النفار كريم

ومثله قول مجير الدين بن تميم

لما لبست لبعده ثوب الضنا * وغدوت من ثوب اصطباري عاريا
أجريت واقف مدمعي من بعده * وجعلته وقفا عليه جاريا

وكتبت من هذا النوع الى القاضي كمال الدين بن النجار وكيل بيت المال بدمشق المحروسة

كمال الدين يا مولاي يا من * يغير البحر من بذل النوال
أيجمل أن يقول الناس اني * أتيت لحاجة لم تقضها لي
وأصبح بينهم مثلا لأني * أتاني النقص من جهة الكمال

ومثله قول الشيخ جمال الدين بن نباتة رحمه الله تعالى

اني اذا آنست هما طارقا * عجلت باللذات قطع طريقه
ودعوت ألفاظ الحبيب وكأسه * فنعمت بين حديثه وعتيقه

ومثله قوله

قصدت معاليك ارجو الندى * واشكو من العسر داء دفينا
فما كان بيني وبين اليسار * سوى أن مددت اليك اليمينا

ومثله قوله

حزني من مهفهف القد رام * أسهم اللحظ ما أسد وأرشق
كلما قلت يفتح الله بالوصل رماني من سحر عينيه بمغلق

ومثله قوله

ان أساء الحبيب قامت بعذر * وجنة منه فوقها شامات
يا لها وجنة أقابل منها * حسنات تمحى بها سيئات

ومثله قوله

قام غلام الامير يحسب في * يوم طهور البنين طاوسا
فانزل الحاضرون من شبق * وعاد ذاك الطهور تنجيسا

وما ألطف قوله من هذا النوع

يا غائبين تعللنا لغيبتكم * بطيب لهو ولا والله لم يطب
ذكرت والكأس في كفي لياليكم * فالكأس في راحة والقلب في تعب

ومثله قوله في براعة قصيد

* يوم صحو فاجعله لي يوم سكر *

وما أحلى ما قال بعده في الشطر الثاني

* فأدر لي كأسي رضاب وخمر *

الكافة وقالوا لي اقرأ
خمات اقرؤه منكوسا
وأمرده معكوسا والعيون
تزرق وتحار وكانت نسخة
ما أنشأناه
(بسم الله الرحمن الرحيم)
لله شاءان الحاضر صدور
ا وعلا المنابر ظهورلها
تفرع الدفاتر وجوه بها
وتشق المحابر بطونها
شق آثارا كانت فيه آمالنا
تضي على أياديه في تأييده
لله أدام الامير جرى فاذا
لمسلمين ظهور عن الثقل
هذا ورفع الدين أهل عن
لكل هذا يحط أن في اليه
تضرع ونحن واقفة
التجارات زائفة والنقود
مارفة أجمع الناس
روقد كريما نظر المنتظر
ه مصاب واتبعنا كرمه
قة وشمنا همه على آمالنا
اب وعلقنا أحوالنا وجوه
وكشفنا آمالنا وفود
يه بعثنا فقد نظره بجميل

منها ولم يخرج عما نحن فيه

جفن عينيه فاتر متجنى * انما خذه المشمشي جوري

ومثله قوله من قصيد

فريد وهو فتان التثنى * فيالله من فرد تلفى

وله فى روضة من قصيدة

مطابقة الاوصاف أما نسيمها * فصح واما ماؤها فتكسرا

أنظر ما أحسن تصريحه بالنوع هنا فى قوله مطابقة الاوصاف * ومثله قول الشيخ برهان الدين ابراهيم القيراطى من قصيد

بأبى غنى ملاحة اشكو له * فقرى فيصبح بالغنى يتطرب

ومنها فى هذا النوع

وغدا ينادمنى وكأس حديثه * اشهى الى من العتيق واطيب

ومثله قوله

فى جفنه سيف مضاربه * ياصاح أسبق لى من العذل

وبخده والردف لى خبر * قد سار بين السهل والجبل

ومثله قول الشيخ زين الدين بن الوردى

تجادلنا أماء الزهر از كى * أم الخلاف أم ورد القطاف

وعقبى ذلك الجدل اصطلحنا * وقد حصل الوفاق على الخلاف

ومثله قول الشيخ بدر الدين بن الصاحب وهو فى غاية الظرف

كم جار صرف الدهر فى حكمه * وضرنى من حيث بى يعتنى

ألبسنى من شيبتى حلة * قلت له والله عريتنى

ومنه قول الشيخ صلاح الدين الصفدى وقد أهدى الى الشيخ جمال الدين بن نباتة تخفيفة

أيا فاضلا تدنو الافاضل نحوه * وتشكر فى جمع المناقب تصريفه

اذا كنت بالاحسان ثقلت كاهلى * فلا عجب أن كنت تقبل تخفيفه

ومنه قول الشيخ صفى الدين الحلى من قصيدة

والريح تجرى رخاء فوق بحرتها * وماؤها مطلق فى زى مأسور

قد جمعت جمع تصحيح جوانبها * والماء يجمع فيها جمع تكسير

ومنه قول المعمار

أصاب قلبى خطافى * بلحظه لشقائى

فرحت من فرط وجدى * أشكو الى الحكماء

قالوا اصبت بعين * فقلت من عظم دائى

ان كان هذا صوابا * فتلك عين الخطاء (الخطائى)

وحسن هنا قول البدر يوسف بن لؤلؤ الذهبى

وحديقة مطلولة باكرتها * والشمس ترشف ريق ازهار الربا

بتدار كما أن ونعماه تأييده وأدام بقاءه الله وأطال الجليل الامير رأى ان وصلى الله على محمد وآله الاخيار فلما فرغت من قراءتها انقطع ظهر احد الخصمين وقال الناس قد عرفنا الترسل أيضا فلما اللغة فقلت يا أبا بكر وهذه اللغة التى هذه دفاترها وحدثتنا عنها وهذى كتبها وتلك مؤلفاتها فخذ غريب المصنف ان شئت واصلاح المنطق ان أردت وألفاظ ابن السكيت ان نشطت ومجمل اللغة ان اخترت فهو ألف ورقة وأدب الكاتب ان أردت واقترح على أى باب شئت من هذه الكتب حتى أجعله لك نقدا وأسرده عليك سردا فقال قرأ من غريب المصنف رجل ماس خفيف على مثال مال ومال أسماه فاندفعت فى الباب حتى قرأته فلم أتردد فيه وأتيت

يتكسر الماء الزلال على الحصى * فاذا عدا بين الرياض تشعبا

ومنه قول الشيخ شمس الدين بن الصائغ الحنفي

بروحي افتدى خاله فوق خده * ومن أنا في الدنيا فأفديه بالمال
تبارك من أخلى من الشعر خده * وأسكن كل الحسن في ذلك الخال (الخالي)

ومثله قول الشيخ عز الدين الموصلي

سموامني مهجتي سعيدا * ولي شقاء به يزيد
اذا اجتمعنا يقول ضدي * هذا شقي وذا سعيد

وظريف قول جمال الدين عبد الله السوسي

ورب أقطع يشدو * ساروا وما ودعوني
ما أنصفوا اهل ودي * واصلتهم قاطعوني

وألطف منه قول الشيخ جلال الدين ابن خطيب داريا

يا معشر الاصحاب قد عن لي * رأي يزيل الحق فاستظرفوه
لا تضمروا الا باخفافكم * ومن تثاقل منكم خففوه

ومثله قوله

تصفحت ديوان الصفي فلم أجد * لديه من السحر الحلال مرامي
فقلت لقلبي دونك ابن نباتة * ولا تتبع الحلي فهو حرامي

وظريف هنا قول الشيخ بدر الدين البشتكي وان لم يكن فيه تورية فقد صرح باسم النوع من جنس الغزل

وقالوا يا قبيح الوجه تهوى * مليحا دونه السمر الرشاق
فقلت وهل أنا الا الاديب * فكيف يفوتني هذا الطباق

ومن المطابقة بالتورية قول القاضي بدر الدين بن الدماميني رحمه الله

بدر اذا شمت فوق الخد عارضه * يوما أرى الصبح بالظلماء مختلطا
وظن ان صوابا هجر عاشقه * لما رأى منه شيبا باديا وخطا

ومن العجيب في هذا النوع قول شيخنا العلامة شهاب الدين ابن حجر فسح الله في اجله

خليلي ولى العمر منا ولم نتب * وننوي فعال الصالحين ولكنا
فحتى متى نبني بيوتا مشيدة * وأعمارنا منا تهد وما تبنى (تبني)

وما أحلى قوله فيه

أتى من أحبائي رسول فقال لي * ترفق وهن واخضع تفز برضانا
فكم عاشق قاسى الهوان بحبنا * فصار عزيزا حين ذاق هوانا

ومثله قوله

نأى رقيبي وحبيبي دنا * وحسنه للطرف قد أدهشا
آنسني المحبوب يوم اللقا * لكن رقيبي فيه ما أوحشا

وما أظرف قوله فيه

على الباب الذي يليه ثم قال يا اقترح غيره فقالوا كفى ذلك فقلت له اقرأ الآن باب المصادر من اخبار فصيح الكلام ولا أطالبك بسواه ولا أسألك عما عداه فوقف حماره وخمدت ناره وقال الناس اللغة مسلمة لك أيضا فهاتوا غيره فقلت يا أبا بكر هات العروض فهو أحد ابواب الادب وسردت منه خمسة أبحر بألقابها وأبياتها وعللها وزحافها فقلت هات الآن فاسرده كما سردته فلم يرد فضج الناس وقاموا عن المجلس يقذفونني بالامهات والاب ويشيعونه باللعن والسب وقام أبو بكر فغشي عليه وقت اليه فقلت يعز علي في الميدان أني * قتلت مناسبي جلدا وقهرا * ولكن رمت شيئا لم يرمه * سوالك فلم أطق يا ليث صبرا وقبلت عينه ومسحت وجهه وقلت أشهد أن الغلبة

اشكو الى الله مابى * وماحوته ضلوعى
قدطابق السقم جسمى * بنزلة وطلوع

انظر كيف جمع بين قصر الوزن وعدم الحشو وصحة التركيب والمطابقة بالتورية وتسمية النوع من جنس الغزل ومثله قوله

قال حبى اكتم الهوى * خوف لاح وواشيه
كيف أستطيع كتمه * وسقامى علانيه

وأنشدنى من لفظه لنفسه ابن مكانس وقد أوقفته فى الشرح على هذا النوع فقال

ياسادتى والعشق لم يبق لى * من بعدكم روحا ولا حسا
صبحنى الهم لهجرانكم * والضر لما بنتم مسا (مسى)

وله

لثغرك طعم ونشر يلذ * ونسقى به ياأخا البدر عشقا
فدعنا نمت ونعش فى الهوى * غراما وتم ذوقا ونشقا (ونشق)

ومثله قوله

رب خذ بالعدل قوما * أهل ظلم متوالى
كلفونى بيع خيلى * برخيص وبغالى

ونقلت من ديوان والده المقر الفخرى

زارت معطرة الشذا ملفوفة * كى تختفى فأبى شذا العطر
يامعشر الادباء هذا وقتكم * فتناظموا فى اللف والنشر

ونقلت أيضا من ديوانه

لم أنس معشوقة زارت بجنح دجى * فبت فى مسك انفاس وطيب سمر
حتى الصباح وعيناها تظن بأن * هاروت حل عشاء فيهما وسحر

ونقلت منه ماامتدح به أمير المؤمنين على بن أبى طالب كرم الله وجهه

ياابن عم النبى ان أناسا * قد تولوك بالسعادة فازوا
أنت للعلم فى الحقيقة باب * ياإماما وما سواك مجاز

وقوله

علقتها معشوقة خالها * ان عمها بالحسن قد خصصا
ياوصلها الغالى وياهجرها * لله ما أغلى وما أرخصا

وقلت فى هذا المعنى من قصيدة

وكيف أكتم حبا فى هواه ولى * من أحمر الدمع فوق الخد تشهير
ونار خديه قلبى أرخصت وغلت * لما غدت ولها فى القلب تسعير
وقال أغمدت سيف اللحظ عنك فكيف الحال قلت له والله مشهور

وقلت من قصيدة وصرحت باسم النوع

طابقت رقة حالى بالجفا عبثا * فما طابقك الارقة وجفا

له فهب لاياأبابكر جئتنا من باب الخلطة وفى باب العشرة وتفرق الناس وحبسنا للطعام مع أفاضل ذلك المقام ولما حلقنا على الخوان كرعت فى الجفان وأسرعت الى الرغفان وأمعنت فى الالوان وجعل هذا الفاضل يتناول الطعام بأطراف الاظفار ولايأكل الاقضما ولاينال الاشما وهو مع ذلك ينطق عن كبد حرا ويفيض عن نفس ملاى فقلت ياأبابكر بقيت لك منة وفيك مسكة (ياقوم انى ارى الاموات قد نشروا * والارض تلفظ موتاكم اذاقبروا) فأخبرنى ياأبا بكر لم غشى عليك فقال لحى الطبع وحمى الفرو فقلت اين أنت عن السجع هلاقلت حمى الطبع وحمى الصفع وقال السيد أبو القاسم أيها الاستاذ أنت مع الجد والهزل تغلبه

وقلت من قصيدة

شرقونا بدمع العين عجبا * ليتهم عند موتنا قابلونا

وقلت بعده

حبكم فرضنا وسيف جفاكم * قد غدا في بعادنا مسنونا

حتى تخلصت الى مدح أمين الدين من غزل هذه القصيدة ولم اخرج عما نحن فيه من المطابقة بالتورية بقولي

والحشا لم تخن عهود وفاكم * واسألوا من غدا عليها أمينا

ومن غريب ما وقع لي في هذا النوع قولي من قصيدة

بدر منير قسا برؤيته * لكن يرى عند خده شفقه

وقلت من قصيدة

لي في حماكم أهيف من عامر * وخراب بيت تصبري بالعامري

سلطان حسن ظاهر لما بدا * جال الهوى في باطني بالظاهر (بالظاهري)

وضفرت شعرك اذ ظفرت بمهجتي * يفديك محلولي العرا من ظافر

وجبت برد الثغر اذ طابقته * في ضمن تورية بجفن فاتر

انظر ما أحلى قولي في ضمن تورية والمراد المطابقة بالتورية وقلت مطابقا والتورية ثلاثية

بر هجرك عجبا قد قضيت لنا * وشاهد الحسن بالاحسان حلالك

وكتبت الى بعض المخاديم بحماة المحروسة حرسها الله تعالى أطلب منثورا أبيض فماطلني مدة والمنثور الابيض عزيز بحماة

زهر الوعود ذوى من طول مطلكم * لانه من نداكم غير ممطور

والعبد قد جهز المنظوم ممتدحا * فطابقوه اذا وافى بمنثور

وقلت

هويت غصنا الاطيار القلوب على * قوامه في رياض الوجد تغريد

قالت لواحظه انا سود على * بيض الطباقات انتم أعين سود (سودوا)

وقد طال الشرح ولكن هذا الطول تنشرح له الصدور وتعلو به همة الطالب ولم يرض بعدها بالرخيص من هذا الفن وبتأيد قولي ان الذين اقتديت برأيهم ومشيت على سننهم لم يرضوا بالمطابقة المجردة ولم ينظموها الا في سلك التورية وقد أوردت لهم هنا من ذلك ما شنف الاسماع ورقص عند السماع والكمال لله فان الشيخ صفي الدين لم يات بالمطابقة الا مجردة وبيته

قد طال ليلي وأجفاني به قصرت * عن الرقاد فلم أصبح ولم أنم

وبيت العميان مثله لكنه عامر بالركة والعقادة وهو

واسهر اذا نام سار وامض حيث وني * واسمح اذا شح نفسا واسر ان يقم

وبيت عز الدين

ابكي فيضحك عن در مطابقة * حتى تشابه منثور بمنتظم

فقلت لا تطلبوه ولا تطعموه طعاما يصير في بطنه مغصا وفي عينه رمصا وفي جلده برصا وفي حلقه غصصا فقال أبو بكر هذه اسجاع كنت حفظتها فقل كأقواله يصير في عينك قذى وفي حلقك أذى وفي صدرك شجى فقلت يا أبا بكر على الالف تريد خذ الآن بفيك البرا وعلى هامتك الثرى ولا أطعمك الله الا من وراء كما ترى فقال أيها الاستاذ السكوت أولى بك ومالوا الي وقالوا ملكت فأسجح فأبى أبو بكر ان يبق لنفسه حجة لم ينقضها أو يدخر علينا كلمة لم يعرضها فقال والله لاتركنك بين المهمات فقلت ما معنى المهمات فقال بين مهزوم ومهدوم ومهشوم ومغموم ومحموم ومرجوم فقلت وأترك بين المهمات أيضا بين الهيام والصدام

لعمرى ان بيت صفى الدين و بيت العميان يتنزلان عند هذا البيت العامر بالمحاسن منزلة الاطلال البالية فان الشيخ عز الدين جمع فيه بين تسمية النوع من جنس الغزل و بين غرابة المعنى وحسن الانسجام ورقة النسيب و بديع اللف والنشر ولم يأت كل منهما الا بمجرد المطابقة وأما قول العميان فى آخر بيتهم واسران يقم فهذا اللفظ من بقية ماسقط من حجارة البيت وبيت بديعيتى

بوحشة بدلوا انسى وقد خفضوا * قدرى وزادوا وعلوا فى طباقهم

فالمطابقة والتورية وتسمية النوع البديعى اجتمعت هنا فى قافية هذا البيت الذى علا بطباقه وتفيأ أهل البديع بظل رواقه

(ذكر النزاهة)

(نزهت لفظى عن فحش وقلت هم * عرب وفى حيهم يا غربة الذمم)

النزاهة مانظمها أحد فى بديعيته الا صفى الدين الحلى وقد تقدم القول انه ذكر عن بديعيته انها نتيجة سبعين كتابا فى هذا الفن وهو نوع غريب تجول سوابق الذوق السليم فى حلبة ميدانه وتغرد سواجع الحشمة على بديع افنانه لانه هجو فى الأصل ولكنه عبارة عن الاتيان بألفاظ فيها معنى الهجو الذى اذا سمعته العذراء فى خدرها لاتنفر منه وهذه عبارة عمرو بن العلاء لما سئل عن أحسن الهجو وقد وقع من النزاهة فى الكتاب العزيز عجائب منها قوله تعالى واذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم بينهم اذا فريق منهم معرضون وان يكن لهم الحق يأتوا اليه مذعنين أفى قلوبهم مرض ام ارتابوا أم يخافون ان يحيف الله عليهم ورسوله بل أولئك هم الظالمون فان ألفاظ الذم المخبر عنها فى كلام الآية أتت منزهة عما يقع فى غير هذا القسم من الفحش فى الهجاء والمرض هنا عبارة عن ابطان الكفر ومن النزاهة البديعية فى النظم قول أبى تمام

بنى فعلة ما بالى وبالكم * وفى البلاد مناديح ومضطرب
لحاجة لى فيكم ليس يشبهها * الا لجاجتكم فى انكم عرب

ومن غريب هذا النوع قول معبد بن الحسين بن جبارة لرجل كان يدعو قوما الى سماع قينة له ثم انكشف له بعد هذا انهم كانوا ينالون منها القبيح

ألم أقل لك ان القوم بعيتهم * فى ربة العود لافى رنة العود
لاتأسفن على الشاة التى عقرت * فأنت غادرتها فى مسرح السيد

فانظر الى مصاحبة هذه المعانى وبراهة ألفاظها عن الفحش ومن ذلك قول جرير

فغض الطرف انك من نمير * فلا كعبا بلغت ولا كلابا

وقالوا أحسن ماوقع فى هذا الباب قوله أيضا

لو ان تغلب جمعت انسابها * يوم التفاخر لم تزن مثقالا

فانظر الى هذا الهجو المنكى كيف بالغ فى تنزيه ألفاظه عن الفحش وفيه معنى الهزل الذى يراد به الجد وهو غاية فى هذا النوع وبيت الشيخ صفى الدين الحلى

حسبى بذكرك لى ذما ومنقصة * فيما نطقت فلا تنقص ولا تذم

والجذام والجام والزكام والسام والبرسام والهام والسقام و بين السيئات فقد علمنا طريقة بين منحوس منخوس منكوس معكوس منعوس محسوس معروس

النزاهة

و بين الخطا آت فقد فتحت علينا بابا بين مطبوخ مشدوخ منسوخ ممسوخ مفسوخ وبين البليات فقد علمنى الطعن وكنت ناسيا بين مغلوب ومسلوب ومرعوب ومصلوب ومركوب ومنكوب ومنهوب ومغصوب وان شئنا كلنا بهذا الصاع وطاولنا بهذا الذراع وعرضنا عليك من هذا المتاع وكاثرناك بهذه الانواع ثم خرجت واخبر فقد كان اجتمع الناس وغلت الكروش ولما خرجت لم يلقونى الا بالشفاه تقبيلا وبالافواه تبجيلا وانتظروا خروجه الى ان

وقال انها بالقال الحجة فان جل قصده الذم هنا والذى أقوله ان هذا البيت شموس ايضاحه آفلة فى غيوم الشقادة ولبسه استضا بما قاله جرير ومشى على سننه والعميان لم ينظموا هذا النوع وبيت الشيخ عز الدين نظمه فى بديعيته لاجل معارضة الصفى وقال فى بيته يخاطب العاذل

لقد تفيهقت بالتشديق فى عذلى * كيف النزاهة عن ذا الأشدق الخصم

قد تقرر ان النزاهة هجو ولكن شرطوا أن لا ينظم هجوها الا بألفاظ لا تنفر منها العذراء فى خدرها والذى أقوله وأنا أستغفر الله ان ألفاظ عز الدين فى بيته ينفر منها الجان فكيف حال العذراء وحاصل القضية انه نزه ألفاظه عن النزاهة ولم يتفيهق ولم يتشدق غيره وما أحقه بقول القائل

وما مثله الا كفارغ حمص * خلى من المعنى ولكن يفرقع

وبيت بديعيتى

نزهت لفظى عن فحش وقات هم * عرب وفى حيهم يا غربة الذمم

حشمة النزاهة لا تخفى على أهل الذوق السليم والعلم مع ما فيها من عدم التكليف فى الميل عن التعسف والذى أقوله ان بيتى فى هذا الباب جر اذيال البلاغة مع جرير وشاركه فى العذوبة والتبارى ولكن له نبأ فى التسمية صدر عن خبير

(ذكر التخيير)

(تخيروا الى سماع العذل وانتزعوا * قلبى وزادوا نحولى مت من سقمى)

التخيير هو ان يأتى الشاعر ببيت يسوغ فيه ان يقفى بقواف شتى فيتخير منها قافية يرجحها على سائرها يستدل بتخيرها على حسن اختياره كقول الشاعر

ان الغريب الطويل الذيل ممتهن * فكيف حال غريب ماله قوت

فانه يسوغ أن يقال ماله مال ماله سبب ماله أحد ماله قوت فاذا تأملت ماله قوت وجدتها أبلغ من الجميع وادل على القافية وأمس بذكر الحاجة وأبين للضرورة وأشجى للقلوب وأدعى للاستعطاف فلذلك رجحت على ما ذكرناه ومن هذا النوع فى الكتاب العزيز قوله تعالى ان فى السموات والارض لآيات للمؤمنين وفى خلقكم وما يبث من دابة آيات لقوم يوقنون واختلاف الليل والنهار وما أنزل الله من السماء من رزق فأحيى به الارض بعد موتها وتصريف الرياح آيات لقوم يعقلون فالبلاغة تقتضى أن تكون فاصلة الآية الاولى للمؤمنين لانه سبحانه وتعالى ذكر العالم بجملته حيث قال السموات والارض ومعرفة ما فى العالم من الآيات الدالة على أن المخترع قادر عليم حكيم ولا بد من التصديق أولا بالصانع حتى يصح أن يكون ما فى المصنوع من الآيات دليلا على انه موصوف بتلك الصفات والتصديق هو الايمان وكذلك قوله تعالى فى الآية الثانية لقوم يوقنون فان خلق الانسان وتدبير خلق الحيوان والتفكر فى ذلك مما يزيده يقينا فى معتقده الاول وكذلك معرفة جزئيات العالم من اختلاف الليل والنهار وانزال الرزق من السماء واحياء الارض بعد موتها وتصريف الرياح يقتضى رجاحة العقل لعلم ان من صنع هذه الجزئيات هو الذى صنع

العالم

غابت الشمس ولم يظهر أبو بكر حتى حضره الليل بجنوده وخلع الظلام عليه فروته فهذا ما علقناه عن المجلس وأديناه والسيد أطال الله بقاءه يقف عليه ان شاء الله

(تم ما أملاه أبو الفضل فى مناظرة أبى بكر الخوارزمى وكتب اليه بعض من عزل عن ولاية حسنه يستقد وداده ويستميل فؤاده فأجابه بما نسخته)

وردت رقعتك فأعرتها طرف التعزز ومددت

التخيير

اليها يد التقزز وجمعت عنها ذيل التحرز فلم تند على كبدى ولم تحظ بناظرى ويدى وخطبت من مودتى مالم أجدك لها كفؤا وطلبت من عشرتى مالم أرك لها رضا وقلت هذا الذى رفع عنا أجفان طرفه وشال بشعرات أنفه وتاه بحسن قده وزها بورد خده ولم يسقنا من نوئه ولم نسر بضوئه والآن اذ نسخ الدهر آية حسنه وأقام مائل غصنه وفثأ غرب عجبه وكف زهو زهره واتصير

العالم الكلى بعد قيام البرهان على ان للعالم الكلى صانعا مختارا فلذلك اقتضت البلاغة ان تكون فاصلة الآية الثالثة لقوم يعقلون وان احتيج للعقل فى الجميع الا ان ذكره هنا امتن بالمعنى من الاول ويروى أن اعرابيا سمع شخصا يقرأ والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاء بما كسبا نكالا من الله والله غفور رحيم فقال ما ينبغى ان يكون الكلام هكذا فقيل ان القارئ غلط والقراءة والله عزيز حكيم فقال نعم هكذا تكون فاصلة هذا الكلام فانه لما عز حكم واذا تأملت فواصل القرآن وجدتها كلها لم تخرج عن المناسبة كقوله تعالى فأما اليتيم فلا تقهر وأما السائل فلا تنهر لا يجوز التبديل بينهما اذ لا يجوز النهى عن انتهار اليتيم لمكان تهذيبه وتأديبه وانما نهى عن قهره وغلبته كما لا يجوز ان ينهر السائل اذا حرم بل يرده رداجميلا ويعجبنى قول ديك الجن

قولى لطيفك ينثنى * عن مضجعى عند المنام

عند الرقاد عند الهجوع عند الهجود عند الوسن

فعسى انام فتنطفى * نار تأجج فى العظام

فى الفؤاد فى الضلوع فى الكبود فى البدن

جسد تقلبه الاكف على فراش من سقام

من قتاد من دموع من وقود من حزن

أما انا فكما علمت فهل لوصلك من دوام

من معاد من رجوع من وجود من ثمن

فهذه القوافى المثبتة يقابل كل بيت بما يليق به منها والاولى اولى وارجح وبيت صفى الدين الحلى رحمه الله تعالى

عدمت صحة جسمى اذ وثقت بهم * فما حصلت على شئ سوى الندم

فلذكر عدمت فى صدر البيت يليق ان تكون القافية العدم ولذكر الصحة يليق ان تكون القافية السقم ولذكر الوثوق يليق ان تكون القافية الندم والبيت فى غاية الرقة والانسجام وبيت عز الدين

تخير قلبى هوى السادات صح به * عهدى وانى لحزنى ثابت الالم

أما تخيير هذا البيت ثانى تركته لاهل الذوق السليم بل تخير البيت بكماله ولم تنظم العميان فى بديعيتهم هذا النوع وبيتى

تخيروا الى سماع العذل وانتزعوا * قلبى وزادوا نحولى مت من سقمى

فسماع العذل يليق به السأم وانتزاع القلب يليق به الالم وزيادة النحول يليق بهما السقم وتقديم السقم هنا اقرب من النحول ولم يدخل الى هذا البيت من الاجانب قافية

(ذكر الابهام)

(وزاد ابهام عذلى عاذلى ودجا * ليلى فهل من بهيم يشتفى ألمى)

الابهام ويسمى التوجيه وهو ان يقول المتكلم كلاما مبهما يحتمل معنيين متضادين لا تتميز أحدهما عن الآخر ولا يأتى فى كلامه بما يحصل به التمييز فيما بعد بل يقصد ابهام الامر فيهما والابهام

اما منه بشعرات كسفت هلاله واكسفت باله ومسخت جماله وغيرت حاله وكدرت شرعته حباه يستقى من بحرفنا جرفا ويغرف من طيبنا غرفا فهلا ياأبا الفضل مهلا اورغبت فينا اذ علا * لك الشعرفى خدمحل وخرجت عن حد الظبا * وصرت فى حد الابل الآن تطلب عشرتى * بعد العداوة يا اجل وتناسيت أيامك اذ تكلمنا نزرا وتلحظنا شزرا وتجالس من حضر وتسترق البك النظر وتهش اسلامك (ومن لك بالعين التى كان مدة * اليك بها فى سالف الدهر ينظر) أيام كنت تتمايل والاعضاء تتزايل وتتغانج والاجساد تتفالج وتتلفت والاكباد تتفتت وتتخطر وترفل والوجد يعلو بنا ويسفل

(الابهام)

مختص بالفنون كالمديح والهجاء وغيرهما ولكن لا يفهم من الفاظه مدح ولا هجاء بل يكون لفظه صالحا للامرين ومثاله ما يحكي أن بعض الشعراء هنأ الحسن بن سهل باتصال ابنته بالمأمون مع من هنأ فأثاب الناس كلهم وحرمه فكتب اليه ان أنت تماديت على حرماني عملت فيك بيتا لا تعلم مدحتك فيه ام هجوتك فاستحضره وسأله عن قوله فاعترف وقال لا اعطيك او تفعل فقال

بارك الله للحسن * ولبوران في الختن

يا امام الهدى ظفر * ت ولكن ببنت من

فلم يعلم ما أراد بقوله ببنت من في الرفعة أو في الصغر واستحسن منه الحسن ذلك وناشده أسمعت هذا المعنى ام ابتكرته فقال لا والله بل نقلته من شعر شاعر مطبوع كثير العبث بهذا النوع اتفق انه فصل قباء عند خياط اعور اسمه زيد فقال له الخياط على طريق العبث به سآتيك به لا تدري اقباء هو أم دواج فقال له الشاعر ان فعلت ذلك لاعملن فيك بيتا لا يعلم احد ممن سمعه ادعوت لك ام دعوت عليك ففعل الخياط فقال الشاعر

خاط لي زيد قباء * ليت عينيه سواء

فما علم احد ان الصحيحة تساوي السقيمة او بالعكس فاستحسن الحسن صدقه اضعاف استحسانه حذقه وغالب الناس يسمون الخياط عمرا ويقولون

خاط لي عمرو قباء * ليت عينيه سواء

ولكن نقل زكي الدين بن ابي الاصبع في كتابه المسمى بتحرير التحبير أن الخياط كان اسمه زيدا وأورد البيت مصرعا مرفوع العروض والضرب ووجه الرفع ظاهر فيهما ولم يتفق للمتأخرين ولا للسلف من قبل في هذا الابهام غير البيت المتعلق بالخياط زيد والبيت المتعلق بالحسن بن سهل وقد تقدم ذكرهما وقد عززتهما بثالث لما وقفت على تاريخ زين الدين بن قرناص الحلبي ووجدته قريبا من قباء زيد الخياط فقلت

تاريخ زين الدين فيه عجائب * وبدائع وغرائب وفنون

فاذا تأمله مناظر في جمعه * خبره عني انه مجنون

وكذلك الشيخ صفي الدين الحلي في بديعيته وتبعه الشيخ عز الدين الموصلي لاجل المناظرة ويأتي الكلام على بيتيهما وقد كشفت عنه قناع الاشكال وابرزت بدوره المتحجبة في افق الكمال فاني كتبت فيه تقريضا لم ارض بقراضة الذهب ان تكون له رملا ولا سبقني اليه اديب ولا اولد منه على هذا الطريق شكلا وما ذاك الا انه ورد الى الديار المصرية وانا منشئ دواوين الانشاء المؤيدي خلد الله ملكه الشيخ شمس الدين محمد بن ناهض الفقاعي في شهر شوال سنة ثمانية عشر وثمانمائة وقد صنف سيرة مشتملة على نظم ونثر للسلطان الملك المؤيد ولم يكن للمشار اليه المام بتعاطي الادب في مبادي عمره فسألني أن أكتب له عليها تقريظا قبل تقديمها فامتنعت من ذلك مدة فدخل علي بمن لا تمكن مخالفته فحسنت له كتابة شيخنا القاضي بدر الدين بن الدماميني أولا فتوجه اليه فالتزم بالايمان المغلظة انه لا يكتب له الا اذا كتبت له فلزمتني الكتابة من وجوه فكتبت له هذا التقريظ الذي صلت البلغاء خلفه فانه للمحاسن جامع وأوضحت طريقه فضاع نشره الذي كان من غير تورية متضائع (وهو)

وتدبر وتقبل فتمنى وتخيل وتصد وتعرض فتضني وتمرض (وتبسم عن الى كان منورا * تخال حوالرمل غض له ندى) فاقصر الآن فانه سوق كسد ومتاع فسد ودولة عرضت وأيام انقضت وعهد نفاق مضى وخطب كساد نزل وخد كان لم يكن وحظ كان لم يزل ويوم صار أمس وحسرة بقيت في النفس وثغر غاض ماؤه فلا يرشف وريق خدع فلا ينشف وتمايل لا يعجب وتثن لا يطرب ومقلة لا تجرح ألحاظها وشفة لا تفتن ألفاظها فختام تدل والام ولم تحتمل وعلام وآن أن تدعن الآن وقد بلغني الآن ما أنت متعاطيه من تمويه يجوز بعد العشاء في الغسق وتشبيه يفتضح عند ذوي البصر وافنائك لملك الشعرات حفا وحصا واساءتك لها نتفا وقصا وسيكفينا الدهر مؤنة الانكار عليك بما يزف

قوله ظاهر فيهما انظر ما وجهه في العروضة

وقفت على قواعد الادب من هذه السيرة الناهضه فوجدت مطرب لحنه. اقداعرب عن
التنكيت لاهل النكت الادبيه ونو يت معها سلوك الادب لاحتشامها بالصفات المؤيديه
فانها ما قوبلت بأدب الا تقوّت بسلطانها ولا جارتها سيرة مطوّلة الا كانت قاصرة عن
الجرى فى ميدانها ولا ذكرت التواريخ المقدمة معها الا تأخرت وكبت خلفها ولا
ناظرها ذو قصص الا ثقل عليه امرها ونظر الى قصصه فاستخفها . ولا بالغ اهل التقاريض
فى تقاريضهم الا وكانت دونها واستحق لها هذا الوصف فى ذمة أهل الادب فاستوفت منه
دونها فلو نظر الصفدى الى هذا التاريخ وراجع النظر لسلخ جلده او تصفحه الكتبى
لاسود على تاريخه وماعده او كاثره ابن كثير لرأى نقصه متزايدا عنده او عاصره ابن
خلكان لقال لم امازج شراب القاضى بخلى فان عنده حصة وبرده اولحه الذهبى ومره
بتاريخه اقبل له هذا ما ينطلى معه وعلم ان خلاصة الذهب تظهر بالسبك فهضم من جانبه
ووضعه ولو ادركه البديع لرمى بديعه وعلم انه بدعة اولحقه الوهرانى لرآه فى المنام ان
حصل له بعد مطالعته هجعة نسب هذا التاليف الى الدولة المؤيدية فصارله على كل اهل
الارض صوله فلو ناظره مؤلف بمجلد لقلنا هذا جراب الدوله تحمس فى شعره وتغالى فالقى لنا
فى سوق الكلام رخصه ولو زايده ابو تمام لتحقق عجزه وارانا بنفسه نقصه ثم هذه الاشعار
التى مازاحمها شاعر بديوانه الا تاب عليه بعد الزلزلة الواقعه وتقوم القيامة وهى الى
الحشر مرمية على القارعه ولقد اقام اوزانها بالقسط ولكن رجحها على القيراطى بفضله
ونقص عنها الراجح الحلى لان فيها زيادة على مثله فياله من شعر قصر عن بحره الطويل
كل معارض وكيف لا وناظمه ذو همة علية وناهض وابن ناهض وقد وقف ابن حجة
وقوف معترف ان عنده فى نظمه وقفه وسيكتب المقر البدرى على اعترافه انه قاضى
الادب وامامه الذى صلت البلغاء خلفه وفصحت لعلماء الادب هذا الباب وارجو ان
يكون قصاميننا فان رضونى براعة بحسن الختام واذا حصل المال من هذا النهر روينا
ثم وقفت وغير خاف عن علومهم الكريمة ان شرط الواقف ما يهمل وامتثلت مراسيم
المصنف مع سلوك الادب الذى يذوقه من له فيه اعذب منهل والله يجمعنا على هذا الشرب
لنحلو موارده بالموارده ولا يحجبنا عن الكلام الذى يحسن السكوت عليه وتتم به الفائده
(وكتب بعد ذلك سيدنا القاضى بدر الدين المشار اليه) وقفت اناولا كاد اثبت نظرى
لشدة الخجل ورأيت المهلة فى وصف هذه الالفاظ فاذا هى قد جاءت على عجل فقلت أما
المقام الشريف الممدوح عز نصره ولا زالت تفخر بدولته القاهرة مصره فلقد مد على
الرعية جناح العدل وحمى بيضة الاسلام وتواردت على تجريح عداته وتعديل صفاته
السنة السيوف والاقلام وسار على اقوم طريق فاذكرنا السيرة العمريه وطلع فى
سماء الكواكب كالبدر فقل ما شئت فى الطلعة القمريه ودعا الى نسك طاعته فلبته فى ذلك
الموقف النفوس ونادى على اعدائه منادى الحتف فارانا كيف يكون الترخيم بحذف
الرؤس ناهيك بها مناقب سرت القلوب وسارت ونافست النجوم جواهر الالفاظ فى
مدحها فغارت وشملت البرايا بالمن والمنح وقابلت المسىء بالعفو والصفح حماها الله

اليك من بنات الشعر
وامهاته فاما ما استاذنت
رأيى فيه من الاختلاف الى
مجلسى فما أقل نشاطى لك
واضيق بساطى عنك
واشبع قلبى منك واشد
استغنائى عن حضورك فان
حضرت فأنت كغاش نروض
عليه الحلم ونعلم به الصبر
ونتكلف فيه الاحتمال
ونغضى منه الجفن على قذى
ونطوى منه الصدر على أذى
ونجعله للعيون تأديبا وللقلوب
تأديبا مالك يا أبا الفضل
تعتاض من الرغبة عنا رغبة
فينا ومن ذلك التدالل علينا
تذللا لنا ومن ذلك التعالى
تصبصا ومن ذلك التغالى
ترخصا ومابال الدهر ابدلك
من التزايد تنقصا ومن
التسحب على الاخوان تقمصا
ولئن اعتضت عن ذلك
الذهاب رجوعا لقد اعتضنا
عن هذا النزاع نزوعا فانا
برحلك وجانبك ملق حبلك
على غاربك لا أوثر قربك
ولا اندسر بك ولو أحببت
ان أوجعك لقلت

تعالى من الغير وبجعل صفاتها الشريفة جمال الكتب والسير وأما منشئ السيرة فاذا اقول وقد رأيت الخطب جليلا وماذا أصف وقد حملني العجز عبأ ثقيلا هو كبير اناس مزمل من البلاغة بانواع وأجناس يأتم به الهداة كانه علم وتروم الادباء المقايسة به فيقاسون ولكن من شدة الالم له في الادب صرعه وشهامه وقراهة تجرّبه الى المقامات الرائقة فلا تحتريه سآمة ماهم بتركيب معنى الاوشرح الصدور بذلك الهم ولا شئ فارس فكره غارة الاوتم منها على بيوت الشعراء ماتم طالما ظهر برغم انوف الحسدة في المجالس فضله وصعبت الآداب على غيره لكنها اصبحت عليه سهله وعقل غرائب نكته عما سواه فلله ما ابدع عقله كذ عيش الحلي عما ابتدعه من العجائب ولا يشكر لته تكدير الصفي واكتفي في ميدان البراعة بجواد فكره الذي سال وهو مكرم فر وهكذا يكون المكتفي الى في تاريخه بالفاظ لو رآها ابن الاثير اثار وابن سعيد لتعثر وابن بسام لاصيب منها بالقارعة فعبس وتولى او الجبازي لرمي منها بالداهية التي هدمت ما بناه وثقلت عليه حملا وكتب خطا لو لمحه ابن مقلة لاصيب منه بنظره أو ابن البواب لهتك ستره وجاء بادب لو وازن أحد به الراجح الحلي لما اقام له وزنا ولا رجحه ولو تامل المليحي ملاحة لفظه الذي مامزج مثله بالذوق الا قال لسان التعجب ما أملحه ولو قيس به ابن الرومي المتعاظم لانشد الناظم

ولواني بليت بهاشمي * خؤولته بنو عبد المدان
لهان على ما القي ولكن * تعالوا وانظروا بمن ابتلاني

ولو تشبه به مادح كافور لما ادمن برده بكبد حرا ولو كاف مجارا ته صاحب القطر النباتي لقال ربنا أفرغ علينا صبرا ولو تعرض ديك الجن لعزائمه في الادب لما زادته الاخبالا ولو رأى سطورا تتوالد منها المعاني العجيبة والليالي كاعات حبالى ولو أصبح ابن قادوس نظارا بمثل أدبه لقلنا له حسبه ان يدور في الدولاب ولو تسرح الزغاري الى تصيد معانيه الشاردة لقطعت عليه اذناب الكلاب ولو تملق المعمار عليه العلم انه ينحت من الجبال بيوتا ولو رآه ابو نواس لقال هذا الذي نقل الادب خبرا وعلم من اين يؤتى ولو عورض به ابن عماتي لطال على قريحته المبتة التعب اوذكر الصابي لقال الذوق السليم ليس لعصرنا من صاب سوى هذا الاديب ولو أدرك آدابه الحكيم ابن دانيال لعلم انه ما تخيل نظيرها في الوهم ولا تصور مثلها في الخيال واذا كان الامر كما قال حسان بن ثابت الانصاري

وانما الشعر عقل المرء يعرضه * على البرية ان كيسا وان حمقا

فما اوفر عقل هذا الشاعر وأوفاه وما أقدره على تخيل المعاني الغريبة واقواه وما احق من قاسه على قرنائه من هذه الصناعة التي تعاطاها بسواه كم تصور معنى في الذهن فابرزه في الخارج اغرب الاشياء اسلوبا وكم ركب جناسا اذا ذكر البستي عنده قال الادب دعنا من تركيبه للجناس مقلوبا ولقد كنت ارتجي بابا ادخل منه للتقريض ففتح لي المقر التقوي بابا مرتجا ونهج الطريق الى المدح فاقتفيت آثاره واهتديت حيث رأيت منهجا ابقاه الله لابهام يوضحه وفساد عاجز يصلحه والله تعالى يحفظ على منشئ هذه السيرة

ما يفعل الله بالهود
ولا بعاد ولا ثمود
ولا بفرعون اذ عصاه
ما يفعل الشعر بالحدود

(وله أيضا الى الشيخ أبي جعفر الميكالي)

الامير الفاضل الرئيس رفيع مناط الهمة بعيد منال التقدمة فسيح مجال الفضل رحيب مخترق الجود طيب مجم العود

ولو نظمت الثريا
والشعر بين قريضا
وكامل الارض ضربا
وشعب رضوى عروضا
وصفت للدر ضدا
أو للهواء نقيضا
بل لو حلوت عليه
سود الذوائب بيضا
أو ادعيت الثريا
لاخمصيه حضيضا
والبحر عبدا لهاه
عند العطاء مفيضا
لما كنت الا في ذمة القصور
وجانب التقصير فكيف وأنا قاعد الحالة في المدح قاصر الآلة عن الشرح ولكني اقول الثناء منجح الى سلك والسجي جوده بما ملك وان لم تكن غرة لائحة

قريحته التي هي لعجائب الأدب حائزة ويجعله ممن يسرح في رياض الصدقات الشريفة بما يسوقه اليه من وفور الجائزة واطلع المصنف بعد ذلك على المقر الجدي فضل الله ابن مكانس فكتب باللطيف نظرت هذه السيرة التي يعرض عنها المعارض وينزو مؤلفها في رياض الأدب على بكر من سوام المعاني وفارض فوجدته قد نهض بعبء ثقيل من الكلام وقام وأوقف البلغاء في مقام العجز وبعد ذو العاجز اذ شرفها بذكر مولانا السلطان في هذا المقام خلد الله ملكه الشريف وعم بعدله المبسوط مدا ثن فضل ذات ظل وريف وجعل أيامه الزاهرة تواريخ السعود ومغانم الوفود ومواسم الكرم والجود وثبت قواعد سلطانه على الخصوم ورفع جنابه المعظم على الافلاك حتى تسير لخدمته ممنطقات بمناطق النجوم واعز دولته عزا يذل له الدبر والاملس وتلبس أثوابه في الارض ويخص محله الرفيع من تلك الافلاك بالاطلس هنالك ينحني الهلال لتقبيل اقدامه ويمد كف الثريا لاستجداء صوب غمامه ويتضاءل كل منهما فيصير هذا نعل فرسه وهذا حلية لجامه وملكه رقاب العباد وامضى أحكام سيوفه في رقاب أهل العناد حتى يشهد الدين انه قام بحقوقه نافلة وفرضا وسعى في مراضي الله فزلزل ديار الكفار سماء وأرضا ضاعف الله ثواب عمله المقبول وانشد بشكره لسان العالم حتى ينطق ويقول

السيد المالك الملك المؤيد سيف الدين شيخ حوى العلياء وارضاها

وشيد الدين والدنيا ببيض ظبا ❊ ان لم تضاه به في الحرب أمضاها

ثم كررت النظر فيها واستنهضت القلم للكتابة عليها حسب سؤال منشيها فنكس القلم من الخجل راسه وصعد من صريره انفاسه وقال لست ممن يجيد في هذا التقريض عباره ولا ينهض في وصف ماجاء به هذا الرجل من متين كلمه الذي افحم الفحول فكأنما القمهم حجاره فلقد ترفع قلمه في أرض قرطاسه وسما وأتى من الرقيق بشيء يحسبه الظمآن ما وقذف الرعب في القلوب بذكر الوقائع فورمت شوفا وشكت مما قذف بها ورما فلو وازنه القيراطي اثقل في الحقيقة عليه اوحام على حي ابن ابي حجلة لقرطا نرا من بين يديه أوجلا على ابن نباتة سلاف نظمه لم يقل الى بكاسك الاشهى الى أو أورى زنده مع الشواء الاحرق قلبه ولم يستحسن منه شيء أو عاصر ابن الساعاتي لم يلتذ بطيب المنام أو جاري النصير الحمامي لالقى شعره في سرب الحمام أو تقدم لزمان أبي تمام وناظره لعلم الناس أنه غير لبيب وقال له علماء البديع هذا ضدك ياحبيب أو ابن حجاج لاظهر فساد عقله السخيف ورمى بجميع ماقاله في الكنيف فهو أولى منهم بما جره الفضل وجذب وأحق وان اشتهرت فضائلهم أن يشتهر بالادب فانه لو كان الغريب من القول لائق به على كنهه أو أقام الاعتذار عن قبيح لقام العذر بماجاء به وذهب على وجهه ولو تصدى لتهجين حسن لزان بما لا الطروس من ذلك وشحن أو حاج بالباطل من يعرب عن الحق لنهض بحجته واستقر يلحن فسبحان من أقدره على ماتقصر عن ادراكه الافهام وتعجز عن تصوره عقول الانام ولقد استعفاه القلم عن الكتابة خشية من عرض فضائحه وسأله طي هذه الصحيفة

فلمحة دالة وان لم يكن صدر فلك أولم تكن خمرا نخل أو لم يصب وابل فطل ويذل الموجود غاية الجود وبعض الحبة آخر المجهود وماش خير من لاش ووجود ماقل خير من عدم ماجل وقليل في الجيب خير من كثير في الغيب وجهد المقل أحسن من عذر المخل وحمار هو خير من فرس ليس وكوخ في العيان خير من قصر في الوهم وزيت خير من ليت وما كان أجود من لو كان وقد قيل عصفور في الكف خير من كركي في الجولان تقطف خير من ان تقف ومن لم يجد الجيم رعى الهشيم ومن لم يحسن صهيلا نهق ومن لم يجد ماء تيمم والامير لاتنظر من قوافي صفحه الى ركة ألفاظها وبعد أغراضها ولكن الى وفور جذرها ونقل مهرها وقلة كفئها فاني منذ فارقت قصبة جرجان ووطئت عتبة خراسان مازففتها الا الى أذى ولا زوجتها سوى هذى على تمرغي في اعطان المحن وضرورتي الى أبناء الزمن وان كان

خوفا من نشر قبائحه فابى الا اظهار المكتوم وفض المختوم فيا خجلتاه لما كتب
ويا فضيحتاه اذ الام الفاضل على ما باء به وعتب ولكنه يجرى خلف الجواد بن السابقين
واقتدى بامامتهما التى اعترف الآفاق انهما لائقتا الخافقين ابقاهما الله مدى الازمان
واسبغ عليهما اغطاء الفضل وبلغهما غاية الامانى يوم الخوف والامان وامتع بجناب
منشئهما الاحباب وأقر به أعين الاخوان وبسط به أنفس الاصحاب والهمنا أجمعين
تجنب ما خفى علينا من عوراتنا وكشف حجب قلوبنا بمنه وكرمه وبيت الشيخ صفى الدين
الحلى

ليت المنية حالت دون نصحك لى * فيستريح كلانا من اذى التهم

هذا البيت ليس له نظير فى هذا الباب فانه اشتمل على الرقة والسهولة والانسجام ومازاده
حسنا الا التورية بليت التى استعان بها الشاعر فى ابهام بيته على زيد الخياط فان الشيخ
صفى الدين لما قال لعاذله * ليت المنية حالت دون نصحك لى * حسن ابهامه بقوله
* فيستريح كلانا من اذى التهم * وصار الامر مبهما بينه وبين العاذل وبيت الشيخ عز الدين
فى بديعيته يخاطب فيها العاذل

ابهمت نصحى مشيرا بالاصابع لى * ليت الوجود رمى الابهام بالعدم

وهذا الابهام هنا يشار اليه بالاصابع وتعقد عليه الخناصر فان الشيخ عز الدين رحمه الله تعالى
اجاد فيه الى الغاية ولم يتفق له فى نظم بديعيته بيت نظيره ولا اتفق لغيره ممن نظم بديعية فانه جمع بين
السهولة والانسجام والتصوير والتورية البارزة فى أحسن القوالب بتسمية نوع الابهام
الذى هو المقصود ولعمرى انه بالغ فى عطف القلوب بهذا السحر الحلال ولم ينظم العميان فى
بديعيتهم هذا النوع وبيت بديعيتى

وزاد ابهام عذلى عاذلى ودجا * ليلى فهل من بهيم يشتفى المى

فان الابهام هنا بين بهيم الليل وبين العاذل فان اشتراك البهيم صالح لهما ولكن لم يحصل
التمييز لاحدهما عن الآخر كما وقع الشرط بين الامر بينهما مبهم ولا يعلم من هو المقصود منهما
وهذا هو الفرق بين الابهام والتورية اذ المراد من التورية المعنى البعيد المورى عنه
بالقريب

(ذكر ارسال المثل)

(وكم تمثلت اذ رخوا شعورهم * وقلت بالله خلوا الرقص فى الظلم)

ارسال المثل نوع لطيف فى البديع ولم ينظمه فى بديعيته غير الشيخ صفى الدين وهو عبارة
عن ان يأتى الشاعر فى بعض بيت بما يجرى مجرى المثل من حكمة او نعت او غير ذلك مما يحسن
التمثل به كقوله تعالى ليس لها من دون الله كاشفة وقوله تعالى وترى الجبال تحسبها جامدة
وهى تمر مر السحاب صنع الله الذى أتقن كل شئ وقوله تعالى صبغة الله ومن أحسن
من الله صبغة وقوله تعالى ان أحسنتم احسنتم لانفسكم وان أسأتم فلها ومما جاء من ذلك
فى السنة الشريفة قوله صلى الله عليه وسلم لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين وقوله صلى الله
عليه وسلم لا ضرر ولا ضرار وقوله صلى الله عليه وسلم خير الامور أوساطها وقوله صلى الله

الامير الرئيس يرفع لكل لفظ
حجاب سمعه ويفسح لكل شعر
فناطبعه فهاك من الشعر
ما يقرى ومن النظم ما ترى
اذهب الكأس فعرف الـ
ـفجر قد كاد يلوح
وهو للناس صباح
ولذى الرأى صبوح
والذى يمرح بى فى
حلبة اللهو جموح
واسقنيها والامانى
لها عرف يفوح
ان فى الايام اسرا
رابها سوف تبوح
لا يغرنك جسم
صادق الحس وروح
انما نحن الى الآ
جال نغدو ونروح
وبك هذا العمر تقريـ
ـب وهذا الروح ريح
بينما أنت صحيح الـ
ـجسم اذ أنت طريح
فاسقنيها مثل ما يـ
ـقطه الديك الذبيح
قبل ان يضرب فى العمـ
ـر الى القدح السفيح
ها كم الدنيا فسبحوا
ووقعنا الا تصبح

ارسال المثل

عليه وسلم المرء مع من أحب وقوله صلى الله عليه وسلم المستشار مؤتمن وهو بالخيار ما لم يتكلم وقوله صلى الله عليه وسلم ذو الوجهين لا يكون عند الله وجيها يوم القيامة وقوله صلى الله عليه وسلم البلاء موكل بالمنطق وقد احتوى كتاب أبي أحمد العسكري على كثير من هذا الباب ومن أمثلته في الشعر قول زهير

وهل ينبت الخطي الا وشيجه * وتغرس الا في منابتها النخل

ومثله قول النابغة

واست بمستبق اخا لا تلمه * على شعث اى الرجال المهذب

ومثله قول بشار

فعش واحدا أو صل أخاك فانه * مقارف ذنب مرة ومجانبه

وما احلى ما قال بعده

اذا أنت لم تشرب مرارا على القذى * ظمئت وأي الناس تصفو مشاربه

وقول أبي تمام

فلو صورت نفسك لم تزدها * على ما فيك من كرم الطباع

وكقوله

نقل فؤادك حيث شئت من الهوى * ما الحب الا للحبيب الاول

وذكر ابن ابي الاصبع في كتابه المسمى بتحرير التحبير انه استخرج أمثال ابي تمام من شعره فوجدها تسعين نصفا وثلثمائة بيت وأربعة وخمسين بيتا واستوعب أمثال أبي الطيب المتنبي فوجدها مائة نصف وثلاثة وسبعين نصفا واربعمائة بيت ولكنه أخرج من أمثال أبي الطيب ما ولده من امثال أبي تمام وصدر الجميع بما وقع في الكتاب العزيز من الامثال بزيادات على ذلك وهي أمثال الاشعار السنية والحماسة وامثال أبي نواس بعد أن ألحق امثال القرآن بامثال دواوين الاسلام السنية وختم الجميع بامثال العامة في كتاب الامثال له ومما سار من أمثال الطغرائي في لامية العجم قوله

حب السلامة يثني عزم صاحبه * عن المعالي ويغري المرء بالكسل
لو أن في شرف المأوى بلوغ منى * لم تبرح الشمس يوما دارة الحمل
أعلل النفس بالآمال ارقبها * ما اضيق العيش لولا فسحة الامل
وعادة النصل ان يزهى بجوهره * وليس يعمل الا في يدي بطل
ما كنت اوثر ان يمتد بي زمني * حتى ارى دولة الاوغاد والسفل
هذا جزاء امرئ أقرانه درجوا * من قبله فتمنى فسحة الاجل
وان علاني من دوني فلا عجب * لي اسوة بانحطاط الشمس عن زحل
فاصبر لها غير محتال ولا ضجر * في حادث الدهر ما يغني عن الحيل
اعدى عدوك أدنى من وثقت به * فحاذر الناس واصحبهم على دخل
وانما رجل الدنيا وواحدها * من لا يعول في الدنيا على رجل
يا واردا سؤر عيش كله كدر * انفقت صفوك في أيامك الاول

انما الدهر عدو
ولمن اصغى فصيح
ولسان الدهر بالوعـ
ـظ لواعيه فصيح
سمع الدهر والايام منا تستميح
نحن لاهون وآجا
ل المنى لا تستريح
ضاع ما تحميه من أنـ
ـفسنا وهو يبيح
يا غلام الكأس فاليأ
س من الناس مريح
وقنوعا فمقام الذل بالحر قبيح
أنا بالدهر بأبنا
ئك شق وسطيح
وبابكار القوافي
لا على كف شحيح
يابني ميكال والجو
د لعلاقي مريح
شرفا ان مجال الـ
ـفضل فيكم لفسيح
وعلى قدرينا المـ
ـدوح يأتيك المديح
فهنالك الشرف الار
فع والطرف الطموح
والندى والخلق الطا
هر والوجه الصبيح
مرتقى مجد يحار الطر
ف فيه ويطيح
ما لكم فيه مغيض الـ
ـسماء والعرض صحيح

فيم اقتحامك لج البحر تركبه * وانت تكفيك منه مصة الوشل
ملك القناعة لا يخشى عليه ولا * يحتاج فيه الى الانصار والخول
ترجو البقاء بدار لا بقاء لها * فهل سمعت بظل غير منتقل
ويا امينا على الاسرار مطلعا * اصمت ففي الصمت منجاة من الزلل

ومن سار في مجرى هذه القصيدة ووزنها أبو الطيب المتنبي في قصيدته التي اولها

اجاب دمعي وما الداعي سوى طلل * دعا فلباه قبل الركب والابل
وما صبابة مشتاق على أمل * من اللقاء كمشتاق بلا أمل
والهجر اقتل لي مما أراقبه * انا الغريق فما خوفي من البلل
قد ذقت شدة أيامي ولذتها * فما حصلت على صاب ولا عسل
خذ ما تراه ودع شيأ سمعت به * في طلعة الشمس ما يغنيك عن زحل

انظر الى محاسن هذين الفحلين الى الغاية التي تمثلا بها في الشمس وزحل وتأخر سوابق الافهام عن معرفة السابق منهما الى الغاية ومنها قوله

وقد وجدت مكان القول ذا سعة * وان وجدت لسانا قائلا فقل
لعل عتبك محمود عواقبه * فربما صحت الاجسام بالعلل
لان حلمك حلم لا تكلفه * ليس التكحل في العينين كالكحل
وما ثناك كلام الناس عن كرم * ومن يسد طريق العارض الهطل

وقد عن لي أن أجمع هنا ما حلا بذوقي من أمثال أبي الطيب المتنبي وان كان فيها ما ولده من شعر ابي تمام كما ذكره ابن ابي الاصبع فان القصد ان نصيرها عمدة لاهل الانشاء اذا أوردوها في الوقائع التي تليق بها على اختلاف أنواعها فمن ذلك قوله

اذا صديق نكرت جانبه * لم تعيني في فراقه الحيل
في سعة الخافقين مضطرب * وفي بلاد من اختها بدل

وقوله من قصيدة

اشذ الغم عندي في سرور * تيقن عنه صاحبه انتقالا
ومن يك ذا فم مر مريض * يجد مرا به الماء الزلالا

وقوله من قصيدة

ذل من يغبط الذليل بعيش * رب عيش أخف منه الحمام
كل حلم أتى بغير اقتدار * حجة لاجئ اليها اللئام
من يهن يسهل الهوان عليه * ما لجرح بميت ايلام
خير اعضائنا الرؤس ولكن * فضلتها بقصدك الاقدام

وقوله

ما كل من طلب المعالي نافذا * فيها ولا كل الرجال فحولا
تلف الذي اتخذ الجراءة خلة * وعظ الذي اتخذ الفرار خليلا

وقوله

ايها الكريم الما
ثل والخلق السجيح
كان هذا المجد ميتا
عاد منك المسيح
هذه اطال الله بقاء الامير الشهم هدية الوقت وعفو الساعة وفيض البديهة ومسارقة القلم ومسابقة اليد للفم وجمرات الحدة وثمرات المدة ومجاراة الخاطر للناظر ومباراة الطبع للسمع ومجاوبة الجنان للبنان والشعراء المتقدمة ولم تنضجه روية لم يقرع له السمع حجابه واذا لبس الامير هذه على علاتها رجوت ان يكون ما بعدها امتن واحسن وارصن ورأيه في الوقوف عليه موفق ان شاء الله

(وله اليه أيضا)

لئن ساءني ان نلتني بمساءة *
لقد سرني أني خطرت ببالك

ومكايد

ومكايد السفهاء واقعة بهم * وعداوة الشعراء بئس المقتنى

ويعجبني قوله في الهجو وهو مما نحن فيه

فلو كنت امرأ يهجى هجونا * ولكن ضاق فتر عن مسير

وقوله

فقر الجهول بلا لب الى أدب * فقر الحمار بلا رأس الى رسن

قد هون الصبر عندي كل نازلة * ولين العزم حد المركب الخشن

لا يعجبن مضيما حسن بزته * وهل تروق دفينا جودة الكفن

وقال من ابيات قوله

عرفت الليالي قبل ما صنعت بنا * فلما دهتني لم تزدني بها علما

وكنت قبيل الموت استعظم النوى * فقد صارت الصغرى التي كانت العظمى

فلا عبرت بي ساعة لا تعزني * ولا صحبتني مهجة تقبل الظلما

وقوله ايضا

وانا الذي اجتلب المنية طرفه * فمن المطالب والقتيل القاتل

انعم ولذ فللامور أواخر * أبدا كما كانت لهن أوائل

للهو آونة تمر كأنها * قبل تزودها حبيب راحل

جمح الزمان فلا لذيذ خالص * مما يشوب ولا سرور كامل

واذا اتتك مذمتي من ناقص * فهي الشهادة لي باني فاضل

وقال من قصيدة وهي أبلغ ما يكون في المدح

اعيا زوالك عن محل نلته * لا تخرج الأقمار من هالاتها

وقال من قصيدة

واشجع مني كل يوم سلامتي * وما ثبتت الا وفي نفسها أمر

ذر النفس تاخذ وسعها قبل بينها * فمفترق جاران دارهما عمر

ومن ينفق الساعات في جمع ماله * مخافة فقر فالذي فعل الفقر

وأستكبر الاخبار قبل لقائه * فلما التقينا صغر الخبر الخبر

واني رأيت الضر أحسن منظرا * واهون من مرأى صغير به كبر

ويعجبني من المديح منها

وما انا وحدي قلت ذا الشعر كله * ولكن لشعري فيك من نفسه شعر

وقال من قصيدة

وما ليل بأطول من نهار * يظل بلحظ حسادي مشوبا

ولا موت بانقص من حياة * ارى لهم معي فيها نصيبا

عرفت نوائب الحدثان حتى * لو انتسبت لكنت لها نقيبا

وما أظرف ما قال منها

وشيخ في الشباب وليس شيخا * يسمى كل من بلغ المشيبا

الامير اطال الله بقاءه الى آخر الدعاء في حالي بره وجفائه متفضل وفي يومي ادنائه وابعاده محسن وهنيأ له من حمانا ما يحمله ومن عرانا ما يحمله ومن اعراضنا ما يستحله بلغني انه ادام الله عزه استزاد مستمده فكنت اطلب محبنا عليه مساء اليه فاذا انا في قرارة الذنب ومثارة العتب وليت شعري اي محظور في العشرة حضرته او مفروض من الخدمة رفضته أو واجب في الزيارة اهملته وهل كنت الا ضيفا هداه مفزع شاسع واداه امل واسع وحداه فضل وان قل وهداه رأى وان ضل ثم لم يلق الا في آل ميكال رحله ولم يصل الا بهم حبله ولم ينظم الا فيهم شعره ولم يقف الا عليهم شكره ثم ما بعدت صحبة الا دنت مهانة ولا زادت

وقال من قصيدة وهي التي ذكروا انه ادعى فيها النبوة

ومن نكد الدنيا على الحر أن يرى * عدوا له ما من صداقته بد

وقال من قصيدة

قد كنت اشفق من دمعي على بصري * فاليوم كل عزيز بعدكم هانا
اذا قدمت على الأهوال شيعني * قلب اذا شئت أن يسلاكم خانا
أبدو فيسجد من بالسوء يذكرني * ولا اعاتبه صفحا واهوانا
وهكذا كنت في أهلي وفي وطني * ان النفيس عزيز حيثما كانا
لا اشرئب الى مالم يفت طمعا * ولا ابيت على مافات حسرانا
ولا اسر بما غيري الحميد به * ولو حملت الي الدهر ملآنا

وقوله من قصيدة

فمالي وللدنيا طلابي نجومها * ومسعاي منها في شدوق الاراقم
من الحلم ان يستعمل الجهل دونه * اذا اتسعت في الحلم طرق المظالم
ومن عرف الايام معرفتي بها * وبالناس روى سيفه غير راحم
ولولا احتقاري الاسد شبهتها بهم * ولكنها معدودة في البهائم
وكاد سروري لايفي بندامتي * على تركه في عمري المتقادم

وقال من قصيدة

وأحسب اني لو هويت فراقكم * لفارقتكم والدهر أخبث صاحب
فياليت مابيني وبين احبتي * من البعد مابيني وبين المصائب
يهون على مثلي اذا رام حاجة * وقوع العوالي دونها والقواضب
كثير حياة المرء مثل قليلها * يزول وباقي عيشه مثل ذاهب
* بأي بلاد لم أجر ذوائبي * واي مكان لم تطأه ركائبي *

وتخلص الى مديح طاهر ولكنه اتى في تخلصه بالعجائب فقال

كأن رحيلي كان من كف طاهر * فاثبت كوري في ظهور المواهب

مايقول اثبت كوره في ظهور المواهب الا المتنبي ومن أبياته التي سارت امثالا قوله

اذا غامرت في شرف مروم * فلا تقنع بما دون النجوم
فطعم الموت في امر حقير * كطعم الموت في امر عظيم
وكل شجاعة في المرء تغني * ولا مثل الشجاعة في الحليم
وكم من عائب قولا صحيحا * وآفته من الفهم السقيم
ولكن تأخذ الآذان منه * على قدر القرائح والفهوم

وقال من قصيدة

والهم يخترم الجسيم نحافة * ويشيب ناصية الصبي ويهرم
ذو العقل يشقى في النعيم بعقله * وأخو الجهالة في الشقاوة ينعم

حرمة الا انقصت صيانة ولا تضاعفت منة الا تراجعت منزلة ولم تزل الصفقة حتى صار وابل الاعظام قطرة وعاد قميص القيام صدرة ودخلت مجلسه وحوله من الاعداء كتيبة فصار ذلك التقريب ازورارا وذلك السلام اختصارا والاهتزاز ايماء والعبارة اشارة وحين عاتبته آمل اعتابه وكاتبته انتظر جوابه وسألته ارجو ايجابه اجاب بالسكوت فما ازددت الا ولاء وعليه ثناء لا جرم الى اليوم ابيض وجه العهد واضح جبهة الود طويل لسان القول رفيع حكم العذر وقد حملت فلانا من الرسالة ما تجافى القلم عنه والامير الرئيس اطال الله بقاءه ينعم بالاصغاء لايورده موفقا ان شاء الله عز وجل

(وله اليه أيضا)

لا تخدعنك من عدو دمعة * وارحم شبابك من عدوك ترحم

وما أعظم ما قال بعده

لا يسلم الشرف الرفيع من الاذى * حتى يراق على جوانبه الدم
والظلم من شيم النفوس فان تجد * ذا عفة فلعلة لا يظلم
ومن البلية عذل من لا يرعوى * عن جهله وخطاب من لا يفهم
والذل يظهر فى الذليل مودة * واود منه لمن يود الارقم
ومن العداوة ما ينالك نفعه * ومن الصداقة ما يضر ويؤلم
افعال من تلد الكرام كريمة * وفعال من تلد الاعاجم اعجم

وقوله

كريشة بمهب الريح ساقطة * لا تستقر على حال من القلق

ويعجبنى قوله من أبيات يتمثل بها فى كثرة الاحسان المفرط

ولم تملل تفقدك الموالى * ولم تذم اياديك الجساما
ولكن الغيوث اذا توالت * بارض مسافر كره المقاما
وصار أحب ما يهدى اليه * لغير قلى وداعك والسلاما

وقال

والغنى فى يد اللئيم قبيح * قدر قبح الكريم فى الاملاق

وقال من قصيدة

وقد يتزيا بالهوى غير أهله * ويستصحب الانسان من لا يلائمه
بليت بلى الاطلال ان لم أقف بها * وقوف شحيح ضاع فى الترب خاتمه
وما استغربت عينى فراقا رأيته * ولا علمتنى غير ما القلب عالمه

وقوله

واذا كانت النفوس كبارا * تعبت فى مرادها الاجسام

وقال من قصيدة

اذا اعتاد الفتى خوض المنايا * فاهون ما تمر به الوحول

وقوله

رمانى الدهر بالارزاء حتى * فؤادى فى غشاء من نبال
فصرت اذا اصابتنى سهام * تكسرت النصال على النصال

وقوله

يراد من القلب نسيانكم * وتأبى الطباع على الناقل
ولو زلتم ثم لم أبككم * بكيت على حبى الزائل

وقوله

هل الولد المحبوب الا تعلة * وهل خلوة الحسناء الا اذى البعل
وقد ذقت حلواء البنين على الصبا * فلا تحسبنى قلت ما قلت عن جهل

أنا فى خدمة الامير مترجح بين ان اشربها رنقة لا اسيغها والجلح مضغة لا اجيزها وبين ان اطويها على غرها ولا ارتضع اخلاف درها

فلا نفسى تطاوعنى لرفض
ولا همى توطننى لخفض

وبى أن أقرصه بانامل العتب وأجشمه بالحاظ العذل واعرفه انى ما اطوى مسافة فرارا الا امتحنتها ولا اطأ عتبة دار الا امتريتها ولست ممن يبسط يده مستجديا او ينقل قدمه مستغذيا فان كان الامير الرئيس اطال الله بقاءه يسرح طرفه فى طامح او طامع فليعد الفراسة نظرا

فما الفقر من ارض العشيرة ساقنا * اليك ولكنا بقربك نبتهج

واجدنى كلما استفزنى الشوق الى تلك المحاسن اطير اليها بجناحين عجلا وارجع بعرجاوين خجلا

وما ... من الالوحل هده * ... ان يشتاق قبه الى الفشل

وقال

اذا ما الناس جربهم لبيب * فانى قد اكلتهم وذاقا

وقوله

فما ترجى النفوس من زمن * أحمد حاليه غير محمود

وقوله

ووجه البحر يعرف من بعيد * اذا يسجو فكيف اذا يموج

وقال

ليس الجمال لوجه صح مارنه * انف العزيز بقطع العز يجتدع

من كان فوق محل الشمس موضعه * فليس يرفعه شئ ولا يضع

ان السلاح جميع الناس تحمله * وليس كل ذوات المخلب السبع

وقوله مفتخرا

وانا اذا ما الموت صرح فى الوغى * لبسنا الى حاجاتنا الضرب والطعنا

وقوله

اهم بشئ والليالى كأنها * تطاردنى عن كونه وأطارد

وحيد من الخلان فى كل بلدة * اذا عظم المطلوب قل المساعد

ولكن اذا لم يحمل القلب كفه * على حالة لم يحمل الكف ساعد

منها

بذا قضت الايام مابين اهلها * مصائب قوم عند قوم فوائد

وكل يرى طرق الشجاعة والندى * ولكن طبع النفس للنفس قائد

فان قليل الحب بالعقل صالح * وان كثير الحب بالجهل فاسد

وقوله

وما كل وجه ابيض بمبارك * ولا كل جفن ضيق بنجيب

كان الردى عاد على كل ماجد * اذا لم يعوذ مجده بعيوب

ولولا أيادى الدهر فى الجمع بيننا * غفلنا فلم نشعر له بذنوب

فرب كئيب ليس تندى جفونه * ورب كثير الدمع غير كئيب

وفى تعب من يحسد الشمس ضوءها * ويجهد ان يأتى لها بضريب

وقوله

* ومن صحب الدنيا طويلا تقلبت * على عينه حتى يرى صدقها كذبا

ومن تكن الاسد الضوارى جدوده * يكن ليله صبحا ومطعمه غصبا

ولست ابالى بعد ادراكى العلا * أكان تراثا ما تناولت ام كسبا

و يعجبنى من هذه القصيدة قوله فى مدح سيف الدولة وقد كسر الدمستق على مرعش

أتى مرعشا يستقرب البعد مقبلا * وأدبر اذ أقبلت تستبعد القربا

ولولا ان الرضا بذلك ضرب من سقوط الهمة وان العتب نوع من انواع الخدمة لصنت مجلسه عن قلمى كما اصونه عن قدمى وملت الى ارض الدعاء فهو انفع والى جانب الثناء فهو اوقع وسأفعل ذلك لتخف مؤنتى ولا تثقل وطأتى

اذا ما عتبت فلم تعتب
وهنت عليك فلم تعن بى
سلوت فلو كان ماء الحياه
لعفت الورود ولم اشرب

وكتب الى القاسم الكرجى انا اطال الله بقاء الشيخ سيدى ومولاى وان لم التى تطاول الاخوان الا بالتطول وتحامل الاحرار الا بالتحمل أحسب الشيخ ايده الله قد وثق باخلاقه ضنا بما عقدت يدى عليه من الظن به والتقدير فى مذهبه ولولا ذلك اقلقت فى الارض مجالا ان ضاقت ظلالك وفى الناس واصلا ان رثت

كذا يترك الاعداء من يكره القنا * ويقفل من كانت غنيمته رعبا
مضى بعدما التف الرماحان ساعة * كما يتلقى الهدب في الرقدة الهدبا
ولكنه ولى وللطعن سورة * اذا ذكرتها نفسه لمس الجنبا
وخب الجبان النفس أورده البقا * وحب الشجاع الحرب أورده الحربا

وما احلى ما قال بعده

ويختلف الرزقان والفعل واحد * الى ان ترى احسان هذا لذا ذنبا

ومن أنصاف مطالعه التي تمثل بها الناس

* واحر قلباه ممن قلبه شبم *

ونصفه الثاني لاجل تمام تخلص المطلع

* ومن بجسمي وحالي عنده سقم *

ويعجبني من هذه القصيدة قوله يخاطب سيف الدولة ويشير اليه انه سمع فيه كلام الاعداء وقد احضرهم لمواجهته ولم يخرج عن ارسال المثل

يا أعدل الناس الا في معاملتي * فيك الخصام وانت الخصم والحكم
اعيذها نظرات منك صادقة * أن تحسب الشحم فيمن شحمه ورم
وما انتفاع اخي الدنيا بناظره * اذا استوت عنده الانوار والظلم

ومما سار من امثالها قوله

اذا رأيت نيوب الليث بارزة * فلا تظنن أن الليث مبتسم
يا من يعز علينا ان نفارقهم * وجداننا كل شيء بعدكم عدم
ان كان سركم ما قال حاسدنا * فما لجرح اذا أرضاكم ألم
وبيننا لو رعيتم ذاك معرفة * ان المعارف في اهل النهى ذمم
كم تطلبون لنا عيبا فيعجزكم * ويكره الله ما تأتون والكرم

منها وليس لمثله مثيل

اذا ترحلت عن قوم وقد قدروا * ان لا تفارقهم فالراحلون هم

وما أحلى ما قال بعده

شر البلاد مكان لا صديق به * وشر ما يكسب الانسان ما يصم

وقال من ابيات

وان كان ذنبي كل ذنب فانه * محا الذنب كل المحو من جاء تائبا

وقال من قصيدة

وما كمد الحساد شيء قصدته * ولكنه من يزحم البحر يغرق
واطراق طرف العين ليس بنافع * اذا كان طرف القلب ليس بمطرق

وقوله لولا مفارقة الاحباب ما وجدت * لها المنايا الى أرواحنا سبلا
وقوله لا بقومي شرفت بل شرفوا بي * وبنفسي فخرت لا بجدودي

حبالك وأوأخذه بافعاله فان أعارني أذنا واعية ونفسا مراعية وقلبا متعظا ورجوعا عن ذهابه ونزوعا عن هذا الباب الذي يقرعه ونزولا عن الصعود الذي يفرعه فرشت لمودته خوان صدري وعقدت عليه جوامع خصري ومجامع عمري وان ركب من التعالي غير مركبه وذهب من التغالي في غير مذهبه أقطعته خطة اخلاقه ووليته جانب اعراضه و

لم أرد الطير عن شجر
قد بلوت المر من ثمره

فاني وان كنت في مقتبل السن والعمر قد حلبت شطري الدهر وركبت ظهري البر والبحر ولقيت وفدي الخير والشر وصافحت يدي النفع والضر وضربت ابطي العسر واليسر وبلوت طعمي الحلو والمر ورضعت ضرعي العرف

وما أحلى ما قال من غزلها

أي يوم سررتني بوصال * لم ترعني ثلاثة بصدود

منها

أين فضلي اذا قنعت من الدهر بعيش معجل التنكيد
عش عزيزاً أومت وانت كريم * بين طعن القنا وخفق البنود

وقال من قصيدة

وعذلت اهل العشق حتى ذقته * فعجبت كيف يموت من لا يعشق

وقوله من قصيدة

تحقر عندي همتي كل مطلب * ويقصر في عيني المدى المتطاول

وما أحلى ما قال بعده

ومازلت طودا لاتزول مناكبي * الى ان بدت للضيم في زلازل

وله من قصيدة

ليس التعلل بالآمال من أربي * ولا القناعة بالاقلال من شيمي
ولا اظن بنات الدهر تتركني * حتى تسد عليها طرقها همي

وما الطف ما قال منها

ارى أناسا ومحصولي على غنم * وذكر جود ومحصولي على الكلم
لقد تصبرت حتى لات مصطبر * فالآن اقحم حتى لات مقتحم

وقال

وكاتم الحب يوم البين منهتك * وصاحب الدمع لا تخفى سرائره

وقوله

اذا قيل رفقا قال للحلم موضع * وحلم الفتى في غير موضعه جهل

وقال من قصيدة

فوقي في الوغى عيشي لأني * رأيت العيش من ارب النفوس

وقال من أخرى

ان ترمني نكبات الدهر عن كثب * ترمي امرأ غير رعديد ولا نكس

وقال

خبر الطيور على القصور وشرها * ياوي الخراب ويسكن الناووسا

وقال أيضا

يخفي العداوة وهي غير خفية * نظر العدو بما أسر يبوح

وقال ايضا

وهبني قلت هذا الصبح ليل * ايعمى العالمون عن الضياء

وقال أيضا

وشغل النفس عن طلب المعالي * ببيع الشعر في سوق الكساد

والنكر فما تكاد الايام تريني من افعالها غريبا وتسمعني من احوالها عجيبا ولقيت الافراد وطرحت الآحاد فما رأيت اسد الاملاء تحاقني سوءه وبصره وشغلت حيزي فكره وتطوره واثقلت كتفه في الحزن وكتمه في الوزن وودلو بادر القرن صيفقي اولى صفيحتي قال صغرت هذا المصغر في عينه وما الذي ازرى بي عنده حتى احتجب وقد قصدته ولزم ارضه وقد حضرته انا احاشيه ان يجهل قدر الفضل أو يجحد فضل العلم او يمتطي ظهر التيه على اهليه واساله ان يتصف من يتيم بفضل اعظام ان زلت بي مرة قدم في قصده وكأني به وقد غضب لهذه المخاطبة الجيفة والرتبة المصيفة وهو في جنب جفائه يسير فان اقلع عن عادته

ومنها

وماماضى الشباب بمسترد * ولايوم يمر بمستعاد
متى لحظت بياض الشيب عينى * فقد وجدته منها فى السواد
وما العضب الطريف وان تقوى * بمنتصف من الكرم التلاد
فان الجرح يدمى بعد حين * اذا كان البناء على فساد
وكيف يبيت مضطجعا جبان * فرشت لجنبه شوك القتاد

وما أحلى قوله من قصيدة

انى وان لمت حاسدى فما * انكر انى عقوبة لهم
كفانى الذم انى رجل * اكرم مال ملكته الكرم

وما أحلى ما قال بعده

يجنى الغنى للئام لوعقلوا * ماليس يجنى عليهم العدم

وقال ايضا

خليلك انت لامن قلت خلى * وان كثر التجمل والكلام
ولولم يعل الاذو محل * تعالى الجيش وانحط القتام

وما أحلى قوله منها

تلذله المروءة وهى تؤذى * ومن يعشق يلذله الغرام

ومما سار من امثالها

لقد حسنت بك الايام حتى * كانك فى فم الدنيا ابتسام
تروع ركانة وتذوب ظرفا * فماندرى أشيخ ام غلام

وقال من قصيدة

اطمعنى الدنيا فلاجئتها * مستمطرا امطرت على مصائبا

وقال منها

خذمن ثناى عليك مااسطيعه * لاتلزمنى فى الثناء الواجبا

وقال من غيرها

ومن لبه مع غيره كيف حاله * ومن سره فى جفنه كيف يكتم

وقوله

انا صخرة الوادى اذا مازوحمت * واذا نطقت فاننى الجوزاء
واذا خفيت على الغبى فعاذر * ان لاترانى مقلة عمياء
ان الكريم اذا أقام ببلدة * سال النضار بها وقام الماء

وقال من قصيدة

لاتعذل المشتاق فى أشواقه * حتى يكون حشاك فى أحشائه

وما أحلى ما قال بعده

ان القتيل مضرجا بدموعه * مثل القتيل مضرجا بدمائه

ونزع عن شيمته فى الجفاء فاطال الله بقاء الاستاذ الفاضل وادام عزه وتأييده

(وله أيضا اليه)

يعز على اطال الله بقاء الشيخ الرئيس ان ينوب فى خدمته قلمى عن قدمى ويسعد برؤيته رسولى دون وصولى ويرد مشرعة الانس به كتابى قبل ركابى ولكن ما الحيلة والعوائق جمة وعلى ان اسعى وليس على ادراك النجاح وقد حضرت داره وقبلت جداره وما بى حب الحيطان ولكن شغفا بالقطان ولاعشق الجدران ولكن شوقا الى السكان وحين عدت العوادى عنه املت ضميرا لشوق على لسان القلم معتذرا الى الشيخ على الحقيقة عن تقصير وقع وفتور فى الخدمة عرض ولكنى اقول

ان يكن تركى لقصدك ذنبا
فكفى ان لاارك عقابا

وما احلى ما قال من قصيدة

اذا ما قدرت على نطفة * فانى على تركها اقدر
أصرف نفسى كما اشتهى * واملكها والقنا اسمر

ويطربنى من مديحها قوله منها ايضا

كفتك المروءة ما تتقى * وآمنك الود ما تحذر

وقال

فلا تطمعن من حاسد فى مودة * وان كنت تبديها اليه وتقبل
يهون علينا ان تصاب جسومنا * وتسلم اعراض لنا وعقول

وقوله

وما الخصك فى برء بتهنئة * اذا سلمت فكل الناس قد سلموا

وقال

ومن يجعل الضرغام للصيد بازه * تصيده الضرغام فيما تصيدا
وما قتل الاحرار كالعفو عنهم * ومن لك بالحر الذى يحفظ اليدا

وما أحلى ما قال بعده

* اذا أنت أكرمت الكريم ملكته * وان انت اكرمت اللئيم تمردا *
ووضع الندى فى موضع السيف بالعلا * مضر كوضع السيف فى موضع الندى

ويعجبنى منها فى اقتضاره

وما الدهر الامن رواة قصائدى * اذا قلت شعرا اصبح الدهر منشدا
فسار به من لا يسير مشمرا * وغنى به من لا يغنى مغردا *

ومن أمثالها

فدع كل صوت بعد صوتى فاننى * انا الصائح المحكى والآخر الصدى
وقيدت نفسى فى ذراك محبة * ومن وجد الاحسان قيدا تقيدا

ولقد أجاد فى مديحها بقوله

اذا سأل الانسان ايامه الغنى * وكنت على بعد جعلنك موعدا

ومن الامثال السائرة مطلع هذه القصيدة

* لكل امرئ من دهره ما تعودا *

وقال من قصيدة

وما التيه طبى فيهم غير اننى * بغيض الى الجاهل المتغافل

وقوله

وكيف يتم باسك فى اناس * تصيبهم فيؤلمك المصاب

وما ألطف ما قال بعده

ترفق أيها المولى عليهم * فان الرفق بالجانى عتاب
وما تركوك معصية ولكن * يعاف الورد والموت الشراب

وله أيضا رسالة كتبها بيكند وقد قطع عليه العرب الى سعيد الاسمعيلى

كتابى اطال الله بقاء الشيخ الفاضل بل رقعتى وقد بكرت على مغيرة الاعراب ككهمس وربيعة بن مكدم وعتبة بن الحرث بن شهاب وانا احمد الله الى الشيخ واذم الدهر فما تركت لى فضة الا فضها ولا ذهبا الا ذهب به ولا علقا الا علقه ولا عقارا الا عقره ولا ضيعة الا اضاعها ولا مالا الا امال اليه ولا حالا الا احال عليه ولا فرسا الا افترسه ولا سبدا الا استبديه ولا لبدا الا لبديه ولا بزة الا بزها ولا عارية الا ارتجعها ولا وديعة الا انتزعها ولا خلعة الا اخلعها واناداخل نيسابور ولا حلية الا الجلدة ولا بردة الا القشرة

وما جهلت أياديك البوادى * ولكن ربما خفى الصواب
وكم ذنب يولده دلال * وكم بعد يولده اقتراب
وجرم جره سفهاء قوم * وحل بغير جارمه العذاب

ومن مطالعه التى سارت أمثالا

على قدر أهل العزم تأتى العزائم * وتأتى على قدر الكرام المكارم

ويعجبنى من مديحها

اذا كان ماتنويه فعلا مضارعا * مضى قبل ان تلقى عليه الجوازم
وقفت ومافى الموت شك لواقف * كأنك فى جفن الردى وهو نائم

وقال من قصيدة

وماتنفع الخيل الكرام ولا القنا * اذا لم يكن فوق الكرام كرائم

وقال من غيرها

وما الحسن فى وجه الفتى شرف له * اذا لم يكن فى فعله والخلائق

وقال من قصيدة

ومافى سطوة الارباب عيب * ولا فى ذلة العبدان عار

وقال من قصيدة

واذا لم تجد من الناس كفوا * ذات خدر ارادت الموت بعلا
واذا الشيخ قال اف فما مل حياة وانما الضعف ملا
آلة العيش صحة وشباب * فاذا وليا عن المرء ولى

وما احلى ما قال بعده

ابدا تسترد ما تهب الدنـ * ـيا فياليت جودها كان بخلا

وقال من قصيد

رب امر أتاك لا تحمد الفعال فيـ * ـه وتحمد الافعالا
واذا ما خلا الجبان بأرض * طلب الطعن وحده والنزالا

ومن انصافها

هكذا هكذا والا فلالا

وقال من قصيد مطلعها

الرأى قبل شجاعة الشجعان * هو أول وهى المحل الثانى
ولربما طعن الفتى اقرانه * بالرأى قبل تطاعن الاقران
لولا العقول لكان أدنى ضيغم * أدنى الى شرف من الانسان
ولما تفاضلت النفوس ودبرت * أيدى الكماة عوالى المران
واذا الرماح شغلن مهجة ثائر * شغلته مهجته عن الاخوان

وقال أيضا

واذا خامر الهوى قلب صب * فعليه لكل عين دليل

قوله جارمه فى نسخة جانيه

والله تعالى ولى الخلف بعجله والفرج بيسره وهو حسبى ونعم الوكيل

(وله الى الشيخ الامام أبى الطيب)

أنا أطال الله بقاء الشيخ الامام بصير بابناء الذنوب وأولاد الدروب أعرفهم بشامة وأنبئهم بعلامة والعلامة بينى وبينهم ان يفسدوا الصنيع على صانعه ويحرفوا الكلم عن مواضعه ويرموا فى الحكاية سهم الشكاية ويجيلوا فى الشكاية قدح النكاية ثم لا يرون النكاية الا السعاية وان أعوزهم الصدق مالوا الى الكذب وان حلم لهم الجد عوضوا باللعب ومن علاماتهم قبح مقاماتهم وايرادظلاماتهم موارد النصيحة لكبرائهم

وكثير من السؤال اشتياق * وكثير من رده تعليل
ما الذي عنده تدار المنايا * كالذي عنده تدار الشمول

وقال من قصيدة

ومن تفكر في الدنيا ومهجته * اقامه الفكر بين العجز والتعب

ومن مطالعه التي سارت أمثالا

كفى بك داء أن ترى الموت شافيا * وحسب المنايا أن يكن امانيا

وقوله منها

اذا كنت ترضى ان تعيش بذلة * فلا تستعدن الحسام اليمانيا
وللنفس أخلاق تدل على الفتى * أكان سخاء ما أتى أم تساخيا
اذا الجود لم يرزق خلاصا من الاذى * فلا الحمد مكسوبا ولا المال باقيا
خلقت ألوفا لو رددت الى الصبا * لفارقت شيبي موجع القلب باكيا

ومن انصافها السائرة

ومن قصد البحر استقل السواقيا

وقال أيضا

فارم بي ما اردت مني فاني * أسد القلب آدمي الرواء
وفؤادي من الملوك وان كا * ن لساني يرى من الشعراء

وقال من قصيد

فما الحداثة عن حلم بمانعة * قد يوجد الحلم في الشبان والشيب

ويعجبني من مديحها

كأن كل سؤال في مسامعه * قميص يوسف في اجفان يعقوب
اذا اعترته أعاديه بمسئلة * فقد عرته بجيش غير مغلوب

وقال أيضا

وأتعب خلق الله من زاد همه * وقصر عما تشتهي النفس وجده
فلا مجد في الدنيا لمن قل ماله * ولا مال في الدنيا لمن قل مجده

وما أحلى ما قال بعده

وفي الناس من يرضى بميسور عيشة * ومركوبه رجلاه والثوب جلده
ولكن قلبا بين جنبي ماله * مدى ينتهي بي في مراد أحده

وقال

اذا حلت مكانا بعد صاحبه * جعلت فيه على ما قبله تيها

وقوله

وما منزل اللذات عندي بمنزل * اذا لم ابجل عنده واكرم

منها

اذا ساء فعل المرء ساءت ظنونه * وصدق ما يعتاده من توهم

ومن آياتهم كثرة جناياتهم على الفضلاء وشدة حنقهم على من لم يخطرهم بباله ولا يحطهم في حباله فاذا انضاف الى ضيق اكنافهم سعة آنافهم والى قبح مقاماتهم قصر قاماتهم والى خبث مخضرهم خبث منظرهم والى خدودهم غلظ جلودهم والى سوء بالهم خشونة سبالهم والى مرض فؤادهم صفرة أجسادهم والى لين اقفاءهم غلظ افواههم فذلك من أعلى القوم طبقة في السفال وابعدهم غاية في النكال والذي قاوضني القاضي في معناه جلي في بابه ما حكاه يجمع هذه الخصال وقيادة ويتسلم هذه الاوصاف وزيادة فلم يبعد الشيخ عن مثله ان يكذب الطهارة أصله ام نجابة نسله آم

وعادى محبيه بقول عداته * واصبح فى ليل من الشك مظلم
أصادق نفس المرء من قبل جسمه * واعرفها من فعله والتكلم
وأحلم عن خلى واعلم انه * متى أجزه حلما من الجهل يندم
وما كل ناو للجميل بفاعل * ولا كل فعال له بمتمم
لمن تطلب الدنيا اذا لم ترد بها * سرور محب أو اساءة مجرم

منها

رضيت بما ترضى به لى محبة * وقدت اليك النفس قود المسلم

وقوله

واذا الحلم لم يكن فى طباع * لم يحلم تقدم الميلاد
واذا كان فى الانابيب خلف * وقع الطيش فى صدور الصعاد

وقوله

وما الخيل الا كالصديق قليلة * وان كثرت فى عين من لا يجرب
وكل امرئ يولى الجميل محبب * وكل مكان ينبت العز طيب

منها وأجاد الى الغاية

واظلم أهل الظلم من بات حاسدا * لمن بات فى نعمائه يتقلب

وقال من قصيدة

لا تلق دهرك الا غير مكترث * مادام يصحب فيه روحك البدن
فما يديم سرورا ماسررت به * ولا يرد عليك الفائت الحزن
ما كل ما يتمنى المرء يدركه * تجرى الرياح بما لا تشتهى السفن
رأيتكم لا يصون العرض جاركم * ولا يدر على مرعاكم اللبن
جزاء كل قريب منكم ملل * وحظ كل محب منكم ضغن
وتغضبون على من نال رفدكم * حتى يعاقبه التنغيص والمنن

وقال من قصيدة

ومراد النفوس أهون من ان * نتعادى فيه وان نتفانى
غير ان الفتى يلاقى المنايا * كالحات ولا يلاقى الهوانا
ولو ان الحياة تبقى لحى * لعددنا أضلنا الشجعانا
واذا لم يكن من الموت بد * فمن العجز أن تكون جبانا

وله من قصيدة

ولله سر فى علاك وانما * كلام العدا ضرب من الهذيان

وقال

لولا المشقة ساد الناس كلهم * الجود يفقر والاقدام قتال

وقال

ومن يجد الطريق الى المعالى * فلا يذر المطى بلا سنام

حصانة أهله أم رجاحة عقله أم ملاحة شكله أم غزارة فضله ولم يجوز على ما حكاه ام يؤوى طريدا ويلقى حصيدا ويؤنس وحيدا ويصطنع عبدا ومعبدا وكان يقدر انه اذا أتى افعل شنيعا أو سمع الى اللفظ ينكر لم يأل فى تحسين أمرى فعل الوالد بولده من جهته وتطلر المولى لصنعه أقرب والآن اذ عاد الامر الى العتاب فهلم الى الحساب ان كنت أخللت بطرف من طاعتى من جهة فقد نقصنى ما عودنى من وجوه وذلك انه كان لا يتجاسر أحد على ان يفرينى عنده فقد صار يفرينى عنده ويبرى جلده وكان يقوم قنائى فقد صار يحبط حسنائى وكان يثمر مالى فقد صار يبطل آمالى

وما أحلى ما قال بعده

ولم أر فى عيوب الناس نقصا * كنقص القادرين على التمام

وملنى الفراش وكان جنبى * يمل لقاءه فى كل عام

ومن اختراعاته المخترعة قوله منها ويشير الى حمى أصابته وكانت تغشاه اذا أتى الليل

وزائرتى كأن بها حياء * فليس تزور الا فى الظلام

بذلت لها المطارف والحشايا * فعافتها وباتت فى عظامى

يضيق الجلد عن نفسى وعنها * فتوسعه بأنواع السقام

اذا ما فارقتنى غسلتنى * كأنا عاكفان على حرام

كأن الصبح يطردها فتجرى * مدامعها بأربعة سجام

اراقب وقتها من غير شوق * مراقبة المشوق المستهام

وتصدق وعدها والصدق شر * اذا ألقاك فى الكرب العظام

فان أمرض فما مرض اصطبارى * وان احمم فما حم اعتزامى

وان اسلم فما ابقى ولكن * سلمت من الحمام الى الحمام

وقوله

وللسر منى موضع لا يناله * نديم ولا يفضى اليه شراب

وما العشق الا غرة وطماعة * يعرض قلب نفسه فيصاب

اعز مكان فى الدنا ظهر سابح * وخير جليس فى الزمان كتاب

منها فى المديح قوله فى كافور

تجاوز قدر المدح حتى كأنه * بأحسن ما يثنى عليه يعاب

اذا نلت منك الود فالكل هين * وكل الذى فوق التراب تراب

وما أحلى ما قال بعده

وما كنت لولا انت الا مهاجرا * له كل يوم بلدة وصحاب

وقوله

من اقتضى بسوى الهندى حاجته * اجاب كل سؤال عن هل بلم

منها

ولم تزل قلة الانصاف قاطعة * بين الرجال ولو كانوا ذوى رحم

لا تشكون الى خلق فتشمتهم * شكوى الجريح الى العقبان والرخم

وكن على حذر للناس تستره * ولا يغرك منهم ثغر مبتسم

منها

انى الزمان بنوه فى شبيبته * فسرهم واتيناه على الهرم

سبحان خالق نفسى كيف لذتها * فيما النفوس تراه غاية الألم

ومن امثاله التى سارت فى هجو كافور قوله

العبد ليس لحر صالح باخ * لو انه فى ثياب الخز مولود

وكان يحشد لامرى احتشاده لامره فقد نبذت وراء ظهره وقد كان يحمل فقد صار يتحامل وكان لا يضايقنى فى الالوف من الدراهم والدنانير فقد ضايقنى فى الشعير فى حمل بعير وللعبودية ذل اليهودية وذل المرودية والادلال مع الاذلال والطاعة مع الافضال فليستأنف الشيخ حال المولى ليستأنف حال العبد والله من وراء التسديد ونعم الوكيل

(وله ايضا اليه)

كتبتها أطال الله بقاء الشيخ الامام شمس الاسلام والحمد لله الذى أعاد اليها الاشواق وآنس بها الآفاق بعدما كادت الظلمة وأمكنت راميها الثلمة واسلمت ساحبها العقدة وحرقت بثوبها البدعة

لاتشتري العبد الا والعصي معه * ان العبيد لانجاس مناكيد

ما كنت أحسبني ابقى الى زمن * يسيء بي فيه كلب وهو محمود

من علم الاسود المخصي مكرمة * اقومه البيض أم آباؤه السود

ومن امثاله

ومن جهلت نفسه قدره * راى غيره منه مالا يرى

ومن انصافها التي سارت أمثالا

ولا بد دون الشهد من ابر النحل

وقال من قصيد

قد كنت احذر بينهم من مثل ذا * لو كان ينفع خائفا ان يحذرا

اعطى الزمان فما قبلت عطاءه * واراد بي فاردت ان اتخيرا

وقال من قصيدة

وقد يتقارب الوصفان جدا * وموصوفاهما متباعدان

وقوله

نحن بنو الموتى فما بالنا * نعاف مالا بد من شربه

تبخل ايدينا بأرواحنا * على زمان هي من كسبه

لو فكر العاشق في منتهى * حسن الذي يسبيه لم يسبه

يموت راعي الضأن في جهله * موتة جالينوس في طبه

وغاية المفرط في سلمه * كغاية المفرط في حربه

فلا قضى حاجته طالب * فؤاده يخفق من رعبه

وقال من قصيد

اذا اشتبكت دموع في خدود * تبين من بكى ممن تباكى

ولقد رايت هنا في هذا القدر الذي اوردته من شعر ابي الطيب من ارسال المثل ما تطيب به الاذواق وتجول به فرسان الانشاء بالحزم من جياد الاقلام في ميادين الاوراق وعلى كل تقدير فما لابي الطيب في حكمه وأمثاله نظير * وهنا نكتة لطيفة وهي ان صلاح الدين الصفدي كان مذهبه تقديم ابي الطيب المتنبي على ابي تمام وهو مذهب ابي العلاء المعري فانه سمى ديوانه بعد ما شرحه معجز احمد فاتفق ان صلاح الدين اجتمع بابن نباتة بالديار المصرية وذاكره في ابي الطيب وابي تمام فوجده على مذهبه واجتمعا بعد ذلك بالشيخ اثير الدين ابي حيان وذاكراه في ذلك فقدم أبا تمام فلاماه على ذلك فقال انا لا اسمع لوما في حبيب انتهى ومذهبي في ذلك مذهب الشيخ صلاح الدين ومذهب الشيخ جمال الدين وان كان الشيخ اثير الدين ما سمع في حبيبه لوما وخالف من لامه فيه وفند فمن المستحيل رجوع ابي بكر عن حب احمد وقد عن لي أن اورد هنا ما سارت في الخافقين حكمه وامثاله وانقاد اهل الذوق السليم لطاعته لما ورد عليهم مثاله وهو تأليفي الذي وسمته بتغريد الصادح وما ذاك الا ان سيدنا ومولانا قاضي القضاة صدر الدين بن الآدمي نور الله ضريحه وجعل من

ووهنت الجماعة والجمعة
ومرض الاسلام والسنة
وبعد ما أطلع الشيطان قرنه
واملع وفغر فمه وأولع
ومد يديه الى الدين ليقلع
وشفاهه الى العلم ليبلع
وكبر بالاسلام العصرة حيث
ملك البصرة ثم ابدل الله
الهدى على الضلال وأهل
السليط بالذبال وتصدق
بالشيخ الامام على الانام
وابقى جماله للاسلام والله
يقرن هذه النعمة بالقيام
ثم يربط تمامها بالدوام
من هراة عن سلامة بسلامة
امام نجيب وبنضارة أيامه
تطيب والله عليهما محمود
وصلى الله على النبي محمد وآله
ونفتح للامام من الصدور
ما لبس في الفؤاد ومن
القلوب ما لبس للاولاد

الرحيق المختوم غبوقه وصبوحه كان يقول لو ددت ان انتزع من الصادح والباغم أرجوزة مشتملة على أمثلة مرقصة وحكم بديعة بشرط ان يكون البيت منسجما مع الذى قبله والذى بعده ولم يتيسر لى ذلك لصعوبة المسلك انتهى ولما قدر الله تعالى ما قدره من الاختفاء بدمشق سنة ثلاث عشرة وثمانمائة عند دخول الملك الناصر بها وانا فى خدمة المقر الاشرف القاضوى محمد بن البارزى الجهنى الشافعى صاحب دواوين الانشاء الشريف بالممالك الاسلامية كان الصادح والباغم بين كتبه فنظرفيه وماوذ كرقول قاضى القضاة صدر الدين ورسم لى بذلك فانتزعت له هذه الارجوزة التى سارت غرر أمثالها ولم يسمح الزمان لمؤلف بمثالها ومن سافر فيها نظره وكان الذوق السليم رفيقه علم انها تضرب بها الامثال على الحقيقة وسميتها بتغريد الصادح وصدرتها من نظمى بابيات تقوم مقام الديباجة والخطبة هى

الحمد لله الذى هذبنا * واختارنا العلم اذا أدبنا
فان للآداب فضلا يذكر * فلا تخاطب كل من لا يشعر
بامدعى الحكمة فى كلامه * ومن يروم السحر فى نظامه
خذ حكما وكلها امثال * ليس لها فى عصرنا امثال
ألفها ابن حجة للنجبا * لأن فيها رأس مال الأدبا
واختارها من مفردات الصادح * فكان ذا من أكبر المصالح
من كل بيت ان تمثلت به * سكنت من سامعه فى قلبه
وقد تهجمت على الشريف * لكننى خاطبت بالمعروف
وجئت من كلامه بنبذه * تجلب للسامع كل لذه
وترفع الاديب ان تمثلا * بها اذا خاطب أرباب العلا
من حكم تتبعها وصايا * مقبولة من أحسن السجايا
من أول وأوسط وآخر * جمعتها جمع أديب شاعر
حتى دنا البعيد للقريب * وانتظم البديع بالغريب
وانسجمت فى جمعها ارجوزه * بديعة غريبة وجيزه
وكل من انكر ما أحكمت فى * ترتيبها يكون غير منصف
فلينظر الاصل ليعرف السبب * ويعترف ان كان من أهل الادب
أول مارغب فى استهلاله * من نظمه المحكم فى مقاله

وهذا أول الصادح والباغم

العيش بالرزق وبالتقدير * وليس بالرأى ولا التدبير
فى الناس من تسعده الاقدار * وفعله جميعه ادبار

ومن هنا يأتى هذا التأليف جميعه على هذا النمط وما أردت بهذا التنبيه الا يقظة المتأمل

من عرف الله ازال التهمه * وقال كل فعله للحكمه

فكأنما اشتق من جميع الاكباد وكأنما ولد بجميع البلاد سواء العاكف فيه والباد فلقد رأيتها كلها لشكاته متقسمة ثم رأيت الوجوه كلها لنجاته متبسمة ولااعتد عليه فانى منه واليه على أنى نذرت بسلامته النذور وسألت الله ان يصرف عنه المحذور وان يأخذ أحدنا مكانه وليكن من كانه وان أشفق الناس من فدائه فى وحدى وولدى بعدى والحظ له بعدى هذا ماله عندى تتالهيدى ويبلغه جهدى هذا هو الولاء الذى الباطن والظاهر فيه سواء كيف يرى الشيخ الامام سماحة الضمير لما يلى و ودائع الصدر فيما يغلى

من

من انكر القضا فهو مشرك * ان القضاء بالعباد أملك
ونحن لا نشرك بالله ولا * نقنط من رحمته اذ نبتلى
عار علينا وقبيح ذكر * ان نجعل الكفر مكان الشكر
وليس فى العالم ظلم جارى * اذ كان ما يجرى بامر البارى
وأسعد العالم عند الله * من ساعد الناس بفضل الجاه
ومن أغاث البائس الملهوفا * أغاثه الله اذا أخيفا
ان العظيم يدفع العظيما * كالجسم يحمل الجسيما
فان من خلائق الكرام * رحمة ذى البلاء والاسقام
وان من شرائط العلو * العطف فى البؤس على العدو
قد قضت العقول ان الشفقه * على الصديق والعدو صدقه
وقد علمت واللبيب يعلم * بالطبع لا يرحم من لا يرحم
فالمرء لا يدرى متى يمتحن * فانه فى دهره مرتهن
وان نجا اليوم فما ينجو غدا * لا يأمن الآفات الا ذو الردى
لا تغتر رن بالحفظ والسلامه * فانما الحياة كالمدامه
والعمر مثل الكاس والدهر القذر * والصفو لا بد له من الكدر

انظر أيها المتأمل كيف اتبعت قوله فانما الحياة كالمدامة بقوله فالعمر مثل الكاس واذا نظرت الى آخر البيت رايت الاتفاق العجيب منها

وكل انسان فلا بد له * من صاحب يحمل ما أثقله
جهد البلاء صحبة الاضداد * فانها كيّ على الفؤاد
أعظم ما يلقى الفتى من جهد * ان يبتلى فى جنسه بالضد
فانما الرجال بالاخوان * واليد بالساعد والبنان
لا يحقر العصبة الا جاهل * أو مارق عن الرشاد غافل
صحبة يوم نسب قريب * وذمة يحفظها اللبيب
وموجب الصداقة المساعده * ومقتضى المودة المعاضده
لا سيما فى النوب الشدائد * والمحن العظيمة الاوابد
فالمرء يحيى ابدا اخاه * وهو اذا ما عد من أعداه
وان من عاشر قوما يوما * ينصرهم ولا يخاف لوما
وان من حارب من لا يقوى * لحربه جر اليه البلوى
فحارب الاكفاء والاقرانا * فالمرء لا يحارب السلطانا
واقنع اذا حاربت بالسلامه * واحذر فعالا توجب الندامه
فالتاجر الكيس فى التجاره * من خاف فى متجره الخساره
يجهد فى تحصيل رأس ماله * ثم يروم الربح باحتياله
وان رأيت النصر قد لاح لكا * فلا تقصر واحترز أن تهلكا

وما اشبه فى ذلك صدرى الا بنهر منع طريقه فابتلع ريقه ولم يشق بالسكر فنهر النهر ونحر النهر وغرق الحجر وقلع الشجر كذلك مولاى الشيخ الامام سكرت عنه زمانا ثم عند الشدائد تذهب الاحقاد وترق الاكباد فرفعت سكره لحرف اليه طريقى ومتادى وروحى وجسدى ووالدى وولدى ولم أخل فى خلال الوحشة من شكر لاباديه وصفح من يعاديه وتجهيز السلام الى ناديه والغمام لواديه وكل افعال الشيخ الامام غرة فى ناصية الايام وزهرة فى جنح الظلام الان ما أوجب لفلان روض انا نسيمه وشجر انا ثمرته وعود حجره لسانى وجود شكره ضمانى وستسفر الايام والليالى عن وجوه تلك

واسبق الى الاجود سبق الناقد * فسبقك الخصم من المكايد
وانتهز الفرصة ان الفرصه * تصير ان لم تنتهزها غصه
كم تظر الغالب يوما فتركـ * عنه التوقى واستهان فهلك
ومن أضاع جنده فى السلم * لم يحفظوه فى لقاء الخصم
وان من لا يحفظ القلوبا * يخذل حين يشهد الحروبا
والجند لا يرعون من أضاعهم * كلا ولا يحمون من أجاعهم
واضعف الملوك طرا عقدا * من غره السلم فاقصى الجندا
والحزم والتدبير روح العزم * لاخير فى عزم بغير حزم
والحزم كل الحزم فى المطاوله * والصبر لا فى سرعة المزاوله
وفى الخطوب تظهر الجواهر * ماغلب الايام الا الصابر
لا تياسن من فرج ولطف * وقوة تظهر بعد ضعف
فربما جاءك بعد الياس * روح بلا كد ولا التماس
فى لمحة الطرف بكاء وضحك * ونا جلنباد ودمع نسفك
تنال بالرفق وبالتأنى * مالم تنل بالحرص والتعنى
ماأحسن الثبات والتجلدا * واقبح الحيرة والتبلدا
ليس الفتى الا الذى ان طرقه * خطب تلقاه بصبر وثقه
اذا الرزايا اقبلت ولم تقف * فثم أحوال الرجال تختلف
وكم لقيت لذة فى زمنى * فاصبر الآن لهذى المحن
فالموت لا يكون الا مره * والموت أحلى من حياة مره
انى من الموت على يقين * فأجهد الآن لما يقينى
صبرا على أهوالها ولا ضجر * وربما فاز الفتى اذا صبر
لا يجزع الحر من المصائب * كلا ولا يخضع للنوائب
فالحر للعبء الثقيل يحمل * والصبر عند النائبات يجمل
لكل شئ مدة وتنقضى * ماغلب الايام الا من رضى
قد صدق القائل فى الكلام * ليس النهى بعظم العظام
لا خير فى جسامة الاجسام * بل هو فى العقول والافهام
فالخيل للحرب وللجمال * والابل للحمل وللترحال
لا تحتقر شيأ صغيرا محتقر * فربما اسالت الدم الابر
لا تحرج الخصم فنى احراجه * جميع ماتكره من لجاجه
لا تطلب الفائت باللجاج * وكن اذا كويت ذا انضاج
فعاجز من ترك الموجودا * طماعة وطلب المفقودا
وفتش الامور عن اسرارها * كم نكتة بانت مع اظهارها
لزمت للجهل قبيح الظاهر * وما نظرت حسن السرائر

الا لى فيعلم انه لم يزدع فى سجنة والله على ذلك معين وددت لو يسمع الشيخ فى مجلسى والفقيه أبو سعيد حاضرى فيرى تسالب الثناء بينى وبينه وتناهب الدعاء منى ومنه ولو كان ذلك لسمعت أذناه ماتقر به عيناه وللشيخ الامام فى الوقوف على ما كتب به الرأى الموفق ان شاء الله تعالى

(وله اليه أيضا)

كتابى أطال الله بقاء الشيخ قليل فى الولاء ان احتذى من العين واحذ نعلين أن يسوقنى هذا المساق الا الشوق الهائج والوجد اللاعج وانا فى هذه الحرقة كثير الشوق ولكنى وردت لغير ما أردت انما ضربت فى جنب ما نسبوا الى من الذنب وطعنت فى عين ما قذفت به من المين وفرجت

ليس يضر البدر في سناه * أن الضرير قط لا يراه
كم حكمة أضحت بها المحافل * ناطقة وأنت عنها غافل
ويغفلون عن خفي الحكمه * ولو رأوها لازالوا التهمه
كم حسن ظاهره قبيح * وسمج عنوانه مليح
والحق قد تطلبه ثقيل * يأباه الا النفر قليل
فالعاقل الكامل في الرجال * لا ينثني لزخرف المقال
ان العدو قوله مردود * وقلما يصدق الحسود
لاتقبل الدعوى بغير شاهد * لاسيما ان كان من معاند
ليؤخذ البرئ بالسقيم * والرجل المحسن باللئيم
كذاك من يستنصح الاعادى * يردونه بالغش والفساد
انّا كلّ من ترى أذهانا * من حسب الاساءة الاحسانا
فادفع اساءة العدا بالحسنى * ولا تضل يسر التمثل المعنى
وللرجال فاعلمن مكايد * وخدع منكرة شدائد
فالندب لايخضع للشدائد * قط ولا يغتاظ بالمكايد
فرقع الخرق بلطف واجتهد * وامكر اذا لم ينفع الصدق وكد
فهكذا الحازم اذ يكيد * يبلغ في الاعداء ما يريد
وهو برئ منهم في الظاهر * وغيره مختضب الاظافر
والشهم من يصلح أمر نفسه * ولو بقتل ولده وعرسه
فان من يقصد قلع ضرسه * لم يعتمد الاصلاح نفسه
وان من خص اللئيم بالندا * وجدته كمن يربي أسدا
وليس في طبع اللئيم شكر * وليس في أصل الدنئ نصر
وان من الزمه وكلفه * ضد الذي في طبعه ما أنصفه
كذاك من يصطنع الجهالا * ويؤثر الارذال والانذالا
لو أنكم افاضل أحرار * ماظهرت بينكم الاسرار
ان الاصول تجذب الفروعا * والعرق دساس اذا أطيعا
ماطاب فرع أصله خبيث * ولازكا من مجده حديث
قد يدركون رتبا في الدنيا * ويبلغون وطرا من بغيا
لكنهم لايبلغون في الكرم * مبلغ من كان له فيها قدم
وكل من تمايلت أطرافه * في طيها وكرمت اسلافه
كان خليقا بالعلا وبالكرم * وبرعت في أصله حسن الشيم
لولا بنو آدم بين العالم * ما بان للعقول فضل العالم
فواحد يعطيك فضلا وكرم * فذاك من يكفره فقد ظلم
وواحد يعطيك المصانعه * أو حاجة له اليك واقعه

على مقام يومين وسأرد فارحض الدهمه وأمحض التهمه ان شاء الله واجدد عهدا بين ذلك وآخذ موثقا من أولئك لئلا يتهمني كل ما كذب كاذب أو اشتغل كاتب أو شرع حاسد بكفران نعمته قل لي أيستحل ان يسمع في المحال ولم يكشف فيه الحال وما هذا التصديق رجل ليس في المروءة راسا ولا في الدين ذنبا والله يكفي شاهدا وان كان واحدا فاما غير الله فلا أقل من شاهدين ولا كل شاهدين حتى يكونا عدلين. وما أرى الشيخ في دخوله بيني وبين أبي الحسين بن مهران الا داخلا بين العصا ولحائها انه جلدة بين العين والانف وغدة بين الذفرى والشنف

لاتسرعها الى حطام عاجل * كم أكلة اودت بنفس الآكل
واحذر أخى يافتى من الشره * وقس بما رأيته مالم تره
فليس من عقل الفتى أوكرمه * افساد شخص كامل لقرمه
فالبغى داء ماله دواء * ليس لملك معه بقاء
والبغى فاحذره وخيم المرتع * والعجب فاتركه شديد المصرع
والغدر بالعهد قبيح جدا * شر الورى من ليس يرعى العهدا
عند تمام الامر يبدو نقصه * وربما ضر الحريص حرصه
وربما طرلك بعض مالكا * وساءك الحسن من رجالكا
فالمرء يفدى نفسه بوفره * عساه ان ينجو به من أسره

تمت وختمها شيخنا رحمه الله بقوله

لا تعطينا شيأ بغير فائده * فانها من السبيل الفاسده
هذا الذى ألفته واخترته * من رجز الشريف وانتخبته
وحرمة الآداب يا أهل الادب * ان الشريف قد أتانا بالعجب
قلنا جميعا اذ سمعنا رجزه * كم قد أتى بجيد بمجوزه
من كل بيت شطره قصيد * وكلنا لبيته عبيد
فرحمة الله فى الآخرة * خاتمة مع الهبات الوافره
ثم الصلاة والسلام دائما * على الذى للرسل جاء خاتما

انتهى ما أوردته من امثال أبى الطيب المتنبى وامثال الصادح والباغم ولم أقصد بذلك الا أخذ مايحتاج المتأدب اليه فى ارسال المثل على أنواعه خصوصا أهل الانشاء فانه حلبة جولانهم وعمدة فرسانهم وبيت الشيخ صفى الدين فى بديعيته

رجوتكم نصحاء فى الشدائد لى * لضعف رشدى واستسمنت ذا ورم

فقوله استسمنت ذا ورم من الامثال السائرة ولم ينظم العميان فى بديعيتهم هذا النوع وبيت الشيخ عز الدين فى بديعيته

أنوار بهجته ارسالها مثلا * يلوح اشهر من نار على علم

فقوله أشهر من نار على علم من الامثال السائرة وبيتى

وكم غثلت اذ أرخوا شعورهم * وقلت بالله خلوا الرقص فى الظلم

فالرقص فى الظلم من الامثال السائرة ولكن قولى لهم بعد ارخاء الشعور خلوا الرقص فى الظلم لا يخفى على الحذاق من أهل الادب

على ان أبا الحسين لو أوحشنى ما استوحشت ولو استوحشت لا وحشت ولو اوحشت لا فحشت ثمن وطئ العقرب وجعته ومن قرص الحية لسعته واذا قالت الحية دعنى فلا تلسعنى فقد نصحتك وما سألتك شططا كيف القاه بخرطوم فيل ولم يلقنى بانف طويل ولم ابتاعه بثمن نزر ولم يلحظنى بنظر شزر وهل كان يعزونى ان كانت له حرمة الخلافة فلى حرمة الضيافة وان توسل بما مضى فلى الوسيلة بما بقى وهذا خطب لا يرفعه قلم رطب ولكن هذا عنوانه حتى يأتيك عيانه وكنت أردمن الشيخ على شرعة من السر تروى الظماء العشر وأخاف ان تكون هذه التساعير

(التهكم)

(ذكر التهكم)

*(ذل العذول بهم وجدا فقلت له * تهكما أنت ذو عز وذو شمم)*

التهكم نوع عزيز فى أنواع البديع لعلو مناره وصعوبة مسلكه وكثرة التباسه بالهجاء فى معرض المدح وبالهزل الذى يراد به الجد ويأتى الفرق بينهما بعد ايضاح حده والتهكم فى الاصل التهدم يقال تهكمت البئر اذا تهدمت وتهكم عليه اذا اشتد غضبه

والمتهكم المحتقر قال أبو زيد تهكمت غضبت وتهكمت تحقرت وعلى هذا يكون المتهكم
لشدة الغضب قد أوعد بالبشارة أو لشدة الكبر أو اتها ونه بالمخاطب قد فعل ذلك فهذا أصله
في الاستعمال وفي المصطلح هو عبارة عن الاتيان بلفظ البشارة في موضع الانذار والوعد
في مكان الوعيد والمدح في معرض الاستهزاء فشاهد البشارة في موضع الانذار قوله
تعالى بشر المنافقين بأن لهم عذابا أليما وشاهد المدح في معرض الاستهزاء بلفظ المدح
قوله تعالى ذق انك أنت العزيز الكريم قال الزمخشري ان في تأويل قوله تعالى له معقبات
من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله تهكما فان المعقبات هم الحرس من حول
السلطان يحفظونه على زعمه من أمر الله على سبيل التهكم فانهم لا يحفظونه من امره في
الحقيقة اذا جاء والله أعلم ومنه قوله تعالى قل بئسما يأمركم به ايمانكم ان كنتم مؤمنين
فقوله ايمانكم تهكم ومن التهكم في السنة الشريفة قوله صلى الله عليه وسلم بشر مال البخيل
بحادث أو وارث وشاهد المدح في موضع الاستهزاء من النظم قول ابن الذروي في ابن أبي حصينة
من أبيات

لا تظنن حدبة الظهر عيبا * فهي في الحسن من صفات الهلال
وكذاك القسي محدودبات * وهي أنكى من الظبا والعوالي
واذا ما علا السنام ففيه * لقروم الجمال أي جمال
وارى الانحناء في مخلب البا * زي ولم يعد مخلب الرئبال
كون الله حدبة فيك ان شئـ * ـت من الفضل أو من الافضال
فأتت ربوة على طود علم * وأتت موجة ببحر نوال
ما رأتها النساء الا تمنت * أن غدت حلية لكل الرجال

وما أحلى ما ختمها بقوله

واذا لم يكن من الهجر بد * فعسى ان تزورني في الخيال

وقول ابن الرومي

فياله من عمل صالح * يرفعه الله الى أسفل

وقيل ان اظرف ما نظم في التهكم قول حماد عجرد

فيا ابن طرح يا أخا الحلس ويا ابن القتب
ومن نشا والده * بين الربا والكتب
يا عربي يا عربي * يا عربي يا عربي

وهذا النوع اعني التهكم ذكر ابن أبي الاصبع في كتابه تحرير التحبير أنه من مخترعاته
ولم يره في كتب من تقدمه من ائمة البديع والعميان لم ينظموه في بديعيتهم وقنع الشهاب
محمود في كتابه المسمى بحسن التوسل من اشعار معالية بالشميم فانه ذكر بعض شواهده ولم
يأت له بحد تغشى الافهام فيه على صراط مستقيم ولكن ابن أبي الاصبع ازال بكارة اشكاله
وكان ابا عذرته وأرضع الاذواق لبان فهمه وكان فارس حلبته وقال الفرق بينه وبين
الهزل الذي يراد به الجد أن التهكم ظاهره جد وباطنه هزل وهو ضد الاول لان الهزل

بنميم لا بل بكذب بهيم
لا بل ببهتان عظيم لا بل
بكشحان عقيم قد كذب
على تلك الشرعة وانا
أنشده الله فيها وسأردفان
وحدت الحال كما زلت فذات
الشمل جامعة وان تغيرت
عما عهدت فارض الله
واسعة

ان لم تمن باسالف معروف *
فامنن على بتسريح باحسان

وفي الجملة ان ابن الهمذاني
اذا رضي بان يخدم ولا
يخدم فان العبودية لا تعدم

(وله اليه أيضا)

كتابي أطال الله بقاء الشيخ
والناس تذاكروا البشرى
يصفون قدرها وفي الوزارة
يعظمون صدرها وتحت
الرغوة صريح لو علموه
والشيخ أولى بان يعظموه
فو الله لقد زف منه اليها
أعظم مما زف منها اليه
وسيديرها على القطب
ويضع الهناء مواضع النقب

الذى يراد به الجد يكون ظاهره هزلا و باطنه جدا وذكر بعضهم الفرق بين التهكم والهجاء فى معرض المدح فقال الفرق بينهما التصريح بلفظة فى الاخر خلافه معنى الالتزام فى الكلام الاول وهو فى هذا دون الاول والشيخ صفى الدين نظم التهكم فى بديعيته ولكن ما أسكن بيته قرينة صالحة لبيانه ولا غردت حمائم الايضاح على أفنانه وبيته

محضتنى النصح احسانا على بلا * غش وقلدتنى الانعام فاحتكم

لم يظهر لى من هذا البيت غير صريح المدح والشكر ولم أجد فيه لفظة تدل على المخالفة والاستهزاء ولا على البشارة فى موضع الانذار ولا على الوعد فى موضع الوعيد ولم يشر فى بيته الى نوع من هذه الانواع وقد تقدم ان العميان لم ينظموه فى بديعيتهم وبيت الشيخ عز الدين

لقد تهكمت فيما قد مضت لمن * قولى بأنك ذو عز وذو كرم

فالشيخ عز الدين ذكر فى بيته انه تهكم على العذول لما خاطبه بلفظ العز والكرم ولكنه لم يأت بصيغة التهكم وبيتى

ذل العذول بهم وجدا فقلت له * تهكما أنت ذو عز وذو شمم

فخطاب العذول هنا بلفظ العز والشمم بعد وقوف العاذل فى موقف الذل هو التهكم بعينه

(ذكر المراجعة)

*(قال اصطبر قلت صبرى ما راجعنى * قال احتمل قلت من يقوى لصدهم)*

المراجعة ليس تحتها كبير أمر ولو فوض الى حكم فى البديع ما نظمتها فى اسلاك أنواعه وذكر ابن أبى الاصبع انها من اختراعاته وعجبت من مثله كيف قربها الى الذى استنبطه من الانواع البديعة الغريبة كالتهكم والافتنان والتدبيج والهجاء فى معرض المدح والاشتراك والالغاز والنزاهة ومنهم من سمى هذا النوع أعنى المراجعة السؤال والجواب وهو ان يحكى المتكلم مراجعة فى القول ومحاورة فى الحديث بينه وبين غيره باوجز عبارة وارشق سبك وألطف معنى وأسهل لفظ اما فى بيت واحد أو فى أبيات كقول عمر بن أبى ربيعة

بينما ينعتننى أبصرننى * مثل قيد الرمح يعدو بى الاغر

قالت الكبرى ترى من ذا الفتى * قالت الوسطى لها هذا عمر

قالت الصغرى وقد تيمتها * قد عرفناه وهل يخفى القمر

قال ابن أبى الاصبع لما أورد هذه الابيات واستشهد بها على هذا النوع فى كتابه المسمى بتحرير التحبير ان هذا الشاعر عالم بمعرفة وضع الكلام فى مواضعه وماذاك الا أن قوافى الابيات لو اطلقت لكانت مرفوعة وأما بلاغته فى الابيات فانه جعل التى عرفته وعرفت به وشبهته تشبيها يدل على شغفها به هى الصغرى ليظهر بدليل الالتزام انه فتى السن اذ الفتية من النساء لا تميل الا الى الفتى من الرجال غالبا وختم قوله بما أخرجه مخرج المثل السائر موزونا ولا يقال انما مالت الصغرى اليه دون اختيها الضعف عقلها وقلة تجربيها فانى أقول

(المراجعة)

ومن فصل كتابة الشيخ احتاج اليه الملك طوعا والامن الفرط ورضا والامن السخط ومن وجد الرشاد استنق متى شاء ومن ساد لم يعدم الرشاد وأقسم لو نطق ذلك الدست لقال بابى أنت ما خلعت حدادى منذ فارقت مسندى ووسادى فالآن ردت الدولة الى نصابها وجرت الامور على أذلالها وأتى الامر من وجهه واستنزل النصر من بابه وطلب المراد من مطلبه وأعطى القوس باريها وعلى الآن ضمان الدرك ثم عودك اللهم تأخرت كتبى عن الشيخ وما أخرتها اخلالا بالخدمة ولا كفرانا للنعمة ولكن لتلك الحضرة رسوم واتيناء بمعلوم ولا سيما فى المخاطبات

انه تخلص من هـذا المدخل بكونه أخيران الكبرى التى هى أعقلهن ما كانت رأته قبل ذلك وانما كانت تهواه على السماع فلما رأته وعلمت أنه ذلك الموصوف لها أظهرت من وجدها به على مقدار عقلها ما أظهرت من سؤالها عنه ولم تتجاوز ذلك ووقفت بالسؤال عنه وقد علمته بلذة السؤال وبسماع اسمه واظهرت تجاهل العارف الذى موجبه شدة الوله والعقل يمنعها من التصريح واما الوسطى فسارعت الى تعريفه باسمه العلم فكانت دون الكبرى فى الثبات واما الصغرى فنزلتها فى الثبات دون الاثنتين لانها أظهرت فى معرفته وصفه مادل على شدة شغفها به فكل ذلك وان لم يكن كذلك فألفاظ الشاعر تدل عليه انتهى كلام ابن ابى الاصبع ومن جيد أمثلة هذا النوع قول أبى نواس

قال لى يوما سليما * ن وبعض القول أشنع
قال صفنى وعليا * أينا أبقى واقطع
قلت انى ان أقل ما * فيكما بالحق تجزع
قال كلا قلت مهلا * قال قل لى قلت فاسمع
قال صفه قلت يعطى * قال صفنى قلت تمنع

ومثله قول البحترى

بت اسقيه صفوة الراح حتى * وضع الرأس مائلا يتكفا
قلت عبد العزيز تفديك نفسى * قال لبيك قلت لبيك ألفا
ها كها قال هاتها قلت خذها * قال لا استطيعها ثم أغفى

وعلماء البديع اجمعوا على استحسان قول وضاح اليمن من أبيات

قالت ألا لا تلجن دارنا * ان أبانا رجل غائر
قلت فانى طالب غرة * منه وسيفى صارم باتر
قالت فان البحر ما بيننا * قلت فانى سابح ماهر
قالت فان القصر عالى البنا * قلت فانى فوقه طائر
قالت أليس الله من فوقنا * قلت بلى وهو لنا غافر
قالت فقد أعييتنا حجة * فأت اذا ماهجع السامر
واسقط علينا كسقوط الندى * ليلة لا ناه ولا آمر

وظريف هنا قول بعضهم

قالت لقد أشمت بى حسدى * مذ بحت بالسر لهم معلنا
قلت انا قالت والا لمن * قلت أنا قالت والا أنا

وهى أبيات طويلة جميعها على هـذا المنوال منسوج ولكنا اكتفيت بالقليل منها على هذا القدر وبيت الشيخ صفى الدين الحلى

قالوا اصطبر قلت صبرى غير متسع * قالوا اسلهم قلت ودى غير منصرم

ولم ينظم العميان فى بديعيتهم هذا النوع وبيت الشيخ عز الدين الموصلى فى بديعيته

راجعت فى القول اذ أطلقت سلوتهم * قال اسلهم قلت سمعى عنك فى صمم

وضيقها والجواد لا يجزع من الاكاف جزعى من مخاطبة الكاف فان جاز ان امتاز عن جملة الناس بهذا المزيد ومن الشيخ المكانة فان لم يره الصواب فالجواب ان لا جواب والسلام

(وله اليه أيضا)

كتبت وليست التجربة خمسة أجربة ولا سبعين ذراعا انما التجربة دفعة والتقدمة لفظة ثم العاقل بفطنته يكيس ويقيس والجاهل بغفلته يخس ويخيس يا أبا الفضل ليس هذا بزمانك وليست هذه بدارك ولا السوق سوق متاعك بئست الكتب وما وسقت والاقلام وما نسقت والمحابر وماسقت والاصباع اذا اتسقت واللوم ولا هذه العلوم

والمراجعة ان لم تسكر لم يبق لها في القلوب حلاوة ولا يطابق اسمها مسماها وقد تقدم قول الشاعر وتكراره في قوله

قلت انا قالت والاتين * قلت أنا قالت والآ أنا

وعز الدين لم يكرره ا جعته ولم يأت بها الا في مكان واحد والذى أقوله انه ما صده عن ذلك الا اشتغاله بتسمية النوع ولكن ليته لو دخل الى سوق الرقيق وبيت بديعيتي

قال اصطبر قلت صبرى ما راجعني * قال احتمل قلت من يقوى لصدهم

وهذا البيت متعلق ببيت التهكم الذى قبله وهو البيت المبنى على خطاب العاذل وهو

ذل العذول بهم وجدا فقلت له * تهكما أنت ذو عز وذو شمم

(ذكر التوشيح)

*(توشيحهم علا تلك الشعور اذا * لفوه طيا تعرفنا بنشرهم)*

اتفق علماء البديع على أن التوشيح أن يكون معنى أول الكلام دالا على لفظ آخره ولهذا سموه التوشيح فانه ينزل فيه المعنى منزلة الوشاح وينزل أول الكلام وآخره منزلة محل الوشاح من العاتق والكشح اللذين يجول عليهما الوشاح وهذا النوع فرّعه قدامة من ائتلاف القافية مع ما يدل عليه سائر البيت وقال فيه التوشيح هو ان يكون في أول البيت معنى اذا فهم فهمت منه قافية البيت بشرط ان يكون المعنى المقدم بلفظه من جنس معنى القافية بلفظه وأورد ابن أبي الاصبع في تحرير التحبير من اعظم الشواهد على هذا قوله تعالى ان الله اصطفى آدم ونوحا وآل ابراهيم وآل عمران على العالمين فان في معنى اصطفاء المذكورين ما يعلم منه الفاصلة لان المذكورين نوع من جنس العالمين ومن الامثلة الشعرية قول الراعى النميرى

فان وزن الحصى فوزنت قومى * وجدت حصى ضريبتهم رزينا

فان السامع اذا فهم ان الشاعر أراد المفاخرة برزانة الحصى وتحقق أن القافية مجردة مطلقة رويها النون وحرف اطلاقها الالف ورأى في صدر البيت ذكر الزنة تحقق ان تكون القافية رزينا ليس الا ومن عجائب أمثلة هذا النوع ما حكى عن عمر بن أبي ربيعة انه أنشد عبد الله بن العباس رضى الله عنهما

* تشط غدا دار جيراننا *

فقال له عبد الله

* وللدار بعد غد أبعد *

فقال عمر هكذا والله قلت فقال عبد الله بن العباس وهكذا يكون ويقرب من هذه القصة قصة عدى بن الرقاع حين أنشد الوليد بن عبد الملك بحضرة جرير والفرزدق قصيدته التى مطلعها

* عرف الديار توهما فاعتادها *

حتى انتهى الى قوله

* تزجى اغن كأن ابرة روقه *

ثم شغل الوليد عن الاستماع فقطع عدى الانشاد فقال الفرزدق لجرير ما تراه يقول فقال

(التوشيح)

وليت لنا مكان الملك عمرو
رغوثا حول قبتنا تدور
ولو استقبلت من أمرى ما
استدبرت لو اجوت وقامرت
لكنى اصبت وجه الرأى
والعود يابس واللحية بيضاء
ولقد صدق الشاعر اذ قال
لا يبصر الغلام جلدا ذكيا
ناقدا في الامور حتى وحق
وعلى الشاعر ان يقول وعلى
السامع القبول ولعمرى
لقد سمعت هذا البيت كما
سمعه فلان ولكنه وفق
لاعتقاده صلة واتخاذه
قبلة واعتقاده حرفة
لا جرم انه اجتنى ثمراتها
وولانى حسراتها فهو
يصل اذا حبيت ويعطى
اذا حرمت وعند الله
احتسبت عمرا أضعناه في
الادب واتلفناه في العلوم

جريرا راء يستلب بها مثلا فقال الفرزدق انه سيقول

* فلم أصاب من الدواة مدادها *

فلما عاد الوليد الى الاستماع وغاد عدى الى الانشاد قال البيت فقال الفرزدق والله لما سمعت صدر بيته رحمته فلما أنشد عجزه انقلبت الرحمة حسدا قال زكى الدين بن أبى الاصبع الذى قوله ان بين ابن العباس وبين الفرزدق فى استخراجهما العجزين كما بينهما فى مطلق الفضل فضل ابن عباس رضى الله عنهما معلوم وانا اذكر الفرق فان بيت عدى بن الرقاع من جملة قصيدة تقدم سماع مطلعها مع معظمها وعلم انها دالية مردفة بالف وهى من وزن قد عرف ثم تقدم فى صدر البيت ذكر ظبية تسوق خشفا لها قد أخذ الشاعر فى تشبيه طرف قرنه بالقلم فى سواده وهذه القرائن لا يخفى على أهل الذوق الصحيح ان فيها ما يدل على عجز البيت بحيث يسبق اليه من هو دون الفرزدق من حذاق الشعراء وبيت عمر بيت مفرد لم تعلم قافيته من اى ضرب هى من القوافى ولا رويه من اى الحروف ولا حركة رويه من أى الحركات فاستخراج عجزه ارتجالا فى غاية العسر ونهاية الصعوبة لولا ما امد الله تعالى به هؤلاء الاقوام من المواد التى فضلوا بها عن غيرهم انتهى كلام ابن ابى الاصبع وبين التوشيح والتصدير فرق ظاهر مثل الصبح لم يحصل الالتباس الالكون كل منهما يدل صدره على عجزه والفرق ان دلالة التصدير لفظية ودلالة التوشيح معنوية والفرق بين التوشيح والتمكين ايضا ان التوشيح قد تقدم انه لا بد ان يتقدم قافيته معنى يدل عليها والتمكين بخلاف ذلك والعميان لم ينظموا نوع التوشيح فى بديعيتهم وبيت صفى الدين

هم ارضعونى ثدى الوصل حافلة * فكيف يحسن منها حال منفطمى

فقصيدة صفى الدين قد علم انها ميمية وقد مر على السامع منها عدة ابيات وقد صدر بيت التوشيح بذكر الرضاع والثدى فما يخفى ان تكون القافية منفطما الاعلى كل اجنبى من هذا العلم ولقد برز فى حسن هذا التركيب باستجلاب الرقة على من تقدمه وبيت الشيخ عز الدين

نومى وعقلى بتوشيح الهوى سلبا * فبت صبا بلا حلم ولا حلم

قال فى شرحه الهوى وشحنى برداء غطانى فسلب نومى وعقلى فصرت بلا حلم ولا حلم وهذه عبارته بنصها وبيتى

توشيحهم علا تلك الشعور اذا * لفوه طابه عرفنا بنشرهم

هذا النوع اعنى التوشيح يفتقر الناظم الى قدح زناد الفكر فى سبك معانيه مع الملكة البسيطة فى علم الادب وحسن التصرف لاسيما اذا التزم بتسمية النوع وابرز التسمية منتظمة فى سلك التورية من جنس الغزل فتسمية النوع هنا قد عرفت والاتيان فى هذا البيت بلفظة الملا هو الذى رشح جانب التوشيح الحائل على العاتق والكشح واما توشيح الهوى فى بيت الشيخ عز الدين فلم ينسج على منوال مقبول لان استعارة الوشاح للهوى المقصور الذى هو الغرام لم يفهم منها شئ يقرب من التشبيه فان علماء البديع قالوا الاستعارة هى ذكر الشئ باسم غيره واثبات ما لغيره له لاجل المبالغة فى التشبيه وعلى هذا التقدير تكون استعارة الملا للشعور فى حالة توشيح الاحباب بها هى الاستعارة التى يستعار منها المحاسن الادبية فان

ونسأله الخاتمة خير

(وله اليه أيضا)

كتابى أطال الله بقاء الشيخ عن سلامة لا هم الا مرة سوداء حببت الى الوحدة وزينت لى العزلة فوليت الناس جانبى الوحشى فلا عشرة ولا انبساط ولا انقة ولا ابتسام واظن الشيخ لو رآنى لقال وقال تحركت ايها الثقلان وما انس لا انس الحديث أسمعنيه وما اقض لا اقض العجب منه وفيه ويح البيت بعض الخبائث فسئل عما رأى فقال رأيت الصفا والحجون وقوما يموجون وكعبة تزف عليها الستور وترفرف حولها الطيور وبينا كيتى ولكن سل عن البخت لا عن البيت وابتاع بعض الهنود هذا الشلغم المشوى

حسن التشبيه قد غازل بعيون كماله غزلها والتصريح في البيت بلفظ اللف والنشر والطي يعرفه من له أدنى ذوق مع انى ما اكتفيت بذلك حتى قلت بعد اللف والطى تعرّفنا وتعرفنا فيها الاشتراك بين المعرفة والعرف فاذا تقرر أن القافية صحيحة ما يتصور في ذوق ان تكون القافية غير نشرهم وقد اجتمع في هذا البيت من أنواع البديع التورية وحسن الاستعارة والترشيح والمطابقة والبسط والانسجام والتمكين والسهولة والتوشيح الذى هو العمدة والله أعلم بالصواب

(ذكر تشابه الاطراف)

*(شابهت اطراف أقوالى فان أهم * أهم الى كل واد في صفاتهم)*

هذا النوع الذى سموه تشابه الاطراف هو أيضا مثل المراجعة التى تقدمت ليس في كل منهما كبير أمر وتالله ما خطر لى يوما ولا حسن في الفكر ان الحق طرفا من تشابه الاطراف بذيل من أبيات شعرى ولكن شروع المعارضة ملتزم وتشابه الاطراف هو ان يعيد الناظم لفظة القافية في أول البيت الذى يليها وهذا النوع كان اسمه التسبيغ بسين مهملة وغين معجمة وانما ابن أبى الاصبع قال هذه التسمية غير لائقة بهذا المسمى فسماه تشابه الاطراف فان الابيات فيه تتشابه اطرافها وأحسن ما وقع في هذا النوع قول أبى نواس

خزيمة خير بنى حازم * وحازم خير بنى دارم
ودارم خير تميم وما * مثل تميم في بنى آدم

ولما كان هذا النوع لا يأتى الا في بيتين والشيخ عز الدين لما التزم ان يأتى به لاجل التورية بالتسمية في بيت واحد شطر البيت شطرين وجعل كل شطر بمنزلة بيت كامل وأعاد لفظ القافية في الشطر الثانى فجاء به في غاية اللطف فان الشيخ صفى الدين أورد قبله بيت الاكتفاء ويأتى الكلام عليه في موضعه وانما المراد هنا معرفة تشابه الاطراف وهو

قالوا ألم تدر ان الحب غايته * سلب الخواطر والالباب قلت لم
لم ادر قبل هواهم والهوى حرم * ان الظباء تحل الصيد في الحرم

تشابه الاطراف بين لم ولم في آخر البيت الاول وأول الثانى وبيت الشيخ عز الدين

اطرافك اشتبهت قولا متى تلم * تلم فتى زائد البلوى فلم يلم

اما قوله اطرافك اشتبهت بضيق الكلام فيه وبيت بديعيتى

شابهت اطراف أقوالى فان اهم * اهم الى كل واد من صفاتهم

والعميان لم ينظموا هذا النوع في بديعيتهم ويا ليتنى كنت معهم

(ذكر التغاير)

*(أغاير الناس في حب الرقيب فذ * اراه ابسط آمالى بقربهم)*

التغاير سماه قوم التلطف وهو ان يتلطف الشاعر بتوصله الى مدح ما كان قد ذمه هو او غيره فاما مدح الانسان ما ذمه غيره فان الامام امير المؤمنين على بن ابى طالب كرم الله وجهه اتى فيه بما يمتزج صافى مشربه بالارواح وينقلنا بديع بلاغته من الابهام الى الايضاح فمن ذلك خطبته التى مدح فيها الدنيا مغايرا لامثاله في ذمها حيث قال أيها الذام للدنيا المغتر

بغرورها

(تشابه الاطراف)

فائدة بذانوادر ظالاثم وجد الكمثرى تباع فقال ما أغلاها وأرخصه مشويا نويت ان اعتزل الناس حتى يعرفوا الكمثرى من الشلغم ان لم يعرفوا الدينار من الدرهم وآوى اليوم حتى ينصف المظلوم والعاقل أيده الله الشيخ يسكن المكان النظيف ولا يألف الكنيف ما آوى ذلك الا لما يعاف من خبث الخبر ويشم من كريه الريح فالطرف من الحظ ما للانف وللسمع من النم ما للشم وما أظن معترض العين لهذه الوجوه

(التغاير)

بغرورها ثم تذمها أأنت المتجرئ عليها ام هي المتجرئة عليك متى استهوتك أم متى غرتك أبمصارع آبائك من البلى ام بمضاجع امهاتك تحت الثرى كم علات واديك وكم مرضت والديك تبغى لهم الشفاء وتستوصف لهم الاطباء لم ينفع أحدهم اشفاقك ولم تشف لهم بطبك ولم تدفع عنهم بقوتك قد مثلت لك بهم الدنيا نفسك وخيلت لك بمصرعهم مصرعك ان الدنيا دار صدق لمن صدقها ودار عافية لمن فهم عنها ودار غنى لمن تزود منها ودار موعظة لمن اتعظ بها مسجد احباب الله ومصلى ملائكته ومهبط وحى الله ومتجر اوليائه اكتسبوا منها الرحمة وربحوا منها الجنة فمن ذا يذمها وقد آذنت ببينها ونادت بفراقها ونعت نفسها وأهلها فمثلت لهم ببلائها البلى وشوقتهم بسرورها الى السرور راحت بعافية وابتكرت بفجيعة ترغيبا وترهيبا فذمها رجال غداة الندامة وحمدها آخرون ذكرتهم الدنيا فذكروا وحدثتهم فصدقوا ووعظتهم فاتعظوا ونظم ابن أبى الاصبع معانى هذه الخطبة فقال

من يذم الدنيا بظلم فانى * بطريق الانصاف اثنى عليها
وعظتنا بكل شئ وانا * حين جدت بالوعظ من مصطفيها
نصحتنا فلم نر النصح نصحا * حين أبدت لاهلها ما لديها
أعلمتنا ان المآل يقينا * للبلى حين جددت عصريها
كم ارتنا مصارع الاهل والاحباب لو نستفيق يوما اليها
يوم بؤس لها ويوم رخاء * فتزود ما شئت من يوميها
وتيقن زوال ذا وهذا * تسل عما تراه من حادثيها
دار زاد لمن تزود منها * وغرور لمن يميل اليها
مهبط الوحى والمصلى الذى كم * عفرت صورة بها خديها
متجر الاولياء قد ربحوا الجنة منها وأوردوا عينيها
رغبت ثم رهبت ليرى كل لبيب عقباه فى حالتيها
واذا انصفت تعين ان يثنى عليها ذو البر من والديها

فاما من ذم ما مدحه الناس قاطبة فابن الرومى فانه ذم الورد وهو مشهور ووصف البحترى يوم الفراق بالقصر وقد أجمع الناس على طوله فقال

ولقد تأملت الفراق فلم أجد * يوم الفراق على امرئ بطويل
قصرت مسافته على متزود * منه لوهن صبابة وغليل

وهذا النوع أعنى المغايرة اورده الحريرى فى المقامة الدينارية وبالغ فى مدح الدينار وذمه فقال فى مدحه

أكرم به أصفر راقت صفرته * جواب آفاق ترامت سفرته
مأثورة سمعته وشهرته * قد أودعت سر الغنى أسرته
وقارنت نجح المساعى خطرته * وحببت الى الانام غرته
كأنما من القلوب نقرته * به يصول من حوته صرته

الا معرضها المكروه ولا صان الاذن عن هذه الانفاس الا صانتها عن الوسواس سكن أبو موسى الاشعرى المقابر فقال أجاور قوما لا يغدرون كلا أبا موسى لا يغدرون لانهم لا يقدرون ولكنها الاطلال الخالية والرسوم البالية والانهار الصافية والاشجار الوافية والظلال الضافية والغاشية الماشية والزاوية وفيها العافية وسترى ان لا استنزل عن عزمى شفاعة ولا اتلبث عن الشيخ سمعا ولا طاعة والسلام

(وله اليه يعزيه)

وتالله ما يضرب الكلب كما يضرب هذا القلب ولا يقطر السمع كما يقطر هذا الدمع والنار ارفق بالزناد من هذه المصيبة بالاكباد وما السم سلطان هذا الغم ولا الغمر طغيان هذا الامر ونفسى الى القبر

وإن تفانت أوتوانت عثرته * يا حبذا أنصاره ونصرته

وحبذا مغناته ونصرته * كم آمرية استتبت امرته

ومترف لولاه دامت حسرته * وجيش هم هزمته كرته

وبدر تم أنزلته بدرته * ومستشيط تتلظى جمرته

أسير نجواه فلانت شرته * وكم أسير أسلمته أسرته

أنقذه حتى صفت مسرته * وحق مولى أبدعته فطرته

لولا التقى لقلت جلت قدرته

وقال فى ذمه

تباله من خادع مماذق * أصفر ذى وجهين كالمنافق

يبدو بوصفين لعين الرامق * زينة معشوق ولون عاشق

وحبه عند ذوى الحقائق * يدعوا الى ارتكاب سخط الخالق

لولاه لم تقطع يمين سارق * ولا بدت مظلمة من فاسق

ولا اشمأز باخل من طارق * ولا شكا المطول مطل العائق

ولا استعيذ من حسود راشق * وشر مافيه من الخلائق

أن ليس يغنى عنك فى المضائق * الا اذا فر فرار الآبق

واها لمن يقذفه من حالق * ومن اذا ناجاه نجوى الوامق

قال له قول المحق الصادق * لارأى فى وصلك لى ففارق

ومن المغايرة تفضيل القلم على السيف اذ المعتاد عكس ذلك كقول ابن الرومى

ان يخدم القلم السيف الذى خضعت * له الرقاب ودانت خوفه الامم

فالموت والموت لاشئ يعادله * مازال يتبع مايجرى به القلم

كذا قضى الله فى الاقلام اذ بريت * ان السيوف لها مذ أرهفت خدم

وغاير المتنبى ذلك وقال

حتى رجعت واقلامى قوائل لى * المجد للسيف ليس المجد للقلم

والمغايرة هنا مليحة لكن المعنى مأخوذ من قول أبى تمام * السيف اصدق انباء من الكتب والمعنى فى قول أبى تمام أبلغ فان ابن أبى الاصبع قال لم يرض أبو تمام أن يقول السيف أصدق انباء من القلم حتى قال من الكتب التى لاتكتب الابالاقلام والدواة والقرطاس والكاتب المطلق اليد واللسان والجنان فالحظ الفرق بينه وبين كلام المتنبى انتهى كلام ابن أبى الاصبع وقد عن لى هنا ان أرفع للمتأخرين فى التقديم رايه ليعلم المنكر الفرق بين البداية والنهاية فان الشيخ جمال الدين أظهر فى المغايرة بين السيف والقلم ماصدق به قول القائل

وانى وان كنت الاخير زمانه * لآت بمالم تستطعه الاوائل

من ذلك قوله فى رسالة المفاخرة بينهما والمغايرة فى مدح كل واحد منهما وذمه فبرز القلم بافصاحه ونشط لارتياحه ورقى من الانامل على أعواده وقام خطيبا بمحاسنه فى حلة مداده والتفت الى السيف فقال بسم الله الرحمن الرحيم ن والقلم ومايسطرون ما

انت

اتصل منها الى الصبر واذناى بالموت آنس منها بهذا الصوت أولم يكفنا الجرح حتى ذر عليه الملح ألم أكن من أبى القاسم مثل الظهر فماهذه العلاوة على الحمل ولم هذه الزيادة على الثقل من هراة وانا بين القول والعمل اعمل فى السفا واقول وا اسفا والحمد لله الذى كدر وصفا وصلواته على نبيه المصطفى وآله المجتبى ولولا ان يتطير الشيخ عن مقدمى فيقول لايأتينى الا عند مصيبة لسقيت تربة هذا النجم الآفل من دموعى ووزمت احداثه بضارعى ولكنه ألقى فى روعى ان خدمتى هذه طيرة وان تأخرى عنها خيرة فكلما استخفنى اليه الجزع أقعدنى عنه الفزع ولو كان أحد من البرية فوق ان يذكر بالله لكانه الشيخ ادام الله عزه لما أوتى من تمام

أنت بنعمة ربك بمجنون الحمد لله الذى علم بالقلم وشرفه بالقسم وخط به ما قدر وقسم
وصلى الله على سيدنا محمد الذى قال جف القلم بما هو كائن وعلى آله وصحبه ذوى المجد المبين
وكل مجد بائن صلاة واضحة السطور فائحة من أدراج الصدور مانقلت صحف البحار
غواديها وكتبت أقلام النور على مهارق الدياجى كواكب داريها اما بعد فان القلم منار
الدين والدنيا ونظام الشرف والعليا ومجاديح سحب الخير اذا احتاجت الهمم الى السقيا
ومفتاح باب اليمن المجرب اذا أعيا وسفير الملك المحجب وعذيق الملك المرجب وزمام
اموره السائره وقادمة أجنحته الطائره ومطلق ارزاق عفاته المتواتره وأنملة الهدى
المشيرة الى ذخائر الدنيا والآخره به رقم كتاب الله الذى لا يأتيه الباطل وسنة نبيه صلى الله
عليه وسلم التى تهذب الخواطر الخواطل فبينه وبين من يفاخره الكتاب والسنه وحسبه
ماجرى على يده الكريمة من منه وفى مراضى الدول عونة للشاذين وبعين الله فى ليالى
النقس تقلب وجهه فى الساجدين ان نظمت فرائد العلوم فانما هو سلكها وان علت
اسرة الكتب فانما هو ملكها وان رقت برود البيان فانما هو جلالها وان تشعبت فنون
الحكم فانما هو أمانها وما آلها واذا انقسمت أمور الممالك فانما هو عصمتها وثمالها وان
اجتمعت رعايا الصنائع فانما هو امامها المتلفع بسواده وان زخرت بحار الافكار فانما هو
المستخرج دررها من ظلمات مداده وان وعد اوفى بجلب النفع وان أوعد أخاف كانما
يستمد من النقع هذا وهو لسان الملوك المخاطب ووسيلها الابكار القنوح والخاطب
والمنفق فى تعمير دولها محصول انفاسه والمتحمل امورها الشاقة على عينه وراسه
والمتيقظ لجهاد أعدائها والسيف فى جفنه نائم والمجهز لبأسها وكرمها جيشى الحروب
والمكارم والجارى بما أمر الله من العدل والاحسان والمسود الناصر فكانما هو لعين
الدهر انسان طالما ذب عن حرمها فشد الله ازره ورفع ذكره وقلم فى المحاماة عن دينها
أشعث أغبر لو اقسم على الله لابره وقاتل على البعد والصوارم فى القرب وأوفى من
معجزات النبوة نوعا من النصر بالرعب وبعث بجحافل السطور فالقسى دالات والرماح
القافات واللامات لامات والهمزات كواسر الطير التى تتبع الجحافل والاتربة عجاجها
المحترم من دم الكلى والمفاصل فهو صاحب فضيلتى العلم والعلم وساحب ذيلى الفخار
فى الحرب والسلم لا يعاديه الا من سفه نفسه ولبس لبسه وطبع على قلبه وفل الجدال
من غربه وخرج فى وزن المعارضة عن ضربه وكيف يعادى من اذا كرع فى نقسه قيل انا
أعطيناك الكوثر واذا ذكر شانئه السيف قيل ان شانئك هو الابتر أقول قولى هذا
واستغفر الله من الشرف وخيلائه والفخار وكبريائه وأتوكل على الله فيما احكم وأسأله
التسديد فيما يجرى به القلم ثم اكتفى بما ذكره من أدواته وجلس على كرسى دواته متمثلا
بقول القائل

قلم يفل الجيش وهو عرمرم * والبيض ماسلت من الاغماد
وهبت له الآجام حين نشابها * كرم السيول وصولة الآساد

فعند ذلك نهض السيف قائما عجلا وتلفظ لسانه للقول مرتجلا وقال بسم الله الرحمن الرحيم

النقس وكمال الفضل
والمعرفة باحوال الدهر
والعض على ناجذ الحلم
ولكن لفقد الكريم لوعة
ولفجأة المصيبة روعة ليس
لها الا التدبر والتذكير
والتذكر فاما أذكر الله عز
وجل الذى أنفذ فى مشارق
الارض أمره وأجرى
بين العموم والخلود حكمه
وجعل اكثر هذا العالم
دونه وصان مع ذلك من
الشوائب دينه وأبقى له
من صالح الاولاد من يقر
عينه ومن طيب النسل
ما يقوى ظاهره ويغيظ
عدوه ولن ينسى الكثير
من آلائه القليل من بلائه
والله يجعل هذه المصيبة
خاتمة المصائب ولا يريه فى
الاعزة سوءا أبدا

(وله اليه ايضا)

وفيما يقول الناس فى
حكاياتهم ان اعرابيا نام ليلا
عن جمله ففقده فلما طلع

وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس وليعلم الله من ينصره ورسله بالغيب ان الله قوى عزيز الحمد لله الذى جعل الجنة تحت ظلال السيوف وشرع حدها فى ذوى العصيان فاقصتهم بماء الحتوف وشيد مراتب الذين يقاتلون فى سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص وعقدهم صفوف وأجناهم من ورق حديدها الاخضر ثمار نعيمها الدانية القطوف وصلى الله على سيدنا محمد هازم الالوف وعلى آله وصحبه الذين طالما تلاوا بريق بريق الصوارم سطور الصفوف صلاة عاطرة فى الانوف حالية بها الاسماع كالشنوف وسلم اما بعد فكان السيف زند الحق الورى وزنده القوى وحده الفارق بين الرشد والغوى والنجم الهادى الى العز وسيلة والثغر الباسم عن تباشير فلوله به أظهر الله الاسلام وقد جنح خفاه وجلى شخص الدين الحنيفى وقد بجح جفاه واجرى سيوفه بالاباطح فاما الحق فمكث والباطل فذهب جفاه وحملته اليد الشريفة النبويه وخصته على الاقلام بهذه المزيه وأوضحت به الحق منهاجا وأطلعته فى ليالى النقع والشك سراجا وهاجا وفتحت باب الدين بصباحه حتى دخل فيه الناس أفواجا فهو ذو الرأى الصائب وشهاب العزم الثاقب وسماء العز التى زينت من آثاره بزينة الكواكب والحد الذى كأنه ماء دافق يخرج عند قطع الاجساد من بين الصلب والترائب لاتجحد آثاره ولا ينكر قراره اذا اشتبهت فى الدجى والنقع ناره يجمع بين الحالتين البأس والكرم ويصاغ فى طوق الحليتين فهو اما طوق فى نحور الاعداء واما خلخال فى عراقيب أهل النقم ويحسم به أهواء الفتن المضله ويحذف بهمته الجازمة حروف العلة واذا انحنى فى سماء القتام بالضرب فقل يسألونك عن الاهلة فهو القوى الاستطاعة الطويل العمر اذا قصف سواه فى ساعة فأولاه بطول الاحسان وما أجمل ذكره فى أخبار المعمرين ومقاتل الفرسان كأن الغيث فى غمده للطالب المنتجع وكأنه زناد يستضاء به الا ان دفع الدماء شرره الملتمع كم قدمة فادرك الطلاب ودعا النصر بلسانه المحمر من أثر الدماء فاجاب وتشعبت الدول لقائم نصره المنتظر وحازت ابكار الفتوح بحده الذكر وغدت ايامها به ذات حجول معلومة وغرر وشدت به الظهور وحدت علائقه فى الامور واتخذته الملوك حرزا لسلطانها وحصنا على أوطانها وقطانها وجردته على صروف الاقدار فى شانها وندب فما أعيت عليه المصالح وباشر اللمم فهو على الحقيقة بين الهدى والضلال فرق واضح واغاث فى كل فصل فهو اما الغمده سعد الاخبية واما الحامله سعد السعود وأما الضده سعد الذابح يجلس على رؤس الاعداء قهرا ويشرح أنباء الشجاعة فما للقلم ذلك تأويل مالم تستطع عليه صبرا وهل يفاخر من وقف الموت على بابه وعض الحرب الضروس بنابه وقذفت شياطين القراع بشهبه ومن آيات شريفة منها طلوع الشمس من غربه ومنها ان الله أنشا برقه فكان للمارد مصرعا وللرائد مرتعا ومن آياته يريكم البرق خوفا وطمعا كم اتخذ من جسد طرسا وكتب عليه حرفا لا ينسى فيه للالباب عبره وللاذهان السابحة غمرة بعد غمره أقول قولى هذا واستغفر الله العظيم من لفظ يجمح ورأى الى الخصام يجنح ولسان يحوجه اللدد الى أن يخرج فيجرح وأتوكل عليه فى صد الباطل وصرفه واسأله الاعانة على كل باحث عن حتفه بظلفه ثم اختم فى بعض المحافل

القمر وجده فرفع الى الله يده فقال اشهد لقد أعلنه وجعلت السماء بيته ثم نظر الى القمر فقال ان الله صورك ونورك وعلى البروج دورك فاذا شاء قدرك واذا شاء كورك فلا اعلم مزيدا أسأله لك ولئن أهديت الى قلبى سروره لقد أهدى الله اليك نوره فالشيخ ذلك القمر المضىء وانا ذلك الاعرابى لقد أعلى الله قدره وأنفذ بين الجلود واللحم أمره ونظر اليه والى الذين يحسدونه فجعله فوقهم وجعلهم دونه فلا اعلم مزيدا الا الدوام فالله يديم لظلال النعمة ومجال القدرة ومساق الدولة ومراد البغية انه على مايشاء قدير والمرء ادام الله عز الشيخ جزوع ولكنه جول والانسان فى النوائب جموس ثم ذلول وقد عشت بعد فراق الشيخ ولكن

وعقل

وتمثل بقول القائل

سل السيف عن أصل الفخار وفرعه * فانى رأيت السيف افصح مقولا

فلما وعى القلم خطبته الطويلة الطائلة ونشطته الجليلة الجائلة وفهم كنايته وتلويحه وتعريضه بالذم وتصريحه وتعديله فى الحديث وتجريحه استغاث باللفظ النصير واحتد وما أدراك ما حدة القصير وقام فى دواته وقعد واضطرب على وجه القرطاس وارتعد وعدل الى السب الصراح ورأى انه ان سكت تكلم ولكن بافواه الجراح فانحرف الى السيف وقال أيها المعتز بطبعه المغتر بلمعه الناقض حبل الانس بقطعه الناسخ بهجيره من ظلال العيش فيأ السراب الذى يحسبه الظمآن ماء حتى اذا جاءه لم يجده شيأ الحبيس الذى طالما عادت عليه عوائده شره الكمين الابليس الذى لو أمر لى بالسجود لقال خلقتنى من نار وخلقته من طين أتعرض بسبى وتتعرض لمكايد حربى ألست ذا الخدع البالغة والحرب خدعة والمنن النافعة ولا خير فيمن لا تبغى الانام نفعه ألست المسود الاحق بقول القائل

نفس عصام سودت عصاما * وعلمته الجود والاقداما

اتفاخرنى وانا للوصل وأنت للقطع وأنا للعطاء وأنت للمنع وانا للصلح وأنت للضراب وأنا للعمارة وأنت للخراب وأنا المعمر وأنت المدمر وأنت المقلد وأنا صاحب التقليد وأنت العابث وأنا المجود ومن أولى من القلم بالتجويد فما أقبح شبهك وما أشنع يوما ترى فيه العيون وجهك أعلى مثلى يشق القول ويرفع الصوت والصول وأنا ذو اللفظ المكين وأنت ممن دخل تحت قوله تعالى أو من ينشأ فى الحلية وهو فى الخصام غير مبين فقد تعديت حدك وطلبت ما لم تبلغ به جهدك هيهات انا المنتصب لصالح الدول وانت فى الغمد طريح والمتعب فى تمهيدها وأنت غافل مستريح والساهر وقد مهدلك فى الغمد مضجع والجالس عن يمين الملك وأنت عن يساره فاى الحالتين أرفع والساعى فى تدبير حال القوم والمغنى لنفعهم العمر اذا كان نفعك يوما أو بعض يوم فاقطع عنك أسباب المفاخرة واستر أنيابك عند المكاشرة فما يحسن بالصامت محاورة المفصح والله يعلم المفسد من المصلح على انه لا ينكر لمثلك التصدى ولا يستغرب منه على مثلى التعدى ما أنا أول من اطاع البارى وتجرأت عليه ومددت يد العدوان اليه أولست الذى قيل فيه

شيخ يرى الصلوات الخمس نافلة * ويستحل دم الحجاج فى الحرم

قد سلبت الرحمة وانما يرحم الله من عباده الرحماء وجلبت القسوة فكم هيجت سبة حمراء وأثرت دهماء وخمشت الوجوه وكيف لا وأنت كالظفر كونا وقطعت اللذات ولم لا وأنت كالصبح لونا أين بطشك من حلمى وجهلك من علمى وجسمك من جسمى

شتان ما بين جسم صيغ من ذهب * وذاك جسمى وجسم صيغ من بهق

اين عينك الزرقاء من عينى الكحيلة ورؤيتك الشنعاء من رؤيتى الجميلة أين لون الشيب من لون الشباب واين نذير الاعداء من رسول الاحباب هذا وكم أكلت الاكباد غيظا وحميت الاضغان قيظا وشكوت الصدأ فسقيت ولكن بشواظ من نار واخنت عليك

عيشة الحوت فى البر بقيت ولكن بقاء الثلج فى الحر (وأخبرنى الخطيب) انه سعد بلقائك ولى النعمة فلم تره يتوجع بشكاية العارضة فسجدت لله شكرا وقدمت صدقة ونذرا وكانت فى نفسى حاجات اعقدت بها أيام التشييع فلما تلقانى الامر العالى بالرجوع بقيت حاجاتى فى نفسى ولم يعطس بها رأسى وهو يعلم ما آل الراس فى احتباس العطاس خاتما صدرى على سرى ولو كنت كلى صدرا ما وسعت الا نزرا فلا اسأله حاجة ولكنى اصف له حال عبده وابن عبده والمتوسل بعبده فلان فربما يسعد من ولى النعمة بكريم نظر فان قحط تلك البلاد وغلاء الاسعار والتردد فى الاسفار استنطف ماله واستنزف ماءه فورد هراة فقمش من هنا مقدارا واعطاه فلان

الايام حتى اشتعل بأبعاضك الجمار ولولا تعرضك الى لما وقعت فى المقت ولولا اساءتك لما كنت تصقل فى كل وقت فدع عنك هذا الفخر المديد وتامل وصفى اذا كشف عنك الغطا فبصرك اليوم حديد وافهم قول ابن الرومى

ان يخدم القلم السيف الذى خضعت * له الرقاب ودانت خوفه الامم
فالموت والموت لا شئ يعادله * مازال يتبع مايجرى به القلم
بذا قضى الله فى الاقلام اذ بريت * ان السيوف لها مذ أرهفت خدم

فعند ذلك وثب السيف على قده وكاد الغضب يخرجه عن حده وقال أيها المتطاول على قصره والماشى على طريق غروره والمتعرض منى الى الدمار والمتحرش بى فهو كما تقول العامة ذنبه قش ويتحرش بالنار لقد شمرت عن ساقك حتى أغرقتك الغمرات واتعبت نفسك فيما لاتدرك الى أن اذهبها التعب حسرات أولست الذى طالما أرعش السيف للهيبة عطفك ونكس للخدمة رأسك وطرفك وأمر بعض رعيته وهو السكين فقطع قفاك وشق أنفك ورفعك فى مهمات خاملة وحطك وجذبك للاستعمال وقطك فليت شعرى كيف جسرت وعبست على مثلى وبسرت وأنت السوقة وانا الملك وأنا الصادق وأنت المؤتفك وأنت لصون الحطام وأنا لصون الممالك وأنت لحفظ المزارع وأنا لحفظ المسالك وأنت للفلاحة وأنا للفلاح وأنت حاطب الليل من نقسه وأنا سارى الصباح وأنا الباصر وأنت الارمد وأنا المخدوم الابيض وأنت الخادم الاسود واقسم بمن صير فى قبضتى أنواع المين المسطرة وجعل شخصك وشخصى كقوله تعالى وجعلنا الليل والنهار آيتين فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة انك عن بلوغ قدرى لاذل رتبة وعن برى كفى لاخيب طلبة فانى لاانكر قول بعض أربابك حيث قالوا

اف لرزق الكتبه * أف له ما أصعبه
يرتشف الرزق به * من شق تلك القصبه
ياقلما يرفع فى الطرس لوجهى ذنبه
ما أعرف المسكين الا كاتبا ذا متربه

ان عانيت الدوان وقعت فى الحساب والعذاب أو البلاغة سحرت وبالغت فانت ساحر كذاب أو نخرت بتقييد العلوم فمالك منها سوى لمحة الطرف أو برقم المصاحف فانك تعبد الله على حرف أو جئت مملا فانما جعلك للتكسير أو رفعت الى طرفك رجع البصر خاسئا وهو حسير وهل أنت فى الدول الاخيال تكتنى الهمم بطيفه أو اصبع يلعق بها الرزق اذا أكل الضارب بقائم سيفه وساع على رأسه قل ما أجدى وسار ربما أعطى قليلا وأكدى ثم وقف وأكدى أين أنت من حظى الاسنى وكفى الاغنى وما خصصت به من الجوهر الفرد اذا عجزت أنت عن العرض الادنى كم برزت فما أغنيت فى مهمه وكم خرجت من دواتك لتسطير سيئة فخرجت كما قيل من ظلمة الى ظلمة وهب أنك كما قلت مفتوق اللسان جرىء الجنان مداحل بخطك بين ذوى الاقتناص معدود من شياطين الدول وانت فى الطرس والنقس بين بناء وغواص فلو جريت خلفى الى ان تضنى وصحت بصر يرك الى ان تحفت

ختيين دينارا بمعونة الطريق وليتبلغ الى الماء بالريق فاذا عرف ولى النعمة هذه الحال عفى به فيما يراه هذه واحدة والاخرى حاجتى التى عرضتها مرارا وكررتها ليلا ونهارا واوردتها سرا وجهارا ثم شغل الرحيل الميمون والنهوض المسعود عن استنجازها فبقيت فى اكمامها وحال القدر دون تمامها وفضل الله به زعيم وكرم الشيخ فيها كفيل وهى الحكومة التى طلبتها للفقيه الذى كان يخلف القاضى اباعمرو على عمله بنيسابور ثم اللهم اياك أسأل ومنك اطلب وعليك اتوكل ان ناصية الشيخ بيدك وان التوفيق من عندك وللشيخ فى تشريف العبد بالجواب وما يقيم له من الايجاب العين العالية والرأى السديد ان شاء الله تعالى

وتحقق ما كنت منى الاعتزالة المدرة من السماك الرامح والبعرة على تيار الخضم الطافح فلا تعد نفسك بعجزى فانك ممن يبين ولا تحلف لها ان تبلغ مداى فليس لمخضوب البنان يمين ومن صلاح نجمك ان تعترف بفضلى الاكبر وتؤمن بمعجزتى التى بعثت منك الى الاسود والاحمر لتستوجب حقا وتسلم من نار حر تلظى لا يصلاها الا الاشقى وان لم يتضح لرأيك الا الاصرار وأبت حصائد لسانك الا ان توقعك فى النار فلا رعى الله عزائمك القاصره ولاجمع عقارب لبل نفسك التى ان عادت فان نعال السيوف لها حاضره ثم قطع الكلام وتمثل بقول ابى تمام

السيف اصدق انباء من الكتب * فى حده الحد بين الجد واللعب

بيض الصفائح لا سود الصحائف فى * متونهن جلاء الشك والريب

فلما تحقق تصريف القلم حوجه وفهم مقدار الغيظ الذى اخرجه وسمع هذه المقالة التى يقطر من جوانبها الدم ورأى انه هو البادى بهذه المناقشة والبادى اظلم رجع الى خداعه وتنحى عن طريق قراعه وعلم ان الدهر دهره والقدر على حكم الوقت قدره وانه احق بقول القائل

لمنها معرب واعجب من ذا * ان اعرابه غير ها ملحون

فالتفت اليه وقال ايها الملتهب فى قدحه والخارج عما نسب اليه من صفحه ما هذه الزيادة فى السباب والتطفيف فى كيل الجواب واين علم الشيوخ عند جهل الشباب اما كان الاحسن بك ان تترك هذا الرفث وتلم اخاك على الشعث وتحلم كما زعمت انك السيد وتزكو على الغيظ كما زكو على النار الجيد اما تعلم انى معينك فى تشييد الممالك ورفيقك فيما نسلكه لنفعهما من المسالك اما انا وانت للملك كاليدين وفى تشييده كالركنين الاشدين وما اراك تعيبنى فى الاكثر الا بنحول جسدى الذى ليس خلقه علىّ وضعفه الذى ليس امره الىّ على ان اشهى الخصور احفها واقوى الجفون اضعفها وازكى النسيمات اعلها وادقها وهذه سادات العرب تعد ذلك من فضلها الاظهر وحسنها الاشهر ولو انك تقول بالفصاحة وتقف فى هذه الساحة لاسمعتك فى ذلك من اشعارهم واتحفتك بما يفخرون به من آثارهم وكذلك عيبك سواد خلقتى التى

اكسبها الحب حلية صبغت * صبغة حب القلوب والحدق

فيالله ويا للحجر الاسود من هذه الجبة البائره والكرة الخاسره وعلى هذه النسبة ما عبتنى به من فقر الانبياء وذل الحكماء على ان اطلاقات معروفى معروفة وسطوات امرى فى وجوه الاعداء المكسوفة مكشوفة فاستغفر الله عما فرط فى مقالك والتفويض من عوائد احتمالك فلا تشمت بنا الاضداد ولا تسلط بفرقتنا المفسدين فى الارض ان الله لا يحب الفساد واغضض الآن من خيلائك بعض هذا الغض ولا تشك الى قسيمك ولو قيل لك يا داود انا جعلناك خليفة فى الارض وان ابيت الا ان تهدد وتجرد الشغب وتحدد فاذكر ما لنا من اليد الشريفة السلطانية الملكية المؤيدية ايدالله نعمها وجازى بالاحسان شيمها وايقظ فى الآجال والآمال سيفها وقلمها ولا عطل مشاهد المدح من انسها ولا اخلى فرائض الباس والكرم من قيام خمسها فاقسم من باسه

(وله اليه مع الوفد طلبا للنظر لاهل هراة)

كتب اطال الله بقاء الشيخ والجميل عنوان نعم الله والشيبة فى الاسلام ضمان من امان الله فاذا احسن معها الخلق أضا بنورهما الافق وما يكاد مثلى يفعل وان حسنت اخلاقه انما الخطر العظيم ان تحسن اخلاق من بيده الآفاق وعن امره الارزاق وباذنه الحبس والاطلاق وبرأيه الغنى والاملاق واليه تقطع الاعناق وله لواء خراسان والعراق وترعد الشاش والايلاق فاذا كانت هذه حاله حسنت اخلاقه وعظم عند الله خلاقه والمرء لا تكرم خصاله حتى يكرم حله وفصاله ولا يسعد به جاره حتى يسعد بالطهارة نجاره ولا ينفص عن مؤمن كربه الا من طاب ماه وتربه

بالليل وما وسق بهم من بشر بلغتهم القمر اذا اتسق لو تجاوزا الاسد والظباء تلك الدلو ردا
بالامن فى منزل من نماقى روض لايجهل ولو لجأ اليها النهار لما راعه بمشيئة الله الليل بزجر أو
ألليل لما غلب على خيطه الاسود الخيط الابيض من الفجر وعلى ذلك فما ينبغى لنا بين تلك
الانامل غير سلوك الادب والمعاضدة على محو الازمات والنوب والاستقامة على الحق
ولاعوج والحديث من تلك الراحة عن البحر ولا حرج هذه نصيحتى اليك والدين النصيحة
والله تعالى يطلعك على معانى الرشد الصريحة ويجعل بينك وبين الغى حجابا مستورا وينسيك
ما تقدم من القول وكان ذلك فى الكتاب مسطورا فعند ذلك نكس السيف طرفه وقبل
خديعة القلم قال الامر ما جدع قصير انفه وامسك عن المشاغبة خيفة الزلل فان السيوف
معروفة بالخلل ثم قال أيها الضعيف الجبار البازغ فى ليل المداد نجما وكم فى النجوم غرار لقد
تطلعت من أمر أنت البادى بظلمه وتسورت الى فتح باب أنت السابق الى فتح ختمه وقد فهمت
الآن ما ذكرت من أمر اليد الشريفه ونعم ما ذكرت وأحسن بما أشرت وما أنسانيه
الا الشيطان أن أذكره وقد تغافلت عن قولك الاحسن ورددتك الى أمك الدواة كى تقر
عينها ولا تحزن وسالت الله تعالى ان يزيد محاسن تلك اليد العالية تماما على الذى أحسن
فانها اليد التى

لو أثر التقبيل فى يد منعم * لمحا براجم كفها التقبيل

والراحة التى تسبى القلوب لغوثها ولغيثها * فحسبه التأمين والتأميل

والانامل التى علمها الله بالسيف والقلم ومكنها من رتبتى العلم والعلم ودارك بكرمها آمال
العفاة ببدان ولا ولم ولولا ان هذا المضمار يضيق من وصفه السابق الى غاية الخصل ومجده
الذى اذا جرذيله وذا الفضل لو تمسك منه بالفضل لاطلت الآن فى ذكر مجدها الاوضح
وأفصحت فى مدحها ولا ينكر لمثلها ان انطقت الصامت فافصح ثم انك بعد ما تقدم من القول
المزيد والمجادلة التى عز أمرها على الحديد اقررت أننا للملك كاليدين ولم تقر اينا اليمين
وفى آفاقه كالقمرين ولم تذكر اينا الواضح الجبين ومايشفى ضناى ويروى صداى الآن
يحكم بيننا من لا يرد حكمه ولا يتهم فهمه فيظهر اينا المفضول من الفاضل والمخذول من
الخاذل ويقصر عن القول المناظر ويستريح المناضل وقد رأيت ان يحكم بيننا المقام
الاعظم الذى أشرت الى يده الشريفة وتوسلت بمحاسنها اللطيفة فانه مالك زمامنا ومنشئ
غمامنا ومصرف كلامنا وحاصل اعباتنا الذى ماهوى للهوى وصاحب أمرنا ونهينا
وتالله ما ضل صاحبكم وما غوى ليفصل الامر بحكمه ويقدمنا الى مجلسه الشريف
فيحكم بيننا بعدله فقدم خيرة الله على ذلك الاشتراط وقل بعد تقبيلنا الارض له فى ذلك
البساط خصمان بغى بعضنا على بعض فاحكم بيننا بالحق ولا تشطط واهدنا الى سواء الصراط
فنشط القلم فرحا ومشى فى ارض الطرس مرحا وطرب لهذا الجواب وخر راكعا واناب
وقال سمعا وطاعة وشكرا لله على هذه الساعة

* يا برد ذاك الذى قالت على كبدى *

الآن ظهر ما تبغيان وقضى الامر الذى فيه تستفتيان وحكم بيننا الرأى المنير ونبأنا

ولو علم الناس ما بين ايديهم لتركوا ما خلفهم ولو ذكروا ما اعد الله امامهم لنسوا ما وراءهم انما الحياة الدنيا متاع وان الآخرة هى دار القرار ولا ازيد الشيخ علما بهواة واهلها انه قد شاهد احوالهم ونقض اموالهم وابرز ادخالهم وعرف ما عليهم ومالهم ومايغيب عن ثاقب فطنته الا القليل ولكنى اخبره بما عرض لها ولهم بعد فصول اصلها عنها فيهم فشت الامراض الحادة نخبطت عشواء وافنت رجالا ثم جد الغلاء وفقد الطعام ووقع الموت العام فمن الناس من لم يطعم اسبوعا حتى هلك جوعا ومنهم من تبلغ بالميتة الى يومنا هذا وهو

بحقيقة الامر ولا ينبئك مثل خبير ثم تفاصلا على ذلك وتراضيا على ما يحكم به المالك وكانوا أحق بها وأهلها واتبعه الملوك من سنة فكره وطالع ما اختلج سواه هذه الليلة في سره والله تعالى يديم ايام مولانا السلطان التي هي نظام المفاخر ومقام المآثر وغوث الشاكي وغيث الشاكر ويمتع بظلال مقامه الذي لا تكسر الايام مقدار ما هو جابر ولا تجبر ما هو كاسر ان شاء الله تعالى تمت رسالة الشيخ جمال الدين التي كشف بها عن قناع المغايرة واتى فيها بكل مثال ليس له مثيل ووسمها بصاحب حماة فاطاعه عاصي الادب ووهب الله له على الكبر اسمعيل * نرجع الى أبيات البديعيات فبيت الشيخ صفي الدين

فالله يكلؤ عذالي ويلهمهم * عذلي فقد فرجوا كربي بذكرهم

الشيخ صفي الدين غاير الناس في الدعاء لعذاله وماذاك الا أن العذول ما برح محترجا بذكر الاحباب فكلما كرروا عذله وذكروا أحبابه فرجوا كربه بذلك الذكر والعميان لم ينظموا هذا النوع في بديعيتهم وبيت الشيخ عز الدين في بديعيته

تغاير الحال حتى للنوى فئة * اصبحت منتظرا ايام وصلهم

أما الشرح في نوع المغايرة فقد طال * والكلام في بيت عز الدين يضيق عنه المجال * فانه نظم المغايرة ولكن غاير بها الافهام * وما أرانا من عقادة بيته غير الابهام * وبيت بديعيتي

اغاير الناس في حب الرقيب فقد * أراه أبسط آمالي بقربهم

الناس قد اجمعوا على ذم الرقيب وغايرتهم في مدحه لمعنى وماذاك الا أنني لما أراه أتحقق أنه ما تجرد للمراقبة الا وقد علم بزيارة الحبيب فانظر الى حسن المغايرة وغرابة المعنى وحسن التركيب

(ذكر التذييل)

(والله ما طال تذييل اللقا بهم * يا عاذلي وكفى بالله في القسم)

التذييل هو ان يذيل الناظم أو الناثر كلاما بعد تمامه وحسن السكوت عليه بجملة تحقق ما قبلها من الكلام وتزيده توكيدا وتجري مجرى المثل بزيادة التحقيق والفرق بينه وبين التكميل أن التكميل يرد على معنى يحتاج الى الكمال والتذييل لم يفد غير تحقيق الكلام الاول وتوكيده ومن أعظم الشواهد عليه قوله تعالى وقل جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا فالجملة الاخيرة هي التذييل الذي خرج كلامه مخرج المثل السائر ومثله قوله تعالى ذلك جزيناهم بما كفروا وهل نجازي الا الكفور فالجملة الاخيرة هي تذييل خرج في الكلام مخرج الامثال التي ليس لها مثيل وقوله تعالى ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعدا عليه حقا في التوراة والانجيل والقرآن ومن أوفى بعهده من الله ففي هذه الآية الشريفة تذييلان احدهما قوله تعالى وعدا عليه حقا فان الكلام كان قد تم قبل ذلك وحسن السكوت عليه والآخر قوله تعالى ومن أوفى بعهده من الله فخرج هذا الكلام مخرج المثل السائر ووقع ذلك في السنة الشريفة وهو قول النبي صلى الله عليه وسلم من هم بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة وان عملها كتبت له عشرا ومن هم بسيئة فلم يعملها لم تكتب عليه وان عملها كتبت

ينتظر نحبه ليلحق بحبيبه ومنهم من لا يجد القوت والدرهم على كفه حتى يموت والباقون احياء كأنهم اموات ترعد فرائصهم من هذه البوائق وان هول السلطان أعظم واطم وأمر المطالبات أكبر وأهم فنظر الله لعبد من عباده يحول هم نظرا واحسن من امورهم محضرا وجعل الشيخ ذلك العبد ووفقه لصالح القول والعمل ولما اهم الناس ما اهمهم من هذا الامر خلصوا نجيا ثم افكروا مليا ثم اتفق رأيهم على ان يبعثوا وفدا ثم عملوا الخطيب اباعلي لذلك المجلس فوجدوه الى اجابتهم سريعا لما درك حظا من سعادة نفسه بحضرة موسم الخيرات ومقسم الموت والحياة ومطلع البركات حضرة الشيخ أدام

(التذييل)

عليه سيئة واحدة ولا يهلك على الله الاهالك فقوله صلى الله عليه وسلم لا يهلك على الله الاهالك هو التذييل الذى تتعلق البلاغة بأذياله وخرج الكلام فيه مخرج الامثال وهذا التذييل انفرد بأشواجه مسلم ومن هذا الباب قول النابغة

ولست بمستبق اخالا تلمه * على شعث أى الرجال المهذب

اتفق اهل البديع على ان قوله أى الرجال المهذب من أحسن تذييل وقع فى شعر لانه خرج مخرج المثل ومثله قول بعض العرب

ودعوا نزال فكنت أول نازل * وعلام أركبه اذا لم أنزل

فعجز هذا البيت كله تذييل وهو فى غاية الكمال ولقد أحسن بعضهم فى هذا الباب حيث قال

صدقتكم الود ابغى الوصال * وليس المكاذب كالصادق
فجازيتمونى بطول البعاد * وكم اخجل الحب من واثق

فكل من عجزى البيتين تذييل وخرج الكلام فيهما مخرج المثل وأحسن منه قول الحطيئة

تزور فتى يعطى على الحمد ماله * ومن يعط اثمان المحامد يحمد

فان عجز البيت كله تذييل خرج مخرج المثل وصدر البيت استقل بالمعنى المراد على انفراده وفيه أيضا مع اتصاله بالعجز تعطف حسن فى قوله يعطى ويعط وبالتعطف صار بين العجز والصدر ملاحمة وملاءمة شديدة ورابطة وثيقة قال ابن أبى الاصبع عجز هذا البيت اذا انفرد استقل مثلا وتذييلا كما ان الصدر اذا انفرد استقل بالمعنى المقصود من جملة البيت والغرض المطلوب من التمثيل أيضا وقل ان يوجد بيت بين صدره وعجزه مثل هذا التلاحم على استقلال كل قسم بنفسه وتمام معناه ولفظه ومن التذييل الحسن قول ابى الشيص

وأهنتنى فاهنت نفسى عامدا * مامن يهون عليك ممن يكرم

فعجز البيت كله تذييل فى ضمنه مطابقة لذكر الهوان والكرامة ومن بديع التمثيل قول ابن نباتة السعدى

لم يبق جودك لى شيأ أؤمله * تركتنى أصحب الدنيا بلا أمل

فانه استوفى ما أراده من المدح فى الشطر الاول ثم احتاج الى تقسيم البيت وأراد اتمامه بتكرار المعنى المتقدم فيه استحسانا وتوكيدا فأخرجه مخرج المثل السائر حيث قال تركتنى أصحب الدنيا بلا أمل ليحصل ما أراده من التوكيد وزيادة المعنى لان المدح اذا خرج مخرج المثل كان أسير فى الارض قال ابن ابى الاصبع هذا البيت ان نظر فيه الى قول أبى الطيب المتنبى

تمسى الامانى صرعى دون مبلغه * فما يقول لشئ ليت ذلك لى

فبيت ابن نباتة افضل من بيت المتنبى لانه أحسن الادب مع ممدوحه اذ لم يجعل له حيزمن يتمنى شيأ وجعل فى قدرته وجوده ما يبلغ مادحه كل أمنية فلم يبق له أمل وان كان فى بيت

الله مختارتها مهاجرا اليها متوكلا على الله مستعينا بالله متوجها الى الله وبالله متنجزا من الشيخ جميل وعده فى الثماس النظر وسابق قوله فى تصوير هذه الحال والخطب يستظهر بصلاح ابويه ويرجو ان يعطف الله بقلب الشيخ عليه ويعلى بهذا النظر يديه وان والعياذ بالله لم يوافق مراده قدرا ولم يصادف هؤلاء الوفد نظرا فبطن الارض للخائب خير من ظهرها والله ولى الآمال والكفيل بصلاح الحال

(وكتب الى أبى بكر الخوارزمى) .

انا اقرب دار الاستاذ اطال الله بقاءه (كما طرب النشوان مالت به الخمر) ومن الارتياح الى لقائه (كما انتفض العصفور بلله القطر) ومن الامتزاج بولائه (كما التقت الصهباء والبارد العذب) ومن الابتهاج

المتنبي زيادة من جهة المبالغة في قوله دون مبلغه واستعارة في اللفظ بقوله تمسى الاماني صرعى في بيت ابن نباتة أن كل ما جعله المتنبي لممدوحه جعله ابن نباتة لمادحه مع زيادة المبالغة في المدح بكونه اخرجه مخرج المثل السائر كما بينا فهو أشهر واسير وأبقى واذا تامل الناظر في البيتين وجد معنى بيت المتنبي بكماله في صدر بيت ابن نباتة لان حاصل بيت المتنبي أن الممدوح قدر على كل الاماني وهذا قد استقل به صدر بيت ابن نباتة والعجز ملزوم صدره لان من نال كل أمل صحب الدنيا بلا أمل غير ان ابن نباتة لكونه أخرج العجز مخرج المثل صار كانه استأنف معنى آخر مستقلا بجميع معنى بيت المتنبي مع كونه زاد بان جعل للمادح ما جعله المتنبي للممدوح وهذا غاية في حسن الادب وقد ترجح بيت ابن نباتة على بيت المتنبي من وجوه انتهى كلام ابن أبي الاصبع في النقد الحسن الذي قرره على بيت ابي الطيب و بيت ابن نباتة وقد يختلط على بعض الناس هذه الابواب الاربعة وهي باب الايغال والتذييل والتمكين والتكميل والفرق ظاهر فان الايغال لا يكون الا في الكلمة التي فيها الروي وما يتعلق به وهو أيضا مما يأتي بعد تمام المعنى كالتكميل والتذييل وأما التمكين فليس له مدخل في هذه الابواب لانه عبارة عن استقرار القافية في مكانها الا انها لا تزيد معنى البيت بل اذا حذفت نقص معنى البيت لانها ممكنة في قواعده وأما التكميل فانه وان أتى بعد تمام المعنى فهو يفارق الايغال والتذييل من وجهين أحدهما كونه يأتي في الحشو والمقاطع والايغال والتذييل لا يكونان الا في المقاطع دون الحشو والايغال والتذييل لا يخرجان عن معنى الكلام المتقدم والتكميل لابد أن يأتي بمعنى يكمل الغرض على التكملة المتقدمة أما تكميلا بديعيا أو تكميلا عروضيا والتذييل يفارق الايغال لكونه يزيد على الكلمة التي تسمى ايغالا ويستوعب غالب عجز البيت وبيت صفي الدين في التذييل

لله لذة عيش بالحبيب مضت * فلم تدم لي وغير الله لم يدم

والعميان ما نظموا هذا النوع في بديعيتهم وبيت عز الدين الموصلي

تذييل عيشي ورزقي قسمة حصلت * في اول الخلق والارزاق بالقسم

وبيت بديعيتي

والله ما طال تذييل اللقا بهم * ياعاذلي وكفى بالله في القسم

فقولي وكفى بالله في القسم هي الجملة التي جاءت بعد تمام الكلام وحسن السكوت عليه واشتملت على معناه وزادته في القسم تحقيقا وتوكيدا وجرت مجرى المثل الذي ما يجاري في شرفه وكماله وأما لفظة التذييل التي هي تسمية لهذا النوع المقصود ففات الشيخ عز الدين فيها لفظة طال فاني لو لم أذكر الطول ما ترشحت تورية التذييل ولا وقع لها في القلوب مواقع فان الطول من لوازم الاذيال وطول ذيل اللقا في البيت من ألطف الاستعارات وقولي ياعاذلي هو التكميل الذي يأتي في الحشو وقد تقدم الكلام عليه وتقرر

(ذكر التفويف)

بزاره (كما اهتز تحت البارح الغصن الرطب) فكيف نشاط الاستاذ لصديق طوى اليه ما بين قصبتي العراق وخراسان بل ما بين عتبتي نيسابور وجرجان وكيف اهتزازه لضيف في بردة جمال وجلدة جمال رث الشمائل منهج الاثواب * بكرت عليه مغيرة الاعراب

وهو ايده الله ولي انعامه بانفاذ غلامه الى مستقري لافضي اليه بسري ان شاء الله تعالى

(وله الى شمس المعالي)

لم تزل الآمال تعدني هذا اليوم والايام تمطلني بالسنة صروفها على اختلاف صنوفها بين حلو استرقني ومر استخفني وشر صار الي وخير ما صرت اليه وانا في خلال هذه الاحوال اتتبع الآفاق فاكون طورا مغربا للمغرب

(التفويف)

خشن ألن احزن افرح امنع اعط انل * فوف اجد وش رقق شد حب لم

التفويف تأملته فوجدته نوعا لم يفد غير ارشاد ناظمه الى طرق العقادة والشاعر اذا كان معنويا وتجشم مشاقه تقصر يده عن التطاول الى اختراع معنى من المعانى الغريبة ويجفوه حسان الالفاظ ولم يعطف عليه برقة وتأنف كل قرينة صالحة ان تسكن له بيتا ولكن شروع المعارضة ملزم به ولم يسعنى غير تشريع الطباق فى بيته وهو فى اللغة مشتق من الثوب المفوف الذى فيه خطوط بيض والمراد تلوينه ونقشه ومن ظريف قول ابن قاضى ميلة

يعيشى الم اخبر كأنه فتق * على لفظه برد الكلام المفوف

والتفويف فى الصناعة عبارة عن اتيان المتكلم بمعان شتى من المدح والغزل وغير ذلك من الفنون والاغراض كل فن فى جملة من الكلام منفصلة عن اختها مع تساوى الجملة فى الوزنية ويكون بالجملة الطويلة أو المتوسطة أو القصيرة واحسنها وابلغها واصعبها مسلكا القصار فمثال ما جاء منه بالجملة الطويلة قول النابغة

وأعظم أحلاما وأكبر سيدا * وأفضل مشفوعا وأكرم شافع

وبالجملة المتوسطة قول ابى الوليد بن زيدون

ته أحتمل واحتكم أصبر وعز أهن * وذل أخضع وقل أسمع ومر أطع

ومثال ما جاء بالجملة القصيرة قول أبى الطيب المتنبى

أقل أنل أقطع احمل عل سل أعد * زد هش بش تفضل أدن سر صل

أقل من الاقالة فى العثرة أنل من الانالة والاعطاء أقطع من الاقطاع احمل من قولهم حمله على فرسه عل من الاستعلاء والعلو اسل من السلو أعداى اعدنى الى موضعى من الجو از زداى زدنى مما كنت أعهده منك هش من الهشاشة وهى التهلل والبشر من بش البشاشة وهى البشر وطلاقة الوجه تفضل من الافضال ادن أى قربنى اليك وقوله سر من التسرى وهو ان يعطيه جارية يتسرا ها صل من الصلة ولم اقصد بحل هذه الالفاظ الا بيناسا تزول به وحشة العقادة عن المتأمل فلان هذه الجملة ما استولت عليها عقادة التركيب الا لكون كل كلمة منها فعل امر ولم يات فى الجملة القصيرة على هذه الصفة شئ من فصيح الكلام وعلى هذا المنوال نسج أصحاب البديعيات وبالله المستعان وبيت الشيخ صفى الدين رحمه الله

أقصر أطل اعذل اعذر سل خل اعن * خن هن عن ترفق كف لج لم

وهذا النوع ما نظمه العميان وبيت الشيخ عز الدين

فوف أزف انظم انثر خص عم أفد * اعتب أدر أبرق ارعد اضحك ابك لم

هذا البيت بيت ما نحت من الجبال ولكن الجبال نحتت منه وبيت بديعيتى

خشن ألن احزن افرح امنع اعط انل * فوف اجد وش رقق شد حب لم

قد تقدم قولى للعاذل (والله ما طال تذييل اللقا بهم * ياعاذلى وكفى بالله فى القسم) ولما قررت له ذلك قلت له فى بيت التفويف ان شئت تخشن فى عذلك وان شئت تلين وان شئت تحزن وان شئت تفرح وان شئت تمنع وان شئت تعطى وان شئت تفوف العذل وتجيد

نقشه

الاقصى وطورا مشرقا المشرق ولا مطمح الا حضرته الرفيعة وسدته المريعة ولا وسيلة الا المنزع الشاسع والامل الواسع وقد صرت اطال الله بقاء الامير بين انياب النوائب وتجشمت هول الموارد وركبت اكناف المكاره ورضعت اخلاف العوائق ومسحت اطراف المراحل حتى حضرت الحضرة البهية أوكدت وبلغت الامنية أوزدت وللامير فى الاصغاء الى الجد والبسط من عنان الفضل بتمكين خادمه من المجلس يلقاه بيده والبساط ينقشه بفمه الرأى العالى ان شاء الله تعالى

(وله أيضا)

لو كان للكرم عن جناب الشيخ الامام منصرف لانصرفت أو للامل منحرف

نقشه وتوشيته وترقق فيه او نشد معناه ان الكل بالنسبة الى صدق المحبة سهل ولكن النكتة في قولي له اعني للعاذل حب لم يعني اذا حب لم بعد ذلك كأني اقول له

من لم يبت والحب يقرع قلبه * لم يدر كيف تفتت الاكباد

وما احلى قول الشيخ شرف الدين بن الفارض مخاطبا العاذله

دع عنك تعنيفي وذق طعم الهوى * فاذا عشقت فبعد ذلك عنف

(ذكر الموارية)

(ياعاذلي أنت محبوب لدى فلا * توارب العقل مني واستفد حكمي)

المواربة براء مهملة وباء موحدة وهي مشتقة من الارب وهي الحاجة لكن ذكر ابن أبي الاصبع أنها مشتقة من ورب العرق بفتح الواو والراء اذا فسد فهو ورب بكسر الراء كأن المتكلم افسد مفهوم ظاهر الكلام بما أبداه من تأويل باطنه وحقيقة المواربة ان يقول المتكلم قولا يتضمن ما ينكر عليه فيه بسببه ويتوجه عليه المؤاخذة فاذا حصل الانكار عليه استحضر بحذقه وجها من الوجوه التي يمكن التخلص بها من تلك المؤاخذة اما بتحريف كلمة او تصحيفها أو بزيادة أو نقص أو غير ذلك فاما شاهد ما وقع من المواربة بالتحريف فقول عتبان الحروز

وان يك منكم كان مروان وابنه * وعمرو ومنكم هاشم وحبيب

فنا حصين والبطين وقعنب * ومنا امير المؤمنين شبيب

فلما بلغ الشعر هشاما وظفر به قال أنت القائل ومنا أمير المؤمنين شبيب فقال يا أمير المؤمنين ما قلت الا ومنا أمير المؤمنين شبيب فتخلص بفتح الراء بعد ضمها وهذا الطف مواربة وقعت في هذا الباب وشاهد الحذف قول أبي نواس في خالصة جارية أمير المؤمنين الرشيد هاجيا لها

لقد ضاع شعري على بابكم * كما ضاع حلي على خالصه

فلما بلغ الرشيد ذلك انكر عليه وتهدده بسببه فقال لم اقل الا

لقد ضاء شعري على بابكم * كما ضاء حلي على خالصه

فاستحسن الرشيد موار بته وقال بعض من حضره هذا بيت قلعت عيناه فأبصر وشاهد التصحيف في المواربة يأتي في ابيات البديعيات ويعجبني قول الشيخ عز الدين الموصلي في المواربة من غير البديعية لما بلغه وفاة القاضي فتح الدين بن الشهيد وكان القاضي فتح الدين يرجح جانب الشيخ شمس الدين المزين على الشيخ عز الدين لبغض كان في خاطره لا لاستحقاق

دمشق قالت لنا مقالا * معناه في ذا الزمان بين

اندمل الجرح واستراحت * ذاتي من الفتح والمزين

وبيت الشيخ صفي الدين الحلي في بديعيته

لأنت عندي اخص الناس منزلة * اذ كنت اقدرهم عندي على السلم

المواربة في اخص بريدبها أخس بالسين المهملة وأقدرهم بريدبها اقذرهم بالذال المعجمة

(المواربة) الى سواء لانحرفت او لفتح باب غيره لولجت أو للفضل خاطب لزوجت ولكن أبى الله ولا يزال كذا يتيم المجد بسمته ويجذب العلا بهمته ويسعد الحر بنظره والدنيا بجماله وغلا مما انا لواستعار الدهر لسانا واتخذ الريح ترجمانا ليشيع انعامه حق الاشاعة لقصرت به يد الاستطاعة فليس الآن يلبس مكارمه ضافية بالغة ويرد مشارعه صافية سائغة ويصل الجزاء على يد قصور والشكر على لسان قصير ثم ان حاجاتي اذا لم يعرمن قلائد الحمد نحرها ولم يعطل من حلى المجد صدرها كثر مهرها وثقل صدرها وعر كفؤها ولم ارض لها الا واحدا أخضر الجلدة في بيت العرب أو ماجدا يملأ الدلو الى عقد الكرب وهذه حاجة انا ازفها الى الشيخ

(قوله والراء) صوابه وكسر الراء

(قوله الحروز) في نسخة الحروري

(قوله ذاتي) في نسخة نفسي

الا الموارية التي اتى بها صفي ... وجدنا النوع لم ينظمه العميان في بديعيتهم وبيت الشيخ عزالدين الموصلي

لانت اقم ذهننا في موارية * وبالتعقل منسوب الى النعم

مراد الشيخ بافتح اقيم وبالتعقل التغفل وقال في شرحه انه اراد بالنعم النعم وهو اسم جامع للابل وغيرها وأراد بذلك الموارية بالتحريف أيضا سلمنا له ذلك ولكن لم أر في بيته قبل المواربة معنى يستأنس به الذوق وبيت بديعيتي انا مستمر فيه على ما تقدم من خطاب العاذل

ياعاذلي أنت محبوب لدي فلا * تواربِ العقل مني واستفد حكمي

قولي للعاذل أنت محبوب لدي من له أدنى ذوق يفهم منه أن مرادي المواربة بمجنون والمراد بلفظة تواربِ توازن والمعنى قبل المواربة مستقيم وهو في غاية الكمال واذا حصلت المواربة صار البيت

ياعاذلي أنت مجنون لدي فلا * توازن العقل مني واستفد حكمي

وانتقل من صيغة المدح المقبول الى صيغة الهجو الصريح

(ذكر الكلام الجامع)

(جمع الكلام اذا لم تغن حكمته * وجوده عند أهل الذوق كالعدم)

الكلام الجامع هو أن يأتي الشاعر ببيت مشتمل على حكمة أو وعظ أو غير ذلك من الحقائق التي تجري مجرى الامثال ويتمثل الناظم بحكمها او وعظها أو بحالة تقتضي اجراء المثل كقول زهير بن أبي سلمى

ومن يك ذا فضل فيبخل بفضله * على قومه يستغن عنه ويذمم

وقول ابي نواس

اذا كان غير الله في عدة الفتى * أتته الرزايا من وجوه الفوائد

وقول المتنبي

واذا كانت النفوس كبارا * تعبت في مرادها الاجسام

وبيت الشيخ صفي الدين في بديعيته

من كان يعلم أن الشهد مطلبه * فلا يخاف للدغ النحل من ألم

فانه حصر فيه الكلام الجامع بشروطه واجراه مجرى المثل مع ما أودع فيه من الحكمة وزاد على ذلك بما كساه من ديباجة الرقة ولطف السهولة وحسن الانسجام وأما العميان فما نظموا هذا النوع في بديعيتهم وبيت الشيخ عزالدين الموصلي

كلامه جامع وصف الكمال كما * يهيج الشوق أنواعا من الرمم

قد تقرر ان الكلام الجامع هو أن يأتي الناظم ببيت جلته حكمة أو موعظة أو غير ذلك من الحقائق التي تجري مجرى الامثال وليس بين الشطر الاول من البيت وبين الشطر الثاني مناسبة ولا يناسب ملاءمة ولم ار لجريان المثل دخولا في باب هذا البيت وبيت بديعيتي

جمع الكلام اذا لم تغن حكمته * وجوده عند اهل الذوق كالعدم

حكمة هذا البيت ما جريت مثلها على هذا النمط الا لعلم المتيقظ أن فيه اشارة لطيفة الى بيت عز الدين فاني قررت انه ليس في كلامه الجامع ما يشعر بحكمة تجري مجرى الامثال

فوجوده

الامام فأسوقها منظومة الصدر الى العجز كما يساق الماء الى الارض الجرز وانا من مفتتح اليوم الى مختتمه ومن قرن النهار الى قدمه قاعد كالكركي أو الديك الهندي في هذا الادحي يمر بي اولو الحلي والحلل ويجتاز ذوو الخيل والخول وارباب النعم والدول وما انا والنظر الى ما يلهيني والسؤال عما لا يعنيني واليوم لما اقتضضنا غدوة الصباح ملأت اجفاني من منظر ما احوجه الى عيب يصرف عين كماله عن جماله فقلت لمن حضر من هذا فأخذوا يحركون الرؤس استظرافا لحالي ويتغامزون تعجبا من سؤالي وقالوا هو الشيخ الفاضل ابو ابراهيم اسمعيل بن احمد فقلت حرس الله مهجته وادام غبطته فكيف الوصول

(الكلام الجامع)

قوله مطلبه في نسخة راحته

فوجوده عند أهل الذوق كالعدم والله الموفق

(ذكر المناقضة)

(انى اناقضهم ان ازمعوا ونأوا * وجز نمل ثبيرا الرعيسهم)

المناقضة تعليق الشرط على نقيضين ممكن ومستحيل ومراد المتكلم المستحيل دون الممكن ليؤثر التعليق عدم وقوع المشروط فكأن المتكلم ناقض نفسه فى الظاهر اذ شرط وقوع امر بوقوع نقيضين ومثاله قول النابغة

وانك سوف تحكم أو تباهى * اذا ماشبت أوشاب الغراب

فان تعليقه وقوع حكم المخاطب على شيبه ممكن وعلى شيب الغراب مستحيل ومراده الثانى لا الاول لان مقصوده أن يقول انك لا تحكم أبدا والفرق بين المناقضة وبين نفى الشئ بايجابه أن هذا الباب ليس فيه نفى ولا ايجاب ونفى الشئ بايجابه ليس فيه شرط وبيت الشيخ صفى الدين فى المناقضة

وانى سوف اسلوهم اذا عدمت * روحى وأحييت بعد الموت والعدم

فتعليق الشرط بين النقيضين الممكن والمستحيل ظاهر والبيت فى غاية الحسن والعميان لم ينظموا هذا النوع فى بديعيتهم وبيت عز الدين

انى أناقض عهد النازحين اذا * ماشاب عزمى وشبت شهوة الهرم

الشيخ عز الدين قرر فى بيته وشرحه ان شيب العزم ممكن وشباب شهوة الهرم مستحيل فرأيت تصوير شيب العزم وامكانه وسبك استعارته فى قالب التشبيه كما تقرر فى باب الاستعارة فيه اشكال فانهم قالوا الاستعارة هى ادعاء معنى الحقيقة فى الشئ للمبالغة فى التشبيه ولم ارفى شيب العزم وجها للمبالغة فى التشبيه وعلى كل تقدير فالممكن والمستحيل فى بيت عز الدين فيهما نظر وبيت بديعيتى

انى اناقضهم ان أزمعوا ونأوا * وجز نمل ثبيرا الرعيسهم

تعليق الشرط على الممكن والمستحيل فى هذا البيت أوضح من الكلام عليه والله اعلم بالصواب

(ذكر التصدير وهو رد العجز على الصدر)

(ألم اصرح بتصدير المديح لهم * ألم أهتد ألم أصبر ألم ألم)

هذا النوع الذى هو رد الاعجاز على الصدور سماه المتأخرون التصدير والتصدير هو أخف على المستمع والبق بالمقام وقد قسمه ابن المعتز على ثلاثة اقسام الاول ماوافق آخر كلمة فى البيت آخر كلمة فى صدره أو كانت مجانسة لها كقول الشاعر

يلفى اذا ما كان يوم عرمرم * فى جيش رأى لا يفل عرمرم

والثانى ماوافق آخر كلمة فى البيت أول كلمة منه وهو الاحسن كقول الآخر

سريع الى ابن العم يلطم وجهه * وليس الى داعى الندى بسريع

ومثله

تمنت سليمى أن أموت صبابة * وأهون شئ عندنا ماتمنت

(المناقضة)

الى خدمته واين مأتى معرفته فقالوا ان الشيخ الامام يضرب فى مودته بالمعلى ويأخذ بالحظ الاوفى فان رأى الشيخ الامام اطال الله بقاءه ان يجعل عنايته حرف الصلة وتفضله لام المعرفة فعل ان شاء الله تعالى

(وله الى ابى نصر المرزبان)

الشيخ الفاضل اطال الله بقاءه وادام تأييده يجل قدمه أن يقصد خدمه ويذهب بنفسه عن مباسطة الاوساط فكيف عن مخالطة السقاط وقد رضينا منه ان يألف صدريته ويعمر بطن دسته ونحن على قدم الصغر نأتيه فلم يجب بل كم يحجب وقد ترددت الى زيارته حتى استحييت من جيرانه وما كنت لاحرص على من يشره الى لولا مااسمع من شريف أخلاقه وبلغنى

(التصدير)

قوله تعليق الشرط المناسب المشروط وكذا يقال فيما بعد

قوله فتعليق الشرط المناسب المشروط على الخ

قوله يلطم وجهه فى نسخة يشتم عرضه

ومثله سكران سكر هوى وسكر مدامة * أنى يفيق فتى به سكران

وشاهد الجناس فى هذا الباب للسرى الرفاء

يسار من سجيتها المنايا * ويمنى من عطيتها اليسار

والاكثر أن تكون الكلمة التى فى العجز عين الكلمة التى فى الصدر لفظا وان قبل اللفظ اشترا كا زاد النوع حسنا مثاله

ذوائب سود كالعناقيد ارسلت * فمن اجلها منا النفوس ذوائب

والقسم الثالث ما وافق آخر كلمة فى البيت بعض كلام فى أى موضع كان كقول الشاعر

سقى الرمل صوب مستهل غمامه * وماذاك الا حب من حل بالرمل

هكذا عرف ابن المعتز هذا القسم الثالث من التصدير لكن قال ابن أبى الاصبع ان هذا التعريف مدخول وصدق فان ابن المعتز قال فى أى موضع كان والكلمة اذا كانت فى العجز لم تسم تصديرا الا ان اشتقاق التصدير من صدر البيت فلا بد من زيادة قيد فى التعريف يسلم به من المدخل بحيث يقول بعض كلمات البيت فى أى موضع كانت من صدره قال ابن ابى الاصبع أيضا الذى يحسن أن يسمى به القسم الاول تصدير التقفية الثانى تصدير الطرفين الثالث تصدير الحشو وقد وقع من القسم الاول فى الكتاب العزيز قوله تعالى اولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين ومن القسم الثانى قوله تعالى وأحسنوا ان الله يحب المحسنين ومن القسم الثالث قوله تعالى ولقد استهزئ برسل من قبلك فحاق بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزؤن قال ابن أبى الاصبع وفى التصدير قسم رابع ذهب عنه ابن المعتز وهو أن يأتى فيما الكلام فيه منفى واعتراض فيه اضراب عن أوله كقول الشاعر

فان تك لم تبعد على متعهد * بلى كل من تحت التراب بعيد

وقد جاء قدامة من التصدير بنوع آخر كما ذكرناه وسماه التبديل وهو ان يصير المتكلم الاخير من كلامه أولا أو بالعكس كقولهم اشكر لمن أنعم عليك وأنعم على من شكرك قال ابن أبى الاصبع لم اقف لهذا النوع على شاهد شعرى فقلت

اصبر على خلق من تصاحبه * واصحب صبورا على أذى خلقك

أصحاب البديعيات نظموا القسم الثانى الذى قرره ابن المعتز وهو ما وافق آخر كلمة من البيت أول كلمة فيه وهو الذى وقع الاتفاق على انه الاحسن وبيت الشيخ صفى الدين رحمه الله

فمى تحدث عن سرى فما ظهرت * سرائر القلب الامن حديث فمى

هذا النوع اعنى التصدير ما برحت السهولة نازلة باكناف اذياله فانه سهل المأخذ ويتعين على الاديب المعنوى ان لا يتركه ساذجا من نكتة أدبية يزداد بها بهجة فان الشيخ صفى الدين مع عدم تكلفه بتسمية النوع وسبكه فى قالب التورية من جنس الغزل لم يأت به الا ساذجا وبيت العميان فى بديعيتهم

وحقهم ما نسينا عهد حبهم * ولا طلبنا سواهم لا وحقهم

لعمرى ان بيت الشيخ عز الدين فى هذا النوع أعمر من بيت الصفى ومن بيت العميان فانه مع التصريح بتورية التسمية حلى نوع التصدير بمكررها فى طرفى بيته وهو

ان خزانته تشتمل من كتب الادب على ما تشتهى الانفس وتلذ الاعين فان كان فى جملتها ما يستغنى عنه صاحبه اسبوع عقد به منة لدى واعارنيه وله فى الفضل رأيه ان شاء الله تعالى

(وله أيضا)

لا ازال اطال الله بقاء مولاى الشيخ لسوء الا نتقاد وحسن الاعتقاد ابسط عين العجل وامسح جبين الخجل واضعف الحاسة فى الفراسة احسب الورم شحما والسراب شرابا حتى اذا تجشمت موارده لاشرب بارده لم اجده شيأ وما حسبت الشيخ ممن تحبيبه هذه الحالة وتشمله هذه الجملة حتى عرضت على النار عوده وسبرت بالسؤال جوده وكانبته استعير حلية كمال سحابة يوم أو شطره بل مسافة ميل أو قدره

(قوله باكناف انياله) فى نسخة باكناف اذياله

فهم بصدر جمال عجز عاشقه * عن وصله ظاهر عن باحث فهم

وبيت بديعيتي

ألم اصرح بتصدير المديح لهم * ألم اهدد ألم أصبر ألم ألم

ديباجة التورية في عجز هذا البيت وصدره لا تخفى على صاحب الذوق السليم ولو استقل هذا البيت بنظم نوع التصدير بمجرده لم يكن تحته كبير أمر كبيت الحلي وبيت العميان

(ذكر القول بالموجب)

قولي له موجب اذ قال اشفقهم * تسل قلت بناري يوم فقدهم

القول بالموجب ويقال له اسلوب الحكيم وللناس فيه عبارات مختلفة منهم من قال هو أن يخصص الصفة بعد أن كان ظاهرها العموم أو يقول بالصفة الموجبة للحكم ولكن يثبتها الغير من أثبتها المتكلم وقال ابن ابي الاصبع هو ان يخاطب المتكلم مخاطبا بكلام فيعمد المخاطب الى كلمة مفردة من كلام المتكلم فيبني عليها من لفظه ما يوجب عكس معنى المتكلم وذلك عين القول بالموجب لان حقيقته رد الخصم كلام خصمه من فحوى لفظه قال صاحب التلخيص في تلخيصه وايضاحه القول بالموجب ضربان أحدهما ان تقع صفة من كلام الغير كناية عن شئ أثبت له حكم فتثبت في كلامك تلك الصفة لغير ذلك الشئ من غير تعرض لثبوت ذلك الحكم وانتفائه كقوله تعالى يقولون لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين فانهم كنوا بالاعز عن فريقهم وبالاذل عن فريق المؤمنين وأثبتوا للاعز الاخراج فاثبت الله تعالى في الرد عليهم صفة العزة لله ولرسوله وللمؤمنين من غير تعرض لثبوت حكم الاخراج للموصوفين بصفة العزة ولا لنفيه عنهم انتهى كلام صاحب التلخيص ومنه قول القبعثري للحجاج لما توعده فقال لاحملنك على الادهم والمراد به القيد فرأى القبعثري ان الادهم يصلح للقيد والفرس فحمل كلامه على الفرس وقال مثل الامير يحمل على الادهم والاشهب فصرف الوعيد بالهوان الى الوعد بالاحسان وفي هذا ما لا يخفى على المتأدب من حسن التلطف وشدة الباعث على فعل الخير اذ لا يليق بمن له همة عالية ان يقال له مثلك من يفعل الخير فيقول لا بل أفعل الشر والقسم الثاني من كلام صاحب التلخيص ان القول بالموجب هو حمل لفظ وقع في كلام الغير على خلاف مراده مما يحتمله بذكر متعلقه وهذا القسم الذي تداول بين الناس ونظمه أصحاب البديعيات كقول ابن حجاج

قال ثقلت اذا تيت مرارا * قلت ثقلت كاهلي بالايادي

قال طولت قلت اوليت طولا * قال ابرمت قلت حبل ودادي

وحذاق البديع اخلوا هذا الباب من لفظة لكن فانهم خصوا بها نوع الاستدراك بحيث يفرق بينهما فرق دقيق وهذا هو الفرق ومن احسن ما وقع في هذا النوع قول محاسن الشواء

ولما اتاني العاذلون عدمتهم * وما فيهم الا للعي قارض

وقد بهتوا لما رأوني شاحبا * وقالوا به عين فقلت وعارض

القول بالموجب

فغاص في الفطنة غوصا عميقا ونظر في الكيس نظرا دقيقا وقال هذا مشهور المديه في أبواب الكديه قد جعل الاستعارة طريق افتراسها وسببا الى احتباسها وقدح في ضرسه وحدث بالحال نفسه ولا اضيفه في هذا الباب أحسن من التغافل عن الجواب فضلا عن الصواب وكلا فاني أبواب الردائح مما قرع وفي شرائع الجدل اظهر مما شرع ثم العذر من جهتي مبسوط ان بسطه الفضل ومقبول ان قبله المجد وانما كانبته لاعيد الحال القديمة واشترط له على نفسي ان اريحه من سوم الحاجات من بعد فمن لا يستحي من أعطى لم يستح له من اغضى وعلى حسب

وأورد الشهاب محمود في كتابه حسن التوسل إلى صناعة الترسل بيت الارجاني في الاستدراك شاهدا على هذا النوع وهو

عانقتني اذ كست جسمي ضنى * كسوة أعرت من اللحم العظاما

ثم قالت أنت عندي في الهوى * مثل عيني صدقت لكن سقاما

قد تقرر ان لفظة لكن خصص بها اهل البديع نوع الاستدراك لاجل الفرق بينه وبين القول بالموجب ولم يستشهدوا على نوع الاستدراك بغير بيتي الارجاني قال الشهاب محمود في البيتين انه اعجبه معناهما ونظم فيه قوله وهو شاهد على القول بالموجب

رأتني وقد نال مني النحول * وفاضت دموعي على الخد فيضا

فقالت بعيني هذا السقام * فقلت صدقت وبالخصر أيضا

وبيت الحلي

قالوا سلوت لبعد الالف قلت لهم * سلوت عن صحتي والبرء من سقمي

فقوله سلوت عن صحتي هو حمل لفظ وقع من كلام الغير على خلاف مراده وبيت العميان اوردوه بحرف الاستدراك وهو

كانوا غيوثا ولكن للعفاة كما * كانوا ليوثا ولكن في عداتهم

ورأيت ترك الكلام على هذا البيت أليق بالمقام وبيت عز الدين الموصلي

قالوا مدام الهوى قول بموجبه * تسل قلت شبابي من يد الهرم

لما قال الشيخ عز الدين بعد تسل شبابي من يد الهرم علمنا انها الكلمة التي أشار اليها ابن أبي الاصبع وقال ان المخاطب يعكس بها معنى كلام المتكلم وهو عين القول بالموجب وتسل هنا احسن من سلوت في بيت الحلي فان تسل يقبل الاشتراك ومراد المتكلم هنا داء السل فعاكسه المخاطب بسل الشباب من يد الهرم ونقله باشتراك التورية الى الوجه الذي أراده ولم يخرج عن موضوعها في معنى السل الذي لم يخرج عن الوجهين غير ان قول الموصلي مدام الهوى قول بموجبه لم يخل من شدة العقادة وبيت بديعيتي

قولي له موجب اذ قال اشفقهم * تسل قلت بناري يوم فقدهم

فلفظة تسل هي الكلمة المعتمد عليها في عكس معنى كلام المتكلم من المخاطب فان المتكلم أراد السلو في لفظة تسل وهي فعل امر فعاكسه المخاطب بالاشتراك ونقلها بالتورية الى صفة التسلي بالنيران فانه لما قال له تسل قال بناري يوم فقدهم ورقة البيت وانسجامه لا تخفى على اهل الذوق السليم والله أعلم

(ذكر الهجو في معرض المدح)

(وكم بمعرض مدح قد هجوتهم * وقلت سدتم بحمل الضيم والتهم)

هذا النوع من مستخرجات ابن ابي الاصبع وهو ان يقصد المتكلم هجاء انسان فيأتي بالفاظ موجهة ظاهرها المدح وباطنها القدح فيوهم أنه يمدحه وهو يهجوه كقول الحماسي

يجزون من ظلم أهل الظلم مغفرة * ومن اساءة أهل السوء احسانا

جوابه أجرى المودة من بعد فان رأى ان يجيب فعل ان شاء الله

(وله كتبها الى سهل بن محمد ابن سليمان)

انا اذا طويت اليوم من خدمة الشيخ والآن لم ارفع له بصري ولم اعده من عمري فكأني بالشيخ اذا اخللت بفروض خدمته من قصد حضرته والمثول في جملة حاشيته وجملة غاشيته يقول ان هذا الجائع لما شبع وتضلع واكتسى وتشقع وتجال وتبرقع وتربع وترفع فما يطوف بهذا الجناب ولا يطير بهذا الباب وانا الرجل الذي آواه من قفر واغناه من فقر وآمنه من خوف اذا لا حر بوادي عوف حتى اذا وردت عليه رقعتي هذه وأعارها طرف كرمه وظرف

الهجو في معرض المدح

كان

كأن ربك لم يخلق لخشيته * سواهم من جميع الناس انسانا

فظاهر هذا الكلام المدح بالحلم والعفة والخشية والتقوى وباطنه المقصود أنهم في غاية الذل وعدم المنعة وظريف قول بعضهم في الشريف ابن الشجري

ياسيدي والذي يعيذك من * نظم قريض يصدى به الفكر
مافيك من جدك النبي سوى * انك لا ينبغي لك الشعر

ومن ملح هذا الباب قول ابن سناء الملك في قواد

لي صاحب افديه من صاحب * حلو التأني حسن الاحتيال
لو شاء من رقة الفاظه * ألف مابين الهدى والضلال
يكفيك منه أنه ربما * قاد الى المهجور طيف الخيال

قال الشيخ زكي الدين بن أبي الاصبع لقد تشبثت بأذيال القاضي السعيد بن سناء الملك في هذا النوع بقولي فيمن ادعى الفقه والكرم

ان فلانا أكرم الناس لا * يمنع ذا الحاجة من فلسه
وهو فقيه ذو اجتهاد وقد * نص على التقليد في درسه
فيحسن البحث على وجهه * ويوجب الدخل على نفسه

والفرق بين الهجاء في معرض المدح وبين التهكم أن التهكم لا تخلو ألفاظه من اللفظ الدال على نوع من انواع الذم أو لفظة توهم من نحواها الهجو والفاظ المدح في معرض الذم لا يقع فيها شيء من ذلك ولا تزال تدل على ظاهر المدح حتى يقترن بها ما يصرفها عنه وبيت الشيخ صفي الدين الحلي

من معشر رخص الاعراض جوهرهم * ويحملون الاذى من كل مهتضم

فقوله ويحملون الاذى من كل مهتضم ينظر الى قول الحماسي (يجزون من ظلم اهل الظلم مغفرة) والمراد بما أبطنه الذل وعدم المنعة والعميان لم ينظموا هذا النوع وبيت الشيخ عز الدين الموصلي

في معرض المدح تهجى من قبيلته * أعراضهم بين معمور ومنهدم

الذي أقوله ان الشيخ عز الدين قفل مصراعي بيته ومنع الافهام من الدخول اليه فاني لم أجد فيه ما يدل على مجرد المدح ولا اقترن به ما يصرفه الى صيغة الهجو بل اقول وأنا استغفر الله ان هذا البيت اجساد الفاظه ما دب فيها من المعاني روح وليس له بهذا النوع المام وبيت بديعيتي

وكم بمعرض مدح قد هجوتهم * وقلت سدتم بحمل الضيم والتهم

فحمل الضيم ينظر الى قول الحماسي اذ ظاهره الحلم والحسن وباطنه الذل وعدم المنعة ولكن حمل التهم هو الغاية القصوى في ظاهره وباطنه والله اعلم

(ذكر الاستثناء)

(عفت القدود فلم استثن بعدهم * الا معاطف أغصان بذي سلم)

الاستثناء استثناآن لغوي وصناعي فاللغوي اخراج القليل من الكثير وقد فرع النحاة من ذلك في كتبهم فروعا كثيرة والصناعي هو الذي يفيد بعد اخراج القليل من الكثير

وشبه ونظر من عنوانها في اسمي قال بعدا وسحقا وتباوحتا ونحتا وطعنا ولعنا لها اكذب سراب اخلاقه واكثر اسراب نفاقه فالآن انحل عن عقدته وانتبه من رقدته وكانني يستعيدني كلا لا أزوجه الرضا ولا اقالة ولا امضه ولا كرامة وادعه يركب راسه فستأتيني به الليالي والكيس الخالي ثم أريه ميزان قدره وأذيقه وبال أمره واذا بلغ موضع الحاجة من الرقعة قال ما أربة لا حفاوة وطرساقه لانزاع شاقه فهذا بذا ولا ابعد من تلك الهمم العاليه والاخلاق الساميه أن يقول مرحبا بالرقعة وكاتبها واهلا بالخاطبة وصاحبها وقضاء الحاجة بالحائها وابرازها وهي الرقعة التي سالت الى من القسمة كما اقترحته بما طالبته فرأيه فيه موفق ان شاء الله تعالى

الاستثناء

بمعنى يزيد على معنى الاستثناء ويكسوه بهجة وطلاوة وتميزه بما يستحق به الاثبات فى ابواب البديع كقوله تعالى فسجد الملائكة كلهم اجمعون الا ابليس فان فى هذا الكلام معنى زائدا على مقدار الاستثناء وذلك اعظم الكبيرة التى أتى بها ابليس من كونه خرق اجماع الملائكة وفارق جميع الملا الاعلى بخروجه عما دخلوا فيه من السجود لآدم وذلك مثل قولك أمر الملك بكذا وكذا فأطاع أمره جميع الناس من أمير ووزير الا فلانا فان الاخبار عن معصية هذا العاصى بهذه الصيغة مما يعظم أمر معصيته ويفخم مقدار كبريائه بخلاف قولك أمر الملك بكذا فعصاه فلان ومثاله قوله تعالى اخبارا عن نوح عليه السلام فلبث فيهم ألف سنة الا خمسين عاما فان فى الاخبار عن هذه المدة بهذه الصيغة تهويلا على السامع لتمهيد عذر نوح عليه السلام فى الدعاء على قومه وان فى حكمة الاخبار عن المدة بهذه الصيغة العظيمة تعظيمها لكون اول ما يباشر السمع ذكر الالف والايجاز فى اختصار هذا اللفظ بهذه البلاغة العظيمة ظاهر فان لفظ القرآن اخصر واوجز من قولنا تسعمائة سنة وخمسين عاما ولفظ القرآن بتقييد حصر العدد المذكور لا يحتمل الزيادة عليه ومثله قوله تعالى فاما الذين شقوا ففى النار لهم فيها زفير وشهيق خالدين فيها مادامت السموات والارض الا ماشاء ربك ان ربك فعال لما يريد وأما الذين سعدوا ففى الجنة خالدين فيها مادامت السموات والارض الا ماشاء ربك عطاء غير مجذوذ فالله تعالى لما علم ان وصف الشقاء يعم المؤمن العاصى والكافر استثنى من خلودهم فى النار بلفظ مطمع حيث اثبت الاستثناء المطلق واكده بقوله ان ربك فعال لما يريد أى أنه لا اعتراض عليه فى اخراج أهل الشقاء من النار ولما علم ان أهل السعادة لا خروج لهم من الجنة استثنى من خلودهم ما ينفى الاستثناء حيث قال عطاء غير مجذوذ أى مقطوع وهذه المعانى فى هذه الآيات الشريفة زائدة على الاستثناء اللغوى ومن امثال الاستثناء اللغوى فى الشعر قول النميرى

فلو كنت بالعنقاء أو بأطومها * لخلتك الا أن تصد ترانى

هذا الاستثناء فى غاية الحسن فانه تضمن المبالغة فى زيادة مدح الممدوح وذلك ان هذا الشاعر يقول انى لو كنت فى حيز العدم لان العرب تضرب المثل بالعنقاء لكل شئ متعذر الوجود لخلتك متمكنا من رؤيتى ليس لك مانع يمنعك عنى فالزيادة هنا فى غاية اللطف وهى قوله الا أن تصد فانت فى القدرة على غير ممنوع وهذا غاية المبالغة فى المدح ومن الاستثناء نوع سماه ابن أبى الاصبع استثناء الحصر وهو غير الاستثناء الذى يخرج القليل من الكثير ونظم فيه قوله

اليك والا ما تحث الركائب * وعنك والا فالمحدث كاذب

فان خلاصة هذا البيت قول الناثر للممدوح * لا تحث الركائب الا اليك ولا يصدق المحدث الا عنك وهذا الحصر لا يحسن فى الاستثناء الاول فانه لو قال سبحانه وتعالى فلبث فيهم ألف سنة الا خمسين عاما وعاما صح لولا توخى الصدق فى الخبر وقوله تعالى فسجد الملائكة كلهم اجمعون الا ابليس لا يمنع ان يقال ورهطه لولا مراعاة الصدق فى الخبر وعلى منوال

(وله أيضا)

الشيخ السيد اطال الله بقاءه اذا وصل بيدى يدهم لمس الجوزاء الا قاعدا وقد ناطها منة فى عنق الدهر وصاغها اكليلا لجبين الشكر وما اقصر يدى عن المقابلة ولسانى عن الثناء وهذا الجاهل قد عرف نفسه وقاع ضرسه ورأى ميزان قدره وذاق وبال أمره وجهز الى كتيبة اعجازات فالقى العويل والاليل وبعثنى شفيعا الى واستعن بى على وتوسلن بكلمة الاستسلام ولجة الاسلام فى معنى هذا الغلام فان احب الشيخ ان يجمع فى الطول رأيه الحوض الى العفو وينظم فى الفعل بين الروض والمطر شفع فى اطلاقه مكارمه وشرف بذلك خادمه وانجز نا بالافراج عنه موفقا ان شاء الله تعالى

الاستثناء الاول الذي هو العمدة في هذا الباب نظم أصحاب البديعيات وهو اخراج القليل من الكثير بزيادة معنى بديع يزيد على معنى الاستثناء فبيت الشيخ صفي الدين الحلي

فكل ماسر قلبي واستراح به * الا الدموع عصاني بعد بعدهم

فبيت صفي الدين هنا غير خال من العقادة ومراده فيه أن كل شيء كان يسره قبل الفراق ويطيعه عصاه الا الدموع فانها الطاعته ومعنى هذه الزيادة اللطيفة لايخفى على اهل الذوق والعميان لم ينظموا هذا النوع في بديعيتهم وبيت الشيخ عز الدين

الناس كل ولا استثنا على عذروا * الا العذول عصاني في ولائهم

مراد عز الدين في زيادة معناه على معنى الاستثناء ان عذوله خالف الاجماع وبيت بديعيتي

عفت القدود فلم استثن بعدهم * الا معاطف اغصان بذي سلم

قال الله تعالى كل حزب بما لديهم فرحون * هذا البيت ما أعلم انني اذا اطنبت في وصفه يكون الاطناب لشدة فرحي به لكونه نظمي أولان الامر على حقيقته فان زيادة معناه على معنى الاستثناء وغرابة اسلوبه وشرف نسيبه وحسن انسجامه وسهولة الفاظه ومراعاة نظيره لاتخفى على المنصف من اهل الادب وأما ترشيح تورية الاستثناء بذكر القدود والمعاطف فانه من النسمات التي حركت القدود والمعاطف والتكميل بذي سلم لكون القصيدة نبوية في غاية الكمال والذي أقوله انه مايدخل نظر المتأمل الى بيت اعمر منه في هذا الباب والله أعلم بالصواب

(ذكر التشريع)

(طاب اللقا لذ تشريع الشعور لنا * على النقا فنعمنا في ظلالهم)

هذا النوع اعني التشريع سماه ابن أبي الاصبع التوأم وأراد بذلك مطابقة التسمية للمسمى فان هذا النوع شرطه أن يبني الشاعر بيته على وزنين من أوزان القريض وقافيتين فاذا أسقط من اجزاء البيت جزأ أو جزأين صار ذلك البيت من وزن آخر غير الاول كقول الحريري

ياخاطب الدنيا الدنية انها * شرك الردى وقرارة الاكدار

دار متى ماأضحكت في يومها * ابكت غدا تبا لها من دار

وهي قصيدة كاملة معروفة في مقاماته من ثاني الكامل وتنتقل بالاسقاط الى ثامنه فتصير

ياخاطب الدنيا الدنية انها شرك الردى

دار متى ماأضحكت * في يومها ابكت غدا

وزيادة القافيتين ظاهرة ووقع قبل كلام الحريري من كلام العرب في هذا الباب

واذا الرياح مع العشي تناوحت * هوج الرمال بكثبهن شمالا

الفيتنا نقري العبيط لضيفنا * قبل القتال ونقتل الابطالا

فان هذا الشاعر لو اقتصر على الرمال والقتال لكان الشعر من الضرب المجزو المرفل من الكامل وهو

واذا الرياح مع العشي تناوحت هوج الرمال

التشريع

(وله ايضا)
خلقت أطال الله بقاء السيد مروح جنان الصبر مجروح جنان الحلم فسيح رقعة الصبر حرولا تمد في الردى لصرت اليه مشرق الوجه راضيا
خلقت ألوفا لورددت الى الصبا
لفارقت شيبي موجع القلب باكيا
ووالله لاحيلن استمالة السيد على الايام ولحيلته ولا كان احالة رأيه في الى الليالي وليكلنه ولادعنه يرى القدح فوالله لم يشنه ولا ازال اصفيه الولاء واسنيه الثناء وأفرش له من صدري الدهناء واعيره أذنا صماء حتى يعلم أي علق باع وأي فتى اضاع وليقفن السيد في موقف اعتذار وليعلن بنصح اني الواشون أم بحبول

القيتنا نقري الغبيط لضيفنا قبل القتال

فاذا أتممت البيتين صارا من الضرب التام المقطوع منه وصار لكل بيت من هذين البيتين قافيتان ولاشك أن هذا النوع لا يأتي الا بتكلف زائد وتعسف فانه راجع الى الصناعة لا الى البلاغة والبراعة اذ وقوع مثل هذا النوع في الشعر من غير قصد له نادر ولا يحسن أن يكون في النثر فانه ما يقع فيه الا مرصعا ولا يظهر حسنه الا في النظم لان فيه الانتقال من وزن الى وزن آخر فيحصل بذلك من الاستحسان ما لا يحسن في النثر لان النثر على كل حال كلام مسجوع ليس فيه انتقال من وزن الى وزن وأوسع البحور في هذا النوع الرجز فانه قد وقع مستعملا تاما ومجزوا ومشطورا ومنهوكا فيمكن أن يعمل البيت منه أربع قواف فاذا أسقطت ما بعد القافية الاولى بقي البيت منهوكا فاذا أسقطت ما بعد الثانية بقي البيت مشطورا فاذا أسقطت ما بعد الثالثة بقي مجزوا واذا لم تسقط شيأ كان تاما ولابي عبد الله محمد بن جابر الضرير الاندلسي ناظم البديعية في غير بديعيته المذكورة هنا

يرنو بطرف فاتر مهما رنا * فهو المنى لا أنتهي عن حبه
يهفو بغصن ناضر حلو الجنى * يشفي الضنا لا صبر لي عن قربه
لو كان يوما زائري زال العنا * يحلو لنا في الحب أن نسعى به
انزلته في ناظري لما دنا * قد سرنا اذ لم يحل عن صبه

فهذه الابيات من الرجز التام وهو الضرب الاول منه فاذا تركتها على حالها فهي من التام واذا أسقطت من البيت الاول لا أنتهي عن حبه ومن الثاني لا صبر لي عن قربه ومن الثالث في الحب أن نسعى به ومن الرابع اذ لم يحل عن صبه صارت من الرجز المجزو وان أسقطت من البيت الاول قوله فهو المنى الى آخره ومن الثاني يشفي الضنا الى آخره ومن الثالث يحلو لنا الى آخره ومن الرابع قد سرنا الى آخره صارت من الرجز المشطور وان اسقطت من الاول قوله مهما رنا ومن الثاني حلو الجنى ومن الثالث زال العنا ومن الرابع لما دنا صار من الرجز المنهوك ولكن القوة في ذلك والمكنة في ملكة الاديب أن يأتي بالتشريع في بيت واحد وهذا هو المطلوب من نظام البديعيات لاجل الاستشهاد بابياتهم على كل نوع لاسيما الملتزم بتسميته على الصيغة فانه لو جاء بالتسمية والنوع في بيتين بطل حكم التورية وخروج عن شروط البديعيات وبيت الشيخ صفي الدين

فلو رأيت مصابي عند ما رحلوا * رثيت لي من عذابي يوم بينهم

يخرج له من هذا البيت * فلو رأيت مصابي * رثيت لي من عذابي
وهو مجزو المجتث وبيته عند العروضيين

البطن منها خميص * والوجه مثل الهلال

وقد تعين ايراد ما نظمه ابو عبد الله الضرير في البيتين لاجل المعارضة وهما

واف كريم رحيم قد وفى ووقى * فعم نفعا فكم ضر اشفى فكم
فقم بنا فلكم فقرا كفى كرما * وجود تلك الايادي قد صفا فقم

اقول لو اختصر العميان هذين البيتين واضافوهما الى ما اختصروه من البديع لكان أجمل

ولست أقول يا ابا الفتح حلا ولكن يا قاصد اذكر حلا ولست ممن يشكو الى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أذى رهطه لو يستاق الى الكفر من يدي سبطه ولكني اقول
هنيئا مريئا غير داء مخامر * لعزة من أعراضنا ما استحلت
وانا أعلم ان السيد لا يخرج عن تلك الحلبة بهذه الرقبة وان جوابه يكون اخشن من لقائه فان نشط للاجابة فليكن المخاطبة قرأت رقعتك فهو أخف مؤنة واقل تبعة والسلام

(وله أيضا)

مرحبا بسلام الشيخ ولا كالسرور بطلعته قد وصلت تحيته فشكرتها وعدته الجيلة بالحضور غدا فانتظرتها ودعوت الله ان يطوي ساعات النهار ويزج الشمس في المغار ويقرب مسافة الفلك ويرفع البركة عن سيره ويجهز الحركة الى دوره وييسر لي بوفد الظلام وقد نزل ثم لا يلبث الا ريثما يرحل

بهم فانهم اسقطوا من انواع البديع نحو السبعين وقصد الناظم فيهما اعني البيتين أنك اذا اسقطت من البيت الكامة الموازنة لفعلن من آخر كل نصف وهما قوله ووفي وقوله فكم صار الوزن من الضرب الاول من البسيط وهو التام الى الضرب الثالث منه وهو المجزو لانه قد حذف منه جزء من آخر كل نصف فصار

واف كريم رحيم قد وفى * وعم نفعا لكم ضرا شفى

فقم بنا فلكم فقرا كفى * وجود تلك الايادى قد صفا

وهذا مع ركته وثقالة نظمه غير المشهور من البسيط فانه لم يشتهر منه سوى العروض الاولى المخبونة ووزنها فعلن ولها ضربان المشهور منها الاول وهو مخبون مثلها وبيت الشيخ عز الدين

وفي الهوى ضل تشريع العذول لنا * وكم هوى في مقال ذل من حكم

اخبران تشريع العذول في حكم الهوى ضلال حتى يرشح بتورية التشريع في تسمية النوع ويخرج من بيت الشيخ عز الدين بيت من قافية أخرى من منهوك الرجز فنصفه في الشطر الاول وفي الهوى وفي الشطر الثاني وكم هوى وهذه عبارته في شرحه بنصها فصار باقي البيت بدون الجزأين الاولين

ضل تشريع العذول لنا * في مقال ذل من حكم

وهذا البيت من العروض الثالثة المحذوفة المخبونة من المديد ووزنها فعلن وشاهدها

للفتى عقل يعيش به * حيث تهدى ساقه قدمه

ولقد برز الشيخ عز الدين في ذلك على متقدميه فان الشيخ صفي الدين لم يتحصل له بيتان من بيت ولا للشيخ ابي عبد الله الضرير ولكن قال الشيخ عز الدين في شرحه ان هذا النمط ماوقع للمتقدمين وهو معجز ليس لاديب عليه قدرة وبسط العبارة في الدعوى بسببه فاردت ان لا انسج في الشرح على غير منواله فقلت

طاب اللقا لذ تشريع الشعور لنا * على النقا فنعمنا في ظلالهم

فيخرج من بيتي

* طاب اللقا * على النقا *

وهو بيت بقافية أخرى من منهوك الرجز كبيت الشيخ عز الدين ولكن شتان بين قولي * طاب اللقا * على النقا * وبين قوله * وفي الهوى * وكم هوى * فان بيته لاتتم به فائدة ولا يحسن السكوت عليه وصار باقي بيتي بدون الجزأين الاولين

لذ تشريع الشعور لنا * فنعمنا في ظلالهم

وهو بيت من العروض الثالثة المحذوفة المخبونة من المديد وهي التي رتب عز الدين عليها مابقي من بيته

ضل تشريع العذول لنا * في مقال ذل من حكم

ولكن الفرق في تشريع الشعور ظاهر والتورية في قوله فنعمنا في ظلالهم عند ذكر الشعور كلامها سائغ عند أهل الادب وهذا البيت مع صعوبة مسلك هذا النوع اجتمع فيه من انواع البديع السهولة والانسجام والتورية في موضعين والتمكين في القافية والجناس المطلق

وبعثت بما طلب سمعا وطاعة والنسخة اسقم من اجفان الغضبان والشيخ سيدى اعزه الله يركض قلمه في اصلاحها اتم معروفه وحبذا في غد هو وقد طلع كالصبح اذا سطع والبرق اذا لمع
يا مرحبا بغد ويا أهلا به ان كان المام الاحبة في غد
حاجتي أطال الله بقاء الشيخ الى امثال افعل شديدة وحسرتي على رد هذا الكتاب أشد لكن مولاى أالله لا يعير حتى يرد فان رأى أن ردهما جميعا جمع في الطول بين الروض والمطر والا فرأيه اولى
(وله الى أبي سعيد بن نور حين دخل عليه فقام له فلما خرج من عنده ترك القيام ولم يقم فكتب)
كان يعجبني من الشيخ اطال الله بقاءه بعد ان عرف حق خدمتي له وهجرتي اليه ومدحتي فيه ان لا يسير مع الخطوب خطبا ولجمع الهموم حزبا ومع الزمان البا وما كنت لاعتب

بين تشريع وشعور والتذييل البديعي فانى اتيت بجملة بعد تمام الكلام الاول زادت معناه تحقيقا وتوكيدا وجرت مجرى المثل وفيه نوع التشريع الذى هو المقصود هنا والله أعلم

(ذكر التتميم)

(بكل بذو بليل الشعر تحسده * بدرالسماء على التتميم فى الظلم)

التتميم كان اسمه التمام وانما سماه الحاتمى التتميم وسماه ابن المعتز اعتراض كلام فى كلام لم يتم معناه والتتميم عبارة عن الاتيان فى النظم والنثر بكلمة اذا طرحت من الكلام نقص حسنه ومعناه وهو على ضربين ضرب فى المعانى وضرب فى الالفاظ فالذى فى المعانى هو تتميم المعنى والذى فى الالفاظ هو تتميم الوزن والمراد هنا تتميم المعنى ويجيء للمبالغة والاحتياط كقول طرفة

فسقى ديارك غير مفسدها * صوب الغمام وديمة تهمى

فقوله غير مفسدها احتراس واحتياط ويجيء فى المقاطع والحشو واكثر مجيئه فى الحشو ومثاله قوله تعالى من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة فقوله من ذكر أو أنثى تتميم وقوله وهو مؤمن تتميم ثان فى غاية البلاغة التى بذكرها تم معنى الكلام وجرى على الصحة ولو حذفت الجملتان نقص معناه واختل حسن البناء ومن هذا القسم قول النبى صلى الله عليه وسلم مما انفرد به مسلم ما من عبد مسلم يصلى لله كل يوم ثنتى عشرة ركعة من غير الفرائض الا بنى الله له بيتا فى الجنة فوقع التتميم فى هذا الحديث فى أربعة مواضع منها قوله مسلم ومنها قوله لله ومنها كل يوم ومنها قوله من غير الفرائض ومن اناشيد قدامة على هذا القسم

اناس اذا لم يقبل الحق منهم * ويعطوه عاذوا بالسيوف القواضب

فقوله ويعطوه تتميم فانه فى غاية الحسن فانه شاهد على ما جاء منه للاحتياط ومثال ما جاء منه للمبالغة قول زهير

من يلق يوما على علاته هرما * يلق السماحة منه والندى خلقا

فقوله على علاته تتميم للمبالغة وغاية الغايات فى التتميم للمبالغة قوله تعالى ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما وأسيرا فقوله على حبه هو تتميم للمبالغة التى تعجز عنها قدرة المخلوقين وأما التتميم الذى جاء فى الالفاظ فهو الذى يؤتى به لاقامة الوزن بحيث انه لو طرحت الكلمة استقل معنى البيت بدونها وهو على ضربين أيضا كلمة لا يفيد مجيئها الا اقامة الوزن وأخرى تفيد مع اقامة الوزن ضربا من المحاسن فالاولى من العيوب والثانية من النعوت والمراد هنا الثانية لا الاولى ومثالها قول المتنبى

وخفوق قلب لو رأيت لهيبه * يا جنتى لظننت فيه جهنما

فانه جاء بقوله يا جنتى لاقامة الوزن فافاد تتميم المطابقة وهو ضرب من المحاسن المشار اليها ولقد وهم جماعة من المؤلفين وخلطوا التكميل بالتتميم وساقوا فى باب التتميم شواهد التكميل وبالعكس وتأتى شواهد التكميل فى مواضعها والفرق بين التكميل والتتميم ان التتميم يرد على الناقص فيتممه والتكميل يرد على المعنى التام فيكمله اذ الكمال أمر زائد على التمام وأيضا اذ التمام يكون متمما لمعانى النقص لا لاغراض الشعر ومقاصده والتكميل يكملها و بيت

الشيخ

التتميم

عليه لولا ثقة كانت به منوطة وآمال كانت اليه مبسوطة ثم اختلفت بكل الاختلاف واخلفت كل الاخلاف وكأنى بالشيخ يسألنى عن جرم هذا اليوم وموجب هذا اللوم وأنا اكفيه مؤنة هذا السؤال وانقض اليه جملة الحال ولم لا أحاسبه على الصغائر وأناقشه من دقاق الجرائر ولم اشربه غير سائغ الأصل لا يباهى الفرع وامر قديم لا يضاهى الحديث فاقل ما اعتب عليه قعوده فى المجلس عما بذله فى أوله وتثاقله فى عجز الامر عما حرص عليه فى صدره من توفير سلام وايفاء قيام على انى دخلت عليه وانا أحمد الهمدانى وخرجت من عنده وأنا أحمد الهمدانى فان كان قيامه قد سر فقعوده ماضر وبلغنى ان كاتبه ابا الفضل بن نصرويه حكم للخوارزمى

الشيخ صفي الدين الحلي في بديعيته

وكم بذلت طريفي والتليد لكم * طوعا وأرضيت عنكم كل مختصم

فالتتميم في قوله طوعا فانه أراد به انه لم يبذل ذلك كرها فتم بهذا المعنى والعميان لم ينظموا هذا النوع في بديعيتهم وبيت الشيخ عز الدين

والبدر مذلاح في التتميم دان له * والشمس مذعنة طوعا لمحتكم

قوله في التتميم هو التتميم بعينه مع زيادة التورية في التشبيه وقوله طوعا تتميم ثان لكن تقدمه الشيخ صفي الدين بقوله طوعا وأرضيت عنكم كل مختصم وبيت بديعيتي متعلق ببيت التشريع الذي قبله وهو

طاب اللقا لذ تشريع الشعور لنا * على النقا فنعمنا في ظلالهم

بكل بدر ببلبل الشعر يحسده * بدر السماء على التتميم في الظلم

فقولي ببلبل الشعر هو التتميم الذي يستعار من استعارته المحاسن فاني لو قلت بكل بدر يحسده بدر السماء لصح المعنى ولكن زدت البدر الارضي بقولي ببلبل الشعر تتميما وحسنا وقولي على التتميم تتميم ثان مع زيادة التورية التي فيها تسمية النوع الملتزم بها وقولي في الظلم تتميم ثالث ليس له نظير فان به تم المعنى وتمت رتبة اللف والنشر

(ذكر تجاهل العارف)

(وافتر عجبا تجاهلنا بمعرفة * قلنا أبرق بدا أم ثغر مبتسم)

تجاهل العارف تسميته لابن المعتز وسماه السكاكي بسوق المعلوم مساق غيره لنكتة المبالغة في التشبيه وهو عبارة عن سؤال المتكلم عما يعلم سؤال من لا يعلم ليوهم ان شدة التشبيه الواقع بين المتناسبين احدثت عنده التباس المشبه بالمشبه به وفائدته المبالغة في المعنى نحو قولك أوجهك هذا أم بدر فان المتكلم يعلم ان الوجه غير البدر الا انه لما أراد المبالغة في وصف الوجه بالحسن استفهم أهذا وجه ام بدر ففهم من ذلك شدة الشبه بين الوجه والبدر فان كان السؤال عن الشيء الذي يعرفه المتكلم خاليا من الشبه لم يكن من هذا الباب بل يكون من باب آخر كقوله تعالى وما تلك بيمينك ياموسى فان السؤال هنا ما وقع لاجل المبالغة في التشبيه المشار اليه في تجاهل العارف بل هو لفائدة أخرى اما الايناس لموسى عليه السلام لان المقام مقام هيبة واحترام واما اظهار المعجز الذي لم يكن موسى يعلمه ومنه قوله لعيسى نبيه السلام أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي الهين من دون الله فان السؤال هنا لم يكن للتشبيه وانما هو توبيخ لمن ادعى فيه ذلك ومن الناس من جعل تجاهل العارف مطلقا سواء كان على طريق التشبيه أو على غيره اذا تقرر هذا فاعلم ان تجاهل العارف من حيث هو انما يأتي لنكتة من نحو مبالغة في مدح أو ذم أو تعظيم أو تحقير أو توبيخ أو تقرير أو من تدله في الحب وأنا أذكر أمثلة الجميع هنا فمنه للمبالغة في الغزل قول الشاعر

اجفون كحلها ام صفاح * وقدود مهزوزة ام رماح

ومنه للمبالغة في الشوق وطول الليل

(تجاهل العارف)

على بالفصل فقلت ولم أملك سوابق عبرتي * متى كان حكم الله في كرب النخل واما ذلك الوقح الوضح ولا أعرف اسمه وأحسب ان كنيته أبو الغضنفر وأبو المطمر وما كان فهو اسم مفخم ومعنى مرخم فما أحوجه الى شونيز عقل وسعتر فطانة حتى تحل مكالمته وما كان أحسن حال السادة عند اللقاح حتى يكون حاله نعم استنت الفصال حتى القرعى وفي غد ان شاء الله تجتمع عند الشيخ القاسم فان رأى ان يا سوما جرح بان يغشي ذلك المطرح وينقذ وحاشية النية وطرف الحمية عن العصبية فالحق أولى ما يغضب له والعدل خير ما حكم به فعل ان شاء الله

(وله أيضا الى أبي نصر ابن المرزبان)

كتبت أطال الله بقاء سيدي ومولاي في

وشوقما أقاسى أم حريق * وليل ما أكابد أم زمان

والمبالغة فى الصول

وقفت وقد فقدت الصبر حتى * تبين موقفى أنى الفقيد
وشككنى عذالى فقالوا * لرسم الدار ايكما العميد

ومنه للمبالغة فى الغزل

فى الحيف من ظبيانه سمراء * اقوامها ام صعدة سمراء

ومثله

اثغرك يا هند أبدى ابتساما * ام البرق سل عليه حساما

ومثله قول شرف الدين راجح الحلى

من أطلع البدر فى ديجور طرته * وأودع السحر فى تكسير مقلته
ومن ادار يواقيت الشفاه على * كاس من الدر يحمى خمر ريقته

و يعجبنى من هذا القصيد قوله وان كان من غير مانحن فيه

يحنو النسيم عليه من لطافته * والدهر أبين منه عند قسوته

ومثله فى اللفظ والمعنى قول ابن نباتة

فى مرشفيه سلاف الراح من عصره * ومعطفيه قوام البان من هصره
وفى ابتسام ثناياه ومنطقه * من نظم الدر أسلاكا ومن نثره

ومن تجاهل العارف للمبالغة فى تعظيم الممدوح قول ابن هانئ المغربى

أبنى العوالى السمهرية والموا * ضى المشرفية والعديد الاكبر
من منكم الملك المطاع كأنه * تحت السوابغ تبع فى حمير

قيل انه لما تجاهل فى هذا البيت عن معرفة الممدوح ترجل الجيش بكماله تعظيما للممدوح اذهو ملكهم وهذه القصيدة سارت بها الركبان والحداء تشدو ببلاغتها * وهى احب من قفانبك فى الشهرة لفصاحتها * ومطلعها

فتقت لكم ريح الجلاد بعنبر * وأمدكم فلق الصباح المسفر

وما أحلى ما قال بعده

وجنيتم ثمر الوقائع يانعا * بالنصر من ورق الحديد الاخضر

أقول ان هذه الاستعارات المرشحة يرشح ندى البلاغة من بين اوراقها * وتتعثر فحول الشعراء فى حلبة سباقها * ومنها

فى فتية صدأ الدروع عبيرهم * وخلوقهم علق النجيع الاحمر
لا يأكل السرحان شلو طعينهم * مما عليه من القنا المتكسر
قوم يبيت على الحشايا غيرهم * ومبيتهم فوق الجياد الضمر
وتظل تسبح فى الدماء قبابهم * فكأنهن سفائن فى أبحر
حى من الاعراب الا انهم * يردون ماء الامن غير مكدر
لى منهم سيف اذا جردته * يوما ضربت به رقاب الاعصر

قد عدم الزمان أتقى الخير وأسأل الله أن يدر عليهم أخلاف الرزق ويذللهم اكناف العيش ويوطئهم اعراف المجد ويؤتيهم أصناف الفضل ويركبهم اكتاف العز وقصارى ان أرغب الى الله تعالى فى أن لا يميلهم فوق الكفاية ولا يمدلهم فى حبل الرعاية فشد مايطغون النعمة ينالونها والدرجة يعلونها وسرع ما ينظرون من عال بما ينظمون من حال ويجمعون من مال وتنسيهم أيام الدولة أوقات الخشونة وأزمان العذوبة ساعات الصعوبة وللكتاب مزية فى هذا الباب فبيناهم فى العطلة اخوان كما انتظم السمط وفى العزلة اعوان كما انفرج المشط حتى لحظهم الجد لاحظة جفاء بمنشور عمالة أو صك

صعب اذا نوب الزمان استصعبت * متنمر للحادثات المتنمر
واذا عفا لم تلق غير مهلل * واذا سطا لم تلق غير معفر
فغمامه من رحمة وعراصه * من جنة ويمينه من كوثر

ولم استطرد الى هذا القدر من نظم ابن هانئ الالعلى انه عزيز الوجود وغريب فى هذه البلاد * ومن تجاهل العارف للمبالغة فى المدح قول امام هذه الصناعة * ومالك ازمة البلاغة والبراعة القاضى الفاضل * من مديح العادل

اهذى كفه ام غيث غوث * ولا بلغ السحاب ولا كرامه
وهذا بشره ام لمع برق * ومن للبرق فينا بالاقامه
وهذا الجيش ام صرف الليالى * ولا سبقت حوادثها زحامه
وهذا الدهر ام عبد لديه * يصرف عن عزيمته زمامه
وهذا نعل عبدام هلال * اذا أمسى كثون ام قلامه
وهذا الترب ام خد لثمنا * فآثار الشفاه عليه شامه

سبحان المانح هذا الاديب الذى لم ينسج الاوائل على منواله * ولا تتعلق الافاضل من المتأخرين بغبار أذياله * ومنها وليس من تجاهل العارف ولكنه من المرقص والمطرب

وهذا الدر منثور ولكن * اروني غير اقلامى نظامه
وهذى روضة تندى وسطرى * بها غصن وقافيتى حمامه
وهذا الكاس روق من بنانى * وذكرك كان من مسك ختامه

وقوله أيضا من تجاهل العارف للمبالغة فى المديح

أهذه سير فى المجد ام سور * وهذه أنجم فى السعد ام غرر
وأنمل أم بحار والسيوف لها * موج وافرندها فى لجها درر
وانت فى الارض ام فوق السماء وفى * يمينك البحر ام فى وجهك القمر

(ومما جاء فى تجاهل العارف) للمبالغة فى التعظيم قول سيدنا القطب الفرد الجامع عبد القادر الكيلانى قدس الله ضريحه وأعاد علينا من بركاته فى الدنيا والآخرة بمحمد وآله

أأظما وأنت العذب فى كل منهل * وأظلم فى الدنيا وأنت نصيرى
وعار على حامى الحمى وهو قادر * اذا ضاع فى البيداء عقال بعير

ومثله

بدا فراع فؤادى حسن صورته * فقلت هل ملك ذا الشخص أم ملك

ومما جاء فى تجاهل العارف للمبالغة فى الذم قول زهير

وما أدرى وسوف اخال أدرى * أقوم آل حصن أم نساء

ومما جاء للتحقير قول الشاعر وتظارف الى الغاية

لما ادعى غصن الرياض بأنه * فى لينه مع قدها موصوف
قلنا له هل أنت تشبه قدها * ما أنت هذا القد يا مقصوف

ومما جاء منه للتوبيخ قول ليلى بنت طريف الخارجية فى أخيها الوليد

جهالة فيعود عامرهم خرابا وينقلب شرابهم سرابا فما غلت أمورهم حتى أسبلت ستورهم ولا علت قدورهم الا خلت بدورهم ولا اتسعت دورهم الا ضاقت صدورهم ولا أوقدت نارهم الا انطفأ نورهم ولا زاد مالهم الا نقص معروفهم ولا ورمت اكياسهم الا ورمت انوفهم ولا تجلت عتاقهم الا قلعت أخلاقهم ولا صلحت أحوالهم الا فسدت أفعالهم ولا حسنت حالهم الا قبحت خلالهم ولا فاض جاههم الا غاضت مياههم ولا لانت برودهم الا صلبت حدودهم ولا علت جدودهم الا سفل جودهم ولا طالت أيديهم الا قصرت أياديهم وقصارى أحدهم من الجدان ينصب تحته تخته ويوطئ استه دسته ويقف غلامه

أيا شجر الخابور مالك مورقا * كأنك لم تجزع على ابن طريف

وهذا البيت من قصيدة تطريبة أثبتها بكمالها ابن خلكان فى تاريخه والخابور نهر أصل رأس عين بديار بكر يصب الى الفرات (ومن أظرف ماوقع فى تجاهل العارف) على التوبيخ قول سراج الدين الوراق فانه صرح بذكر التوبيخ فى بيتيه وهما

واخجلتى وصحائفى مسودة * وصحائف الابرار فى اشراق

وموبخ فى الحشر وهو يقول لى * أكذا تكون صحائف الوراق

ومما وقع للتقرير قول مهيار

سلا ظبية الوادى وما الظبى مثلها * وان كان مصقول الترائب أكحلا

أأنت أمرت الصبح أن يصدع الدجا * وعلمت غصن البان أن يتميلا

ومما وقع منه قول العرجى للتدله فى الحب

بالله ياظبيات القاع قلن لنا * ليلاى منكن أم ليلى من البشر

قد قررت هنا اختلاف أقسام هذا النوع أعنى تجاهل العارف من مدح وذم وتعظيم وتوبيخ وتقرير وغير ذلك اذا عرفت ذلك فانى أوردت هنا ما استظرفته فى هذا الباب ولم أحتج الى التنبيه وأظرف ما سمعته فى هذا الباب قول عبد المحسن الصورى

بالذى ألهم تعذيـ * ـبى ثناياك العذابا

والذى صير حظى * منك هجرا واجتنابا

والذى ألبس خديـ * ـك من الورد نقابا

ما الذى قالته عينا * ك لقلبى فأجابا

ومثله

دعوه وبخدا انها شأن نفسه * ولو أن نجدا تلعة ماتعداها

وهبكم منعتم أن يراها بعينه * فهل تمنعون القلب أن يتمناها

وقول المتنبى

أتراها لكثرة العشاق * تحسب الدمع خلقة فى الماقى

وقول الفاضل

فاذا قلت أين دارى وقالوا * هى هذى أقول أين زمانى

وقال ابن الفارض

أوميض برق بالابيرق لاحا * أم فى ربا نجد أرى مصباحا

أم تلك ليلى العامرية أسفرت * ليلا فصيرت المساء صباحا

ويعجبنى قول الشيخ علاء الدين الوداعى

ترى ياجيرة الرمل * يعود بقربكم شملى

وهل تقتص أيدينا * من الهجران للوصل

وهل ينسخ اقباكم * حديث الكتب والرسل

ومن لطائف هذه القصيدة ولم أبعد فى الاستطراد عما نحن فيه قوله

أمامه ونائبه من الكرم دار يصهرج أرضها ويزرج بعضها ويزوق سقوفها ويعلق شفوفها وكفاه من الفضل ان يحمل الغاشية قدامه وتعدو الحاشية أمامه وناهيه من الشرف ألفاظ فقاعية وثياب مشقاعية يلبسها ملوما ويحشوها لوما ولوما وهذه صفة فاضلهم ومنهم من يحمل الود أيام خشكاره حتى اذا أيسر جعل ميزانه وكيله واسنانه اكيله والبقه رغيفه وأنيسه كيسه وأمينه يمينه ودنانيره سميره ومفاتحه ضجيعه وصناديقه صديقه ثم جمع الذرة الى الذرة ووضع البدرة على البدرة فلم يضع النظر من طرفه ولا الصرة من كفه ولا يخرج ماله من عهدة خاتمه الا يوم ماتمه فهو يجمع

بروحى ابسلة مرت * لنا معكم بذى الاثل
وساقينا وما يملا * وشادينا وما يملى
وظبى من بنى الاترا * ك حلو التيه والدل
له قد كغصن البا * ن مال الى العدل
وطرف ضيق ويلا * ه من طعناته النجل
أقول لعاذلى فيه * رويدك يا أبا جهل
فقلبى من بنى تيم * وعقلى من بنى ذهل
ومايدرى هوى المشتا * ق الا ذلك المغلى

لقد زاحمه الشيخ جمال الدين بن نباتة رحمه الله هنا بقوله

حلفت بما يملا النديم وما يملى * لقد صان ذاك الحسن سمعى عن العذل
من المغل أشكو لحو أم الهوى * وطب الهوى عندى كما قيل بالمغلى

ومن الذى أعجبنى فى هذا النوع أعنى تجاهل العارف قول بعضهم

أقول له علام تميل عجبا * على ضعفى وقدك مستقيم
فقال تقول عنى فى ميل * فقلت له كذا نقل النسيم

ومليح هنا قول ابن نباتة السعدى

فوالله ما أدرى أكانت مدامة * من الكرم تجنى أم من الشمس تعصر

وأورد صاحب الصناعتين فى هذا الباب ما كتبه بعض أهل الادب وهو * سمعت بورود كتابك فاستفزنى الفرح قبل رؤيته * وهز عطفى المرح امام مشاهدته * فما أدرى أسمعت بورود كتاب * أم رجوع شباب * ولم أدر أرأيت خطا مسطورا * أم روضا ممطورا * أو كلاما منثورا * أم وشيا منشورا * وبيت الشيخ صفى الدين غاية فى هذا الباب

ياليت شعرى اسحرا كان حبكم * أزال عقلى أم ضرب من اللمم

وبيت العميان فى بديعيتهم

اذا بدا البدر تحت الليل قلت له * أأنت يا بدر أم مرأى وجوههم

هذا البيت لم يعمر بشئ من محاسن الادب لما فيه من الركة وبيت الشيخ عز الدين الموصلى

وعارف مذ بدا يبدى تجاهل لى * وقال حبك أم ذا البدر فى الظلم

الشيخ عز الدين مع التزامه بالتورية فى تسمية النوع الذى استوعب كلمتين من البيت بيته أرق من بيت العميان وأعمر بالمحاسن وبيت بديعيتى

وافتر عجبا تجاهلنا بمعرفة * قلنا أبرق بدا أم ثغر مبتسم

هذا البيت شاهد فى تجاهل العارف على المبالغة فى التشبيه وهو القسم الذى تقرر فى أول الكلام على النوع وقلنا انه المقدم على بقية الاقسام من تجاهل العارف فان فيه سوق المعلوم فى مقام غيره لنكتة المبالغة فى التشبيه كما قرره السكاكى وقولى تجاهلنا بمعرفة لا يخفى ما فيه من الحسن على أهل الذوق السليم والله أعلم

(ذكر الاكتفاء)

لحادث حياته أو وارث مماته يسلك فى الغدو كل طريق ويبيع بالدرهم ألف صديق وقد كان الظن بصديقنا أبى سعيد أيده الله انه اذا أخصب آوانا كنفا من ظله وحبانا من فضله نزلنا الآن بعد له انه أطال الله بقاء الشيخ حين طارت على رأسه عقاب المخاطبة بالرئيس وجلس من الديوان فى صدر الايوان اقتض عذرة السماحة ببعض المختلفة الى وجعل يعرضه للهلاك ويسبب عليه بمال الاتراك ويشحن داره بالرجالة ويكده بالفرسان والرجالة وجعلت أكاتبه مرة وأقصده أخرى فاذكر له ان الراكب ربما استنزل والوالى ربما عزل ثم يضعف ويبقى الخجل على لسان العذر وتبقى الحزازة

(الاكتفاء)

(لما اكتفى حتفه القانى بحمرته * قال العواذل بعضا انه ندمى

الاكتفاء هو ان يأتى الشاعر ببيت من الشعر وقافيته متعلقة بمحذوف فلم يفتقر الى ذكر المحذوف لدلالة باقى لفظ البيت عليه ويكتفى بما هو معلوم فى الذهن فيما يقتضى تمام المعنى وهو نوع ظريف ينقسم الى قسمين قسم يكون بجميع الكلمة وقسم يكون بعضها والاكتفاء بالبعض أصعب مسلكا لكنه أحلى موقعا ولم أره فى كتب البديع ولا فى شعر المتقدمين فشاهد الاكتفاء بجميع الكلمة كقول ابن مطروح

لا أنتهى لا أنثنى لا ارعوى * مادمت فى قيد الحياة ولا اذا

فمن المعلوم ان باقى الكلام ولا اذامت لما تقدم من قوله الحياة ومتى ذكر تمامه فى البيت الثانى كان عيبا من عيوب الشعر مع ما يفوته من حلاوة الاكتفاء ولطفه وحسن موقعه فى الاذهان ومنه قول شيخ شيوخ حماة

أهلا بطيفكم وسهلا * لو كنت للاغفاء أهلا

لكنه وافى وقد * حلف السهاد على أن لا

ومنها قوله فيما نحن فيه

راموا انطامى عن هوى * غذيته طفلا وكهلا

فوضعت فى طوقه يد * ى وقلت خلونى والا

وما أظرف قول الصاحب بهاء الدين زهير

يا حسن بعض الناس مهلا * صيرت كل الناس قتلى

لم تبق غير حشاشة * فى مهجتى وأخاف أن لا

وما أظرف ما قال بعده ولم يخرج عن المراد

وكشفت فضل قناعه * يبدى عن فرقجلى

ولثمته فى خده * تسعين أو تسعين الا

وجمع الشيخ سراج الدين الوراق بين تضمينين واكتفاءين فى بيت واحد وأجاد الى الغاية

يا لائمى فى هواها * أفرطت فى اللوم جهلا

ما يعلم الشوق الا * ولا الصبابة الا

وجمع ابن نباتة بين الاكتفاء وتضمين المثل السائر

اسقنى صرفا من الرا * ح تحت الهم حتى

ودع العذال فيها * يضربون الماء حتى

ومن لطائف شيخ شيوخ حماة فى هذا النوع

صلى ودعى نفارك عن محب * بذكرك آنس والليل ساكن

ولا تستقبحى شيبا برأسى * فان شبت من كبر ولكن

وقول ابن سنا الملك من قصيد

رأيت طرفك يوم البين حين همى * والدمع ثغر وتكحيل الجفون لما

فاكفف ملامك عنى حين ألثمه * فاشكك بانى قد لثمت فما

في الصدر فلا وما يجمعنى والشيخ ان زاده قولى الا غلوا فى تهكمه وعلوا فى تحكمه وجعل يسعى الجر فى ظلمه ويبرأ الى من علمه وأقول اذ رأيت ذلة السؤال وعزمة الرد منه قل لى متى فرزنت سمر عنه ما أرى يا بيدق وما أضيع وقتا بذكره قطعته هلم الى الشوق وشرحه فقد نكأ القلب بقرحه وكيف أكاد أصف شوقا لا يفرع الدهر فروة حاله ولا يقض عروة الحلاله فما أولانى ان أذكره مجملا واتركه مفصلا

(وله أيضا)

كانى أطال الله بقاء الشيخ وأنا سالم والحمد لله رب العالمين كيف تقلب الشيخ فى درعه العافية وأحواله تلك الناحية فانى بفراقه منغص شريعة العيش مقصوص أجنحة الانس

لو كان يعلم مع علمي بقسوته * تألم القلب من وخز الملام لما

وله من قصيدة

ياعاذلين جهلتم فضل الهوى * فعذلتم فيه ولكني أنا

ويعجبني قول القائل هنا من قصيدة مطلعها

هزوا القدود فاخجلوا سمر القنا * وتقلدوا عوض السيوف الاعينا

وتقدموا للعاشقين فكلهم * طلب الامان لقلبه الا أنا

وتلطف ابن سنا الملك فى مطلع قصيدة بقوله

دنوت وقد أبدى الكرى منه ما أبدى * وقبلته فى الثغر تسعين أو احدى

ومثله فى اللطف قول الشيخ جمال الدين بن نباتة

واذا كملت فما يقال لقد * حزت الجمال جميعه الا

ولبعضهم وأجاد

فان المنية من يخشها * فسوف تصادمه أينما

ومما رشف الذوق حلاوته فى هذا النوع قول الشيخ شرف الدين ابن الفارض من قصيدة

ماللنوى ذنب ومن أهوى معى * ان غاب عن انسان عينى فهو فى

ومثله فى اللطف مع الترشيح بالاكتفاء ثان قول الشيخ جمال الدين بن نباتة

أفدى التى تاجها وقامتها * كأنه همزة على ألف

أذكر ثغرا لها فاسكر من * وورد خدلها فارتع فى

ومثله قول الشيخ شمس الدين بن العفيف

وأى رضا بالعين تسليه أولو العشق سلوا

ما ذا قه وشاقه * هذا وما كيف ولو

ومن لطائف الصاحب بهاء الدين زهير فى هذا النوع قوله من أبيات

فما كان أحسن من مجلسى * فحدث بما شئت عن ليلتى

بشمس الضحى وببدر الدجى * على عنقى وعلى يسرتى

وبت وعن خبرى لاتسل * بذاك الذى وبتلك التى

ومن لطائفه أيضا انه كتب الى بعض أصحابه وكان اسمه يحيى وقد بلغه انه شرب دواء أبياتا أولها

سلمت من كل ألم * ودمت موفور النعم

فى صحة لا ينتهى * شبابها الى الهرم

يحيى بك الجود كما * يموت يايحيى العدم

وبعد ذاقل لى ما * كان من الامر وكم

وأظرف منه ولم يخرج عما نحن فيه من بديع الاكتفاء وزيادة التورية ماوقع لشهاب الدين التلعفرى مع شمس الدين الشيرجى بين يدى الملك الناصر وماذاك الا انهما حضرا بين يديه فى ليلة انس فاتفق ان شمس الدين الشيرجى ذهب الى ضرورة وعاد فأشار اليه الملك الناصر أن

ورد كتابه المشتمل من خبر سلامته على مارغبت الى الله فى ادامته وسكنت اليه بعد انزعاجى لتأخره وقد كان رسم ان أعرفه سبب خروجى من جرجان ووقوعى الى خراسان وقد كانت القصة انى لما وردت من ذلك السلطان حضرته التى هى كعبة المحتاج لا كعبة الحجاج ومشعر الكرام لامشعر الحرام ومنى الضيف لامنى الخيف وقبلة الصلات لاقبلة الصلاة وجدت فيها ابدماء من نبات العام اجتمعوا واقبضة كلب على تلفق خطب ازعجنى من ذلك الفناء واشرف بى على شرف الفناء لولا ما تداركنى الله بجميل صنعه وحسن وقعه ولا أعلم كيف احتالوا وما الذى قالوا لكن الجملة ان غيروا

يصفع التلعفري فى تلك الفصل الدين عرسيلا أحلى فلما صفع التلعفرى نهض على الفور وقبض على لحية الشيرجى وأنشد ارتجالا ويده فيها

قد صفعناك ذا الحل الشريف * وهوان كنت ترتضى تشريفى
فارث للعبد من مصيف صفاع * يا ربيع الندى والاخريفى

وما أحلى قول الشيخ جمال الدين بن نباتة فى هذا النوع مع زيادة اللف والنشر والاكتفا فى البيتين

قالت اذا غمضت جفونك فارتقب * طيفى فقلت لها نعم لكن اذا
وسمعت عن سيف ورمح قبلها * حتى انثنت ورنت فقلت هما اللذا

ومنه قول الشيخ صدر الدين بن عبد الحق ولم أكثر من هذا النوع الالانه قليل فى أيدى الناس

جهنم حمامكم نارها * تقطع أكبادنا بالظما
وفيها عصاة لهم ضجة * وان يستغيثوا يغاثوا بما

ومنه قول المقر الفخرى بن مكانس مع زيادة التورية

من شرطنا ان أسكرتنا الطلا * صرفا تداوينا برشف اللمى
نعاف مزج الماء من كأسها * لا آخذ الله السكارى بما

ومنه قول المقر المرحومى الامينى صاحب ديوان الانشاء الشريف بدمشق المحروسة رحمه الله وهو مما أنشدنيه مرارا وكان عند عوده من آذربيجان صحبة المقر المرحومى سيفى تنم كافل المملكة الشريفة بتاريخ كذا وقد ضل غالب العسكر فى بعض الليالى عن الماء وفيه الزيادة على الاكتفاء بالاقتباس والتورية وهو

ضلوا عن الماء لما أن سروا سحرا * قومى فظلوا حيارى يلهثون ظما
والله أكرمنى بالماء دونهم * فقلت ياليت قومى يعلمون بما

ومثله قولى وفيه أيضا زيادة الاقتباس والتورية على الاكتفاء

قالوا وقد فرطت فى تصبرى * وماشنى بقربه سقاما
اصبر عسى تشفى بماء ريقه * قلت لهم ياحسرتى على ما

وأنشدنى من لفظه لنفسه القاضى عماد الدين بن القضامى أخو شيخى قاضى القضاة علاء الدين الحنفى سقى الله من غيث الرحمة ثراه موشحا امتدح به المقر المرحومى الاوحدى صاحب ديوان الانشاء الشريف بالممالك الاسلامية كان تغمده الله برحمته ورضوانه والموشح مانسج ابن سنا الملك فى دار الطراز على منواله منه فى نوع الاكتفاء بالكل مع زيادة التضمين

أرخت ذوائبها الى الاربع * لتضل فاستغنت بها عن برقع
وغدوت أسهر فى ليالى شعرها * ويقول فجر الفرق هذا مطلعى
وتبسمت فعلاها * نور فزاد سناها
فلثمت فاها آخذا مستغنما * ورشفته رشف النزيف لبرد ما

ومنه

السلطان وأشار على اخوانى بمفارقة مكانى وبقيت لا أعلم أجنسة أضرب أم شآمة وفجدا أقصد أم تهامة ولوكنت من سلى اجاور شعابها لكان لحجاج على دليل قد علم الشيخ ان ذلك السلطان سماء اذا تغيم لم يرج صحوه وبحر اذا تغير لم يشرب صفوه وملك اذا سخط لم ينتظر عفوه فليس بين رضاه والسخط عرجه كما ليس بين غضبه والسيف فرجه وليس من وراء سخطه مجاز كما ليس بين الحياة والموت معه حجاز ذهو شديد يغضبه الجرم الخفى ولا يرضيه العذر الجلى وتكفيه الجناية وهى ارجاف ثم لا تشفيه العقوبة

ومنه وفيه حسن التخلص مع الاكتفاء

حكم الزمان ببينهم وتشتتي * وشماتة الاعداء أكبر محنتي

ولسيد الرؤساء رمت تخلصا * من محنتي فشددت رحل مطيتي

فغدت تمد خطاها * وأقول عند عداها

الاوحدى الا وحدى انخها * يا ناقتى فزمامك بيدى وبا

وظريف هنا قول الشيخ زين الدين بن الوردى

ماذا تقولون فى محب * عن غير أبوابكم تخلى

وجاه كم زائرا عفيفا * عن مالكم هل يجوز أم لا

ومنه قوله مع زيادة التضمين

مولاى انك محسن * قسما وانك ثم انك

فلاشكرنك ما حييت وان أمت فلتشكرنك

ويعجبنى قول الشيخ برهان الدين القيراطى هنا مع زيادة التورية والاقتباس

حسنات الخدمنه * قد أطالت حسراتى

كلما ساء نعالا * قلت ان الحسنات

ومر سيدنا ومولانا قاضى القضاة صدر الدين بن الآدمى الحنفى نور الله ضريحه وجعل من الرحيق المختوم غبوقه وصبوحه على حماة المحروسة سنة سبع وثمانمائة وهو اذذاك صاحب ديوان الانشاء الشريف بدمشق المحروسة ومولانا السلطان الملك المؤيد خلد الله ملكه كافلها فى تلك الايام وركابه الشريف متوجه الى حلب المحروسة والامير حكم فى خدمته بحيث يوصله الى محل كفالته بها وكنت فى تلك الايام بحلب المحروسة امام كافلها علان تغمده الله برحمته ورضوانه فهرب علان واختفيت بعده فلما حل ركاب قاضى القضاة صدر الدين المشار اليه بحلب المحروسة توصل بحنوه وصدق محبته وخبره الى أن عرف اين كنت مختفيا فكتب الى

قصدنا حماة فلم نلق من * أردنا فلم نرعهدا والا

وجئنا الى حلب خلفه * فان كان فيها اجتمعنا والا

فكتبت اليه الجواب

أمولاى والله حال الجريض دون القريض الذى قد تولى

وارجو وقد عفت هذى البلاد * خلاصى بالصدر منها والا

نفذ الله بالسلامة وتوجهت فى خدمته متنكرا الى دمشق المحروسة ومن نظمى فى هذا النوع مع زيادة ايهام التورية

تطلبت منه قبلة وهو نافر * فقال وقتلى حبنا لن تقبلا

فقلت له بالوصل عدنى الى غد * فبعدك مات الصبر قال نعم الى

وقولى أيضا مع زيادة التضمين

صهباء ريقته رشفت سلافها * فتغلبت فعجزت ان أتكلما

وهى اجفاف حتى انه ليرى الذنب وهو أضيق من ظل الرمح ويعمى عن العذر وهو أبين من عمود الصبح وهو ذو اذنين يسمع بهذه القول وهو بهتان ويحجب بهذه العذر وهو برهان وذو يدين يبسط احداهما الى السفك والسفح ويقبض الاخرى عن العفو والصفح وذو عينين يفتح احداهما الى الجرم ويغمض الاخرى عن الحلم فمزجه بين القد والقطع وجده بين السيف والنطع ومراده بين الظهور والكمون وأمره بين الكاف والنون ثم لا يعرف من العقاب غير ضرب الرقاب ولا يهتدى من التأديب الا لازالة النعم ولا يعلم من التأديب غير اراقة الدم لا يحتمل الهنة على حجم الذرة ودقة الشعرة ولا يحلم عن الهفوة كوزن

وإذا سئلت أقل لمن هو سائل * الصلاة علمها تقول وإنما

القسم الثاني الاكتفاء بالبعض وقد تقدم أنه عزيز الوقوع جداً ولم يوجد في كتب البديع فمن ذلك قول ابن سنا الملك من قصيد

أهوى الغزالة والغزال وإنما * نهنهت نفسي عفة وتدينا
ولقد كففت عنان عيني جاهدا * حتى إذا أعييت أطلقت العنا

ومنه قول شيخ شيوخ حماة

اليكم هجرتي وقصدي * وانتم الموت والحياة
آمنت ان توحشوا فؤادي * فآنسوا مقلتي ولا تو

وقول ابن مكانس مع زيادة التورية

لله ظبي زارني في الدجى * مستوطنا ممتطيا بالخفر
فلم يقم الا بمقدار أن * قلت له أهلا وسهلا ومر

ومنه قول العلامة بدر الدين بن الدماميني

الدمع قاض بافتضاحي في هوى * ظبي يغار الغصن منه اذا مشى
وغدا بوجدي شاهدا ووشى بما * أخفي فيالله من قاض وشا

ومثله قوله

يقول مصاحبي والروض زاه * وقد بسط الربيع بساط زهر
هلم نباكر الروض المفدى * وقم نسعى الى ورد ونسر

ومثله قوله

ورب نهار فيه نادمت أغيدا * فما كان أحلاه حديثا وأحسنا
منادمتي فيها مناي فحبذا * نهار تقضى بالحديث وبالمنا

ومنه قول شهاب الدين ابن حجر

أطيل الملام لمن لامني * واملأ في الروض كاس الطلا
وأهوى الملاهي وطيب الملذ * فها أنا منهمك في الملا

وانشدني المقر الجدي بن مكانس لنفسه

نزل الطل بكرة * وسروري تجددا
والندامى تجمعوا * فاجل كاسي على الندا

ومنه قول ابن حجر

دع يا عذول رقي الملام فقد سرى * عني الحبيب فتبت دام لك البقا
والطرف من فقد الرقاد بكى بما * يحكي الغمام فليس يهدي بالرقا

وانشدني من لفظه لنفسه قاضي القضاة صدر الدين بن الآدمي الحنفي وانا بين يديه بدمشق المحروسة ورياحين الشبيبة غضة بيتين فيهما الاكتفاء بالبعض والتورية في القافيتين مع عدم الخروج عن الوزن في البيتين اذا قصد شق التورية الثاني وهذا الباب عزيز الوقوع جدا وسبكه في هذا القالب من غير تعزيه ينطلي على الحاذق في صناعة الكلام هذا مع الاتفاق

الهبوة ولا يغضى عن السقطة بكرم النقطة ثم ان النعم بين لفظه وقلمه والارض تحت يده وقدمه لا بلقاء الولي الا بفمه ولا العدو الا بدمه والارواح بين حبسه واطلاقه كما الاجسام بين حله ووثاقه ونظرت فاذا أنا بين جودين اما ان أجود بيأسي واما أن أجود براسي وبين ركوبين اما المفازة واما الجنازة وبين طريقين اما الغربة واما التربة وبين فراقين اما ان فارق أرضي أو أفارق عرضي وبين راحلتين اما ظهور الجمال أو أعناق الرجال فاخترت السماح بالوطن على السماح بالبدن وأنشدت
اذا لم يكن الا الاسنة مركب فلا رأي للمضطر الا ركوبها
ورسم الشيخ ان أعلمه موجب غضبه ليتلافى الامر بموجبه وهذا داء

البديعى وحسن المطابقة ولم اذكر الاتفاق الا ان الذى كتب اليه القاضى صدر الدين البيتين
مشهور بالحسن والادب وصحبته المشار اليه وهو غرس الدين خليل بن بشارة وهما

يامتهمى بالسقم كن منجدى * ولا تطل رفضى فانى على
أنت خليلى فبحق الهوى * كن لشجونى راحما يا خلى

وتقاضانى عند الانشاد أن أنظم له شيأ على هذا الطريق فانشدته فى المجلس قولى

يقولون صف انفاسه وجبينه * عسى للقا يصبو فقلت لهم صبا
وغالطت اذ قالوا أتباح وصاله * والا أبى قربا فقلت لهم أبا

نظم الشيخ جمال الدين بن نباتة هذا النوع وكساه ديباج التورية ولم يسلم له الوزن اذا جمع بين طرفى الاكتفاء كما فعلنا بحيث قال

أقول وقد جاء الغلام بصحفة * عقيب طعام الفطر يا غاية المنا
بحقك قل لى جاء صحن قطايف * وبح باسم من أهوى ودعنى من الكنا

كتب الشيخ برهان الدين القيراطى لنور الدين ابن حجر والد قاضى القضاة شهاب الدين

مولاى نور الدين ضيفك لم يزل * يروى مكارمك الصحيحة عن عطا
صدقت قطايفك الكبار حلاوة * بفمى وليس بمنكر صدق القطا

انتهى ما أوردته من هذا النوع الغريب * وبيت صفى الدين

قالوا ألم تدر أن الحب غايته * سلب الخواطر والالباب قلت لم

بيت صفى الدين هنا شاهد على الاكتفاء بجميع الكلمة ولكن لم ترض التورية ان تكون له سكنا لشدة برده * وعجبت للشيخ صفى الدين كيف استحسن هذا البيت ونظمه فى سلك ابيات بديعيته مع ما فيه من الركة والنظم السافل وقرر موضع الاكتفاء بلفظة لم هذا مع انه غير مكلف بتسمية النوع ولا ملتفت الى تورية والعميان لم ينظموا هذا النوع * وبيت الشيخ عز الدين شاهد على النوعين مع التزامه بالتورية فى تسمية النوع البديعى واستجلاب الرقة ولطف المعنى وهو

وما اكتفى الحب كسف الشمس منه اذا * حتى انثنى يخجل الاغصان حين تمى

الشاهد الكل قوله اذا المعروف ان بعده بدا لما تقدم من ذكر كسف الشمس وشاهد البعض قوله حين تمى فحذف حرف الكلمة انها تميل او تميس وبيت بديعيتى شاهد على الاكتفاء بالبعض بزيادة التورية التى تتوارى من حسنها بهجة الشموس مع سلامة الوزن فى طرق الاكتفاء على مذهب الجماعة كما تقدم * واما التورية بتسمية النوع فهى محصول الحاصل اذ لا بد منها وبيتى

لما اكتفى خده القانى بحمرته * قال العواذل بغضا انه لدمى

المعنى هنا ان الخد لما تزايدت حمرته قال العواذل بغضا فى الظاهر انه لدمى وورّوا بالاكتفاء وقصدوا فى الباطن انه دميم حسدا له وهذا الاكتفاء ينظر الى قول القائل

كضرائر الحسناء قلن لوجهها * حسدا وبغضا انه لدميم

وهو بالدال المهملة للحقارة ومن تأمل هذا البيت تأمل أهل الادب المنصفين علم أن الحيلة فى تركيب توريته حيلة دقيقة مع ما فيه من المعنى وجزالة الاسلوب * وهذا النوع على هذا

لا أعرف نتاجه فكيف
أطلب علاجه وأمر لم
ألبس باطنه فكيف
أمارس ظاهره وخطب لم
أفسد أوله فكيف أصلح
آخره وشئ لا أعرف سببه
فكيف أتلافى ذنبه وحال
لم أضع صدرها فكيف
أتدارك عجزها اللهم
لا كفران ولعن الله
الشيطان كان ذنبى الى ذلك
السلطان موالاة ادمتها
وخدمة أقمتها وشيبة أرقتها
وحياة أنفقتها وحرم أسلفتها
وأموال أتلفتها وقصائد
نظمتها وموائد خدمتها وآلة
عرضتها وخمسة نقضتها فهل
أتيت الامن حيث أتيت
وهل أخطأت الامن حيث
حسبت أنى أصبت وهل
بعدت الامن حيث قربت
وهل خبثت الامن حيث
طبت وهل قبلنى هذا
السلطان الاجما تفانى ذلك
وهل رفعنى ههنا الا ما وضعنى

الجنا الغريب لايجرى فى مضمار من فحول الادب الا كان خاسر مهزولة.

(ذكر مراعاة النظير)

(ذكرت نظم اللآلى والحباب له * راعى النظير بثغر منه منتظم)

هذا النوع أعنى مراعاة النظير يسمى التناسب والائتلاف والتوفيق والمواخاة وهو فى الاصطلاح ان يجمع الناظم أو الناثر أمرا وما يناسبه مع الغاء ذكر التضاد لتخرج المطابقة وسواء كانت المناسبة لفظا لمعنى أو لفظا للفظ أو معنى لمعنى اذ القصد جمع شئ الى ما يناسبه من نوعه أو ما يلائمه من احدى الوجوه كقول البحترى فى ابل أنحلها السير

كالقسى المعطفات بل الاسـ * ـهم مبرية بل الاوتار

فانه لما شبه الابل بالقسى وأراد ان يكرر التشبيه كان يمكنه ان يشبهها بالعراجين أو بنون الخط لان المعنى واحد فى الانحناء والرقة ولكنه قصد المناسبة بين الاسهم والاوتار لما تقدم ذكر القسى * ولعمرى لقد أصاب الغرض فى هذا المرمى وظريف هنا قول بعضهم فى وصف فرس

من جلنار ناضر خده * وأذنه من ورق الآس

فالمناسبة هنا بين الجلنار والآس والنضارة ومثله قول بعضهم فى آل النبى صلى الله عليه وسلم

أنتم بنو طه ونون والضحى * وبنو تبارك فى الكتاب المحكم

وبنو الاباطح والمشاعر والصفا * والركن والبيت العتيق وزمزم

هذا الناظم أحسن فى مراعاة النظير وأتى فى البيت الاول بحسن المناسبة بين أسماء السور وفى الثانى بحسن المناسبة بين الجهات الحجازية انتهى ويعجبنى قول السلامى فى هذا الباب

والنقع ثوب بالسيوف مطرز * والارض فرش بالجياد مجمل

وسطور خيلك انما الفاتها * سمر تنقط بالدما وتشكل

فانه ناسب بين الثوب والتطريز وبين الفرش والحمل وبين السطور والالفات والنقط والشكل ومثله قول ابى العلاء المعرى

دع اليراع لقوم يفخرون بها * وبالطوال الردينيات فافتخر

فهن اقلامك اللاتى اذا كتبت * مجدا أتت بمداد من دم هدر

فابو العلاء أيضا ناسب بين الاقلام والكتابة والمداد * وغاية الغايات فى هذا الباب قول بديع الزمان الهمدانى من قصيدة يصف فيها طول السرى

لك الله من ليل اجوب جيوبه * كانى فى عين الردى أبدا كحل

كأن السرى ساق كأن الكرى طلا * كأنا لشرب كأن المنى نقل

كأنا جياع والمطى لنا فم * كأن الفلا زاد كأن السرى اكل

كأن بنا سبع الثرى ثدى مرضع * وفى حجرها منى ومن ناقتى طفل

كأنا على أرجوحة فى مسيرنا * لغور بنا تهوى ونجد بنا تعلو

ومنها فى المديح ولم يخرج عما نحن فيه من حسن المناسبة

(مراعاة النظير)

هنالك لئلا يشغل الشيخ قلبه بهذا الامير فانها حضرة يرجح فيهما ابن الجبان ويكون أشيل فى الميزان بحر تعاوجيفه ويسفل صدفه وهذا امر قد غطى أوله الجفاء فليغط آخره العفاء لا نزال نحمد الى الشيخ أبى عبد الله فيما يوليه من رفق بأسبابه واعتناء باكرته وأصحابه وما يفعل ذلك الامام وخه فضله ويأتيه مثله ويدعو اليه أصله وما يأتى من الخير الا ما هو اهله وحقا أقول قد عاشرت هذا الفاضل فطابت عشرته ولانت قشرته وواصلته فأحسنت وصاله وأحمدت خصاله وسألته فاغزرت جوده وجمته فأصلبت عوده وما بقيت فى الامتحان عرقا الا حبسته ولا نظرا الا تفرسته فما أتقى خصلة من خصاله الا وهى أكرم من اختها حتى حالت الغربة بينى وبينه

كأني في قوس لساني له يد * مديحي له فرع به أملي نبل

كأن دواتي مطفل حبشية * بنانى لها بعل ونقشي لها نسل

كأن يدي في الطرس غواص لجة * له كلي دربه فيمتى تغلو

انظر ايها المتأمل الى ملكة هذا الشاعر المفلق الذى ما دخل الى بيت الا واسكن فيه ما يلائمه من المناسبات البديعية نعم هذه الغايات التي تقف عندها فحول الشعراء وهذا الامام المتقدم الذى صلى الحريري خلفه وأشار اليه بقوله في مقاماته

فلو قبل مبكاها بكيت صبابة * بسعدى شفيت النفس قبل التندم

ولكن بكت قبلي فهيج لي البكا * بكاها فقلت الفضل للمتقدم

فان البديع هو الذى سبق الحريري الى نظم المقامات وسبك العلوم في تلك القوالب الغريبة وعلى منواله نسج الحريري واستعمل بعض أسماء مقاماته وقفى اثر عيسى بن هشام بالحرث بن همام وعارض طرح الاسكندري بما سجعه أبو زيد السروجي وعلى كل تقدير فالبديع عرابة هذه الراية وعباس هذه السقاية نرجع الى ما كنا فيه من حسن المناسبة في مراعاة النظير فمن المستحسن في هذا النوع قول بعضهم في مليح معه خادم يحرسه

ومن عجب أن يحرسوك بخادم * وخدام هذا الحسن من ذاك أكثر

عذارك ريحان وثغرك جوهر * وخدك ياقوت وخالك عنبر

هذا الاديب المتمكن ناسب بين العذار والثغر والخد والخال اذا لوجه لصابع هذه المحاسن جامع وبين ريحان وجوهر وياقوت وعنبر لملاءمة في أسماء الخدام فلو ذكر شيأ من غير تناسب كان نقصا وعيبا وان كان جائزا فانهم عابوا على أبي نواس قوله

وقد حلفت يمينا * مبرورة لا تكذب

برب زمزم والحو * ض والصفا والمحصب

فالحوض هنا أجنبي من المناسبة لانه ما يلائم المحصب والصفا وزمزم وانما يناسب الصراط والميزان وما هو منوط بيوم القيامة ومثله في عدم المناسبة قول الكميت

وقد رأينا بها حوراء منعمة * بيضا تكامل فيها الدل والشنب

فانهم قالوا الدلال لا يناسب الشنب وهو صحيح فان الشنب من لوازم الثغر فلو ذكر معه اللعس وما ناسب ذلك مشى على سنن المناسبة وخلص من النقد * ويعجبني من ملاءمة التناسب في مراعاة النظير قول العلامة أبي بكر بن اللبانة في موشح

بعضي يخاصم في بعض * جسمي مقيم وقلبي يمضي

وكيف أسلو وبدري الارضي * يدير في الاقحوان الغض

ورديه سرقت انفاسه بالالتماس * رقت فكانت مثل دمعة في جفن كاس

انظر الى ما ناسب بين الاقحوان والورد وجذب القلوب وانشأ الأذواق في المناسبة بين الدمعة وجفن الكاس مع الاستعارة التي تستعار منها المحاسن * ومن أحلى ما يستحلى في الذوق من هذا النوع قول ابن مطروح

فكان في الغربة أكثر في الجد جهدا وأطيب في الغيب عهدا وأتم على البعد ودا ولعمري ان ود الحضرة اخاء واخوة وود الغيبة وفاء ومروة وقد جمع هذا الفاضل حبليهما وراش نبليهما وما خسر على الكرم كريم كما لم يربح على اللؤم لئيم ولن يبطل العرف في الناس ولا يذهب الخير بين الله والناس أعانني الله على تأدية حقه وفرضه وقضاء الواجب أو بعضه وقد أطلنا ولا احسبني أطلت وفي النفس أضعاف ما كتبت والشيخ أيده الله لا يعرض كلامي على من يعرف عوار كلامه واختلال نظامه فان ما يكتب عن صوب البديهة بفيض القلم من دون روية تعمل لا يكاد يطيب وأنا أخدمه والجماعة بالسلام

لبسنا ثياب العناق * مزرورة بالقبل

ومن شدة اعجابي بهذا البيت ضمنته تضمينا لو سمعه ابن مطروح لاطرح نفسه خاضعا وسلم الى مفاتيح بيته طائعا وهو

ولما خلعنا العذار * فككنا طوق الخبل
لبسنا ثياب العناق * مزرورة بالقبل

لولا خوف الاطالة لتكلمت على بيت ابن مطروح وعلى التضمين وما فيهما من حسن التناسب والاستعارات بما يليق بمقامهما وغاية الغايات قول القاضي الفاضل في هذا الباب

في خده ضرج لعطفة صدغه * والخال حبته وقلبي الطائر

ويعجبني في هذا الباب قول مجير الدين بن تميم

لو كنت تشهدني وقد حمي الوغى * في موقف ما الموت فيه بمعزل
لترى انابيب القناة على يدي * تجري دما من تحت ظل القسطل

انظر أيها المتأمل الى حسن ما ناسب بين الانابيب والقناة والجريان والقسطل مع انقياد التورية الى طاعته وحسن تصرفه فاني أنا محقق ان الامير مجير الدين بن تميم من فرسان هذا الميدان وممن أجاد في هذا الباب وبالغ في الاحسان الى غريب المناسبة وراعى جانب مراعاة النظير حسن الزغاري بقوله

كأن السحاب الغر لما تجمعت * وقد فرقت عنا الهموم بجمعها
نياق ووجه الارض قعب وثلجها * حليب وكف الريح حالب ضرعها

فانه أتى بالمعنى الغريب والتشبيه البديع وحسن المناسبة في مراعاة النظير مع حلاوة الانسجام ولطف الاستعارة وانشدني لنفسه الشيخ عز الدين في هذا النوع قوله

بخد الحب ريحان نضير * لاحرفه سطور ليس تقرا
فراعيت النظير وقلت بدري * عذارك أخضر والنفس خضرا

الذي يظهر لي أن خضرة النفس هنا من ايهام المناسبة ومما نظمته في هذا النوع قولي

أبرزت معصمانها ر وداعي * شف بلوره فؤاد حريق
راح دمعي يرعى النظير ويبدي * عند لثمي سلاسلا من عقيق

فحسن المناسبة هنا بين المعصم والسلاسل والعقيق والبلور مع ابراز تسمية النوع البديعي والنسيب المطرب الغزلي في معنى توريته وبيت الشيخ صفي الدين الحلي

تجار الفاظ الى سوق القبول بها * من لجة الفكر تهدي جوهر الكلم

المناسبة في بيت الشيخ صفي الدين بين التجار والسوق واللجة والجوهر وهو بيت عامر بمحاسن هذا النوع وبيت العميان في بديعيتهم

يروى حديث الندى والبشر عن يده * ووجهه بين منهل ومبتسم

هذا البيت ما رأيت له وجها يظهر به مراعاة النظير ولا بينه وبين المناسبة البديعية نسب ثابت ولكن رأيت الشيخ أبا جعفر شارح هذه البديعية أعني بديعية العميان قال ان

(وله الى أبي علي بن مشكويه)

ويا عزان واشي وشى بي عندكم
فلا تمهلوه ان تقولوا له مهلا
كما لو وشى واش بعزة عندنا
لقلنا تزحزح لا قريبا ولا أهلا

بلغني أطال الله بقاء الشيخ ان قبضة كلب واتته باحاديث لم يعرها الحق نوره ولا الصدق ظهوره وانه أدام الله عزه اذن لها على مجال اذنه وفسح لها فناء ظنه ومعاذ الله ان أقولها واستجيز معقولها بل قد كان بيني وبين الشيخ الفاضل عتاب لا ينزل كنفه ولا يجدف وحديث لا يتعدى النفس وضميرها ولا يعرف الشفة وسعيرها وعربدة كعربدة أهل الفضل

العنعنة فى البيت بين تناسب الرواية فى الحديث والندا والبشر فيهما مناسبة الكرم ولعمرى ان الشيخ رحمه الله استسمن من وجه هذا البيت ذا ورم ونفخ من نفسه فى غير ضرم وهذا العمرى جهد من لا جهد له وبيت عز الدين الموصلى

وارع النظير من القوم الاولى سلفوا * من الشباب ومن طفل ومن هرم

المناسبة فى بيت الشيخ عز الدين بين الشباب والطفل والهرم اظن انه قصد بها النسبة الى آدم عليه السلام وبيت بديعتى

ذكرت نظم اللآلى والحباب له * وراعى النظير بثغر منه منتظم

المناسبة هنا ما بين اللآلى ونظم الحباب ونظم الثغر بديعة عند أهل النظم هذا مع حسن التشبيه بالمناسبة البديعية وفى نور هذا المثال ما يجلو ظلمة الاشكال عند مراعاة النظير هذا مع رقة الانسجام ومغازلة عيون الغزل فى تسمية النوع البديعى وحلاوة توريته وقد حبست عنان القلم وان كانت المهجة فى هذا المعرك الضيق قد ذابت لئلا يقال كثر فارتابت

(ذكر التمثيل)

(وقلت ردفك موج كى أمثله * بالموج قال قد استسمنت ذا ورم)

التمثيل مما فرعه قدامة من ائتلاف اللفظ مع المعنى وقال هو ان يريد المتكلم معنى فلا يدل عليه بلفظه الموضوع له ولا بلفظ قريب من لفظه وانما يأتى بلفظ هو أبعد من لفظ الارداف يصلح ان يكون مثالا للفظ المعنى المذكور كقوله تعالى وقضى الامر وهذا التمثيل العظيم فى غاية الايجاز والحقيقة أى هلك من قضى هلاكه ونجا من قدرت نجاته وما عدل عن اللفظ الخاص الى لفظ التمثيل الا لامرين احدهما الاختصار لبلاغة الايجاز والثانى كون الهلاك والنجاة كانا بامر مطاع ولا يحصل ذلك من اللفظ الخاص ومن شواهد ذلك فى السنة الشريفة قول النبى صلى الله عليه وسلم حكاية عن بعض النسوة فى حديث أم زرع زوجى كليل تهامه لا حر ولا برد ولا مخافة ولا سآمة فانها أرادت وصفه بحسن العشرة مع نسائه فعدلت عن اللفظ الموضوع له الى لفظ التمثيل لما فيه من الزيادة وذلك تمثيلها الممدوح بليل تهامة المجمع على وصفه بانه معتدل فتضمن ذلك وصف الممدوح باعتدال المزاج المستلزم حسن العشرة وكمال العقل اللذين ينتجان لين الجانب وطيب المعاشرة وخصت الليل بالذكر لما فى الليل من راحة الحيوان وخصوصا الانسان لانه يستريح فيه من الكد والفكر ولكون الليل جعل سكنا والسكن محل الاجتماع بالحبيب لا سيما وقد جعلته معتدلا بين الحر والبرد والطول والقصر وهذه صفة ليل تهامة لان الليل يبرد فيه الجو مطلقا بالنسبة الى النهار لغيبة الشمس وخلوص الهواء من اكتساب الحر فيكون فى البلاد الباردة شديد البرد وفى البلاد الحارة معتدل البرد مستطابا فلهذا قالت زوجى كليل تهامة وحذفت اداة التشبيه لقرب المشبه من المشبه به وهذا مما بينه لفظ التمثيل لكونه لا يجىء الا مقدرا بمثل غالبا وقال ابن رشيق فى العمدة التمثيل والاستعارة ضرب من التشبيه ولكنها بغير اداة والتمثيل هو المماثل عند بعضهم وذلك ان تمثل شيأ بشئ فيه اشارة منه كقول امرئ القيس

(التمثيل)

لا تجاوز الدلال والادلال ووحشة لا يكشفها عتاب لحظة كعتاب بحظة فسبحان من ربى هذا الامر حتى صار امرا وتابط شرا وأوجب عذرا وأوحش حرا سبحان من جعلنى فى جنب العدو أشيم بارقته واستجلى صاعقته وأنا المساء اليه والمجنى عليه لكن من بلى من الاعداء بمثل ما بليت ورمى من الحسد بما رميت ووقف من التوحد والوحدة حيث وقفت واجتمع عليه من المكاره ما وصفت اعتذر مظلوما وضحك مشتوما ولو علم الشيخ عدد أولاد الجدد وانباء العدد بهذا البلد ممن ليس لهم الا فى سعاية أو شكاية او حكاية أو نكاية لضن بعشرة غريب اذا بدر وبعيد اذا حضر ولصان مجلسه عمن لا يصونه عما رقى اليه فهبنى قد قلت

وما ذرفت عيناك الا لتضربي * بسهميك فى أعشار قلب مقتل

فمثل عينيها بالسهمين ومثل قلبه بأعشار الجزور يعنى ما بكيت الا لتقدحى فى قلبى كما يقدح القادح فى الاعشار فقت له جهات التمثيل والاستعارة وقد تقدم ان التمثيل ضرب من الاستعارة والتشبيه وهو قريب التذييل ولكن بينهما فرق دقيق وهو خلو التذييل من التشبيه والحقوا بهذا الباب أعنى التمثيل ما يخرجه المتكلم مخرج المثل السائر وأبلغ ما سمعته من الشواهد البليغة المستوعبة لشروط هذا الباب قول أبي تمام

اخرجتموه بكره عن سجيته * والنار قد تلتظى من ناضر السلم

أوطأتموه على جمر العقوق ولو * لم يحرج الليث لم يخرج من الاجم

ففى عجز كل من البيتين تمثيل حسن فانه مثل فيهما حالته عند اخراجه كرها عن سجيته يخاطب أحبابه وقد أثروا به تلك الحالة والنار قد تلتظى من ناضر السلم * قد هنا للتقليل ومراده ان وقوع هذا منكم وأنتم أحباب عجيب ومثل الحال بقوله * والنار قد تلتظى من ناضر السلم وقال فى عجز البيت الثانى عندما وطئوه على جمر العقوق ان الليث لولم يحرج ما خرج من الاجم * وهذا التمثيل والذى قبله فى البيت الاول غاية فى هذا الباب وقد أخرج كلامنهما مخرج المثل السائر على مذهب من يرى ذلك وبيت الشيخ صفى الدين

يا غائبين لقد أضنى الهوى جسدى * والغصن يذوى لفقد الوابل الردم

الشيخ صفى الدين أجاد فى نظم هذا النوع وأتى بشروطه كاملة فانه مثل حاله لما أضنى الهوى جسده لغيبة أحبابه بالغصن لما يذوى لفقد المطر وأخرج كلامه مخرج المثل السائر كما تقرر ولكن لو لحظ موضع الهوى الخفا لكان اقرب الى المراد ولو كانت القافية غير الردم لكانت أخف على القلوب والعميان لم ينظموا هذا النوع فى بديعيتهم وبيت الشيخ عز الدين

من التعاظم تمثيل الزمان به * وقد يكون اتضاع القدر بالشمم

هذا البيت غير صالح للتجريد وقد كل الفكر وعجزت ان أتوصل فيه الى حد يتوصل به الى فهم معناه أو الى صورة التمثيل فى تركيبه فلم أجد بدا من مطالعة الشرح فلما نظرت فى شرحه وجدته قد قال فيه ان العذول يتعاظم فى كلامه وأفعاله فلذلك مثل الزمان به من استمرار السامع به والتهكم وعدم الاصغاء اليه وفى ذلك تهجين له وربما استحب فيه الدعاء ثم قال فى آخر الشرح وقد أرسلت النصف الثانى من البيت مثلا فما ازدادت مرآة ذوقى بذلك الا صدأ والله أعلم وبيت بديعيتى

وقلت ردفك موج كى امثله * بالموج قال قد استسمنت ذا ورم

انظر أيها المتأمل الى التمثيل الذى مثلت فيه شيأ بشئ فيه اشارة منه كما قرره ابن رشيق فى العمدة وحذفت اداة التشبيه لتقريب المشبه من المشبه به كما تقدم وتقرر ان لفظ التمثيل لا يكون الا مقدرا بمثل غالبا وأخرجت آخر كلامى مخرج المثل السائر على مذهب من يرى ذلك وأتيت بتسمية النوع البديعى مورى به مسبوكا فى أحسن القوالب والله أعلم بالصواب

ما حكى البس الشاتم من أسمع والجانى من بلغ فلقد بلغ من كيد هؤلاء القوم انهم حين صادفوا من الاستاذ نفسا لا تستفز وجبلا لا يهز وشوا الى خدمه بما أرسوا نارهم ورد على ما قالوه فالبنت ان قلت

وان تك حرب بين قومى وقومها * فانى لها فى كل نائبة سلم * وليعلم الاستاذ ان فى كبد الاعداء منى جمرة وان فى اولاد الزنا عندنا كثرة وقصاراهم نار يشبونها وعقرب يدبونها ومكيدة يطلبونها ولولا ان العذر اقرار بما قيل وأكره ان استقيل لبسطت فى الاعتذار شاذروانا ودخلت فى الاستقالة ميدانا لكنه أمر لم أضع أوله فلم أتدارك آخره وقد أبى الشيخ أبو محمد أيده الله الان يوصل هذا النثر الفاتر

(ذكر التوجيه)

(وأسود الخال في نعمان وجنته * لم يعتذر منه بالتوجيه للعدم)

التوجيه مصدر وجه الى ناحية كذا اذا استقبلها وسعى نحوها وفي الاصطلاح أن يحتمل الكلام وجهين من المعنى احتمالا مطلقا من غير تقييد بمدح أو غيره والتوجيه هو ابهام المتقدمين لان الاصطلاح فيهما واحد غير ان الشواهد التي استشهدوا بها على التوجيه الابهام أحق بها لطلوع أهلتها زهراة في افقه ولمطابقة التسمية فانهم يستشهدون على التوجيه بقول الشاعر في الحسن بن سهل عندما زوج ابنته بوران بالخليفة

بارك الله للحسن * ولبوران في الختن
يا امام الهدى ظفر * ت ولكن ببنت من

فلم يعلم ما اراد بقوله ببنت من في الرفعة أو في الحقارة وقد تقدم قولي في شرح نوع الابهام لما استشهدت بهذين البيتين على ما نقل ابن ابي الاصبع أن الحسن بن سهل قال له أسمعت هذا المعنى ام ابتكرته فقال لا والله نقلته من شعر شاعر مطبوع كان كثير الولوع بهذا النوع واتفق أنه فصل قباء عند خياط اعور واسمه زيد كذا نقله ابن أبي الاصبع فقال له الخياط على سبيل العبث سآتيك به لا تدري اقباء هو ام دواج فقال له الشاعر ان فعلت ذلك نظمت فيك بيتا لا يعلم من سمعه ادعوت لك أم دعوت عليك ففعل الخياط فقال الشاعر

خاط لي زيد قباء * ليت عينيه سواء

فان قيل انه قصد التساوي في عينيه بالعمى صح وان قيل انه قصد التساوي في الابصار صح * فتسمية النوع هنا بالابهام أليق من تسميته بالتوجيه * ومطابقة التسمية فيه لا تخفى على أهل الذوق الصحيح وهذا مذهب ابن ابي الاصبع فانه هو الذي تخير الابهام * ونزل عليه هذه الشواهد واختصر التوجيه من كتابه وقال في ديباجته وربما بقيت اسم الباب وغيرت مسماه اذا رأيت اسمه لا يدل على معناه * وقد اجمع الناس على ان كتابه المسمى بتحرير التحرير أصح كتاب الف في هذا الفن لانه لم يتكل فيه على النقل دون النقد وغالب الجماعة غيروا بعض القواعد * وبدلوا أكثر الاسماء والشواهد * ووضعوها في غير محلها واذا وصلت الى بديع ابن منقذ وصلت الى الخبط والفساد والجمع بين اسباب الخطاء وانواعه من التداخل والتبديل * والسكاكي ومن تبعه سموا هذا النوع التوجيه ونسج الناس على منوالهم الى ان تخير ابن أبي الاصبع نوع الابهام وقرر له الشواهد التي هي أليق به من التوجيه ولم أسمع من شواهد الابهام غير البيت المنظوم في الخياط والبيتين المنظومين في الحسن بن سهل وهذا النوع صعب المسلك في نظمه لان المراد من الناظم ان يبهم المعنيين بحيث لا يكاد أحدهما يترجح على الآخر ومن أظرف ما وقع في هذا الباب وقد أوردته في باب الابهام ان القاضي زين الدين بن القرناص الحلبي غفر الله له ألف تاريخا قريبا من قباء الخياط * وهاجر الى حماة المحروسة بسبب الكتابة عليه ورسم لي بعد وقوفي عليه بالكتابة عليه فكتبت على التاريخ المذكور هذين البيتين

تاريخ زين الدين فيه عجائب * وبدائع وغرائب وفنون

التوجيه
الصواب أن يقول التوجيه مصدر وجهته الى ناحية كذا أرسلته اليها اهـ

ينظم مثله فيها كما يلعن بعضه بعضا
مولاي ان عدت ولم ترض بي ان أشرب البارد لم أشرب
امتطخدي واستعمل ناظري
وصد بكفي حمة العقرب
بالله ما أنطق عن كاذب
فيك ولا أبرق عن خلب
فالصفو بعد الكدر المفترى
كالصحو عقب المطر الصيب
ان اجتنى الغلظة من سيد
فالشوك عند الثمر الطيب
أو يفد الزور على ناقد
فالخمر قد يعصب بالثيب
وامل الشيخ أبا محمد أيده الله يقوم من الاعتذار بما قعد عنه القلم والبيان فنعم رائد الفضل هو والسلام

(وله الى الشيخ العميد)

أنا أطال الله بقاء الشيخ العميد مع أحرار نيسابور في صنعة لا فيها أعان ولا عنها أصان وشيمة ليست بي تناط ولا عني تماط وحرفة

فاذا أتاه مناظر في جمعه * خبره عن انه مجنون

ومن اغرب ما نقل من شواهد الابهام التي ما تليق بغيره أن ابامسلم الخراساني قال يوما لسليمان بن كثير بلغني أنك كنت في مجلس وقد جرى ذكري فقلت اللهم سوّد وجهه واقطع رأسه واسقني من دمه * فقال نعم قلت ذلك ونحن جلوس بكرم حصرم فاستحسن ابومسلم ابهامه وعفا عنه لسداد جوابه * رجع الى ما كان فيه من تقرير نوع التوجيه * قد تقدم ان المتقدمين نزلوه منزلة الابهام وسموه توجيها واستشهدوا عليه بالشواهد التي تقدم ذكرها * وأما التوجيه عند المتأخرين فقد قرروا أن يوجه المتكلم بعض كلامه أو جملته الى اسماء متلائمة اصطلاحا من اسماء الاعلام أو قواعد علوم أو غير ذلك مما يتشعب له من الفنون توجيها مطابقا لمعنى اللفظ الثاني من غير اشتراك حقيقي بخلاف التورية * وهذا هو مذهب الشيخ صفي الدين وعلى هذا المنوال نسج بديعيته * وقد تقدم أن بديعيته نتيجة سبعين كتابا في هذا الفن * وعلى منواله نسجت بديعيتي لاجل المعارضة وقد أدخل جماعة نوع التوجيه في التورية وليس منها * والفرق بينهما من وجهين احدهما ان التورية تكون باللفظة المشتركة والتوجيه باللفظ المصطلح عليه والثاني أن التورية تكون باللفظة الواحدة والتوجيه لا يصح الا بعدة الفاظ متلائمة * كقول علاء الدين الوداعي

من ام بابك لم تبرح جوارحه * تروى احاديث ما أوليت من منن
فالعين عن قرة والكف عن صلة * والقلب عن جابر والاذن عن حسن

أقول لو بلغت ما عسى أن أبلغه لما وجدت للمتقدمين شاهدا أحسن من هذين البيتين على هذا النوع ولذلك قدمتهما سبحان المانح لقد أظهر الشيخ علاء الدين الوداعي من محاسن الأدب في التوجيه وجوها تخجل الاقمار * وتمسك الناس بعده بطيب هذه الآثار * أما قرة فهو قرة ابن خالد السدوسي وهو ثقة يروى عن الحسن وابن سيرين وليس بتابعي وأما صلة فهو صلة بن أشيم العدوي كان من كبار التابعين وهو زوج معاذة العدوية وهي تروي عن عائشة وأما جابر فهو جابر بن عبد الله صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وليس بجابر الجعفي لان جابرا الجعفي ضعيف وهو تابعي واغا ضعفوه لانه كان يؤمن بالرجعة وأما الحسن فهو الحسن البصري كان تابعيا كبيرا رأى من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم نحوا من ثلثمائة رجل فلله در الوداعي لقد أودع في بيته نفائس الذخائر * وقال فلم يترك مقالا لشاعر * وكان من المتقدمين عصرا وعلما في اقتناص شوارد النكت الادبية * والانواع البديعية * وابراز التورية في القوالب التي لم يسبق اليها وعلى موائده معانيه ونكته تطفل الشيخ جمال الدين بن نباتة في مواضع كثيرة وقد عن لي وان طال الشرح أن اذكر نبذة من ذلك ليتأيد قولي ويعرف رتبة الشيخ علاء الدين من كان بها جاهلا قال الشيخ علاء الدين من قصيدة مطولة

اتخنت عينها الجراح ولا اثم عليها لانها نعساء
زاد في عشقها جنوني فقالوا * ما بهذا فقلت بي سوداء

لانها أدال ولا عنى تزال وهي الكدية التي علق نعتها وليست لي منفعتها فهل للشيخ ان يلطف بصنيعته لطفا يحط عنه درن العار وسمة التكسب والافتقار ليخف على القلوب ظله ويرتفع عن الاحرار كله ولا يثقل على الاجفان شخصه باتمام ما كان عرضه عليه من اشغاله ليعلق باذياله ويستفيد من خلاله فيكون قد صان الفضل عن ابتذاله والادب عن اذلاله واشترى حسن الثناء بجاهه كما يشتريه بماله وللشيخ العميد فيما يجيب به صنيعته من وعد يعتمده ووفاء يتلو ما يعده على رأيه ان شاء الله تعالى

(وله الى القاضي ابي القاسم علي بن أحمد يشكو ابا بكر الحيري)

الظلامة أطال الله بقاء القاضي اذا أتت

قال الشيخ جمال الدين بن نباتة

قام يرنو بمقلة كحلاء * علمتنى الجنون بالسوداء

قال الشيخ علاء الدين الوداعى

اذا رأيت عارضا مسلسلا * فى وجنة كجنة ياعاذلى

فاعلم يقينا أننى من امة * تقاد للجنة بالسلاسل

قال الشيخ جمال الدين ولم يخرج عن الوزن والقافية

أفدى الذى ساق اليها مهجتى * فرع طويل تحت حسن طائل

قلبى بصدغيها الى طلعتها * يقاد للجنة بالسلاسل

قال الشيخ علاء الدين وقد اجتمع جماعة من أصحابه لم يخرج اسم واحد منهم عن علىّ

لقد سمح الزمان لنا بيوم * غدا فيه السمىّ مع السمىّ

تجمعنا كأنا ضرب خيط * علىّ فى علىّ فى علىّ

قال الشيخ جمال الدين

علوت اسما ومقدارا ومعنى * فيالله من حسن جلىّ

كأنكم الثلاثة ضرب خيط * علىّ فى علىّ فى علىّ

قال الشيخ علاء الدين

من آخذ من خده * بدم الشهيد المغرم

فالريح ريح المسك منـ * ـه ولونه لون الدم

قال الشيخ جمال الدين

لا ينكرن الكاس من جفنه * دم الشهيد الصابر المغرم

فالريح ريح المسك من خده * كما يرى واللون لون الدم

قال الشيخ علاء الدين من قصيد

يفتن بالفاتر من طرفه * وريقه البارد ياحار

قال الشيخ جمال الدين

لو ذقت برد رضاب من مقبله * يا حار ملت اعضاءى التى غلت

مع ان الشيخ جمال الدين فتر عن الفاتر

قال الشيخ علاء الدين

قيل ان شئت أن تكون غنيا * فتزوج تكن من المحسنينا

قلت ما يقطع الاله بحر * لم يضع بين اظهر المسلمينا

قال ابن نباتة

قال لى خلى تزوج تسترح * من اذى الفقر وتستغنى يقينا

قلت دع نصحك واعلم اننى * لم اضع بين ظهور المسلمينا

قال الوداعى

ياعاذلى فى النكاريش اطرح عذلى * واعذر فعذرى فيهم واضح حسن

من مجلس القضاء لم ترق الا الى سيد القضاة وما كنت لاقصر سيادته على الحكام دون جميع الانام لولا اتصالهم بسببه واتسامهم بلقبه وهم القضاة اتسموا بسمته متطفلين على قسمته اليهم أديم فى الصحة كاديمه أو قديم فى الشرف كقديمه أو حديث فى الكرم كطريقه فهنيأ لهم الاسماء وله المعانى ولا زالت لهم الظواهر وله الجواهر ولا غرو أن سموا قضاة فما كل مانع ماء ولا كل سقف سماء ولا كل سيرة عدل العمرين ولا كل قاض قاضى الحرمين وبالشارات القضاء ما أرخص ما يبيع وأسرع ما أضيع وألسنة الانذال قبل خلق الدبار وموت الخيار الا يغارون لحلى الحسناء على السوداء ومركب

قالمردان حاولوا حربي بهجرهم * اذا القام بنصرى معشر خشن

قال ابن نباتة

لو آذتني عـذالى بهجرهم * اذا بالشكاريش قد أصبحت مرابطا
اذا القام بنصرى معشر خشن * عنـد الحفيظـة ان ذو لوثة لانا

قال الشيخ علاء الدين الوداعى من قصيدة

عذب مقبله وحلو لحظه * أو ما تراه بالنعاس معسلا

قال الشيخ جمال الدين

معسـل بنعاس فى لواحظـه * اما تراها الى كل القلوب حلت

قال الوداعى من القصيدة المذكورة

الحاظه وهى السيوف كليلة * و يكون تعذيب الكليلة أطولا

قال ابن نباتة

بليت بساجى الحاظ كليلها * ومازال تعذيب الكليلة أطولا

قال الوداعى من قصيد

والنهر كالمبرد يجلو الصدا * يبرد عن قلب ظما آن

قال ابن نباتة

والنهر فيه كمبرد * فلاجل ذا يجلو الصدا

لكن نقص نهره وكل مبرده من نكتة برده فى بيت الوداعى فلن الشيخ جمال الدين حط مكانها فى بيته فلاجل ذا وشتان قال الوداعى

ما كنت اول مغرم محروم * من باخل بادى النفار كريم

قال ابن نباتة

مخجـل بشبه ريم الفـلا * ياطول شجوى من بخيل كريم

قال الوداعى فى مليح أعمى

بروحى غزالا راح فى الحسن جنة * تعشقته أعمى فهمت من الوجد
اذا ما تبـــدى قائدا بيمينه * تيقنت حقا انه جنة الخلد

قال ابن نباتة

أفديه أعمى مفرد الحظه * ليرتقى فى خده الوردى
فكنت عيناى من وجهه * فقلت هذى جنة الخلد

قال الشيخ علاء الدين

بخلت على بدر مبسمها * فغدت مطوقة بما بخلت

قال ابن نباتة

بخلت بلؤلؤ ثغرها عن لاثم * فغدت مطوقة بما بخلت به

قال الوداعى

ومايبرى هوى المثنا * فى الاذلال المغلى

أولى السياسة تحت الساسة
ومنزل الانبياء من قصدر
الاغبياء وحمى البزاة من
صيد البغاث وصيانة
الذكور من تسلط الاناث
وبالرجال وأين الرجال
ولى القضاء من لايملك من
الا يه غير السبال ولا
يعرف من أدواته غير
الاختزال ولا يتوجه من
أحكامه الا فى الاستحلال
ولا يرى التفرقة الا فى
العيال ولا يحسن من
الفقه غير جمع المال ولم
يتقن من الفرائض الا قلة
الاحتفال وكثرة
الافتعال ولم يدرس من
أبواب الجدل الا قبح الفعال
وزور المقال ذاك أبو فلان
الفلانى أضاعه الله كما
أضاع أمانته وخان خزانته
ولا حط عمن قاض فى صولة
جندى وسبلة كردى
فما أشبهه فى قضاياه وتحيره
بين خطاياه الا بالصبى

قال ابن نباتة

من المغل أشكو فهو الم الجوى * وطب الهوى عندى كما قيل فى المقلى

قال الوداعى

يا نديمى والذى عاهدنى * أنه من شرب جهالن يقصرا

اسقنى صرفا ودع عذالنا * يضربون الماء حتى يعثرا

قال ابن نباتة

اسقنى صرفا من الرا * ح تحت الهم حثا * ودع العذال فيها * يضربون الماء حتى

قال الوداعى

باللوى صعدة عليها لواء * كل طعنات تصلها الجلاء

وقال بعد المطلع

لا تجد عندها سماعا الشكوى * فلهذا قالوا لها صماء

قال ابن نباتة

وعدت بطيف خيالها اسماء * ان كان يمكن ناظرى اغفاء

وقال بعد المطلع

يا من يطيل من الجوى لقوامها * شكواه وهى الصعدة الصماء

وقد آن أن اختصر لئلا يطول الشرح وأكف لسان القلم فقد طال واستطال على عرض الشيخ جمال الدين ونعود الى ما كافيه من الاستشهاد بيتى الشيخ علاء الدين الوداعى على نوع التوجيه فقد فهمت رتبته فى هذا الفن وتوجيه بيته يصدق على اسماء الاعلام من رواة الحديث فى هذا الفن حيث قال

فالعين عن قرة والكف عن صلة * والقلب عن جابر والاذن عن حسن

والمعنى الآخر فى حسن مناسبته بين القرة والعين والصلة والكف والجبر والقلب والكسر والسمع والحسن ظاهر ومثله قول القاضى محيى الدين بن عبد الظاهر الحلبى يصف فيها نهرا صافيا فى روض نزيه

اذا فاخرته الريح ولت عليلة * بأذيال كثبان الربا تتعثر

به الفضل يبدو والربيع وكم غدا * به الروض يحيى وهو لا شك جعفر

ومثله قول ابن الوردى

هويت أعرابية ريقها * عذب ولى فيها عذاب مذاب

رأسى بنو شيبان والطرف من * نبهان والعذال فيها كلاب

واما التوجيه فى قواعد العلوم كما تقرر فأحسن ما رايت فيه قول امين الدين على السليمانى فى بعض قواعد النحو

أضيف الدجى معنى الى لون شعره * فطال ولولا ذاك ما خص بالجر

وحاجبه نون الوقاية ما وقت * على شرطها فعل الجفون من الكسر

ومنه قولى

يسلم الى عدليه ويلف وجهه فى منديله ويجتمع عليه اترابه فيصفى قذاله كل رفعة بصفعة ويسئل عن ضاويها فان غلط فى صاحبها أعيد على وجهه اللف وعلى قذاله الكف وكذا من شغل أيام صباه بما شغل وفعل أيام الشباب ما فعل ثم جلس للقضاء كهلا وسع كل شئ جهلا وبعد فان القضاء من القضبة والحبة لا تلد غير الحبة فمن اعتزى الى أب كأبيه واقترن بأخ كأخيه لم يلم على جهله فهو الشئ من أهله والفرع فى أصله والعلم أطال الله بقاء القاضى شئ كما نعرفه بعيد المرام لا يصاد بالسهام ولا يقسم بالازلام ولا يرى فى المنام ولا يضبط بالجام ولا يورث عن الاعمام ولا يكتب للئام وزرع لا يزكو

اغراء لحظك مالى منه تحذير * ولا التعريف وجدى فيك تنكير
يا نصب عينى غرامى كيف أجزمه * والقد مرتفع والشعر مجرور

ومن أظرف ما وقع فى هذا الباب أنه كان بالعراق عاملان احدهما اسمه عمر والآخر
أحمد فعزل عمر عن عمله واستقر أحمد بسبب مال وزنه فقال بعض الشعراء فى ذلك

أيا عمر استعد لغير هذا * فأحمد بالولاية مطمئن
فانك فيك معرفة وعدل * وأحمد فيه معرفة ووزن

وقول ابن عنين فيمن عزل وكانت سيرته غير مشكورة

فلا تغضبن اذا ما صرفت * فلا عدل فيك ولا معرفة

وقول ابن الساعاتى وقيل لابن أبى الاصبع

أيا قمرا من حسن وجنته لنا * وظل عذاريه الضحى والاصائل
جعلتك للتمييز نصبا لناظرى * فهلا رفعت الهجر والهجر فاعل

وظريف هنا قول بعضهم

عرج بنا نحت طلول الحى * فلم تزل آهلة الاربع
حتى نظل اليوم وقفا على السـ * ـاكن أو عطفا على الموضع

وقول محمد بن العفيف

يا ساكنا قلبى المعنى * وليس فيه سواك ثانى
لأى معنى كسرت قلبى * وما التقى فيه ساكنان

ومن لطائف البهاء زهير

يقولون لى أنت الذى سار ذكره * فمن صادر يثنى عليه ووارد
هبونى كما قد تزعمون أنا الذى * فأين صلاتى منكم وعوايدى

ونظير هذا ما اتفق لشرف الدين محمد بن عنين وذلك انه مرض فكتب الى الملك المعظم صاحب دمشق

أنظر الى بعين مولى لم يزل * يولى الندى وتلاف قبل تلافى
انا كالذى أحتاج ما تحتاجه * فاغنم دعاءى والثناء الوافى

فعاده الملك المعظم ومعه خمسمائة دينار وقال له أنت الذى وأنا العائد وهذه الصلة * وظريف هنا قول بعض المواليا

رأيتها وهى داخل دارها فى الصحن * تنشد رمل صحنت قلبى المعنى صحن
ياليتها مع تغنيها وطيب اللحن * ترفع أبو ودع يدخل على اللحن

وقول بعضهم من التوجيه فى قواعد الفقه

الجئ الى الزهر لتحظى به * وارم جمارا لهم مستنفرا
من لم يطف بالزهر فى وقفة * من قبل أن يحلق قد قصرا

وقول شمس الدين بن العفيف من التوجيه فى قواعد الجدل

وما بال برهان العذار مسلما * ويلزمه دور وفيه تسلسل

فى كل أرض حتى يصادف
من المدرس ثرى طيبا
ومن التوفيق مطرا صيبا
ومن الطبع جوا صافيا
ومن الجهد روحا دائما
ومن الصبر سعيا نافعا
والعلم علق لا يباع ممن زاد
وصيد لا يألف الا وغاد
وشئ لا يدرك الا بنزع
الروح وغرض لا يصاب
الا بافتراش المدر واستناد
الحجر ورد الضجر وركوب
الخطر وادمان السهر
واصطحاب السفر وكثرة
النظر واعمال الفكر ثم
هو معتاص على من زكا
زرعه وخلا ذرعه وكرم
أصله وفرعه ووعى بصره
سمعه وصفا ذهنه وطبعه
فكيف بناله من أنفق صباه
فى الفحشاء وشبابه على
الاحشاء ونهاره على الجمع
وليله على الجماع وشغل
خلوته بالغنى وخلوته بالغنا
وأفرغ جده على الكيس

وقول شمس الدين بن جابر الاندلسى ناظم البديعية من التوجيه فى الحديث

قالت أعندك من أهل الهوى خبر * فقلت انى بذاك العلم معروف
مسلسل الدمع من عينى ومرسله * على مدبج ذاك الخد موقوف

ومن التوجيه فى علم العروض قول ابن نصر الله المصرى

وبقلبى من الهموم مديد * وبسيط ووافر وطويل
لم أكن عالما بذاك الى ان * قطع القلب بالفراق الخليل

ومثله قولى وهو مطلع قصيد

فى عروض الجفا بحور دموعى * ما افادت قلبى سوى التقطيع

ومن التوجيه فى الكتابة قول ابن الساعاتى

لله يوم فى دمشق قطعته * حلف الزمان بمثله لا يغلط
الطير تقرأ والغدير صحيفة * والريح تكتب والسحاب ينقط

ولبعضهم واجاد وهو ابن القيسرانى

بوجه معذبى آيات حسن * فقل ماشئت عنه ولا تحاشى
فنسخة حسنه قرئت وصحت * وها خط الكمال على الحواشى

وقول ابن الوردى

رايت فقيرا فى المرقعة التى * على حسنه دلت وحسن طباعه
بخديه ريحان الحواشى محقق * الى الثلث والفضاح تحت رقاعه

ومثله قول القرشى الكاتب وقد طلبه السلطان بسبب خط نقل عنه أنه زور فاختفى فى بيته ثلاث سنة وكتب الى ابن فضل الله يسأله النظر فى حاله فى رقعة أولها * يقبل الارض وينهى ان له ثلاث سنة محقق مختف فى حواشى البيت يخشى توقيعات الرقاع من صاحب الطومار وسؤال المملوك نسخ هذا الامر الفضاح بحيث لا يبقى عليه غبار فان المملوك وحق المصحف ما يحمل عود ريحان ومن التوجيه فى علم الرمل قول الصاحب بهاء الدين زهير

تعلمت علم الرمل لما هجرتنى * لعلى أرى شكلا يدل على الوصل
فقالوا طريق قلت يارب للقا * وقالوا اجتماع قلت يارب للشمل

ومن التوجيه فى علم النجوم قول بعضهم فى كان وكان

لوسنبله خلف ظهره * ناظر اليها المشترى
ولو ذنب مايقارن * حتى يرى الميزان

ومن التوجيه فى علم الهندسة

محيط باشكال الملاحة وجهه * كأن بها اقليدسا يتحدث
فعارضه خط استواء وخاله * به نقطة والشكل شكل مثلث

وقول يوسف الذهبى بن لؤلؤ فى توجيه علم الموسيقى

وبمهجتى المتحملون عشية * والركب بين تلازم وعناق
وحداتهم أخذت حجازا بعدما * غنت وراء الركب فى عشاق

وهو له على الكأس والعلم ثم لا يسلم الا الفرس ولا يفرس الا فى النفس وصيد لا يقع الا فى البذر ثم لا ينشب الا فى الصدر وطائر لا يخدعه الا القفص اللفظ ثم لا يعقله الا الشرك الحفظ وبحر لا يخوضه الملاح ولا تطيقه الالواح ولا تهيجه الرياح وجبل لا يتسنم الا بخطى الفكر وسماء لا يصعد الا بمعراج الفهم ونجم لا يلمس الا بيد الجد أيكفى أن يصبح المرء بين الرق والعود ويمسى بين موجبات الحدود حتى يتم شبابه وتشيب أترابه ثم يلبس دنيته ليخلع دينته ويسوى طيلسانه ليعرف يده ولسانه ويقصر سباله ليطيل حباله ويبدى شقاشقه ليغطى مخارقه ويبيض لحيته ليسود صحيفته ويظهر ورعه ليخفى طمعه ويغشى

ومثله قول شمس الدين بن جابر الاندلسى ناظم البديعية

يا أيها الحادي استقني كاس السرى * فهو الحبيب وهو مهجتى الساقى
حى العراق على النوى واحول الى * أهـل الحجاز وسائل العشاق

ومن التواجيه اللطيفة قول ابن نباتة فى اسماء منتزهات دمشق

ياحبـذا يوما بوادى جلق * وتنزهى مع ذا الغزال الحالى
من أول الجبهـة قد قبلتـه * مترشفا لا آخر الخلخال

ومن التوجيه الغريب اللطيف قول ابن الوردى * وقد كتب الى بعض المخاديم بسبب وظيفة القضاء وأظنه لشيخ الاسلام شرف الدين بن البارزى

جنبتنى وأخى تكاليف القضا * وكفيتنا مرضين مختلفين
يا حى عالم عصرنا احييتنا * فلك التصرف فى دم الاخوين

وقول بعض المواليا

للخد يا حى عالم باكيت الطرد * عليه لو نفس صبارة وحر وبرد
ناداه والعارض النمام حولو فرد * ما فاتك الحسن ساعة يا شقيق الورد

وقد تقدم قولى ان الشيخ شمس الدين بن الصايغ استشهد فى شرحه المسمى برقم البردة بشئ من أزجال أهل عصره على بعض انواع البديع وتقدمت ترجمة الشيخ علاء الدين بن مقاتل الحموى عند ما أوردت له ما وردت فى أنواع الجناس وقد ذكرت له هنا فى باب التوجيه زجلا موجها فى خياط أخبرنى من أدرك الحاج علاء المذكور من أعيان أهل حماة أن هـذا الرجل دخل الى بلاد المغرب وعاد مخلقا بالزعفران ورتبة الشيخ علاء الدين ابن مقاتل فى هـذا الفن مشهورة شرقا وغربا فلا يحتاج فيها الى الاطناب فى وضعه الزجل ومطلعه

نهوى خياط سبحان تبارك من * بالجمال جـاوا
بالمفصل وآية الكرسى * نرقى شكلو الحلو
خاط لى ثوب سقام قصر نحو * طال بحكم القدر
حتى أن البدن اضـمنى ضاع * فى عيون الابر
راح عذولى يشكلو شكلو * ويقص الخبر
وجا مذبوح القلب ممزق * ونسى ايش قلت لو
ولا فرج لو كرب عن قلبو * ولا عن مرسلو
ذا الحسينى بنيقة العشاق * كم قد أخلا جيوب
ويزرو من العيون كم لو * تخرجه فى القلوب
قلت بصحة غلالك الحبيب زور * ولا تزج كروب
خلا سرى المكتوم مشهر فيه * والـذى يسألو
جيبو مقلوب وراب على غيرو * الا استروا فصلو
بعد طيب الوصال قطع وصلى * وأوصل الانقطاع

عراية ليلا بجرابه ويكتم دعاءه ليمشوا وعاءه ثم يتقدم بالنهار أمعاءه ويعالج بالليل وجعاءه ويرجوان يخرج من بين هذه الاحوال عالما ويقعد ما كما هذا الجد كالوه بقـفزان كلا حتى ينسى الشهوات ويجوب الفلوات ويعتضد المحابر ويحتضن الدفاتر وينتج الخواطر ويحالف الاسفار ويعتاد القفار ويصل الليلة باليوم ويعتاض السهر من النوم ويحمل على الروح ويجنى على العين وينفق من العيش ويخزن فى القلب ولا يستريح من النظر الا الى التصديق ولا من التحقيق الا الى التعليق وحاصل هذه الكلف ان اخطأه رائد التوفيق فقد ضل

حق خلى بينى وبين الموت * اما باع اوذراع
وترى ظاهرى صحيح لكن * باطنى فى النزاع
وان هو طوّل شقة بعادى والانقطاع اوصلو
جهزوا القطن والكفن والما * واغسلوا وفصلوا
جا الفقيه فى حبيبى يعذلنى * ويرقع كلام
قلت دعنى فقيه فى تعزيتى * بس تلفيق ملام
قال حبك لو ظلم سلارى * تترى والسلام
وسلب اسلامى لما حذرنى * عند باب منزلو
وقطع عاتق وضربنى * وايش معو يعملو
ذا الخليع الجديد نهار قد قال لى * لفظو عقلى قمر
صف جبينى وشعرى من تفصيل * تظمك المبتكر
قلت خيط الصباح يستفتح * ذيل الدجى فى السحر
قال لى قصرت بل هو ستر الله * حين على اسبلو
حابك الزرقا فاتق الخضرا * بالهلال كللو
قال فصفنى فى خدى والعارض * فى أحسن صفات
قلت حله وردى من اطلس * فيها جمع الشتات
وعليها دار الطراز تنبيت * رقم ما احلاه نبات
قال ماهو الاشرب والحمره * دم من تقتلو
فيه خيالات خيوط زرق لاحت * من جفون تغزلو
قلت كف العتاب فى ذى الصفه * ما انا فى ذا القياس
وانظر فى دايره تمنطقها * بدر من غير قياس
واكسنى ثوب وقار ولبسنى * بالقسوه لباس
وان جا تخليصى غرض من يديك * بالوصال طولو
وان قصر باعى عن صفات مدحك * بالوفا ذيلو
جاز فى بستان مشهر القمصان * من بكر صابحو
مثل كف المنثور فى مكنونه * حين وقف صافحو
وقميص الشقيق من اكامو * بالخجل فاتحو
وقضيب الخلاف وقف عراه * فرق حين فصلو
واوثق ازراره الورد فى كمو * وعليه فضلو
دى الكلام يخلع ويتفرد * ويفصل مليح
ويفرج ويندرج اصلو * ويفتح صحيح
ويبطن من بعد تضريبو * بالسجاف يستريح
ويعرى من حبكه التخريم * ويزرروا و

سواء الطريق وهذا الخبرى
رجل سفله طلب الرياسة
بغير تحصيل آلاتها واجله
حصول الامنية عن تحصيل
أدواتها
والكلاب أحسن حالة
وهو النهاية فى الخساسه
ممن تصدر للريا
سة قبل ابان الرياسه
فولى المظالم وهو لا يعلم
اسرارها وحمل الامانة
وهو لا يعرف مقدارها
والامانة عند الفاسق
خفيفة الحمل على العاتق
تشفق منهما الجبال
وتحملها الجهال وقعد
مقعد رسول الله صلى الله
عليه وسلم بين كتاب الله يتلى
وحديث رسوله يروى وبين
البينة والدعوى فقبحه
الله من حاكم لا شاهد أعدل
عنده من السلة والجام
يدلى بهما الى الحكام
ولا خر كى اصدق لديه من
الصفر ترقص على الظفر
ولا وثيقة احب اليه من

انو يطوى والتشرفيه موزون * آخر وفى اولـــو

ومنه يعرض بذكر اضداده بدمشق

ذا الزجل قاسيون على الاعدا * جـدمافيـه خفف

وعلى ارباب المعرفة من ريش * النعامات اخف

للصغير والكبير فقـل عنى * واحذرا حذر تخف

كم زيادة على على وان كان * يشتهوا يعـملوا

هذا الابلق والشقرا والميـدان * اركبوا وادخـلوا

كأنى بمتأمل نظر فى رسم كتابة هـذا الزجل فانكر ابعده عن رسم الالفاظ المعربة الخالية من اللحن و يعـذر فى ذلك لانه ليس له المام بمصطلح رسمه ومن رسمه على غير هذا الطريق لم ينفذله مرسوم فانه يؤديه الى خطاوزنه واعراب لحنه * ومصنفه ابو بكر بن يحيى بن قزمان الوزير قال فى خطبته * وقد جردته من الاعراب * تجريد السيف من القراب * و لم يطلب من الزجل غير عذوبة الفاظه وغرابة معانيه انتهى ومن التواجيه اللطيفة فى الطب ما اتفق ان بعض الملوك خرج لقتال اعـدائه * فايده الله بنصره فطلب كاتب انشائه ليكتب على الفور حكاية الحال فتعذر وجوده فى ذلك الوقت فطلب طبيبه وامره بالكتابة بسرعـة وكان الطبيب حاذقا فكتب موجها فى صناعته * امابعـد فانا كامع العـدو فى حلقة كدائرة البيمارستان حتى لو رميت مبضعا لم يقع الاعـلى قيفال * ولم يكن الا بجس نبضـة أو نبضـتين حتى لحق العدو بحران عظيم * فهلك بسعادتك يامعتدل المزاج وكان ابو الحسين الجزار ونصير الدين الحمامى وسراج الدين الوراق لم يخرجوا عن هـذا النوع فى غالب نظمهـم ويأتى الكلام على ذلك فى مواضـعه من باب التورية وأما توجيـه اسماء انواع البديع فهو نسيج وحده * وواسطة عقده * وماذاك الا أنه رسم لى بانشاء توقيع المقر الاخوى الزينى عبد الرحمن ابن الخراط الشافعى احـد أعيان العصر فى الادب بكتابة السر بثغر طرابلس وانا منشئ ديوان الانشاء الشريف المؤيدى بالديار المصرية فقصـدت التوجيـه بالانواع المذكورة لتحصـل الملاءمة ومراعاة النظير بذلك فان صاحب التوقيع من المتميزين على كلا الحالين بحسـن الادب فمن ذلك قولى فى فصـل التعدية و بعد فهل انعامنا الشريف قد حلينا لاهـل الادب مورده * لتصير عقود انشائنا بجواهر منثوره منضده * وتطلع كل براعة باستهلالها فى أشرف المطالع * وتسكن النزاهة طباق البديع للمقابلة فيتنزه الناظر والسامع * ويقوم الاستخدام بما يجب عليـه من واجب الخدمة * ويزيل الاقتباس بنوره عن أهلتـه كل ظلمة * وتجول خيول الاستطراد فى رد العجز على صدره * ويحصـل لاهل الادب فى زماننا تمكين فيظهر الافتنان فى نظمه ونثره * ويصـير لفقه المذهب الكلامى فى ايامنا الشريفـة ترشيح ومماثلة ومناسبة * و يبرز فى توشيح التسليم من غير اعتراض مناقضة ومواربة * ويجنح العصيان الى الدخول تحت الطاعة * ويسمع القول بموجبه من غير مراجعـة فى كل براعة * ويزول التجاهل بالعارف * ويصير التسجيع والموار بة عند ايجازه بالمواقف * وكان المجلس العالى القضائى عبد الرحمن بن الخراط الشافعى ممن حسـن بيانه ايضاح وللسر عنـده

غمزات الخصوم على الكيس المختوم ولا وكيل وقع بوفاقه من خيبة الذيل وجمال الليل ولا كفيل عز عليـه من المنـديل الطبق فى وقتى الغسق الفلق ولا حكومة أبغض ليـه من حكومة المجلس ولا خصومة أوحش لديه من خصومـة المفلس ثم لو يل للفقـير اذا ظلم فما يغنيه موقف الحـكم الا بالقتـل من الظلم ولا يجير مجلس القضاء الا بالنار من الرمضاء واقسم وان اليتيم وقع فى انياب لاسود بل الحيات السود لكانت سـلامته منهـما أحسن من سلامته اذا قع بين غيابات هذا القاضى اقاربه وماظنك القاضى قوم يحملون الامانة على تونهم ويأكلون النار فى بطونهـم حتى تغاظ قصراتهم من مال اليتامى وتسمن اكفالهـم من مال

حسن ابداع * وللادب اليه التفات لانه بجواهر ترصيعه يشنف الاسماع * وهو الفاضل
الذى اذا نظم ازال بسهولة نظمه الابهام والتوهيم * واذا نثر عقود الانشاء فلا فرق بين عبد
الرحمن وعبد الرحيم * يحسن فى المطالعة والامثلة الشريفة طيه ونشره * وهو من الشعراء
فيما يعد من القصص اذا علا فى تفسيرها امره * فلذلك رسم بالامر الشريف لا زالت براعة
المطالب منظومة فى بديع زمانه بانعامه * ولا برحت أبوابه الشريفة فى تصريع وتشريع
لوفود اهل الادب فى ايامه * أن يستقر لانه ممن يحسن به التصبير ويحصل به الاكتفاء والتتميم
* ويجمع من نظمه ونثره بين التخميس والترسل فيحسن الجمع بهذا التقسيم * فليباشر ذلك
ويجعل الاستعانة بالله اماما من التنكيت والتعليل * ويصير لشقة الانشاء بعد النقص تسهيم
وتكميل * ويظهر ابرد الكلام بحسن تفصيله تفويف وتوشيع * ولاصول التهذيب
والتأديب مبالغة وتفريع * والوصايا كثيرة لا تخفى على الاديب الفاضل الاحتراس والفرق
بين المستوى والمقلوب * وبه يحصل النسق فى جمع القرائن وتظهر براعة التخلص فى عنوان
كل مطلوب * لانه الفاضل الذى ان سكن ثغرا لم يفته شنب التورية بحسن نظامه * أو جاور
بحرا فهو اديب والبحور فى تصريف أوامره فى نقضه وابرامه * والله تعالى يجعل نظم هذا
الثغر بحسن ادبه فى بلاغة وانسجام * وكما احسن له الابتداء يعضده بديع السموات والارض
بحسن الختام * وقد طال الشرح فى نوع التوجيه ولم يبق للاطالة وجه وبيت الشيخ صفى
الدين الحلى فى هذا النوع

خلت الفضائل بين الناس ترفعنى * بالابتداء فكانت أحرف القسم

الشيخ صفى الدين قصد فى توجيه بيته بعض قواعد النحو وهو بيت عامر بالمحاسن * وقد تقدم
ما أوردناه من هذا القسم وبيت بديعيتى

وأسود الخال فى نعمان وجنته * لى منذر منه بالتوجيه للعدم

التوجيه فى هذا البيت من القسم المقدم على التوجيه فى قواعد العلوم وقد تقدم فيه ان
يوجه المتكلم كلامه الى اسماء متلائمة اصطلاحا من اسماء الاعلام توجيها مطابقا لمعنى اللفظ
الثانى من غير اشتراك حقيقة بخلاف التورية وقد تقدم ذلك وتقرر الكلام عليه وعلى
التوجيه فى قواعد العلوم وبقية الفنون وعلى كل تقدير فالكل راجع الى طريق واحد
* والاشتراك هنا فى النعمان والمنذر ظاهر ولكن النكتة اللطيفة فى الاسود فان المتامل
ما يتخيل فى أول وهلة غير سواد الخال وجل القصد فى المعنى الآخر هو الملك الاسود اخو
النعمان بن المنذر وهو احد ملوك العرب والتورية ههنا فى التوجيه الذى هو اسم النوع
البديعى لم يفتها من المحاسن وجه وهذا هو الافق الذى أقمر فيه الشيخ علاء الدين الوداعى
والقاضى محيى الدين بن عبد الظاهر وغيرهما ممن اوردنا على هذا النوع نظامه * وأوصلنا الى
الغرض لما اطاق فيه سهمه * وما أخرت بيت العميان وبيت الشيخ عز الدين ونغرت نظم الترتيب
هنا الا لانهم نسجوا على غير هذا المنوال وتعوضوا عن مسارح الماء الحلو بالآل وبيت
العميان

ترى الغنى لديهم والفقير وقد * عادا سواء فلازم باب قصدهم

الايامى وما ظنك بدار
عمارتها خراب الدور وعطلة
القدور وخلاء البيوت
من الكسوة والقوت
وما قولك فى رجل يعادى
الله فى الفلس ويبيع
الدين بالثمن البخس وفى
حاكم يبرز فى ظاهر أهل
السمت وباطن أصحاب
السبت فعله الظلم البحت
وأكله الحرام السحت
وما رأيك فى سوس لا يقع
الا فى صوف الايتام وجراد
لا يسقط الا على الزرع
الحرام ولص لا ينقب
الا خزانة الاوقاف وكردى
لا يغير الا على الضعاف
وذئب لا يفترس عباد الله
الا بين الركوع والسجود
ومحارب لا ينهب مال الله
الا بين العهود والشهود
وما زلت أبغض حال القضاة
طبعا وجبلة حتى ابغضتهم
ديانة وملة والعنهم دربة
حتى لعنتهم قربة بما
شاهدت من هذا الحيرى

(فنا بحث لطيف) وهو أن العميان نظموا التوجيه بين التسمية التي تحتمل وجهين من المعنى على مذهب المتقدمين وهو الابهام وقد تقرر ان المتكلم فيه يبهم المعنيين بحيث لا يترشح احدهما على الآخر بقرينة واستشهدوا عليه بشاهد الابهام الذي نزلوه على التوجيه وهو قول الشاعر في الخياط وقد تقدم ليت عينيه سواء فالشاعر ابهم المعنيين بحيث يصير السامع والمتأمل ويعجز عن ترجيح احدهما ولم أر في بيت العميان غير التورية بين الغنى والفقر فان هؤلاء الممدوحين يعطون الفقير الى أن يصير مساويا للغنى وهذا هو المعنى الواحد وهو أوضح من ضوء الشمس اذا توقدت جمرة المصيف وأما المعنى الآخر فما وجدت في بيتهم له قرينة صالحة تدلني عليه وصاحب البيت أدرى بالذي فيه وقد تقدم أن نوع التوجيه قسمه البديعيون قسمين وذهب الى كل منهما فريق * وبيت الشيخ عز الدين مذبذب بين ذلك لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء وهو

نزهت طرفي وسمعي في محاسنه * وعنك ان تقصد التوجيه في الكلم

أصحاب الطريق الذي مشى عليها الشيخ عز الدين في نظم هذا النوع قالوا التوجيه الاصطلاحي أن يحتمل الكلام وجهين من المعنى وهذا هو الفرق بين التورية والتوجيه فان التورية باللفظة الواحدة والتوجيه لا يصح الا بعدة ألفاظ والشيخ عز الدين أتى بكلمة مفردة تحتمل معنيين فما نظم غير التورية والتوجيه بخلاف ذلك والكلمة التي اقتضت اشتراك المعنيين قوله نزهت فانه قال انه نزه طرفه في محاسن محبوبه وكأنه التفت الى العذول وقال له وعنك وهو وبيت العميان سافلان خاليان ليس فيهما من المحاسن ساكن والله أعلم

(ذكر عتاب المرء نفسه)

(يا نفس ذوقي عتابي قد دنا أجلي * متى ولم تقطعي آمال وصلهم)

هذا النوع اعني عتاب المرء نفسه لم اجد العتب مرتبا الاعلى من أدخله في البديع وعده من انواعه وليس بينهما نسبة والذوق السليم اعدل شاهد على ذلك ولولا أن الشروع في المعارضة ملزم ما نظمت حصاه مع جواهر هذه العقود ونهاية امره أنه صفة لحال واقعة ليس تحتها كبير أمر وهو من افراد ابن المعتز ولم يورد فيه غير بيتين ذكران الاسدي انشدهما عن الجاحظ وهما

عصاني قومي في الرشاد الذي به * امرت ومن يعص المجرب يندم
فصبرا بني بكر على الموت انني * أرى عارضا ينهل بالموت والدم

قال زكي الدين بن أبي الاصبع وقوله صحيح لم أر في هذين البيتين ما يدل على عتاب المرء نفسه الا ان هذا الشاعر لما أمر بالرشاد وبذل النصح ولم يطع ندم على بذل النصيحة لغير اهلها ويلزم من ذلك عتابه لنفسه فتكون دلالة البيتين على عتابه لنفسه دلالة التزامية لا دلالة المطابقة ولا يصلح ان يكون شاهدا على هذا النوع الا قول شاعر الحماسة

أقول لنفسي في الخلاء ألومها * لك الويل ما هذا التجلد والصبر

انتهى كلام ابن ابي الاصبع فانظر ما أحلى ما صرح هذا الشاعر بذكر النفس

وقاسيت وعاينت من خبطه وخلطه ما عاينت وسأسوق حديثي معه انه اصلحه الله قد فتش اعطاف نيسابور فما وجد الا رأسي دية والا لحيتي مذبة فجنى لي على خمسة آلاف درهم ارقت في كسبها ماء العمر واخرجتها من اثياب المطلوب الحر وخمسة أشهر من عمري كل يوم منها خير من عمر شريح القاضي في أمر البائع المعروف ببياع اسد عقد لي اجارة ثلاث سنين واحتملت دخله اياما قلائل ثم لم يكن مثلي معه الامثل البخاري الذي ضاع حماره وخرج في طلبه حتى عبر جيحون بسببه وفي كل منهلة ونشده طلبه في كل مرحلة وهو لا يجده حتى جاوز خراسان وأتى وانتهى الى طبرستان

عتاب المرء نفسه

واللوم لها وخاطبها بكاف الخطاب ليتمكن عتبه وتقريعه المؤلم لها * وبيت الشيخ صفي الدين الحلي فيه

انا المفرط أطلعت العدو على * سري وأودعت نفسي كف مجترم

الشيخ صفي الدين حكى أنه فرط في اطلاع عدوه على سره وايداع نفسه كف مجترم لا غير واين هو من قول شاعر الحماسة وقد قال لنفسه على سبيل العتب والتوبيخ

* لك الويل ماهذا التجلد والصبر * والعميان لم ينظموا هذا النوع في بديعيتهم وبيت الشيخ عز الدين الموصلي

عتبت نفسي اذ أتعبتها بهوى * مجهول سبل بلا هاد ولا علم

الشيخ عز الدين حكى أيضا انه عاتب نفسه وذكر أنه هو الذي اتعبها وكلفها حمل الهوى فالعتاب هنا من كل وجه لم يترتب على غيره ومامقدار هذا النوع حتى ان الشاعر لم يات به على صيغته لاسيما وتظام البديعيات قد التزموا أن يأتوا به شاهدا على نوعه وبيت بديعيتي

يانفس ذوقي عتابي قد دنا أجلي * متى ولم تقطعي آمال وصلهم

أقول ان هذا البيت ينظر الى بيت شاعر الحماسة في علو طباقه وان كان من الفحول التي لها فضيلة السبق فقد زاحمه في حلبة سباقه مع ان عروس التسمية يضوع عطرها من أطواق الطروس ويقول من كوم الذوق وقد عادله الشم لا عطر بعد عروس وابن هذا النشر الواضح والرقة التي ود النسيم لو انتظم معها وانسجم من عقادة بيت الشيخ عز الدين وقد امسى بها مجهولا بلا هاد ولا علم

(ذكر القسم)

برئت من أدبي والعزم من شيمي * ان لم أبر بنأي عنهم قسمي

القسم أيضا حكاية حال واقعة وليس تحته كبير أمر ولكن تقرر أن الشروع في المعارضة ملزم وهو ان يقصد الشاعر الحلف على شي فيحلف بما يكون له مدحا وما يكسبه فخرا وما يكون هجاء لغيره فمثال الاول قول مالك بن الاشتر النخعي في معاوية بن هند

بقيت وفري وانحرفت عن العلا * ولقيت اضيافي بوجه عبوس

ان لم أشن على ابن هند غارة * لم تخل يوما من ذهاب نفوس

فقول ابن الاشتر تضمن المدح لنفسه والفخر الزائد والوعيد للغير ومثله قول أبي علي البصير يعرض بعلي بن الجهم

أكذبت أحسن مايظن مؤملي * وهدمت ماشادته لي أسلافي

وعدمت عاداتي التي عودتها * قدما من الاسلاف والاخلاف

وغضضت من ناري ليخفى ضوءها * وقريت عذرا كاذبا أضيافي

ان لم اشن على علي خلة * تمسي قذى في أعين الاشراف

وقد يقسم الشاعر بما يريده الممدوح ويختاره كقول الشاعر

ان كان لي امل سواك اعده * فكفرت نعمتك التي لا تكفر

واحسن ماسمع في القسم على المدح قول الشاعر

العراق وطاف الاسواق فلما لم يجده وايس عاد وقد طالت اسفاره ولم يحصل حماره حتى اذا حصل في بلده بين اهله وولده أحب الله ان يلطف له لطفا ليعتبر به فنظر ذات يوم الى اصطبله فاذا الحمار بسرجه ولجامه وثفره وحزامه قائما على المعلف ينشش وانا أيضا مازال يرددني في هذا الباع باملي يرخيه ويشده وطمع يرسله ويمده حتى صار الباغ بارضه ومائه وزرعه وبنائه في يد الهمذاني الليس اطال الله بقاء القاضي يعامل مثلي بمثلها الامخنف أو سخيف اما السخي فالذي يجعل حرمه طعمة ويصيره في فم لقمة واما السخيف فالذي لا يبالي بما يؤول اليه عقباه ولا يوجه الصفع

القسم

حلفت بمن سوّى السماء وشادها * ومن مرج البحرين يلتقيان
ومن قام فى المعقول من غير رؤية * فأثبت فى ادراك كل عيان
لما خلقت كفاك الا لاربع * عقائل لم تعقل لهن ثوانى
لتقبيل افواه واعطاء نائل * وتقليب هندى وحبس عنان

والمقدّم فى هذا الباب وهو الذى انتهت اليه نهاية البلاغة قوله تعالى فورب السماء والارض انه لحق مثل ما أنكم تنطقون فانه قسم يوجب الفخر لتضمنه التمدح باعظم قدرة واكمل عظمة حاصلة من ربوبية السماء والارض وتحقيق الوعد بالرزق وحيث اخبر سبحانه وتعالى ان الرزق فى السماء وأنه رب السماء يلزم من ذلك قدرته على الرزق الموعود به دون غيره انتهى الكلام على القسم الذى يراد به الفخر والمدح والتعظيم وأما ما جاء من القسم فى النسيب فكقول الشاعر

جنى وتجنى والفؤاد يطيعه * فلا ذاق من يجنى عليه كما يجنى
فان لم يكن عندى كعينى ومسمعى * فلا نظرت عينى ولا سمعت اذنى

ومما جاء من القسم فى الغزل قول ابن المعتز

لا والذى سل من جفنيه سيف ردى * قدت له من عذاريه حمائله
ما صارمت مقلتى دمعا ولا وصلت * غمضا ولا سالمت قلبى بلابله

الذى وقع عليه الاتفاق ان هذا أحسن ما وقع من القسم فى الغزل اذ القسم والمقسم عليه كل منهما داخل فى باب الغزل ولكن قال الشيخ زكى الدين بن أبى الاصبع ان الذى وقع لجميل بن معمر العذرى فى هذا الباب ما تحسن العبارة تفصح عن لفظه ووصفه وهو قوله على لسان محبوبته

قالت وعيش أبى وأكبر اخوتى * لانبهن الحى ان لم تخرج
فخرجت خيفة أهلها فتبسمت * فعلمت ان يمينها لم تلجج

ثم قال اعنى ابن أبى الاصبع رحمه الله جملا لقد تطرف فى هذين البيتين ما شاء لانه أتى بهما من باب الهزل الذى يراد به الجد وأغرب فى القسم فيهما وادمج فى القسم حسن ائتلاف اللفظ مع المعنى وأتى بما لا يوفيه واصف حقه انتهى كلام ابن أبى الاصبع قلت واذا وصلنا فى القسم الى باب الهزل الذى يراد به الجد فمهذب الدين احمد بن منير الطرابلسى قائد هذا العنان * وفارس هذا الميدان * وما ذاك الا أنه هاجر الى مدينة السلام بغداد والشريف الموسوى نقيب الاشراف بها وبابه حرم الوافدين * وبه ينابيع الفضل التى هى مناهل الواردين * وكان يقال ان الشريف المشار اليه من كبار الشيعة ببغداد وعلى هذا أجمع غالب الناس فجهز اليه ابن منير عند قدومه بغداد هدية مع مملوكه تتر بل معشوقه الذى اشتهر به فى الخافقين غرامه * وأبدع فى أوصافه الجميلة نظامه * فقبل الشريف هديته واستحسن المملوك فادخله فى الهدية وقصد ان يعوضه عن ذلك باضعافه فلما شعر ابن منير بذلك التهبت احشاؤه على مملوكه بل معشوقه تتر وكتب الى الشريف على الفور قصيدة أولها

قوله قالت البيتين بعدهما فلثمت فاها آخذا بقرونها شرب النزيف لبرد ماء الحشرج

على قفاه والله المستعان والقاضى الفاضل المستجار والعن الله الحيرى ووقتا قطعته بذكره وقرطاسا دنسته باسمه والحمد لله

(وله الى بعض أهل همذان)

كتابى اطال الله بقاءك غرة شهر رمضان عرفنا الله بركة مقدمه وبين تجشمه وخصلك بتقصير ايامه واتمام صيامه وقيامه فهو وان عظمت بركته ثقيل حركته وان جل قدره بعيد قعره وان عمت رأفته طويل مسافته وان حسنت قربته شديد صحبته وان كبرت حرمته كبير حشمته وان سرنا مبتداه فلن يسوءنا منتهاه وان حسن وجهه فان يقبح قفاه وما احسنه فى القذال واشبه ادباره

عــذبت قلبي يا تتر * وأطــرت نومي بالفكر

ومنها

بالمشــعرين وبالصفا * والبيت اقسم والحجــر
وبمن ســعى فيــه وطا * ف به ولــبى واعتمــر
ان الشريف الموسوى ابن الشريف أبي مضر
ابدى الجحــود ولم يردّ الى ّ عماوكــى تتر
والبت آل اميــــة الطهر الميامـين الغــرر
وجحدت بيعــة حيدر * ورجعت عنــه الى عمر
واذا جرى ذكر الصحا * بة بين جمع واشــتهر
قلت المقــدم شــيخ تــيم * ثم صاحبــه عمــر
ماســل قط ظبا عــلى * آل النــبى ولا شــهر
كلا ولا صـــدّ البتو * ل عن التراث ولا زجر
وأثابها الحسنى وما * شــق الكتاب ولا بقــر
وبكيت عثمان الشهيــ * ــد بكاء نسوان الحضر
وشرحت حسن صلاته * جنح الظــلام المعتكر
وقرأت من أوراق مصــ * ــحفه براءة والزمر
ورثيت طلحــة والزبيــ * ــر بكل شــعر مبتكر
وازور قبرهمــا وأز * جرمن لحاني أوزجر
وأقول ام المــؤمنيــ * ــن عقوقها احدى الكبر
ركبت على جمــل لتصــ * ــلح بين بنيها فى زمر
وأتت لتصلح بين جيــ * ــش المسلمين على غرر
فاتى أبو حســـن وسلّ * حسامــه وسطا وكر
وأذاق اخوته الردى * وبعيرأمهـــم عقــر
ماضرّ لو كان كــف وعفّ عنهــم اذ قدر
واقول ان امامكم * ولى بصــفين وفــر
واقول ان أخطا معا * وية فما اخطا القــدر
هــذا ولم يغــدر معا * وية ولا عمرو مكــر
بطــل بسوأته يقا * تل لا بصارمــه الذكر
وجنيت من ثمــر النوا * صب ماتمــر واختمــر
واقول ذنب الخارجيــ * ــين على على يغتفــر
لا ثائر لقتالهـــم * فى النهــروان ولا أشر
والاشــعرى بما يؤ * ل اليــه امرهما شعر
قال انصــبوا لى منبرا * فانا البرىء من الخطر

بالاقبال جعل الله قدومه سبب ترحاله وبدوه فداء هلاله وامر فلكه تحريكا لتنقضى مدته وشيكا واظهر هلاله مضيفا ليزف الى اللذات زفيفا وعفا الله عن منزح يكرهه ومجون يسخطه ورد كتابك فاى سرور ولم يرد بوروده وأى حبور لم أجد بوجوده وسرنى تزايد بيانك كما ساءنى البعد عن عيانك وابهجنى كتابك كما ازعجنى عتابك ولست املك مقابلة لك على ماتوليه من جميل فى حفظ تلك المعايش وصيانتها أكثر من تقلد المنة واحسن من اذاعة الشكر والسلام

(وله جواب كتاب رئيس هراة عدنان بن محمد)

كتابى اطال الله بقاء الشيخ من نيسابور وقد غطت على سبلها وضاقت على برحبها شوقا اليه عن سلامة وردتم بحضرته

فقد لأبو قال بطليت صا * حبكيهأ بعزو اختصر
واقول انى زيد نما * شرب الخمور ولا فجر
ولبثت مالكف عن * ابناء فاطمة أمر
وحلقت فى عشر المحرم ما استطال من الشعر
ونويت صوم نهاره * وصيام ايام أخر
ولبست فيه اجل ثو * ب للملابس يدخر
وسهرت فى طبخ الحبو * ب من العشاء الى السحر
وغدوت مكتحلا اصا * فح من لقيت من البشر
ووقفت فى وسط الطريـ * ـق أقص شارب من عبر
وغسلت رجلى ضلة * ومسحت خفى فى السفر
وآمين اجهر فى الصلا * ة كمن بها قبلى جهر
وأسن تسنيم القبو * ر لكل قبر محتفر
واذا جرى ذكر الغديـ * ـر أقول ماصح الخبر
ولبست فيه من الملا * بس ما اضمحل وما دثر
وسكنت جلق واقتديـ * ـت بهم وان كانوا بقر
واقول مثل مقالهم * بالشام يا قد فشر
مصطيحى مكسورة * وفطيرتى فيها قصر
نقريرى برئيسهم * طيش الظليم اذا نفر
وخفيفهم مستثقل * وصواب قولهم هدر
وطباعهم بجبالهم * طبعت وقدت من حجر
مايدرك التشبيب تغـ * ـريد البلابل فى السحر
وأقول فى يوم غدا * رله البصيرة والبصر
والصحف ينشر طيها * والنار ترمى بالشرر
هذا الشريف اضافى * بعد الهداية والنظر
فقال خذ يد الشريـ * ـف فمستقر كما سقر
لواحة تسطو فما * تبقى عليه ولا تذر
والله يغفر للمسى * ء اذا تنصل واعتذر
فاخش الاله بسوء فعـ * ـلك واحتذر كل الحذر
والبكها بدوية * رقت لرقتها الحضر
شامية لو شامها * قس الفصاحة لافتخر
ودرى وايقن اننى * بحر والفاظى درر
وبديعة كبديعة * عذراء ترفل فى الحبر
حبرتها فغدت كزهـ * ـر الروض باكره المطر

لسبع بقين من شهر رمضان
اراني الله لقاءه غاية سنه
واسعده والحمد لله وقد ورد
كتاب الرئيس فاتت ورود
النعم تترى الى ومثلت لدى
و بين يدى ووجدت الشيخ
قد اخذ مكارم نفسه فجعلها
قلادة غرسه وتتبع المحاسن
من عنده فحلى بها نحر
عبده وما اشبه رائع حليه
فى نحر وليه بالغرة اللائحة
على الدهمة الكاملة لا
وآخذ الله الشيخ بوصف نزعه
عن عرضه وزرعه فى غير
أرضه ونمت سلخه من
خلقه وخلقه فاهداه الى
غير مستحقه وفضل
استفاده من فرعه واصله
واوصله الى غير اهله ذكر
حديث الشوق ولو كان
الامر بالزيارة حتما أو
الاذن أطلق جزما لكان
آخر نظرى فى الكتاب أول
نظرى الى الركاب
ولاستعنت على كلف
السير باجنحة الطير لكنه
ادام الله عزه صرفنى بين يد
بمربعة النبذ ورجل
وشبكة للاخذ واراني

والى الشريف بعثتها * لما قرأها فانبهر
رد الغلام وما استقر على الجحود ولا اصر
والآبي وجزيته * شكرا وقال لقد صبر

أقول انه يغتفر لى طول الشرح لغرابة اسلوب هذه القصيدة فانى لم أتبجح بها عن القصد لانها مبنية على القسم وجوابه من البراعة الى الختام وأما هزلها الذى يراد به الجد فانه غاية لا تدرك وطريق ما رأينا الغير فيها سالك وبيت الشيخ صفى الدين فى بديعيته على هذا النوع أعنى القسم نسجه على المنوال الاول الذى هو مبنى على المدح والفخر والتعاظم وعلو الهمة وهو قوله

لا اقتبنى المعالى بابن بجدتها * يوم الفخار ولا برّ التقى قسمى

هذا البيت منسوج على المنوال المذكور ولكن فيه نقص لانه غير صالح للتجريد ولم يأت ناظمه بجواب القسم الا فى بيت الاستعارة التى ترتب بعده وهو

ان لم احث مطايا العزم مثقلة * من القوافى تؤم المجد عن أمم

وأصحاب البديعيات شرطوا أن يكون كل بيت شاهدا على نوعه بمجرده واذا كان البيت له تعلق بما بعده أو بما قبله لا يصلح ان يكون شاهدا على ذلك النوع * ولقد عجبت للشيخ صفى الدين كيف فتر عزمه وقصرت همته عن هذا القدر الذى يتطاول الى ادراكه كل قاصر واين هو من قول القائل فى طريقته الغرامية التى حركت السواكن حيث قال

حرمت الرضا ان كنت خنتك فى الهوى * وعوقبت بالهجران ان كنت كاذبا

انظر ما أحلى ما أتى بالقسمين وجوابيهما فى بيت واحد مع عدم التعسف والرقة التى كادت أن تسيل لطفا والعميان لم ينظموا هذا النوع فى بديعيتهم * وبيت الشيخ عز الدين الموصلى

برئت من سلفى والشم من شممى * ان لم أدن بتقى صبرو رقا القسم

بيت الشيخ عز الدين مبنى على الفخر والتعاظم وعلو الهمم وهو صالح للتجريد بخلاف بيت الشيخ صفى الدين هذا مع التزام الشيخ عز الدين بتسمية النوع وبيت بديعيتى

برئت من أدبى والعزم من شيمى * ان لم ابر بنأى عنهم قسمى

وهذا البيت مبنى على الفخر والتعاظم وعلو الهمة * وفى قولى والعزم من شيمى غاية الفخر ولكن اللطف الزائد قول الاديب فى القسم برئت من ادبى مع التورية التى ترفل فى حلل الحشمة وتسمية النوع والتقفية به لا تخفى على أهل الذوق من اهل الادب والله أعلم

(ذكر حسن التخلص)

ومن غدا قسمه التشبيب فى غزل * حسن التخلص بالمختار من قسمى

حسن التخلص هو أن يستطرد الشاعر المتمكن من معنى الى معنى آخر يتعلق بممدوحه بتخلص سهل يختلسه اختلاسا رشيقا دقيق المعنى بحيث لا يشعر السامع بالانتقال من المعنى الاول الا وقد وقع فى الثانى لشدة الممازجة والالتئام والانسجام بينهما حتى كأنهما أفرغا فى قالب واحد ولا يشترط أن يتقدم التخلص منه بل يجرى ذلك فى أى معنى كان فان الشاعر قد يتخلص من نسيب أو غزل أو فخر أو وصف روض أو وصف طلل بال أو ربع خال أو معنى

زهدا فى ابتغاء كسوف ارتفاعه ونزاعا فى نزوع كذهاب فى رجوع ورغبة فى كرغبة عنى وكلاما فى الغلاف كالضرب تحت اللحاف فلم أصرح بالاجابة وقد عرض بالدعاء ولم أعلن بالزيارة وقد أسر بالنداء ولم يدعنى بلسان المناجاة ولم يجاهرنى بفم المناجاة ولو فعل لكنت اليه أسرع من الكرم الى طرفيه وفكرت فى مراد الرئيس فوجدته لا يتعدى الكرم بسبب تارة والفضل تارة فاذا كان الامر كذلك فما أولاه بترفيه مولاه عن زفرة صاعدة بسفرة باعدة وزكاة جاهدة فى شتوة باردة فليستفتح كل منا الى صاحبه بما عنده فابعث بما عندى وهو المدحة ليبعث بما عنده وهو المنحة وها هو قد أوردت سلعتى فليصدر خلعته وقد أنفذت

(حسن التخلص)

من المعاني يؤدي الى مدح [illegible] ذلك والاحسن أن يتخلص الشاعر من الغزل الى المدح والفرق بين التخلص والاستطراد ان الاستطراد يشترط فيه الرجوع الى الكلام الاول أو قطع الكلام فيكون المستطرد به آخر كلامه والامران معدومان في التخلص فانه لا يرجع الى الاول ولا يقطع الكلام بل يستمر على ما يتخلص اليه وهذا النوع أعني حسن التخلص اعتنى به المتأخرون دون العرب ومن جرى مجراهم من المخضرمين ولكنه لم يفتهم فانهم أوردوا الزهير في هذا الباب قوله

ان البخيل ملوم حيث كان ولـ * ـكن الكريم على علاته هرم

انظر الى هذا العربي القديم كيف أحسن التخلص من غير اعتناء في بيت واحد وهذا هو الغاية القصوى عند المتأخرين الذين اعتنوا به وعلى كل تقدير فمن كلام العرب استنبط كل فن فانهم ولاة هذا الشأن لكنهم كانوا يؤثرون عدم التكلف * ولا يرتكبون من فنون البديع الا ما خلا من التعسف فمن ذلك قول الفرزدق وأجاد الى الغاية

وركب كأن الريح تطلب عندهم * لها ترة من جذبها بالعصائب
سروا يخبطون الليل وهي تلفهم * الى شعب الاكوار من كل جانب
اذا آنسوا نارا يقولون ليتها * وقد خصرت ايديهم نار غالب

ومثله قول أبي نواس

تقول التي من بيتها خف محملي * يعز علينا أن نراك تسير
أما دون مصر للغنى متطلب * بلى ان أسباب الغنى لكثير
فقلت لها واستعجلتها بوادر * جرت فجرى في اثرهن عبير
دعيني أكثر حاسديك برحلة * الى بلد فيه الخصيب أمير

ومثله في الحسن قوله

واذا جلست الى المدام وشربها * فاجعل حديثك كله في الكاس
واذا نزعت عن الغواية فليكن * لله ذاك النزع لا للناس
واذا أردت مديح قوم لم تمن * في مدحهم فامدح بني العباس

أقول ان هذه الطريق التي مشى عليها أبو نواس ومن تقدمه من المتقدمين ممن أوردت نظمه في هذا الباب وهي حسن التخلص ببيت واحد باستطراد رشيق ينتقل الشاعر به من الشطر الاول الى الشطر الثاني فانت خولا من الشعراء كالبحتري وأبي تمام في غالب القصائد على أنهما المقدمان في هذا الشأن وقد تقرر أن حسن التخلص ما كان في بيت واحد يثب الشاعر من شطره الاول الى الثاني وثبة تدل على رشاقته وقوته وتمكنه في هذا الفن واذا لم يكن التخلص كذلك سمي اقتضابا وهو ان ينتقل الشاعر من معنى الى معنى آخر من غير تعلق بينهما كأنه استأنف كلاما آخر وعلى هذه الطريقة مشى غالب العرب وغالب المخضرمين وكثير من شعراء المولدين فمن ذلك قول البحتري في قصيد وقد جرى في مبادين غزلها الى أن قال من غير ارتباط

وردنا الى الفتح بن خاقان انه * اعم ندى فيكم وأيسر مطلبا

واذا أنفذا خدمت وباسيهان الله ما أكثر الكذابة في هذا الفضل وقد صدر مصدر الهزل فلا يشغل الشيخ قلبه بشيء منه فاني صنيعته وصل أم قطع وغلامه أعطى أو منع وأبو فلان قد أجبت عن كتبه فلم يقذعنا بعتبه وازلجت العلة في جوابه فلم يحرقنا بنابه أنا استعفيه من سخطه كما استجيره من شططه وأسأله الدوام على معهود وصاله كما أمنعه الخروج عن محمود خصاله وأشكره على ما أتى كما أشكره على ما بقي وقد زاد في امر المخاطبة وما أحسن الاعتدال وقد كفانا نية الاستاد وأسأله أن لا يزيد وقد بدأ ويجب ان لا يعيد فلا تنفع كثرة العدد مع قلة المعدود والزيادة في الحد نقصان من المحدود ورب ربح أدى الى خسران وزيادة أفضت

وهذه النبذة التي ابرزتها هنا من نظم المتقدمين في حسن التخلص عزيزة الوجود فانها ما تيسرت الا بعد بذل الجهد في جمعها وهذا النوع البديع ما اعتنى به غير حذاق المتأخرين وما سحبوه جميعه الا على المنوال المذكور ولعمري انها طريقة بديعة ونوع من السحر يدل على رسوخ القدم في البلاغة وتمكن الذهن من البراعة وان لم يكن كذلك لم يعد من أنواع البديع والقرائح تختلف فيه وتتفاوت وقد عن لي ان انبه على قبح المخالص التي لا تعد من انواع البديع لينفتح ذهن المبتدئ في هذا الفن فمن ذلك قول أبي الطيب المتنبي وان كانت له المخالص الفائقة

خيلا اطلقها كل خاو تهاما * واصبح كل مستور خليعا
احبك أو يقولوا جر نمل * ثبيرا وابن ابراهيم ريعا

انظر ما أبرد هذا التخلص وأشد تعسفه ومعناه أنه علق انقضاء حبها على غير ممكن وهو أن يجر النمل الجبل المشمخر ثبيرا وأن يخاف ممدوحه فجعل خوف الممدوح نظير جر النمل لثبير لتعذر وأن كلا منهما من المستحيلات ومن مخالصه القبيحة ايضا قوله

على الامير يرى ذلي فيشفع لي * الى التي تركتني في الهوى مثلا

وسبب قبح هذا التخلص كونه جعل ممدوحه ساعيا بينه وبين محبوبته في الوصال ولا خفاء في دنو هذه المرتبة وقد سبقه ابو نواس الى ذلك ولكنه اقل شناعة مع أن الكل قبيح حيث قال

سأشكو الى الفضل بن يحيى بن خالد * هواك لعل الفضل يجمع بيننا

وقد سبقهما الى ذلك قيس بن ذريح حين طلق لبنى وتزوجت غيره فندم على ذلك وشبب بها في كل معنى فرحمه ابن أبي عتيق فسعى في طلاقها من زوجها واعادها الى قيس فقال يمدحه

جزى الرحمن افضل ما يجازي * على الاحسان خيرا من صديق
فقد جربت اخواني جميعا * فما ألفيت كابن ابي عتيق
سعى في جمع شملي بعد صدع * ورأي حدت فيه عن الطريق
واطفأ لوعة كانت بقلبي * أغصتني حرارتها بريقي

فلما سمعها ابن أبي عتيق قال لقيس يا حبيبي امسك عن هذا المدح فما يسمعه احد الا ظنني قوادا ومن المخالص التي استحسنوها للبحتري قوله

رباع تردت بالرياض مجودة * بكل جديد الماء عذب الموارد
اذا راوحتها مزنة بكرت لها * شآبيب مجتاز عليها وقاصد
كأن يد الفتح بن خاقان أقبلت * عليها بتلك البارقات الرواعد

ومن المخالص المستحسنة لابي تمام قوله من قصيد

ما زلت عن سنن الوداد ولا غدت * نفسي على الف سواك تحوم
لا والذي هو عالم أن النوى * مر وأن ابا الحسين كريم

هذا التخلص مقدم على مخالص البحتري من وجوه احدها التخلص من النسيب الى المدح

الى نقصان ورأى الشيخ في تشريفه بجوابه موفق ان شاء الله

(وله ايضا)

ورد يا سيدي فلان وهو عين بلدتنا وانسانها وقلبها ولسانها فاظهر آيات فضله لا جرم انه وصل الى الصميم من الاحباب الكريم وهو الآن مقيم بين روح وريحان وجنة نعيم تحيته فيها سلام وآخر دعواه ذكرك يا سيدي وشكرك وأحسن الثناء عليك بما أنت اهله وانا اصدق دعواه وافتخر بمجلسك افتخار الخصي بمتاع مولاه وقد عرفت فلانا ولسنه وكيف يجري في الخطابة رسنه فاظنك به وقد ملكته المحاسن ولحظته العيون وسال صارما من فيه بعيد شكرك ويسديه وينشر ذكرك ويطويه والجماعة تمدح بمدحه وتجرح بجرحه

والثانى حسن الانسجام والثالث وجود حل القصد الأنسبة فى بيتها التخلص من الشطر الاول الى الشطر الثانى باسرع اختلاس وهذا الذى عقد المتأخرون الخناصر عليه وصار لهم فيه اليد الطولى ومثاله قوله من قصيد

فالارض معروف السماء قرى لها * وبنو الرجاء لهم بنو العباس

ومن مخالص أبى الطيب الفائقة قوله من قصيد يمدح بها أبا ايوب احمد بن عمران بن ماهو مطلعها

سرب محاسنه حرمت ذواتها * دانى الصفات بعيد موصوفاتها

معنى هذا المطلع فى غاية الحسن والغرابة فانه يقول هذا سرب حيل بينى وبين كل حسناء منه وهذه الحسناء صفاتها دانية عند ذكرها بالقول ولكن ذاتها الموصوفة بعيدة ولم يزل فى غرا هذا الاسلوب الى أن قال متخلصا

ومطالب فيها الهلاك أتيتها * ثبت الجنان كاننى لم آتها

أقبلتها غرر الجياد كانما * أيدى بنى عمران فى جبهاتها

أقول سبحان المانح هذا هو السحر الحلال والشرب الذى أمست المشارب الصافية عنده كالآل ومثله فى الغرابة التى هى من معجزات المتنبى قوله من قصيد يمدح بها على بن عامر ويعرض بذكر أبيه عامر ومدحه بعد وفاته مطلعها

اطاعن خيلا من فوارسها الدهر * وحيدا وما قولى كذا ومعى الصبر

وما احلى ما قال بعده

واعجب من ذا كل يوم سلامتى * وماثبتت الاوفى نفسها أمر

ولم يزل ينفث بصدق عزائمه فى هذا السحر الذى سحر به العقول وخلب القلوب الى أن قال

ويوم وصلناه بليل كأنما * على أفقه من برقه حلل حمر

وليل وصلناه بيوم كأنما * على متنه من دجنه حلل خضر

وغيث ظننا تحته أن عامرا * علا لم يمت أو فى السحاب له قبر

ومثله قوله من قصيدة دالية يمدح بها سيف الدولة بن حمدان مطلعها

عواذل ذات الخال فى حواسد * وان ضجيع الخود منى لماجد

وما ألطف ما قال بعده

يرد يدا عن ثوبها وهو قادر * ويعصى الهوى فى طيفها وهو راقد

ولما انتظم له هذا الدر فى هذه الاسلاك البديعة قال

خليلى انى لا أرى غير شاعر * فكم منهم الدعوى ومنى القصائد

فلا تعجبا ان السيوف كثيرة * ولكن سيف الدولة اليوم واحد

ومن مخالص ابى العلاء أحمد بن سليمان على طريق المديح فانه لم يكن من طلاب الرفد قوله من قصيد

ولوان المطى لها عقول * وحقك لم نشد لها عقالا

فرأيتك فى حفظ اخلافك التى اغرت هذا الشكر وانتجت هذه المآثر الغر موفقا ان شاء الله

(وله ايضا كتبها الى الرئيس ابى جعفر الميكالى)

الشيخ تملك من قلبى مكانا فارغا فنزله غير منزل قلعه ومن مودتى ثوبا سابغا فلبسه غير لابسة خلعه ومن نصب تلك الشمائل شبكا وارسل تلك الاخلاق شركا قنص الاحرار واستعبدهم وصاد الاخوان واسترقهم وبالله مايغبن الامن اشترى عبدا وهو يجد حرا بارخص من العبد ثمنا واقل من البيع غبنا ثم لا ينتهز فرصة امتلاكه ولا يهتبل جدة حوزه وانا أنم للشيخ على مكرمة يتيمة وسعى ذى شامة وشية فليعتزل من الرأى ما كان بهيما وليطلق من النشاط ما كان عقيما وليحلل حبوة التقصير وليجتنب جانب

مواصلة بها رحلى كأنى * من الدنيا أريد بها انتقالا
سألن فقلن مقصدنا سعيد * فكان اسم الامير لهن فالا

هذا المخلص أيضا من العجائب فان الشيخ ابا العلاء سبكه فى قالب التورية والاتفاق البديع وكان اسم الامير فى فالهم سعيدا والعرب ما برحوا يتفاءلون بالاسم الحسن و يتطيرون من ضده ومما استحسن لابن حجاج من المخالص قوله

الا يا ماء دجلة لست تدرى * بانى حاسد لك طول عمرى
ولو أنى استطعت سكرت سكرا * عليك فلم تكن ياماء تجرى
فقال الماء قل لى كل هذا * بم استوجبته ياليت شعرى
فقلت له لانك كل يوم * تمر على أبى الفضل بن بشر
تراه ولا أراه وذاك شئ * يضيق عن احتمالك فيه صبرى

قال صاحب المثل السائر حين أورد هذه الابيات ما علمت معنى فى هذا المقصد أبدع ولا أعذب ولا أرق ولا أحلى من معنى هذا اللفظ و يكفى ابن حجاج من الفضيلة أن يكون له مثل هذه الابيات قلت ولعمرى ان المخلص والابيات بكمالها دون اطناب ابن الاثير فى الوصف ولكن قال زكى الدين بن أبى الاصبع فى كتابه المسمى بتحرير التحبير لما انتهى الى هذا النوع اعنى حسن التخلص اذا وصلت الى ابن حجاج فى هذا الباب فانك تصل الى ما لا تدركه الالباب فمن ذلك قوله على طريقته المعهودة منه

وقد بادلتها غبالها لى * بعشورة استها ولها قذالى
كالابن العميد جميع مدحى * ودنيا ابن العميد جميعها لى

ومن المخالص الفائقة قول الاستاذ أبى الحسن مهيار بن مرزويه الكاتب من قصيدة بائية يمدح بها الامير سيف الدولة بن مزيد مطلعها

هب من زمانك بعض الجد للعب * واهجر الى راحة شيأ من التعب

ولم يزل ماشيا على هذا السنن الى أن قال

تسعى السقاة علينا بين منتظر * بلوغ كأس ووثاب بمستلب
كما تقول لنا البابلى ادر * سلافة قولنا المزيدى هب

ومثله قوله من قصيدة حائية يمدح بها الاستاذ ابا طالب بن ايوب

يامن ثناياه التى * غولطت عنها بالاقاحى
غلط المقايس بابن أيوب السحابة فى السماح

و يعجبنى من مخالصه قوله من قصيدة رائية يمدح بها فخر الملك ولم يزل يرفل فى حلل غزلها ونسيبها الى أن قال

أرى كبدى وقد بردت قليلا * أمات الهم أم عاش السرور
ام الايام خافتنى لانى * بفخر الملك منها استجير

ومما يعجبنى ايضا الى الغاية قوله من قصيدة عينية يمدح بها الوزير عميد الدولة مطلعها

لو كان يرفق ظاعن بمشيع * ردوا فؤادى يوم كاظمة معى

التاخير وليقتض عذرتها وليقض حجها او عمرتها برأى يجتلب الجد بناعه ويعمر النشاط رباعه وتلك حاجة سيدى ابى فلان فقد ورد من الشيخ بحرا وعقد منه جسرا وما عسر وعد وهو منتجزه ولا بعد أمر وهو منتهزه ولا ضاعت نعمة أنا بريد ذكرها وضامن شكرها وغريم نشرها وولى أمرها وهذا الفاضل قرارة بنائها ومثابة أدائها فقد شاهدت من ظرفه ما أعجز عن وصفه وعرفت من باطنه ما لم يزد بظاهره ورأيت من أوله ما نم على آخره ثم له البيت المرموق والنسب الممدوق والاولية القديمة والشيم الكريمة وقد جمعنا فى الود خلفه ونظمنا فى السفر رفقه وعرفنى ما نمض له ونهضه فضمنت عن الشيخ كرما لا يغلق بابه وغيثا لا يخلف

ولم يزل يطلق العنان في حلبة البلاغة الى ان سبق الغاية قال

ان شاء بعدهم الحيا فليسكب * أو شاء ظل غمامة فليقلع

فقليل جسمي في ذيول ربوعهم * كاف وشربي من قرا أشل أدمعي

كرمت جفوني في الديار فأخصبت * فغنيت أن أرد المياه وأنتجع

فكأن دمعي مد من أيدي بني * عبد الرحيم ومائها المستنبع

وما أحلى ما قال بعده وهو مخلص آخر

وكأن ليلي من تفاوت طوله * أسيافهم موصولة بالأذرع

ولم أكثر من محاسن مهيار هنا الا لعلي بغرابة شعره وعزة وجود ديوانه ومن المخالص التي تصلح أن تكون واسطة في هذا العقد قول أفقه الشعراء وأشعر الفقهاء كما قال وهو القاضي أبو بكر أحمد الارجاني من قصيدة يمدح بها وفي الدين الكاتب مطلعها

وعدت باستراقة للقاء * وبإهداء زورة في خفاء

وما أحلى ما قال بعده

ثم غارت من أن يماشيها الظل فسارت في ليلة ظلماء

ثم خافت لما رأت أنجم الليل شبيهات أعين الرقباء

فاستنابت طيفا يلم ومن يشك لك عنا تهمت بالاغفاء

هكذا نيلها اذا نولتنا * وعناء تسمح البخلاء

يهدم الانتهاء باليأس منها * ما بناء الرجاء بالابتداء

ولم يزل راتعا في هذه الحدائق الغضة الى أن قال

تركتني معانيا لمغان * واعادت أعاديا أصدقائي

رنقت مشربي وقد كان عين الشمس والماء دونه في الصفاء

بعد عهدي بعيشتي وهي خضرا * تتثنى كالبانة الغناء

واموري كأنها ألفات * خطهن الولي في الاستواء

ومن جواهر مخالصه المنتظمة في هذا السلك قوله من قصيدة رائية يمدح بها سديد الدولة محمد بن عبد الكريم الانباري مترسل الخلافة وكاتب انشائها مطلعها

سل ارسوما أقامت بعد ما ساروا * أعندها من اهيل الحي أخبار

ورقوا عاتق من حملها مننا * للسحب فيها وللاجفان اسآر

ولم يزل مبدرا في هذا الافق النير الى أن قال

أقسمت ما كل هذا الضيم محتمل * ولا فؤادي على ما شمت صبار

الا لانك مني اليوم نازلة * في القلب حيث سديد الدولة الجار

ومن مخالصه الصافية التي مازجها بسلاف التورية قوله من قصيدة بائية يمدح بها شهاب الدين احمد بن أسعد الطغرائي مطلعها

اذا لم يخن صب ففيم عتاب * وان لم يكن ذنب ففيم متاب

وما ألطف ما قال بعده

اجل

ما بكم وبقي ان يطرحني الشيخ عن عهدة الثقة زادها الله تأكدا فان راى ان اسال الشيخ في معناه عرفني كيف المأتى له وانما اطلب ليعلم صدق اهتمامي وفرط تقلدي اليه (وله الى الشيخ ابي اسحق ابراهيم بن حمزة) لو كانت الدنيا اطال الله بقاء الشيخ على مرادي لاخترت ان اضرب على هذه الحضرة اطناب عمري وانفق على هذه الخدمة ايام دهري لكن في اولاد الزنا كثرة ولعين الزمان نظرة وقد كنت خطبت من خدمة الشيخ شرعة قد نغصها على بعض الوشاة وذكر اني أقت بطوس بعد استئذاني الى مرو وفي هذا ما يعلمه الشيخ فان رأى أن يحسن

أجل ما لنا الا هواهم جناية * فهل عندهم غير الصدود عقاب

ولم يزل سائراً فى سهولة هذه الجادة الى أن قال

فلا تكثرن شكوى الزمان فانما * لكل ملم جيئة وذهاب

وقد كان ليل الفضل فى الدهر داجيا * الى أن بدا للناظرين شهاب

والارجانى أيضا نظمه غريب فى هذه البساطة فلذلك أوردت منه هنا هذه النبذة اللطيفة والله اعلم * وقد آن لى أن أقدم مقصد ملك التتائج من اشعار المتأخرين فى هذا النوع فانهم رياحين حدائقه * واقمار شارقه * فالمقدم هنا قاضيهم الفاضل الذى ارتفع الخلاف بقضائه ونفذ حكمه بالموجب على ملوك هذه الصناعة * وتقدم باستيفاء شرائط التقديم فصلى خلفه امامته الجماعة * فمن محاسنه الفاضلية قوله من قصيد يمدح بها خليفة الفاطميين فى ذلك العصر مطلعها

ترى لحنينى أو حنين الحمائم * جرت فضحكت دمعى بدموع الغمائم

(وما احلى ما قال بعده)

وهل من ضلوعى أو ربوع ترحلوا * فكل أراها دارسات المعالم

دعوا نفس المقروح تحمله الصبا * وان كان يمضوا بالغصون النواعم

تاخرت فى حمل السلام عليكم * لديها لما قد حملت من تمائم

فلا تسمعوا الاحديثا لناظرى * يعاد بالفاظ الدموع السواجم

فان فؤادى بعدكم قد فطمته * عن الشعر الا لمدحه لابن فاطم

ومثله قول العلامة الشيخ شرف الدين عبد العزيز الانصارى شيخ شيوخ حماة من قصيدة دالية يمدح بها النبى صلى الله عليه وسلم مطلعها

ويلاه من نومى المشرد * وآه من شملى المبدد

ولم يزل يدير على خصور هذه الالفاظ الرقيقة وشاحات معانيه البديعة الى أن قال

اكسبنى نشوة بطرف * سكرت من خمره فعربد

غصن نقاحل عقد صبرى * بلين خصر يكاد يعقد

فمن رأى ذلك الوشاح الصائم صلى على محمد

ومثله قوله من قصيد يمدح بها الملك الناصر صلاح الدين يوسف مطلعها

لنا من ربة الخالين جاره * تواصل تارة وتصد تاره

تعاملنى بما يحلى سلوى * ولكن ليس فى جوفى مراره

ولم تزل أعين هذا الغزل الرقيق تغازله الى ان قال

وقالوا قد خسرت الروح فيها * فقلت الربح فى تلك الخساره

بأيسر نظرة أسرت فؤادى * كانشأ اللهيب من الشراره

ويقتل طرفها فيقول قلبى * آشن ترى صلاح الدين غاره

ومثله قوله من قصيدة يمدح بها الملك الامجد

ظبية حكم ظبا مقلتها * عزة الظبى وذل الاسد

تجهيزى فى هذه الرقعة بكتاب بطرزه مقدمى فعل ان شاء الله

(وله اليه ايضا)

خادم الشيخ قد اتبع فى الخدمة قلمه وأتلى لسانه فى الحاجة بنانه وقد كان استأذنه فى توفير هذا اليوم على مجلس السيد فاذن على عادته الكريمة وشيمته البتيمة ومن وجد كلأ رتع ومن صادف غيثا انتجع ومن اجيب الى الحاجات سأل وبقى ان يشفع الشيخ بازاء الحوض عذره ويتقدم الى روض الاحسان مطره ويطرز أنسنا بالشيخ ابى فلان فقد وصف حتى حببت شوقا اليه ووجدا به وشغفا هو وغلوا فيه ورأيه فى الاصغاء الى الكرم عال ان شاء الله تعالى (وله جواب عما كتب اليه تهنئة عن مرض ابى بكر الخوارزمى

كتب في زمن الهوى تجمعه * وهي كانت زلة الجهد

كملت حسنا فلولا بخلها * خلتها بعض خلال الاجد

ومن المخالص التي نقلتها من ناصح بن قلاقس قوله من قصيدة يمدح بها ابا المنصور نور الدين محمود اعين الامراء بالديار المصرية

ماذا على العيس لو عادت بربتها * بقدر ما تتقاضاها المواعيدا

رد الركاب لامرء عن في خلدي * وسعه في بديع الحب ترديدا

وقف ابنك مالات الحديد له * فان صدقت فقل حل آبت داودا

حلت عرا النوم عن أجفان ساهرة * ردا الهوى هدبها بالنجم معقودا

تفجرت وعصا الجوزاء تضرب بها * فاذكرتني موسى والجلاميدا

وما احلى ما قال بعده كناية عن طول الليل

يا ثعاب الصبح يا سرحان اوله * كل الثريا فقد صادفت عنقودا

ولم يزل ينثر هذه العقود الثمينة مع تفخيم هذا النظم الى ان قال

مالي وما للقوافي لا أسيرها * الا وأقعد محروما ومحسودا

أسكرتهم بكؤس الراح مترعة * ولم أنل منهم الا العرابيدا

سمعت بالجود مفقودا فهل أحد * يقول اني وجدت الجود موجودا

الحمد لله لا والله ما نظرت * عيناي بعد ابي المنصور محمودا

هذا المخلص حلاه نصر الله بن قلاقس مع زيادة حسنة بشعار التورية ومثله قوله من قصيدة يمدح بها الشيخ سديد الدين المعروف بالحصري مطلعها

اروه الجلنار من الخدود * واخفوا عنه رمان النهود

وقال بعده

وحلوا مقلتيه بدر دمع * تبسم في المخانق والبرود

وما غرسوا تخيل العيس الا * وهم فيها من الطلع النضيد

سقى معمرا اوسا كنها ملث * طليل البرق صخاب الرعود

مواردي لها ظمأ شديد * ولكن لا سبيل الى الورود

هل الرأي السديد البعد عنها * نعم ان كان للشيخ السديد

ويعجبني من مخالص القاضي السعيد هبة الله بن سنا الملك قوله من قصيدة يمدح بها القاضي الفاضل التي فيها بحسن التخلص ولم يخلص من اشراك عيون الغزل لغرابة اسلوبها

ضنت بطرف ظل بعدي سقمه * أرأيتم من ضن حتى بالضنى

ياعاذلين جهلتم فضل الهوى * وعذلتم فيه ولكني انا

اني رأيت الشمس ثم رأيتها * ماذا علي اذا هويت الاحسنا

وسالت من اي المعادن ثغرها * فوجدت من عبد الرحيم المعدنا

وما احلى ما قال بعد المخلص

ابصرت جوهر ثغرها وكلامه * فعلمت حقا ان هذا من هنا

الحشر اطال الله بقاءك لاسيما اذا عرف الدهر معرفتي ووصف احواله صفتي اذا اطلع علم ان نعم الدهر مادامت معدومة فهي أماني فان وجدت فهي عواري وان محن الزمان وان مطلت فستنفد وان لم تصب فكان قد فكيف يشمت بالمحنة من لا يأمنها في نفسه ولا يعدمها في جنسه والشامت ان افلت فليس يفوت وان لم يمت فسيموت وما اقبح الشماتة بمن أمن لاماتة فكيف بمن يتوقعها بعد كل لحظة وعقب كل لفظة والدهر غرثان طعمه الخيار وظمآن شربه الاحرار فهل يشمت المرء بناب آكله ام يسر العاقل بسلاح قاتله وهذا الفاضل شاه الله وان ظاهر بالعداوة قليلا فقد باطناه ودا جميلا والحر عند الحمية لا يصطاد ولكنه عند الكرم ينقاد وعند الشدائد تذهب الاحقاد

ومثله

ومثله قوله من قصيدة يمدح بها الملك المعظم مطلعها

تقنعت لكن بالحبيب المعمم * وفارقت لكن كل عيش مذمم

وما أحلى ما قال بعده

وباتت يدى فى طاعة الحب والهوى * وشاحا لخصر ووسادا لمعصم

وما ابدع ما قال منها

سعدت بيدر خده برج عقرب * فيكذب عندى قول كل منجم

وأقسم ما وجه الصباح اذا بدا * باوضح من جبهة عند لومى

ولاسيما لما مررت بمنزل * كفضلة صبر فى فؤاد متيم

وما بان لى الابعود أراكة * تعلق فى أطرافه ضوء مبسم

سبحان المانح والله لقد أحرز القاضى السعيد قصبات السبق برقة هذه الالفاظ وغرابة هذه المعانى ولقد خلب القلوب وجلا ظلمة الافهام بقوله

وما بان لى الابعود أراكة * تعلق فى اطرافه ضوء مبسم

واظنه من المخترعات والله اعلم * وما احلى ما قال بعده

وقفت به اعتاض عن لثم مبسم * شهى لقلبى لثم آثار منسم

ولم ير طرفى قط شملا مبددا * يقابله الا بدمع منظم

ولم يسل قلبى أوفى عن غزالة * وعن غزل الا بمدح المعظم

ومن المخالص البديعة قول صاحب بهاء الدين زهير من قصيد يمدح بها الامير نصير الدين اللمطى * مطلعها

لها خفر يوم اللقاء خفيرها * فما بالها ضنت بما لا يضيرها

وما ألطف ما قال بعده

اعادتها أن لا يعاد مريضها * وسيرتها أن لا يفك اسيرها

ولم يزل هائما فى طريقة الغرامية الى ان قال

وها انا ذا كالطيف فيها صبابة * لعلى اذا نامت بليل أزورها

هذا المعنى قلبه الصاحب بهاء الدين زهير على من تقدمه فيه وسبكه فى اغرب القوالب البديعية وأظنه من مخترعاته * ثم قال بعده

من الغيد لم تقدمع الليل نارها * ولكنها بين الضلوع تثيرها

تقاضى غريم الشوق منى حشاشة * مروعة لم يبق الا يسيرها

وان الذى ابقته منها يد الهوى * فداء بشير يوم وافى نصيرها

هذا المخلص استعبد الصاحب بهاء الدين زهيرا رقيق ألفاظه بحشمة توريته ومثله فى الحسن قوله من قصيد يمدح بها الملك الناصر صلاح الدين بن العزيز مطلعها

عرف الحبيب مكانه فتدللا * وقنعت منه بموعد فتعللا

وما أظرف ما قال بعده

وأرى الرسول ولم أجد فى وجهه * بشرا كما قد كنت أعهد أولا

فلا تتصور حالى الابصورتها من التوجع لعلته والتحزن لمرضته وقاه الله المكروه ووقانى سماع السوء فيه بحوله ولطفه

(وله رقعة كتبها الى الشيخ ابى على)

سوء الادب من سكر الذنب وسكر الغضب من الكبائر التى تنالها المغفرة وتسعها المعذرة وقد جرى بحضرة الشيخ ما جرى وقد أفنيت بدى عضا واسنانى رضا وان لم أوف ما جرى فالعذر امتد حظا فان كان بساطا وطوى وحديثا لا يروى فاولى من عذر اللاعب وأحرى من غفر الصاحب وان كان ميتا ينشر وسببا يذكر فليكن العقاب ما كان اذا لم يكن الهجران على انى قد أخذت قسطى من العقاب واستفدت من رد الجواب ما كفى واوجع القفا

ولم يزل يدير كاسات صباباته الغرامية الى أن قال

آها لقلب ما خلا من لوعة * ابدا يحن الى زمان قد خلا
ورسوم جسم كاد يحرقه الهوى * لولم تبادره الدموع لاشعلا
والقد كتمت حديثه وحفظته * فوجدت دمعي قد رواه مسلسلا
أهوى التذلل في الغرام وانما * يأبى صلاح الدين ان اتذللا

وما أحلى ما قال بعد المخلص

مهدت بالغزل الرقيق لمدحه * واردت قبل الفرض ان اتنفلا

ويعجبني ايضا من مخالص القاضي كمال الدين بن نبيه قوله من قصيدة يمدح بها الخليفة الناصر لدين الله مطلعها

باكر صبوحك اهنى العيش باكره * فقد ترنم فوق الايك طائره

ثم قال بعده

والليل تجرى الدرارى في مجرته * كالروض تطفو على نهر ازاهره
وكوكب الصبح نجاب على يده * مخلق تملأ الدنيا بشائره

ولم يزل يتلاعب بهذه المعاني المخترعة الى ان قال

خذ من زمانك ما اعطاك مغتنما * وأنت ناه لهذا الدهر آمره
فالعمر كالكاس تستحلي اوائله * لكنه ربما مجت اواخره
واجسر على فرص اللذات محتقرا * عظيم ذنبك ان الله غافره
فليس يخذل في يوم الحساب فتى * والناصر ابن رسول الله ناصره

ويعجبني من مخالصه الموسويات قوله من قصيدة مطلعها

يا نار اشواقي لا تخمدى * لعل ضيف الطيف ان يهتدى

ولم يزل راتعا في رياض غزلها الى ان قال

غازلنا من نرجس ذابل * وافتر عن نور اقاح ندى
وقام يلوى صدغه قائلا * لا تغتررنى فكذا موعدى
فقلت يالله مات الوفا * فقال موسى لم يمت خذ يدى

وقوله من المخالص الاشرفيات الموسويات في بيت المخلص الذي يستغنى بتمكنه وقوته عن ذكر ما قبله

يا طالب الرزق ان سدت مذاهبه * قل يا ابا الفتح يا موسى وقد فتحت

ومن مخالصه الاشرفيات ايضا قوله من قصيد

بتنا وقد لف العناق جسومنا * في بردتين تكرم وتعفف
حتى بدا فلق الصباح بجحفل * راياته رنك المليك الاشرف

ويعجبني من مخالصه الاشرفيات ايضا قوله من قصيد

يذود شبا القناع عن وجنتيها * كمنع الشوك للورد الجنى
اذا ما رمت اقطفه بعيني * يقول حذار من حرمي وبى

فكان من موجب ادب الخدمة ابقاء الحشمة لولى النعمة باحتمال الشتم والاغضاء عن الخصم لكني احتفت بي ثلاثة أحوال لا يصلح صاحبها منها اللعب وسكره والخصم وهجره والادلال والثقة وهن اللواتي جلتني على ماء الوجه أهرقته وحجاب الحشمة خرقته وقد منعني الآن فرط الحياء من وشك اللقاء وعهدى بوجهي وهو أصفق من العدم الذي جلني على جهله واوقع من الدهر الذي احوجني الى اهله لكن النعم اذا توالت على وجه رققت قشرته والان بشرته وانا منتظر من الجواب ما يريش جناحى الى خدمته فان رأى ان يكتب فعل ان شاء الله

(وله أخرى)

ما احوجني من الشيخ الى تفضل يطلق عن وثاقى وان

لسان

لسان السيف من ادنى وشاتى * ومن رقبائى طرف السمهرى
كأن لحظها فى كل قلب * فعال المشرفى الاشرفى

ويعجبنى من مخالص الشاب الظريف شمس الدين محمد بن العفيف قوله من قصيد يمدح بها القاضى فتح الدين بن عبد الله الظاهر تحمس فى غزلها وتغزل فى تحمسها الى المخلص مطلعها

ارح عينك مما انت معتقل * امضى الاسنة ما فولاذه الكحل

وما احلى ما قال بعده

يا من يرينى المنايا واسمها نظر * من السيوف المواضى واسمها مقل
ما بال ألحاظك المرضى تحاربنى * كأنما كل لحظ فارس بطل
من دونها كتب من دونها حرس * من دونهم قضب من دونها اسل
ومعشر لم تزل فى الحرب تبصرهم * حمر الخدود وما من شأنها الخجل
يثنى حديث الوغى اعطافهم طربا * كأن ذكر المنايا بينهم غزل
من كل ذى طرة سوداء يلبسها * وشيها من غبار النقع متصل
ضاءت بحسنهم تلك الخيام كما * ضاءت بوجه ابن عبد الظاهر الدول

وطالعت تقاطيف الجزار فأعجبنى منه مخلص قصيد يمدح بها الامير جمال الدين موسى بن يغمور *مطلعها

نقلت لقلبى ما بجفنيك من كسر * وعلت جسمى بالضنى رقة الخصر

ولم يزل الجزار يتقطف ما تشتهيه النفس من هذا النوع الى أن قال

وهيفاء تحكى الظبى جيدا ومقلة * رنت وانثنت فازدرت بالبيض والسمر
جسرت على لثم الشقيق بخدها * ورشف رضاب لم أزل منه فى سكر
ولست أخاف السحر من لحظاتها * لانى بموسى قد أمنت من السحر

وما أحلى ما قال بعد تخلصه بموسى

فتى ان سطا فرعون فقر وجدته * يغرقه من جود كفيه فى بحر
له باليد البيضاء أعظم آية * اذا اسودت الايام من نوب الدهر

ومن مخالص الشيخ جمال الدين بن نباته التى هى أوقع فى القلوب من خالص الوداد * وتوريتها أنفس من خلاصة العقود فى الاجياد * قوله من قصيد يمدح بها قاضى القضاة تاج الدين السبكى مطلعها

واحيرتى بظلام الطرة الداجى * وشقوتى بنعيم الملمس العاجى

ولم يزل يكرر حلاوة هذا النبات الى أن قال

قد أسرج الحسن خديه فدونك ذا * سراج خد على الاكباد وهاج
وألجم العزل فاركض فى محبته * طرف الهوى بعد الجام واسراج
وقسم الشعر فاجعل فى محاسنه * شذور القلائد واهد الدر للتاج

ومثله قوله من قصيد يمدح بها القاضى جمال الدين بن الشهاب محمود مطلعها

آذنته بفراقى وماذاك رضا منى ولكن استزادة من نسائم ورقة أطارت نومى وأطالت يومى فليتفضل الشيخ بكتاب الى الأمير ان لم يتسع وقته لغيره وليجعله نقدا لا يضرب له وعدا فقد انتهت نهية المقام فقد احال الشيخ الامر عليه ومتى أخره احتجت الى الخروج من غير استصحابه ثم أرى ذلك من كتبت له واما الرشأ الذى ذكره فقد شغل هذا المهم عنه وانا انتظر تفضله فى هذه الساعة فليس يحتمل الوقت المطل

(وله الى الشيخ العميد)

اين تكرم الشيخ العميد على مولاه وكيف معدلة الى سواه ايقصر فى النعمة لانى قصرت فى الخدمة اذا قد اسأت المعاملة ولم تحسن المقابلة وعثرت فى اذيال السهو ولم تنعش بيد العفو ام تقول ان الدهر

بأبي نافر كثير الدلال * ان هذا النفار شأن الغزال

ثم قال بعده

حبذا منه مقلة لست أدرى * أبهدب تصول ام بنبال

صنفت شجونا بغزال جفن * فقسرأنا مصنف الغزالى

وهوينا حلو القوام فنادت * لاعجيب حلاوة العسال

من معينى على هوى زاد حتى * أهملته نصائح العذال

لو رأى عاذلى حقيقة أمرى * لرثانى ولا اقول رثى لى

فى جمال الحبيب مت شجونا * وبروحى افدى تراب الجمال

ومثله قول الشيخ برهان الدين القيراطى من قصيدة يمدح بها الامير سيف الدين الكركى مطلعها

غرامى فيك يا قرى غريمى * وذكرك فى دجى ليلى نديمى

وقال بعده

ومالى الجسيم وصد عنى * ومالى غير دمعى من حميم

وكم سأل العواذل عن حديثى * فقلت لهم على العهد القديم

وعم تساءلون ولى دموع * تخبرهم عن النبا العظيم

ولم يزل القيراطى يحرر ابريز هذه المعانى الى أن قال

فوعده وناظره وجسمى * سقيم من سقيم فى سقيم

كريم مال بخلا عن ودادى * فلت لنحو مخدوم كريم

الخالص بالتورية على هذا النمط طريقها مخوف وباب مسلكها مقفل لاسيما على من كفه من هذا الفن صفر ورجله حافية وليس له محمل ومن مخالصى التى مابرحت التورية فى ابواب بيوتها خادمة وكم سلكت هذا الطريق المخوف وعادت الى بيوتها سالمة قولى من قصيد امتدح بها شرف الدين صدقة بن الشماع الشهير فى دمشق بابن مسعود وكان من اعز الاصحاب ومن رشف معنا فى ذلك العصر سلافة الآداب مطلعها

سهام جفنيك فى الحشا رشقه * رفقا فما مهجة الشجى درقه

و بكر هذه القافية انا ابو عذرتها واول من حصل له الفتح فى تحريك نكتتها وقلت بعد المطلع منها

انفقت عمرى ومهجتى شفقا * عليك والصبر آخر النفقه

غصن خلاف يميس من خفر * قلوبنا فى هواه متفقه

قوامه فى اعتدا له الف * سبحان من مده ومن مشقه

عيناى بالثغر مع ذوائبه * فى اول الاصطباح مغتبقه

امير حسن بقرطه ظهرت * له جنود لكن من الحلقه

عاصيت الوصال خيريه * وقال ماأنت هذه الطبقه

بدر منير قسا بر ؤيته * لكن نرى عند خده شفقه

بيننا خدع وفيما بعده قسح فقد أزف رحيلى ولاماء بعد الشط ولاسطح وراء الخط ام ينتظر سؤالى وانما سألته يوم أملته واستمحته حين مدحته واقتضيته وقت أتيته وانتجعت سحابه لما أتيت بابه وليس كل السؤال أعطى ولا كل الرداء ففى أم يظن انى أرد صلته ولا البس خلعته وهذه فراسة المؤمن الا أنها باطلة ومخيلة العارف الا انها فاسدة ام ليس يجدنى مكانا للنعمة يضعها وأرضا للمنة يزرعها فلا أقل من تجربة دفعة والمخاطرة بانفاذ خلعة ليخرج من ظلمة التخمين الى نور اليقين ولينظر أأشكر أم أكفر ام بتوقع صاعقة تملكنى اوداهية تهلكنى فهذا امل موفر لان شيخ السوباق معه رام يقدر انى اشكره اذا اصطنع واعذره اذا منع وبالله لو كنت ينبوع المعاذير ما خطى منى بجرعة

قالوا البدر التمام منه ضيا * قلت وعيش الهوى لقد محقه
وجل الصبح من محاسنه * أنقال نور لكنه فلقه
وماس في الروض كل غصن نقا * غدا الى الله رافعا ورقه
وانظر الى الظبي كيف يرمقه * ويأخذ الغنج منه بالسرقه
فقيل و الظبي ما يقابله * فقلت والله ماله حدقه
قلت له ان جفن مقلته * يشبه سهما بحجبه رشقه
خفت من القتل رحت أملقه * سابقني مدمعي بجرى ملقه

ولم أزل ناشرا علم التورية الى أن وصلت الى المخلص بها فقلت

طرقت باب الحبيب والرقبا * على من خيفة القاحنقه
قالوا فما تبتغي فقلت لهم * حتى تخلصت أبتغي صدقه

قولي حتى تخلصت لايخفى مافيه من زيادة الحسن على أهل النظر من أهل الادب ومثله قولي من قصيدة مصغرة مدحت بها قاضي القضاة شمس الدين النويري مطلعها

طريفي من ليبلات الهجير * مقريح الجفين من السهير

وقلت بعد المطلع

بعيد غزيلي وجويرقلبي * دميعي في وجيناتي جويري
بديوي تربكي المحيا * غويب عن عويشقه الحضيري
عيسى اللحيظ له وجيبه * ضوى نويره لبتى بديري
حياه مقيلته سباعقيلي * ولكن الحديد غدا جبيري
رويض وجينتيه له عنيدي * نسيب في النظيم الى زهير
سبيل الشعير على كفيل * يذكرنا ويجات الجسير
بدير في الظهير له نوير * مثيل شكله مافي العصير
حويجبه القويس له سهيم * مويض في القليب بلا وتير
شفيفته قفيل من عقيق * مقيفيل على دررا لثغير
عذيره النويزل دار حتى * تشوق للنزيل وللدوير
لمت خديده تجرى دميعي * فما أحلى الزهير على النهير
دنينير الوجيه له بقلبي * نقيد ليس يصرف عن صديري
اتاه سويئلا يوما دميعي * فقال انا جعيدى الشعير
شهير وصله عندي يويم * ويوم هجيره مثل الشهير
تبسم لي سحيرا عن رويض * فقلت ولي دميع كالمطير
نثرت دميعتي بنظيم ثغير * فما أحلى النظيم مع النثير
لفيظك والمقيلة مع نظيمي * سحير في سحير في سحير
شعيرك مذ أضل عويشقيه * هدينا في الظليمة بالنوير

ولم استطرد الى غالب ابيات هذه القصيدة الالغرابة أسلوبها فاني لم أزل اجذب القلوب

فليرجعني بشرعة أم يرجواني امهله حتى اعود من هراة والشيطان أعقل من ان يوسوس اليه بهذا أو يسوّل لدي ذلك وأنا الى الشيخ العميد وردت وعن هؤلاء القوم صددت وقد فعلوا فوق مقدارهم ودون ماقدرت فليحسبني من الفعل تذكرة أو من القول معذرة وليصرف على أمره ونهيه بمسراه يشرفني بها ان شاء الله

(وله في رجل ولي الاشراف)

فهمت رقعتك وسررت بسلامتك وفهمت ماذكرته من امر فلان اعني الاشراف وانه وان يصدق الظن يكن اشرافا على الهلاك بسد الاتراك فلا يحزنك فالجبل لايبرم الا للفتل ولا تعجبنك خلعته فالثور لايزين الا للقتل ولا يرعك نفاقه فارخص مايكون النفط اذا غلي وأسفل مايكون الارنب اذا علا

الى تحبيب تصغيرها * ومغازلة عيون أغزالها * الى ان ابدر بيد مخلصها فى أفق توريته *
ومثله قولى من قصيد كتبت بها من حماة المحروسة الى المقر المرحومى الامينى صاحب ديوان الانشاء الشريف بدمشق المحروسة

يا نزولا بحى الفراديس بالشا * م واعلامهم على قاسيونا
بالنسيم العليل منكم اذا هب على الغور و الربا عللونا
وارحموا سائل الدموع وبالله عليكم لا تنهروا السائلينا
واذا ما نهر تم الدمع نهرا * لا تخوضوا فيه مع الخائضينا
حبكم فرضنا وسيف جفاكم * قد غدا فى بعادنا مسنونا
والحشا لم تخن عهود وفاكم * وسلوا من غدا عليها أمينا

ومثله قولى من قصيد كتبت بها من طرابلس المحروسة الى سيدنا قاضى القضاة تقى الدين ابن الحبيشى الحنفى بحماة المحروسة نور الله ضريحه وجعل من الرحيق المختوم غبوقه وصبوحه

فيا ساكنى مغنى حماة نعمتم * صباحا ولو أفنيتم فى الورى ذكرى
فودى وذى مثل ما تعهدونه * ولكن صبرى عنكم عاد كالصبر
وقد كنت أخشى هجركم قبل بعدكم * فلما بعدتم قلت آها على الهجر
وان جلت فى ميدان نظمى تشوقا * تسابقنى حمر المدامع بالنثر
وشيمى حمى كلما رام بعدكم * يحاربنى ناديت يا لابى بكر

قد تقدم وتقرر أن مخالص التورية صعب مسلكها على كثير من الناس ولم أبرز بدورها هنا كاملة الا ليزول عن الطالب ظلمة الالتباس وانشدنى من لفظه لنفسه الكريمة أحد أعيان العصر المقر الجمالى فضل الله بن مكانس فسح الله فى اجله مخلصا من غزل الى مديح نبوى وهو

كم حمد السامعون وصفى * لغادة قينة وأغيد
فعدت عنه بقى وعودى * لمدح خير الانام احمد

هذا المخلص حلاه المقر الجمالى بشعار التورية وخفر المديح النبوى ومخلص الشيخ صفى الدين الحلى فى بديعيته

من كل معربة الالفاظ معجمة * يزينها مدح خير العرب والعجم

الشيخ صفى الدين تخلص فى بيت واحد ووثب من شطره الاول الى شطره الثانى على الشرط المعروف وهذا المنوال قد تقرر أنه عليه عقدت خناصر المتأخرين ولكن الشيخ صفى الدين وثب وثبة ضعيفة دلت على ضعف تخلصه فان بيته بمفرده غير صالح للتجريد وقد تقدم القول على بيت القسم من قصيدة انه غير صالح للتجريد أيضا فانه لم يأت بجواب قسمه الا فى بيت الاستعارة وعلى كل تقدير ان لم يؤت ببيت القسم وبيت الاستعارة قبل بيت التخلص لم يحصل به فائدة ولا يصير على مخلصه طلاوة الادب ويصير بينه وبين الاذواق السليمة مباينة وقد تعين ان أورد بيت القسم وبيت الاستعارة هنا ليصير المخلصه الضعيف

وكأنك به وقد شن عليه جوان العود شن المطر الجود وقيد له مركب الغبار من مربط النجار وانما جوله الحبل ليصفع كما صفع من قبل وستعود تلك الحالة حالة وتنقلب تلك الحبل حبالة فلا تحسد الذئب على الالية يعطاها طعمة ولا تحسب الحب بفم العصفور نعمة وهبه ولى امارة ما بين البحرين أليس مرجعه ذلك العقل ومصيره ذلك الفضل ومنصبه ذلك الاصل وعصارته ذلك النسل وقعدته تلك الاهل وقوله ذلك القول وفعله ذلك الفعل وكان ماذا أليس ما سلب أكثر مما أعطى وما حرم افضل مما أولى وما عدم اوفر مما غنم مالك تنظر الى ظاهره وتعمى عن باطنه اكان يعجبك ان تكون قعدته فى بيتك وبغلته من تحتك

قمكا تين وهما

لا القبتني المعالي يا بن بجدتها * يوم الفخار ولا برّ التقي قسمي

ان لم أحث مطايا العزم مثقلة * من القوافي توم المجد عن أمم

من كل معربة الالفاظ معجمة * يزينها مدح خير العرب والعجم

وابن الشيخ صفي الدين الحلي من قول كمال الدين بن نبيه وقد تقدم

يا طالب الرزق ان سدت مذاهبه * قل يا أبا الفتح يا موسى وقد فتحت

هذا التخلص لحسن تجريده يستغنى به عن قصيده وقد تقرر ان نظام البديعيات التزموا أن يكون كل بيت منها شاهداً على نوعه بمجرده ليس له تعلق بما قبله ولا بما بعده وتخلص العميان مثل تخلص الشيخ صفي الدين الحلي أيضاً فانه غير صالح للتجريد وما تم به الفائدة ان لم يأت ناظمه بما قبله وعلى مذهب أصحاب البديعيات ما يصلح أن يكون شاهداً وهو

يمم بنا البحر ان الركب في ظما * فقلت سيروا فهذا البحر عن أمم

وقد تقدم قولي ان العميان أتوا في براعة الاستهلال بصريح المدح وهو قولهم فيها

بطيبة انزل ويمم سيد الامم * وانشر له المدح وانثر طيب الكلم

فاذا حصل التصريح بالمدح في المطلع الذي هو براعة الاستهلال لم يبق لحسن التخلص موقع فان حسن التخلص من شرطه ان يخلص الشاعر من الغزل الى المديح لا من المديح الى المديح وأيضاً فان النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن له في التخلص ذكر ولكنه استغنى بذكر البحر فانه جعله كناية عن كرم النبي صلى الله عليه وسلم وتخلص الشيخ عز الدين في بديعيته

حسن التخلص من ذنبي العظيم غدا * بمدح أكرم خلق الله كلهم

الشيخ عز الدين صرح بذكر حسن التخلص في اول البيت هنا وجل القصد ان يكون التصريح به في الشطر الثاني مع انه لم يأت بحسن التخلص على الشروط المقررة فانه انتقل من معنى الى معنى أخر من غير تعلق بينهما كأنه استبدأ كلاماً آخر وقد تقدم القول في أول الباب ان هذا النوع اذا نسج على هذا المنوال سمي اقتضاباً ولم يكن له حظ في حسن التخلص فان الشيخ عز الدين قال قبل تخلصه

وارع النظير من القوم الاولى سلفوا * من الشباب ومن طفل ومن هرم

ثم قال بعده

حسن التخلص من ذنبي العظيم غدا * بمدح اكرم خلق الله كلهم

الشيخ عز الدين استبدأ هنا كلاماً آخر وليس بين بيت التخلص وبين ما قبله علاقة ولا أدنى مناسبة * وبيت بديعيتي

ومن غدا قسمه التشبيب في غزل * حسن التخلص بالمختار من قسمي

هذا البيت ما يشك منادب انه اعمر بيوت البديعيات وهو في غنية عن الاطناب في وصفه

(ذكر الاطراد)

(محمد بن الذبيحين الأمين ابو البتول خير نبي في اطرادهم)

الاطراد في اللغة مصدر اطرد الماء وغيره اذا جرى من غير توقف وفي الاصطلاح أن يذكر

ام كان يسرك أن تكون اخلاقه في اهابك وبوابه على بابك ام كنت تود أن تكون وجماؤه في ازارك وغلمانه في دارك ام كنت ترضى ان تكون في مربطك افراسه وعليك لباسه ورأسك رأسه جعلت فداك ما عندك خير مما عنده فاشكر الله وحده على ما آتاك

ان الغني هو الراضي بقسمته * لا من يظل على ما فات مكتئبا

(وله الى الشيخ الامام ابي الطيب سهل بن محمد من سرخس)

كتابي اطال الله بقاء الشيخ من سرخس وانا سالم والحمد لله رب العالمين وقد كان الشيخ بعدني عن هذه الحضرة عدات اشمها الانف لا ذهابا بتلك الفواضل عنها لكن استحالة من هذا الزمان ان يجود بها فحين اشرفت على الحضرة ماجت على امواج الشرف منها وخاص الى نسيم

الشاعر اسم الممدوح واسم من أمكنه من آبائه في بيت واحد على الترتيب ولا تخرج عن طرق السهولة ومتى تكلف أو تعسف في بناء بيته لم يعد اطرادا فان المقصود من هذا النوع أن يكون كلام الناظم في سهولة تجويبانه واطراده كجريان الماء في اطراده فتى جاء كذلك دل على قوة الشاعر وتمكنه وحسن تصرفه وقد تقدم القول ان الشيخ صفي الدين مانظم بديعيته حتى جمع عنده سبعين كتابا في هذا الفن يجتني من أوراقها كل ثمرة شهية ورأيته في شرح بديعيته قد اورد لهذا المعنى حدا فيه زيادة على الجماعة فانهم لم يزيدوا على اسم الممدوح واسم من أمكن من آبائه شيأ والشيخ صفي الدين نقل في شرح بديعيته أن الاطراد عبارة عن اسم الممدوح ولقبه وكنيته وصفته اللائقة به واسم من أمكن من أبيه وجده وقبيلته ليزداد الممدوح تعريفا وشرط ان يكون ذلك في بيت واحد من غير تعسف ولا تكلف ولا انقطاع بالفاظ أجنبية وأورد على ذلك قول بعضهم

مؤيد الدين أبو جعفر * محمد بن العلقمي الوزير

هذا البيت جمع ناظمه فيه بين اللقب والكنية واسم الممدوح واسم أبيه والصفة اللائقة به وهو القدر الذي قرره الشيخ صفي الدين في الحد الذي أورده في شرحه وعلى هذا المنوال نسجت بيت بديعيتي لاجل المعارضة * ومثله قول بعض المتاخرين في زكي الدين بن ابي الاصبع

عبد العظيم الزكي ابن أبي الاصبع رب القريض والخطب

هذا البيت اشتمل أيضا على اسم الممدوح واسم أبيه والصفة اللائقة به وهو صالح لمجرد المدح ولكن عقبه الناظم بابيات مشتملة على صريح الهجو كان الاوجب عدم ايرادها هنا حفظا لمقام الشيخ زكي الدين بن ابي الاصبع ولكن بجراءة ظرفها ركبت صهوة القلم واطلقت عنانه فانه قال بعده

يزعم اني بالهجو أذكره * تعصبا منه ساعة الغضب
لكنني والطلاق يلزمني * ماملت فيه يوما الى الكذب
نكت ابنه واخته وخالته * ونكت قدما أخاه وهو صبي
ولست فيما أتيت مبتدعا * قد كان هذا في سالف الحقب
نالت أبي امه وجدته * وعمته لله ذر أبي
ونحن في بيته على دعة * النيك ما بيننا الى الركب

واما شواهد هذا النوع المشتمل على اسم الممدوح واسم أبيه وجده من غير كنية ولقب وصفة فمنها قول الشاعر

من يكن رام حاجة بعدت عنه وأعيت عليه كل العياء
فلها احمد المرجى بن يحيى بن معاذ بن مسلم بن رجاء

قال الشيخ زكي الدين بن ابي الاصبع لقد أربى هذا الشاعر في هذا النوع على من تقدمه ولو سلم بيته من الفصل بلفظة المرجى لكان غاية لا تدرك وعقيلة لا تملك انتهى كلام

الكرم عنها وتلقيت على رسم الاجلال بركوب عز شامخ وموكب ذهب سابغ وحنيني شرف رائد وسرت على اسم الله محفوفا باعيان الكتاب وعيون الرجال حتى شافهت بساط العز مستقبلا بملك الشرق يجذب بضبعي عن ارض الخدمة الى جوار ولي النعمة فاهتز اهتزازافات سمة الكرام وتجاوز اسم الاعظام الى القيام فقبلت من يمناه مفتاح الارزاق وفتاح الآفاق ولحقته بقاب العقاب بخاطبني بخاطبات نشدت بهاضالة الآمال وهلم جرا الى ما ينبيء بهامن جميل الانزال ويني الانزال تطرات من من الشيخ العميد على شخص يسعه الخاتم ولا يسعه العالم ونفس تهتز عند المكارم كالغصن وتثبت عند الشدائد

الشيخ زكى الدين بن ابي الاصبع * و بيت الشيخ صفى الدين الحلى فى بديعيته

محمد المصطفى الهادى النبى أجل المرسلين ابن عبد الله ذى الكرم

الشيخ صفى الدين أتى فى هذا البيت باسم الممدوح صلى الله عليه وسلم والصفات اللائقة به واسم أبيه و بيت العميان فى بديعيتهم

قد أورث المجد عبد الله شيبة عن * عمرو بن عبد مناف عن قصيهم

الذى أقوله أن بيت العميان فى غاية التكلف والتعسف * ولعمرى ان ناظمه خالف أمر مشايخ البديع فى المشى على طريق السهولة والانسجام وأيضا فان النبى صلى الله عليه وسلم هو الممدوح فى هذه القصيدة بكمالها وليس له ذكر فى هذا البيت فعلى هذا التقدير هو غير صالح للتجريد مع ما فيه من العقادة * وبيت الشيخ عز الدين فى بديعيته

محمد ابن عبد الله شيبة جده ابن عمرو كرام فى اطرادهم

أقول ان بيت العميان فى غاية السهولة عند هذا البيت وهذا القدر اليق من اطلاق لسان القلم فى الكلام عليه * و بيت بديعيتى

محمد بن الذبيحين الامين أبو الـبتول خير نبى فى اطرادهم

هذا البيت أيضا فيه اسم الممدوح صلى الله عليه وسلم وذكر ابيه وهو أحد الذبيحين لان آباه عبد المطلب كان قد نذر ذبح أحد اولاده اذا صار واعشرة فلما كملت له العشرة أقرع بينهم فوقعت على عبد الله ففداه بمائة من الابل وهو أول من ودى بذلك وكانت الدية قبل ذلك عشرا وفى البيت اشارة الى جده اسمعيل عليه السلام وتفسير هذا الاسم مطيع الله الذبيح وقال صلى الله عليه وسلم أنا ابن الذبيحين وفيه الصفة المعدودة من أسمائه الشريفة والصفة اللائقة بمقامه العالى واسم النوع البديعى فى القافية ، ورى به من جنس المديح * والذى يظهر لى أنه أرق من بيت العميان و بيت الشيخ عز الدين وأكثر معانى من بيت الشيخ صفى الدين والله أعلم

(ذكر العكس)

(عين الكمال كمال العين رؤيته * ياعكس طرف من الكفار عنه عمى)

العكس فى اللغة رد آخر الشئ على أوله و يقال له التبديل وفى الاصطلاح تقديم لفظ من الكلام ثم تأخيره ويقع على وجوه كثيرة ولكن المراد هنا ما استعمل منها وكثر استعماله فالمقدم فى هذا الباب قوله تعالى تولج الليل فى النهار وتولج النهار فى الليل وتخرج الحى من الميت وتخرج الميت من الحى العكس هنا مميز بلطف طباقه و بشرف القدرة الالهية التى لا تصدر الا عن عظمة الخالق جلت قدرته و بلاغة القرآن وايجازه وفصاحته وعلى كل تقدير فالعكس نوع رخيص بالنسبة الى ما فوقه من أنواع البديع الغالية وان لم يصوب البليغ عكسه بنكتة بديعية تنظمه فى سلك أنواع البديع فهو مستقر على عكسه * كقول القائل

زعموا أنى خؤن فى الهوى * فى الهوى أنى خؤن زعموا

هذا البيت ليس فيه نكتة تزيل عنه العكس وتحليه بشعار البديع ولو اراد الشاعر ان يرتجل مثله ماشاء فى مجلس واحد لكان ذلك قدرا يسيرا وأين هذا الناظم من أبى تمام وقد قال

كالسكر وسلطان يعلم حلم السيف مغمدا ويغضب غضبه مجردا فهو عند الكرم لين كصفحته وعند السياسة خشن كقشرته وملك يأتى الكرم نشبة والخير سجية و يفعل الشر كلفة أو خطية فهو ضرورة بآلاته نفوع بذاته عطارد قلمه ودواته مريخ سيفه وقناته حسب لاعيب فيه فيصرف عين الكمال عن معاليه وصادفت من الشيخ الموفق ملكا يشاهد عيانا وجبلا قد سمى انسانا وحسنا قد ملئ احسانا واسدا قد لقب سلطانا وبحرا أمسك عنانا وحطت رحلى بفناء الامير الفاضل أبى جعفر فوجدت حكمى فى ماله أنفذ من حكمه وقسمى من غناه أكبر من قسمه واسمى فى ذات يده مقدما على اسمه ويدى الى خزانته أسرع من يده وان

العكس

له بعض حساده لم لا يقول ما يفهم فقال له على الفور لم لا تفهم ما يقال * واين هو من قول الحكيم الذى قيل له لم تمنع من يسألك فقال لئلا أسأل من يمنعنى * وأين هو من كلام الحكيم الذى قال اذا لم يكن ما تريد فأرد ما يكون وقيل انه ورد فى الحديث جار الدار أحق بدار الجار * وما أبلغ قول الحسن بن سهل هنا وقد قيل له * لا خير فى السرف فقال لا سرف فى الخير * ويروى لأمير المؤمنين هرون الرشيد من النظم فى هذا الباب

لسانى كتوم لاسرارهم * ودمعى بسرى نموم مذيع
فلولا دموعى كتمت الهوى * ولولا الهوى لم يكن لى دموع

وبديع هنا قول الصاحب ابن عباد وقد بالغ فى وصف الزجاج والشراب وهو

رق الزجاج وراقت الخمر * فتشابها فتشاكل الامر
فكأنما خمر ولا قدح * وكأنما قدح ولا خمر

ومثله

الست ترى اطباق ورد وحولها * من النرجس الغض الطرى قدود
فتلك خدود ما عليهن أعين * وتلك عيون ما لهن خدود

ويعجبنى الى الغاية فى هذا الباب قول الاضبط الشاعر

قد يجمع المال غير آكله * ويأكل المال غير من جمعه
ويقطع الثوب غير لابسه * ويلبس الثوب غير من قطعه

ومثله فى الحكمة قول ابن نباتة السعدى

الا فاخش ما يرجى وجدك هابط * ولا ترج ما يخشى وجدك رافع
فلا نافع الامع النحس ضائر * ولا ضائر الامع السعد نافع

ومن حكم أبى الطيب المتنبى قوله فى هذا الباب

فلا مجد فى الدنيا لمن قل ماله * ولا مال فى الدنيا لمن قل مجده

ومثله فى الحسن والبلاغة قوله

ان الليالى للانام مناهل * تطوى وتنشر دونها الاعمار
فقصارهن مع الهموم طويلة * وطوالهن مع السرور قصار

واستشهدوا على نوع الطباق بقول الشاعر

رمى الحدثان نسوة آل حرب * بمقدار سمدن له سمودا
فرد شعورهن السود بيضا * ورد وجوههن البيض سودا

والعكس هنا أحق من المطابقة وأولى لما فيه من عكس مطابقة عجزه لصدره وتبديل الطباق فى العجز والصدر ومن الذى يستطرف هنا الى الغاية قول الشيخ شرف الدين عبد العزيز الانصارى شيخ شيوخ حماة

أفنيت عمرى فى دهر مكاسبه * نطيع أهواءنا فيها وتعصينا
تسعا وعشرين مذ الهم شقتها * حتى توهمتها عشرا وتسعينا

وتلطف الشيخ جمال الدين بن نباتة بقوله هنا

قصدت ان اقرر ذلك مدحا وأعبر الجملة شرحا أطلت فهلم الى ما اقتضت الكتاب لاجله ورد الخوارزمى كتاب يتقلب فيه على جنب الحنق ويتقلى على جمر الضجر ويتأوه عن غمار الخجل ويتعثر فى أذيال الكلال ويذكر ان الخاصة قد علمت الفلج لاينا كان فقلت است الباشن اعلم والخوارزمى أعرف والاخبار المتظاهرة أعدل والآثار الظاهرة أصدق وحلبة السباق أحكم وما مضى بيننا أشهد والعود ان انشط أحد ومتى استزاد زدنا وان عادت العقرب عدنا وله عندى اذا شاء كل ما ساءه وناه ولن يعدم اذا أراد نقدا يطير فراخه ونقفا يصم صماخه وما كنت أظنه يرتقى بنفسه الى طلب مساماتى بعد ما سقيته كاس الحنظل واطعمته

مسئلة الدمع رغدت * بيني وبين من أحب
لولا مشيي ماجفت * لولا جفاها لم أشب

انظر ما أليق ما حصر الشيخ جمال الدين مسئلة الدور في هذا النوع مع قصر البحر * ويعجبني أيضا قول الشيخ علاء الدين علي بن مقاتل الحموي في مطلع من مطالع أزجاله وهو

حبي عودني الوصال * وعوايد وقطع
وامتنع لما حلا * وحلا لما امتنع

وانشدني من لفظه لنفسه الكريمة قاضي القضاة عماد الدين أخو شيخي قاضي القضاة علاء الدين ابن القضامي تغمدهما الله برحمته ورضوانه مطلعا يناظر مطلع ابن مقاتل بحسنه في هذا الباب وهو

قلت يوما لمن هويت * فيما عدل عذالك
قال بجوري ترتضي * والا اعدل عذالك

وزاد الشيخ زكي الدين بن ابي الاصبع هذا النوع أعني عكس الالفاظ صنفا معنويا وهو أن يأتي الشاعر الى معنى لنفسه أو لغيره فيعكسه فمثال ما عكس الشاعر من المعاني لغيره

قال الاول

قد يدرك المتأني بعض حاجته * وقد يكون مع المستعجل الزلل

قال الثاني الذي عكس الاول

وربما فات بعض الناس أمرهم * مع التأني وكان الحزم لو عجلوا

وقد تقدم قول الناس في المثل السائر * ما في السويدا رجال فعكست هذا المعنى على أصحابه وقلت

في سويدا مقلة الحب نادى * جفنه وهو يقنص الاسد صيدا
لاتقولوا ما في السويدا رجال * فأنا اليوم من رجال السويدا

ومن القسم الثاني وهو عكس الشاعر معنى نفسه قول بعضهم

واذا الدر زان حسن وجوه * كان للدر حسن وجهك زينا

ومثله قول الشاعر وتلطف ماشاء

ها قد غدا من ثياب الشعر في كفن * وقد تعفت معاني وجهه الحسن
وكان يعرض عني حين أبصره * فصرت أعرض عنه حين يبصرني

وأظرف منه قول الشيخ جمال الدين ابن نباته

وصديق قوي يدي بنوال * وأراه من بعد حاول وهني
كان مثل البستان آخذ منه * صار مثل الحمام يأخذ مني

انتهى ما أوردته في هذا الباب من عكس الالفاظ والمعاني وبيت الشيخ صفي الدين الحلي في بديعيته شاهد في هذا الباب على عكس الالفاظ وهو قوله عن النبي صلى الله عليه وسلم

أبدى العجائب فالاعمى بنفثته * غدا بصيرا وفي الحرب البصير عمي

الشيخ صفي الدين أتى في هذا الباب بالغرض من نظم النوع المذكور ولكن لم يخل بيته من بعض عقادة هذا مع عدم تكلفه بتسمية النوع على الشرط المقرر وبيت العميان

الخمر بالطرد فان كان الشقاء قد استغواه والحين قد استغواه فالنفس منتظرة والعين ناظرة والنعل حاضرة وهو مني على ميعاد وانا له بمرصاد وكانما حررذلك الكتاب من نسخة مخازيه واستملاه من صحيفة خوازيه فما ترك لنفسه عرضا اثيما ولا عار ابهيما الا انتحله كريما واستباح منه حريما ولا تصفح كتابه الا عن حريم مباح وهو حريمه واديم مجتاح وهو أديمه وكذا من أغمد فيه سيف الريبة انسل منه لسان الغيبة ومن طعن بحنانه طعن لسانه ومن وارى سوأة أخيه صغيرا اشتغل بعرض الكرام كبيرا ومن لم تملكه في لسانه الغيرة لم يعاب بذكر الحرمة غيره والبغي والبغاء يتنزلان في رتبة والقم والقحبة يركضان في حلبة فالبغا باسته لا يصبر عن المقباس والبغي بفمه

فاسمع رجال السرى فى البيد واسرله * سرى الرجال ذوى الالباب والهمم
بيت العميان لم يخلص من العكس هنا اذ ليس فيه نكتة تلمع مع البديع شهلا وليس فيه غير
رجال السرى وسرى الرجال وبيت الشيخ عز الدين الموصلى فى بديعيته
خير المقال مقال الخير فاصغ ودع * عكس الصواب مع التبديل تستقم
الشيخ عز الدين أتى فى هذا النوع بالمقصود من نظم النوع البديعى وتسميته على الشرط المقرر
ولكنه أجنبى من مديح النبى صلى الله عليه وسلم وليس له أدنى تعلق ببيت المديح الذى قبله
وهو
تمت محاسنه والله كمله * فقدره فى الورى فى غاية العظم
وأعجب من هذا أنه قال بعد هذا البيت عن النبى صلى الله عليه وسلم
له الجميل من الرب الجميل على الـوجه الجميل بترديد من النعم
وغالب مديحه النبوى فى هذه القصيدة على هذا النمط فانها ما انسجمت معه الا فى مواضع
قليلة والظاهر ان ثقل تسمية النوع على الشرط المعلوم كلما أثقل كاهله فر الى جهة يستند الى
ركنها وبيت العميان كاد أن يكون أجنبيا من المديح ولكن اتكلوا على عود الضمير على
الممدوح وهو النبى صلى الله عليه وسلم وبيت بديعيتى وهو قولى عن النبى صلى الله عليه
وسلم
عين الكمال كمال العين رؤيته * يا عكس طرف من الكفار عنه عمى
أقول انه فى سهولته وانسجامه وحسن تركيبه وبديع تسميته وتمكين قافيته بيت عامر
بالمحاسن والله أعلم

(ذكر الترديد)

(أبدى البديع له الوصف البديع وفى * نظم البديع حلا ترديده بفمى)
الترديد هو ان يعلق الشاعر لفظة فى بيت واحد ثم يرددها فيه بعينها و يعلقها بمعنى آخر كقوله
تعالى لا يستوى أصحاب النار وأصحاب الجنة أصحاب الجنة هم الفائزون واستشهدوا على هذا
النوع من النظم بقول أبى نواس
صفراء لا تنزل الاحزان ساحتها * لو مسها حجر مسته سراء
والذى أقوله ان الترديد والتكرار ليس تحتهما كبير أمر ولا بينهما و بين أنواع البديع قرب
ولا نسبة لانحطاط قدرهما عن ذلك ولولا المعارضة ما تعرضت لهما فى بديعيتى ولكن ذكر زكى
الدين بن أبى الاصبع بينهما فرقا فيه بعض اشراق وهو أن اللفظة التى تكرر فى البيت ولا تفيد
معنى زائدا بل الثانية عين الاولى هى التكرار واللفظة التى يرددها الناظم فى بيته تفيد معنى
غير معنى الاولى هى الترديد وعلى هذا التقدير صار للترديد بعض مزية تميزها على التكرار
و يحلى بشعارها وعلى هذا الطريق نظم أصحاب البديعيات هذا النوع أعنى الترديد فبيت
الشيخ صفى الدين الحلى فى بديعيته
له السلام من الله السلام وفى * دار السلام تراه شافع الامم
لفظة السلام متعلقة فى كل موضع بغير الآخر لاشتراكها والعميان لم ينظموا هذا النوع

لا يصبر عن غيبة الناس
ومن سقى اسفله ماء الرجال أثمر
اعلاه مثل الجبال والناس
عند الاعمى عميان والكرم
عند أهل اللؤم كالماء فى فم
المحموم وسم المبرسم فى السهر
والشمس تقبح للعيون الرمد
والبغاء يرمى الناس بدائه
وكيف يبقى على اعدائه من
يتنفل باودائه وكيف يضن
بعرض اصدقائه من
لا يغار على نسائه وكيف
ينطع عن نسائه من يسمح
بوجهائه وكيف يبقى على
حرمة جاره من يبيح لعبده
داره ثم يتحامى ذكر الفروج
من صبر على الزنوج وعالج
رهز العلوج وان يستطيع
للسان رياضة من جعل
بطنه للايور مخاضة ولن
يطيق فى القول اصابة من
جعل دبره للجذوع مثابة
ولن يحسن القول لجنسه
من أساء الفعل لنفسه ومن
شرب ماء واه لم يعمر بيت

الترديد

وبيت الشيخ عز الدين

له الجميل من الرب الجميل على الـ ـشوجه الجميل بترديد من النعم

وبيت بديعيتي

أبدى البديع له الوصف البديع وفى * نظم البديع حلا ترديده بفمى

أقول ان حلاوة الترديد بالفم أحلى من قول الشيخ عز الدين بترديد من النعم واحسن موقعا لكونها في القافية والله أعلم

(ذكر التكرار)

(كررت مدحى حلا في الزائد الكرم ابـ ـن الزائد الكرم ابن الزائد الكرم)

المديح للكريم مليح هنا وقد تقدم قولي ان التكرار وهو أن يكرر المتكلم اللفظة الواحدة باللفظ والمعنى والمراد بذلك تأكيد الوصف أو المدح أو الذم أو التهويل أو الوعيد أو الانكار أو التوبيخ أو الاستبعاد أو لغرض من الاغراض * فأما ما جاء منه للذم فكقول مهلهل بن ربيعة أخي كليب

يالبكر أنشروا لي كليبا * يالبكر أين أين الفرار

وأما ما جاء منه للمدح فكقول كثير في عمر بن عبد العزيز

فأربح بها من صفقة لمبايع * وأعظم بها أعظم بها ثم أعظم

وكقول أبي تمام

بالصريح الصريح والاروع الار * وع منهم وباللباب اللباب

وأما ما جاء منه للتهويل فكقوله تعالى القارعة ما القارعة وما أدراك ما القارعة * وكقوله الحاقة ما الحاقة * وأما ما جاء منه للانكار والتوبيخ فهو تكرار قوله تعالى في سورة الرحمن فبأي آلاء ربكما تكذبان * فان الرحمن جل جلاله ما عدد آلاءه هنا الا ليبكت بها من أنكرها على سبيل التقريع والتوبيخ كما يبكت منكر أيادي المنعم عليه من الناس بتعديدها له * وأما ما جاء منه للاستبعاد فكقوله تعالى هيهات هيهات لما توعدون * وأما ما جاء منه في النسيب وهو في غاية اللطف فقول بعضهم

يقلن وقد قيل اني هجعت * عسى أن يلم بروحي الخيال

حقيق حقيق وجدت السلو * فقلت لهن محال محال

وألطف منه قول القاضي

ماذا تقول اللواحي ضل سعيهم * وما تقول الاعادي زاد معناه

هل غير أني أهواه وقد صدقوا * نعم نعم انا اهواه وأهواه

وما احلى ما قال بعده

حسب البرية اجرا فضل رؤيته * فما رؤى قط الا سبح الله

وبيت الشيخ صفي الدين الحلي في بديعيته يقول فيه عن النبي صلى الله عليه وسلم

الطاهر الشيم ابن الطاهر الشيم ابـ ـن الطاهر الشيم ابن الطاهر الشيم

والعميان ما نظموا هذا النوع في بديعيتهم * وبيت الشيخ عز الدين الموصلي في بديعيته

التكرار

سواه وبعد فالهذا السفيه يشتم امام خراسان وقد أتى من همذان لولا بغى مشتق من البغاء ووجع منه في الوجعاء ثم ما أغرى هذا السفيه بي وانساني له فما تصوره في وقتي الحديث والغزل ولا صحبه في طريقي الجد والهزل ولا ذكرني حال اليقظة والنوم ولا فصلي النهار والليل ونحن في كل حال على طرفي محال هو خوارزمي ولست من خوارزم وهو شاعر ولعن الله النظم وسفيه ولا انازعه الشتم ومخنف ولست معه ثم وموشوم وعدمت ذلك الوشم وشحاذ ولا أنزع هذا السهم وصفعان ولا ارجم هذا الرجم ونحوي ولا اشرب الخمر ونائي ولا اسمع الزمر وعودي ولا أحسن النقر ونردي ولا العب القمر وكشخان ولا آخذ الجذر

تكرار مدحي هدى في الشامل النعم ابشن الشامل النعم ابن الشامل النعم

وبيت بديعيتي

كررت مدحي حلا في الزائد الكرم ابشن الزائد الكرم ابن الزائد الكرم

كاد بيت الشيخ صفي الدين وبيت الشيخ عز الدين وبيت بديعيتي ان تكون بيتا واحدا المناسبة التركيب وان كان بيت الشيخ صفي الدين عميزا بزيادة واحدة في التكرار فقد جاء موضعها التورية في تسمية النوع كما قيل

وأين الثريا من يد المتناول

والذي يظهر أن مكرر بيتي حلاوته ظاهرة على بيت الشيخ عز الدين فان مكرره ناقص الحلاوة والله تعالى أعلم

(ذكر المذهب الكلامي)

(ومذهبي في كلامي أن بعثته * لولم تكن ماتميزنا على الامم

المذهب الكلامي نوع كبير نسبت تسميته الى الجاحظ وهو في الاصطلاح أن يأتي البليغ على صحة دعواه وابطال دعوى خصمه بحجة قاطعة عقلية تصح نسبتها الى علم الكلام اذ علم الكلام عبارة عن اثبات أصول الدين بالبراهين العقلية القاطعة * وقيل ان ابن المعتز قال لا اعلم ذلك في القرآن اعني المذهب الكلامي وليس عدم علمه مانعا علم غيره ولم يستشهد على المذهب الكلامي باعظم من شواهد القرآن واوضح الادلة في شواهد هذا النوع وابلغها قوله تعالى لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا * هذا دليل قاطع على وحدانيته جل جلاله وتمام الدليل ان تقول لكنهما لم تفسدا فليس فيهما آلهة غير الله * ومنه قوله صلى الله عليه وسلم لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا وتمام الدليل ان يقال لكنكم ضحكتم كثيرا وبكيتم قليلا فلم تعلموا ما أعلم فهذان قياسان شرطيان من كلام الله وكلام نبيه عليه الصلاة والسلام ومثله قول مالك بن المرحل الاندلسي

لو يكون الحب وصلا كله * لم تكن غايته الا الملل

أو يكون الحب هجرا كله * لم تكن غايته الا الاجل

انما الوصل كمثل الماء لا * يستطاب الماء الا بالعلل

فالبيتان الاولان قياس شرطي والثالث قياس فقهي فانه قاس الوصل على الماء كما أن الماء لا يستطاب الا بعد العطش فالوصل مثله لا يستطاب الا بعد حرارة الهجر وأما الاقيسة الجدلية فقد استنبطوها على صور منها ما يروى ان ابا دلف قصده شاعر تميمي فقال له ممن انت فقال من تميم فقال ابو دلف

تميم بطرق اللؤم اهدى من القطا * ولو سلكت سبل الهداية ضلت

فقال له التميمي نعم بتلك الهداية جئت اليك فافحمه بدليل جلي الزمه فيه ان المجيء اليه ضلال ولعمري ان القياس الشرطي اوضح دلالة في هذا الباب من غيره واعذب في الذوق واسهل في التركيب فانه جملة واقعة بعد لو وجوابها وهذه الجملة على اصطلاحهم مقدمة شرطية متصلة يستدل بها على ماتقدم من الحكم وعلى هذه الطريقة نظمت بيت

المذهب الكلامي

ودهري ولا اعبد الدهر ومركوب ولا اعبر الظهر هذه فضائل لا تفضله لي في قطيعها ومناقب لا وادلي من جمعها ثم هو بزعمه طالبي وأنا بدعواه ناصبي ولعن الله اقلنا لاهل البيت موالاة وأكثرنا للحق مناواة فما يجمعني واياه الا كلمة الجود لكني أجود بالمال وهو يجود بالعيال وجهة الحماية لكني أحمي الحريم وهو يحمي الرغيف ولا ينظمنا الا قرابة الشرب لكني اشرب البزر وهو يشرب الخمر ولا نصطحب الا في طريق الاصباح لكنه يرغب في المتاع ويردد كلمة المبتاع فتارة يقول هو أشرف المتاع وتارة يقول ما ألبق المتاع بالمبتاع وتارة يقول كسد المتاع وقل المبتاع وتارة يقول جلب المتاع ونشط المبتاع ومرة يقول المتاع سفي والمبتاع

البديعية وكذلك العميان ويأتى ذلك فى موضعه فبيت بديعية الشيخ صفى الدين الحلى

كم بين من أقسم الله العلى به * وبين من جاء باسم الله فى القسم

بيت الشيخ صفى الدين الحلى ليس لنور المذهب الكلامى فيه اشراق ولكنه ملحق بالاقيسة الجلية * وبيت العميان قد تقدم انه من الاقيسة الشرطية وهو قولهم فى مدح النبى صلى الله عليه وسلم

لو لم تحط كفه بالبحر ما شملت * كل الانام وارت قلب كل ظمى

جملة هذا البيت هى الجملة الواقعة بعد لو وجوابها فانهم استدلوا بها على ما تقدم من الحكم * وهو ان كفه صلى الله عليه وسلم محيط بالبحر وبيان صحة ذلك انها بلغت ان تشمل كل الانام وتعمهم بالرى وهذا دليل واضح على انها محيطة بالبحر وقد تعين ان أقدم بيت بديعيتى هنا على بيت الشيخ عز الدين وافرط سبحة الترتيب لوجهين احدهما ان بيتى وبيت العميان اقرا بهجة هذا النوع فى مطلع واحد وهو القياس الشرطى والثانى ان الشيخ عز الدين لم يتمسك فى المذهب الكلامى الا بالقول الضعيف وبيت بديعيتى أقول فيه عن النبى صلى الله عليه وسلم

ومذهبى فى كلامى ان بعثته * لو لم تكن ما تميزنا على الامم

دليل هذا القياس الشرطى فى بعثة النبى صلى الله عليه وسلم وان هذه الامة تميزت بها على سائر الامم أوضح من النهار الذى لم يحتج عند ظهوره الى اقامة دليل وبيت الشيخ عز الدين فى بديعيته قوله

بمذهب من كلام الله ينسخ شر * ع الاولين ببشرى من كلامهم

كأن الشيخ عز الدين غفر الله له يقول عن النبى صلى الله عليه وسلم انه بمذهب من كلام الله أى القرآن ينسخ شرع الاولين وكأنه جعل حجته القاطعة فى المذهب الكلامى والله اعلم قوله ببشرى من كلامهم اى من كلام الاولين ولم ارفى هذا البيت للمذهب كلاما ولا للكلام مذهبا غير ما ذكرته وفوق كل ذى علم عليم

(ذكر المناسبة)

(فعلمه وافر والزهد ناسبه * وحلمه ظاهر عن كل مجترم)

المناسبة على ضربين مناسبة فى المعانى ومناسبة فى الالفاظ فالمعنوية هى ان يبتدئ المتكلم بمعنى ثم يتمم كلامه بما يناسبه معنى دون لفظ وهذا النوع اعنى المناسبة المعنوية كثير فى الكتاب العزيز فمنه قوله تعالى اولم يهد لهم كم اهلكنا من قبلهم من القرون يمشون فى مساكنهم ان فى ذلك لآيات أفلا يسمعون اولم يروا انا نسوق الماء الى الارض الجرز فنخرج به زرعا تأكل منه انعامهم وانفسهم افلا يبصرون فانظر الى قوله سبحانه وتعالى فى صدر الآية التى هى للموعظة اولم يهد لهم ولم يقل اولم يروا لان الموعظة سمعية وقد قال بعدها افلا يسمعون وانظر كيف قال فى صدر الآية التى موعظتها مرئية اولم يروا * وقال بعد الموعظة البصرية افلا يبصرون ومن اظرف ما انقله هنا من النقد اللطيف فى هذا الباب ان قاضى القضاة عماد الدين ابن القضامى أخا شيخنا قاضى القضاة علاء الدين الحنفى نور الله

غنى وكثيرا يقول اكل متاع مبتاع احسن الله بالمتاع امتاعه فما أفسح فيه رباعه ولا تقترن الا فى حبل الادب ولكنه اديب مادام وحده مفوه مالم احضر عنده فاذا التقينا بالشعرى شعره ونزا على شيطانه شيطانى ولا نلتقى الا فى طرف الصنعة ولكنه يدعى فلا يحسن ولا أدعى ماعذرى من هذا السخيف من تفاوت ما بين الثلج والنار وتضاد ما بين الليل والنهار ومسافة ما بين الفرس والحمار هو احمر وانا أسمر وهو أزرق وانا احور وهو أشقر وانا احمر وهو اقرن وانا اجم وهو قصير يتطاول وناقص يتفاضل وسفيه يتحامل وانا على الضد أتطول وعلى النقيض اتفضل وعلى الخلاف اتحمل فما بعد ما وجدنا خلقا ووقعنا خلقا وسلكنا طرقا وضربنا عرقا وبعد فان كان

المناسبة

ضريحه * ويجعل من الرحيق المختوم غبوقه وصبوحه * نظم قصيدة امتدح بها المقر المرحوى السيفى أرغون الاسعردى كافل المملكة الشريفة الحمويه وعرضها قبل انشادها المدح على اخيه المشار اليه فانتهى منها فى المدح الى بيت يقول فيه

خبير بتدبير الامور رفن يرى * سوى ما يراه فهو فى هذه أعمى

فقال له شيخنا قاضى القضاة علاء الدين يجب أن تقول لاجل المناسبة المعنوية موضع خبير بصير وقد عدوا من محاسن الامثلة المعنوية قول ابى الطيب المتنبى

على سابح موج المنايا بنحره * غداة كأن النبل فى صدره وبل

فان بين لفظة السباحة ولفظتى الموج والوبل تناسبا معنويا صار البيت به متلاحما * والذى عقد الناس عليه الخناصر فى هذا الباب قول ابن رشيق القيروانى

اصح وأقوى ما رويناه فى الندا * من الخبر المأثور منذ قديم

احاديث ترويها السيول عن الحيا * عن البحر عن جود الامير تميم

قال زكى الدين بن ابى الاصبع هذا أحسن شعر سمعته فى المناسبة المعنوية * فانه وفى المناسبة حقها وناسب فى البيت الاول بين الصحة والقوة والرواية والخبر المأثور * وناسب فى البيت الثانى بين الاحاديث والرواية والعنعنة * هذا مع صحة ترتيب العنعنة من حيث انها جاءت صاغرا عن كابر وآخرا عن أول كما يقع فى سند الاحاديث لان السيول فرع الحيا اصله وكذلك الحيا فرع البحر اصله ثم نزل البحر منزلة الفرع وجود الممدوح منزلة الاصل للمبالغة فى المدح وهذا غاية الغايات فى هذا الباب * أقول انى زاحمت ابن رشيق القيروانى هنا بالمناكب وابطلت موانع التعقيد لما دخلت معه الى هذه المطالب وما ذاك الا أنى امتدحت شيخى المشار اليه اولا مولانا قاضى القضاة ابن القضامى الحنفى بموشح بيت مخلصه تحفة فى هذا الباب * لان مناسباته المعنوية رفعت عن محاسنها الحجاب * وهو

رقم السوالف يروى لى بمسنده * عن رقتى حيهم يا طيب مورده

وثغرها قد روى لى قبل ما حجبت * عن برق ذاك النقا ايام معهده

والريق أمسى عن المبرّد * يروى حديث العذيب مسند

عن الصفا عن مذاق الشهد والعسل * عن ذوق سيدنا قاضى القضاة على

وقد حبست عنان القلم عن الاستطراد الى وصف محاسن هذا البيت ومناسباته المعنوية فان برهانه غير محتاج الى اقامة دليل وهذا الموشح نظمته بحماة المحروسة فى مبادى العمر ورياحين الشبيبة غضة ولما طلبت الى الابواب الشريفة المويدية سنة خمس عشرة وثمانمائة ووصلت الى الديار المصرية فى التاريخ المذكور وجدته لحنا واهل مصر يلهجون به ويلحنونه كثيرا فتعين على ان أثبت هنا منه شيأ ليحلو تكريره بمصر وتعرف رتبة قوافيه لاجل بيت المخلص الذى اوردته مثالا على نوع المناسبة المعنوية فى غزل الموشح المذكور

ماست بقامتها يوما بذى سلم * والشعر كالعلم المنشور للامم

زحم كما زعم ووهم كما اوهم وكبر كما ذكر وطال كما قال فما هذا الدود والحرد ولم هذا الغيظ والكمد وكم ننساه ويذكرنا ونطويه وينشرنا وقد رأت الاعين ونقلت الالسن فهلا ترك الحديث لعزه اوطواه على غرّه وما رايت كهذا السخيف اذا شهدت صلق بالضراط مراثه واذا غبت استنسر بغاثه ان اللسان الذى اخرس لسانه والبنان الذى انبس بيانه لم تكسبهما مهرو مجاجة ولا كستهما سرخس بلادة ولا ابتت الغربة لهما غربا ولا امتهنت هذه الحضرة منهما عضبا وهما معى لم يفارقانى وذلك الحفظ لم يعد بعد بحره نزرا وتلك البديهة لم يصر برها جزرا وتلك الكتابة صار واحدها عشرا وما زادتنا الايام الا نشرا ولا الليالى

فقلت ياقلب أعلام الهنانصبت * هاأنت تخطر بين البان والعلم
واسود الخال مذ تبدّى * فى خدها همت فيه وجدا
قالت وطلعتها كالشمس فى الحمل * فى طلعة الشمس مايغنيك عن زحل
سألتها بردما عندى من الكمد * وقلت نارالجوى قدأضعفت جلدى
قالت بريقى أطفئها اذا التهبت * يابرد ذا الذى قالت على كبدى
وغرقتنى بدمع طرفى * وقالت اسمع كفيت خلقى
الم تخف بالا ناديت يا أملى * أنا الغريق فما خوفى من البلل

منه

بالله يابرق ان اومضت فى الثغر * وحارس اللحظ فى شك من الخبر
قف بالثنيات واذكرنى اذا عذبت * تلك النهيلات للورّاد فى السحر
وارسل عليل النسيم خلقى * فانه قوة لضعفى
عسى تصحح جسما بالفراق بلى * وربما صحت الاجسام بالعلل

منه

انسان مقلتها لما رأى كلفى * بسيفه قدا قام الحد فى تلفى
فت بالسيف قهرا والحشا نهبت * لكننى عندموتى مذقوى شغفى
ناديته والدموع طوفان * وقلت هذا فعال انسان
الام تعجل فى قتلى بلا زلل * فقال لى خلق الانسان من عجل

وقدطال الشرح وخرجنا عما كافيه من المناسبة المعنويه وحسن ختامها بما أوردناه من كلام ابن رشيق القيروانى والبيت الذى أوردته من هذا الموشح وأما المناسبة اللفظية وهى دون رتبة المعنويه فهى الاتيان بكلمات متزنات وهى على ضربين تامة وغير تامة فالتامة أن تكون الكلمات مع الاتزان مقفاة والناقصة موزونة غير مقفاة فمن شواهد التامة قوله سبحانه وتعالى ن والقلم ومايسطرون ماانت بنعمة ربك بمجنون وان لك لاجرا غير ممنون ومن شواهد التامة فى السنة الشريفة قول النبى صلى الله عليه وسلم مما كان يرقى به الحسنين عليهما السلام اعيذ كما بكلمات الله التامه من كل شيطان وهامه ومن كل عين لامه ولم يقل عليه السلام ملمة وهى القياس لمكان المناسبة اللفظية ومن أمثلة المناسبتين الناقصة والتامة قول ابى تمام حبيب بن اوس

مها الوحش الا أن هاتا أوانس * قنا الخط الا ان تلك ذوابل

فناسب بين مها وقنا مناسبة تامة وبين الوحش والخط وأوانس وذوابل مناسبة غير تامة قال زكى الدين بن أبى الاصبع هذا البيت من أفضل بيوت المناسبة لما انضم اليه فيها من المحاسن فان فيه مع المناسبتين التشبيه بغير آداة والمساواة والاستثناء والطباق اللفظى وائتلاف اللفظ مع المعنى والتمكين فأما المناسبة فيه فقد عرفت وأما التشبيه ففى قوله مها وقنا فان التقدير كها وكقنا وحذف الاداة ليدل على قرب المشبه من المشبه به وأما

الابشرا ووردله عن الامير كتاب فابكى زيدا وأضحك عمرا حلف انه لاتطير له واستشهد على ذلك بسيف الدولة وعضدها ونخر الدولة ومؤيدها ويسئل الامير أن لايوطئنى بساط خدمته ولايمطرنى سحاب نعمته متوسلا بانه ناصرى وان غيره تالشى والتركى اذا آل الى الاستجارة بالله امره فقد انتهى عمره والخوارزمى اذا كانت هذه وسيلته فقد ضاقت حيلته وليت شعرى عنه اذا لم يوال الامير مايصنع وهو ان عاداه يصفع وان لم يطعمه فما يفعل وهو ان عصاه يقتل وان لم يرض أيامه فمايؤثر وهو ان سخطها الايغير ودك هذا السخيف قد تعدى باب السخف والمجون الى حديث الحماقه والجنون وتجاوز حد الخلاعة الى الرقاعة وجاوز قول اصحاب المحابر الى لفظة ار باب

الاستثناء البديعي ففي قوله الآن هاتا أوانس وقوله الآن تلك ذوابل ليثبت للموصوفات التأنيس وينفي عنهن النفار والتوحش وكذلك فعل في الاستثناء الثاني فانه اثبت لهن اللين ونفى عنهن اليبس والصلابة واما المطابقة ففي قوله الوحش وأوانس وهاتا وتلك فان هاتا للقريب وتلك للبعيد واما المساواة فلفظ البيت لا يفضل عن معناه ولا يقصر عنه واما الائتلاف فلكون الفاظه من واد واحد متوسطة بين الغرابة والاستعمال وكل لفظة منها لائقة بجنبها لا يكاد يصلح موضعها غيرها واما التمكين فاستقرار قافية البيت في موضعها وعدم نفارها عن محلها انتهى الكلام على المناسبة اللفظية والمعنوية وتقرير التامة والناقصة من اللفظية فبيت الشيخ صفي الدين الحلي في بديعيته يقول فيه عن النبي صلى الله عليه وسلم

مؤيد العزم والابطال في قلق * مؤمل الصفح والهيجاء في ضرم

الشيخ صفي الدين لم يحتج في بيته الى المناسبة المعنوية بل اتى باللفظية وعجبت منه كيف رضي لنفسه بقول القائل

اذا كنت ما تدري سوى الوزن وحده * فقل انا وزان وما انا شاعر

وليته اتى بالمناسبة اللفظية تامة فانه في عالم الاطلاق غير مقيد بتسمية ومناسبته اللفظية الناقصة ظاهرة فقوله مؤيد العزم في وزن مؤمل الصفح وقوله والابطال في قلق موازن والهيجاء في ضرم ولم ينظم العميان هذا النوع وبيت الشيخ عز الدين الموصلي يقول فيه عن النبي صلى الله عليه وسلم

الم تر الجود يجري في يديه الم * تسمع مناسبة في قوله نعم

الشيخ عز الدين غفر الله له لم يثبت له مع المناسبة المعنوية واللفظية نسبة ولكنه قال لمن يخاطبه ألم تر الجود يجري من ايادي النبي صلى الله عليه وسلم ألم تسمع مناسبة من لفظ نعم ولفظ الشيخ عز الدين الموضوع في بيته ليس فيه مناسبة لفظية اتى فيها بوزن وقافية ولا مناسبة معنوية ابتدا فيها بمعنى وتمم كلامه بما يناسبه وبيت بديعيتي اقول فيه عن النبي صلى الله عليه وسلم

فعله وافر والزهد ناسبه * وحلمه ظاهر عن كل مجترم

هذا البيت جمعت فيه ببركة ممدوحه صلى الله عليه وسلم بين المناسبة المعنوية واللفظية التامة المشتملة على الوزن والتقفية فقولي علمه يناسبه حلمه وزنا وقافية ووافر مثله ظاهر وزنا وقافية والمناسبة المعنوية ابتدأت بها في أول الشطر الثاني من البيت بذكر الحلم ثم تممت كلامي بقولي عن كل مجترم فحصلت المناسبة المعنوية بين الحلم وذكر الاجترام الذي هو الذنب مع تمكين القافية فانه قيل عن المأمون انه كان يقول لو علم الناس محبتي للعفو لتقربوا الي بالجرائم وهذه هي المناسبة المعنوية بعينها ولكن النبي صلى الله عليه وسلم احق بهذا المدح وأولى بهذه الصفات

(ذكر التوشيع)

*(ووشع العدل منه الارض فانتشحت * بحلة الاجدين العهد والذمم)*

المنابر وارتفع عن مقالات الشعراء الى مقالاة الامراء وبالله لو قال هذه الكلمة فخر الدولة لكانت كبيرة ولو لا كها شمس المعالي لما عدت صغيرة أمثل الخوارزمي يخادع كتخداى الخلق وملك الشرق بهذا الزرق ومتى جاز للموالي ان تتلقب بالموالي فالعبد وان أحب مولاه فليس بصديقه والابن وان صاحب أباه فليس برفيقه وليس السوقي اذا أمر أميرا ولا الجمال اذا نهض قديرا ولا العبد اذا ارسل نبيا ولا الخوارزمي اذا والى وليا ولكل رتبة محررة وحلية مقررة وأما مسئلته الامير أن لا يخرطني في سلكه ولا يمكنني من بساط ملكه فقد شغلتني على رغمه أطراف النعم وبلتني مصائب الهمم والراغم

(التوشيع)

التوشيع

التوشيع مأخوذ من الوشيعة وهي الطريقة الواحدة في البرد المطلق فكأن الشاعر اهمل البيت الا آخره فانه أتى فيه بطريقة تعد من المحاسن وهو عند أهل هذه الصناعة عبارة عن أن يتكلم المتكلم أو الشاعر باسم مثنى في حشو العجز ثم يأتي بعده باسمين مفردين هما عين ذلك المثنى يكون الآخر منهما قافية بيته أو سجعة كلامه كأنما فسره وقد جاء من ذلك في السنة الشريفة ما لا يلحق بلاغته وهو قوله صلى الله عليه وسلم يشيب المرء ونشب معه خصلتان الحرص وطول الامل ومن أمثلة هذا الباب في النظم قول الشاعر

أمسي وأصبح من تذكاركم وصبا * يرثي لي المشفقان الاهل والولد
قد خدد الدمع خدي من تذكركم * واعتادني المضنيان الوجد والكمد
وغاب عن مقلتي نومي لغيبتكم * وخانني المسعدان الصبر والجلد
لا غرو للدمع أن تجري غواربه * وتحته الظلمان القلب والكبد
كأنما مهجتي شلو بمسبعة * ينتابها الضاريان الذئب والاسد
لم يبق غير خفي الروح في جسدي * فدى لك الباقيان الروح والجسد

هذه الابيات عامرة بالمحاسن في هذا الباب غير أن أهل النقد الصحيح ما سكتوا عن تقصيره في البيت الاول حيث قال فيه يرثي لي المشفقان الاهل والولد فان شفقة الاهل والولد معروفة والمشفق اذا رثى لشكوى أهله أو الولد اذا رثى لشكوى والده كان ذلك تحصيل الحاصل والمراد هنا أن يقول رثى لي العدو ورق لي الصخر واشباه ذلك قال ابن أبي الاصبع وما بشعر قلته هنا من بأس

بي محنتان ملام في هوى بهما * يرثي لي القاسيان الحب والحجر
لولا الشفيقان من امنية واسى * اودى بي المرديان الشوق والفكر

رايت في حاشية على هذين البيتين بخط رفيع رحم الله الشيخ لو قال الشوق والسهر كان اتم واحسن وبيت الشيخ صفي الدين في هذا الباب غاية فانه يقول في وصف النبي صلى الله عليه وسلم

أمي خط أبان الله معجزه * بطاعة الماضيين السيف والقلم

والعميان ما نظموا هذا النوع في بديعيتهم وبيت الشيخ عز الدين الموصلي رحمه الله

ومن عطاياه روض وشعته يد * تغني عن الاجودين البحر والديم

الشيخ عز الدين اتى بالتوشيع على الوضع ولكنه شن الغارة على ابن الرومي وفك قواعد بيته وهو

ابو سليمان ان جادت لنا يده * لم يحمد الاجودان البحر والمطر

اخذ الاجودين والبحر وارادف المطر بالديم وهذا ما يليق باهل الادب وبيت بديعيتي اقول فيه عن النبي صلى الله عليه وسلم

ووشع العدل منه الارض فاتشحت * بحلة الاحمدين العهد والذمم

وانا على مذهب زكي الدين بن أبي الاصبع في قوله وما بشعر قلته هنا من بأس انتهى

التراب والحاسد الحائط والباب والمكاره البدد والشاب والشيخ الامام مخدوم من الاسلام بما يحن الى أدبه والسلام

(وله الى الشيخ ابي عبد الله الحسين بن يحيى)

كتابي أطال الله بقاء الشيخ وللشيخ لذة في السب والعتب وطبيعة في العنف والعسف فاذا أعوزه من يغضب عليه فانا بين يديه واذا لم يجد من يهونه فانا ازبونه والولد عبد ليست له قيمة والظفر به غنيمة والوالد مولى أحسن ام أساء فليفعل ما شاء لا يعدمه الله مني جسدا لا يتألم بالضرب وقلبا لا يتظلم من العتب هنيئا ما استحل من عرضي واكل من لحمي فما يأكل الا لحمه ولا يضيم الا بعضه واما البزاز وما حكاه فبالله ما أعرفه أولا حتى ابرأ مما جناه ثانيا وسبحان من جرعني مرارة ذلك

﴿ذكر التكميل﴾

﴿آدابه عمت لا نقص يدخلها * والوجه تكميله في غاية العظم﴾

التكميل هو أن يأتي المتكلم او الشاعر بمعنى تام من مدح اوذم او وصف اوغيره من الاغراض الشعرية وفنونها ثم يرى الاقتصار على الوصف بذلك المعنى فقط غير كامل فيأتي بمعنى آخر يزيده تكميلا كمن اراد مدح انسان بالشجاعة ثم رأى الاقتصار عليها دون مدحه بالكرم غير كامل فيكمله بذكر الكرم أو بالبأس دون الحلم وما أشبه ذلك من الاغراض وقد جاء منه في الكتاب العزيز قوله تعالى فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه اذلة على المؤمنين اعزة على الكافرين فانظر الى هذه البلاغة فانه سبحانه وتعالى علم وهو اعلم أنه لو اقتصر على وصفهم بالذلة للمؤمنين لكان مدحا تاما مشتملا على الرياضة والانقياد لاخوانهم ولكن زاده تكميلا ووصفهم بعد ذلتهم لاخوانهم المؤمنين بالعزة على الكافرين وهذا هو التكميل الذي يتطفل البدور على كماله ومثاله في الشعر قول كعب بن سعيد الغنوي

حليم اذا ما الحلم زين اهله * مع الحلم في عين العدو مهيب

قوله اذا ما الحلم زين اهله احتراس لولاه لكان المعنى في المدح مدخولا اذ بعض التغاضي قد يكون عن عجز يوهم انه حلم فان التجاوز لا يكون حلما محققا الا عن قدرة وهو الذي قصده الشاعر بقوله * اذا ما الحلم زين اهله * فان الحلم ما زين اهله الا اذا كان عن قدرة وهذا القدر غاية في باب التكميل ثم راى ان مدحه بالحلم وحده غير كامل فانه اذا لم يعرف منه الا الحلم طمع فيه عدوه فقال مع الحلم في عين العدو مهيب قلت ومما يؤيد هذا التقرير قول الشاعر

وحلم ذي العجز ذل أنت عارفه * والحلم عن قدرة ضرب من الكرم

ومن التكميل الحسن قول كثير عزة

لو أن عزة خاصمت شمس الضحى * في الحسن عند موفق لقضى لها

فقوله عند موفق تكميل حسن فانه لو قال عند محكم لتم المعنى لكن في قوله عند موفق زيادة تكميل بها حسن البيت والسامع يجد لهذه اللفظة من الموقع الحلو في النفس ما ليس للاولى اذ ليس كل محكم موفقا فان الموفق من الحكام من قضى بالحق لاهله وقد غلط غالب المؤلفين في هذا الباب وخلطوا التكميل بالتتميم وساقوا في باب التتميم شواهد التكميل فمن ذلك قول عوف السعدي

ان الثمانين وبلغتها * قد أحوجت سمعي الى ترجمان

هذا البيت ساقوه من شواهد التتميم وهو أبلغ شواهد التكميل فان معنى البيت تام بدون لفظة وبلغتها واذا لم يكن المعنى ناقصا فكيف يسمى هذا تتميما وانما هو تكميل حسن قال ابن أبي الاصبع وما غلطهم الا أنهم لم يفرقوا بين تتميم الالفاظ وتتميم المعاني فلو سمى مثل هذا تتميما للوزن لكان قريبا وانما ساقوه على أنه من تتميم المعاني وهذا اغلاط والفرق بين التتميم والتكميل أن التتميم يرد على المعنى الناقص فيتممه والتكميل يرد على المعنى التام فيكمله اذ الكمال امر زائد على التمام وقد تقدم هذا الكلام على التتميم في موضعه ولكن أردت

هنا

(التكميل)

المثل لحديث ذلك النذل ولست أدري في اي صحائف المحن اثبت ما حكاه وفي أي جرائد الحكم أجرت ما رواه واما المنتظر وتأخره فالمودع ثقة وهو حاج لست اخبر امره ولا اعرف عذره والحق بابه وعلى حسابه وعندي أن الولد أصغر قدرا من أن يعاتب والوالد أعظم منزلة من أن يجاوب ولو شئت لاعلته براءة ما حقي بما قرفني ونسبني اليه لكني أجد المناظرة صفة المنافرة وللمنافرة شكل المناكرة فلا اطأ عتبة بينها وبين العقوق منزلة ولا ارد شرعة بينها وبين الفسوق مرحلة فلا القاه بأبرز من التوبة ان كنت فرطت والعفو ان كنت قلت وهذا الشبه بالبنوة واحرى مع الابوة واما

هنا تفصيل التكميل عن التتميم لتنجلي عن الطالب ظلمة الاشكال بصبح هذا الفرق الدقيق ومن أحسن التكميل قول شاعر الحماسة

لو قيل للمجد حد عنهم وخلاهم * بما احتكمت من الدنيا لما حادا

فقوله بما احتكمت من الدنيا تكميل فى غاية الكمال ويعجبنى من هذا الباب قول الشيخ جمال الدين بن نباتة فى بعض مطالعه المقمرة

نفس عن الحب ما حادت ولا غفلت * بأى ذنب وقالت الله قد قتلت

معنى بيت الشيخ جمال الدين أيضا تام بدون قوله وقالت الله ولكن التكميل بوقالت الله بل قتلت لا يصدر الا من مثل الشيخ جمال الدين وما أحقه هنا بقول القائل

قالوا فهل يسمح الدهر الكريم لنا * بمثله قلت لا والله قد سلفا

ومثله قولى فى مطلع قصيد

قد مال غصن النقا عن صبه هيفا * ياليته بنسيم العتب لو عطفا

معنى البيت تام بدون نسيم العتب ولكن استعارة تسيم العتب هنا بعد ميل الغصن وذكر انعطافه غاية فى باب التكميل وفيه مع التكميل المناسبة المعنوية والاستعارة اللطيفة وناهيك بلطف نسيم العتب وفيه التمكين والانسجام ومثله قولى فى مطلع قصيد

جردت سيف اللحظ عند تهددى * ياقاتلى فسلبتنى بمجرد

معنى البيت تام بدون قولى ياقاتلى وقولى ياقاتلى بعد تجريد سيف اللحظ أكمل من بدور الكمال وقلت بعد المطلع ولم أخرج عن التكميل

وأردت أن تسقى بماء حشاشتى * حاشاك ما يسقى الصقيل من الصدى

معنى البيت أيضا تام بدون قولى حاشاك ولكنها زادت البيت تكميلا رفعت به قواعده ومثله قولى من قصيد

وأفردتمونى للغرام لانكم * أخذتم كما شاء الهوى بمجامعى

معنى البيت تام بدون قولى كما شاء الهوى ولكن التكميل بها تكملت به محاسن البيت ومثله قولى من قصيد

أذابت القلب فى نار الهوى عبثا * ومذ سلته وقالت انه قالى

قالت ساوت خلاك الله قلت لها * الله أعلم يا أسماء من السالى

فلفظة عبثا فى البيت الاول تكميلها ظاهر ولكن خلى الله من لا ينظر الى محاسن خلاك الله فى البيت الثانى ومثله قولى من قصيد

ورب غصن لاطيار القلوب على * قوامه فى رياض الوجد تغريد

والمعنى أيضا تام فى هذا البيت بدون قولى فى رياض الوجد ولكن مناسبة التكميل برياض الوجد بين الغصن والاطيار والتغريد غاية فى هذا الباب وقد طال الشرح ولكن مثل التكميل ما ينقص من قدره ويختصر من أمثلته وبيت الشيخ صفى الدين الحلى فى بديعيته

نفس مؤيدة بالحق نعضدها * عناية صدرت عن بارئ النسم

ابو فلان فلا اشك ان كتابه يرد منه على صدر محاسى من صحيفته ونسى اجتماعنا على الحديث والغزل وتصرفنا فى الجد والهزل وتقلبنا فى أعطاف العيش بين الوقار والطيش وارتضاعنا ثدى العشرة اذ الزمان رقيق القشرة وتواعدنا ان يلحق احدنا بصاحبه اذا آنس الرشد من جانبه وتصافحنا من قبل أن لا يصرم الحبل وتعاهدنا من بعد أن لا ينقض الوعد وهل ذا كر من كان اقرب عهده ثلاثين شهرا او ثلاثة احوال وكانى به وقد استجد اخوانا ولا بأس فان كانت للجديد لذة فللقديم حرمة والاخوة بردة لا تضيق عن اثنين ولو شاء لعاشرنا فى البين وكان سألنى ان أرود له منزلا ماؤه روى ومرعاه غذى وأكاتبه لينهض اليه

بيت الشيخ صفى الدين لم يظهر لبدور التكميل فى أفقه اشراق ومعنى البيت تام ولكن لم يأت فيه الناظم بنكتة تزيده تكميلا والعميان ماتظموا هذا النوع فى بديعيتهم وبيت الشيخ عز الدين فى بديعيته

تمت محاسنه والله كمله * فقدره فى الورى فى غاية العظم

بيت الشيخ عز الدين أمثل من بيت الشيخ صفى الدين وتكميله ظاهر فان معنى بيته تام بدون قوله والله كمله ولكن قوله هنا والله كمله فى غاية الكمال فانها اشتملت على تورية التسمية ونكتة النوع وبيت بديعيتى

آدابه تمت لانقص يدخلها * والوجه تكميله فى غاية العظم

معنى هذا البيت أيضا تام بدون قولى لانقص يدخلها ولكن هذا النقص هو عين التكميل والله أعلم

(ذكر التفريق)

*(قالوا هو البدر والتفريق يظهر لى * فى ذاك نقص وهذا كامل الشيم)*

التفريق فى اللغة ضد الاجتماع وفى الاصطلاح أن يأتى المتكلم أو الناظم الى شيئين من نوع واحد فيوقع بينهما تباينا وتفريقا بفرق يفيد زيادة وترجيحا فيما هو بصدده من مدح أو ذم أو نسيب أو غيره من الاغراض الادبية كقول الشاعر فى المديح

مانوال الغمام وقت ربيع * كنوال الامير يوم سخاء

فنوال الامير بدرة مال * ونوال الغمام قطرة ماء

ومثله

من قاس جدواك بالغمام فما * أنصف فى الحكم بين شكلين

أنت اذا جدت ضاحك أبدا * وهو اذا جاد دامع العين

قال بدر الدين ابن الصوبه فى غير المدح

حسبت جماله بدرا منيرا * وأين البدر من ذاك الجمال

قلت وأحسن منه قول القائل

قاسوك بالغصن فى التثنى * قياس جهل بلا انتصاف

هذاك غصن الخلاف يدعى * وأنت غصن بلا خلاف

فالتفريق فى الجميع فرقه ظاهر مثل الصبح ولكن هذا النوع ماهو غاية فى البديع فما يحتمل اطلاق عنان القلم فى الكلام عليه أكثر من ذلك وبيت الشيخ صفى الدين الحلى فى بديعيته يقول فيه عن النبى صلى الله عليه وسلم

لجود كفيه لم تقلع سحائبه * عن العباد وجود السحب لم يدم

بيت الشيخ صفى الدين الحلى حسن فى هذا الباب والتفريق فيه جمع المحاسن فى مدح النبى صلى الله عليه وسلم وبيت العميان فى بديعيتهم

لايستوى الغيث مع كفيه نائل ذا * ماء ونائله مال فلا تهم

العميان غفر الله لهم مسخوا قول الشاعر

مانوال الغمام وقت ربيع * كنوال الامير يوم سخاء

فنوال

راحلته فهالك نيسابور ضالته التى نشدتها وقد وجدتها وخراسان منيته التى طلبتها وقد أصبتها وهذه الدولة بغيته التى أردتها فقد وردتها فان صدقنى رائدا فلبأتنى قاصدا وان رضينى مشيرا فليجئنى سريعا وهيهات أن يترك ارونده ونصابها وترمذ وشعابها ومآوسا ورياضها فيعتاض عنها كرم العهد ولو علم أن رياض الاخوة أنضر وشعاب المروءة أطيب وانه لايعدم من نيسابور مثل تلك المتنزهات وخيرا من تلك المتوجهات حط اليها ركابه واما انا واخبارى بهذه الناحية فتقلب فى ثوب العافية موفر بهذه الحضرة مرموق بعين القبول هذه جملة حالى ووراءها تفصيل منها عليه دليل واما الاخ ابو سعيد جعلنى الله فداءه

فنوال الامير بدرة مال * ونوال الغمام قطرة ماء

والظاهر ان نوال الغمام وقت الربيع محجب عن العميان ولكن أين هم من موقع التفريق وعظم المباينة بين بدرة المال وقطرة الماء هذا مع ما تجشموه من مشاق التعقيد وثقل التركيب والجميع يخف على النفس بالنسبة الى قولهم فى القافية فلا تهم نم ما حط هذا القافية هنا على هذه الصيغة من شم للادب رائحة وأين هم من تمكين قافية الشيخ صفى الدين فى قوله

بجود كفيه لم تقلع سحائبه * عن العباد وجود السحب لم يدم

وبيت الشيخ عز الدين الموصلى فى بديعيته يقول فيه عن النبى صلى الله عليه وسلم

قالوا هو البحر والتفريق بينهما * اذ ذاك غم وهذا فارج الغمم

بيت الشيخ عز الدين فى هذا الباب عامر بالمحاسن وحشمة المديح النبوى مشرقة على أركانه ونوع التفريق فيه أحلى من ليالى الوصال فانه مشتمل على تورية التسمية ونكتة النوع البديعى والطف الانسجام والسهولة وليس فى بديعيته بيت يناظره فى علو طباقه وبيت بديعيتى أقول فيه عن النبى صلى الله عليه وسلم

قالوا هو البدر والتفريق يظهر لى * فى ذاك نقص وهذا كامل الشيم

قد أطلقت لسان القلم فى وصف بيت الشيخ عز الدين ولعمرى انه يستحق فوق ذلك فان الذى كلف بتسمية النوع مورى به من جنس المديح يثقل كاهل كل فحل وقد حبست عنان القلم عن الاستطراد الى وصف هذا البيت فان فى انصاف أهل الذوق ما يغنى عن الاطناب فى وصفه انتهى

(ذكر التشطير)

*(وانشق من أدب له بلا كذب * شطرين فى قسم تشطير ملتزم)*

التشطير هو أن يقسم الشاعر بيته شطرين ثم يصرع كل شطر منهما لكنه يأتى بكل شطر من بيته مخالفا القافية الآخر ليتميز كل شطر عن أخيه فمن ذلك قول مسلم بن الوليد

موف على مهج فى يوم ذى رهج * كأنه أجل يسعى الى أمل

هذا البيت تصريعه صحيح ولكن تصريع الشطر الثانى قافيته الاولى مرفوعة والثانية مجرورة وهذا عيب فى تصريع التشطير وقول أبى تمام فى هذا الباب خالص من ذلك وهو

تدبير معتصم بالله منتقم * لله مرتغب فى الله مرتقب

وعلى جادته الواضحة مشى الشيخ صفى الدين الحلى فى بديعيته وبيته

بكل منتصر للفتح منتظر * وكل معتزم بالحق ملتزم

والعميان ما نظموا هذا النوع فى بديعيتهم وانا أقول يا ليتنى كنت معهم فانه نوع مبنى على تقاقع ليس تحتها طائل ولكن الشروع فى معارضة البديعيات اوجب نظمه وبيت الشيخ عز الدين فى بديعيته

تشطير معتدل بالسيف مشتغل * فى جحفل لهم كالاسد فى الاجم

وبيت بديعيتى أشير فيه الى انشقاق القمر فى مديح النبى صلى الله عليه وسلم وتقدم قولى فى نوع التفريق

(التشطير)

ورزقنى لقاءه فقد شكرت بره ولولا اشفاقى من ضعف تركيبه ولطف ترتيبه وعلمى بأنه لا يحتمل وعثاء السفر لسألت الشيخ اهداءه الى لا تولى تعليمه وتقويمه لكنه رطب العظام لطيف الاركان لا اخاطر باخراجه من ذلك المكان حتى يعقد مخه فى عظامه وأثق بقوة الواحه ويلغنى أنه ابتدأ بجمل اللغة فأين بلغ منه والشيخ لا يحمل عليه بعويص اللغة حتى يعلم سهلها ولا يأخذه بما أخذنى به فالعمر لا يتسع للعلوم اجمع فلينفق على احسنها ويكفيه من اللغة علم مستحسنها دون مستهجنها ومن الاعراب معرفة اصوله وما الاغناء به عنه من فروعه ثم يأخذه بعلوم كتاب الله حتى يرد على قرة عين لى ولك وصلى الله على محمد وآله

قالوا هو البدر والتفريق يظهر لى * فى ذاك نقص وهذا كامل الشيم

وقلت بعده فى التشطير

وانشق من أدب له بلا كذب * شطرين فى قسم تشطير ملتزم

كان الشيخ صفى الدين الحلى يكثر من هذا النوع فى غالب قصائده ولعمرى انه استسمن ذا ورم وما خطر لى يوما أنى أدخله الى بيت من بيوت قصائدى انتهى

(ذكر التشبيه)

*(والبدر فى التم كالعرجون صار له * فقل لهم يتركوا تشبيه بدرهم)*

التشبيه ضروب متشعبة وهو والاستعارة يخرجان الاغمض الى الاوضح ويقربان البعيد وقال الجرجانى التشبيه والتكميل كل منهما بالصورة والصفة وتارة بالحالة وهذه صفة التمثيل والتشبيه ركن من اركان البلاغة واركانه أربعة كقولك زيد فى الحسن كالقمر فالاول المشبه وهو زيد والثانى المشبه به وهو القمر والثالث المشبه وهو المتكلم والرابع التشبيه وهو الالحاق المذكور فى الشبه وأدوات التشبيه خمسة الكاف وكأن وشبه ومثل والمصدر بتقدير الاداة كقوله تعالى وهى تمر مر السحاب ومن الشعر كقول حسان

بزجاجة رقصت بما فى قعرها * رقص القلوص براكب مستعجل

ومن الشروط اللازمة فى التشبيه أن يشبه البليغ الادون بالاعلى اذا أراد المدح اللهم الا اذا أراد الهجو فالبلاغة أن يشبه الاعلى بالادون كقول ابن الرومى سامحه الله فى هجو الورد

كأنه سرم بغل حين سكر جه * عند البراز وباقى الروث فى وسطه

الظاهر أنه كان جعليا والامثاله ما يخالف الاجماع ويبالغ فى مثل هذه المغايرة ولعمرى انه فى بابه من التشابيه البليغة مع نفور الطباع عن صبغته ومثله قول أبى العلاء السروى فى هجو النرجس وتشبيه أعلاه بدونه

كأنه ركبت عليها * صفرة بيض على رقاقه

وأصحاب المعانى والبيان أطلقوا أعنة الكلام فى ميادين حدود التشبيه وتقاربها وهو عندهم الدلالة على مشاركة أمر لامر فى معنى وقال الرمانى التشبيه هو العقد على أن أحد الشيئين يسد مسد الآخر فى حال وهذا هو التشبيه العام الذى يدخل تحته التشبيه البليغ وغيره والتشبيه البليغ هو اخراج الاغمض الى الاوضح مع حسن التأليف ومنهم من قال التشبيه هو الدلالة على اشتراك شيئين فى وصف هو من أوصاف الشئ الواحد وقال ابن رشيق فى العمدة التشبيه صفة الشئ بما قاربه وشاكله من جهة واحدة لانه لو ناسبه مناسبة كلية كان اياه الا ترى الى قولهم خد كالورد انما أرادوا حمرة أوراقه وطراوتها لا ما سوى ذلك من صفرة وسطه وخضرة كمائمه انتهى حد ابن رشيق وقيل التشبيه الحاق أدنى الشيئين بأعلاهما فى صفة اشتركا فى أصلها واختلفا فى كيفيتها قوة وضعفا قلت وهذا حد مفيد وأورد ابن أبى الاصبع فى كتابه تحرير التحبير للرمانى حدا زاد فى حسنه على الحد وهو أن التشبيه تشبيهان الاول منهما تشبيه شيئين متفقين بأنفسهما كتشبيه الجوهر بالجوهر مثل قولك ماء النيل كماء الفرات وتشبيه العرض بالعرض كقولك حمرة الخد كحمرة لون وتشبيه الجسم

(التشبيه)

(وله الى ابى عامر عدنان ابن عامر الضبى يعزيه ببعض اقاربه)

اذا ما الدهر جر على اناس حوادثه اناخ بآخرينا فقل للشامتين بنا افيقوا سيلقى الشامتون كما لقينا احسن ما فى الدهر عمومه بالنوائب وخصوصه بالرغائب فهو يدعو الجفلى اذا ساء ويختص بالنعمة اذا شاء فلينظر الشامت فان كان افلت فله ان يشمت ولينظر الانسان فى الدهر وصروفه والموت وصنوفه من فاتحة امره الى خاتمة عمره هل يجد لنفسه اثرا فى نفسه ام لتدبيره عونا على تصويره ام لعمله تقديما لامله ام لحيلته تأخيرا لاجله كلا بل هو العبد لم يكن شيأ مذكورا خلق مقهورا ورزق مقدورا فهو يحيا جبرا ويهلك صبرا وليتأمل المرء كيف كان قبل ان كان العدم

بالجسم كقولك الزبرجد مثل الزمرذ ، والثاني تشبيه شيئين مختلفين بالذات لجمعهما معنى
واحدا مشتركا كقولك حاتم كالغمام وعنترة كالضرغام وتشبيه الاتفاق وهو الاول تشبيه
حقيق وتشبيه الاختلاف وهو الثاني تشبيه مجازي والمراد المبالغة انتهى ووقوع حسن
البيان والمبالغة في التشبيه على وجوه منها اخراج ما لا تقع عليه الحاسة الى ما تقع عليه الحاسة
وقد عن لي أن أوضح هذا الطالب ما وقع من النظم البديع من تشبيه المحسوس بالمحسوس
وتشبيه المعقول بالمعقول وتشبيه المعقول بالمحسوس وتشبيه المحسوس بالمعقول ، وهذا القسم
الرابع عند اصحاب المعاني والبيان غير جائز ويأتي الكلام عليه في موضعه وقد تعين تقديم
ما وعدت به أولا من تشبيه المحسوس بالمحسوس فان الذي تقع عليه الحاسة في التشبيه أوضح
مما لا تقع عليه الحاسة والشاهد أوضح من الغائب وقال قدامة أفضل التشبيه ما وقع بين شيئين
اشتركا كهما في الصفات أكثر من انفرادهما حتى يدني بهما الى الاتحاد انتهى ولم يخطر لي ان
أورد هنا من التشبيهات البديعية التي اخترتها أمثلة لهذا النوع الا ما خف على السمع وعذب
في الذوق وارتاحت الانفس الى حسن صفاته فان التشابيه التي تقادم عهدها العرب رغب
المولدون عنها فانها مع عقادة التركيب لم تسفر عن بديع معنى الا ما قل وندر فمن ذلك قول
امرئ القيس

وتعطو برخص غير شثن كأنه * أساريع ظبي أو مساويك اسحل

فغاية امرئ القيس هنا أنه شبه أنامل محبوبته بأساريع وهي دواب تكون في الرمل ظهورها
ملس وبمساويك اسحل والاسحل شجر له أغصان ناعمة أين هذا من قول الراضي بالله في هذا
الباب

قالوا الرحيل فأنشبت أظفارها * في خدها وقد اعتلقن خضابا
فكأنها بأنامل من فضة * غرست بأرض بنفسج عنابا

ومثله قول القائل

قبلته فبكى وأعرض نافرا * يذري المدامع من كحيل أدعج
فكأن سقط الدمع من أجفانه * لما بدا في خده المتضرج
برد تساقط فوق ورد أحمر * من نرجس فسقى رياض بنفسج

انظر أيها المتأمل الى هذه التشابيه التي يرشفها السمع مداما ، وتهيم الاذواق السليمة في محاسنها
غراما ، ومن ذلك قول ابن حاجب النعمان

ثغر وخد ونهد واحمرار يد * كالطلع والورد والرمان والبلح

ومثله قول ابن رشيق

بفرع ووجه وقد وردف * كليل وبدر وغصن وحقف

المراد هنا من حسن التشبيه وبلوغه غير كثرة العدد في الصفات قال قاضي القضاة نجم الدين بن
البارزي نور الله ضريحه وصل فيه من العدد الى سبعة واوردت ذلك في باب اللف والنشر وأوصله
الناس الى اكثر من ذلك ولكن جل القصد هنا غير كثرة العدد فان المراد من التشبيه غرابة
اسلوبه وسلامة اختراعه كقول القائل

أصلا والوجود فضلا
فليعلم الموت عدلا والعاقل
من رفع من سوانح الدهر
ما ساء ليذهب ما ضر بما
نفع وأن احتسب أن لا يحزن
للمنتظر بعينه هل يرى الا
محنة ثم ليعطف بمسرة هل
يرى الا حسرة ومثل الشيخ
الرئيس من تفطن لهذه
الاسرار وعرف هذه الدار
فاعد لها متهاصدرا
لا يملؤه فرحا ولا يبرمها
قلبا لا يطير جزعا وصحب
الدهر برأي من يعلم ان للمتعة
حدا وللعارية ردا ولقد
نعى الي أبو قبيصة قدس
الله روحه وبرد ضريحه
فعرضت على آمالي قعودا
وأماني سودا وبكيت
والسخي بما لديك وضحكت
وشر الشدائد ما يضحك
وعضضت الاصبع حتى
أفنيته وذممت الموت حتى
تمنيته والموت خطب قد
عظم حتى هان وأمر قد

وتحدث الماء الزلال مع الحصى * فجرى النسيم عليه يسمع ما جرى
فكأن فوق الماء وشيا ظاهرا * وكأن تحت الماء درا مضمرا

أقول ان تشبيه هذا الدر المضمر هنا أغلى قيمة من الدر الظاهر فى عقود الاجياد ومثله فى الغرابة وسلامة الاختراع قول ابن المعتز

كأنه وكأن الكاس فى فمه * هلال أول شهر غاب فى الشفق

ومن ذلك قوله

على عقار صفراء تحسبها * شيبت بمسك فى الدن مفتوت
للماء فيها كتابة عجب * كمثل نقش فى فص ياقوت

ومثله قول ابن حجاج وهو بديع

هذى المجرة والنجوم كأنها * نهر تدفق فى حديقة نرجس

ومن مخترعات ابن المعتز فى تشبيه الهلال قوله

انظر الى حسن هلال بدا * يهتك من أنواره الحندسا
كمنجل قد صيغ من عسجد * يحصد من زهر الدجى نرجسا

ومن مخترعاته أيضا فى الهلال

قد انقضت دولة الصيام وقد * بشر سقم الهلال بالعيد
يتلو الثريا كفاغر شره * يفتح فاه لأكل عنقود

ومثله قوله فيه

وجاءنى فى قميص الليل مستترا * يستعجل الخطو من خوف ومن حذر
ولاح ضوء هلال كاد يفضحنا * مثل القلامة قد قدت من الظفر

هذا التشبيه ذكروا أنه من مخترعات ابن المعتز ولكن زاده القاضى الفاضل بهجة ونقله من الاعلى الى الادنى فان رتبة الهلال وعلوها فى التشبيه على قلامة الظفر ما برحت مقررة فى الخواطر الى أن نقلها القاضى الفاضل بطريق بديعية اقتضتها الحال وهى قوله مبالغا فى وصف قلعة نجم بالعلو وأما قلعة نجم فهو نجم فى سحاب وعقاب فى عقاب وهامة لها الغمامة عمامة وأنملة اذا خضبها الاصيل كان الهلال لها قلامة فخضاب الاصيل لهذه الانملة حسن أن يكون الهلال لها قلامة وهذه غاية فاضلية لا تدرك وقد وصلوا فى تشبيه الهلال الى السبعين ولكن ما أوردت هنا الا أبلغ ما وقع فى تشبيهه ويعجبنى من التشابيه البليغة فى هذا الباب قول ابن طباطبا

أما والثريا والهلال جلتهما * لى الشمس اذ ودعت كرها نهارها
كأسماء اذ زارت عشاء وغادرت * دلالا لدينا قرطها وسوارها

ومثله فى الحسن والغرابة قول أبى نواس

ويمين الجوزاء تبسط باعا * لعناق الدجى بغير بنان
وكأن النجوم أحداق روم * ركبت فى محاجر السودان

خشن حتى لان ونكر قد عم حتى عاد عرفا والدنيا قد تنكرت حتى صار الموت أخف خطوبها وجنت حتى صار اصغر ذنوبها وأضمرت حتى صار أيسر غيوبها وابهمت حتى صار أظهر عيوبها ولعل هذا السهم آخر ما فى كنانتها وأزكى ما فى خزانتها ونحن معاشر التبع نتعلم الادب من اخلاقه والجميل من افعاله فلا نحثه على الجميل وهو الصبر ولا نرغبه فى الجزيل وهو الاجر فليرفيهما رأيه ان شاء الله تعالى

(وله)

كتابى أطال الله بقاء الشيخ وقد استخرت الله فتح هذا الباب وشاورت ذوى الالباب فاما الله فخار وأما أولو الالباب فكل اشار وان يشأ الله ينفض بالامر الى حال يسعه مولى ويسعنى عبدا وقد ما بخلت بهذه الكلمة ونفرت عن هذه

ومثله قول القائل

كأن نجوم الليل مزهرة لنا * ثغور بني حام بدت للتثاؤب

ويعجبني من التشابيه الغريبة قول ابن نباتة السعدي في جواد أدهم أغر محجل

تختال منه على أغر محجل * ماء الدياجي قطرة من مائه

وكأنما لطم الصباح جبينه * فاقتص منه فخاض في أحشائه

ومن التشابيه اللطيفة البديعية قول القاضي التنوخي من قصيدة

وراح من الشمس مخلوقة * بدت لك في قدح من نضار

كأن المدير لها باليمين * اذا مال للشرب أو باليسار

تدرّع ثوبا من الياسمين * له فرد كم من الجلنار

ومثله في اللطف والغرابة قول القائل

كم وردة تحكي بسبق الورد * طليعة تسرعت من جند

قد ضمها في الغصن قرص البرد * ضم فم لقبلة من بعد

ودخل مجير الدين بن تميم الى حديقة هذه الوردة فزاد بعدها تقريبا بقوله

سبقت اليك من الحدائق وردة * وأتتك قبل أوانها تطفيلا

طمعت بلثمك اذ رأتك فجمعت * فمها اليك كطالب تقبيلا

وظرف من قال في الوردة

كأنها وجنة الحبيب وقد * نقطها عاشق بدينار

ومثله في الظرف قول أيدمر المحيوي في النرجس

وكأن نرجسه المضاعف خائض * في الماء لف ثيابه في رأسه

ويعجبني في تشبيه النرجس قول شهاب الدين أحمد القماح راجح رجاح الديار المصرية في فن الزجل في بعض أزجاله

وفي الازاهر قم ترى شي تذهب * وشي نصيبو قد زها وتفضض

النرجس احداقو الشهل نعسانه * الا انها من الندى ليس تغمض

وحسين فتح عينو في وجهي شبهت اصفر ولما بدا في الابيض

مازعفران على نصا في مطبوع * والا فصوص كهرب في بلار يوجد

والا نخل شمسات بلجين مبرودات * قد سمروا فيها مسامير عسجد

وتلطف ابن المعتز في تشبيه حباب الراح بقوله

يجول حباب الماء في جنباتها * كما جال دمع فوق خد مورّد

ومثله في اللطف قول ديك الجن الحمصي

مورّدة من كف ظبي كأنما * تناولها من خده فأدارها

ومن المستغرب في وصف البنفسج ما نسب الى ابن المعتز وهو

ولازوردية أوفت بزرقتها * بين الرياض على زرق اليواقيت

السمة هذا الشيخ الشهيد
أبو نصر رحمه الله مقالها
اللحظ فلم يحظ وهذا ابن
عباد شد لها الرحل فلم يحل
وما اعتد على الشيخ بمنة
لكن ابمسكها علق مضنة
فلم يبق في الخدمة نوعا من
أقربها طوعا والحمد لله رب
العالمين لا والله ما تأخرت
كتبي عن حضرة الشيخ
لأكبر منه قدرا واعظم
من الوزارة صدرا انه
للفعل لا يقدع انفه وانها
للعال لا مظهر فوقها لكن
بلدان العراق شكت الى
ألم الفراق فنويت ان اعتبها
وافت على حالة لو قصرت
فيها الصلاة لجاز يوما أعد
الجهاز ويوما التمس الجواز
والايام تدب خلال هذه
الفرصة والليالي تدرج
وأنا لا اخرج حتى ورد
الدهقان أبو جعفر فرأى
آلات السفر وانتظار
النفر وأمرا قد قضى

كأنها فوق طاقات نهضن بها * أوائل النار فى أطراف كبريت
أوردوا على هذا التشبيه نقدا ولكن ما يحمل البنفسج هنا نقله ومن التشابيه الغريبة قول بعضهم فى تشبيه النار

انظر الى النار وهى مضرمة * وجمرها بالرماد مستور
شبه دم من فواخت ذبحت * وفوقه ريشهن منشور

ومثله فى الغرابة والحسن قول ابن الخلال فى تشبيه الشمعة

وصحيحة بيضاء تطلع فى الدجى * صبحا وتشفى الناظرين بدائها
شابت ذوائبها أوان شبابها * واسود مفرقها أوان فنائها
كالعين فى طبقاتها ودموعها * وسوادها وبياضها وضيائها

أقول انها أنور من شمعة الارجانى وان مشى غالب الناس على ضوئها ومن التشابيه الغريبة المنسوبة الى ابن المعتز أو ابن الرومى تشبيه أرباع الجوز الاخضر وهو

جاءت بجوز أخضر * مكسر مقشر * كأنما أرباعه * مضغة علك كندر

ومن التشابيه العقم التى لم يسبق صاحبها اليها قول القائل فى أحدب

قصرت أخادعه وغاب قذاله * فكأنه متربص أن يصفعا
وكأنه قد ذاق أول صفعة * وأحس ثانية لها فتجمعا

ومما ينسب الى امام هذه الصناعة القاضى الفاضل قوله فى نفسه وهو فى غاية الظرف

ما كان يكمل حسن الايوان حتى ازداد قبه
فكأننى فيه خروف شوى ومن فوقى مكبه

ويعجبنى من التشابيه البليغة قول القائل

أأميم لو شاهدت يوم نزالنا * والخيل تحت النقع كالاشباح
تطفو وترسب فى الدماء كأنها * صور الفوارس فى كؤس الراح

ومثله فى الحسن قول الناشئ

فى كأسها صور تظن لحسنها * عربا برزن من الحجال وغيدا
واذا المزاج أثارها فتقسمت * ذهبا ودرا توأما وفريدا
فكأنهن لبسن ذاك مجاسدا * وجعلن ذا لنحورهن عقودا

هذا المعنى ولده الناشئ من قول أبى نواس فى التصوير

بنينا على كسرى سماء مدامة * مكللة حافاتها بنجوم
فلو رد فى كسرى بن ساسان روحه * اذا لاصطفانى دون كل نديم

وألم به ابن قلاقس فيما بعد وسبكه فى قالب حسن بقوله

دارت زجاجتها وفى جنباتها * كسرى أنوشروان فى ايوانه
فخلعت عن عطفيه حلة قهوة * وشربتها فغدوت فى سلطانه

وألم به الشيخ صلاح الدين الصفدى وأجاد الى الغاية مع حسن التضمين بقوله

أو كاد وعزما قد بلغ وزاد ونفسا اجتوت هذه البلاد وذكرت الميلاد فقال الدالة ماهذه الغربة الضالة وقالت الشفقة ماهذه الغرمة المشفقة وهل تخاف وراءك الاالصبر وتقصد أمامك الاالبحر الاترى اختلاف السيوف واضطراب الامور وازدحام الخطوب واعتراض الحتوف والتماء الجوع وأقف بهذه الامصار تمشى على الابصار ولو رأيت الشيخ لرأيت الجمال بجملته والكمال بكليته والعالم فى بردته والمراد برمته فقلت اللهم غفرا اذن أقصده ظفرا وأخدمه ابتدارا ولا السيل وافق انحدارا فقدمت هذا الكتاب وبودى أن أكونه وأسعد دونه وأنا انتظار الجواب فان سامحت به نفسه الرفيعة كنت ان شاء الله نعم الصنيعة فان أبى رأيه

ومشعولة قدهام كسرى بكأسها * فاضحى ينادى وهو فيها مصوّر
وقفت لشوقى من وراء زجاجة * الى الدار من فرط الصبابة أنظر

وألم به بعده الصاحب فخر الدين بن مكانس رحمه الله تعالى بقوله

اذا ما أديرت فى حشا عسجدية * بها كل ذى تاج وقصر تصوّرا
فحسبك نبلا فى السيادة أن ترى * نديمك فى الكاسات كسرى وقيصرا

لم أورد هذه الابيات التى ولدها المتأخرون فى معنى التصوير خالية من التشبيه وأداته الا الفائدة عنّت لى ايرادها هنا وهى معرفة الموجب لنقش هذه الصورة على ظاهر الكاسات ذكر الفقيه أبو مروان الكاتب بن بدرون فى شرحه لقصيدة الوزير عبد المجيد بن عبدون ان سابور بن هرمز الملقب بذى الاكتاف لما رجع من قتال بنى تميم قصد الروم والدخول الى القسطنطينية متنكرا واستشار قومه قبل ذلك فحذروه فلم يقبل قولهم وصار اليها فصادف وليمة لقيصر قد اجتمع فيها الخاص والعام فدخل فى جملتهم وجلس على بعض موائدهم وكان قيصر قد أحكم تصوير سابور على آنية شرابه فانتهت الكاس فى المجلس الى يد بعض ندماء الملك وكان ذكيا حاذقا ومن الاتفاق العجيب جلوس سابور فى مقابلته فصار النديم ينظر الى الصورة والى سابور ويتعجب من تقارب الشبهين فلم يسعه غير القيام الى الملك والاسرار اليه بما شاهده فقبض فى الحال على سابور ولما مثل بين يدى قيصر سأله عن خبره فقال أنا من أساورة سابور هربت منه لأمر خفته فلم يقبل ذلك منه وقدم الى السيف فاقر بنفسه وجعل فى جلد بقرة وتمام امره الى أن خلص وعاد الى ملكه يطول شرحه هنا ومن أراد ذلك ينظر من سلوان المطاع فى السلوانة الثانية فانها مشتملة على انواع من الحكمة * رجع الى فتح باب ما كنا فيه من تشبيه المحسوس بالمحسوس فمن التشابيه الملوكية التى لا يقع مثلها للسوقة تشبيه سيف الدولة ابن حمدان فى قوس قزح وهو

وساق صبيح للصبوح دعوته * فقام وفى اجفانه سنة الغمض
يطوف بكاسات العقار كأنجم * فمن بين منقض لدينا ومنقض
وقد نشرت أيدى الجنوب مطارفا * على الجوّ دكنا والحواشى على الارض
يطرّزها قوس السحاب بأصفر * على أحمر فى أخضر اثر مبيض
كاذيال خود أقبلت فى غلائل * مصبغة والبعض أقصر من بعض

ومن تشابيه سيف الدولة الغريبة أيضا قوله

أقبله على جزع * كشرب الطائر الفزع

ومن التشابيه اللطيفة ما نسب الى ابليس فان القاضى شمس الدين بن خلكان ذكر فى تاريخه عند ترجمة ابن دريد أنه قال سهرت ذات ليلة فلما كان آخر الليل غمضت عينى فرأيت رجلا طويلا أصفر اللون كوسجا دخل علىّ وأخذ بعضادتى الباب فقال انشدنى أحسن ما قلت فى الخمر فقلت ما ترك أبو نواس لاحد دخولا فى هذا الباب فقال أنا أشعر منه فقلت ومن أنت فقال أنا أبو ناجية من أهل الشام وانشدنى

التشريف أن يقلد حتى يجتهد ويستوزن حتى يزن احتكمنا الى الجبارة والتعسير نصف الجبارة وللشيخ فيما راه فيه رأيه العالى ان شاء الله تعالى

(وله الى الشيخ الامام ابى الطيب)

الشيخ الامام قد رجح الخائنين بين عادة كرم وعارض ندم يقول الكرم تحملها غرامة ويقول الندم لاولا كرامة والكرم أهدى الى المناقب وانظر فى العواقب والندم اشد للبشرية وفاقا وعلى العاقل اشفاقا فان لم يكن فى البين تخليط فلم لا يبعث بالحاضر ويعجل بالآخر والشيخ الامام يفعل فى هذا الباب ما هو اهله فقد علم خوض الناس بين الطمع فيه والياس ويرتجى من قائل ما فعل وسائل ما حصل عالى رأيه ان شاء الله تعالى

وحمراء قبل المزج صفراء بعده * أتت بين ثوبي نرجس وشقائق
حكت وجنة المعشوق صرفا فسلطوا * عليها مزاجا فاكتست لون عاشق

ومن بليغ التشبيهات وبديعها قول أبي محمد عبد الله ابن قاضي ميلة في قصيدته القافية التي امتدح بها ثقة الدولة القضاعي صاحب صقلية الروم وسارت له بها الركبان وأثبتها القاضي شمس الدين بن خلكان بكمالها في تاريخه وقد تقدم ذكر مطلعها في حسن الابتداء والتشبيه الموعود بإيراده هنا قوله من القصيدة المذكورة

وجو جوه من الرعد يستل ودقه * ترى برقه كالحية الصل يطرف
ذكرت بها ريا وما كنت ناسيا * فأذكر لكن لوعة تتضعف
كأني إذا ما لاح والرعد معول * وجفن السحاب الجون بالماء يذرف
سليم وصوت الرعد راق وودقه * كنفث الرقي من عظم ما أتلهف

ومن لطائف التشبيهات البليغة قول القاضي الفاضل من قصيد

كأن ضلوعي والزفير وأدمعي * طلول وريح عاصف وسيول

ومثله في اللطف قوله

لو لم يعطل خاطري من سلوة * ما كان خدي بالمدامع حالي
أودعته قلبي فخان وديعتي * فسواده في خده كالخال

ومن التشابيه الغريبة البديعة قوله أيضا من قصيدة أخرى

وقد تهادت سيوف الهند إذ خضبت * كالشرب حين تهادى بالزجاجات

ويعجبني من لطائف التشبيه قول محيي الدين بن قرناص الحموي

من لقلبي من جور ظبي هواه * لي شغل عن حاجر والعقيق
خصره تحت أحمر البند يحكي * خنصرا فيه خاتم من عقيق

ومن التشابيه البديعة قول مجير الدين بن تميم

ونهر إذا ما الشمس حان غروبها * ولاحت عليه في غلائلها الصفر
رأينا الذي أبقت به من شعاعها * كأنا أرقنا فيه كأسا من الخمر

ومثله قوله

وناعورة قد ألبست لحبائها * من الشمس ثوبا فوق أثوابها الخضر
كطاوس بستان تدور وتنجلي * وتنفض عن أرياشها بلل القطر

ومن التشابيه البليغة الرافلة في حلل التورية قوله أيضا

أبدى السنان جراحة في خده * تحت العذار فعال قلب قاسي
وتطلبوا الآسي فقاظ روابه * معهم وعز وجوده في الناس
شبهت سوسنة أبانت وردة * تحت البنفسج مالها من آس

ومثله قوله

لو كنت حين علوت ظهر مطية * لم يعتلقها للمطي عيون
وتوسطت بحر السراب حسبتني * من فوقها ألفا وتحتي نون

(وله أيضا)
وصلت رقعتك أطال الله بقاءك ومثلك في تلك السفارة مثل الفارة طمعت تقرض الحديد فقيل لها ويحك ما تصنعين بالناب ورأسه والحديد وبأسه فقالت أشهد ولكني أجهد وان تنج من تلك الاسباب ففي الذئاب بعقا ذيرك لامعاذ يرك وبلؤمك ليس بلومك وبل أملك جنينا ما أنفذ كيدك على ضعفه واحد غربك على سخفه انت ولا ذمة والسلام

(وله الى الشيخ أبي نصر)
كتابي أطال الله بقاء الشيخ وفرجي في كريم يحضر ذلك الجناب فيحسن المتاب ولا اعدم ان شاء الله بتلك الساحة الكريمة من يحلي بهذه الشيمة على ان الطباع الى الذم أميل والعقرب الى الشر أقرب

ومثله قوله

شبهت خدك ياحبيبي عندما * ابدى الجمال به عذارا أشقرا

تفاحة حمراء قد كتبوا بها * خطا رقيقا بالنضار مشعرا

ويعجبني قوله مع التشبيه البليغ وحسن التضمين الذي ما تضمن مثله ديوان

غدير دار نرجسه عليه * ورق نسيمه وصفا ورافا

تراه اذا حللت به لورد * كأن عليه من حدق نطاقا

ويعجبني من لطائف التشبيه تخيل محيي الدين بن قرناص الحموي بقوله

لقد عقد الربيع نطاق زهر * يضم لغصنه خصرا نحيلا

ودب مع العشي عذار طل * على نهر حكى خدا أسيلا

تشبيه النهر هنا بالخد الاسيل ليس له في الحسن مثيل ومثله قوله

لما تبدى النهر عند عشية * والروض يخضع للصبا والشمأل

عاينته مثل الحسام وظله * يحكي الصدا والريح مثل الصيقل

ومن التشابيه البليغة التي جمعت بحسن التورية بين الصورة والمعنى وشبب بمحاسنها الرواة في كل مغنى قول الشيخ جمال الدين بن نباتة في وصف قوس البندق بعد تغزله في الرامي

قد جدا القوم به عقبى السفر * عند اقتران القوس منه بالقمر

لولا حذار القوس من يديه * لغنت الورق على عطفيه

في كفه محنية الأوصال * قاطعة الاعمار كالهلال

ثم قال منها وهي الطردية الموسومة بنظم السلوك في مصائد الملوك ولم يخرج عن تشبيه القوس مع اشتراك التورية

كأنها حول المياه نون * أو حاجب بما نشا مقرون

ويعجبني منها قوله في وصف التم مع حسن التضمين

تخاله من تحت عنق قد سجا * طرة صبح تحت اذيال الدجا

ومنها يشبه الطيور الواقعة على قسي الرماة

كأنها وهي لديها وقع * لدى محاريب القسي ركع

ومن التشابيه الغريبة التي لم يسبق الشيخ جمال الدين بن نباتة اليها قوله

اشكو السقام وتشكو مثله امرأتي * فنحن في الفرش والاعضاء ترتج

نقصان والعظم في نطع يجمعنا * كأننا نحن في التمثيل شطرنج

ومثله في الغرابة قوله من قصيدته اللامية التي عارض بها كعب بن زهير في مديح النبي صلى الله عليه وسلم مع التضمين الفائق

ما يمسك الهدب دمعي حين أذكركم * الا كما يمسك الماء الغرابيل

ومن لطائف التشبيهات قول بدر الدين حسن الزغاري في وصف زهر الزنبق

وزهرة من زنبق * أنوارها واهاجه

واللسان بالقدح اجرأ منه بالمدح والحاسد يعمى عن محاسن الصبح بعين تدرك دقائق القبح والهروي جسد كله حسد وعقد كله حقد فلا يجذب الخلق بضبعه عن طبعه ولا يأخذ التكلف بخلقه عن طرقه من اسفراين صادرا عن سدة الامير بسجستان الى حضرته بيوشنج منتهزا من لقاء الشيخ فرصة ان رزقتها فلله الحمد ولي البشرى من بعد وصلى الله على محمد وآله كنت أبد الله الشيخ أطارد الايام عن أملي فيه وتطاردني عن تلاقيه فكلما شاقني من الحرص شائق عاقني عنه من الدهر عائق وكثيرا ما سمعت بفضله فتنفست صعداء المخلى عن ورده المأخوذ به عن قصده وليس الا السكون والصبر و الحر الذ والقبر فلا فرج

صفراء في مبيضة * كالراح في الزجاجه

ويعجبني من التشبيه البديع قول الشيخ عز الدين الموصلي مع حسن التضمين

وساهري أعار البدر منه سنا * سموه نجما وهذا النجم غرار
تهتز قامته من تحت عمته * كأنه علم في رأسه نار

وأما التشبيه الذي ولده الشيخ برهان الدين القيراطي فانه من غايات هذا الباب وهو قوله من قصيد

والبدر يستر بالغيوم ويجتلي * كتنفس الحسناء في مرآتها

وقال أبو حفص برد

والبدر كالمرآة غير صقلها * عبث الغواني فيه بالانفاس

والمضمن الربع الاخير من البيت وهو من شعر أبي بكر محمد بن هاشم * ومن لطيف التشبيه قول الشيخ علاء الدين علي بن ايبك الدمشقي

مغنم العارض غنى لنا * أشياء في السمع حلا ذوقها
كأنما في فيه قرية * تشدو ومن عارضه طوقها

ومن التشابيه البديعة التي لم تدرا في هذا الباب تشابيه الصاحب فخر الدين بن مكانس في قصيدته المشهورة المشتملة على وصف شجرة السرح

مالت على النهر اذ جاش الخرير به * كأنها أذن مالت لاصغاء
كأن صمغتها الحمرا بقشرتها الدكناء قرص على أعكان سمراء

ومنها في وصف سواد السفينة على بحر النيل

نسعى اليها على جرداء جارية * من آلة كهلال الافق حدباء
سوداء تحكي على الماء المصندل شا * مة على شفة كالشهد لعساء

وتطرف الشيخ عز الدين الموصلي بقوله في هذا النوع وان لم يأت ببليغ التشبيه

قبل صف هذا الذي همت به * قلت في وصفي مع حسن المسالك
هو كالغصن وكالظبي وكالشمس وكالبدر وما أشبه ذلك

لطف التشبيه في قوله وما أشبه ذلك ومن التشابيه التي لم أسبق اليها قولي من قصيد

حين قابلت خده بدموع * أثرت خلت ثوب خز مختم

ومثله قولي من قصيد

والغصن يحكي النون في ميلانه * وخياله في الماء كالتنوين

ومثله قولي من المدائح المؤيدية

ياحامي الحرمين والاقصى ومن * لولاه لم يسعر بمكة ساهر
والله ان الله نحوك ناظر * هذا وما في العالمين مناظر
فرح على المحلوق نظم عسكرا * وأطاعه في في النظم بحر وافر
فانبت منه زحافه في وقفه * يامن بأحوال الوقائع شاعر
وجميع هاتيك البغاة بأسرهم * دارت عليهم من سطاك دوائر

الله يثاقب رأي الامير الجليل وتوثباته الطويل وظهر وجه السبيل من ذلك القبيل آثرت التنحي عن سنن السيوف ربما يقلع مصابها ويكف أصحابها وقصدت من حضرة الامير مربع الوفود ومطلع الجود فلما عزم العزم الميمون واصلت حضرته بالكتب واستأذنته في الوقوع الى هراة مع الجوع ولم يكن لي بهراة مراد الا الشيخ ولقاؤه وأرجو ان يصادف هذا الشوق قبولا ويرزق هذا الكتاب وصولا

(وله رقعة الى مستميح عاوده مرارا)

عافاك الله مثل الانسان في الاحسان مثل الاشجار في الاثمار سبيل من أتى بالحسنة ان يرفعها الى السنة وأنا كما ذكرت لا أملك عضوين من جسدي وهما فؤادي ويدي أما الفؤاد فيعلق بالوفود

وعلى ظهور الخيل ماتواخيفة * فكانّ هاتيك السروج مقابر

تالله لقد وقع هذا التشبيه من مولانا السلطان خلد الله ملكه بموقع وأعجب غاية الاعجاب واستعاده منه مرارا ومن التشابيه العقيم قولى فى وصف حمائم البطائق من الرسالة التى عارضت بها الفاضل كم زاحمت النجوم بالمناكب حتى ظفرت بكف خضيب وانحدرت كأنها دمعة سقطت على خد الشفيق لامر مريب وكم لمع فى أصيل الشمس خضاب كفها الوضاح فصارت بسموها وفرط البهجة كمشكاة فيها مصباح انتهى ما أوردته نظما ونثرا من بليغ التشبيه فى باب المحسوس بالمحسوس وقد تعين أن أوردهنا ما وقع فى النظم من التشبيه الذى هو غير بليغ لينفتح ذهن الطالب وتصفو مرآة ذوقه فقد عاب الاصمعى بين يدى الرشيد قول النابغة

نظرت اليك بحاجة لم تقضها * نظر المريض الى وجوه العوّد

فقال يكره تشبيه المحبوب بالمريض ومثله قول أبى محجن الثقفى فى وصف قينة

ترجع العود أحيانا وتخفضه * كما يطن ذباب الروضة الغرد

قد تقدم القول وتقرر أن المولدين ومن تبعهم رغبوا عن تشابيه العرب لانها مع عقادة التركيب لم تسفر عن كبير أمر وقال ابن رشيق فى العمدة ان طريق العرب خولفت فى كثير من الشعر الى ما هو أليق بالوقت وأمس بأهله فان القينة الجميلة لم ترض أن تشبه نفسها بالذباب كما قال ابو محجن ومثل ذلك قول ابن عون الكاتب

يلاعبها كف المزاج محبة * لها وليجرى الا نس بينهما الانس

فتزبد من تيه عليه كأنها * عزيزة خدر قد تخبطها المس

بشاعة هذا التشبيه تمجها الاذواق الصحيحة وتنفر منها الطباع السليمة فان أهل الذوق ما يطيب لهم أن يشربوا شيأ يشبه زبد المصروع ومن التشابيه الغريبة التى جمعت بين عدم البلاغة وعقادة التركيب قول الشاعر

فأصبحت بعد خط بهجتها * كان قفرا رسومها قلما

التقدير فاصبحت بعد بهجتها قفرا كان قلما خط رسومها وعدوا من التشابيه التى هى غير بليغة قول الشاعر فى وصف الروض

كأن شقائق النعمان فيه * ثياب قد روين من الدماء

فهذا وان كان تشبيها مصيبا فان فيه بشاعة كثرة الدماء التى تعاف الانفس اللطيفة رؤيتها وثبوت هذا النقد اتصل بالمتأخرين ونقدوه على الحاجرى فى قوله

وما اخضر ذاك الخد نبتا وانما * لكثرة ما شقت عليه المرائر

وقالوا ما زاد الحاجرى على أن جعل خد محبوبه مسلخا فالتشبيه أيضا وان كان مصيبا فان فيه بشاعة شق المرائر على خد المحبوب وبعضهم ما اكتفى بشق المرائر على خد محبوبه حتى سفك عليه الدماء بقوله

وما احمر ذاك الخد واخضر فوقه * عذارك الا من دم ومرائر

ومثل ذلك ما عابوه على ابن قلاقس فى قوله

واما اليد فتولع بالجود ولكن هذا الخلق النفيس لا يساعده الكيس وهذا الطبع الكريم ليس يحمله الغريم ولا قرابة بين الادب والذهب فلما جمعت بينهما والادب لا يمكن ترده فى قصعة ولا صرفه فى ثمن ساعة ولى مع الادب نادرة جهدت فى هذه الايام بالطباخ أن يطبخ من جمية الشماخ لونا فلم يفعل وبالقصاب ان يسمع ادب الكتاب فلم يقبل واحتيج فى البيت الى شئ من الزيت فانشدت شيأ من شعر الكميت الفا وماتتى بيت فلم يغن ولو وقعت أرجوزة العجاج فى توابل السكباج ما عدمتها عندى ولكن ليست تقع

أما ترى الصبح يختفى فى دجنته * كأنما هو سقط بين أحشائى

لاشك أن بهجة الصبح فى أواخر الليل أبهج من السقط بين الاحشاء والمشبه أعلى وأغلى من المشبه به وعلى كل تقدير فالسقط بين الاحشاء وسفك الدماء وشق المرائر على خدود الاحباب تنفر منها الامزجة اللطيفة اللهم الا ان يكون ذلك ليس له تعلق بشئ من أوصاف المحبوب بل يكون تعلقه بحكاية حال واقعة كقول الشاعر

نزلنا بنعمان الاراك وللندى * سقيط به ابتلت علينا المطارف

وقفت بها والدمع أكثره دم * كأنى من جفنى بنعمان راعف

هذه الحالة لا ينكر لها جريان الدمع دما فانها حالة لائقة بجريانه على هذه الصفة لان هذا الشاعر لما أن نزل بنعمان التى هى منازل احبابه ووجدها مقفرة منهم لاق بحاله ان يجرى الدمع لشدة الاسف دما ومثله قول ابن قاضى ميلة من قصيدته التى تقدم ذكرها

ولما التقينا محرمين وسيرنا * بلبيك رباو الركائب تعسف

نظرت اليها والمطى كأنما * غواربها منها معاطس رعف

هذا التشبيه غاية فى هذا الباب وجريان الدماء من غوارب المطى لائق بحكاية حالها فان هذه الحالة فيها ألطف الكنايات عن التعسف فى شدة السرى قلت وان سبكت هذه الحالة فى قوالب الهجو ووضعها الشاعر فى صفات من هجاه كانت احسن موقعا وابلغ موضعا كقول مولانا المقر الاشرف القاضوى الناصرى البارزى صاحب دواوين الانشاء الشريف بالممالك الاسلامية عظم الله تعالى شأنه فى هجو من لا يمكن ذكره هنا من قصيد

وقد علت اسنانه صفرة * تكدر العيش المرئ المريع

ولجها من ورم فاسد * كالرئة المحبوس فيها نجيع

هذا التشبيه لم اجد له شبيها فى هذا الباب الا تشبيه ابن الرومى فى هجو الورد وقد تقدم ذكره فلو جمع المتأمل بين المشبه المهجو وبين المشبه به وشاهد هذا التخييل الغريب عيانا صدق صحة دعواى فى ذلك ومن التشابيه التى هى غير بليغة قول ابن وزير فى تشبيه الماء على الرخام

لله يوم بحمام نعمت به * والماء من حوضه ما بيننا جارى

كأنه فوق شقات الرخام ضحى * ماء يسيل على أثواب قصار

وتلطف ابن الدورى فى هجاء هذا الشاعر حيث قال

وشاعر أوقد الطبع الذكاء له * فكاد يحرقه من فرط اذكاه

اقام يجهد اياما قريحته * وشبه الماء بعد الجهد بالماء

ذكرت هنا من التشابيه التى هى غير بليغة قول الشيخ صلاح الدين الصفدى فى تشبيه القمر فى خلال الاغصان لما انثنت

كأنما الاغصان لما انثنت * امام بدر التم فى غيهبه

ثم اصنع فان كنت تحسب اختلاف الى افضالا على فراحتى أن لا تطرق ساحتى وفرجى ان لا تجى والسلام

(وكتب أبو القاسم الهمذانى اليه)

قد طلبت لسيدى حاجة ان قضاها وبلغ نضاها ذاق حلاوة العطاء وان اباها وقل شباها لقى مرارة الاستبطاء فأى الجودين اخف عليه جوده بالعلق أم جوده بالعرض ونزوله عن الطريف ام عن اخلاق الشريف

(فاجابه)

جعلت فداك هذا طبيخ كله توبيخ وثريد كله وعيد ولقم الا انه نقم ولم أر قدرا اكثر منها عظما

بنت مليك خلف شبا كها * تفرجت منه على موكبه

وقد أورد عليه علامة عصرنا القاضي بدر الدين الدماميني فسح الله تعالى في أجله في كتابه المسمى بنزول الغيث الذي انسجم في شرح لامية العجم نقداً كشف به القناع عن عدم بلاغة هذا التشبيه فان الشيخ بدر الدين المشار اليه قال وقوله صحيح ان ظاهر عبارة الشيخ صلاح الدين تشبيه الاغصان في حالة اثنائها أمام البدر في الدجى بنت مليك تطل من شبا كها للنظر في موكب ابيها وذلك عن مظان التشبيه بمعزل ومقصوده أن البدر في حالة ظهوره من خلال الاغصان المتثنية على الصفة المذكورة يشبه بنت مليك على تلك الحالة تمثيلا للهيئة الاجتماعية لكن اللفظ لا يساعده على ذلك المطلوب فانه جعل الاغصان مبتدأ وأخبر عنه بقوله بنت مليك فلم يتم له المراد على أن مقطوع الشيخ صلاح الدين مع ما فيه من عدم بلاغة التشبيه مأخوذ من قول محيي الدين بن قرناص الحموي

وحديقة غناء ينتظم الندى * بفروعها كالدر في الاسلاك

والبدر يشرق من خلال غصونها * مثل المليح يطل من شباك

قلت ليس لاهل النقد مدخل في هذا الشباك انتهى ما أوردته هنا من التشبيه الذي هو غير بليغ في باب المحسوس بالمحسوس وقد تقدم القول على موجب تقديمه في باب التشبيه وتقرر أن مدركات السمع والبصر والذوق والشم واللمس التي هي الحواس الخمس أوضح في الجملة مما لا تقع عليه الحواس انتهى (القسم الثاني وهو تشبيه المعقول بالمعقول) أقول ان هذا النوع في هذا الباب ليس له مواقع المحسوسات وقد تكررة ولي في ذلك واحسن ما وجدت فيه أعني تشبيه المعقول بالمعقول قول أبي الطيب المتنبي

كأن الهم مشغوف بقلبي * فساعة هجرها يجد الوصالا

وظريف هنا قول القائل من أبيات مع بديع الاستطراد

لفظ طويل تحت معنى قاصر * كالعقل في عبد اللطيف الناظر

(القسم الثالث تشبيه المعقول بالمحسوس) وهو اخراج ما لا تقع عليه الحاسة الى ما تقع عليه الحاسة كقوله تعالى والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى اذا جاءه لم يجده شيأ فتشبيه أعمال الكفار بالسراب من أبلغ التشابيه وأبدعها ومثله قوله تعالى مثل الذين كفروا بربهم اعمالهم كرماد اشتدت به الريح في يوم عاصف ومن النظم قول ابي علي ابن سينا

انما النفس كالزجاجة والعلم سراج وحكمة الله زيت

ويعجبني في هذا الباب اعني تشبيه المعقول بالمحسوس قول ابن منير الطرابلسي

زعم كمنبلج الصباح وراءه * عزم كحد السيف صادف مقتلا

(القسم الرابع تشبيه المحسوس بالمعقول) قد تقدم ان هذا القسم عند اهل المعاني والبيان غير جائز وما ذاك الا ان العلوم العقلية مستفادة من الحواس ومنتهية اليها ولذلك قيل من فقد حسا فقد علما وجه الصواب في تشبيه المحسوس بالمعقول ان يقدر

ولا آكلا اكبر في عظما
ولم أرشر به امر منها طعما
ولاشاربا الا تم مني حلما ماهذه
الحاجة ولكن حاجاتك من
بعد أين جوانب والطف
مطالب نوافق قضاها
ونرافق ارتضاها

(وله الى الشيخ أبي نصر)
كتابي أطال الله بقاء الشيخ
وقد اغنت الحال بحمد الله
عن التعريف ووجدت
ضالتي من رأيه الشريف
واسترق الشيخ مولاه بالذي
اولاه واغنتني يد اللقاء
عن النظرة الحمقاء وبالله
ما سلكت موضع لقياه
الا سأل الله سقياه والحر
سريع الطفرة الا انه
قصير السفرة ومثل الصفو
مثل العفو هذا بعد

البليغ المعقول محسوسا ويجعل اصل المحسوس على طريق المبالغة فرعا فيصح التشبيه حينئذ كقول الشاعر

وكأن النجوم بين دجاها * سنن لاح بينهن ابتداع

فانه لما شاع وصف السنة بالبياض والاشراق لقول النبى صلى الله عليه وسلم اتيتكم بالحنيفية البيضاء ليلها كنهارها واشتهرت البدعة وكل ما ليس بحق بالظلمة والسواد كقولهم ليل الشرك اقام هذا الشاعر السنن مقام الاجناس التى لها اشراق وبياض والبدع مقام اجناس السواد والظلمة فصار ذلك عنده كتشبيه محسوس بمحسوس فجاز له التشبيه على هذا التقدير كقول ابى طالب الرقى

ولقد ذكرتك والظلام كأنه * يوم النوى وفؤاد من لم يعشق

فانه لما كانت الاوقات التى تحدث فيها المكاره توصف بالسواد كقول من يغتاله مكروه اسودت الدنيا فى عينى جعل هذا الشاعر يوم النوى اشهر بالسواد من الظلام فشبهه به وعرفه به ثم عطف عليه بفؤاد من لم يعشق تظرفا لان ظريف العشاق يدعى قسوة قلب من لم يعشق والقلب القاسى يوصف بشدة السواد فصار هذا القلب عنده اصلا فى السواد على هذا التقدير فقس على ذلك ومثله قول القائل

أسفر ضوء الصبح من وجهه * فقام خال الخد فيه بلال

كانما الخال على خده * ساعة هجر فى ليالى الوصال

سواد ساعة الهجر وبياض زمان الوصل قد فهم على ما تقرر وتكرر ومن ذلك قول الشاعر

كان انتضاء البدر من تحت غيمه * نجاة من البأساء بعد وقوع

ومن البديع الغريب فى هذا الباب قول القاضى التنوخى

اما ترى البرد قد وافت عساكره * وعسكر الحر كيف انساب منطلقا

فانهض بنا رالى فحم كانهما * فى العين ظلم وانصاف قد اتفقا

جاءت ونحن كقلب الصب حين سلا * بردا فصرنا كقلب الصب اذ عشقا

ويجيىء هنا قول الصاحب بن عباد وقد اهدى الى القاضى ابى الحسن على بن عبد العزيز الجرجانى عطرا

اهديت عطرا مثل طيب ثنائه * فكأنما اهدى له اخلاقه

ومن التشابيه البليغة فى هذا الباب قول الشهاب محمود فى تشبيه بعض الحصون والمبالغة فى علوه

كأنه وكأن الجو يكنفه * وهم تكنفه فى طيها الفكر

وغاية الغايات فى هذا الباب اعنى تشبيه المحسوس بالمعقول قول ابى نواس رحمه الله

معتقة صاغ المزاج لراسها * اكاليل در ما لناظمها سلك

جرت حركات الدهر فوق سكونها * فذابت كذوب التبر أخلصه السبك

الكدر وهذا عقب المطر ولاخير فى الخلتين دون القلتين يشوبهما كل خبث وينجسهما ادنى حدث وكذا المجد لا ينفك عن الجد بجر الحديد ولا ينسد على السود بالجبال السود والشيخ لو هرب من مكرمة لتبعته ولو طرحها لعلقته ولو لم يأتها مختارا لاتته اجبارا والحمد لله وحده ولم أر كالشيخ بعد سماع وقرب عيان وعنف بذاء ولطف لقاء ولا مثلى اسراف يده بطوبه بلسانه وينشره باحسانه وعهدى باولك الارض تطاوة اذا حضرت وبالسنة الفضل ساكنة اذا انطقت واكثر ما فى الفضل ان الشيخ

وأدرك منها القائزون بقية * من الروح فى جسم أضر به النهك

وقدخفيت من لطفها فكأنها * بقايا يقين كاد يذهبه الشك

ومثله قوله واجاد فيه الى الغاية

وندمان سقيت الراح صرفا * وستر الليل منسدل السجوف

صفت وصفت زجاجتها عليها * كمعنى دق فى ذهن لطيف

والذى سارت له به الركبان فى هذا الباب قوله

فمشت فى مفاصلهم * كتمشى البرء فى السقم

انتهى ماأوردته من تشبيه المحسوس بالمعقول وتقرر صوابه وايراد بديعه وغريبه وقد تقرر وتكرر أن تشبيه المحسوس بالمحسوس هو المقدم فى باب التشبيه وعلى أسه شيد أصحاب البديعيات بيوتهم ولكن بيت الشيخ صفى الدين الحلى فى بديعيته غير صالح للتجريد فانه متعلق بالبيت المشتمل على ائتلاف اللفظ مع المعنى فتعين ايراد البيتين هنا لتظهر نتيجة التشبيه فبيت ائتلاف اللفظ مع المعنى فى بديعيته قوله

كأنما حلق السعدى منتثرا * على الثرى بين منقض ومنفصم

واتبعه بقوله فى التشبيه

حروف خط على طرس مقطعة * جاءت بها يد غمر غير مفتهم

قلت الكمال لله كل من البيتين فيه نقص لافتقاره الى الآخر ولو تجرد أحدهما عن اخيه ماحسن السكوت عليه ولاتمت به فائدة وكيف يصح التشبيه فى بيت واحد وجل القصد به أن يكون بمجرده مثالا للنوع المذكور والمشبه فى البيت الاول والمشبه به فى البيت الثانى والذى أقوله انى لم أر فى البيت الاول المشتمل على ائتلاف اللفظ مع المعنى معنى ولا على بيت التشبيه الذى بعده للبلاغة بهجة لافتقاره الى الاول والله أعلم ومن غرائب ماينقل هنا ان العميان مانظموا نوع التشبيه فى بديعيتهم ونظموا رد العجز على الصدر وبيت الشيخ عز الدين الموصلى فى بديعيته قوله فى مديح النبى صلى الله عليه وسلم

وقيل للبدر تشبيه اليه نعم * نجم الثريا له كالنعل فى القدم

بيت الشيخ عز الدين هنا صالح للتجريد بخلاف بيت الشيخ صفى الدين اذ المراد به أن يكون بمجرده شاهدا على نوع التشبيه ولكن معناه مأخوذ من بيت القاضى الفاضل فى قصيدته الطائية المشهورة والبيت المأخوذ منه هذا المعنى قوله منها

أما الثريا فنعل تحت أخمصه * وكل قافية قالت لذا الشطا

من أين لسعادة الشيخ عز الدين أو لغيره أن يقول فى الشطر الاول من بيت قافيته طائية

أما الثريا فنعل تحت اخمصه

ويقول فى الشطر الثانى

وكل قافية قالت لذا الشطا

انتهى وبيت بديعيتى جمعت فيه بين شرف المديح النبوى وشرف تشبيه القرآن اذ هو

لانجمعه فى القياس مع الناس كالشمس لانجريها فى العموم مجرى النجوم مالى أنسى العز منته او لغير هذا اجدت القلم كيف رأى الشيخ صنع الله لحزبه وبأس الله فى حربه ألم يجد الفريقان ماوعدهما ربهما حقا بلى والله أعلى كلمة والحق احسن خاتمة والدين أثبت قائمة والعدل أجدر ان يدوم وأولى ان لا يزال ولا يزول وجرح الجور قريب الغور ونار الخلفاء سريعة الانطفاء والشيطان أضعف جندا والسلطان أعلى يدا وعمل النصل بحسب الاصل وحق لسهم توردميد الشيخ وتصدره قوس النصرة ونزع القدرة أن يصيب

المقدم فى هذا الباب على كل تشبيه فانى قلت فى البيت المشتمل على نوع التفريق البديعى

فالوا هو البدر والتفريق يظهر لى * فى ذاك نقص وهذا كامل الشيم

ولم أزل أظهر فى افق البلاغة كماله صلى الله عليه وسلم الى ان قلت فى التشبيه

والبدر فى التم كالعرجون صار له * فقل لهم يتركوا التشبيه بدرهم

ثم انى قلت بعده فى التلميح الذى ما بلغ فى صفات النبى صلى الله عليه وسلم أحسن منه

وردّ شمس الضحى للقوم خاضعة * وما ليوشع تلميح بركبهم

التلميح هو فى الاصطلاح أن يشير ناظم هذا النوع فى بيت او قرينة سجع الى قصة معلومة او نكتة مشهورة أو بيت شعر حفظ لتواتره أو الى مثل سائر يجريه فى كلامه على جهة التمثيل وأحسنه وابلغه ما حصل به زيادة فى المعنى المقصود وسماه قوم التمليح بتقديم الميم كان الناظم اتى فى بيته بنكتة زادته ملاحة كقول ابن المعتز

أترى الجيرة الذين تداعوا * عند سير الحبيب وقت الزوال

علموا اننى مقيم وقلبى * راحل فيهم امام الجمال

مثل صاع العزيز فى ارحل القو * م ولا يعلمون ما فى الرحال

هذا التلميح فيه اشارة الى قصة يوسف عليه السلام حين جعل الصاع فى رحل اخيه واخوته لم يشعروا بذلك ومن لطائف التلميح قول ابى فراس

فلا خير فى ردّ الاذى بمذلة * كما ردّها يوما بسوءته عمرو

هذا التلميح فيه اشارة الى قصة عمرو بن العاص مع الامام على بن ابى طالب رضى الله عنه فى يوم صفين حين حمل عليه الامام ورأى عمرو أن لا مخلص له منه فلم يسعه غير كشف العورة ومن الحديث على جهة التورية قول بعضهم فى مليح اسمه بدر

يا بدر اهلك جاروا * وعلموك التجرى

وقبحوا لك وصلى * وحسنوا لك هجرى

فليفعلوا ما أرادوا * فانهم اهل بدر

هذا التلميح فيه اشارة الى قول النبى صلى الله عليه وسلم لعمر حين سأل قتل حاطب لعل الله قد اطلع على اهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم ومن ذلك قول الشاعر

لعمرو مع الرمضاء والنار تلتظى * ارق واحنى منك فى ساعة الهجر

هذا الشاعر اشار بتلميحه فى هذا البيت الى البيت المشهور الذى ما برح الناس يتمثلون به عند من هو موصوف بالقسوة وهو

المستجير بعمرو عند كربته * كالمستجير من الرمضاء بالنار

ومن ذلك قول بعضهم

يقولون كافات الشتاء كثيرة * وما هى الا واحد غير مفترى

اذا كان كاف الكيس فالكل حاصل * لديك وكل الصيد يوجد فى الفرا

هذا الشاعر اشار فى تلميح بيته الى قول ابن سكرة

سواء الثغرة وكانوا كالسهام فان أصابت مراميها فرامبها اصابا قرن الله هذا الملك بالدوام وهذا الفتح بالتمام وبعد فما أشوقنى الى خدمة تلك الحضرة بعد تلك النصرة وأخوفنى ان لا اصادف وسادا مثنيا ومحلا سنيا واسرعنى اليها ان امنت هذه الواحدة والشيخ فى الاجابة عالى رأيه ان شاء الله تعالى

(وله اليه ايضا)

كتابى اطال الله بقاء الشيخ من ساهنبان وانا مرج فى المروج مع العلوج بين الصنان والبخر وليس العيان كالخبر عن سلامة فى كنف جمعة البوشنجى ويحيى الزونجى ومبارك

جاء الشتاء وعندى من حوائجه * سبع اذا القطر عن حاجاتنا حبسا

كن وكيس وكانون وكاس طلا * بعد الكباب وكس ناعم وكسا

ومن أظرف ماوقع هنا أن امرأة من أهل الحذق والظرافة قيل لها من انت وكانت ملتفة في كساء فقالت انا السادس في السابع أشارت في تلميحها اللطيف الى السادس والسابع من قول ابن سكرة فكأنها قالت انا الكس الناعم في الكساء ونظم بعضهم هذا المعنى في بيتين فقال

رأيتها ملفوفة في كسا * خوفا من الكاشح والطامع

قلت لها من أنت ياهذه * قالت أنا السادس في السابع

وهذا غاية لاتدرك في باب التلميح ومن هذا القبيل قول الحريري في المقامات واني والله لطالما تلقيت الشتاء بكافاته وأعددت له أهبا قبل موافاته ومثله قوله في المقامات أيضا فبت بليلة نابغية يشير الى قول النابغة

فبت كأني ساورتني ضئيلة * من الرقش في أنيابها السم ناقع

والضئيلة هي الحية الدقيقة ومن لطائف التلميح قصة الهذلي مع منصور بني العباس فانه حكي أن المنصور وعد الهذلي بجائزة ونسي فحجا معا ومرا في المدينة النبوية ببيت عاتكة فقال الهذلي يا أمير المؤمنين هذا بيت عاتكة التي يقول فيها الاحوص

يابيت عاتكة التي أتغزل * حذر العدا وبه الفؤاد موكل

فانكر عليه أمير المؤمنين لانه تكلم من غير أن يسئل فلما رجع الخليفة تطرق في القصيدة الى آخرها ليعلم ما اراد الهذلي بانشاد ذلك البيت من غير استدعاء فاذا فيها

واراك تفعل ماتقول وبعضهم * مذق اللسان يقول مالا يفعل

فعلم انه اشار الى هذا البيت بتلميحه الغريب فتذكر ماوعده به وأنجزه له واعتذر اليه من النسيان ومثله ماحكي ان أبا العلاء المعري كان يتعصب للمتنبي فحضر يوما مجلس الشريف المرتضى فجرى ذكر أبي الطيب فهضم المرتضى من جانبه فقال ابو العلاء لولم يكن له من الشعر الاقوله

لك يامنازل في القلوب منازل

لكفاه فغضب المرتضى وأمر به فسحب واخرج وبعد اخراجه قال المرتضى هل تدرون ماعنى بذكر البيت فقالوا لا والله فقال عني به قول أبي الطيب في القصيدة

واذا أتتك مذمتي من ناقص * فهي الشهادة لي بأني كامل

ومن هذا القبيل قصة السري الرفاء مع سيف الدولة بسبب المتنبي أيضا فان السري الرفاء كان من مداح سيف الدولة وجرى يوما في مجلسه ذكر أبي الطيب فبالغ سيف الدولة في الثناء عليه فقال له السري أشتهي أن الامير ينتخب لي قصيدة من غرر قصائده لاعارضها له ويتحقق بذلك انه اركب المتنبي في غير سرجه فقال له سيف الدولة على الفور عارض لنا قصيدته القافية التي مطلعها

لعينيك مايلقى الفؤاد ومالقي * وللحب مالم يبق منه ومابقي

الزنجي ويحيى الخارجي وزيقا وليقا وحسن أولئك رفيقا مثلي أيد الله الشيخ مثل رجل صام حولا فلما أفطر شرب بولا تصونت عن اعمال السلطان وقد عرضت على أمهاتها واضطرتني الحال الى خلافة فلان وقد وردت منه على كريم لايمكنني سعة أخلاقه من شدة خناقه ولا يحتمل حالي اغفال مالي فهل الحيلة الا معاونته على تدارك امره وقد كان وجه لديني وجوها فسبقني اليها صاحب النسيب وطعمة الاسد نخمة الذيب لاجرم أني استخرجت ما استوفاه من عرض قفاه بعد أن اخذت الجبة عليه فقال لا اسمع لك من هؤلاء

قال السرى فكتبت القصيدة واعتبرتها فى تلك الليلة فلم أجدها من مختارات ابى الطيب لكن رأيته يقول فى آخرها عن ممدوحه

اذا شاء أن يلهو بلحية أحمق * اراه غبارى ثم قال له الحق

فقلت والله ما أشار سيف الدولة الا الى هذا البيت وأحجمت عن معارضة القصيدة وألطف من هذا ما حكاه ابن الجوزى فى كتاب الاذكياء فانه من غرائب التلميح قال قعد رجل على جسر بغداد فاقبلت امرأة بارعة فى الجمال من جهة الرصافة الى الجانب الغربى فاستقبلها شاب فقال لها رحم الله على بن الجهم فقالت له رحم الله أبا العلاء المعرى وما وقفا بل سارا مغربا ومشرقا قال الرجل فتبعت المرأة فقلت لها والله ان لم تقولى لى ما أراد بابن الجهم فضحتك قالت اراد به

عيون المها بين الرصافة والجسر * جلبن الهوى من حيث ادرى ولا ادرى

واردت انا بأبى العلاء قوله

فيا دارها بالخيف ان مزارها * قريب ولكن دون ذلك اهوال

ورسالة الوزير ابى الوليد بن زيدون المخزومى الاندلسى غالبها مبنى على نوع التلميح ولابدان اذكر الموجب لانشائها بحيث يتلمح المتأمل بهجة تلميحها وسبب انشاء هذه الرسالة البديعة انه كان بقرطبة امرأة ظريفة متأدبة من بنات خلفاء العرب المنسوبين الى عبد الرحمن بن الحكم المعروف بالداخل فى بنى عبد الملك بن مروان تسمى ولادة بنت المستكفى بالله بتذل حجابها بعد نكبة ابيها وقتله فصارت تجلس للشعراء والكتاب وتحاضرهم وتطارحهم وكانت ذات جمال بارع وادب غض ودماثة أخلاق وكان لها ميل الى ابن زيدون بخلاف غيره من اهل العصر فما كتبت اليه وهى راضية عنه

ترقب اذا جن الظلام زيارتى * فانى رأيت الليل اكتم للسر

وبى منك مالو كان بالبدر لم يغر * وبالليل لم يظلم وبالنجم لم يسر

وكتبت اليه وهى غضبى

ان ابن زيدون على فضله * يلهج بى شتما ولا ذنب لى

يلحظنى شزرا اذا جئته * كانما جئت لاخصى على

تشير فى تلميحها اللطيف الى غلام كان متهما به ومن غض شعرها قولها

انا والله اصلح للمعالى * وامشى مشيتى واتيه تيها

وامكن عاشقى من صحن خدى * واعطى قبلتى من يشتهيها

ومما ينسب اليها

لحاظكم تجرحنا فى الحشا * ولحظنا يجرحكم فى الخدود

جرح بجرح فاجعلوا ذا بذا * فما الذى اوجب جرح الصدود

وكان ابن زيدون كثير الشغف بها والميل اليها وأكثر غزل شعره فيها وقد تقدم ذكر ميلها اليه بخلاف اهل عصره من اهل الادب لحسن ادبه والطف شمائله وتقدمه على اهل زمانه

الاكرة وما يؤدونه بدرهم فما دونه وحقا أن المغبون من لم يعرف الزبون والمردود من لم يعرف المقصود واذا لم يكن صيرفى الرجال أحذق من صيرفى المال بات محذوف السبال وأصبح موجع القذال وقد خرج الى الشيخ متطلبا ولا اقنع حتى يكتب فى ظهره جواب كتابى بقلم اسمه السوط فان قصر أو اخر فعدد الرمل عربية وعدد النمل موجدة وهذا الحزقد اراني وجها للمال ولكنه اشعث اغبر وعينا للدين ولكنه احول اعور وقد كان وكيلى استوثق منه باحالة اكدها بقبالة على زعيم الناحية وسألت عنه فقيل متوار

وكان الوزير ابو عامر بن عبدوس كثير الهيمان بها واجتهد فى التوصل اليها والاجتماع بها والاقتطاف من ثمار آدابها الغضة والتمتع بجمالها البارع فعجز عن ذلك لكثرة ميلها الى ابن زيدون وتوصل الى أن أرسل اليها امرأة من خواصه لتستميلها اليه وتعرفها عظم مقامه وسمو رتبته على غيره وتبالغ فى التوصل الى رغبتها فيه فبلغ ذلك ابن زيدون فانشأ هذه الرسالة على لسان ولادة تتضمن سب الوزير أبي عامر والتهكم به وبني غالبها على نوع التلميح وجعلها جوابا عنها فاشتهر ذكر الرسالة فى الآفاق وأمسك الوزير ابن عبدوس عن التعرض الى ولادة فمن سجعات الرسالة المبنية على التلميح قوله منها على لسان ولادة يخاطب الوزير ابن عبدوس (حتى قالت ان باقلا موصوف بالبلاغة اذا قرن بك) هذا التلميح فيه اشارة الى عمرو بن ثعلبة الايادى الذى يضرب به المثل فى العي فيقال فلان أعيى من باقل قال ابو عبيدة بلغ من عيه انه اشترى ظبيا باحد عشر درهما فلقيه شخص والظبي معه فقال له بكم اشتريته ففتح كفيه وفرّق أصابعه وأخرج لسانه يشير الى احد عشر فهرب الظبي (وهبنقة مستوجب لاسم العقل اذا اضيف اليك) هذا التلميح يشير فيه ابن زيدون الى يزيد ابن ثروان أحد بنى قيس بن ثعلبة الملقب بهبنقة المكنى بابى الودعات لانه نظم ودعا فى سلك وجعله فى عنقه علامة لنفسه لئلا يضيع وهو جاهلى يضرب به المثل فى الحمق قيل انه كان اذا رعى غنما أو ابلا جعل مختار المراعى للسمان ونحى المهازيل عنها وقال لا أصلح ما أفسد الله واختصم بنو راسب وبنو طفاوة فى شخص يدعونه وأطلعوا هبنقة على أمرهم فقال القوه فى البحر فان رسب فهو من بنى راسب وان طفا فهو من بنى طفاوة واشترى اخوه بقرة باربعة أعنز فركبها فاعجبه عدوها فالتفت الى اخيه وقال زدهم عنزا فضرب بها المثل للمعطى بعد امضاء البيع ثم سار فرأى ارنبا تحت شجرة ففزع منها وهمز البقرة وقال

الله نجانى ونجا البقره * من جاحظ العينين تحت الشجره

(وطويسا مأثورا عنه يمن الطائر اذا قيس عليك) هذا التلميح يشير به الى عيسى بن عبد الله مولى بنى مخزوم وكنيته ابو النعيم كان مخنثا ماجنا ظريفا يسكن المدينة وهو أول من غنى على الدف بالعربية ولكن ضرب فى شؤمه المثل فانه ولد يوم قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم وفطم يوم مات ابو بكر وختن يوم قتل عمر وزوّج يوم قتل عثمان وكانت أمه تمشى بالنميمة بين نساء الانصار ومن تلميح هذه الرسالة التى هى غاية فى هذا الباب قوله منها يشير الى ابن عبدوس (والله لو كساك محرق البردين * وحلتك مارية بالقرطين * وقلدك عمرو الصمصامة * وحملك الحرث على النعامة * ماشككت فى اباك * ولا كنت الا ذاك) السجعة الاولى تشير فى تلميحها الى عمرو بن المنذر بن ماء السماء كان يسمى من شدة بأسه محرقا وقصة هذه التسمية استوفى ابو الفرج صاحب الاغانى شرحها فى كتابه وأما قصة البردين فحكى أن الوفود اجتمعت عند محرق فاخرج من لباسه بردين وقال ليقم أعز العرب قبيلة فليأخذهما فقام عامر بن احيمر فاخذهما فاتزر بواحدة وارتدى بالاخرى فقال له محرق أنت أعز العرب قبيلة فقال نعم لان العز كله فى معد والعدد فى معد ثم فى نزار ثم فى مضر ثم فى تميم ثم فى سعد ثم فى كعب فمن أنكر ذلك فليناظرنى فسكت الناس فقال هذه عشيرتك كما تزعم فكيف

فاستنزلته بفضل خداع وسألته عن سبب تواريه فذكر ان الجراح بن محمد قصد أيام ولايته قصد نكايته وخاف الآن من سعايته فسكنت نفرته فان بذل له الشيخ كتاب امان وبذلت له عهد ضمان حضر البساط الرفيع ثم لم يسأل العفو عن جرم اذا صح ولا المسامحة بدرهم اذا وجب فان لم يفعل الشيخ ذلك ابتغى نفقا فى الارض أو سلما فى السماء فالسلطان يحذره السليم كما يحذره السقيم لاسيما الشيخ وبطشه العظيم نعم أيد الله الشيخ ظفرت برجل كان ضالتى منذ سنين ولى فى جنبه مال عظيم لكنه

أنت في نفسك وأهل بيتك فقال أنا أبو عشرة وأخو عشرة وعم عشرة وخال عشرة وها أنا في نفسي وشاهد العز شاهدي ثم وضع قدمه على الارض وقال من ازالها من مكانها فله مائة من الابل فلم يقم اليه أحد فخرج بالبردين وضرب المثل بعزه وبرديه والصحة الثانية تشير في تلميحها الى مارية وقصتها المشهورة بالقرطين وهي مارية ابنة ظالم بن وهب الكندي زوج الحرث الاكبر الغساني ملك العرب بالشام وهي أم الحرث الاصغر وأمها هند الهنود وكان في قرطيها درتان عجيبتان كبيضتي الحمام لم ير مثلهما توارثتهما الملوك الى أن وصلتا الى عبد الملك بن مروان فوهبهما لابنته فاطمة لما زوجها بعمر بن عبد العزيز فلما ولي عمر الخلافة قال لها ان أحببت المقام عندي فضعي القرطين والحلي في بيت مال المسلمين فاجابته الى سؤاله فلما مات وولي يزيد بن عبد الملك أرسل اليها يقول لها خذي القرطين والحلي فقالت لا والله ما أوافقه في حال حياته وأخالفه بعد وفاته والصحة الثالثة تشير في تلميحها الى عمرو بن معديكرب الزبيدي الفارس المشهور بكثرة الغارات والوقائع بين العرب في الجاهلية قبل اسلامه وكان يكنى ابا ثور والصمصامة سيفه المشهور وقال عبد الملك بن عمر أهدت بلقيس الى سليمان عليه السلام خمسة أسياف وهم ذو الفقار وذو النون ومخذم ورسوب والصمصامة فاما ذو الفقار فكان لرسول الله صلى الله عليه وسلم أخذه من منبه بن الحجاج يوم بدر ومخذم ورسوب كانا للحرث بن جبلة الغساني وذو النون والصمصامة لعمرو بن معديكرب وانتقلت الصمصامة الى سعيد بن العاص ولم تزل الى أن صعد المهدي البصرة فلما كان بواسط أرسل الى بني العاص يطلب الصمصامة منهم فقالوا انه قد صار محتسبا في السبيل فقال خمسون سيفا في السبيل أغنى من سيف واحد وأعطاهم خمسين سيفا وأخذه ثم وصل الى المتوكل فدفعه الى بعض مماليكه الاتراك فقتله به والصحة الرابعة تشير في تلميحها الى فرس الحرث بن عباد التغلبي سيد بني وائل سمتها العرب لخفتها وسرعة جريها بالنعامة وضربت بها الامثال وكان الحرث يكرر قوله في كل وقت بانشاده

* قربا مربط النعامة مني * انتهى

ولولا خوف الاطالة لاوردت من هذه الرسالة غالب تلميحها فانها نسيج وحدها على هذا المنوال أعني التلميح وبيت الشيخ صفي الدين الحلي على هذا النوع قوله

ان ألقها تلقف كل ما صنعوا * اذا أتيت بسحر من كلامهم

بيت الشيخ صفي الدين هذا أيضا متعلق بما قبله والضمير في ألقها عائد على العصا فانه قال في بيت الاقتباس

هذي عصاي التي فيها مآرب لي * وقد أهش بها طورا على غنمي

وقال بعده في بيت التلميح ان ألقها البيت ورأيته يسلك هذا المسلك في غالب بديعيته وهو غير لائق به اذ المراد من كل بيت أن يكون شاهدا على ذلك النوع بمجرده والتلميح في بيته هو الاشارة الى قصة موسى عليه السلام مع السحرة لما ألقى العصا وبيت العميان في بديعيتهم

ويقرع السمع عن حق زواجره * قرع الرماح بيدر ظهر منهزم

أراني توقيعا الشيخ في كتاب سلطاني بأن لا يتعرض له متعرض ووجدت الامر على العموم ووردت النفس على مكروهها فلما عرض على الكتاب سجدت لعنوانه ثم لعنوانه ثم لموضع بيانه من عالي توقيعه ثم بجميعه ووجهت من المطلوب يد خالية واخرى كالية واحتسبت عند الله تلك السنين والله لا يضيع أجر المحسنين

* (وله اليه ايضا) *

وصلت رقعتك يا سيدي والمصاب لعمر الله كبير وأنت بالجزع جدير ولكنك بالصبر اجدر والعزاء عن الاعزة رشد كأنه الغي وقدمات الميت

العميان أشاروا فى تلميحهم الى قصة يوم بدر ولكن ليس على شمائل بيتهم من رونق التلميح لمحة
وبيت الشيخ عز الدين الموصلى فى بديعيته قوله

وبان فى كتب التاريخ من قدم ✱ تلميح قصة موسى مع معتدهم

لم ألمح من خلال بيت الشيخ عز الدين غفر الله له لمحة تدلنى على نور التلميح لكنه حكى حكاية
مضمونها أن كتب التاريخ القديمة بان فيها تلميح قصة موسى عليه السلام مع معتد والله أعلم وبيت
بديعيتى تقدمنى فى تلميحه ابو تمام بقوله متغزلا فى بعض قصائده وقد سفرت محبوبته من جانب
الخدر ليلا

فردت علينا الشمس والليل راغم ✱ بشمس لهم من جانب الخدر تطلع
فوالله ما أدرى أأحلام نائم ✱ ألمت بنا أم كان فى الركب يوشع

فلما انتهيت فى نظم بديعيتى الى هذا النوع اعنى التلميح رأيت النبى صلى الله عليه وسلم أحق به وأنا
أحق به من أبى تمام فانى نظمته فى سلك المعجزات النبوية فهامت عيون الأذواق الى بهجة
تلميحه وقد تقدم قولى فى بيت التشبيه عن النبى صلى الله عليه وسلم

والبدر فى التم كالعرجون صار له ✱ فقل لهم يتركوا التشبيه بدرهم

ثم قلت بعده فى التلميح

وردت شمس الضحى للقوم خاضعة ✱ وما ليوشع تلميح بركبهم

انظر أيها المتأمل الى انسجام هذا البيت مع الذى قبله والى ظهور النقص فى بيت أبى تمام
باستقلال نور التلميح الى شرف هذا البيت النبوى والله اعلم

(ذكر تشبيه شيئين بشيئين)

شيئان قد اشبها شيئين فيه لنا ✱ تبسم وعطا كالبرق فى الديم

هذا النوع اعنى تشبيه شيئين بشيئين من المحاسن العزيزة الوقوع بخلاف كثيرة العدد
فى التشبيه فان ذلك نوع اللف والنشر أحق به وهو فى الاصطلاح أن يقابل الشاعر بين الاربعة
ويلتزم أن كل واحد من المشبه يستمد المشبه به (ومما حكى) عن بشار بن برد أنه قال مازلت
منذ سمعت قول امرء القيس فى وصف العقاب

كأن قلوب الطير رطبا ويابسا ✱ لدى وكرها العناب والحشف البالى

لا يأخذنى الهجوع عندها الى أن قلت فى وصف الحرب

كأن مثار النقع فوق رؤسنا ✱ وأسيافنا ليل تهاوت كواكبه

ومما يعجبنى فى هذا الباب الى الغاية قول ابراهيم بن سهل الاشبيلى

كأن القلب والسلوان ذهن ✱ يصرم عليه معنى مستحيل

ومن الغايات التى لا تدرك فى هذا الباب وأنا أستغفر الله قولى من قصيد

وحمرة الخد أبدت خيط عارضه ✱ نخات كاس مدام وهو مشعور

وبيت الشيخ صفى الدين الحلى فى بديعيته

تلاعبوا تحت ظل السمر من مرح ✱ كما تلاعبت الاشبال فى الاجم

بيت الشيخ صفى الدين فى هذا النوع عامر بالمحاسن رافل فى حلل الانسجام والعميان ما نظموا
هذا النوع فى بديعيتهم وبيت الشيخ عز الدين الموصلى فى بديعيته قوله

تشبيه شيئين بشيئين

فلعى الحى واشدد على حالك بالخمس وأنت اليوم غيرك بالامس قد كان ذلك الشيخ رحمه الله وكيلك يضحك ويبكى لك وقد مولك بما ألف بين سراه وسيره وخلفك فقيرا الى الله غنيا عن غيره وسيجيء الشيطان عودك فان استلانه رماك بقوم يقولون خير المال متلفة بين الشراب والشباب ومنفقة بين الاحباب والحباب والعيش بين الاقداح والقداح ولولا الاستعمال لما اريد المال فان أطعتهم فاليوم فى الشراب وغدا فى الخراب واليوم والطرب بالاكاس

شبا آن لتشبيه شيئين انتبه لهما * حلم وجهل هما كابر والسقم

نعوذ بالله من آفة الغفلة ممدوح هذا البيت هو النبي صلى الله عليه وسلم وقد تقدمه قوله في مديحه

هل من مقاربة في السير بعد نوى * باطيب القرب بين العرب والعجم

وقال بعده هذا البيت الداثر وقد سلمنا أنه قابل فيه حلم النبي صلى الله عليه وسلم بالبر وأما ذكر الجهل في هذا البيت فهو في غاية الجهل وليس له ما يقابله غير التأديب على قلة أدبه وقد قابل به السقم ولا أعلم ما مراده به وطالعت شرحه فوجدته قد قرر هذا النوع وفر من الكلام على معنى البيت بخلاف أبيات القصيدة وبيت بديعتي اقول فيه عن النبي صلى الله عليه وسلم

شبا آن قد اشبها شيئين فيه لنا * تبسم وعطا كالبرق في الديم

هذا البيت البديع في لفظه ومعناه ما أشك أن أبا بكر مقدم فيه على الحلي والموصلي فانه وضعه في محله والنبي صلى الله عليه وسلم احق به من كل ممدوح وقد جمع فيه بين حسن اللف والنشر وبليغ التشبيه وأما مراعاة النظير في مديحه بين البرق والديم فليس لها نظير والله اعلم

(ذكر الانسجام)

له انسجام دموعي في مدائحه * بالله شنف بها يا طيب النغم

المراد من الانسجام أن يأتي لخلوه من العقادة كانسجام الماء في انحداره ويكاد لسهولة تركيبه وعذوبة الفاظه أن يسيل رقة ولعمري ان طيور القلوب ما برحت على أفنان هذا النوع واقعه * وبعامته الفضة بين الاوراق ساجعه * وأهل الطريق الغرامية هم بدور مطالعه ومكان مرابعه فانهم ما أتقلوا كاهل سهولته بنوع من أنواع البديع اللهم الا أن يأتي عفوا من غير قصد وعلى هذا أجمع علماء البديع في حد هذا النوع فانهم قرروا أن يكون بعيدا من التصنع خاليا من الانواع البديعية الا أن يأتي في ضمن السهولة من غير قصد وغالب شعر الشيخ شرف الدين عبد العزيز الانصاري شيخ شيوخ حماه * سقى الله من غيث الرحمة ثراه * ماش على هذا التقرير ويأتي التمثيل به في مكانه ان شاء الله تعالى وان كان الانسجام في النثر يكون غالب فقراته موزونة من غير قصد لقوة انسجامه وأعظم الشواهد على هذا ما جاء في القرآن العظيم من الموزون بغير قصد في بيوت واشطار بيوت فمن الطويل الذي جاء على أصل الدائرة في القرآن العظيم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر وتقطيعه القياسي فعولن مفاعيلن فعولن مفاعيلن كقول الشاعر

الايا صبا نجد متى هجت من نجد * فقد زادني مسراك وجدا على وجدي

وجاء في بحر المديد من العروض الثانية المحذوفة قوله تعالى واصنع الفلك بأعيننا كقول الشاعر

اعلموا أني لكم حافظ * شاهدا مادمت أو غائبا

ومن مصرعه

الانسجام

وغدا واحربا من الافلاس يا مولاي ذلك الخارج من العود يسميه الجاهل نقرا ويسميه العاقل فقرا وذلك الممنوع من الناي هو في الآذان زمر وفي الابواب سمر وان لم يجد الشيطان مغمزا في عودك من هذا الوجه رماك بآخرين يتلاون الفقر هذا عينك فجاهد قلبك وحاسب بطنك وتناقش غيرك وتمنع نفسك وتسوء في ذلك بوزرك وتراه في الآخرة في ميزان غيرك لا ولكن قصدا بين الطريقين ومهلا عن الفريقين لا منع ولا اسراف والبخل فقر حاضر وضير عاجل وانما يغفل المرء خيفة ما هو فيه لله في

زعم النعمان ملك العرب * ليس ينجى من عصاه الهرب

وجاء فى بحر البسيط من العروض الاولى المخبونة قوله تعالى فاصبحوا لاترى الامساكنهم كقول الشاعر

مابال عينك منها الماء ينسكب

وجاء فى الوافر من العروض الاولى المقطوفة والضرب المقطوف قوله تعالى ويخزهم وينصركم عليهم ويشف صدور قوم مؤمنين كقول الشاعر

ألاهبى بصحنك فاصبحينا * ولاتبقى خمور الاندرينا

وجاء فى الكامل من العروض الصحيحة المجزوة والضرب المجزو المذال قوله تعالى والله يهدى من يشاء الى صراط مستقيم كقول الشاعر

ابنى لاتظلم بمكة لا الصغير ولا الكبير

وجاء فى الهزج من عروضه المجزوة وضربها المحذوف قوله تعالى فألقوه على وجه أبى يأت بصيرا كقول الشاعر

وماظهرى لباغى الضيم بالظهر الذلول

وجاء فى الرجز قوله تعالى وذللت قطوفها تذليلا كقول الشاعر

شالوا على جمالهم جمالهم * وسار حادى عيسهم يغنى

وجاء فى الرمل من العروض الثانية المجزوة والضرب الثانى المجزو قوله تعالى وجفان كالجوابى وقدور راسيات كقول الشاعر

مقفرات دارسات * مثل آيات الزبور

ومن مصرعه

أى شخص كأبان * عند ضرب وطعان

وجاء فى السريع من العروض الاولى المطوية المكسوفة قوله تعالى قال فما خطبك ياسامرى ومنه أو كالذى مر على قرية كقول الشاعر

ياهند يا أخت بنى عامر * لست على هجرك بالصابر

وجاء من المنسرح من العروض الاولى الوافية قوله تعالى انا خلقنا الانسان من نطفة كقول الشاعر

زموا المطايا بالواد ماودعوا

وجاء من الخفيف من العروض التامة الصحيحة قوله تعالى أرأيت الذى يكذب بالدين كذا أورده صاحب المفتاح ومنه لايكادون يفقهون حديثا وهذا من مستخرجات المصنف فسح الله فى أجله كقول الشاعر

ليت ما فات من شبابى يعود * كيف والشيب كل يوم يزيد

وجاء من المضارع وهو بحر قليل الاستعمال جدا ومنهم من لم يعده بحرا ولاجاء فيه شعر معروف وقيل انه لم يسمع من العرب وقال أبو العباس العتابى فى كتابه المسمى بنزهة الابصار فى أوزان الاشعار ان الخليل جعله جنسا او أحسبه قاسه وماأدرى مارو ى

مالك قسط والمروأة قسم فصل الرحم ما استطعت وقدر اذا قطعت وان تكون الى جانب التقدير خيرلك من ان تكون الى جانب التبذير

(وله الى القاضى أبى نصر بن سهل)

ما للقاضى أعزه الله يلقانى بوجه كأنه الزقوم ويرانى فلا يقوم أنا سأله ان يقتدى بغيره لا بأيره ألست لقيامه أهلا لعن الله أكثرنا جهلا وأقلنا فضلا واخسنا أصلا تلك القلنسوة ليست باول قلانس الحكام وتلك الشيبة ليست باول شيبة فى الاسلام نحن نخرأ فى خير من تلك القلنسوة ونصفع

في كتب العروض امسنوع هوام مسموع من العرب انتهى كلام العتابي وتفاعيله في الاصل مفاعيلن فاع لان مفاعيلن ومثلها ولكنه ما استعمل الا مجزوا فبقي مربعا فما وقع من مخرومه في الكتاب العزيز قوله تعالى يوم التناد يوم تولون مدبرين والخرم هنا حذف الاول من مفاعيلن فعاد فاعيلن فنقل الى مفعولن فتفاعيل هذه الآية الشريفة مفعول فاعلات مفاعيل فاعلات كقول الشاعر

قلنا لهم وقالوا * وكل له مقال

وجاء في المقتضب من العروض المجزوة المطوية قوله تعالى في قلوبهم مرض وتفعيل ذلك فاعلات مستعلن وجاء فيه من الشعر

أقبلت فلاح لها * عارضان كالسبج

ومن مصرعه

غنناء على الدرج * بالخفيف والهزج

وهذا البحر في القلة كبحر المضارع الا أنه سمع منه أبيات على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم منها

هل على ويحكما * ان عشقت من حرج

وجاء في المجتث من العروض الصحيحة المجزوة والضرب المجزو قوله تعالى نبئ عبادى انى انا الغفور الرحيم كقول الشاعر

البطن منها خميص * والوجه مثل الهلال

وجاء في المتقارب من العروض الاولى الوافية قوله تعالى وأملى لهم ان كيدى متين فعولن فعولن فعولن فعولن كقول الشاعر

فأما تميم تميم بن مر * فألفاهم القوم روبى نياما

ولولا الاطالة لذكرت ما دخل فيما أوردته من الزحاف وقد اوردت هنا خمسة عشر بحرا ولم اذكر المتدارك اذ هو محدث اخترعه المتأخرون ولم تعرفه العرب في الزمن المتقدم وهو خارج عن الخمسة عشر بحرا وقال ابن الحاجب في عروضه

وخمسة عشر دون ما متداركا * وما عده منها الخليل فعدلا

انتهى ما أوردته من الانسجام المنثور وأما الانسجام في النظم فقد تقدم وتقرر أن أصحاب المذهب الغرامي هم سكان بيوته العامرة * وكاس آرامه التي هي غير نافره * ولكن العرب على كل تقدير ملوك هذا الشان * وقلائد هذا العقيان * وقد عن لي أن أذكر هنا ما فروا به من وعر التركيب وشرعوه في أبياتهم على سهل الانسجام * وأركض في أثر هذه الابيات بسوابق الفحول فانها أبيات لها حرمة وذمام * وأعرج بعد ذلك على البيوت الغرامية وانتسم أخبار الهوى العذري من بين تلك الخيام * فمن الانسجام الذي وقع للعرب وكاد أن يسيل رقة لسهولته قول امرئ القيس في معلقته

أغرك منى ان حبك قاتلي * وأنك مهما تأمري القلب يفعل

وقوله من غير المعلقة

خيرا من تلك القصعدوة وليحسن العشرة معي من بعد ولست من رعيته وليحمل الصبة من ظاهره ان لم يحملها من نيته أو فليفعل ما شاء فانها شقشقة هدرت والجهل أجل والسلام

(وله الى الدهجداني) الموتة ايد الله الدهجداني غيب وهو آية في مكان من الصدر لا ينفذه بصر ولا يدركه نظر ولكنها تعرف ضرورة وان لم تظهر صورة ويدركها الناس وان لم تدركها الحواس ويستملي المرء صحيفتها من صدره ويعرف حال غيره من نفسه ويعلم انها حب وراء القلب وقلب وراء القلب وخلب وراء العظام

أجارتنا انا غريبان ههنا * وكل غريب للغريب نسيب

ومثله فى الانسجام والرقة قول طرفة بن العبد فى معلقته

فان كنت لا تستطيع دفع منيتى * فدعنى أبادرها بما ملكت يدى

ومثله قوله منها

وظلم ذوى القربى اشد مضاضة * على المرء من وقع الحسام المهند

ومثله قوله منها

فان مت فانعينى بما انا اهله * وشقى على الجيب يا ابنة معبد

ومثله قوله منها

ستبدى لك الايام ما كنت جاهلا * ويأتيك بالاخبار من لم تزود
ويأتيك بالانباء من لم تبع له * بتاتا ولم تضرب له وقت موعد
لعمرك ما الايام الا معارة * فما اسطعت من معروفها فتزود
عن المرء لا تسأل وسل عن قرينه * فكل قرين بالمقارن يقتدى

ومثله فى لطف الانسجام قول زهير بن أبى سلمى فى معلقته

ومن هاب أسباب المنايا ينلنه * ولو رام اسباب السماء بسلم
ومن يك ذا فضل فيبخل بفضله * على قومه يستغن عنه ويذمم
ومن يغترب يحسب عدوا صديقه * ومن لا يكرم نفسه لم يكرم
ومن لا يذد عن حوضه بسلاحه * يهدم ومن لا يظلم الناس يظلم
ومن لا يصانع فى أمور كثيرة * يضرس بانياب ويوطأ بمنسم
ومن يجعل المعروف من دون عرضه * يفره ومن لا يتق الشتم يشتم
سئمت تكاليف الحياة ومن يعش * ثمانين حولا لا أبا لك يسأم

وأحسن ختامها فى الانسجام بقوله

وأعلم ما فى اليوم والامس قبله * ولكننى عن علم ما فى غد عمى

ومثله قول لبيد بن ربيعة من معلقته

فاقنع بما قسم المليك فانما * قسم الخلائق بيننا علامها
واذا الامانة قسمت فى معشر * أوفى باعظم حظنا قسامها

ومن الغايات فى باب الانسجام قول عنترة فى معلقته

فاذا شربت فاننى مستهلك * مالى وعرضى وافر لم يكلم
واذا صحوت فما أقصر عن ندى * وكما علمت شمائلى وتكرمى

ومن ذلك قول عمرو بن كلثوم فى معلقته

لنا الدنيا ومن أمسى عليها * ونبطش حين نبطش قادرينا
اذا ما الملك سام الناس خسفا * أبينا أن يقر الخسف فينا
اذا بلغ الفطام الطفل منا * تخر له الجبابر ساجدينا
ملأنا البر حتى ضاق عنا * وظهر البحر نملؤه سفينا

وعظم ووراء العظم ولحم ووراء اللحم جلد ووراء الجلد برد ووراء البرد بعد ولو كانت هذه المحبة قوا برلم يتفذها تظر العبرفيستدل عليها بغير هذه الحاسة والاهجداني يعتب على انى نسيت الحال بدليل انى لا انفذه ووالله لو التمست به التباسا يجعل رأسينا رأسا ما ازدته ودا ولو حال بينى وبينه سور الاعراف ما نقصته حبا وقد والله اختلفت على مواضعه حتى ظننت القضاء يكايد وأردت زيارته بالامس ثم وقع من الاضطراب ما ثنى العزم فان نشطا فى هذه الليلة عرفنى مستقره لاحضره ان شاء الله

ألا لا يجهلن أحد علينا * فنجهل فوق جهل الجاهلينا

ومثله قول الحرث بن حلزة في معلقته وهي المعلقة السابعة

لا يقيم العزيز في البلد السهل ولا ينفع الذليل النجاء

ومن الانسجامات التي عدها صاحب المرقص والمطرب من المطرب قول زهير

تراه اذا ما جئته متهللا * كأنك معطيه الذي أنت سائله

ومن الانسجامات المعدودة من المرقص قول النابغة الذبياني

وانك كالليل الذي هو مدركي * وان خلت أن المنتأى عنك واسع

ومن الانسجام المعدود من المطرب قول حسان بن ثابت رضي الله عنه

أصون عرضي بمالي لا أدنسه * لا بارك الله بعد العرض في المال

أحتال للمال ان أودى فأكسبه * ولست للعرض ان أودى بمحتال

وعدوا من الانسجام المرقص قول كعب بن زهير

ولا تمسك بالعهد الذي وعدت * الا كما يمسك الماء الغرابيل

ومن المطرب قول الشماخ

اذا ما راية رفعت لمجد * تلقاها عرابة باليمين

ويعجبني من لامية العرب قول الشنفرى بن مالك

وفي الارض منأى للكريم عن الاذى * وفيها لمن خاف القلى متحول

ومثله من لامية العجم وان تأخر عصرها

ان العلى حدثتني وهي صادقة * فيما تحدث أن العز في النقل

لو ان في شرف المأوى بلوغ منى * لم تبرح الشمس يوما دارة الحمل

وعدوا من الانسجام المطرب قول مجنون ليلى في قصيدته المشهورة

وقد خبروني ان تيماء منزل * لليلى اذا ما الصيف ألقى المراسيا

فهذي شهور الصيف عنا ستنقضي * فما للنوى ترمي بليلى المراميا

أعد الليالي ليلة بعد ليلة * وقد عشت دهرا لا أعد اللياليا

وأخرج من بين البيوت لعلني * أحدث عنك النفس بالليل خاليا

ألا أيها الركب اليمانون عرجوا * علينا فقد امسى هوانا يمانيا

يمينا اذا كانت يمينا فان تكن * شمالا ينازعني الهوى من شماليا

أصلي فما أدري اذا ما ذكرتها * أثنتين صليت الضحى ام ثمانيا

خليلي لا والله لا املك الذي * قضى الله في ليلى ولا ما قضى ليا

قضاها لغيري وابتلاني بحبها * فهلا بشيء غير ليلى ابتلانيا

ولو أن واش باليمامة داره * وداري بأعلى حضرموت اهتدى ليا

وماذا لهم لا أحسن الله حالهم * من الحظ في تصريم ليلى حباليا

وددت على حبي الحياة لو انه * يزاد لها في عمرها من حياتيا

على أنني راض بأن أحمل الهوى * وأخلص منه لا علي ولا ليا

(وله اليه ايضا)
...ضب العاشق أقصر عمرا
...ن ان ينتظر عذرا وان
كان في الظاهر مهابة سيف
...ه في الباطن سحابة صيف
...قدرا بي اعراضه صفدا
...خذ اقصد أم مزحا ولو
...بس القلبان حتى التباسهما
...اوجد الشيطان مساغا
...يهما ولا والله لا أرفك ودا
...منه بدا ان كنت الجد
...صدت وان محبة تحتمل
...كالاجدر محبة ان
...تشتري بحبة وان كان
...زاحا ما قصد فما أغنانا
...ن مزح يحل عقد الفؤاد
...تى يقف على المراد ولا
...عنا الا العافية والسلام

اذا ماشكوت الحب قالت كذبتني * فمالى أرى الاعضاء منك كراسيا
فلا حب حتى يلصق الجلد بالحشا * وتذهل حتى لا تجيب المناديا

ومن المرقص فى باب الانسجام قول كثير عزة

ولما قضينا من منى كل حاجة * ومسح بالاركان من هو ماسح
أخذنا باطراف الاحاديث بيننا * وسالت بأعناق المطى الاباطح

وعدّوا من المطرب فى باب الانسجام قول جرير

ان العيون التى فى طرفها حور * قتلننا ثم لم يحيين قتلانا
يصرعن ذا اللب حتى لا حراك به * وهن أضعف خلق الله أركانا

وعدّوا من المطرب قول بشار بن برد

اذا جئته فى حاجة سد بابه * فلم تلقه الا وأنت كمين

ومن انسجامات نفسيه التى ليس لها مناسب قوله

هل تعلمين وراء الحب منزلة * تدنى اليك فان الحب أقصانى

ومثله قوله

انا والله اشتهى سحر عينيك واخشى مصارع العشاق

ومثله قوله

وانى امرؤ أحببتكم لمكارم * سمعت بها والاذن كالعين تعشق

ويعجبنى من لطيف الانسجام قول العباس بن الاحنف

أفدى الذين أذاقونى مودتهم * حتى اذا أيقظونى للهوى رقدوا
واستنهضونى فلما قمت منتصبا * بثقل ما حملونى منهم قعدوا

ومثله قوله

لولا محبتكم لما عاتبتكم * ولكنتم عندى كبعض الناس

ومثله قوله

طاف الهوى فى عباد الله كلهم * حتى اذا مر بى من بينهم وقفا

ومثله قوله

وسعى بها واش فقالوا انها * لهى التى تشقى بها وتكابد
فجحدتهم ليكون غيرك ظنهم * انى ليعجبنى المحب الجاحد

تقدم لهذين البيتين نكتة لطيفة تؤيد تأكيد انسجامهما وعذوبة الفاظهما وهى أنه رفع للرشيد موت العباس وابراهيم الموصلى المعروف بالنديم والكسائى وهشيمة الخمارة فى يوم واحد فامر المأمون أن يصلى عليهم فخرج فصفوا بين يديه فقال من الاوّل فقالوا ابراهيم الموصلى فقال اخروه وقدموا العباس بن الاحنف فقدم وصلى عليه فلما فرغ وانصرف دنا منه هاشم بن عبد الله الخزاعى فقال يا سيدى كيف آثرت العباس بالتقديم على من حضر فقال بقوله وسعى بها واش البيتين ثم قال أتحفظهما فقلت نعم فقال اليس من قال هذا الشعر أولى بالتقديم فقلت بلى والله يا سيدى انتهى وقد تقدم قولى وتكرر

قوله اركانا كذا فى النسخ التى بايدينا والمعروف المشهور انسانا

(وله أيضا)

كم لله من عبد اذا جاع حير الاصباع واذا اشتهى القناع كتب الرقاع وهذا تشبيب بعده تسبيب قد عرف الشيخ برد هذا العود وخروجه فى سوء العشرة عن الحد فان رأى أن يلبسنى من الحطب اليابس فروة ويكفينى من أمر الوقود شتوة وله التدبير فى ذلك ثم التصيير فى الشكر والسلام

(وله الى رئيس نسا)

كتابى أطال الله بقاء الشيخ الرئيس والكاتب مجهول والكتاب فضول وبحسب الرأى موقعه فان كان جميلا فهو تطوّل وان كان سيئا فهو تطاول فايم ما سلك الظن فالله أيده الله المن من نيسابور عن سلامة نسأل الله تعالى أن

ان أصحاب الطريق الغرامية هسم موالي رقيق الانسجام وتجاروه، ولولا نسمات أنفاسهم، ما نسمنا اخبار الحمى وتغزلنا في سفحه وعقيقه وقد ألجأتني ضرورة الجنسية الى ضم المتقدمين مع المتأخرين لئلا يتفرط لعقودها نظام واذا أخرت من تقدم وأوردت له غير الطريق الغرامي كان جل القصد من ذلك معرفة أنواع الانسجام فمن الانسجام الغرامي قول الشريف الرضي وهو الذي قال في حقه الثعالبي في كتاب اليتيمة هو أشعر الطالبيين قديما وحديثا على كثرة شعرائهم المفلقين ولو قلت انه أشعر قريش لم أبعد عن الصدق والقول الموعود بايراده قوله

نسرق الدمع في الجيوب حياء * وبنا ما بنا من الاشواق

لا اذم السراء في طلب العز ولكن في فرقة العشاق

يوم لا غير زفرة من فؤاد * ذي قروح ورشفة من ماق

والثرى منتش يعاقره السير دما جاريا بأيدي النياق

أمعيني على بلوغ الاماني * وشفائي من علتي واشتياقي

انبعث بيننا المودة حتى * جالتنا والزهر بالاوراق

كم مقام خضناحشاه الى الهو وجميعا والليل ملقى الرواق

ومزجنا خمر الرضابين في الرشف برغم المدام تحت العناق

قم نبادر رمى الظلام بين * بسهام الخطوب في الاتفاق

واغتنمها قبل الفراق فانعل يوما متى يكون التلاقي

نحن غصنان ضمنا عاطف الوجد جميعا في الحب ضم النطاق

في جبين الزمان منك ومني * غرة كوكبية الائتلاق

كلما كرت الليالي علينا * شق منا الوفا جيب الشقاق

أيها الرائح المغذ تحمل * حاجة للمتيم المشتاق

أقر مني السلام أهل المصلى * فبلاغ السلام بعض التلاقي

واذا ما مررت بالخيف فاشهد * أن قلبي اليه بالاشواق

واذا ما سئلت عني فقل نضو هوى ما أظنه اليوم باقي

وابك عني فطالما كنت من قبل أعير الدموع للعشاق

ومثله قوله من أبيات

سهمك مدلول على مقتلي * فمن يرى سهمك يا قاتل

ليس لقتلى ثائر يتقي * وليس في سفك دمي طائل

قد رضي المقتول كل الرضا * واعجبا لم سخط القاتل

ومثله قوله من أبيات

نكست لحظ العين حين خطا * والبين يرمقني ويرمقه

أذبت دمعي يوم ودعني * في صحن خد ذاب رونقه

والنم يركض في سوالفه * يكاد خيل الدمع يسبقه

لا يلهينا بسكرها عن شكرها والحمد لله رب العالمين بقول الشيخ أيده الله مصر هذا الرجل وما هذا الكتاب أما الرجل فخاطب ود أولا وموصل شكر ثانيا وأما الكتاب فلمام أرحام الكرام فان يعن الله الحمام تصل الارحام ويحسن غيور الى كل عشور هذا الشريف قد خانه زمان السوء فاخرج من البيت الذي بلغ السماء مفتخرا ثم طلب فوقه مظهرا وله بعد جلالة النسب وطهارة الاخلاق وكرم العهد وحضرني فأنه عاورا وأشار الى ضالة الاحرار وهو الكرم مع اليسار ونبه على قيد الكرام وهو البشر مع الانعام وحدث عن برد الاكباد وهو مساعدة الزمان للجواد ودل على نزهة الابصار وهو

ومثله قوله

خذي نفسي يا ريح من جانب الحمى * فلاقي به ليلا نسيم ربا نجد
فان بذاك الحي حبا عهدته * وبالرغم مني أن يطول به عهدي
ولولا تداوي القلب من ألم الجوى * بذكر تلاقينا قضيت من الوجد

ومثله قوله من أبيات

عارضا بي ركب الحجاز أسائله * متى عهده بسكان سلع
واستملا حديث من سكن الجز * ع ولا تكتباه الا بدمعي
عزني أن أرى الديار بطرفي * فلعلي أرى الديار بسمعي

ومن الانسجامات التي ينسجم الدمع لرقتها قول تلميذه مهيار الديلمي

ظن غداة البين أن قد سلما * لما رمى سهما وما أجرى دما
فعاد يستقري حشاه فاذا * فؤاده من بينهم قد عدما
يا قاتل الله العيون خلقت * لواحظا فكيف صارت أسهما
اودعني السقم وولى هازئا * يقول قم واستشف ماء زمزما
ولو أباح ماحمى من ريقه * لكان أشفى لي من الماء اللما
وا بأبي ومن يبيع بأبي * على الظماء ذاك الزلال الشبما
كانما الصهباء في كافورة * قد مزجت وجل عن كانما

ومثله قوله

أستنجد الصبر فيكم وهو مغلوب * وأسأل النوم عنكم وهو مسلوب
وأبتغي عند كم قلبا سمحت به * وكيف يرجع شيء وهو موهوب
ما كنت أعلم ما مقدار وصلكم * حتى هجرت وبعض الهجر تأديب

ومثله قوله وهو في غاية اللطف

بطرفك والمسحور يقسم بالسحر * أعمدا رماني أم أصاب ولا يدري
رنا اللحظة الاولى فقلت مجرب * وكررها أخرى فأحسست بالشر

ومثله قوله في اللطف

من عذيري يوم شرقي الحمى * من هوى جد بقلبي مزحا
الصبا ان كان لابد الصبا * انها كانت لقلبي أروحا
يا نداماي بسلع هل أرى * ذلك المغبق والمصطبحا
اذكرونا مثل ذكرانا لكم * رب ذكرى قربت من نزحا
وارحموا صبا اذا غنى بكم * شرب الدمع وعاف القدحا

منها

وعرفت الهم مذ فارقتكم * فكأني ما عرفت الفرحا

ومثله قوله من قصيد

بكر العارض يحدوه النعامى * فسقاك الري يا دار أماما

الثراء ومتعة الاسماع وهو الثناء فقلما اجتمعا وعزما وجدا معا وذكر ان الشيخ أيده الله جاع هذه الخيرات وسألني الشهادة له وبذل الخط به ففعلت وسألت الله اعانته على همته وللشيخ أيده الله في الوقوف على ماطلبه والاجابة ان نشط رأيه الموفق ان شاء الله

(وله الى أبي نصر الميكالي)

كتابي ابداه الله الامير وودي ان أكونه فاسعد به دونه ولكن الحريص محروم ولو بلغ الرزق فاه لولى قفاه فرق الله بين الايام تفريقها بين الكرام والهمذاني يورد بعقل ويصدر بتمييز وماذلك على الله بعزيز أتاني مفاتحة الامير بين ثقة تعد وبدتر تعد ولم لايكون ذلك والصروان لم أره فقد

وتمشت فيك أرواح الصبا * يتأرجن بأنفاس الخزامى
قد قضى حفظ الهوى أن تصبحي * للمحبين مناخا ومقاما
وبجرعاء الحمى قلبي فعج * بالحمى واقرع على قلبي السلاما
وترحل فتحدث عجبا * ان قلبا سار عن جسم أقاما
قل لجيران الغضى آها على * طيب عيش بالغضى لو كان داما
حملوا ريح الصبا من نشركم * قبل أن تحمل شيحا وثماما
وابعثوا أشباحكم لي في الكرى * ان أذنتم لجفوني ان تناما

ومن الغايات في باب الانسجام قول الواوا الدمشقي

بالله ربكما عوجا على سكني * وعاتباه لعل العتب يعطفه
وحدثاه وقولا في حديثكما * ما بال عبدك بالهجران تتلفه
فان تبسم قولا في ملاطفة * ما ضر لو بوصال منك تسعفه
وان بدا لكما في وجهه غضب * فغالطاه وقولا ليس نعرفه

ومثله في اللطف ورقة الانسجام قول الارجاني

حيتك غادية الهوى من مربع * رجعت عهودي فيك أم لم ترجع
ما أساروا في كاس دمعي فضلة * عنهم فأجعلها نصيب المربع
لم يبكني الاحديث فراقهم * لما أسر به الي مودعي
هو ذلك الدر الذي ألقيتم * في مسمعي ألقيته من أدمعي

ومثله قوله

عوجا عليها أيها الركب * لا عار أن يتساعد الصحب
قد كان لي قلب ولا ألم * واليوم لي ألم ولا قلب

ومثله قوله

أما الفؤاد فانهم ذهبوا به * يوم النوى فبقيت صفر الاضلع
فكأننا لما عقدنا للنوى * حلفا بغير رهائن لم يقنع
فرهينتي معهم فؤادي دائما * والطيف من سلمى رهينتهم معي

ومثله في اللطف قول الطغرائي

خبروها أني مرضت فقالت * أضنى طارفا شكا أم تليدا
وأشاروا بأن تعود وسادي * فأبت وهي تشتهي أن تعودا
وأتتني في خفية وهي تشكو * ألم البعد والمزار البعيدا
ورأتني كذا فلم تتمالك * أن أمالت علي عطفا وجيدا

والطف منه بل من النسيم قوله

بالله يا ريح ان مكنت ثانية * من صدغه فأقيمي فيه واستتري
وراقبي غفلة منه لتنتهزي * لي فرصة وتعودي منه بالظفر
وباكري ورد عذب من مقبله * مقابل الطعم بين الطيب والخصر

سمعت خبره ومن رأى من السيف أثره فقد رأى أكثره واذا لم أفقه فلم أجهل خلقه وما وراء ذلك من نائل الداصل ونشب وطارف فضل وأدب وبعد همة وصيت فمعلوم تشهد بذلك الدفاتر والخبر المتواتر وتنطق به الاشعار كما تختلف عليه الآثار والعين أقل الحواس ادراكا والآذان أكثرها استمساكا وان بعدت الدار أيضا فلا ضيران أيسر البعدين بعد الدارين وخير القربين قرب القلبين وان لم تكن معرفة فستكون ان شاء الله الرقاعة أيد الله الامير رقعة واسعة الآفاق أنواعها بأقعة وههنا نادرة واقعة لم نرها في نوادر ابن الاعرابي ولا في أمالي الصولي ولا في ثاني غريب المصنف ولا في

ولا تمس عـذاريه فتفتضحي * بنفحة المسك بين الورد والصدر
وان قدرت على تشويش طرته * فشوشيها ولا تبقى ولا تذرى
ثم اسلكي بين برديه على مهل * واستبضعي وانثني منه على قدر
ونبهيني دون القوم وانتفضي * على والليل في شك من السحر
لعل نفحة طيب منك نائبة * تقضي لبانة قلب عاقر الوطر

وممن برع في الطريق الغرامية وأبدع زهر نظمه في حدائق الانسجام بها الشيخ تقي الدين السروجي رحمه الله تعالى قال الشيخ أثير الدين أبو حيان رحمه الله كان الشيخ تقي الدين مع زهده وعفته مغرما بحب الجمال وكان يغني بشعره الغرامي في عصره لرقة انسجامه وعذوبة ألفاظه وقال الشهاب محمود كان الشيخ تقي الدين يكره مكانا يكون فيه امرأة ومن دعاه من أصحابه قال شرطي معروف وهو ان لا يحضر في المجلس امرأة وكنا يوما في دعوة فاحضر صاحب الدعوة شواء وأمر بادخاله الى النساء يقطعنه ويجعلنه في الصحون فلما حضر بعد ذلك تقزز منه وقال كيف يؤكل وقد لمسته بأيديهن وذكر أبو حيان أنه لما توفي بالقاهرة رابع رمضان المعظم سنة ثلاث وتسعين وستمائة قال أبو محبوبه والله ما أدفنه الا في قبر ولدي فانه كان يهواه في الحياة وما أفرق بينهما في الممات هذا لما كان يعهده من دينه وعفافه فمن انسجاماته الغرامية

أنعم بوصلك لي فهذا وقته * يكفي من الهجران ما قد ذقته
أنفقت عمري في هواك وليتني * أعطى وصولا بالذي أنفقته
يا من شغلت بحبه عن غيره * وسلوت كل الناس حين عشقته
كم جال في ميدان حبك فارس * بالصدق فيك الى رضاك سبقته
أنت الذي جمع المحاسن وجهه * لكن عليه تصبري فرقته
قال الوشاة قد ادعى بك نسبة * فسررت لما قلت قد صدقته
بالله ان سألوك عني قل لهم * عبدي وملك يدي وما أعتقته
أو قيل مشتاق اليك فقل لهم * أدري بذا وأنا الذي شوقته

وما ألطف ما قال منها

يا حسن طيف من خيالك زارني * من عظم وجدي فيه ما حققته
فمضى وفي قلبي عليه حسرة * لو كان يمكنني الرقاد لحقته

قلت ما نفثات السحر اذا صدقت عزائمها بأوصل الى القلوب من هذه النفثات ولا السلاف ظلم الحباب مع حلاوة التقبيل عذوبة هذه الرشفات وعدوا من المرقص الغرامي في باب الانسجام قول ابن الخياط الدمشقي

أغار اذا آنست في الحي أنة * حذارا وخوفا أن تكون لحبه

ومثله قول ظافر الحداد وقد عدوه من المرقص

ونفر صبح الشيب ليل شبيبتي * كذا عادتي في الصبح مع من احبه

ومثله قول خالد الكاتب وعدوه من المطرب

غيرها من كتب الادب وهي ان شيخنا ابا نصر بن دوسنام سألني طول هذه المدة مكاتبة تلك السدة مستشفعا بكتابي الى الخلق العظيم والعلق الكريم والفضل الجسيم وكل شئ على الميم في باب التفخيم وبي ان أعرف شغل شاغل وحتى أقبل وادا خل دخولا معلوما لا يقتضي لوما ولا تظنن الا الجميل وعرفته ان الجار نفسه ثم رفسه والمرء وجوده ثم جوده وشفيع لا يعرف غريب ولكنه من غريب الحديث لا من غريب الحديث فأبى الا ان افعل وقد فعلت على السخط من القرط فان قبلت الشفاعة فالمجد يأبى الا ان يعمل عمله وان ردت فلبست كلمة السوء مثله والسلام

(وله أيضا)

رقدت ولم ترث للساهر * وليل المحب بلا آخر

ومثله قول راجح الحلي وعدوه من المرقص

يا ليل طلت ولم ترق لمغرم * لم يظلموا اذ لقبوك بكافر

ومثله قول ابن نق وهو معدود من المرقص

باعدته عن أضلع تشتاقه * كيلا ينام على فراش خافق

ويعجبني في هذا الباب قول النجيب بن الدباغ وهو معدود من المرقص

يارب ان قدرته لمقبل * غيري فللسواك والا كؤس

ولئن قضيت لنا بصحبة ثالث * يارب فليك شمعة في المجلس

واذا حكمت لنا بعين مراقب * في الحب فلتك من عيون النرجس

وعدوا من مرقصات الطريق الغرامية قول القائل

أستغفر الله الا من محبتكم * فانها حسناتي حين القاه

فان يقولوا بأن العشق معصية * فالعشق أحسن ما يعصى به الله

ومن مطرب الانسجام الغرامي قول علية بنت المهدي

وأحسن أيام الهوى يومك الذى * تروع بالهجران فيه وبالعتب

اذا لم يكن في الحب سخط ولا رضا * فأين حلاوات الرسائل والكتب

ومثله من المطرب قول الحسين بن الضحاك

له عبثات عند كل تحية * بعينيه تستدعي الحليم الى الوجد

رعى الله عصرا لم نبت فيه ليلة * خليا ولكن من حبيب على وعد

ومن الغايات في هذا الباب اعني الانسجام الغرامي ما كان يكثر من الترنم به أبو القاسم القشيري وهو

لو كنت ساعة بيننا ما بيننا * وشهدت حين نكرر التوديعا

أيقنت أن من الدموع محدثا * وعلمت أن من الحديث دموعا

ومثله قول خالد الكاتب

بكى عاذلي من رحتي فرحته * وكم مثله من مسعد ومعين

ورقت دموع العين حتى كأنها * دموع دموعي لا دموع جفوني

ويعجبني من هذا الباب قول اسحق بن ابراهيم الموصلي

على عصر أيام الصبابة والصبا * ووصل الغواني والتذاذي بالشرب

سلام امرئ لم تبق منه بقية * سوى نظر العينين أو شهوة القلب

ومن غراميات القاضي الفاضل في باب الانسجام قوله

ترى لحنيني أو حنين الحمائم * جرت فحكت دمعي دموع الغمائم

وهل من ضلوع او ربوع ترحلوا * فكل أراها دارسات المعالم

لقد ضعفت ريح الصبا فوصلتها * فني لا منها هبوب السمائم

دعوا نفس المقروح يحمله الصبا * وان كان يمضوا بالغصون النواعم

مثلى أيد الله القاضي مثل رجل من أصحاب الجراب والجراب تقدم الى القصاب يسأله فلذة كبد فسقط بالبسرى فاه وأوجع بالاخرى قفاه فلما رجع الى مسكنه كتب اليه توقيعا يطلب حلا رضيعا كذلك انا وردت فلا اكرام بالمام ولا اصلة بسلام ولا تعهد بغلام فلما وجدته لا يبالي بسبالى كاتبته اشفع لسواى وهو موصل رقعتي هذه وله خصم بينهما قصة لا أسأله في البين الا الاصلاح الجانبين والسلام

(وله أيضا)

النادرة أطال الله بقاء القاضي تبطي ولا تخطي وفي مضحكات الاحاديث ان عدة من المخانيث قدموا الى أمير فضرب أحدهم بالسياط وهو ينشده بالله العظيم وكتابه الكريم

تأخرت في حمل السلام عليكم * لدينا لما قد حملت من مماثم
فلا تسمعوا الاحديثا الناظري * يعاد بالفاظ الدموع السواجم

ومثله قوله

ياطرف مالك ساهد في راقد * ياقلب مالك راغب في زاهد
من يشتري عمري الرخيص جميعه * من وصلك الغالي بيوم واحد
عاتبته فتوردت وجناته * والقلب صخر لا يلين لقاصد
فنظرت من نفي في حرير ناعم * وضربت من ذا في حديد بارد

ويعجبني من غراميات البهاء زهير قوله

عتبتكم عتب المحب حبيبه * وقلت بادلال فقولوا باصغاء
لعلكم قد صدكم عن زيارتي * مخافة أمواه الدموعي وأنواء
فلو صدق الحب الذي تدعونه * وأخلصتم فيه مشيتم على الماء
وان تك أنفاسي خشيتم لهيبها * وهالتكم نيران وجدي باحشائي
فكونوا رفاعيين في الحب مرة * وخوضوا لظى نار لشوقي حمراء

وألطف منه وانسجم قوله

تعيش أنت وتبقى * أنا الذي مت عشقا
حاشاك يا نور عيني * تلقى الذي أنا ألقى
ولم أجد بين موتي * وبين هجرك فرقا
يا أنعم الناس بالا * الى متى فيك أشقى
سمعت عنك حديثا * يارب لا كان صدقا
وما عهدتك الا * من أكرم الناس خلقا
لك الحياة فاني * أموت لاشك حقا
يا ألف مولاي مهلا * يا ألف مولاي رفقا
قد كان ما كان مني * والله خير وأبقى

ومثله قوله

أنت الحبيب الاول * ولك الهوى المستقبل
عندي لك الود الذي * هو ما عهدت وأكمل
القلب فيك مقيد * والدمع منك مسلسل
يا من يهدد بالصدو * د نعم تقول وتفعل
قدصح عذرك في الهوى * لكنني اتعلل
نفدت معاذيري التي * القى بها من يسأل
حتام أكذب للورى * والى متى أتحمل
قل للعذول لقد أطلت لمن تقول وتعذل
عاتبت من لا يرعوى * وعذلت من لا يقبل
غضب العذول أخف من * غضب الحبيب وأسهل

ورسوله الامين ويذكره الدين وحرمة المسلمين والسباط توفيه نصيبه والخنث يجعل الله حسيبه ثم قدم الباقون نعمل بهم مانعمل بصاحبهم فقال الاخير ياحبيبي كذا بحياة الامير اصبروا حتى أقدم واسمعوا حتى أحكم فلما جود للسباط قال أيها الامير بحياة والدتك الاعفوت عني فقد أخذ الخوف مني فغضب الامير وقال على بالسباط حتى بلغ الجهل في مم انبساط مالك واذكر الحرم فلفه الخنث بطرتها ثم بغرتها ثم صار الى ثغرتها ثم تدحرج الى سرتها فلما انتهى الى السرة أشفق الامير على الحزة وقال خلوه قد والله بلغت السرة او زدت وصرت الى الدرة او كدت وماذا بعد الحق الا الضلال وهل بعد الشر الا النكال

ومن انسجاماته التى تكاد ان لا تكون موزونة

ان شكا القلب هجركم * مهد الحب عذركم
لو رأيتم محاكم * من فؤادى لسركم
لو أمرتم بما عسى * ما تعديت أمركم
قصروا مدة الجفا * طول الله عمركم
شرفونى بزورة * شرف الله قدركم
كنت أرجو بانكم * شهركم لى ودهركم
قد نسيتم وانما * أنا لم أنس ذكركم
وصبرتم وليتنى * كنت أعطيت صبركم
ورأيتم تجلدى * فى هواكم فسركم
لو وصلتم محبكم * ما الذى كان ضركم

ومن انسجاماته التى هى فى غاية الظرف

يا قلب بعض الناس هل * للضيف عندك زاويه
انى ببابك قد وقفت عسى ترد جوابيه
يا ملبسى ثوب الضنا * يهنأك ثوب العافيه
لم يبق منى فى القميص سوى رسوم باليه
وحشاشة ما أبقت الا شواق منها باقيه
يامن اليه المشتكى * أنت العليم بحاليه
واليك عنى يا غرا * م فقد عرفت مكانيه
فكأنما لك قد قعد * ت على طريق القافية
من لى بقلب اشتريه من القلوب القاسيه
مولاى يا قلبى العزيز ويا حياتى الغاليه
انى لأطلب حاجة * ليست عليك بخافية
انعم على بقبلة * هبة والا عاريه
وأعيدها لك لا عدمت بعينها وكما هيه
واذا أردت زيادة * خذها ونفسى راضيه

ومثله قوله فى هذا الروى

قالوا كبرت عن الصبا * وقطعت تلك الناحيه
فدع الصبا لرجاله * واخلع ثياب العاريه
ونعم كبرت وانما * تلك الشمائل باقيه
وتفوح من عطفى أنفاس الشباب كما هيه
ويميل بى نحو الصبا * قلب رقيق الحاشيه
فيه من الطرب القديم بقية فى الزاويه

لا يفعل القاضى أيده الله آخر السرة أول الغرة ماله ولاصحاب الحديث والله لينتهين عن علمائهم وهو كريم أو لينتهين وهو لئيم وهذا الفقيه ميمون وان بعد عن داره فلم يبعد عن مقداره وان لم تحضر أقاربه فهذى عقاربه افظه أف فان لم تغن فلا ميدة الا الا كف ثم الله أعلم بما فى الخلف والشر قبيح أنواعه فليكف عنه سماعه ووراء هذه الجملة تفصيل وهم طويل وقال وقيل وخطب ثقيل فان أراح ارحت وان أحوج شرحت والسلام

(وله أيضا)

الاستاذ الزاهد يأمر غاشية مجلسه ان يفتشوا أعطاف المقابر وزواياها فان وجدوا قلبا قريحا يحمل وذا صحيحا وكبدا دامية تنقل محبة دامية فانا ضيعتهما بالامس

ومن غراميات الحاجرى فى هذا الباب

لك أن تشوقنى الى الاوطان * وعلىّ أن أبكى بدمع قانى
ان الذين رحلوا غداة المنحنى * ملؤا القلوب لواعج الاشجان
فلأبعثن من النسيم اليهم * شكوى تميل لها غصون البان
نزلوا برامة قاطنين فلا تسل * ما حل بالاغصان والغزلان

وقد تقدم قولى ان الشيخ شرف الدين عبد العزيز الانصارى شيخ شيوخ حماة * سقى الله من غيث الرحمة ثراه * هو غيث هذا الانسجام * وغريم هذا الغرام * فى انسجاماته الغرامية الموعود بايرادها قوله

حديثى فى المحبة ليس يشرح * فدعنى من حديث اللوم واسرح
فمالك مطمع ببراح قلبى * عن الحب الذى أعيا وبرّح
فكم من لائم أنحى الى أن * تأمل من هويت فما تنحنح
فبالله ما أشهى وأبهى * ويالله ما أحلى وأملح
له طرف يقول الحرب أحرى * ولى قلب يقول الصلح أصلح
سألت سواره المثرى فنادى * فقير وشاحه الله يفتح
وماس من القوام بغصن بان * اذا أنشدت أغزالى ترنح
وحيانى بألحاظ مراض * صحيحات فأمرضنى وصحح
اعاتبه فلا يصغى لعتبى * ولا أسلو فأتركه وأربح

ومن غايات انسجامه قوله

كم شرحت من وجد * كم سفحت من دمعه
كم بعثت من رسل * دفعة على دفعه
بنتم واعرضتم * ما أمرّها جرعه
هل عليكم باس * فى المقال بالرجعه
قد حججت مغناكم * لاتحرموا المتعه
ترك سنتى فيكم * سادنى من البدعه
هذه صباباتى * والوصال فى منعه
كيف لو تعلمتم * غير هذه الصنعه
يا مليك قلبى خذ * ما يليه بالشفعه
واس بيننا أولا * ردنا الى القرعه
لاتخل عن قلبى * ليس فيه من نجعه
قد تركت أردانى * من مدامعى نقعه
ما لناظرى كحل * غير هذه الطلعه

ومثله قوله

خبروه تفصيل حالى جمله * فعساه يرق لى واعله

على ذلك الرمس رضى الله عن وديعته وعنا معاشر شيعته فيأمر بردهما الى فلا خير فى الاجساد خالية من الفؤاد عاطلة من الاكباد وأبو الحسن الهمذانى موصل رقعتى هذه له قصة يعرضها وحاجة انا أفرضها تلميذ قد تطرف بيوته وتحيف حانوته ولجأ من الاستاذ الى حصن منيع ولجأ لاستاذ منه الى أمر شنيع وهو أيده الله قد عرف ظاهر هذا الحروان لم يعلم باطنه وعلم سيرته وان لم يعلم سريرته وأيقن أنه لو لم يدع الكذب ديانة لتركه امانة وصيانة فان حرفته لاتحتمل غير الصحة ثم يرضى بعد ألف مكاس راسا براس ويردفضل صفقتين ويحمد الله عليه ما بركعتين والله يوفق الاستاذ لما يأتيه ويذره فنعم الرفيق التوفيق والسلام

كم تحضت اذ تبدى حذارا * من رقيبي وكم تكلفت سعله
ليس لي عن هدى هواه ضلال * أكثر اللوم عاذلي أو أقله
ركبت في جبلتي نشوة العشق وصعب تغيير ما في الجبله
سادتي عاودوا رضا كم وعودوا * عن جفا كم تخابق في فضله
ذبت شوقا فعاجلوني بقرب * مت عشقا فخلوني بقبله
واشغلوني عن لائم ما أتاني * برشاد أتته آفة غفله
قلت بالله خلني فتمادى * وقليل من يترك الشر لله

ومثله قوله

صب أخذ الهوى زمامه * قد صار جمالكم امامه
في حسنكم البديع شغل * عن علوة لي وعن امامه
من لي بمعجب أراه * بالفكر ولا أرى خيامه
اشدو بتغزلي لديه * فيه فيحدلي خصامه
يزهو ويقول كان ماذا * لو يترك جاهل كلامه
شبهت بطلعتي هلالا * ما كنت رضيته فلا مه
والغصن حسبته شبيها * مني بتعطف وقامه
والظبي اذا رنت لحاظي * لا كيد له ولا كرامه
أفديه بمهجتي واني * لا حسرة لي ولا ندامه
كم دعوة موعد لوصل * قامت لحضورها القيامه
اخبرت بها العذول لكن * ما قلت له كم الغرامه

ومثله قوله

لا تعاتبني فلا عتب على * خرج الامر وعقلي من يدي
ليس للنصح قبول يرتجى * عند شيخ هام وجدا بصبي
وأرى لومك يغريني به * لا تزدني أو فزدني يا أخي
انا في الحب امام فاذا * صرت من ابنائه فاخضع لدي
لا تسل غيري في شرع الهوى * وخذ التنزيل فيه عن أبي
خلق آني شحيح بهم * وبروحي لهم حاتم طي
فاختصر في شرح أشواقي فان * رمت اسهابا فو كل مقلتي
سادتي فارقتكم فاستلبت * بنوا كم راحتي من راحتي
فاجبروا قلبي بشيء منكم * فلقد أوتيتم من كل شي
سادتي منكم غرير أغيد * فيه ما يشغل عن هند ومي
قلت قد أضنيت جسمي قال قد * قلت كي تذهب روحي قال كي
قلت أفديك بنفسي قال مه * ما اليك الامر فيها بل الي

ومثله قوله من أبيات يخاطب العذول

(وله أيضا الى أخيه)

كتابي أطال الله بقاء الأخ ونحن وان بعدت الدار وشاعت فلا تظنن بعدى على قربك ولا تعدون ذكرى من قلبك فالاخوان وان كان أحدهم بخراسان والآخر بالحجاز مجتمعان على الحقيقة مفترقان على المجاز والاثنان في المعنى واحد وفي اللفظ اثنان وما بيني وبينك الاستر طوله فتر وان صاحبني رفيق اسمه توفيق لنلتقين سريعا ولنسعدن جميعا والله ولي المأمول جعلت فداك الشقيق سيء الظن وما أحوجني الى ان أراك ولا قرابة الا الاخوة وتلك والله يعلم نازلة الدهر وقاصمة الظهر وان يشاء الله يسلمنا وينيلك نيا تاحسنا والله أولى بك من أخيك وهو حسبي فيك فاستعن بالله وحده أليس الله بكاف عبده والسلام

آراك بخيلا بعونى فهبنى * سكوتك عنى اذا لم تعنى
ذممت الهوى ورجوت السلو * فأبكيت عينى واضحكت سنى
فان عفت شربى من خمرتى * فدعنى ما بين كأسى ودنى
واياك عربدتى فاخشها * فانى قد أخذ السكر منى

ويعجبنى من انسجامات ابن سنا الملك قوله

دنوت وقد أبدى الكرى منه ما أبدى * فقبلته فى الثغر تسعين أو احدى
وأبصرت فى خد به ماء وخضرة * فما أملح المرعى وما أعذب الوردا
تلهب ماء الخد أوسال جمره * فيا ماء ما أذكى ويا جمر ما أندى
أقول لنساه قد أشار بتركه * لقد زدتنى فيما أشرت به زهدا
فلم لا نهيت الثغر أن يعذب اللمى * ولم لا أمرت الصبر أن يكتم النهدا
وأقسم ما عندى اليه صبابة * وكيف وجور الشوق لم يبق لى عندا
وفى القلب نيران الخليل توقدت * وما ذقت منها لا سلاما ولا بردا

ومثله قوله ويعجبنى الى الغاية

نعم المشوق وأنعم المعشوق * فالعيش كالخصر الرقيق رقيق
خصر أدير عليه معصم قبلة * فكأن تقبيلى له تعنيق
ونعم لقد طرق الحبيب وماله * الا خدود العاشقين طريق
فرشوا الخدود طريقه فكأنما * زفراتهم لقدومه تطريق
وأتى وصبح جبينه متنفس * وأتى وجيد رقيبه مخنوق
فصنعت فيه صناعة شعرية * فالصدر رحب والعناق يضيق

ومثله قوله وهو فى غاية الظرف

لا أجازى حبيب قلبى بجرمه * انا أحنى عليه من قلب أمه
ضن عنى بريقه فتحيلت الى ان سرقته عند لثمه
والى اليوم من ثلاثين يوما * لم تزل من فمى حلاوة طعمه
ان قلبى لصدره ورقادى * ملك أجفانه وروحى لجسمه
يكسر الجفن بالفتور ومالى * عمل وقت كسره غير ضمه

ومن غراميات الشاب الظريف شمس الدين محمد بن العفيف قوله فى باب الانسجام

عفا الله عن قوم عفا الصبر منهم * فلو رمت ذكرى غيرهم خاننى الفم
تجنوا كأن لا ود بينى وبينهم * قديما وحتى ما كأنهم هم
وبالجزع أحباب اذا ما ذكرتهم * شرقت بدمع فى أواخره دم
ومشبوب نارى وجنة وبنانة * تعلمه ألحاظه كيف يظلم
ألم وما فى الركب مناء متيم * وعاد وما فى الركب الا متيم
وليس الهوى الا التفاتة طامح * يروق لعينيه الجمال المنعم
خليلى ما للقلب هاجت شجونه * وعاوده داء من الشوق مؤلم

(وله الى ابن أخته)

كتابى وقد ورد كتابك بما ضمنته من تظاهر نعم الله عليك وعلى أبويك فسكنت الى ذلك من حالك وسألت الله بقاءك وان يرزقنى لقاءك وذكرت مصابك بالحمل فكأنما فتت عضدى وطعنت فى كبدى فقد كنت معتضدا بمكانه والقدر جار لشانه وكذا المرء يدبر والقضاء يدمر والآمال تنقسم والآجال تبتسم والله يجعله فرطا ولا يريني فيك سوءا أبدا وأنت أيدك الله وارث عمره وسداد ثغره ونعم العوض بقاؤك ان الاشياء اذا أصاب مشذبا منه أغل ذرى وأث أسافلا وأبوك سيدى أيده الله وألهمه الجميل وهو الصبر وآتاه الجزيل وهو الاجر وأمتعه بك طويلا فانت بديلا أنت ولدى ما دمت والعلم شانك والمدرسة

أظن ديار الحي مشافرية * والا فنها انفحة تتنسم

ومثله قوله

لا تخف ما فعلت بك الأشواق * واشرح هواك فكلنا عشاق
فعسى يعينك من شكوت له الهوى * في حمله فالعاشقون رفاق
لا تجزعن فلست أول مغرم * فتكت به الوجنات والاحداق
واصبر على هجر الحبيب فربما * عاد الوصال وللهوى أخلاق
كم ليلة أسهرت أحداقي بها * وجدا وللافكار بي احداق
يارب قد بعد الذين أحبهم * عني وقد ألف الفراق فراق
واسود حظي عندهم لما سرى * فيه بنار صبابتي احراق
عرب رأيت أصح ميثاق لهم * أن لا يصح لديهم ميثاق

ومثله قوله

بتثني قوامك المشوق * وبأنوار وجهك المعشوق
وبمعنى للحسن مبتكر فيك وقلب كقلبي المحروق
جد بوصل أو زورة او بوعد * أو كلام أو وقفة في الطريق
أو بارسالك السلام مع الريح * والا فبالخيال الطروق

ويعجبني في هذا المعنى على هذا الطريق قول بعض المواليا

زر شهر في عام يامن قد غلا في السوم * او يوم في شهر احلى من صدود لدوم
وان عز هذا وهذا ياعزيز القوم * في الدهر ساعه وان لم ترتضي في النوم

ومن ألطف انسجامات ابن العفيف قوله أيضا

لي من هواك بعيده وقريبه * ولك الجمال بديعه وغريبه
يامن أعيذ جماله بجلاله * حذرا عليه من العيون تصيبه
ان لم تكن عيني فانك نورها * أولم تكن قلبي فأنت حبيبه
هل حرمة أو رحمة لمتيم * قد قل فيك نصيره ونصيبه
ألف القصائد في هواك تغزلا * حتى كأن بك النسيب نسيبه
لم يبق لي سر أقول تذيعه * عني ولا قلب أقول تذيبه
دع لي فؤادا بالغرام تشبه * واستبق فودا بالصدود تشيبه
كم ليلة قضيتها متسهدا * والدمع يجرح مقلتي مسكوبه
والنجم أقرب من لقاك مناله * عندي وأبعد من رضاك مغيبه

ومثله قوله

رشيق القامة النضره * لقد أصميت بالنظره
وقد سودت حظي منك يا أبهى الورى غره
سواد الخال والمقله * مع العارض والطره
قديم الهجر هل اتقى * قديم في الهوى هجره

مكانك والدفتر عليك وان قصرت ولا خالك فغيري خالك والسلام

(وكتب الى والده)

كتابي اطال الله بقاء الشيخ وتواترت الاخبار من قبل أنه وارد لا محالة وتلقيت هذه الحالة بمقتضاها شكرا وصدقة ثم ورد كتابه بان الامر في ذلك فتر لعارض عله ذكر فقسمت قلبي جزءين وما حال الواحد بين اثنين أحدهما يبكيه والآخر يشكيه وقلت العافية والزم الناحية ولم يرد كتابه بعد بذكر السلامة وقد علم ما بين الجوانح من قلق وتحت الترائب من حرق حتى اسمع بالسلامة افيضت عليه وقد خرج القاضي أبو ابراهيم حاجا فان رأى أو فعل ذمه اذا فعل وان ابى وأهله فقد أقلته عما وعد لا يزعجني بعد بوعد والسلام

وكم تلقاه بالايعا * د والابعاد والنفره
وكم يشكو ولا تطر * ح فى قفنه كسره
رأينامن جفاوجنى * ولكن زدت فى كثره
فهل تمنح أو تسمح * بالوصل ولو مره
فقد أصبحت لا املك من صبرى ولا ذره
وقد صيرنى هجير * لثغى كسر اخت من اكره

ومن انسجاماته الرقيقة قوله

حتام حظى لديك حرمان * وكم كذا لوعة وهجران
أين ليال مضت ونحن بها * أحبة فى الهوى وجيران
وأين ود عهدت صحته * وأين عهد وأين أيمان
قد رضى الدهر والعواذل والحساد عنا وأنت غضبان
فاسلم ولا تلتفت الى مهج * بها جوى قاتل وأشجان
ونم خليا وقل كذا وكذا * من كل من أطلعت تلمسان

ومثله قوله

اعز الله أنصار العيون * وخلد ملك هاتيك الجفون
وضاعف بالفتور لها اقتدارا * وان تك أضعفت عقلى ودينى
وأبقى دولة الاعطاف فينا * وان جارت على قلبى الطعين
وأسبغ ظل ذاك الشعر منه * على قد به هيف الغصون
وصان حجاب هاتيك الثنايا * وان ثنت الفؤاد الى الشجون
حملت تسهدى والشيب هذا * على رأسى وذاك على عيونى

ومن غراميات ابن النبيه فى باب الانسجام

تعالى الله ماأحسن * شقيقا حف بالسوسن
خدود لثمها يبرى * من الاسقام لو أمكن
فيجنى وحارسها * بقفل الصدغ قد زرفن
غزال ضيق العينين يسبى الرشا الاعين
له قلب وأعطاف * فما أقسى وما ألين
ولم أر قبل مبسمه * صغير الجوهر المثمن
أبث هواه من خوف * لنجم الليل لماجن
وما ينفع كتمانى * ودمع العين قد أعلن
وقد اسكنته قلبى * فسار وأحرق المسكن

ومما كتبه القاضى الفاضل بخطه وهو غاية فى باب الانسجام الغرامى وكان كثيرا ما يترنم به

(وله الى العم)

كتابى ورد كتاب العم والاسنة حشوه فرط عتاب اذلم أفرده بكتاب واصدق من الكتاب الحاسة والرحم الماسة افيطلعنى نسيته ان صدق هذا الظن فالماء نساء الظماء ولا رآنى الله أعود لما يكره واذا حنق وقطعت وامر واطعت رجوت لا يجد العتب مساغا سأل العم ان أبثه حالى بهذه البلاد الى فى بلاد وان لم يكن لاهلها تمييز فانا بينهم عزيز يعظموننى تقليدا ويروننى فريدا والمال يجرى فيضا الكف لاأبلعه ريقا ولا آلوه تفريقا فهو يأتى مدا ويذهب جزرا والسلطان مقبل غاية الاقبال بالجاه والمال هذه جريدة أحوالى وتفصيلها طويل واذا شئت من هذه الجراب أزن وا كيل وحسبنا الله ونعم الوكيل

قصيدة القاضي المهذب بن الزبير ووجدت بخط الفاضل غير تامة وقد أثبت هنا منها ما وجد بخط الفاضل من غرامياتها واختصرت المديح وهو

بالله يا ريح الشما * ل اذا اشتملت الروح بردا
وحملت من نشر الخزا * مى ما اغتدى للند ندا
ونسجت ما بين الغصو * ن اذا اعتنقن هوى وودا
وهززت عند الصبح من * أعطافها قدا فقدا
ونثرت فوق الماء من * أجيادها للزهر عقدا
فلأت صفحة وجهه * حتى اكتسى آسا وردا
فكأنما الفت فيه منهما صدغا وخدا
مرّى على بردى عسا * ه يزيد فى مسراك بردا
نهر كنصل السيف تكسو متنه الازهار غمدا
صقلته أنفاس النسيم يجزّهن فليس يصدا
أحبابنا ما بالكم * فينا من الاعداء أعدى
وحياة حبكم بتر * بة وصلكم ما خنت عهدا

وغاية الغايات فى باب الانسجام الغرامى ما كتبه القاضى فتح الدين بن عبد الظاهر الى والده القاضى محيى الدين وقد توجه صحبة الركاب الشريف الظاهرى فى مهم شريف فحصل له ضعف بدمشق المحروسة وهو

ان شئت تبصرنى وتبصر حالتى * قابل اذا هب النسيم قبولا
تلقاه مثلى رقة ونحافة * ولاجل قلبك لا أقول عليلا
فهو الرسول اليك منى ليتنى * كنت اتخذت مع الرسول سبيلا

خطاب مثل هذا الولد لمثل هذا الوالد بقوله ولاجل قلبك لا أقول عليلا فيه ما يفتت الاكباد ويحرك الجماد سبحان المانح ان من البيان لسحرا ومن غراميات والده القاضى محيى الدين فى باب الانسجام

لا آخذ الله بعدك * فكم وشى بى عندك
وقال عنى بانى * شبهت بالغصن قدك
وأنت تعظم عندى * أن يحيى البدر عبدك
ولست والله أرضى * أن يحكى الورد خدك
فقاتل الله طرفى * فكم به نلت قصدك
ولا رعى الله قلبى * فكم رعى لك عهدك
فمن ترى أنا حتى * جعلت صدرى وكدك
وما عشقتك وحدى * بلى عشقتك وحدك
وكم أطعتك جهدى * وكم تجنبت جهدك
وبعد هذا وهذا * وذاك لاذقت فقدك

(ولده الى الشيخ ابى الطيب سهل بن محمد)

أنا أخاطب الشيخ الامام والكلام مجنون والحديث شجون وقد يوحش اللفظ وكله ود ويكره الشئ وليس من فعله بد هذه العرب تقول لا أبالك فى الامر اذا اهم وقاتله الله ولا يريدون الذم وويل امه للمرء اذا اهم ولاولى الالباب فى هذا الباب أن ينظروا من القول الى قائله فان كان وليا فهو الولاء وان خشن وان كان عدوا فهو البلاء وان حسن هذا الفقيه ميمون خبط اجواف الليل وضرب أكباد الخيل من العراق الى خراسان ليحبس بها ولا جرم كان لا يعدم هذا بالعراق لو اراد ولو سال القاضى بها فعل وزاد وقد شكا الى مرارا ما يستقبل به من قبيح الكلام ويعامل به من سوء اهتضام وهؤلاء

ويعجبني في هذا الباب رشاقة ناصر الدين بن النقيب بقوله

سلك الشوق بقلبي * بعدكم صعب المسالك
ورمى قلبي بنيرا * ن ولا نيران مالك
هذه بعض صفاتي * طالع العبد بذلك

وأظرف ما رأيت في باب الانسجام الغرامي المرتجل ما أورده صاحب روضة الجليس ونزهة الانيس ذكر أنه كان بافريقية رجل نبيه شاعر مفلق وكان يهوى غلاما من غلمانها جميلا فاشتد كلفه به وكان الغلام يتجنى عليه ويعرض عنه كثيرا فانفرد بنفسه ليلة يجمع فيها بين سلاف الراح وسلاف الذكر فتزايد به الوجد وقام على الفور وقد غلب عليه السكر ومشى الى أن انتهى الى باب محبوبه ومعه قبس نار فوضعه عند باب الغلام فلما دارت النار بالباب بادر الناس باطفائها واعتقلوه فلما أصبحوا نهضوا به الى القاضي فاعلموه بفعله فقال له القاضي لاى شئ أحرقت باب هذا الغلام فقال مرتجلا

لما تمادى على بعادي * وأضرم النار في فؤادي
ولم أجد من هواه بدا * ولا معينا على السهاد
حملت نفسي على وقوفي * ببابه حملة الجواد
فطار من بعض نار قلبي * أقل في الوصف من زناد
فأحرق الباب دون علمي * ولم يكن ذاك من مرادي

فرق القاضي لارتجاله الغرامي وتحمل عنه جناية الباب وقد انتهت الغاية بنا الى غراميات العارفين وابن الفارض هو قائد زمامها * وقتيل غرامها * فمن قوله في هذا الباب الذي ليس لغيره فيه مدخل ما ألفته من تائيته وجعلته قصيدا غراميا ينتظم بها شمل الانسجام * واذا هب نسيمها العذري تنسمت العشاق منه اخبار الغرام * وهو قوله

نعم بالصبا قلبي صبا لاحبتي * فيا حبذا ذاك الشذا حين هبت
تذكرني العهد القديم لانها * حديثة عهد عن أهيل مودتي
فلي بين هاتيك الخيام ضنينة * على بجمعي سمحة بتشتتي
محجبة بين الأسنة والظبا * اليها انثنت ألبابنا اذ تثنت
تتيح المنايا اذ تبيح لنا المنى * وذلك رخيص منيتي بمنيتي
متى أوعدت أولت وان وعدت لوت * وان أقسمت لا تبرئ السقم برت
وان عرضت أطرق حياء وهيبة * وان أعرضت اشفق فلم أتلفت
وقد سخنت عيني عليها كأنها * بها لم تكن يوما من الدهر قرت
فانسانها ميت ودمعي غسله * وأكفانه ما ابيض حزنا لفرقتي
خرجت بها عني اليها فلم أعد * الي ومثلي لا يقول برجعة
فوصلي قطعي واقترابي تباعدي * وودي صدي وابتدائي نهايتي
وفيها تلاف الجسم بالسقم صحة * له وتلاف النفس عين الفتوة
ولما تلاقينا عشاء وضمنا * سواء سبيلي ذي طوى والثنية

الصدور يرون الشمس من قبلي تدور وقد رأى الشيخ احوالهم وسمع أقوالهم فلا أدري من الكاتب في معناه وهذا القاضي أنا عنده في منزلة أقل من شئ المعتزلة ولا يسئل عما أبدى فانفصل بندى والخلاف واقع في كل شئ الا في الحساب فلم لا يحاسب على الذرة كما يحاسب على البدرة فان أخرج الحساب عليه شيأ طولب حينئذ بمعلوم وان كان حبس للتهمة فواد لله أو بياض يوم ولم أعهد الشيخ في الامور بهذا الفتور فاهذه الضراعة وأين الشفاعة وان لم تقبل فأين الشناعة الله أكبر أنا أول من ينعر وهذا القصة الزباري قد ضل فيه القياس من يستحي الله منه ولا يستحي من الناس الدين في آداب القضاء

وضنت وما منت على بوقفة * تعادل عندى بالمعرف وقفتى
عتبت فلم تعتب كأن لم يكن لقا * وما كان الا أن أشرت وأومت
وبانت فاما حسن صبرى نخاننى * وأما جفونى بالبكاء فوفت
أغار عليها أن أهيم بحبها * وأعرف مقدارى فانكر غيرتى
وكنت بها صبا فلما تركت ما * أريد أرادتنى لها وأحبت
بها قيس لبنى هام بل كل عاشق * كمجنون ليلى أو كثير عزة
بدت فرأيت الحزم فى نقض توبتى * وقام بها عند النهى عذر محنتى
فوقى بها وجدا حياة هنيئة * وان لم أمت فى الحب عشت بغصتى
تجمعت الاهواء فيها فلا ترى * بها غير صب لا يرى غير صبوتى
وعندى عيدى كل يوم أرى به * جمال محياها بعين قريرة
وكل الليالى ليلة القدر ان دنت * كما كل أيام اللقا يوم جمعة
واى بلاد الله حلت بها فما * اراها وفى عينى حلت غير مكة
وما سكنته فهو بيت مقدس * بقرة عينى فيه أحشاى قرت
ومسجدى الاقصى مساحب بردها * وطيبى ثرى أرض عليها تمشت
مواطن أفراحى ومربى مآربى * وأطوار أوطارى ومأمن خيفتى
مغان بها لم يدخل الدهر بيننا * ولا كادنا صرف الزمان بفرقة
ولا صحبتنا النائبات بنبوة * ولا حدثتنا الحادثات بنكبة
ولا اختص وقت دون وقت بطيبة * بها كل أوقاتى مواسم لذتى
فان رضيت عنى فعمرى كله * زمان الصبا طيبا وعصر الشبيبة
وان قربت دارى فعامى كله * ربيع اعتدال فى رياض أريضة
بها مثل ما أمسيت أصبحت مغرما * وما أصبحت فيه من الحسن أمست
فلو بسطت جسمى رأت كل جوهر * به كل قلب فيه كل محبة
وقد جمعت احشاى كل صبابة * بها وجوى ينبيك عن كل صبوة
وكنت أرى أن التعشق منحة * لقلبى فما ان كان الا لمحنتى
ألا فى سبيل الحب حالى وما عسى * بكم ان الاقى لو دريتم أحبتى
اخذتم فؤادى وهو بعضى عندكم * فما ضركم لو كان بعضى جلتى
وهى جسدى مما وهى جلدى لدى * تحمله يبلى وتبقى بليتى
ومنذ عفا رسمى وهمت وهمت فى * وجودى فلم تظفر بكونى فكرتى
وبالى أبلى من ثياب تجلدى * بل الذات فى الاعدام نيطت بلذتى
كأنى هلال الشك لولا تأوهى * خفيت فلم تهد العيون لرؤيتى
وقالوا جرت حمرا دموعك قلت عن * أمور جرت فى كثرة الشوق قلت
نحرت لضيف السهد فى جفنى الكرى * قرى فجرى دمعى دما فوق وجنتى
فطوفان نوح عند نوحى كأدمعى * وايقاد نيران الخليل كلوعتى

وفى لمته البيضاء مايصونه
عن الابتذال نسأل الله
رأيا يستند وسترا يمتد
ووجها لايسود والسلام

(وله اليه رقعة)

بالعباد الله القرض ولا
هذا الرحض والزاد
ولا هذا الكساد أمرض
ولا أعاد اذا شبع الزنجى
بال على التمر وهذا بول على
الجمر ويوشك أن يكون له
دخان يقول الشيخ الجليل
الامام لو سمعت بمرضه
لا تهمت الى غرضه اذا
لا أؤاخذه بالجرم ولا اسامحه
العذر وكانى به يقول اتدارك
الآن اذا يجدنى ملآن
عربدة لا حقيقة لها
وموجدة ما خلق الله
اصلها فما أجد منه مقرا
ولا عند غيره مستقرا

ولولا زفيرى اغرقتنى أدمعى * ولولادموعى أحرقتنى زفرتى
وحزنى مايعقوب بث اقله * وكل بلا أيوب بعض بليتى
وكل أذى فى الحب منك اذا بدا * جعلت له شكرى مكان شكيتى
نعم وتباريح الصبابة ان عدت * على من النعماء فى الحب عدت
وعنوان مابى ماأبثك بعضه * وماتحته اظهاره فوق قدرتى
واسكت عجزا عن أمور كثيرة * بنطقى لن تحصى ولو قلت قلت
وعن مذهبى فى الحب مالى مذهب * وان ملت يوما عنه فارقت ملتى
هو الحب ان لم تقض لم تقض مأربا * من الوصل فاختر ذاك أو خل خلتى
ودع عنك دعوى الحب واختر لغيره * فؤادك وادفع عنه غيك بالتى
وجانب جناب الوصل هيهات لم يكن * وهاأنت حى ان تكن صادقا مت
وقالوا تلاف مابقى منك قلت لا * اراني الا للتلاف تلفتى
غرامى أقم صبرى انصرم دمعى انسجم * عدوى انتقم دهرى احتكم حاسدى اشمت
ويانار أحشائى أقيمى من الجوى * حنايا ضلوعى فهى غير قويمة
ويا جسدى المضنى تسل عن الشفا * ويا كبدى من لى بان تتفتت
ويا كلما أبقى الضنى منى ارتحل * فمالك مأوى فى عظام رميمة
وماذا عسى عنى أناجى توهما * بياء الندا أونست منك بوحشتى
فنفسى لم تجزع باتلافها أسى * ولو جزعت كانت بغيرى تأست
فياسقمى لاتبق لى رمقا فقد * أبيت لبقيا العزل البقية
ومن غرامياته التى خلبت القلوب * وعرف العارفون بها طريق التوصل الى معرفة المحبوب * قوله من قصيدة

اهفو الى كل قلب بالغرام له * شغل وكل لسان بالهوى لهج
وكل سمع عن اللاحى به صمم * وكل جفن الى الاغفاء لم يعج
لا كان وجد به الآماق جامدة * ولا غرام به الاشواق لم تهج
عذب بماشئت غير البعد عنك تجد * أوفى محب بما يرضيك مبتهج
وخذ بقية ماأبقيت من رمق * لاخير فى الحب ان أبقى على المهج
من لى باتلاف روحى فى هوى رشا * حلو الشمائل بالارواح ممتزج
من مات فيه غراما عاش مرتقيا * مابين أهل الهوى فى أرفع الدرج

وماأحلى ماقال منها

قل للذى لامنى فيه وعنفنى * دعنى وشأنى وعد عن نصحك السمج
فاللوم لؤم ولم يمدح به أحد * فهل رأيت محبا بالغرام هجى

منها

لم أدر ماغربة الاوطان وهو معى * وخاطرى أين كنا غير منزعج
فالدار دارى وحبى حاضر ومتى * بدا فمنعرج الجرعاء منعرجى

ولكنه نغصه مصدور ونقصته هموم والسلام

(وله الى الشيخ ابى النصر)

كأنى اطال الله بقاء الشيخ والماء اذا اطال مكثه ظهر خبثه واذا سكن متنه تحرك نتنه كذلك الضيف يسمج لقاؤه اذا اطال ثواؤه ويثقل ظله اذا انتهى محله قد حلبت اشطر خمسة اشهر بمراه ولم تكن دار مثلى لولا مقامه وما كانت تسعنى لولا امامه ولى فى تنسين مثل صدق وان صدرا مصدر عشق واد نتنى حتى اذا ماملكتنى بقول يحل العصم سهل الاباطح تجافيت عنى حيث لالى حيلة وغادرت ماغادرت بين الجوانح نعم قنصتنى نعم الشيخ فلما علق الجناح وقلق البراح طار مطار الريح بل مطار الروح وتركنى بين قوم

منها

ليهن ركب سروا ليلا وأنت بهم * فسيرهم في صباح منك منبلج
فليصنع الركب ماشاؤا لانفسهم * هم أهل بدر فلا يخشون من حرج

وما ألطف ما قال منها

اهلا بما لم أكن أهلا لموقعه * قول المبشر بعد اليأس بالفرج
لك البشارة فاخلع ماعليك فقد * ذكرت ثم على ماقيك من عوج

ومثله في الرقة والانسجام قوله من قصيدة

ابق لي مقلة لعلى يوما * قبل موتي أرى بها من رآكا
اين مني مارمت هيهات بل اين * من اعيني بالحظ ان تراكا
وبشيري لوجاء منك بعطف * ووجودي في قبضتي قلت هاكا
قد كفى ماجرى دما من جفون * لي قرحى فهل جرى ما كفاكا
فأجر من قلاك فيك معنى * قبل أن يعرف الهوى يهواكا
بانكسارى بذلتي بخضوعي * بافتقارى بفاقتي لغناكا
لاتكلني الى قوى جلد خا * ن فاني أصبحت من ضعفاكا
كنت تجفو وكان لي بعض صبر * أحسن الله في اصطبارى عزاكا
كم صدود عساك ترحم شكوا * ى ولو باستماع قولى عساكا
شنع المرجفون عنك بهجرى * وأشاعوا أني سلوت هواكا
ما باشانهم عشقت فاسلو * عنك يوما دع يهجروا حاشاكا
كيف أسلو ومقلتي كلما لا * ح بريق تلفتت للقاكا
كل من في حماك يهواك لكن * انا وحدى بكل من في حماكا

ومن كاساته الفراصية التي سكر العشاق بقديمها وحديثها قوله

ادر ذكر من أهوى ولو بملام * فان أحاديث الحبيب مدامى
فلي ذكرها يحلو على كل صيغة * ولو مزجوه عذلى بخصام
كأن عذولي بالوصال مبشرى * وان كنت لم أطمع برد سلام

وما ابدع وارق ما قال منها

بشف عن الاسرار جسمي من الضنا * فنوحي بها معنى نحول عظامى
طريح جوى حب جريح جوارح * قريح جفون بالدوام دوامى
صحيح عليل فاطلبوني من الضنى * ففيها كاشاء النحول مقامى

منها

فلي كل عضو فيه كل حشا بها * اذا نظرت أغراض كل سهام
ولو بسطت جسمي رأت كل جوهر * به كل قلب فيه كل غرام

ومن غرامياته التي يتحرك الجماد لرقتها قوله من قصيدة

مالى سوى روحي وباذل نفسه * في حب من يهواه ليس بمسرف

يتقض ميسم الطهارة وتوهين اكفهم الحجارة حدثت عن هذا الخليفة لابن الجيفة انه قال قضيت لفلان خمسين حاجة منذ ورد هذا البلد وليس يقنع فما أصنع فقلت يا أحق ان استطعت ان تراني محتاجا فاستطع ان أراك محتاجا اليك في اقوالك وفعلك والدهر احوج الى مثلك انا اسأل الشيخ ان يبيض وجهي بكتاب يسود وجهه ويعرفه قدره ويلاعبه الى ان يبين على صدره الى ان يبين على صفحات جنبه آثار ذنبه وله فيما يفعل رأيه الموفق ان شاء الله تعالى

(وله الى الشيخ ابي العباس)

رقعتي هذه عزيز على ان لا اسعد دون هذه الرقعة بتلك البقعة وكنت

فلئن رضيتم القدا سعفتنى * ياخيبة المسعى اذا لم تسعف

وما أعجب ما قال منها

يا أهل ودى انتم أملى ومن * نادا كم يا أهل ودى قد كفى
عودوا لما كنتم عليه من الوفا * كرما فانى ذلك الخل الوفى
وحياتكم وحياتكم قسما وفى * عمرى بغير حياتكم لم أحلف
لو أن روحى فى يدى ووهبتها * لمبشرى بوصالكم لم أنصف
لا تحسبونى فى الهوى متصنعا * كلفى بكم خلق بغير تكلف
أخفيت حبكم فاخفانى أسى * حتى لعمرى كدت عنى أختفى
وكتمته عنى فلو أبديته * لوجدته أخفى من اللطف الخفى

وما أحلى ما خاطب العذول منها بقوله

دع عنك تعنيفى وذق طعم الهوى * فاذا عشقت فبعد ذلك عنف

وما أعذب ما قال منها

يا ما أميلح كلما يرضى به * ورضابه يا ما أحيلاه بفى

ولقد أحسن الله خاتمته فيها بقوله

ما للنوى ذنب ومن أهوى معى * ان غاب عن انسان عينى فهو فى

ولقد أقام القواعد الغرامية بقوله من قصيد

تعرض قوم للغرام وأعرضوا * بجانبهم عن صحة فيه واعتلوا
رضوا بالامانى وابتلوا بحظوظهم * وخاضوا بحار الحب دعوى فما ابتلوا
فهم فى السرى لم يبرحوا من مكانهم * وما ظعنوا فى السير عنه وقد كلوا
وعن مذهبى لما استحبوا العمى على الـ * هدى حسدا من عند أنفسهم ضلوا

وما أحلى ما قال بعده

احبة قلبى والمحبة شافعى * لديكم اذا شئتم بها اتصل الحبل
عسى عطفة منكم على بنظرة * فقد تعبت بينى وبينكم الرسل
أحباى أنتم أحسن الدهر أم أسا * فكونوا كما شئتم أنا ذلك الخل
اذا كان حظى الهجر منكم ولم يكن * بعاد فذاك الهجر عندى هو الوصل

وما ألطف ما قال منها

وماذا عسى عنى يقال سوى غدا * بنعم له شغل نعم لى بها شغل
أخذتم فؤادى وهو بعضى وما الذى * يضركم لو كان عندكم الكل

وما أظرف ما قال منها

تباله قومى اذ رأونى متيما * وقالوا بمن هذا الفتى مسه الخبل
وقال نساء الحى عنا بذكر من * جفانا وبعد العز لذله الذل
اذا أنعمت نعم على بنظرة * فلا أسعدت سعدى ولا أجملت جمل

وما أرق ما قال منها

فاوضتك فى الحديث التسلك القاه الى الشيخ وشهر الصيام ضعف الخصر كره العصر ولولا ان وقت رجوعه وقت جوعه لقصدت حضرته لكنى اخاف ضجرته وانت اعرف باحواله والطف فى سؤاله فاعرض رقعتى هذه وتنجز الحاجة منه وان ارحتنى فى ذلك الحديث عن صاحب المواريث فهدية لا تسعها الارض والسماء وان لم تتمكن من الكل فاقطعه بالعرض فبعض الشر اهون من بعض والسلام

(وله ايضا)

الشيخ اطال الله بقاءه اجده كالفاتر فى انفاذ تلك الدفاتر وما اصنع بكاف لتشبيه وهو الف تركاه

خفيت حتى لقد ضل عائدي * وكيف يرى العوّاد من لا له ظل
وما عثرت عينى على أثرى ولم * تدع لى رسماً فى الهوى الاعين النجل
ولى همة تعلو اذا ما ذكرتها * وروح بذكراها اذا رخصت تغلو
فنافس ببذل النفس فيها أخا الهوى * فان قبلتها منك يا حبذا البذل
فمن لم يجد فى حب نعم بنفسه * وان جاد بالدنيا اليه انتهى البخل

ومن الغراميات التى تهيج الاشواق ولواعج الغرام * وتنتظم بها عقود الانسجام * قول أحد المشايخ العارفين الشيخ عفيف الدين التلمسانى

لذ بالغرام ولذة الاشواق * واخترقناك فى الجمال الباقى
واخلع سلوك فهو ثوب مخلق * والبس جديد مكارم الاخلاق
وتوق من نار الصدود بشربة * من ماء دمعك فهو نعم الواقى
واذا دعاك الى الصبا نفس الصبا * فأجب رسول نسيمه الخفاق
واذا شربت الصرف من خمر الهوى * اياك تغفل عن جمال الساقى
والق الاحبة ان أردت وصالهم * متلذذا بالذل والاملاق
اوليس من أعلى المطامع فى الهوى * عز الحبيب وذلة العشاق

ويطربنى من رقائق انسجاماته الغرامية قوله

تعلم فى مرافقة النديم * مطاوعة الاراكة للنسيم
وعاشره باخلاق فالى * وحقك عبد رق للنديم
أعاطيه أحاديثى وكاسى * فاسكر بالحديث وبالقديم
ولى عند الاحبة قلب صب * صحيح الود فى جسد سقيم
أقام وسافر السلوان عنه * فلا اجتمع المسافر بالمقيم

وقد أوردت هنا ما أمكن من جهد الطاقة فى باب الانسجام الغرامى وبديع بيوته وقد تقدم قولى انى أخرت فيه المتقدم وقدمت المتأخر عصر التسلسل ينفرط سلكه وتذهب لذته فان الانسجام يدخل فى الابواب الغرامية وفى غيرها ولكنه يوجد فيها أكثر لعذوبتها وارتياح الخواطر اليها لاسيما غراميات العارفين مثل الشيخ شرف الدين بن الفارض وغيره ومما يستظرف فى باب الانسجام من الطرائق الغرامية الغريبة قول عبد المحسن الصورى

وأخ مسه نزولى بقرح * مثل ما مسنى من الجوع قرح
بت ضيفا له كما حكم الدهـ * ـر وفى حكمه على الحر قبح
فابتدانى يقول وهو من السكـ * ـرة بالهم طافح ليس يصحو
لم تغربت قلت قال رسول الله والقول منه نصح ونجح
سافروا تغنوا فقال وقد قا * ل تمام الحديث صوموا تصحوا

ومن الانسجام المطرب قول مروان بن ابى حفصة

سمحت ربيعة وجمعن سابقا * لما جرى وجرى ذوو الاحساب

ومن الانسجام المرقص قول أبى نواس

وكأنه قد عرف عادتى فى حبس العارية فاخذ بانواع البسط حتى تبعث على الصغر ما امر من البط وان احب أعطيته موثقا من لسانى ويدى حلفت له بالله العظيم وجعت الى اليمين بالله يمينا بالطلاق ولم اقتصر على اقل من الثلاث ان دفاتره لا تمكث عندى الا اليوم والليلة وما احوجنى من صاحب فضول يستعير هذا القسم بفضول واما البط فليس الا انفاذه فقط والاقايات كاسمها شوارد وبعد الطبخ بوارد ولتعلمن نبأه بعد حين (الابيات)

نا أبا الفضل قد تأخر بطى * فلماذا وفيم هذا التبطى
هات زطى وخذ مقطى وان لم * تأتنى وانقاد فدونك خطى
(آخر)

فتمشت فى مفاصلهم * كتمشى البرء فى السقم

ومثله قوله

دع عنك لومى فان اللوم اغراء * وداونى بالتى كانت هى الداء
صفراء لاتنزل الاحزان ساحتها * لومسها حجر مسته سراء
من كف ذات حرفى زى ذى ذكر * لها محبان لوطىّ وزناء
قامت بابريقها والليل معتكر * فلاح من وجهها فى البيت لألاء
وارسلت من فم الابريق صافية * كأنما اخذها للعقل اغفاء
رقت عن الماء حتى مايلائمها * لطافة وخفى عن شكلها الماء

ومن الانسجام المطرب قول محمد بن صالح الحسنى

وبدا له من بعد ما اندمل الهوى * برق تألق موهنا لمعانه
يبدو كحاشية الرداء ودونه * صعب الذرا متمنع أركانه
فالنار ما اشتملت عليه ضلوعه * والماء ما سحت به أجفانه

وعدّوا من الانسجام المطرب قول عبد الرحمن العطوى فى رثاء احمد بن ابى دوّاد

وليس صرير النعش ماتسمعونه * ولكنه أصلاب قوم تقصف
وليس فتيق المسك ماتجدونه * ولكنه ذاك الثناء المخلف

وعدّوا من الانسجام المرقص قول العكوك فى ابى دلف

انما الدنيا ابودلف * بين باديه ومحتضره
فاذا ولى أبودلف * ولت الدنيا على أثره

ومن الانسجام المرقص قول بكر بن النطاح

من كان مرعى عزمه وهمومه * روض الأمانى لم يزل مهزولا

ومن الانسجام المطرب قول ابى تمام

ولو لم يكن فى كفه غير نفسه * لجاد بها فليتق الله سائله

ومثله قوله

ظبى تقنصته لما نصبت له * فى آخر الليل أشراكا من الحلم

ومن الانسجام المرقص قول ديك الجن

بهاغير معذول فداوى خمارها * وصل بعشيات الغبوق ابتكارها
مورّدة من كف ظبى كأنما * تناولها من خده فأدارها

ومن الانسجام المطرب قول دعبل

ان الكرام اذا ما أيسروا ذكروا * من كان يألفهم فى الموطن الخشن

ومن الانسجام المرقص قول أبى علىّ البصير

لعمر أبيك ما نسب المعلى * الى كرم وفى الدنيا كريم

وعدوا من الانسجام المطرب قول يزيد بن خالد المهلبى

ومن ذا الذى ترضى سجاياه كلها * كفى المرء نبلا أن تعد معايبه

يا ابا الفضل ما وفيت بشرطى
لا ولاقت فى الاخاء بضبطى
كنت اهديت لى بزعمك بطا
فلماذا حبست عنى بطى
وارالك احتقرت ذا الفعل
انما ينقض الوضوء بضرط

(آخر)

ابا الفضل لاتشدد يديك على بطى
ولاتك من افطى وخطى فى خبط
ولا تستزدنى ان اشد ملامتى
تمنك عن ظما وانت على الشط

(وله الى ابى الحسن الجبرى)

ليس لك ان تغضب على ولى نعمتك وهو الاستاذ فان نشط حضرك وان اراد هجرك ورأيه فى الامر أفضل ثم لا يسئل عما يفعل وأيضا فانه يدعوك فيقول كنت وكان وهذه السمة قبيحة فاحضروا الآن

ومن الانسجام المرقص قول البحترى

تخفى الزجاجة لونها فكأنها * فى الكف قائمة بغير اناء

ومثله قوله

متقسب فى غير ما متعتب * ان لم يجد جرما على تجرما

ألف الصدود فلو يمر خياله * بالصب فى سنة الكرى ما سلما

ومن الانسجام المرقص قول ابن الرومى

فالموت ان نظرت وان هى أعرضت * وقع السهام ونزعهن أليم

ومثله قوله يخاطب بنى طاهر

علوتم علينا علو النجوم * بجود وأعليناباثوانها

وعدوا من المطرب قول ابى العتاهية

اتته الخلافة منقادة * اليه تجرر أذيالها

فلم تك تصلح الا له * ولم يك يصلح الا لها

ومثله فى المطرب قول سلم الخاسر

لا تسأل المرء عن خلائقه * فى وجهه شاهد من الخبر

وعدوا من الانسجام المرقص قول عبد الله بن المعتز

اهلا بفطر قد أنار هلاله * فالآن فاغد الى المدام وبكر

فانظر اليه كزورق من فضة * قد أثقلته حمولة من عنبر

وعدوا من مرقصات المتنبى قوله

واصبح شعرى منهما فى مكانه * وفى عنق الحسناء يستحسن العقد

ومثله قوله

والهجر أقتل لى مما اراقبه * انا الغريق فما خوفى من البلل

ومثله قوله

فان تفق الانام وأنت منهم * فان المسك بعض دم الغزال

ومن الانسجام المرقص قول أبى نصر بن نباتة

لم يبق جودك لى شيأ أؤمله * تركتنى أصحب الدنيا بلا أمل

ومن الانسجام قول الواوا الدمشقى

وأمطرت لؤلؤا من نرجس فسقت * وردا وعضت على العناب بالبرد

ومثله قوله

متى أرعى رياض الحسن منه * وعينى قد نضمها غدير

ومن الانسجام المرقص قول أبى العباس الضبى

زعم البنفسج أنه كعذاره * حسنا فسلوا من قفاه لسانه

ومن الانسجام المرقص قول أبى الحسين اللحام

ياسائلى عن خالد عهدى به * رطب العجان وكفه كالجلمد

(وله اليه يعزيه بغلام)

كأنى وانى اذا سألت الخاطر فاملا أو امرت القلم فجرى لتتميم العهد والاصل فقد عزمت ان اقطعهما من حيث زكت والحمد لله على ماساء وسر والصلاة على محمد وآله فلما اغوص الموت على حبات القلوب واعرفه بمودعات الصدور واخلصه الى مكامن الروح والقطه لانامى العون فانا لله وانا اليه راجعون انا لا اسأل مولاى كيف حاله بعده فانى اعرف بها منه على ان الرشد ان ينساه حتى لا يذكره ويسلاه كى لا يكفره وكفاه تسلية عله ان الدهر لا يقصد الا الكريم بعبراته وهذا على قورة الجوع وقطرات الدموع يصنع بالكاغد ما يصنع وسأراجع نفسى من بعد فاكتب بما يجب والسلام

كالاقحوان غداة غب سمائه * جفت أعاليه وأسفله ندى

وعدوا من الانسجام المطرب قول أبي نصر العتبي

الله يعلم أني لست ذا بخل * ولست ملتمسا في البخل لي عللا
لكن طاقة مثلي غير خافية * والذر يعذر في القدر الذي حملا

وعدوا من الانسجام المرقص المطرب قول أبي الفرج بن هند

قالوا ملنا التحي فقلنا * عيتم وغبتم عن الجمال
هذا غزال ولا عجيب * تولد المسك في الغزال

ومثله قول الامير شمس المعالي قابوس

وفي السماء نجوم ما لها عدد * وليس يكسف الا الشمس والقمر

وعدوا من الانسجام المرقص قول ابن الحجاج

كأن أيري شمع في رشاوته * فكلما مسته راحتي لانا

ومثله قوله

فاصبح الدهر به هيضة * فنحن غرقى في خرا الدهر

وعدوا من المرقص قول أبي العلاء المعري

والخل كالماء يبدي لي ضمائره * مع الصفاء ويخفيها مع الكدر

وعدوا من الانسجام المرقص قول المنازي الذي لا يوجد في معناه مثله

وقانا لفحة الرمضاء واد * سقاه مضاعف الغيث العميم
نزلنا دوحه فحنا علينا * حنو المرضعات على الفطيم
وارشفنا على ظما زلالا * ألذ من المدامة للنديم
يصد الشمس أنى واجهتنا * فيحجبها ويأذن للنسيم
تروع حصاه حالية العذارى * فتلمس جانب العقد النظيم

وعدوا من الانسجام المرقص قول ابن الشحناء العسقلاني

ومهفهف علق السقام بطرفه * وسرى نحيم في معاقد خصره
مزقت أثواب الظلام بثغره * ثم انثنيت أحوكها من شعره

وعدوا من الانسجام المرقص قول ابن الخياط الدمشقي وهو من شعراء المائة السادسة

ومحجب بين الاسنة معرض * وفي القلب من اعراضه مثل حجبه
أغار اذا آنست في الحي أنة * حذارا وخوفا ان تكون لحبه

وهذا الانسجام غرامي وعدوا من الانسجام المرقص قول القاضي الارجاني

وما ينزل الغيث الالان * يقبل بين يديك الثرى

ومثله قول ابن الهبارية

ولولا نداه شفت نارذ كائه * عليه ولكن الندى مانع الوقد

وعدوا من المرقص قول أبي عبد الله النقاش البغدادي

(وله اليه جوابا عن كتاب بعتاب)

عرض علي من كتابه فصل يقول الدواذالم هلم والصبر اذا صح تخ يتبعه وعبد تخدج الا ترام منه وتكرهنية الغم الذتاب ، فقات وسواس المرض المصيبة وازدياد من الغيبة زيادة في الغيبة وذكر شوقه الى خطى واستراحته الى لفظي ولو صدق ولم يبغ بذلك الملق اترك النعل جميعا أولا ب سريعا ولو علم ما في الصدر في هذه الايام من حر الكلام ونفذ في هذه البقاع من طرف الرقاع ثم ملكته هزة الفصل لطوى السير عاجلا والارض راجلا ولا والله لا اسقيه أو يرجع ولا يسمع من ذلك النمط الاشفاها واما الملعب وقصيدته فاهلا به وبما على

اذا وجد الشيخ من نفسه * نشاطا فذلك موت خفى
ألست ترى أن ضوء السراج * له لهب عندما ينطفى

ومن الانسجام المرقص قول ابن المفضل البغدادى

خطرت فكاد الورق يسجع فوقها * ان الحمام لمغرم بالبان
من معشر نشروا على هام الربا * للطارقين ذوائب النيران

ومثله قول سبط التعاويذى

بين السيوف وعينيه مشاركة * من أجلها قيل للاغماد أجفان

ومن الانسجام المرقص قول القاضى الفاضل فى وكيله الشريف الكحال

رجل تو كل لى وكحلنى * فاصبت فى عينى وفى عينى

ومثله قوله فيه

عادى بنى العباس حتى انه * خلع السواد من العيون بكحله

ومثله قول ابن الساعاتى

والطير يقرأ والغدير صحيفة * والريح تكتب والغمام ينقط

ومثله قوله فى النهر

صدأ الظلام يزيدُ ونق حسنه * ارأيت سيفا قط يصقل بالصدا

وعدّوا من الانسجام المرقص قول عبد الملك بن مازة البخارى وقد دخل عليه مملوك وفى يده قوس

نهانى لما بدا عقرب * على خده أن أروم السفر
فقلت وفى يده قوسه * أسير فى القوس حل القمر

ومثله قول ابن اردخل التكريتى

ألفى القوام عن أمالو * فقلبى مكسور تلك الاماله

وعدّوا من الانسجام المرقص قول ابن عنين

دمشق فبى شوق اليها مبرّح * وان لج واش أو ألح عذول
بلاد بها الحصباء درّ وتربها * عبير وأنفاس الشمال شمول
تسلسل فيها ماؤها وهو مطلق * وصح نسيم الروض وهو عليل

ومن الانسجام المرقص قول الحاجرى

انى لاعذر فى الاراك حمامه الشادى كذلك تفعل العشاق
حكم الغرام الحاجرى بأسرها * فغدت وفى أعناقها الاطواق

وعدّوا من الانسجام المرقص قول الصاحب بهاء الدين زهير

فيا ظبى هلا كان منك التفاتة * ويا غصن هلا كان منك تعطف
ويا حرم الحسن الذى هو آمن * وألبابنا من حوله تتخطف
عسى عطفة بالوصل يا واو صدغه * على فانى اعرف الواو تعطف

وعدّوا من المرقص قول محيى الدين بن زبلاق

ما ضمنت من سم وسلع
واودعت من جسير وخلع
فان كانت برة لم يعدم
مهرها وهو رضاه وان
كانت ضرة لم يعدم من
يخرج جشاء من قعره
فيقسم بشعره ثم شعره
والسلام

(ولابيه اليه)

الابوة باطلها حق والبنوة
حقها باطل ولو علمت ان
مناظرة الوالد الجة عقوق
ومجاهرته بالشبهة فسوق
لم تلقنى بأبر من القبول
واحسن من ترك الفضول

(وله أيضا)

ذلك عادة فضل فى كل
فصل ولنا ايضا سنة مقت
فى كل وقت ولعمرى ان
ذا الحاجة مقت الطلعة
ثقيل الوطاة ولكن ليسوا
سواء أولو حاجة يحتاج
اليهم المال واولو حاجة
تحوجهم الآمال والامير

ومن عجبي أن يحرسوك بخادم * وخدام هذا الحسن من ذاك أكثر
عذارك ريحان وثغرك جوهر * وخدك كافور وخالك عنبر

ومثله قول ابن عربي الموصلي في المرقص

أناصب وماء عيني صب * وأسير من الضني في قيود
وشهودي على الهوى أدمع العيـ * ـن ولكنني قذفت شهودي

ومثله قول ابن الحلاوي الموصلي

كتبت فلولا أن هذا محلل * وذاك حرام قست لفظك بالسحر
فوالله ما أدري أزهر خميلة * بطرسك أم در يلوح على نحر
فان كان زهرا فهو صنع سحابة * وان كان درا فهو من لجة البحر

ومثله قول ابن ظهير الاربكي

طرفي وقلبي ذا يسيل دما وذا * دون الورى أنت العليم بقرحه
وهما بحبك شاهد ان وانما * تعديل كل منهما في جرحه
والقلب منزلك القديم فان تجد * فيه سواك من الانام فنحه

انظر هذه القافية ما أحلاها وأمكنها ومثله قوله

غارت مناطقه وأنجد ردفه * يا بعد شقة غوره من نجده

ومن الانسجام المرقص قول تاج الدين بن الحواري

فوالله ما أخرت عنك مدائحي * لامر سوى انى عجزت عن الشكر
وقد رضت فكري مرة بعد مرة * فما ساغ ان أهدى الى مثلكم شعري
فان لم يكن درا فتلك نقيصة * وان كان درا كيف يهدى الى البحر

ويعجبني من الانسجام المرقص قول النجم القمراوي

وحاكت النسيم على مرور * بعطفيه فمال مع النسيم

ومثله قول عبد الكردي

اذا ما اشتقت يوما ان اراكم * وحال البعد بينكم وبيني
بعثت لكم سوادا في بياض * لابصركم بشيء مثل عيني

وعدوا من الانسجام المطرب قول المهذب بن الخيمي الحلي وقد كتب الى والده

جننت فعوذني بكتبك انني * شياطين شوق لا يفارقن مضجعي
اذا استرقت اسرار وجدي تمردا * بعثت اليها في الدجا شهب أدمعي

ومن الانسجام المرقص قول ابن عبد ربه

يا ذا الذي خط العذار بخده * خطين هاجا لوعة وبلابلا
ما كنت أقطع أن لحظك صارم * حتى رأيت من العذار حمائلا

ومن أغرب ما رأيت من الانسجام المرقص قول جعفر بن عثمان المصحفي

خفيت على شرابها فكأنما * يجدون ريا في اناء فارغ

أبو تمام عبد السلام بن جعفر المطيع لله امير المؤمنين ان أحوجه الزمان فطالما خدمه وان ابتلاه الله فكثيرا ما اكرمه ونعمه وقديما اقله السرير وعرفه الخورنق والسدير وان نقصه المال فالعرض وافر وان جفاه الملك فالقضاء ظاهر وان ابتلاه الله فليبتليكم به فينظر كيف تعملون وانت تقابل مورده عليك من الاعظام بما يستحق ولا تحكم فيه عينيك فانها لا ترى من الناس غير الراس وابدان لا تخطر الا باردان واني قاسمت هذا الغم مولانا على الا نعمة لا تحتمل قسمة وصلة لا تحتمل تنصلة من فرس لا يمكن قطعه نصفين وعبد لا يجوز توزيعه بين اثنين ولعل هذا الغم نقم على هذا الجرم وان كان نسبني الى محظور

ومن الانسجام المرقص قول ادريس بن السمان

ثقلت زجاجات أتتنا فرغا * حتى اذا ملئت بصرف الراح
خفت فكادت أن تطير بما حوت * وكذا الجسوم تخف بالارواح

ومثله قول المعتمد بن عباد

سميدع يهب الآلاف مبتدئا * و بعد ذلك يلفى وهو معتذر
له يد كل جبار يقبلها * لولا نداها لقلنا انها الحجر

ويعجبني قول الفضل بن شرف فى المرقص

لم يبق للجور فى أيامكم أثر * الا الذى فى عيون الغيد من حور

ومثله قوله

تقلدتنى الليالى وهى مدبرة * كأننى صارم فى كف منهزم

وعدوا من الانسجام المرقص قول ابن رشيق صاحب العمدة فى المعز بن باديس سلطان افريقية وقد غاب يوم العيد وكان يوما ماطرا

تجهم العيد وانهلت بوادره * وكان يعهد منك البشر والضحكا
كأنه جاء يطوى الارض من بعد * شوقا اليك فلما لم يجدك بكى

وعدوا من الانسجام المرقص قول عبد الله بن محمد العطار

وكأس ترينا آية الصبح والدجا * فأولها شمس وآخرها بدر
مقطبة مالم يزرها مزاجها * فان زارها جاء التبسم والبشر
فوا عجبا للدهر لم يخل مهجة * من العشق حتى الماء يعشقه الخمر

ومثله قول القاضى الجليس بن الحباب المصرى

ومن عجب أن الصوارم فى الوغى * تحيض بأيدى القوم وهى ذكور
واعجب من ذا أنها فى أكفهم * تأجج نارا والاكف بحور

وظريف من الانسجام المرقص قول ابن مكنسة

والسكر فى وجنته وطرفه * يفتح وردا ويغض نرجسا

وعدوا من الانسجام المرقص قول ظافر الحداد

ونفر صبح الشيب ليل شبيبتى * كذا عادتى فى الصبح مع من أحبه

ومثله قول أبى اسحق بن خفاجة

ونمت بأسرار الرياض خميلة * بها الزهر ثغر والنسيم لسان

وعدوا من الانسجام المرقص قول ابن اللبانة

بروحى وأهلى جيرة ما استعنتهم * على الدهر الا وانثنيت معانا
أراشوا جناحى ثم بلوه بالندى * فلم استطع من ارضهم طيرانا

وعدوا أيضا من الانسجام المرقص قول ابن الزقاق

وأغيد طاف بالكؤس ضحى * وحثها والصباح قد وضحا
والروض أهدى لنا شقائقه * وآسه العنبرى قد نفحا

وكيته من مسكر شربته اومنكر قربته اوقمار لعبته أوعود ضربته اوبرد نصبته اوبيت نقبته أوشئ سلبته فقد صبرعلى هذه الهناة عشر سنين ثما هذا الضجر اليوم وان لم اتعاطها فلا لوم ولم يبق أيد الله الامير من انقلاب الزمان الاطلوع الشمس من مغربها والله المستعان ولخادمه بهذه الحضرة رتبة يحسدها القاصر عنها ويخافها القارع لها ويزاحمه النازل بها ويمقته الطامع فيها فهو من جهاتها مقصود ومن أطرافها محسود والمرء لايخلو من ذنب صغير فيورى عن جهته فيرى كبيرا وخطب يسير يوصل به ذنب صغير فيصير عظيما وربما شيع الى باب جهنم من لايدخلها وانى لاظهر فى جميع النفاق الا فى النفاق فان لم اخف

قلنا وأين الاقاح قال لنا * أودعته ثغر من سقى القدحا
فظل ساقي المدام يجحدها * قال فلما تبسم افتضحا

وعدوا من الانسجام المرقص قول ابن سنا الملك

لا تخش مني فإني كالنسيم ضني * وما النسيم بخشى على الغصن

وعدوا من الانسجام المرقص قول ابن الدباغ وقد تقدم

يارب ان قدرته لمقبل * غيري فللمسواك أو للاكؤس
ولئن قضيت لنا بصحبة ثالث * يارب فلتك شمعة في المجلس
واذا قضيت لنا بعين مراقب * يارب فلتك من عيون النرجس

ومثله قوله

واشكو الى ليل الغدائر غدرها * وأملي عليه وهو في الارض يكتب

هذه الابيات تقدمت في باب الانسجام الغرامي ولكن لم يظهر من مكر رها غير الحلاوة وعدوا من الانسجام المرقص قول كمال الدين بن النبيه

وكوكب الصبح نجاب على يده * مخلق تملأ الدنيا بشائره

وعدوا من الانسجام المرقص قول الصاحب جمال الدين بن مطروح

اذا ما اشتهى الخلخال أخبار قرطها * فيا طيب ما تملي عليه الضفائر

وعدوا من الانسجام المرقص قول البرهان بن الفقيه نصر الله

أقتطف السودا من لمى * آخذا مع البيضاء اذ تسرف
فتخلف البيضاء أمثالها * وتغضب السودا فما تخلف
حماقة السودان من ههنا * يعرفها من لم يكن يعرف

وعدوا من الانسجام المرقص قول أمين الدين التلمساني

ساروا فيا وحشة الوادي لبعدهم * منهم ولاسيما الاغصان والكثب

ومن الانسجامات المرجزة التي لو أدركها الشريف تطفل على نسيم أبياتها * واعترف ان ما للصادح والباغم تغريد صادحاتها * أرجوزة الشيخ جمال الدين بن نباتة الموسومة بنظم السلوك في مصايد الملوك التي امتدح بها الملك الافضل بن الملك المؤيد صاحب حماة وكان قد لقب قبل الافضل بالمنصور وهي

انثى شذا الروض على فضل السحب * واشتملت بالوشي أرداف الكثب
ما بين نور مسفر اللثام * وزهر يضحك في الاكمام
ان كانت الارض لها ذخائر * فهي لعمري هذه الازاهر
قد بسطتها راحة الغمائم * بسط الدنانير على الدراهم
أحسن بوجه الزمن الوسيم * تعرف فيه نضرة النعيم
وحبذا وادي حماة الرحب * حيث زها العيش به والعشب
أرض الهناء والسناء والمرح * والامن واليمن ورايات الفرح
ذات النواعير سقات الترب * وأمهات عصفه والاب

الله الكبير لم أخف الامير والسلام

(وله يعاتب بعض أصدقائه)

الوحشة أطال الله بقاء الشيخ تقتدح في الصدر اقتداح النار في الزند فان أطفئت بارت وتلاشت وان عاشت طارت وطاشت والقطر اذا تدارك على الاناء امتلأ وفاض والعتب اذا ترك فرخ وباض ونحن أولو هذه الصنعة لا يطرد ناسوط كالجفا ولا يعقلنا شرك كالندا ثم على كل حال تنظر من عال على الكريم نظر ادلال وعلى اللئيم نظر اذلال فمن لقينا بأنف طويل لقيناه بخرطوم فيل ومن لحظنا بنظر شزر بعناه بثمن نزر وعندي ان الشيخ الرئيس لم يغرس في ليقطعني قناه ولا اشتراني ليبيعني سواه وبعد سألت عليه الغداة فرد جوابا برد مثله على الوكلاء بشطر الاعياء واقتصر من

تعلمت نوح الحمام الهتف * أيام كانت ذات فرع أهيف
فكلها من الحنين قلب * فكيف لا والما عليها صب
لله ذا السفح والوادي الفرد * والماء معسول الرضاب مضطرد
يصبو بها الرائي فكيف السامع * ويحمد العاصي فكيف الطائع
اذا تطرت للربا والنهر * فاروعن الربيع اوعن جعفر
محاسنا تلهي العيون والفكر * ربيع روضات وشعر وصفر
أمام كل منزل بستان * وبين كل قرية ميدان
اما رأيت الورق في الاوراق * جاذبة القلوب بالاطواق
فبادر اللذة يا فلان * واغنم متى أمكنك الزمان
ولا تقل مشتي ولا مصيف * فكل اوقات الهنا خريف
كل زمان يقضى بالجدل * زمان عيش كلما دار اعتدل
أحسن ما اذكر من أوقاته * وخير ما أنعت من لذاته
بروزنا للصيد فيه والقنص * وحوزنا من مرة أحلى الفرص
واخذنا الوحش من المسارب * وفعلنا في الطير فوق الواجب
لما دنا زمان رمي البندق * سرنا على وجه السرور المشرق
في عصبة عادلة في الحكم * وغلمة مثل بدور التم
من كل مبعوث الى الاطيار * تظله غمامة الغبار *
قد جد القوم به عقبى السفر * عند اقتران القوس منه بالقمر
لولا حذار القوس من يديه * لغنت الورق على عطفيه
في كفه محنية الاوصال * قاطعة الاعمار كالهلال
زهراء خضراء الاهاب معجبه * مما نوت بين الرياض المعشبه
فاغرة الافواه للاطيار * طالبة لهن بالاوتار *
كانها بين المياه نون * أو حاجب بمائتشا مقرون
لها بنات بالمنى معذوقه * من طينة واحدة مخلوقه
سامعة لما تشير الام * مع انها مثل الحجار صم
كأنها والطير منها هارب * خلف الشياطين شهاب ثاقب
واها لها شبيه كرات تخطف * شاهدة بالعزم وهي تقذف
حتى نزلنا بمكان مونق * اخوان صدق احدقوا بالملق
فياله في الحسن من محل * مراد جد ومراد هزل
للطير في مياهه مواقع * كأنها من حولها فواقع
فلم نزل في منزل كريم * نروي حديث الرمي عن قديم
حتى طوى الافق رداء الورس * والتهم المغرب قرص الشمس
وابتدر القوم الى المراصد * من ساهر ليل التمام ساهد

البشاشة على تحريك الشاشة ومن الاقبال على تعويج السبال وعهدي بذلك الرئيس يخرق الى بساطه عدوا وسماطه حبوا فهذا الفاضل أجل من والده لقبه ايده الله بوصيه بحسن العشرة معي من بعد فلتنبه يوم وللجبروت قوم وما أريد بعد هذا الاعتاب اعتابا ولا عن هذه الرقعة جوابا فاني لا أمكنه بعدها من ان يتهين ولا أسلم عليه حتى يهين والحمد لله رب العالمين

(وله الى الامير أبي احمد خلف بن احمد)

كتابي أطال الله بقاءك وقد كنت نذرت ان لا اخاطب حضرته ثم روى لي القاضي حديثا طرق الى نقض ما نذرت طريقا وسمعت منشدا ينشد
لحى الله صعلوكا مناه وهمه من العيش ان يلقى لبوسا ومطعما

كالليث يسطو كفه بأرقم * والبدر يرمى فى الدجا بأسهم
بينا الطيور فى مداها ساهره * اذاهم من عينه بالساهره
واقبلت سوا كب الطيور * على طروس الجو كالسطور
فخبذا السطور فى المهارق * منظومة الاحرف بالبنادق
من كل تم حسق أن نسمى * ضياء المشرق بدر التم
تخاله من تحت عنق قد سجا * طرة صبح تحت أذيال الدجا
وكل ذى حسن من الوسامه * تخاله فى أفقه غمامه
تتبعه أوزة دكناء * من دونها لقلقة غمراء
تقدمها أنيسة ملونه * تابعة من كل وصف أحسنه
يجنى بها الآكل خير ماجنى * وأحسن المأكول ما تلونا
وربما مر لديها حبرج * كأنه على انضار يدرج
وانقض من بعض الجبال نسر * له بأبراج النجوم وكر
مغير الخلق شديد الايدى * يبنى على الكسر حروف الصيد
تحت مسراه عقاب كاسبه * خافضة لحظ الطيور ناصبه
اذا مضت جلتها المعترضه * تواصلت خيوطها المنترضه
بكل كركى عجيب السير * كأنه طيف خيال الطير
يحث غرنوقا شهى المجتلى * مقدما على الغرانيق العلا
وأبيض كالغيم يسمى مرزما * كم بات مثل نورة مبتسما
يحثه سيطر قوى * معجزة فى الطير وسوى
كم حاش ثعبانا وكم حواه * كأنه فى يده عصاه *
هذا وكم ذى نظر ممتاز * ينعت فى الواجب بالعناز
اسود الالمعة فى الصدر * كأنها نور الهدى فى الكفر
فلم تزل قسينا الضوارى * تصيبها باعين الاوتار *
حتى غدت دامية النحور * ساقطة منها على الخبير
كأنها وهى لدينا وقع * لدى محاريب القسى ركع
وأصبحت أطيارنا قد حصلت * ولم تسل باى ذنب قتلت
مستتبعا وجه العشا وجه السحر * وكل وجه منهما وجه أغر
يالك من صيد مقر العين * مرضى الصحاب وهو ذو الوجهين
لم نرض ما وفى من الامانى * حتى شفعناه بصيد ثانى
صيد الملوك الصيد بالكواسر * والخيل فى وجه انصباح السافر
ذاك الذى نصبوله الجوارح * فهى الى طلابه طوامح
واثقة بالرزق حيث كانا * تغدو خماصا وتجى بطانا
سرنا على اسم الله والمناجح * نعوم فى الاقطار بالسوابح

فقلت انا معنى هذا البيت لانى قاعد فى البيت آكل طيب الطعام والبس لين الثياب ويفاض على نزل ولا يفوض الى شغل ويعلا لى وطب ولا يدفع بى خطب وهذا والله عيش العجائز والزمن العاجز وكنت أيام مقام الامير أرى المسافة بين الرتب قريبه واجدنى أولا كالثانى وثانيا كالاول وأرى الآن ترتيبا جديدا وتناو تباعدا وكنت احسبنى متأخرا اذا شاء تقدم ومتواضعا لو أراد تعظم ومسودا لو زاحم من ساد الآن الوساد وأرانى الآن محوجا الى التأخر ملجأ الى التصغر واعلم جوما تصور أورأيا تغير اواعتقادا اخلف أوظنا اختلف فان لم يكن شئ مما سردت واوردت فالغلط فى صدر القصة كان وفى عجزها بان وان كان

خيل تحاذى الصيد حيث مالا * كأنها أضحت له ظلالا
تسعى بها قوائم لاتتبع * وكيف لاوهى الرياح الاربع
تحفنا من فوقها غلمان * كانهم قد وحنا أغصان
ترك تريك فى سماء الملبس * كواكبا طالعة فى الاطلس
منظومة الاوساط بالسلاح * من كل سهم زجل الجناح
وكل عضب ذرب المقاطع * يحترف الهام عن المواضع
على يد السائر منهم زاده * من كل بازقرم فؤاده
قد كتبت فى صدره حروف * تقرابها تقرى به الضيوف
وكل شاهين شهى المرتمى * كبارق طار وصوب فدهمى
بيناتراه ذاهبا لصيده * معتصما بأيده وكيده
حتى تراه عائدا من أنفسه * ملتزما طائره فى عنقه
أفلح من كان على يسراه * حتى غدت حاسدة يمناه
تلك يد لاتعرف الاعسارا * لاجل هذا سميت يسارا
وكل صقر مسبل الجناح * مواصل الغدو والرواح
ذى مقلة لهااضطرام واقد * يكاد يشوى مايصيد الصائد
كأنما المخلب منه منصل * لحصد أعمار الطيور مرسل
ياحبذا طيور جد ولعب * تهوى الى الارض وللافق تشب
من سنقر عالى المدى والشان * معظم الاخبار والعيان
يصعد خاف الرزق ليس يمهله * كأنه من السماء يستعجله
ومن عقاب بأسها مروع * كأنها للطير جن يصرع
كم جلبت لطائر من وهن * وكم وكم قد أهلكت من قرن
وحبذا كواسر الكواهى * عديمة الانظار والاشباه
مخصوصة بالطرد القويم * حدباء ظهر الذنب الرقيم
ذاك لعمرى حدب للرائى * يعدل ملك القلعة الحدباء
هذا وقد تجهزت أعداد * يجمعها الكلاب والفهاد
من كل فهد عنترى الحله * اذا رأى شخص مهاة عبله
مبارك الاقبال والاعراض * مستقبل الحال بناب ماضى
كانه من حدة اكتسابه * قد أحرق الانجم فى اهابه
له على مسايل الجفون * خط كخط الالفات الجون
ما أبصر المبصر خطا مثله * وكيف لا والخط لابن مقله
وكل منسوب الى ساوق * أهرت وثاب الخطا ممشوق
طاوى الفؤاد ناشر الاظافر * ياعجبا منه لطاو ناشر *
يعض بالبيض ويخطو بالقنا * ويسبق الوهم لادراك المنى

كذا فبالله ما أرضى ولو صارت السماء أرضا ولا أريد ولو انقطع الوريد وانى لاستحيى من الله ان اوى الى المثل الادنى وفى القوس منزع أنا وان لم أكن بالعراق أمير البصرة وبخارا زعيم الحضرة فما ازعجنى عن همذان فقر الى جوع وعرى ولا ساقنى الى سجستان طمع فى شبع ورى وانما الحوم حول المراد ولو ان ما اسعى لادنى معيشة * كفانى ولم أطلب قليل من المال لا يكثر الامير على من خلعه وصلاته فوالله لو علمت ان قصارى اهرى سجستان اليها وضياعها اقتنيها وعلمانها اشتريها واموالها اتسع فيها ولا مطمع فى زيادة بعد لا آثرت الزهد على الطلب الرأس ايد الله الامير كثير الخبوط والضيف كثير

كالقوس الا انه كالسهم * والغيم يجلو عن شهاب الرجم
اذا رأى بقر الوحش اندفع * كأنه المريخ فى الثور طلع
قاصرة عن يده عيناه * مشروطة برجله أذناه
بشفعه كل عزيز عارى * مغالب الصيد على الاوكار
واهالها من أكلب طوارد * معربة عن مضمر المصايد
قد بالغت من طمع فى كسبها * ففتشت عن أنفس لم تخبها
حتى اذا تمت بها الامور * حفت بنا اصيدها الطيور
ما بين روضات مدد نانحوها * وحول آفاق ملكنا جوها
واستقبلت أطيارها البزاة * معلمة كأنها الغزاة
فلم تزل تسطو سطا الحجاج * على الكراكى الى الدراج
حتى غدت تلك البزاة سرعى * مجموعة على التراب جمعا
على الربا من دمها خلوق * كان كل نبتها شقيق
ثم عطفنا للوحوش السانحه * واستبقت تلك الضوارى الطامحه
كلاب صيد بينها سناقر * تفعل فى الوحش بها الفواقر
تخشى بها العقر على نفوسها * فالطير لا شك على رؤسها
وللكلاب حولها مغار * يكاد أن تقدح منه النار
من غير لسانه يلوب * تقول هذا كوسج مخضوب
يعانق الظبى عناق الوامق * ما كان أغنى الظبى عن معانق
والفهد يشتد على الآجال * شد وصى السوء فى الاموال
لا يهمل القصد ولا يخون * كان كل جسمه عيون
وللزغاريات خلف الارنب * حقائق تبطل كيد الثعلب
كم برحت بالهارب المكدود * وطوحت بصاحب الاخدود
وربما مرت بظباء ومها * للنبل فى أكل حشاها مشتهى
قد نسجت ملاءة من عثير * تخاط من قرونها بالابر
فابتدرت اجنحة السهام * صائبة الاغراض والمرامى
تجرح كل سانح نفور * كأنه بعض شهود الزور
كان اقطار الفلاة مجزره * أو روضة من الدماء مزهره
كان صرعى وحشها كفار * الموت عقبى أمرها والنار
للمرء فيها منظر أحبه * يملأ من لحم وشحم قلبه
لله ذاك المنظر المهنا * أى معاد عن ذراه عدنا
قد ملئت من ظفر ايدينا * وقد شكرنا فضل ما حبينا
نسير حول الملك المنصور * كالشهب حول القمر المنير
محمد ناصر دين أحمد * الملك ابن الملك المؤيد

التخليط وصب هذا الماء خير
من شربه وبعد هذا الضيف
أولى من قربه وكان بالامير
يقول اذا قرئت هذه الفصول
الهمذانى رأى بهذه الحضرة
من الانعام مالم يره فى المنام
فكيف من الانام ولعله
انشأ هذا الكتاب سكران
فعدل به عادل السكر عن
طريق الشكر وكانه نسى
مورده الذى أشبه مولده
وانما رفع لحنه حين أشبع
بطنه واللئيم اذا جاع ابتغى
واذا شبع طغى والهمذانى
لو ترك بجلدته يرقص تحت
رعدته ماتربع فى قعدته ولا
تجشأ من معدته ولكنه
حين لبس الحلة وركب
البغلة وملك الخيل والخول
تمنى الدول ورأس اللئيم
يحتمل الوهن ولا يحتمل
الدهن وظهر الشقى يحمل
عدلين من الفحم ولا يحمل
رطلين من الشحم ولولا الشعير

يا حبذا من والد ومن ولد * وحبذا من شبل ملك وأسد
فرع زها بأصله أيوب * فاغترت بحبه القلوب
قال الانام حظه جلي * قلت نعم وجده علي
ذاك الذي سام العلا صبيا * وجاءها من مهده مهديا
محكم السطوة صحاح الديم * بأخذ بالسيف ويعطي بالقلم
لو لمس الصخر لفاض نهرا * أو صحب النجم لعاد بدرا
لا ظلم يلفى في حماه العالي * الا على العداة والاموال
اما ترى الدينار منه خائفا * أصفر من كف الهبات ناشفا
كالبدر في سنائه وعمه * والطود في وقاره وحلمه
مرأى يشف عن نجار أصل * وفطنة قد قوبلت بالاصل
ماضر من خيم في جنابه * ان لا تكون الشهب من أطنابه
جناب عز جاره لا ينكب * وباب نجح للغنى مجرب
غنيت في ظلاله عن الورى * غنى نزيل المدن عن قصد القرى
ورحت من نعماه بالتواتر * أروى أحاديث عطا عن جابر
يزداد لفظي بهجة ورونقا * كأنه الخمر اذا تعتقا
ان لم أرم ذا الملك العالي فمن * ينصرني على تصاريف الزمن
يا ناصر الدين دعاء مادح * مابين روضات السطور صادح
حسبك مثلي في الانام شاعرا * وحسب شعري قوة ونادرا

ومن الاراجيز المرتجلة التي سارت الركبان بلاغة ارتجالها ولطف انسجامها أرجوزة الشيخ زين الدين عمر بن المظفر الوردي سقى الله ثراه التي ارتجلها بدمشق المحروسة عند الامتحان المفحم ذكر الشيخ الامام العلامة امام المحدثين أبو الفداء اسمعيل بن كثير أن الشيخ زين الدين المشار اليه قدم دمشق المحروسة في أيام القاضي نجم الدين بن صصرى تغمده الله برحمته ورضوانه فاجلسه في الصفة المعروفة بالشباك في جملة الشهود وكان يومئذ زرى الحال فاستخف به الشهود فحضر يوما كتابة مشترى ملك فقال بعضهم أعطوا المعرى يكتبه على سبيل الاستهزاء فقال الشيخ ارجعوا الى أكتبه نظما أو نثرا فزاد استهزاؤهم به فقالوا بل نظما فأخذ الطرس وكتب ارتجالا ما صورته

باسم الاله الخالق هذا ما اشترى * محمد بن يونس بن سنقرا
من مالك بن أحمد بن الازرق * كلاهما قد عرفا من جلق
فباعه قطعة أرض واقعه * بكورة الغوطة وهي جامعه
لشجر مختلف الاجناس * والارض في البيع مع الغراس
وذرع هذي الارض بالذراع * عشرون في الطول بلا نزاع
وذرعها في العرض أيضا عشره * وهو ذراع باليد المعتبره
وحدها من قبلة ملك التقي * وحائز الروحي حد المشرق

لما نفقت الحمير ولولم يتسع ماله لم يتسع مجاله وكذا الكلب يرمن حين يسمن ولا يتبع حين يشبع وعند الجوع يهم بالرجوع وهذا المقترح من دعاه ولولم يكن عقبا ماتدحرج ذكرت هذه الكلمات لعلم الامير اني لم انسها ومع تصور هذه الجملة اغار على لحظاته وأواخذ الامير بحركاته وسكناته واري انه سعدني بأكثر مما سعدت منه وانف ان ينال سمي الهمذاني حيث ساواه ويقاس على هذا ما عداه اللهم الا ان اكون ضيفا كالاضياف يقيم اليوم ويرحل غدا فلا أنافس احدا والامير أيده الله يأخذ هذا المعنى فيكسوه لفظا لين المأخذ سهل المقطع ويرقيه الى سمعه ويجيب عبده في الحال بما عنده والسلام

ومن شمال ملك أولاد على * والغرب ملك عامر بن جهبل
وهذه تعرف من قديم * بأنها قطعة بنت الرومى
يعا صححا لازما شرعيا * ثم شراه فاطما مرعيا *
بثمن مبلغه من فضه * وازنة جيدة نبيضه *
جارية فى الناس فى المعامله * ألفان منها النصف ألف كامله
قبضها البائع منه وافيه * فعادت الذمة منها خاليه
وسلم الارض الى من اشترى * فقبض القطعة منه وجرى
بينهما بالبدن التفرق * طوعا فالاحد امتلق *
ثم ضمان الدرك المشهور * فيه على بائعه المذكور
واشهد اعليهما بذالذى * رابع عشر رمضان الاشرف
من عام سبعمائة وعشره * من بعد خمسة تليها الهجره
والحمد لله وصلى ربى * على النبى وآله والصحب
يشهد بالمضمون من هذا عمر * ابن المظفر المعرى اذحضر

فلما فرغ الشيخ من نظمه وتأمل الجماعة ارتجاله وسرعة بديهته اتفق انه لم يكن فيهم من يحسن النظم فقالوا وقد اعترفوا بفضل الشيخ وعجزوا عن رسم الشهادة لعل الشيخ يسد عن احد منا برسم شهادته فكتب عن شخص منهم الى جانبه يدعى ابن رسول

قد حضر العقد الصحيح أحمد * ابن رسول وبذاك يشهد

ومما استعذب من انسجامات الشيخ برهان الدين القيراطى قوله من قصيدة تائية

اخذت بابل عنه * بعض تلك النفثات
فهو غصن فى انعطاف * وغزال فى التفات
حسنات الخد منه * قد أطالت حسراتى
كلما ساء فعالا * قلت ان الحسنات
ولوه الخط صارت * حسناتى سيآتى
اعشق الشامات منه * وهى أسباب مماتى

ويعجبنى قوله منها

* يابى لحظ غزال * قائل فى الخلوات
ان للموت باقدا * ح جفونى سكرات
قلت قدمت غراما * قال لى مت بحياتى

ومنها

قلت اذ حرك عودا * عارفا بالنغمات
انت مفتاح سرورى * ياسعيد الحركات

ومن انسجاماته الغرامية المرجزة التى تقدمنى فيها الشيخ جمال الدين بن نباتة والشيخ زين الدين بن الوردى قصيدته الدالية التى كتبت بها قديما من حماة المحروسة الى القاضى فخر الدين

(وله الى الشيخ الوزير أبى العباس الاسفرايني جواب كتابه)

كتابى أطال الله بقاء الشيخ السيد من هراة غرة شهر ربيع الاول عن سلامة والشيخ الجليل يسحب اذيالها ويلبس ظلالها والحمد لله رب العالمين وصلى الله على نبيه محمد وآله أجمعين نهت الحكماء أيد الله الشيخ السيد عن صحبة الملوك وقالوا ان الملوك ان خدمتهم ملوك وان لم تخدمهم اذلوك فانهم يستعظمون فى الثواب رد الجواب ويستقلون فى العقاب ضرب الرقاب وانهم ليعثرون على العثرة اليسيرة من خدمهم فيبنون لها منارا ثم يوقدون لها نارا ويعتقدونها آثارا وانهم ليراوحون بجهد الخدمة ويغادون بلطيف التحية ولا يقيمون لهم وزنا وقالوا كن مع الملوك

ابن مكانس وولده القاضي مجد الدين تغمدهما الله برحمته وهي

مالمعت بارقة من نجد * الاوهزتني رعود وجدي

ولاسرت سحابة مغدقة * الاوكان مثلها في خدي

فيا رعى الله زمانا بالحمى * فان لي فيه بقايا عهد

ويا ربي مصر مراضع الصبا * برضعك الغيث بذاك المهد

كم ليلة قضيتها والنجم الشعوزاء فوق صدرها كالعقد

والارض قد حاكت برودوشيها * بحار في صفاتها ابن برد

وكوثر النيل يروق منظرا * حتى كأني في جنان الخلد

وهند ماتخطر في برودها * الا أمالت عذبات الرند

مصرية لكن يمانى لحظها * منتسب في فتكه للهند

آها له من سيف لحظ باتر * زاد على عشاقه في الحد

عبد مناف جدها وانما * قلبي لها قد صار عبد ود

يا لامير الضل قرص وجهها * يشهد أن ريقها من شهد

* ونغرها يقول في نظامه * يا بنت أبكار اللآلي بعدي

وشعرها الطائل قد قلنا له * أنت لنا نابغة يا جعدي

* وريقها قال النباتي أنا * وخدها قال انا ابن الوردي

والغصن حاكى قدها قالت له * ما أنت يا غصن الرياض قدي

يا قدها وردفها لولا كما * ما اشتقت بانات الكثيب الفرد

سألتها لم صرفت عن ناظري * وكلفت قلبي بطول الفقد

قالت تركت الفخر من بين الورى * وقد قعدت عن طلاب المجد

لعمري ان الشرح قد طال في نوع الانسجام ولكن ما استطردت بخيوله الا الى كل مهيع بديع وغريب فبيت الشيخ صفي الدين الحلي في بديعيته على نوع الانسجام يقول فيه عن النبي صلى الله عليه وسلم

فذكره قد أتى في هل أتى وسبا * وفضله ظاهر في نون والقلم

انسجام الشيخ صفي الدين في بيته ظاهر والعميان ما نظموا هذا النوع في بديعيتهم وبيت الشيخ عز الدين الموصلي في بديعيته

بان انسجام كلام منزل عجب * يهدي ويخبرنا عن سالف الامم

دت الشيخ عز الدين لم يكن له تعلق بما قبله من المديح النبوي والذي يظهر لي منه أنه أشار به الى القرآن بانه كلام منزل وانسجامه عجب يهدي ويخبرنا عن سالف الامم وبيت بديعيتي أقول فيه عن النبي صلى الله عليه وسلم

له انسجام دموعي في مدائحه * بالقه شنفت بها أطيب الكلم

واقد عجبت من الشيخ عز الدين كيف عقد بيت انسجامه مع سهولة هذا النوع وقرب مأخذه ولطف تسميته وقبولها للاشتراك انتهى

حكاك من الشمس انها لتوذيك والسماء لها مدار والارض لها دار فكيف لو أسفت قليلا ودنت يسيرا وان العاقل ليطلب منها من بديد فيتخذ سربا والواذا منها وهربا ويبتغي نفقا فرارا منها وفرقا وكما ضربوا الشمس للملوك مثلا كذلك جعلوا البحر عنهم بدلا فقالوا جاور ملكا أو بحرا وأحرر راكب البحر أن لا يسلم ولم يرض الشيخ السيد أن يكون ملك الانام حتى يكون ملك الكلام فالرأي أن نريم والصواب أن لا نقيم وورد له أيد الله عزه كتاب بضرط الاتن ويمرق الاباط كالقنفذ من أي النواحي أتيته وكالحسك على أي جنب طرحته فرحم الله أبا النصر قلت له يوما انك لسيء الرغبة سريع الملالة فقال عافاك الله هذه غيبة وهي في الوجه غريبة وانما يغتاب المرء

ذكر

(ذكر التفصيل)

(وان ذكرت زمانا ضاع من عمرى * فى غير تفصيل مدح صحت باندمى)

التفصيل بصاد مهملة نوع رخيص بالنسبة الى فن البديع والمغالاة فى نظمه وقد نبهت قبله على عدة انواع سافلة ولكن المعارضة اوجبت الشروع فى نظمه كالتصدير وعتاب المرء نفسه وتشابه الاطراف وما أشبه ذلك والتفصيل هو أن يأتى الشاعر بشطر بيت له متقدم صدرا كان او عجزا ليفصل به كلامه بعد حسن التصريف فى التوطئة الملائمة والعميان لم ينظموا هذا النوع فى بديعيتهم وغالب علماء البديع لم تذكره فى مصنفاتهم غير أن الشيخ صفى الدين الحلى اورده فى بديعيته فدعت المعارضة الى نظمه وبيته فى بديعيته

صلى عليه اله العرش ماطلعت * شمس النهار ولاحت أنجم الظلم

فصدر هذا البيت ذكر أنه تقدم له فى قصيدة قافية امتدح بها النبى صلى الله عليه وسلم مطلعها

فيروزج الصبح أم ياقوته الشفق * بدت فهيجت الورقا فى الورق

والبيت الذى أتى بصدره منها واثبته فى بديعيته على حاله لاجل نوع التفصيل

صلى عليه اله العرش ماطلعت * شمس النهار ولاحت أنجم الغسق

وبيت الشيخ عز الدين الموصلى فى بديعيته

تفصيل مدحك تجميل لذى أدب * اوصاله كفت البلوى من الرقم

فصدر بيت الشيخ عز الدين كان عجزا فى قصيدة تقدمت له بائية مطلعها

لوان وجه رضاك غير منتقب * ماسر قلبى بلوغى غاية الارب

الذى جعل صدره عجزا وابقاه على حاله فى بديعيته لاجل نوع التفصيل

كم وتى حلا بين الانام بها * تفصيل مدحك تجميل لذى أدب

هذا البيت كان تفصيل حلاه كاملا فى موضعه ولما نقل الشيخ عز الدين عجزه وجعله صدرا فى بديعيته ظهر فى تفصيله نقص بقوله مع المعاقدة فى العجز كفت البلوى من الرقم فان الرقم بفتح الراء وكسر القاف الداهية قلت والداهية اذا دخلت بيتا تركته خرابا وبيت بديعيتى أقول فيه عن النبى صلى الله عليه وسلم

وان ذكرت زمانا ضاع من عمرى * فى غير تفصيل مدح صحت باندمى

فصدر هذا البيت تقدم لى فى قصيدة قافية مطلعها

قد مال غصن النقا عن صب مه هيفا * ياليته بنسيم العتب لو عطفا

والبيت الذى نقلت صدره منها واثبته فى بديعيتى وأبقيته على حاله لاجل نوع التفصيل

وان ذكرت زمانا ضاع من عمرى * ولم أهاجر اليه صحت يا أسفا

وهذه القصيدة من غرر قصائدى بل من غرر القصائد منها

مزاج خمرة فيه جاء معتدلا * فراح منه مزاج الراح منحرفا

ومذ غدا جسمها برقته * علمت والله ان القلب منه صفا

منه الغزالة غارت عينها حسدا * والبدر قد لازم التسهيد والكلفا

والظبى قال انا احكى لواحظه * فصح عندى أن الظبى قد سرفا

من وراء ظهره لا فى سوء وجهه وكان اللئيم لا يعرى من خلة خير كذلك الكريم لا يخلو من فعلة سوء فما هذه الشناعة ولا الناقة عقرت ولا بالله كفرت وما به أيده الله ككنى ان ترد ورسلى ان تصل ولكنه أراد امتحان طبعه فى الكتابة واختبار تصرفه فى البلاغة وانما يتعلم الحلق على رؤس اليتامى ويجرب السيف على الكلب لا على القلب وقد نعمرى طبق العظام وهتك الحجاب ولم يكن سيف أبى رغوان ولم ينب بيدى ورقاء والجمل أجمل وأنا الى الجمل أحوج وهو أيده الله بالجميل أخلق والجميل به أليق أما الكتاب فلفظه فصيح ومعناه فسيح وأوله باخوه رهين وآخره لاوله قرين وبينهما ماء معين وحور عين وماشاء الله وعين

ومنها

مذ صار لي قبلة محراب حاجبه * صبرت عابطر في فيه معتكفا
ولام فيه عذول قلت من كلفي * قلبي رأى منه قدا في الهوى الفا
ماضره لو عفا عني وأظهر لي * عطفا وعاين ربع الصبر كيف عفا
اراد مني وكف الدمع قلت له * حسبك الله يا بدر الدجى وكفى

ثم استطرد الى ذكر هذه الابيات هنا الالان نوع التفصيل ليحتمل اطلاق عنان القلم في الكلام عليه الى أكثر من ذلك

(ذكر النوادر)

(نوادر المدح في أوصافه نشأت * منها الصبا اذا تنثنا وهي في شمم)

هذا النوع أعني النوادر سماه قوم الاغراب والطرفة وهو ان يأتي الشاعر بمعنى يستغرب لقلة استعماله لا لانه لم يسمع بمثله وهذا انما اختاره قدامة دون غيره ولكن غالب علماء البديع اختاروا غير رأي قدامة في هذا النوع فانهم قالوا لا يكون المعنى غريبا الا اذا لم يسمع بمثله وأورد زكي الدين بن أبي الاصبع في كتابه المسمى بتحرير التحبير لنوع النوادر حدا اقرب اليه من اختيار قدامة وأبلغ وأوقع في النفوس وهو ان يعمد الشاعر الى معنى مشهور وليس بغريب في بابه فيغرب فيه بزيادة لم تقع لغيره ليصير بها ذلك المعنى المشهور غريبا وينفرد به دون كل من نطق به وبيان ذلك ان تشبيه الحسان بالشمس والبدر مبذول معروف قد ذهبت طلاوته لكثرة ابتذاله وكان سابق المتقدمين وقبلة المتأخرين القاضي الفاضل أنفت نفسه من المتابعة على هذا الابتذال وكثرة تشبيه الحسان بالبدور فقال

ترامى ومرآة السماء صقيلة * فأثر فيها وجهه صورة البدر

سبحان المانح حاصل كلامه تشبيه محبوبه بالبدر ولكن زيادة هذه النادرة اللطيفة لا تخفى الا على أكمه لا يعرف القمر وعلى هذا المنوال نسجت بيت بديعيتي ويعجبني في باب النوادر قول القائل

عرض المشيب بعارضيه فأعرضوا * وتقوضت خيم الشباب فقوضوا
ولقد سمعت وما سمعت بمثله * بين غراب البين فيه أبيض

وبيت الشيخ صفي الدين الحلي في بديعيته يقول فيه عن النبي صلى الله عليه وسلم

كأنما قلب معن مل فيه فلم * يقل لسائله يوما سوى نعم

هذا البيت ذكر الشيخ صفي الدين في شرحه أن النادرة فيه قلب معن بنعم قلت قلب معن بنعم لم يعد من نوع النوادر بل من انواع الجناس المسمى بالقلب والعكس وجناس القلب وغيره من انواع الجناس ليس فيه غير خدمة الالفاظ فانه نوع لفظي والذي قرره قدامة وغيره في هذا النوع أن الغرابة تكون في المعنى بحيث يعد ذلك المعنى من النوادر والعميان ما نظموا هذا النوع في بديعيتهم وبيت الشيخ عز الدين الموصلي في بديعيته

نوادر من جناني كالجنان زهت * أم هل بدت واضحات الحسن من ارم

قلت ان بيت الشيخ صفي الدين الحلي مع ما فيه من النقد والمؤاخذة معدود من النوادر بالنسبة الى هذا البيت وما أشبهه بالبيت الذي أخبر عنه الحريري في مقاماته وقال انه أخوج

من

...لسوء مصروفة وبعض
ما يعرض وفراخ ما ينهض
...نواهض ما يطرن وطير
...ا يبضن وقرت عين
...لوزارة وزهرت نار الدولة
...روبت زناد الله واني على
اعجابي بتلك الفصول
...تعجبي منها الشديد الحنق
عليها والقلق فيها وخلة
أخرى وهي أني مفتون
بكلامي معجب بصوب أقلامي
...ذوب أفكاري فلا أزفه
الا لمن يعتقد فيه اعتقادي
ويميل اليه كفؤادي وينظر
اليه بعين رأسي واذا بلغ
الشيخ أيده الله من الفضل
مبلغه خرج على ان لا أصله
به وأواصله والسلام

(وله الى وزير الري)

كتابي وأنا أدام الله عز
الوزير المكين على بينة
من أمري وبصيرة من
ديني لا أقول بلوم أصحاب
النجوم فكيف أعلم ان أكثرها
زور وبعض أرى ان بعضها
حق وصحيح وكان انا أتيس

من التابوت * واوهن من بيت العنكبوت * وماذ لك الالانى كررت النظر فى اركان هذا البيت فلم أجد فيه مقرا لنادرة من النوادر التى تقدم تقريرها فلم يسعنى غير النظر فى شرحه فوجدته قال ان جنانى ظهر منه محاسن مدهشة أم بدت محاسن ارم ذات العماد التى لم يخلق مثلها فى البلاد ويحكى أنها جنة بناها عاد قلت وما أحق اختراع الخراع بهذه العبارة وهى بشهادة الله عبارته بنصها والذى أعده من النوادر ابراز الشيخ عز الدين مثل هذا البيت فى بديعيته ورضاه به وتنزيل مثل هذه العبارة عليه انتهى وبيت بديعيتى أقول فيه عن النبى صلى الله عليه وسلم

نوادر المدح فى أوصافه نشقت * منها الصبا فأتتنا وهى فى شمم

النادرة فى معنى هذا البيت عرفها ضائع لمن شمه من أهل الادب وماذاك الا أن النسيم أكثر الشعراء من استعماله فى تحصيل الرسائل وغاية ما أغربوا فيه انه ينشق منه عرف الاحبة اذا هب من نحوهم والنادرة التى أغربت بها هذا المعنى ان نسيم الصبا لما نشقت عرف مديح النبى صلى الله عليه وسلم وتعرفت به تزايد شممها والشمم للنسيم نادرة بل نكتة لم أسبق اليها فان النسيم أحق باشتغال هذه التورية من غيره لان الشمم لاتق به وهذا الذى أشار اليه ابن أبى الاصبع فى أن الشاعر يعمد الى معنى مبذول معروف ليس بغريب فى بابه فيغربه بزيادة لم تقع لغيره ويصير بها ذلك المعنى المعروف غريبا ومثل ذلك حتى يزداد نوع النوادر ايضاحا قول أبى نواس

هبت لنا ريح شمالية * متت الى القلب باسباب

أدت رسالات الهوى بيننا * عرفتها من بين أصحابى

قوله عرفتها من بين أصحابى نادرة لم يسبق اليها وقد جاراه مجير الدين الخياط فى بديع هذا النوع ونادرة هذا المعنى لولا الحياء لقلت انه أحرز قصبات السبق عليه بقوله

يا نسيم الصبا الولوع بوجدى * حبذا أنت لو مررت بهند

ولقد رابنى شذاك فبالله متى عهده باطلال نجد

بين واقد رابنى شذاك فى بيت مجير الدين وبين عرفتها من بين أصحابى معرك ذوقى ما يدركه الامن صفت مرآة ذوقه فى علم الادب ولعمرى ان النادرتين يتجمل بهما هذا النوع ومثله قول القائل ويعجبنى الى الغاية

وبدا الشمال عشية مذ أرعشت * دلت على ضعف النسيم بخطها

كتبت سقيما فى صحيفة جدول * فبدا انغمامة صحته بنقطها

النوادر فى هذين البيتين لم يحتج برهانها الى اقامة دليل وقد فهمت الزيادات فى غرابة المعانى المبتذلة ومثله ولم يخرج عما نحن فيه من لطف النسيم ونوادر النوع قول القائل

هبت صبا من قاسيون فسكنت * بهبوبها وصب الفؤاد البالى

خاضت مياه النسرين عشية * وأتتك وهى بليلة الاذيال

ويعجبنى فى هذا الباب قول ناصر الدين بن النقيب

مسكية الانفاس على الصبا * عنها حديث ناقط لم عال

لا يؤمن بالصبح ايمانه بالصبوح قرئ عليه ان الله يأمر بالعدل والاحسان فقال ان رضى الحسان والاقال الفضل حرس الله نعمتهم وأدامها رحاط دولتهم وايامها كيف خفى عليهم مكانى وخبرهم نبت اسنانى ومالهم انبت اسلامى وكيف لم يطلبونى طلب الرقيق الآبق ويربطونى ربط الجواد السابق وانما يحبس البازى ولو ترك والاقطار طار ولم اوشك على ضنة يرمى به من حالق ولكن رب حسناء طالق وقيل الحسن فلان لا يأكل الرطب ولا يشتهى الفالوذج فقال رب ملوم لا ذنب له واملها الصرفة التى يكفر بها قوم ونحن بها مؤمنون ان سليمان ابن داود عليهما السلام على ما أوتى من بسطة ملك وباع ويد فى الفتوح صناع وخطب

بمنبت سلماك سرى عرفها * وما ترى من بين بالمندل

وألطف منه وأكثر نوادر قول بدر الدين حسن الغزى الشهير بالزغارى

سرت من بعيد الدار لى نسمة الصبا * وقد أصبحت حسرى من السير ضائعه

ومن عرق مبلولة الجيب بالندى * ومن تعب أنفاسها متتابعه

ومن العجائب فى هذا النوع

حبذا ليلة رأيت دجاها * زاهيا عطفه بحلة فخر

بشرت باللقاء وهى غراب * ونفى الفجر حسنها وهى قمرى

ومن النوادر اللطيفة فى هذا الباب قول علاء الدين الجوينى صاحب الديوان ببغداد من دوبيت

مذ صار مبيتنا بضوء القمر * والحب نديمنا وصوت الوتر

نادى بفراقنا نسيم سحرا * ما أبرد ما أتت نسيم السحر

ومن نادر ما اتفق لى قولى من قصيدة رائية

ومذ سرت نسمات الثغر باردة * بدا بأعضاء ذاك الجفن تكسير

قد تقدم تقرير حد ابن أبى الاصبع فى نوع النوادر وتكرر وهو أن يعمد الشاعر الى معنى مشهور كثير الاستعمال فيغرب فيه بزيادة نكتة لم تقع لغيره ليصير المعنى المستعمل بها غريبا وقد فهم ما أوردته هنا من تلاعب الشعراء بالنسيم وما أظهروا فيه من النوادر التى تركت وخيمه غالبا وتكسير الجفن أيضا ونسبة التكسير اليه أكثر أهل الادب استعماله فى تغزلهم ونسيبهم ولكن استعارة النسمات البادرة للثغر وهبوبها على أعضاء ذاك الجفن السقيم حتى ظهر فيه التكسير نادرة النوادر فى هذا النوع والله أعلم

(ذكر المبالغة)

(بالغ وقل كم جلا بالنور ليل وغى * والشهب قد رمدت من عثير الدهم)

المبالغة نوع معدود من محاسن هذا الفن عند الجمهور واستدلوا على ذلك بقول من قال أحسن الشعر أكذبه وبقول النابغة الذبيانى أشعر الناس من استجيد كذبه وضحك من رديئه واستدلوا أيضا برد النابغة المذكور على مثل حسان بن ثابت فى قوله

لنا الجفنات الغر يلمعن فى الضحى * وأسيافنا يقطرن من نجدة دما

والرد الذى رده النابغة على هذا البيت فى ثلاثة مواضع الاول منها انه قال له قلت لنا الجفنات والجفنات تدل على قليل فلا تفخر لك ولا مبالغة اذا كان فى ساحتك ثلاث جفان أو أربع والثانى أنك قلت يلمعن واللمعة بياض قليل ليس فيه كبير شان والثالث أنك قلت فى السيوف يقطرن والقطرة تكون للقليل فلا تدل على فرط نجدة ولا مبالغة وترشيح جانب المبالغة مذهب ابن رشيق فى العمدة ومنهم من لم يعد المبالغة من حسنات الكلام ومشى فى ذلك على مذهب حسان بن ثابت رضى الله عنه فانه قال

وانما الشعر عقل المرء يعرضه * على الانام فان كيسا وان حمقا

وان أشعر بيت أنت قائله * بيت يقال اذا أنشدته صدقا

(المبالغة)

فى المطلوب وساع وامر فى الثقلين مطاع ودع غدوها شهر ورواحها شهر وادراك كلام النملة وليس لها جهر صرف عن بلقيس وملكها سنين وهى مجاورته فى سبا اليمن حتى عداه الهدهد ولا عجب ان يصرف الشيخ الوزير ايده الله عنى وانا احد موا ليه وغروس اياديه ولو شاء لسمى آبى زيدا وسمانى اسامة ولو شاء غيره لقلنا لولا كرامة وما تأخرت كتبى عن حضرته كفرانا لنعمته لكن اعظاما لحشمته ولولا امر من خادمه والذى اقام الله عزه وتعين فرض اضطرنى اليه لرأيت الجرى على عادتى بابا من ابواب ادب الخدمة لكنه لا رخصة فى العقوق من الخالق والخلوق فكاتبت الحضرة العالية متنجزا ماسال من الكتب والوزير

وعند أهل هذا المذهب أن المبالغة لم تنفر عن غير التهويل على السامع ولم يفر الناظم الى التضييع عليها الا العجز وقصور همته عن اختراع المعانى المبتكرة لانها فى صناعة الشعر كالاستراحة من الشاعر اذا أعياه ايراد المعانى الغريبة فيشغل الاسماع بما هو محال وتهويل وقالوا بما أنها أحالت المعانى فأخرجتها عن حد الكلام الممكن الى حد الامتناع والمبالغة تعاب فى بابها اذا خرجت عن حد الامكان الى الاستحالة وأتى الكلام على حدها فى موضعه والذى أقوله ان المبالغة من محاسن انواع البديع ولم يستطرد فى حلبات سبقها الاخول هذه الصناعة ولولا سمو رتبتها ما وردت فى القرآن العظيم والسنة النبوية ولو سلمنا الى من يهضم جانبها ولم يعدها من حسنات الكلام بطلت بلاغة الاستعارة وانحطت رتبة التشبيه وتسمية المبالغة منسوبة الى قدامة ومنهم من سمى هذا النوع التبليغ وسماه ابن المعتز الافراط فى الصفة وهذه التسمية طابقت المسمى ولكن أكثر الناس رغبوا فى تسمية قدامة لتقدمها وهذا النوع أعنى المبالغة شركة قوم مع الاغراق والغلو لعدم معرفة الفرق وهو مشكل الصحيح ظاهر والمبالغة فى الاصطلاح هى افراط وصف الشئ بالممكن القريب وقوعه عادة والاغراق وصف الشئ بالممكن البعيد وقوعه عادة والغلو وصفه بما يستحيل وقوعه ويأتى الكلام على كل واحد من الثلاثة فى موضعه وقد تقرر أولا أن المبالغة نوعها مبنى على وصف الشئ بالممكن القريب وقوعه وحد قدامة المبالغة فقال هى أن يذكر المتكلم حالا من الاحوال لو وقف عندها الاجزأت فلا يقف حتى يزيد فى معنى ما ذكره ما يكون أبلغ من معنى قصده كقول عمير بن كريم التغلبى

ونكرم جارنا ما دام فينا * ونتبعه الكرامة حيث مالا

وقال ان هذا البيت من أحسن المبالغة عند الحذاق فان الشاعر بلغ فيه الى أقصى ما يمكن من وصف الشئ وتوصل الى أكثر ما يقدر عليه فتعاطاه ولخص بعضهم عبارة الحد الذى حده قدامة وقال المعنى اذا زاد على التمام سمى مبالغة وقال ابن رشيق فى العمدة المبالغة بلوغ الشاعر أقصى ما يمكن فى وصف الشئ قلت وعلى هذا التقرير يخل القصد فى المبالغة الامكان والخروج عن المستحيل والمذهب الصحيح فيها انها ضرب من المحاسن اذا بعدت عن الاغراق والغلو وان كان الاغراق والغلو ضربين من المحاسن ونوعين من أنواع البديع فقد شرط علماؤه أن النوع لا يتجاوز حده بحيث يزول الالتباس و يعجبنى من أمثلة المبالغة فى المديح قول القائل

أضاءت لهم أحسابهم ووجوههم * دجى الليل حتى نظم الجزع ثاقبه

فالمعنى تم للناظم لما انتهى فى بيته الى قوله دجى الليل ولكن زاد بما هو أبلغ وأبدع وأغرب فى قوله حتى نظم الجزع ثاقبه ومثله قول أبى الطيب المتنبى فى وصف جواد

وأصرع أى الوحش قفيته به * وأنزل عنه مثله حين أركب

قال زكى الدين بن أبى الاصبع فى كتابه المسمى بتحرير التحبير أبلغ شعر سمعته فى باب المبالغة قول شاعر الحماسة اذ بالغ فى مدح ممدوحه بقوله

رهنت يدى بالعجز عن شكر بره * وما فوق شكرى للشكور مزيد

السيد جدير بالفضل قدير عليه وانا موضع له فقير اليه وورائى وأمامى من خوالى واعمامى من مواقف خدمته مشهورة ومقاماته مشكورة وبى وبهم حاجة الى فضل عونه وماعونه فان سعد وابحظ من جميل رأيه فاز بدار عشيرتى الادنون وبعدهم نامى صلاحهم بصلاح هؤلاء مربوط ونعم التسبيع السلطان لاعظم حرس الله ملكه والشيخ الجليل اعز الله نصره والعلم الذى رفع الله قدره والصمر الذى انقضاه على خدمته والشيب الذى لبسناه فى جملته ورأى الوزير فى ذلك موفق ان شاء الله وله الى الشيخ الرئيس أبى عامر فى معنى السدق) نحن اطال الله بقاء الشيخ اذا تكلمنا فى فضل العرب على العجم وعلى سائر الامم

السدق بالسين ليلة الوقود وبالصاد لحن اه مجد

ولو كان مما يستطاع استطعته * ولكن ما لا يستطاع شديد

فانظر ما أحلى احتراسه عن ذلك بقوله وما فوق شكرى الشكور مزيد وانظر كيف أظهر عذره في عجزه مع قدرته بأن قال في البيت الثاني ولو كان مما يستطاع استطعته ثم أخرج بقية البيت للمبالغة مخرج المثل السائر حيث قال ولكن ما لا يستطاع شديد ومن هنا قال أبو نواس

لا تسدين الى عارفة * حتى أقوم بشكر ما سلفا

ومن معجز المبالغة في القرآن العظيم قوله تعالى سواء منكم من أسر القول ومن جهر به ومن هو مستخف بالليل وسارب بالنهار فجعل كل واحد منهم أشد مبالغة في معناه وأتم صفة وجاء من المبالغة في السنة النبوية قوله صلى الله عليه وسلم مخبرا عن ربه كل عمل ابن آدم له الا الصوم فانه لي وأنا أجزى به وقوله في بقية هذا الحديث والذى نفس محمد بيده لخلوف فم الصائم عند الله أطيب من ريح المسك ففي الحديث الشريف مبالغتان احداهما كون الحق سبحانه وتعالى أضاف الصيام الى نفسه دون سائر الاعمال لقصد المبالغة في تعظيمه وشرفه واخبر أنه عز وجل يتولى مجازاة الصائم بنفسه مبالغة في تعظيم الجزاء وشرفه ونحن نعلم ان الاعمال كلها لله سبحانه وتعالى والعبد باعتبارين اما كونها للعبد فلانه يثاب عليها وأما كونها لله فلانها عملت لوجهه الكريم ومن اجله فتخصيص الصائم بالاضافة للرب سبحانه وتخصيص ثوابه بما خصص به انما كان للمبالغة في تعظيمه والمبالغة الثانية اخبار النبي صلى الله عليه وسلم بعد تقديم القسم لتأكيد الخبر بأن خلوف فم الصائم عند الله أطيب من ريح المسك ففضل تغير فم الصائم بالامساك عن الطعام والشراب على ريح المسك الذى هو أعطر الطيب على مقتضى ما يفهم من ريح المسك وأتى بصيغة أفعل للمبالغة فجمع هذا الكلام بين قسمي المبالغة المجازى والحقيقي ولذلك ورد أن دم الشهيد كريح المسك للمبالغة وهذا النوع اعني المبالغة تمكن الناظم منه في المدائح النبوية والصفات المحمدية فان المادح اذا بالغ في وصفه صلى الله عليه وسلم كانت تلك المبالغة ممكنة قريبة من معجزاته وعظمه عند ربه فمن ذلك قولى من قصيدة نبوية أقول فيها عن النبي صلى الله عليه وسلم

اذا ما سرى فرد الفرط جلاله * يقول الورى قد سار جيش عرمرم

فالمبالغة تمت لما انتهيت الى قولى سار جيش وزدت بعد ذلك بما هو أبلغ منه واعظم لقولى عرمرم وبيت الشيخ صفى الدين الحلى في بديعيته يقول فيه عن النبي صلى الله عليه وسلم

كم قد جلت جنح ليل النقع طلعته * والشهب أحلك ألوانا من الدهم

المبالغة تمت للشيخ صفى الدين في الشطر الاول بقوله كم قد جلت جنح ليل النقع طلعته ولكن زاد بما هو ابلغ منها حيث قال والشهب أحلك ألوانا من الدهم وبيت العميان في بديعيتهم

يمم نبيا تبارى الريح أنمله * والمزن من كل هامى الودق مرتكم

المجمع عليه أن المبالغة في الاوصاف المحمدية ممكنة عقلا وعادة ولكن الابلغ في مبالغة العميان ان الريح والمزن كان يصعب كل منهما ان يتطفل على أنامل النبي صلى الله عليه وسلم في المباراة لعلو رتبته وعظم مقامه وبيت الشيخ عز الدين الموصلي في بديعيته

امدح وجز كل حد في مبالغة * حقا ولا تطر تقبل غير متهم

اردنا بالفضل ما احاطت به الملاود ولم تكرانه تكون امنا أحسن من العرب ملابس وانعم منها مطاعم واكثر ذخائر وأبسط عمالك واعمر مساكن ولكنا نقول العرب اوفى واوفر واوفى واوقر وانكى وانكر واعلى واعلم وأحلى واحلم واقوى وأقوم وابلى وابلغ وانجى وانجع واسمى واسمع واعطى واعطف والطى والطف واحمى واحصف

هذا البيت لم ينتظم فى سلك ماقبله من ابيات المديح النبوى ولا بينه وبين المبالغة أدنى وصلة
ولم يظهر لى فى بيته غفر الله له الا وصيته للمادح أنه اذا مدح يتجاوز كل حد وأنه لا يطرى فيقبل
وما احقه هنا بقول القائل

عنيتم بالرقتين ودارهم * بوادى الغضى يابعد ما أتمناه

وبيت بديعيتى أقول فيه عن النبى صلى الله عليه وسلم

بالغ وقل كم جلا بالنور ليل وغى * والشهب قد رمدت من عثير الدهم

فالمبالغة تمت فى شطر البيت الاول بقولى بالغ وقل كم جلا بالنور ليل وغى والزيادة بما هو ابلغ
منه اقولى والشهب قد رمدت من عثير الدهم وتسمية النوع هنا هى ديباجة المبالغتين على هذه
الصيغة والله اعلم

(ذكر الاغراق)

(لوشاء اغراق من ناواه مدله * فى البر بحرا بموج فيه ملتطم)

قد تقرر فى نوع المبالغة أنها افراط وصف الشئ بالممكن القريب وقوعه عادة وهذا النوع
أعنى الاغراق فوق المبالغة ولكنه دون الغلو وهو فى الاصطلاح افراط وصف الشئ بالممكن
البعيد وقوعه عادة وقل من فرق بينهما وغالب الناس عندهم المبالغة والاغراق والغلو نوع
واحد وهنا لم يعمل بقول الحريرى

* سامح أخاك اذا خلط *

وكل من الاغراق والغلو لا يعد من المحاسن الا اذا اقترن بما يقربه الى القبول كقد للاحتمال
ولولا للامتناع وكاد للمقاربة وما اشبه ذلك من أنواع التقريب وما وقع شئ من الاغراق
والغلو فى الكتاب العزيز ولا فى الكلام الفصيح الا مقرونا بما يخرجه من باب الاستحالة ويدخله
فى باب الامكان مثل كاد ولو وما يجرى مجراهما كقوله تعالى يكاد سنا برقه يذهب بالابصار اذ لا
يستحيل فى العقل أن البرق يخطف الابصار لكنه يمتنع عادة وما زاد وجه الاغراق هنا جمالا الا
تقريبه بيكاد واقتران هذه الجملة بها هو الذى صرفها الى الحقيقة فقلبت من الامتناع الى
الامكان ومن شواهد تقريب نوع الاغراق بلو قول زهير

لو كان يقعد فوق الشمس من كرم * قوم بأولهم او مجدهم قعدوا

فاقتران هذه الجملة ايضا بامتناع قعود القوم فوق الشمس المستفاد بلو هو الذى اظهر بهجة
شمسها فى باب الاغراق ومما استشهدوا به على هذا النوع بغير اداة التقريب قول امرئ القيس

تنورتها من أذرعات واهلها * بيثرب أدنى دارها نظر عالى

وبين المكانين بعد تام فان أذرعات من الشام والنار التى تنورها من اذرعات كانت بيثرب
مدينة النبى صلى الله عليه وسلم وقد أثبتوا هذا الشاهد فى باب الاغراق لانهم قالوا لا يمتنع
عقلا أن ترى النار من بعد هذه المسافة وأن لا يكون ثم حائل من جبل أو غيره من عظم جرم
النار ولكن ذلك ممتنع عادة هذا ان جعلنا تنورتها نظرت الى نارها حقيقة وأما ان جعلناه بمعنى
توهمت نارها وتخيلتها فى فكرى فلا يكون فى البيت اغراق ومثله قول أبى الطيب المتنبى
فى صباه

وأنق وآنق ولا ينكر ذلك
الاوقح وقح ولا يجحده
الانغل نغل وان قدم الله
تعالى ملك العجم ليحتج عليها
وانما آخر ملك العرب ليحتج
بها وما ملكت العجم حتى
تواصلت وما ملكت
العرب الاحين تصاولت
وما تواصلت العجم الا يأسا
من نفوسها ولا تصاولت
العرب الا لما فى رؤسها ولا
تكاد السباع تأتلف كما لا
تكاد البهائم تختلف وان
قبله أقرت هذه العرب
لها أنها جرتها الجماع اخلاق
شريفة ونظام أحلام رزينة
ومصاب ايام مذكورة
ومصبر مساع مشكورة
وان امرأ ساد هذه الجرة
اطلاع المجد وغنى بها اولى
من خيره عن التزين بحلى
غيره وحقيق أن يشير شعار
حبائه ويبث شعار اعدائه
ان عند الوقود لعبدا فلك
وان شعار النار لشعار

(الاغراق)

روح تردد في مثل الخلال اذا * أطارت الريح عنه الثوب لم يبن
كفى بجسمي نحولا أنني رجل * لولا مخاطبتي اياك لم ترني

وقالوا هذا لا يمتنع عقلا ان يحول الشخص حتى يصير مثل الخلال ولا يستدل عليه الا بالكلام اذ الشئ الدقيق اذا كان بعيدا لا يرى بخلاف الصوت ولكن صيرورة الشخص في النحول الى مثل هذه الحال ممتنع عادة ولعمري ان الشيخ شرف الدين بن الفارض ضم خصر هذا المعنى الرقيق ورشحه بنفائس العقود حيث قال

كأني هلال الشك لولا تأوهي * خفيت فلم تهد العيون لرؤيتي

قلت اذا قابلنا نحول المتنبي بهلال الشك الذي ابرزه ابن الفارض لم تبعد المقارنة ولكن من قابل قول المتنبي أنني رجل لولا مخاطبتي بقول الشيخ شرف الدين بن الفارض في بيته كأني هلال الشك لولا تأوهي لا بد أن يقابله الله على ذلك وأين لطف لولا تأوهي من ثقل لولا مخاطبتي فالفرق بين خطاب الرجل وتأوه هلال الشك لا يخفى على حذاق أهل الادب ومنه قول بعضهم

قد سمعتم أنينه من بعيد * فاطلبوا الشخص حيث كان الانين

قلت ما برح طائر فكري يحوم على ورود هذا المعنى الذي حصلت فيه المواردة على أن الشخص لا يرى لشدة نحوله الا بأنين أو تأوه وأريد أن أرشحه بنكتة الى أن قلت من قصيدتي التي عارضت بها كعب بن زهير وامتدحت بها النبي صلى الله عليه وسلم

وفوق طرس مشيبي أرخوا اتلفى * وذلك الطرس فوق الرأس محمول
وقد تجاوز جسمي حد كل ضنى * وها أنا اليوم في الاوهام تخييل

وقد تقدم وتقرر أن أداة المقاربة ما استعملت في الاغراق الا لنقله من الامتناع الى الامكان وهذا الذي أوردته بغير أداة المقاربة هنا ان كان يبعد عادة لا يبعد عقلا ومما استشهدوا به على نوع الاغراق بلو التي يمكن الاغراق بها عقلا ويمتنع عادة قول القائل

ولو أن ما بي من جوى وصبابة * على جمل لم يبق في النار كافر

يريد انه لو كان ما به من الحب بجمل لنحل حتى يدخل في سم الخياط وذلك لا يستحيل عقلا اذ القدرة قابلة لذلك لكنه ممتنع عادة وهذا غاية في الاغراق واورد الشيخ شهاب الدين ابن جعفر المغربي الاندلسي في شرحه الذي كتبه على بديعية صاحبه شمس الدين محمد بن جابر الاندلسي على هذا البيت حكاية لطيفة وهي أن ابليس تعرض لبعض الاولياء فلم ينل منه غرضا فقال له الولي من أشد عليك العابد الجاهل أو العالم المسرف على نفسه فقال العالم المسرف واما العابد الجاهل فهو في قبضتي أدخل عليه في دينه من حيث شئت وأنا أريك ذلك فانطلق به الى أعبد الجهال في ذلك الزمان فطرق عليه الباب فخرج اليهما فقال له ابليس جئت استفتيك هل الله قادر على أن يدخل الجمل في سم الخياط أولا فتوقف وتحير وغلق الباب فقال ابليس للولي ها هو قد كفر بالشك في قدرة الله تعالى ثم انطلق به الى عالم مسرف على نفسه وطرق عليه الباب وكان في القائلة فقال الرجل العالم من هذا الشيطان الذي يضرب بابي في القائلة وقد قال عليه الصلاة والسلام قيلوا فان الشياطين لا تقيل فقال ابليس ها هو قد

شركك وما أنزل الله بالصدق سلطانا ولا شرف نيروزا ولا مهرجانا وغاصب الله سيوف العرب على فروق العجم لما كره من أديانها وسخط من نيرانها وأورثكم ارضهم وديارهم واموالهم وان حين مقت فعالهم وان انصف الشيخ الرئيس أيام الله لديه وجدها كلها اعيادا صاحكة المباسم طاهرة المواسم فلا وقدت نار المجوس والله ما أقول ذلك الا غيرة على نعمته وشفقة على خطته انى اجد الله تعالى مقت من بحر البحيرة وسيب السائبة ووصل الوصيلة وحمى الحامي فانشأ أولى بان يمقت شارعها وهي معبوده وانما جعل الله تعالى النار تذكرة ومتاعا ولم يجعلها ودا ولا سواعا ولم يضرب الله تعالى لها عيدا ولم يجعلنا لها عبيدا الله والنبي والعيد (الغلو)

عرفني قبل رؤيتي فلما خرج قال له ابليس هل في قدرة الله تعالى أن يدخل الجمل في سم الخياط فقال له اتشك في قدرة الله تعالى على أن يوسع سم الخياط حتى يدخل فيه الجمل أو يرقق الجمل حتى يصير كالخيط فيدخل في سم الخياط فانصرفا وقال ابليس لرفيقه معرفة هذا بالله تمحو ذنوبه وحاله خير من حال العابد الجاهل بالله انتهى وبيت الشيخ صفي الدين الحلي في بديعيته على نوع الاغراق

في معرك لا تثير الخيل عثيره * مما تروّى المواضي تربه بدم

بيت الشيخ صفي الدين الحلي على هذا النوع برزه بغير أداة التقريب وهو بيت عامر قريب من العقل بعيد من الوقوع عادة على شرط الاغراق لكنه غير صالح للتجريد وقد تقرر وتكرر أن بيوت البديعيات شواهد على الانواع فلا ينبغي أن يكون البيت متعلقا بما قبله ولا بما بعده وبيت بديعية العميان يقولون فيه عن النبي صلى الله عليه وسلم وقد أتوا فيه بأداة التقريب حيث قالوا

لو قابل الشهب ليلا في مطالعها * خرّت حياء وأبدت برّ محترم

وبيت الشيخ عز الدين الموصلي في بديعيته يقول فيه عن النبي صلى الله عليه وسلم

لو شاء اغراق وجه الارض أجمعه * ندى يديه لاحياها ولم يضم

وبيت بديعيتي أقول فيه عن النبي صلى الله عليه وسلم

لو شاء اغراق من ناواه مدّ له * في البر بحرا بموج فيه ملتطم

على كل تقدير مقام النبي صلى الله عليه وسلم صالح للمغالاة بالاغراق في مديحه والله اعلم

(ذكر الغلو)

(بلا غلوّ الى السبع الطباق سرى * وعاد والليل لم يجنل بصبحهم)

قد تقدم القول على المبالغة وتقرر أنها في الاصطلاح افراط وصف الشئ بالممكن القريب وقوعه عادة وتقرر أن الاغراق فوقها في الرتبة وهو في الاصطلاح افراط وصف الشئ بالممكن البعيد وقوعه عادة والغلو فوقهما فانه الافراط في وصف الشئ بالمستحيل وقوعه عقلا وعادة وهو ينقسم الى قسمين مقبول وغير مقبول فالمقبول لابد أن يقربه الناظم الى القبول بأداة التقريب اللهم الا أن يكون الغلو في مديح النبي صلى الله عليه وسلم فلا غلو ويجب على ناظم الغلو أن يسبكه في قوالب التخيلات الحسنة التي يدعو العقل الى قبولها في أول وهلة كقوله تعالى يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار فان اضاءة الزيت من غير مس نار مستحيلة عقلا ولكن لفظة يكاد قربته فصار مقبولا ومنه قول أبي العلاء المعري

تكاد قسيه من غير رام * تمكن في قلوبهم النبالا

تكاد سيوفه من غير سل * تجد الى رقابهم انسلالا

ويعجبني هنا قول ابن حمديس الصقلي في وصف فرس

ويكاد يخرج سرعة من ظله * لو كان يرغب في فراق رفيق

ومنه قول الفرزدق في علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب رضي الله عنهم اجمعين

يكاد يمسكه عرفان راحته * ركن الحطيم اذا ما جاء يستلم

العربي والتكبير الجهير وتلك الجماهير والملائكة بعد ذلك ظهير والرحمة صوبا وصبا والبركات فيضا وفضا والجنة وصراطها والنجاة واشراطها والموسم الطاهر من لغو الحديث ذلك لا ما شرع الشيطان لاوليائه نار لهم تشب ولعنة عليهم تصب وخمرة متاعها قليل وفي الآخرة خمارها طويل هذا هو العيد وذلك هو الضلال البعيد انهم ليشبون نارا هي موعدهم والنار في الدنيا عبدهم والله الى النار بعدهم ان اليهود لعلى ثرة من الكتاب وان حرفوه وان النصارى لعلى ارث من الصواب وان تصرفوه وان ابعد الامم ضلالا لهذه المجوس وان مقبل الشيطان لثالث الرؤس فمن لم يابس مع

(الغلو)

ومن الغلو المقبول بغير أداة التقريب قول ابى الطيب المتنبى فى ممدوحه

عقدت سنابكها عليه عثيرا * فلو ابتغى عنقا عليه أمكنا

معنى هذا البيت ان سنابك الخيل وهى أطراف الحوافر عقدت على هذا الممدوح عثيرا وهو الغبار حتى لو أراد أنه يمشى عليه عنقا لامكن والعنق هو المشى السريع وانعقاد الغبار فى الهواء حتى يمكن المشى عليه مستحيل عقلا وعادة الا انه تخييل حسن مقبول وقد وقع للقاضى الارجانى جمع فيه بين الشيئين الموجبين لقبول والتقريب وهما ماجرى مجرى كاد والتخييل الحسن وذلك قوله

يخيل لى أن سمر الشهب فى الدجا * وشدت باهدابى اليهن أجفانى

فقوله يخيل لى هو الجارى مجرى كاد فانه جعل الامر توهما لا حقيقة واما التخييل الحسن فهو ماذكر من تسمير الشهب وشد أجفانه اليها بأهدابه وجعل الاهداب بمنزلة الحبال ولا يخفى مافى هذا من التخييل الحسن واما الغلو الذى هو غير مقبول فكقول ابى نواس

فلما شربناها ودب دبيبها * الى موضع الاسرار قلت لها قفى

مخافة ان يسطو على شعاعها * فيطلع ندمانى على سرى الخفى

قالوا ان سطوة شعاع الخمر عليه بحيث يصير جسمه شفافا فيظهر لنديمه مافى باطنه لا يمكن عقلا ولا عادة ومنه قول بعضهم

أسكر بالامس ان عزمت على الشرب غدا ان ذا من العجب

فسكره بالامس بسبب عزمه على الشرب غدا مما لا يمكن عقلا ولا عادة أيضا ومنه قول أبى نواس

واخفت اهل الشرك حتى انه * لتخافك النطف التى لم تخلق

وهذا الذى قاله ابو نواس ايضا امر مستحيل فان قيام العرض الموجود وهو الخوف بالمعدوم وهى النطف التى لم تخلق لا يمكن عقلا ولا عادة ومن الطف ما يحكى هنا ان العتابى الشاعر لقى أبا نواس فقال له اما تستحى من الله بقولك واخفت اهل الشرك البيت فقال له ابو نواس وانت ايضا ما استحييت من الله بقولك

مازلت فى غمرات الموت مطرحا * يضيق عنى وسيع الرأى من حيل

فلم تزل دائبا تسعى بلطفك لى * حتى اختلست حياتى من يدى اجلى

فقال العتابى قد علم الله وعلمت ان هذا ليس مثل قولك ولكنك اعددت لكل سؤال جوابا ومنه قول بعضهم

قد كان لى فيما مضى خاتم * واليوم لو شئت تمنطقت به

وذبت حتى صرت لو زج بى * فى مقلة النائم لم ينتبه

ومثل هذا ايضا لا يقبله العقل ولا عليه رونق القبول قلت ومراتب الغلو تتفاوت الى ان تؤول بقائلها الى الكفر فمن ذلك قول ابن دريد

مارست من لو هوت الافلاك من * جوانب الجو عليه ماشكا

قيل انه لاجل هذا البيت والادعاء العظيم الذى ادعى فيه ابتلى بمرض كان فيه يخاف من الذباب أن يقع عليه ومنه قوله

اليهود غيارهم ولم يعقد
مع النصارى زنارهم ولم
يشب مع المجوس نارهم
هدى ولو شهد المسلمون
البيت ما شهدوه الا
مفسونا محظورا وحجرا
محجورا ولو علقوا الصليب
ما علقوه الا كذبا وزورا
ونكرا منكورا وليست
النار بنكر ولا فسوق انما
هو الكفر الصحيح والشرك
الصريح والدين تحمله
الريح ولا يستريح ان
المجوسية حلوة خضراء
وأد البنات ونيك الامهات
واشرب وهات وملح الترهات
وان هذا الدين لذو تبعات
الصوم والفطام شديد
والحج والمرام بعيد والصلاة
والنوم لذيذ والزكاة والمال
عزيز وصدق الجهاد
والرأس لا ينبت بعد الحصاد
والصبر الحامض والعفاف
اليابس والجد الخشن
والصدق المر والحق الثقيل

ولو

ولوحى المقدار عنه مهجة * لرامها اونستبيح ما حمى
تغدو المنايا طائعات امره * ترضى الذى يرضى وتأبى ما ابى

ومثله قول ابى الطيب

كانى دحوت الارض من خبرتى بها * وكان بنا الاسكندر السد من عزمى

هذا أيضا من الغلو الذى يؤدى الى سخافة العقل مع ما فيه من قبح التركيب وبعده عن البلاغة وأقبح من هذا كله قول عضد الدولة

ليس شرب الراح الافى المطر * وغناء من جوار فى السحر
غانيات سالبات للنهى * ناغمات من تضاعيف الوتر
مبرزات الكاس من مطلعها * ساقيات الراح من فاق البشر
عضد الدولة بان ركنها * ملك الاملاك غلاب القدر

روى انه لم يفلح بعد هذا القول وكان لا ينطق الا بقوله تعالى ما أغنى عنى ماليه هلك عنى سلطانيه ولولا الاطالة وهو نظم غير مقبول لاوردت كثيرا من نظم الذين كانوا يتساهلون فى هذا النوع كأبى نواس وابن هانئ الاندلسى والمتنبى وابى العلاء المعرى وغيرهم من المتأخرين كابن نبيه ومن جرى مجراه وكنت من المبادى استقبح قول الشيخ صفى الدين الحلى واستقل ادبه بقوله فى موشحه الذى أوله

دارت على الدوح سلاف القطر

وذلك قوله فى ممدوحه

لوقابل الاعمى غدا بصيرا * ولورأى ميتا غدا منشورا
ولوبدا كان الظلام نورا * ولو أتاه الليل مستجيرا
آمنه من سطوات الفجر

وبيته فى بديعيته على هذا النوع اعنى الغلو قوله

عزيز جار لو الليل استجاربه * من الصباح لعاش الناس فى الظلم

قلت هذا الغلو هنا مقبول فى مديح النبى صلى الله عليه وسلم غير لائق بممدوحه الذى اشار اليه فى موشحه بقوله

ولو اتاه الليل مستجيرا * آمنه من سطوات الفجر

فقد تقرر ان الناظم اذا قصد الغلو فى مديح النبى صلى الله عليه وسلم فلا غلو وبيت العميان فى بديعيتهم يقولون فيه عن النبى صلى الله عليه وسلم

تكاد تشهد ان الله ارسله * الى الورى نطف الابناء فى الرحم

فنسبة الشهادة الى النطف وهى فى الارحام لا تمكن عقلا وما استحال عقلا استحال عادة وهذا الغلو هنا مقبول فى مديح النبى صلى الله عليه وسلم وقد زاد الناظم تقريبه بكاد ولكن ذكر الارحام والنطف فى المدائح النبوية ما يخلو من قلة أدب وبيت الشيخ عز الدين فى بديعيته يقول فيه عن النبى صلى الله عليه وسلم

فى مدحه نغمات لا غلو بها * يكاد يحيى شذاها بالى الرمم

والكظم وفى اللقمة والعظم والناس رجلان موفق يوعظ فيقبل ويغنم ومخذول تأخذه العزة بالاثم فحسبه جهنم والسلام

(وله اليه أيضا)

قد بعث الى الشيخ اطال الله بقاءه باصل مال مجونه وأصان ان شاء الله عن فروعه فاما القسمة الواقعة لفلان فلو كان حمارى لنقشت على بطنه التبن ونقلت على ظهره اللبن افأودى عنه الغرامة لا ولا كرامة انا والله لا أربط فى الاصطبل مثل ذلك الطبل انى لانفس بالعذار على ذلك الحمار من ذلك الثور حتى يحتمل منه الجور الموت ولا هذا الصوت والمنية ولا هذه الدنيه والسلام

(وله اليه ايضا)

خلق الله الخيرات وجعل

نجمات هذا البيت عطرت الوجود بالمديح النبوى وغلوها فيه ملحوظ بعين القبول وتقريبها
يكاد أحرز قصبات السبق ولا اقول كادوهذا البيت عندى مقدم على بيت الشيخ صفى الدين
و بيت العميان لالتزامه بتسمية النوع البديعى وورى به من جنس المديح مع انسجامه ورقته
وبيت بديعيتى اقول فيه عن النبى صلى الله عليه وسلم

بلا غلو الى السبع الطباق سرى * وعادوا الليل لم يجفل بصحبهم

هذا الغلو يرخص عنده بانتظامه فى سلك المدائح النبوية كل غلو فانه لو كان فى غير النبى صلى
الله عليه وسلم استحال عقلا وعادة ونعوذ بالله من نسبته الى غيره فانها تؤدى الى الكفر المحض
وحصره فى النبى صلى الله عليه وسلم متفق عليه عقلا ونقلا وقولى عند نظم هذا النوع بلا غلو
يعلم طالب هذا العلم طريق سلوك الادب وهذا البيت من خلاصات المدائح النبوية فنرجو
الله أن تشملنا بركة ممدوحه صلى الله عليه وسلم والله أعلم

(ذكر ائتلاف المعنى مع المعنى)

(سهل شديد له بالمعنيين بدا * تأنف فى العطا والدين للعظم)

هذا النوع وهو ائتلاف المعنى مع المعنى ضربان فالاول فى الاصطلاح هو أن يشتمل الكلام
على معنى معه أمران احدهما ملائم والآخر بخلافه فيقرنه بالملائم واستشهدوا عليه بقول
ابى الطيب المتنبى

فالعرب منه مع الكدرى طائرة * والروم طائرة منه مع الحجل

وقالوا ان تقوية المعنى الاول مناسبة القطا الكدرى مع العرب لانه يلائمهم بنزوله فى السهل
من الارض وبتقربه من العمران ويستأنس بالمهامه ولا يقرب العمران الا اذا ازداد به العطش
وقل الماء فى البر ومناسبة الحجل مع الروم انها تسكن الجبال وتنزل فى المواضع المعروفة بالشجر
والضرب الثانى هو ان يشتمل الكلام على معنى ومعنى ملائمين له فيقرن بهما مالاقترانه مزية
واستشهدوا على هذا الضرب الثانى بقول أبى الطيب المتنبى ايضا

وقفت وما فى الموت شك لواقف * كأنك فى جفن الردى وهو نائم
تمر بك الابطال كلمى هزيمة * ووجهك وضاح وثغرك باسم

وقالوا ان عجز كل من البيتين يلائم كلا من الصدرين وما اختار ذلك الترتيب الا لامرين
احدهما ان قوله كأنك فى جفن الردى وهو نائم تمثيل السلامة فى مقام العطب ولهذا قرنه
الوقوف والبقاء فى موضع يقطع على صاحبه فيه بالهلاك أنسب من جعله مقررا لثباته فى حال
هزيمة الابطال والثانى ان فى تأخير التتميم بقوله ووجهك وضاح وثغرك باسم عن وصف الممدوح
بوقوفه ذلك الموقف ومرور ابطاله كلمى بين يديه ما يفوت بالتقديم ولعمرى ان الضرب الثانى
من ائتلاف المعنى مع المعنى ابدع من الضرب الاول واوقع فى القلوب واقرب الى مواقع الذوق
وعليه نظمت بيت بديعيتى و يأتى الكلام عليه فى موضعه ولكن هنا نكتة تزيد بديع الضرب
الثانى ايضاحا وترشح قصد المتنبى فى ترتيبه الذى تقدم عليه الكلام حكى ان سيف الدولة بن
حمدان ممدوح المتنبى قال عند انشاده اياه هذين البيتين يا أبا الطيب قد انتقدنا عليك كما انتقد
على امرئ القيس فى قوله

(ائتلاف المعنى مع المعنى)

الدين مناطها وجمع الفتاوى وجعل الالحاد رباطها وكل طائفة تفتخر بالله بزعمها وتدينه بمبلغ علمها تقول اليهود نحن أبناء الله وخلله ووزرة اسرائيله وتدعى النصارى انها صفوة جبله وحملة انجيله والصابئة تفتخر بجبريله وتقول بميكائيله والمجوس على اثر من سبيله واثرة من قبله ونحن بحمد الله حملة تنزيله والعلماء بتأويله وأبو منصور الكروجى لا يهودى يشهد سبته ولا نصرانى أعرف نفسه ولا مجوسى يعبد جبته ولا مسلم محسوس انه فى بلغى ينيك بنته ولا يغسل استه فالى أى دين أخاصمه والى أى مذهب أحاكمه و أنا الى رأى الشيخ الرئيس ومعرفته فقير وهو بهما الى جدير والسلام

* (وله الى ابى محمد بن حاتم) *

كأني لم أركب جوادا لغارة * ولم أتبطن كاعبا ذات خلخال

ولم أسبأ الزق الروي ولم أقل * لخيلي كري كرة بعد اجفال

فقال المتنبي أيها الأمير ان صح ان البزاز أعلم بالثوب من حائكه فقد صح ما انتقد على امرئ القيس وعلي فان امرأ القيس أحب ان يقرن الشجاعة باللذة في بيت واحد وهو الأول وقد وقع مثل هذا في الكتاب العزيز وهو قوله تعالى ان لك أن لا تجوع فيها ولا تعرى وانك لا تظمأ فيها ولا تضحى فانه تعالى لم يراع فيه مناسبة الري بالشبع والاستظلال باللبس في تحصيل نوع المنفعة بل راعى مناسبة اللبس للشبع في حاجة الانسان اليه وعدم استغنائه عنه ومناسبة الاستظلال للري في كونهما تابعين اللبس والشبع قلت وأما جواب المتنبي عن قول امرئ القيس

كأني لم أركب جوادا لغارة * ولم أتبطن كاعبا ذات خلخال

فهو الافتنان بعينه وهو نوع من أنواع البديع العالية وقد تقدم وبيت الشيخ صفي الدين الحلي في بديعيته على هذا النوع قوله

من مفرد بغرار السيف منتثر * ومزدوج بسنان الرمح منتظم

قد كثر تكرار القول بان المراد من بيت البديعية أن يكون شاهدا على نوعه وان لم يكن صالحا للتجريد لم يصح الاستشهاد به على ذلك النوع وبيت الشيخ صفي الدين الحلي هنا غير صالح للتجريد وعدم صلاحه للتجريد هو الذي عقده وحجب ايضاح معناه عن مواقع الذوق والعميان ما نظموا هذا النوع في بديعيتهم وبيت الشيخ عز الدين الموصلي في بديعيته يقول فيه عن النبي صلى الله عليه وسلم

ذو معنيين بعصب والعدا ائتلفا * للخلف ما أشهب البازي كالرخم

قلت ان هذين المعنيين لشدة العقادة اتعبت الفكر فيهما على أن يتضح لي منهما معنى فعجزت عن ذلك والله أعلم وبيت بديعيتي أقول فيه عن النبي صلى الله عليه وسلم

سهل شديد له بالمعنيين بدا * تألف في العطا والدين للعظم

وقد تقدم قولي ان بيت بديعيتي منظوم في سلك الضرب الثاني لكونه أبدع وأوقع في الذوق من الضرب الاول وهو أن يشتمل الكلام على معنى وملائمين فيقرن بهما ما يلائم ويظهر باقترانه مزية فسهولة النبي صلى الله عليه وسلم قرنتها بالعطاء وناهيك بهذه الملاءمة وشدته صلى الله عليه وسلم قرنتها بالدين لعظمه فأكرم بها ملاءمة وشرف قران وقد ورد نص الكتاب بذلك في قوله تعالى محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم وقولي في القافية للعظم بعد ثبوت الشدة للدين في غاية التمكين والله أعلم

(ذكر نفي الشيء بايجابه)

لا ينتهي الخير من ايجابه أبدا * ولا يشين العطايا بالمن والسأم

نفي الشيء بايجابه هو ان يثبت المتكلم شيأ في ظاهر كلامه وينفي ما هو من سببه مجازا والمنفي في باطن الكلام حقيقة هو الذي اثبته كقوله تعالى ما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع فان ظاهر الكلام نفي الذي يطاع من الشفعاء والمراد نفي الشفيع مطلقا وكقوله تعالى لا يسألون

ابو الفضل رحم الله شبابه واحسن مآبه وأجزل ثوابه وابقى أباه وجبر مصابه فنيرالي سقجقمس سقانج الا خوخة يجملها بينه وبين النار جازا ويصطحبها جهازا وينفقها على الصراط ليجد جوازا ويقدمها المطيه مفازا واظن فلانا مكينا بايصالها ثقة في احتمالها ولا شك ان الشيخ لا ينفس على ذلك الفرط الصالح والولد الفاتح بما يعلم حاجته اليه ولكاني به يقول وما معنى الفاتح ومعناه ان رجلا كان يأتي الى النبي صلى الله عليه وسلم ومعه ولد عليه عقيصتان فجاء يوما وحده فقال النبي صلى الله عليه ما فعل ذو العقيصتين فبكى الرجل وقال ان الله استأثر به فقال عليه السلام ألا يسرك أن لا تأتي بابا من أبواب الجنة الا رأيت ابنك يفتحه

(نفي الشيء بايجابه)

الناس الحافا فان ظاهر الكلام نفى الالحاف فى المسئلة والباطن نفى المسئلة بتة وعليه اجماع المفسرين وذكر ابن أبى الاصبع فى كتابه المسمى بتحرير التحبير انه منقول عن ابن عباس رضى الله عنهما وهذا هو الحد الذى قرره ابن رشيق فى العمدة فانه قال نفى الشئ بايجابه اذا تأملته وجدت باطنه نفيا وظاهره ايجابا واستشهد عليه بقول زهير

بأرض خلاء لا يسد وصيدها * علىّ ومعروفى بها غير منكر

فاثبت لها فى الظاهر وصيدا ومراده فى الباطن أن ليس لها وصيد فيسد والطف ما رأيت من شواهد هذا النوع اعنى نفى الشئ بايجابه قول مسلم بن الوليد

لا يعبق الطيب خديه ومفرقه * ولا يمسح عينيه من الكحل

فان ظاهر الكلام نفى عبق الطيب ومسح الكحل والمراد نفى الطيب والكحل مطلقا ومثله قول أبى الطيب المتنبى

افدى ظباء فلاة ما عرفن بها * مضغ الكلام ولا صبغ الحواجيب

ولا برزن من الحمام مائلة * أوراكهن صقيلات العراقيب

فظاهر الكلام عدم بروزهن من الحمام على تلك الهيئة والمراد فى باطن الكلام عدم الحمام مطلقا فانهن عربيات كظباء الفلاة ولهذا قال ذو الرمة

بالله يا ظبيات القاع قلن لنا * ليلاى منكن أم ليلى من البشر

والقصد أن حسنهن لم يفتقر الى تصنع ولا الى تطرية بدخول الحمام وبيت الشيخ صفى الدين الحلى فى بديعيته على هذا النوع اعنى نفى الشئ بايجابه يقول فيه عن النبى صلى الله عليه وسلم

لا يهدم المن منه عمر مكرمة * ولا يسوء اذاه نفس متهم

فظاهر الكلام فى بيت الشيخ صفى الدين الحلى ان النبى صلى الله عليه وسلم لا يتبع المكرمة بمن وحاشاه من ذلك ولا يصدر منه لنفس متهم اساءة والمراد فى الباطن نفى المن والاساءة مطلقا فان مقام النبى صلى الله عليه وسلم فى الكرم والحلم فوق ذلك والعميان لم ينظموا هذا النوع فى بديعيتهم وبيت الشيخ عز الدين غفر الله له يقول فيه عن النبى صلى الله عليه وسلم

لم ينف ذما بايجاب المديح فتى * الا وعاقدت فيه الدهر بالسلم

هذا البيت ليس له تعلق بهذا النوع فان مشايخ البديع تواردوا فى حده على عبارة واحدة لم تختلف بحرف بل الجميع قالوا نفى الشئ بايجابه هو أن يثبت المتكلم شيأ فى ظاهر كلامه وينفى ما هو من سببه مجازا والمنفى فى باطن الكلام حقيقة هو الذى أثبته وأوردوا على ذلك ما تقدم من شواهد القرآن العظيم والشواهد الشعرية التى زادت النوع ايضاحا ولم يتضح لى فى بيت الشيخ عز الدين غفر الله له لمعة استضئ بها فى ظلمة هذه العقادة الى تقرير هذا النوع فى البيت المذكور فلم يسعنى غير النظر فى شرحه فوجدته قد قال ما نفى الذم بايجاب المديح كريم الا وكان النبى صلى الله عليه وسلم قد عاقد الدهر بالسلم على ذلك المعنى قبل الذى فعل هذا الفعل المحمود فانه هو الاصل فى الاسباب الخير بجميعها فما علمت ما مراده فى النظم ولا فى الشرح ولا اين استقر نفى الشئ بايجابه والله أعلم وبيت بديعيتى اقول فيه عن النبى

صلى

لك وما قصدت بهذه الرقعة اعظم من قضاء حق ذلك الفاضل رحمه الله وارجو ها تقع من وفاق الشيخ موقعها ان شاء الله تعالى

(وله الى الفقيه اسمعيل ابن ابراهيم المقرى)

هل اطال الله بقاء الفقيه نقضى حقين عظيمين لم ارض لنفسى فيما سواه عديلا وان نشط لم أبغ به بديلا حرمتان أولاهما واولاهما حرمة الغصن المختضر والورق المختضر والكمال المختصر والشباب المبتصر والاخرى حرمة العلم العاطل والحق فى معرض الباطل

صلى الله عليه وسلم

لا ينتقي الخير من ابنائه ابدا * ولا يشين العطايا بالمن والسأم

الذى أقوله ان محاسن هذا البيت ببركة ممدوحه صلى الله عليه وسلم تغني عن التطويل فى شرحه وسهولة مأخذ النوع منه لم تفتقر الى زيادة ايضاح وما أحسنه هنا بقول القائل

وقد ظهرت فلا تخفى على أحد * الا على اكمه لا يعرف القمرا

(ذكر الايغال)

(الجود فى السير ايغال اليه وكم * حبا الانام بود غير منصرم)

هذا النوع مأخوذ من ايغال السير فانه يقال اوغل فى السير اذا بلغ غاية قصده بسرعة ولهذا قلت الجود فى السير ايغال اليه البيت ومعنى ذلك أن المتكلم أو الشاعر اذا انتهى الى آخر القرينة أو البيت استخرج سجعة أو قافية يريد معنى زائدا وكل منهما فكأن المتكلم والشاعر قد تجاوز حد المعنى الذى هو آخذ فيه وبلغ مراده فيه الى زيادة عن الحد وهذا النوع مما فرعه قدامة وفسره بان قال هو ان يستكمل الشاعر معنى بيته بتمامه قبل أن يأتى بقافيته فاذا اراد الاتيان بها ليكون الكلام شعرا أفاد بها معنى زائدا على معنى البيت كقول ذى الرمة

قف العيس فى آثار مية واسأل * رسوما كأخلاق الرداء المسلسل

فتم كلامه قبل القافية فلما احتاج اليها أفاد بها معنى زائدا وكذلك صنع فى البيت الذى بعده حيث قال

اظن التى يجدى عليك سؤالها * دموعا كتبديد الجمان المفصل

فانه تم كلامه بقوله كتبديد الجمان واحتاج الى القافية فأتى بما يفيد معنى زائدا ولو لم يأت به لم يحصل انتهى والفرق بين الايغال والتتميم ان التتميم يأتى الى المحتاج فيتممه كقول الشاعر وقد تقدم

أناس اذا لم يقبل الحق منهم * ويعطوه عاذوا بالسيوف القواضب

فان المعنى بدون قوله ويعطوه ناقص والايغال لا يرد الا على المعنى التام فيزيده كمالا ويفيد نسبه معنى زائدا غير أن بين الايغال والتكميل تجاذبا يكاد أن ينتظم كل منهما فى سلك الآخر ولكن رأيت الناس قد سلموا الى قدامة ما اختاره وفرعه هنا فمشيت مع الناس واستشهدوا على الايغال بقوله تعالى أفحكم الجاهلية يبغون ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون فان الكلام تم بقوله تعالى ومن أحسن من الله حكما ثم احتاج الكلام الى فاصلة تناسب القرينة الاولى فلما أتى بها أفاد معنى زائدا قلت ولعمرى لو طلب التكميل حقه من هذا الشاهد لم يمنعه الذوق السليم ومثله قوله تعالى ولا يسمع الصم الدعاء اذا ولوا مدبرين فان المعنى تم بقوله تعالى ولا يسمع الصم الدعاء ثم اراد وهو أعلم اتمام الكلام بالفاصلة فقال اذا ولوا مدبرين وقد حكى عن الاصمعى انه سئل من اشعر الناس فقال الذى يأتى الى المعنى الخسيس فيجعله بلفظه كبيرا وينقضى كلامه قبل القافية فان احتاج اليها أفاد معنى زائدا فقيل له نحو من فقال نحو الفاتح لابواب المعانى وهو امرؤ القيس حيث قال

كأن عيون الوحش حول خبائنا * وارحلنا الجزع الذى لم يثقب

الايغال

والدين فى اسر الفقر والنعمة فى يد الدهر امل الله يسهل سعيه للاول فوزا أو نجاه وللآخر بضاعة مزجاه ويصون وجهه عن الابتذال ان اجرهما العظيم وقد طويت هذه الرقعة عليهما فليوصلها وليتجشم وليتكلم عليهما بما يعلم

(وله الى الشيخ الامام أبى الطيب سهل بن محمد الصعلوكى)

كتابى أطال الله بقاء الشيخ الفاضل الامام اتباعا لرضاه ونزولا حيث يراه والاصل فى هذه المخاطبات ان الله تعالى جعل تعظيم النبوة فرضا فقال لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا فلما ختمت الرسالة وجاءت الامامة وردت اليها الكرامة فقيل لابى بكر يا خليفة رسول الله فجعل الله الخلافة شعار

ومثله قول زهير كأن فتات العهن فى كل منزل * نزلن به حب الفنا لم يحطم

فكلام امرئ القيس انتهى الى قوله الجزع وزيادة المعنى فى قوله الذى لم يثقب ولا يخفى على حذاق الادب ما فيها من المحاسن ومعنى قول زهير انتهى فى كلامه الى قوله حب الفنا وزيادة المعنى فى قوله لم يحطم فيها نكتة بديعية غريبة وانا اذكرها هنا تنبيها على ما قرره الاصمعى وما ذاك الا ان زهيرا شبه ما تفتت من العهن بحب الفنا والفنا شجر ثمره حب احمر وفيه نقط سود وقال الفراء هو عنب الثعلب فلما قال زهير بعد تمام معنى بيته لم يحطم أراد أن يكون حب الفنا صحيحا لانه اذا كسر ظهر له لون غير الحمرة وقال ابن أبى الاصبع فى كتابه المسمى بتحرير التحبير ولقد أحسن ابن المعتز فى ايغاله بقوله لابن طباطبا العلوى

فانتم بنو بنته دوننا * ونحن بنو عمه المسلم

فانه تحيل على المساواة بأن قال ونحن بنو عمه المسلم والكلام تم قبل الاتيان بالقافية فلما أتى بها افادت معنى اذ لا طريق له الى التفضيل بزيادة فى حسن الجد والذى وقع اتفاق البديعيين عليه أن اعظم ما وقع فى هذا الباب وابلغ قول الخنساء اخت صخر

وان صخرا لتأتم الهداة به * كأنه علم فى رأسه نار

فان معنى جملة البيت كامل دون القافية فوجودها زيادة لم تكن له قبلها وهذه المرأة لم ترض لاخيها أن يأتم به جهال الناس حتى جعلته يأتم به أئمة الناس وهذا تتميم ولم ترض تشبيهه بالعلم وهو الجبل المرتفع المعروف بالهداية حتى جعلت فى رأسه نارا ويعجبنى من أمثلة هذا النوع فى شعر المتأخرين قول الباخرزى من قصيدة

انا فى فؤادك فارم طرفك نحوه * ترنى فقلت لها وأين فؤادى

ومثله قول الآخر

تعجبت من ضنى جسمى فقلت لها * على هواك فقالت عندى الخبر

وبيت الشيخ صفى الدين الحلى فى بديعيته يقول فيه عن النبى صلى الله عليه وسلم

كأن مرآه بدر غير مستتر * وطيب رياه مسك غير مكتتم

الايغال مع الشيخ صفى الدين فى غير مستتر وغير مكتتم والعميان ما نظموا هذا النوع فى بديعيتهم وبيت الشيخ عز الدين الموصلى فى بديعيته يقول فيه عن النبى صلى الله عليه وسلم

اضحت اعاديه فى الاقطار طائرة * واوغلت فى الهوى خوفا مع العصم

قال الشيخ عز الدين غفر الله له فى شرحه ان الايغال الذى افاد فى بيته معنى زائدا بعد تمامه قوله خوفا مع العصم وذكر ان العصم هى الجوارح من الطيور التى تفرخ فى العوالى والله أعلم وبيت بديعيتى اشير فيه الى النبى صلى الله عليه وسلم بقولى

للجود فى السير ايغال اليه وكم * حبا الانام بود غير منصرم

فمعنى بيتى انتهى الى قولى عنه صلى الله عليه وسلم حبا الانام بود ولما قلت بعد ذلك غير منصرم اشارة الى ود النبى صلى الله عليه وسلم ظهر لى من زيادة المعنى ما اقام قواعد بيتى وملأ الدنيا بهجة بمحاسن الصفات النبوية والله أعلم

(ذكر التهذيب والتأديب)

آل أبى قحافة لم يدع بها غير صاحبهم ثم استخلف أبو بكر عمر فقال رجل يا خليفة الله قال خالف الله بك ذاك نبى الله داود ثم قال يا خليفة رسول الله قال ذاك صاحبكم المفقود ثم قال يا خليفة خليفة رسول الله فقال انى لكما تقول ولكن هذا الامر يطول قال افنسميك قال لا تبخس مقامى شرفه أنتم المؤمنون وانا اميركم فقيل الامام وامير المؤمنين ولعمرى العام أولى بكرامة رسول الله صلى الله عليه وسلم من خليفة زماننا هذا ان العام ليجدد رسومه ويدرس علومه

قوله العصم هى جمع اعصم وفى القاموس الاعصم من الظباء والوعول ما فى ذراعيه أو فى احدهما بياض وسائره أسود أو احمر انتهى المراد منه فما ذكره الشيخ عز الدين فى تفسيرها غير صواب اه

التهذيب والتأديب

(تهذيب تاديبه قدزاده عظما * فى مهده وهو طفل غير منتظم)

نوع التهذيب والتأديب ماقرر واله شاهدا يخصه لانه وصف يم ل كلام منقح محرر وهوعبارة عن ترداد النظر فى الكلام بعد عمله والشروع فى تهذيبه وتنقيحه نظما كان أو نثرا و تغيير مايجب تغييره وحذف ماينبغى حذفه واصلاح مايتعين اصلاحه وكشف مايشكل من غريبه واغرابه وتحرير مايدق من معانيه واطراح مايتجافى عن مضاجع الرقة من غليظ الفاظه لتشرق شموس التهذيب فى سماء بلاغته وترشف الاسماع على الطرب رقيق سلافته فان الكلام اذا كان موصوفا بالمهذب منه وتابالمنقح علت رتبته وان كانت معانيه غير مبتكرة وكل كلام قيل فيه لو كان موضع هذه الكلمة غيرها اولو تقدم هذا المتأخر وتأخر هذا المتقدم اولو تم هذا النقص بكذا أولو تكمل هذا الوصف بكذا أولو حذفت هذه اللفظة اولو اتضح هذا المقصد وسهل هذا المطلب لكان الكلام احسن والمعنى أبين كان ذلك الكلام غير منتظم فى سلك نوع التهذيب والتأديب وكان زهير بن ابى سلمى معروفا بالتنقيح والتهذيب وله قصائد تعرف بالحوليات قيل انه كان ينظم القصيدة فى أربعة اشهر ويهذبها و ينقحها فى اربعة اشهر ويعرضها على علماء قبيلته اربعة اشهر ويروى انه كان يعمل القصيدة فى شهر وينقحها و يهذبها فى احد عشر شهرا ولاجرم انه قلما يسقط منه شئ ولهذا كان الامام عمر ابن الخطاب رضى الله عنه مع جلالته فى العلم وتقدمه فى النقد يقدمه على سائر الفحول من طبقته وما احسن ما اشار ابو تمام الى التهذيب بقوله

خذها ابنة الفكر المهذب فى الدجى * والليل اسود رقعة الجلباب

فانه خص تهذيب الفكر بالدجى لكون الليل تهدأ فيه الاصوات وتسكن الحركات فيكون الفكر فيه مجتمعا ومرآة التهذيب فيه صقيلة لخلو الخاطر وصفاء القريحة لاسيما وسط الليل والنفس قد أخذت حظها من الراحة بعد نيل قسطها من النوم وخف عليها ثقل الغذاء وصح ذهنها وصار صدرها منشرحا وقلبها بالتأليف منبسطا وما قدموا وسط الليل فى التأليف على السحر مع مافيه من رقة الهواء وخفة الغذاء واخذ النفس سهمها من الراحة الالما يكون فيه من انتباه اكثر الحيوان الناطق وارتفاع معظم الاصوات وجرس الحركات وتقشع الظلماء بطلائع الاضواء وبدون ذلك ينقسم الفكر و يشتغل القلب ووسط الليل خال مما ذكرناه ولهذا خص ابو تمام تهذيب الفكر بالدجى عادلا عن الطرفين لمافيهما من الشواغل المذكورة وحكت الثقات عن ابى عبادة البحترى الشاعر قال كنت فى حداثتى اروم الشعر وكنت ارجع فيه الى طبع سليم ولم اكن وقفت له على تسهيل مأخذ ووجوه اقتضاب حتى قصدت ابا تمام وانقطعت اليه واتكلت فى تعريفه عليه فكان اول ما قال لى يا أبا عبادة تخير الاوقات وانت قليل الهموم صفر من الغموم واعلم ان العادة فى الاوقات اذا قصد الانسان تأليف شئ أو حفظه ان يختار وقت السحر وذلك ان النفس تكون قد أخذت حظها من الراحة وقسطها من النوم وخف عنها ثقل الغذاء * وصفا من اكثر الابخرة والادخنة جسم الهواء * وسكنت الغماغم * ورقت النسائم * وتغنت الحمائم واذا شرعت فى التأليف تغن بالشعر فان الغناء مضماره الذى يجرى فيه * واجتهد فى ايضاح معانيه *

ويفتش حديثه ويضبط أصوله ويخرج فروعه وان الخليفة لا يألوه خلافا ولا يألونا جزافا جاءنا رجل يصحب السرير ويسحب الحرير ويفرش الحصير ويخوض العبير يخلف بزعمه رجلا كان يقتات الشعير ويروى البعير ويركب الحمير ويكلم الصغير ويجالس الفقير ويؤاكل الاسير فرق بينهما بعد هذا وان لم يحسن العشرة ولم يجمل الرأى والنية وفيم علك الامامة وهذا الحسن البصرى يتعظ به البدرى ويستفيد منه العقبى وتقول عائشة كانه اذا تكلم النبى قال له رجل ما يقول الفقيه فقال له فاها الفقيه سفيها وهل رأت عيناك بعد الصحابة فقيها وما أجد للشيخ مثلا الا صاحب النسور والنشور والحديث على بعده مقول والخبر على ضعفه منقول وعلى الراوى عهدة الخبر وضمان درك الاثر وخفارة الحديث حتى يبلغ مأمنه من القلوب وينزل منزله من القبول ان النسور سمت

فان اردت التشبيب فاجعل اللفظ رقيقا والمعنى رشيقا واكثر فيه من بيان الصبابة * وتوجع الكآبة * وقلق الاشواق * ولوعة الفراق * والتعلل باستنشاق النسائم * وغناء الحمائم * والبروق اللامعة * والنجوم الطالعة * والتبرم من العذال * والوقوف على الاطلال * واذا أخذت في مدح سيد فأشهر مناقبه * وأظهر مناسبه * وأرهب من عزائمه ورغب في مكارمه * واحذر المجهول من المعاني واياك أن تشين شعرك بالعبارة الرديه والالفاظ الوحشيه * وناسب بين الالفاظ والمعاني في تأليف الكلام * وكن كأنك خياط تقدر الثياب على مقادير الاجسام * واذا عارضك الضجر فأرح نفسك ولا تعمل الا وأنت فارغ القلب ولا تنظم الا بشهوة فان الشهوة نعم المعين على حسن النظم وجملة الحال أن تعتبر شعرك بما سلف من اشعار الماضين فما استحسن العلماء فاقصده وما استقبحوه فاجتنبه انتهت وصية ابي تمام * واورد العلامة زكي الدين بن ابي الاصبع في كتابه المسمى بتحرير التحبير وصية لنفسه اوردها ايضا على نوع التهذيب والتأديب فاخترت منها ما هو اللائق بالحال واولها ينبغي لك ايها الراغب في العمل السائل عن اوضح السبل أن تحصل المعنى قبل الشروع في النظم والقوافي قبل الابيات قلت وهذا مذهب تام قال ابن ابي الاصبع قال ولا تكره الخاطر على وزن مخصوص وروي مقصود وتوخ الكلام الجزل دون الرذل والسهل دون الصعب والعذب دون المستكره والمستحسن دون المستهجن ولا تعمل نظما ولا نثرا عند الملل فان الكثير معه قليل والنفيس معه خسيس والخواطر ينابيع اذا رفق بها جمت واذا كثر استعمالها نزحت و'كتب كل معنى يسنح وقيد كل فائدة تعرض فان نتائج الافكار كلمعة البرق ولمحة الطرف ان لم تقيدها شردت وندت وان لم تستعطف بالتكرار عليها صدت والترنم بالشعر مما يعين عليه فقد قال الشاعر

تغن بالشعر اما كنت قائله * ان الغناء لقول الشعر مضمار

وقد يكل خاطر الشاعر ويعصى عليه الشعر زمانا كما روى عن الفرزدق انه قال انا اشعر تميم على زمان وقع ضرس من اضراسي اهون علي من أن أقول بيتا واحدا واذا كان كذلك فاتركه حتى يأتيك عفوا وينقاد اليك طوعا واياك وتعقيد المعاني وتقصير الالفاظ وتوخ حسن النسق عند التهذيب ليكون كلامك بعضه آخذا باعناق بعض وكرر التنقيح وعاود التهذيب ولا يخرج عنك ما تنظمه الا بعد تدقيق النقد واعمان النظر انتهى قلت وهذا لعمري هو المراد من النوع الذي نحن في شرحه اعني نوع التهذيب والتاديب لا كقول الفرزدق

وما مثله في الناس الا مملكا * ابو امه حي أبوه يقاربه

فان الممدوح ابراهيم بن هشام المخزومي خال هشام بن عبد الملك واما التقديم والتأخير ففي قوله وما مثله البيت فان تقديره وما مثله في الناس حي يقاربه الا مملكا ابو امه ابوه وسلوك طريق التعقيد في قوله ابو امه ابوه وكان يجزيه قوله جده وهذا لعمري هو التعقيد الذي بينه وبين التهذيب والتأديب الذي قررناه بعد المشرقين وقد تقدم قولي ان البديعيين اجمعوا على ان هذا النوع ليس له شاهد يخصه لانه وصف يعم كل كلام منقح فاختصرت الشواهد ليظهر للمتأمل من أحرز قصبات السبق من نظام البديعيات في هذا النوع اعني التهذيب

يتناوبه صعدا الى السماء حتى تطرقا اكرا لجبال ثم تطرقا الارض ثم تطرقا بريشها كذلك الشيخ الامام قد سمت به الهمة الى حيث ينظر فلا يرى احدا فليتطامن الى الغمام ان لم يتواضع الى الانام ولم وهو بحمد الله ان ذكر الشرف كان بذروته او الدين تمسك بعروته او العلم احتبى بعقوته او الجود تعلق بحبوته قلت شعري بن هذي فضائله ماذا الذي يبلوغ النجم ينتظر (وله الى الفقيه الداوردي ابي القاسم) الفضل اطال الله بقاء الفقيه قبيح وهو بالسرقين أقبح والحسن بدعة ومن البشر ابدع ومن الغرائب ان يفضل البشر بما يسلح البشر وكانوا بالفضل على الطيب يعذلون وأراهم في كل عام يرذلون ووردت رقعة وكيلي يزعم أن وكيله

والتأديب ولكن رأيت العلامة زكى الدين بن أبي الاصبع قد استخص من الشواهد اللائقة بهذا النوع قول القاضي السعيد بن سنا الملك

نفى عليها حلى ازهارها * وفاحت فقلنا هذه الروضة الغنا

قال وقوله صحيح لو لم تقدم في صدر البيت لفظة مشتقة من الغناء حصل بها في البيت من الرونق ما لا يحصل بدونها وكان البيت خاليا من التهذيب فان وجد ما حصل في بيته تصدير وتجنيس وائتلاف وتهذيب وانتفى عنه من العيوب عدم الائتلاف وقلق القافية وبذلك تقدم التهذيب فانه لو قال

زهت بأزاهير الجمال وحسنها * وفاحت فقلنا هذه الروضة الغنا

لظهر قلق القافية وعكس تلك الاولى بسبب تصدير البيت بقوله تغنى انتهى كلام ابن أبي الاصبع وبيت الشيخ صفى الدين الحلى في بديعيته على هذا النوع يقول فيه عن النبي صلى الله عليه وسلم

هو النبي الذى آياته ظهرت * من قبل مظهره للناس في القدم

قد تكرر قولى انى لم أكثر من شواهد هذا النوع الا ليظهر فيه من أحرز قصبات السبق من نظام البديعيات والعميان لم ينظموا هذا النوع في بديعيتهم وبيت الشيخ عز الدين الموصلى في بديعيته يقول فيه عن النبي صلى الله عليه وسلم

والله هذبه طفلا وأدبه * فلم يحل هديه الزاكى ولم يرم

وبيت بديعيتى اقول فيه عن النبي صلى الله عليه وسلم

تهذيب تاديبه قد زاده عظما * في مهده وهو طفل غير منفطم

هذا البيت يشتمل ببركة من أدبه ربه فأحسن تأديبه وهو الممدوح صلى الله عليه وسلم على عشرة أنواع من انواع البديع اولها النوع الذى هو شاهد عليه وهو التهذيب والتأديب والانسجام والسهولة والتورية بتسمية النوع والتتميم والتكميل والتمكين والايغال والائتلاف والمبالغة ولولا الخوف من الاطالة لذكرت كل نوع في موضعه ولكن في نظر اصحاب الذوق السليم من علماء هذا الفن ما يغنى عن ذلك والله اعلم

(ذكر ما لا يستحيل بالانعكاس)

(بحر وذو أدب بدا وذو رحب * لم يستحل بانعكاس ثابت القدم)

هذا النوع سماه قوم المقلوب والمستوى وسماه السكاكى مقلوب الكل وعرفه الحريرى في مقاماته بما لا يستحيل بالانعكاس وهو ان يكون عكس البيت أو عكس شطره كطرده وهذا النوع اعنى ما لا يستحيل بالانعكاس غايته ان يكون رقيق الالفاظ سهل التركيب منسجما في حالتى النثر والنظم وجاء منه في الكتاب العزيز (كل في فلك) (وربك فكبر) ومن الكلام الذى رق لفظه (ارض خضرا) وأورد الحريرى في مقاماته (ساكب كاس) وزاد في العدة (كبر رجاء أجر ربك) وزاد في العدة ايضا مقال (لذ بكل مؤمل اذا لم وملك بذل) قلت هذا الكلام الذى زاد الحريرى في عدة كلماته صحيح التركيب في طرده وعكسه ولكن لم يخف على الحذاق واصحاب السجايا الرقيقة ان التكلف طوق جيده بطوق العقادة وذكروا أن العلامة

منعه روث الوادى فلا أدرى أى الوكيلين ألأم أصاحب الغوث أم صاحب الروث وأيهما اتنن واتقن من السرقين منعه واخبث من منعه رفعه
فان يكن شعر الاترج طاب معا اصلا وفرعا وطاب العود والورق
فان قدر عيب الكاب خس معا قدرا وقدرا وخس اللحم والمرق
(وله الى أبي الحسين الحميرى)
انت ادام الله عزك طرفك جاف والطرف خاف فاما عتابك فجنون محض وسباب صرف ولا اعلمك ان لا تعاتب احدا ولا تكاتبنى ابدا واذا نبست الى محلة فلا تنبسن بن الصاحب وكيف ترى السهى عينك ولا ترى النجم

ذكر ما لا يستحيل بالانعكاس

القاضى فتح الدين بن الشهيد صاحب ديوان الانشاء الشريف بالشام المحروس تغمده الله برحمته ورضوانه وصل فى تركيب هذا النوع الى أكثر من هذه العدة ولكن ما وقفت له على شئ من ذلك وانما مولانا المقر الاشرف القاضوى الناصرى محمد بن البارزى الجهنى الشافعى صاحب دواوين الانشاء الشريف بالممالك المحروسة الاسلامية عظم الله تعالى شأنه أخبر المملوك أنه وقف على ما نثره القاضى فتح الدين المشار اليه فى هذا النوع قبل تيمورلنك وذكر أنه فى غاية العقادة وقد تقدم القول وتقرر أن المراد من تركيب هذا النوع نثرا كان اونظما غير كثرة العدد والمبرز فيه هو الذى يأتى به رقيق الالفاظ سهل التركيب رافلا فى حلل الانسجام وممن استوعب هذه الشروط فى كلام منثور مولانا قاضى القضاة شرف الدين شيخ الاسلام ابن البارزى الجهنى الشافعى نور الله ضريحه بقوله (سور حماه بربها محروس) ومن الغايات ايضا فى هذا النوع قول العماد الكاتب وقد مر عليه القاضى الفاضل راكبا (سر فلا كبا بك الفرس) فاجابه الفاضل على الفور وقد علم القصد (دام علا العماد) وقال الحريرى فى المقامات ان أحببت ان تنظم * فقل للذى تعظم

اس أرملا اذا عرا * وارع اذا المرء أسا

قلت وهذا النظم ايضا لا يخفى انه يتجافى عن الرقة بغليظ لفظه ومن الشواهد المقبولة على هذا النوع فى النظم قول الشاعر

عج تنم قربك دعد آمنا * انما دعد كبرق منتجع

ومنها

أراهن نادمنه ليل لهو * وهل ليلهن مدان نهارا

والذى وقع عليه الاجماع أن أبلغ الشواهد على هذا النوع الذى استوعب ناظمه فيه الشروط التى تقدم ذكرها قول القاضى الارجانى

مودته تدوم لكل هول * وهل كل مودته تدوم

ومثال شطر البيت الذى نسجت أبيات البديعيات على منواله (أرانا الاله هلالا أنارا) وبيت الشيخ صفى الدين الحلى فى بديعيته على هذا النوع

هل من يتم بحب من يتم له * بما رموه كن لم يدر كيف رمى

قلت الشيخ صفى الدين الحلى غفر الله له غير مشكور فى نظم هذا البيت فان الطرد والعكس لم يأت به الا فى الشطر الاول وهو غير ملتزم تسمية النوع فان تسمية هذا النوع بما لا يستحيل بالانعكاس تستوعب جزأ كبيرا من البيت ومع عدم التزامه بشئ من ذلك جاء بيته فى غاية العقادة ولظلمة عقادته لم يلح لى فيه لمعة أهتدى بها الى فهم معناه وأعجب من ذلك ان البيت مبنى على مديح النبى صلى الله عليه وسلم والبيت الذى قبله

من مثله وذراع الشاة كلمه * عن سمه بلسان صادق الرنم

والبيت الذى بعده

هو النبى الذى آياته ظهرت * من قبل مظهره للناس فى القدم

فبيت ما لا يستحيل بالانعكاس بينهما أجنبى ونسبه بعيد من شرف هذين البيتين المنتسبين

الثاقب أخبرنى من رجل من اخوانك بينه مكة ابياتك وموته خير من حياتك ان لم تزنك صحبته لم تشنك وان لم يشدك لم يتقدمك غبت عنه شهورا فلم تكاتبه ولم يهاتبك حتى اذا بدأتك عائدا بحقه على خرقك انشأت تشتم عرضه كيف لم يسخ فضل كتابه اليك فسخفت عقله وخبثت اصله ونسبت الى اللؤم عهدنا بالحسين اللئيم عهد من كتب فصلا وكريم عهد من لم يكتب اصلا والله لو بلغت المبلغ الذى انت اليوم دونه وكنت الرجل الذى تطمع أن تكونه لكفاك من التيه بعض ما انت فيه فاما الآن والحال من الضعف بحال والايام كانها البال والقفا كانوجه بال والكيس

الى النبي صلى الله عليه وسلم والعميان لم ينظموا هذا النوع في بديعيتهم وبيت الشيخ عز الدين الموصلي في بديعيته يقول فيه عن النبي صلى الله عليه وسلم

لم يستحل بانعكاس في سجيته * مدن أخاطم معط أخاندم

قلت الشيخ عز الدين رحمه الله تعالى يعتذر هنا اذا احتجبت عنه مسالك الرقة لالتزامه بتسمية النوع الذي استوعب جزأ كبيرا من بيته وبيت بديعيتي اقول فيه عن النبي صلى الله عليه وسلم

بحر وذو أدب بدا وذو رحب * لم يستحل بانعكاس ثابت القدم

وقد حبست عنان القلم هنا عن الاطناب في انسجام هذا البيت ورقة ألفاظه وتمكين قافيته علما أن في انصاف أصحاب الذوق السليم من أهل الادب ما يغني عن ذلك والله أعلم

(ذكر التورية)

(أوصافه الغر قد حلت بتورية * جيدي وعقد لساني بعد ذا وفي)

التورية يقال لها الايهام والتوجيه والتخيير والتورية اولى في التسمية لقربها من مطابقة المسمى لانها مصدر وريت الخبر تورية اذا سترته واظهرت غيره كأن المتكلم يجعله وراءه بحيث لا يظهر وهي في الاصطلاح أن يذكر المتكلم لفظا مفردا له معنيان حقيقيان أو حقيقة ومجاز أحدهما قريب ودلالة اللفظ عليه ظاهرة والآخر بعيد ودلالة اللفظ عليه خفية فيريد المتكلم المعنى البعيد ويوري عنه بالمعنى القريب فيتوهم السامع أول وهلة أنه يريد القريب وليس كذلك ولاجل هذا سمي هذا النوع ايهاما ومثل ذلك قول ابي العلاء المعري

وحرف كنون تحت راء ولم يكن * بدال يؤم الرسم غيره النقط

فمن سمع هذا البيت توهم انه يريد براء ودال حرفي الهجاء لانه صدر بيته بذكر الحروف وأتبع ذلك بالرسم والنقط وهذا هو المعنى القريب المتبادر أولا الى ذهن السامع والمراد غيره وهو المعنى البعيد المورى عنه بالقريب لان مراده بالحرف الناقة وبحرف النون تشبيه الناقة به في تقويسها وضمورها وبراء اسم الفاعل من رأى اذا ضرب الرئة وبدال اسم الفاعل من دلا يدلو اذا رفق في السير وبالرسم أثر الديار وبالنقط المطر ومعنى هذا البيت ان هذه الناقة لضعفها وانحنائها مثل نون تحت رجل يضرب رئتها ولم يرفق بها في السير فهو غير دال وقد تقدم ان الدالي هو الرفيق ويؤم بها دارا غيرها المطر رسمها واجتماع هذه الاوصاف دليل على ضعف الناقة لانها لو كانت قوية لما احتاجت الى ضرب رئتها والى الرفق بها مع شدة شوقه الى ديار أحبابه وذلك باعث على شدة السير قال حذاق الادب تراكيب التورية في هذا البيت بالنسبة الى ديباجة المتأخرين وطلاوة ألفاظهم وزخارف بيوتهم تستحق قول القائل

وما مثله الا كفارغ حمص * خلي من المعنى ولكن يفرقع

لان هذا النوع اعني التورية ما تنبه لمحاسنه الا من تأخر من حذاق الشعراء وأعيان الكتاب ولعمري انهم بذلوا الطاقة في حسن سلوك الادب الى أن دخلوا اليه من بابه فان التورية من أغلى فنون الادب وأعلاها رتبة وسحرها ينفث في القلوب ويفتح بها ابواب عطف

التورية

مثل الرأي خال والعدم في السوق عال والقدر طيف خيال فأغنى ما انت عنه ما انت فيه وأحوج ما انت اليه ما لست تحوم حواليه والسلام

(وله الى رجل سأل مسكرا وتقاضاه في يوم مطير)

عافاك الله العاقل ان وافا ابوه على جمل البريد من المضرب البعيد في الخطب الشديد يوما هذا لم تستقبل جنازته وان مات لم تشهد جنازته وحل الى الركب ومطر كافواه القرب ورجل ظاهر النفاق يلتمس منه الشراب وهو لا يعرف قربه فكيف شربه على انك الى الشكر احوج منك الى السكر الا ترى كيف من الله تعالى على

وعجيبة وما ابرزتهم من يوم الخطبة الا كل ضامر مهزول * ولا آخر تصبات سبقه امن المتأخرين غير الفحول * ومما يؤيد قولى هذا قول الشيخ صلاح الدين الصفدى رحمه الله تعالى فى ديباجة كتابه المسمى بفض الختام عن التورية والاستخدام ومن البديع ما هو نادر الوقوع * ملحق بالمستحيل الممنوع * وهو نوع التورية والاستخدام * فانه نوع تقف الافهام حسرى دون غايته عن مرامى المرام *

نوع يشق على الغبي وجوده * من أي باب جاء يغدو مقفلا

لا يفرع هضبته فارع * ولا يقرع بابه قارع * الا من تمهر والبلاغة نحوه فى الخطاب * وتجرى ريحها بأمره رخاء حيث أصاب * وقال الزمخشرى وهو حجة فى هذا العلم ولا نرى بابا فى البيان أدق ولا ألطف من هذا الباب ولا أنفع ولا أعون على تعاطى تأويل المتشابهات من كلام الله وكلام نبيه صلى الله عليه وسلم وكلام صحابته رضى الله عنهم أجمعين فى ذلك قوله تعالى الرحمن على العرش استوى لان الاستواء على معنيين أحدهما الاستقرار فى المكان وهو المعنى القريب المورى به الذى هو غير مقصود لان الحق تعالى وتقدس منزه عن ذلك والثانى الاستيلاء والملك وهو المعنى البعيد المقصود الذى ورى عنه بالقريب المذكور انتهى ومنه قول النبى صلى الله عليه وسلم حين سئل فى مجيئه عند خروجه الى بدر فقيل لهم ممن أنتم فلم يرد أن يعلم السائل فقال من ماء أراد أنا مخلوقون من ماء فورى عنه بقبيلة يقال لها ماء ومنه ما روى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال لا يزال الميت طائرا حتى يقص فاذا قص وقع ففى الكلام توريتان لفظة طائر ولفظة يقص ويحتمل ايضا ان يكون فى لفظة وقع تورية ثالثة ومنه قول أبى بكر رضى الله عنه فى الهجرة وقد سئل عن النبى صلى الله عليه وسلم من هذا فقال هاد يهدينى أراد ابو بكر رضى الله عنه هاديا يهدينى الى الاسلام فورى عنه بهادى الطريق وهو الدليل فى السفر وكانت خواطر المتقدمين عن نظم التورية بمعزل * وافكارهم مع صحتها ما خيمت عليها بمنزل * لكنها ربما وقعت لهم عفوا من غير قصد لانهم على كل حال ولاة هذا الشان وادلة هذا الركب وقيل ان اول من كشف غطاءها وجلا ظلمة اشكالها ابو الطيب المتنبى بقوله

برغم شبيب فارق السيف كفه * وكانا على العلات مصطحبان

كان رقاب الناس قالت لسيفه * رفيقك قيسى وانت يمانى

يريد أن كف شبيب وسيفه متنافران فلا يجتمعان لان شبيبا كان قيسيا والسيف يقال له يمانى فورى به عن الرجل المنسوب الى يمن ومعلوم ما بين قيس ويمن من التنافر قلت وكان من قال ان ابا الطيب أول من كشف غطاء التورية ما لمح قول عمرو بن كلثوم فى معلقته عن الخمرة

مشعشعة كان الحص فيها * اذا ما الماء خالطها سخينا

الشاهد هنا فى سخينا فان العرب كانوا يسخنون الماء فى الشتاء لشدة برده ثم يمزجونها به فسخينا على هذا التقدير نعت لموصوف محذوف والمعنى فاضحى شرابا سخينا وهذا هو المعنى القريب المورى به ويحتمل السخاء الذى هو عبارة عن الكرم وهذا هو المعنى البعيد المورى عنه ومراد الناظم ومما يؤيد قولى انه المراد قول الجوهرى فى الصحاح قول من قال سخينا من السخونة نصب على الحال ليس بشئ فان المراد لما خالطها الماء ومزجت به طبنا وسخينا

باموالنا

البيوت بالثبوت وعلى السقوف بالوقوف انتم والماء سلطانك والطين سلطانك السكن والطين جدرانك والانهار جيرانك ألا تنتظر هذا المطر أمطر عمارة أم مطر خراب وسقيا رحمة ام سقيا عذاب (وله فى تهنئة فتح الجابية) يباب بلخ وهذا آخر كتاب أنشأه ومات يوم الجمعة الحادى عشر من جمادى الاولى سنة ثمان وتسعين وثلثمائة) * كتبت أطال الله بقاء الشيخ الجليل السيد من هراة عن سلامة وصنع الله جميل وسلطانه عزيز وكيده متين والحمد لله رب العالمين

بامو لنا كقول عنترة

واذا سكرت فانني مستهلك * مالي وعرضي وافر لم يكلم

والحص هو الزعفران على احد الاقوال وهو الذي شبه صفرتها به فان قيل سخا مضارعه يسخو ويسخو من ذوات الواو فلا يجوز أن يكون سخينا فعيلا على هذا التقدير فالاجماع عند اهل اللغة أنه يقال سخا يسخا وسخا يسخو وهذا مذهب الجوهري في الصحاح وعلى هذا التقدير فاشتراك التورية في سخينا صحيح ممكن من الوجهين انتهى وكشف ايضا عن قناع التورية في شعره النابغة الذبياني بقوله

خيل صيام وخيل غير صائمة * تحت العجاج وأخرى تعلك اللجما

اراد بالصيام ههنا القيام وورى بقوله تعلك اللجما عن الصيام واورد السكاكي في المفتاح للعرب من هذا الباب

حملناهم طرا على الدهم بعدما * خلعنا عليهم بالطعان ملابسا

أراد بالحمل على الدهم تقييدهم وأوهم بالركوب على دهم الخيل قلت وقبل المتنبي ايضا بزمن طويل قال ابو نواس

فتنت قلبي محببة * وجهها بالحسن منتقب

قال الشيخ صلاح الدين الصفدي في كتابه المسمى بفض الختام عن التورية والاستخدام امتحنت بيت ابي نواس جماعة ممن حاضرتهم وذاكرتهم وعاطيتهم كؤوس الادب وعاشرتهم فبعضهم استخرج منه النكتة * وبعضهم لم أجد له اليها الفتة * وقال البحتري

ووراء تسدية الوشاح ملية * بالحسن تملح في القلوب وتعذب

الشاهد في قوله تملح فانه يحتمل ان يكون من الملوحة التي هي ضد العذوبة وهو المعنى القريب الموري به ويحتمل ان يكون من الملاحة وهو المعنى البعيد الموري عنه وقد تقدم من لوازمه على جهة التبيين قوله ملية بالحسن واما ابو العلاء فانه أتى في التورية بلعبة خفية الايماء شديدة العقادة والتكلف كما تقدم وكقوله

حروف سرى جاءت لمعنى اردته * برتني اسماء لهن وافعال

اذا صدق الجد افترى العم للفتى * مكارم لا تخفى وان كذب الخال

الجد هنا مشترك بين ابي الاب والسعد ومراده السعد والعم مشترك بين أخي الاب والجماعة من الناس ومراده الجماعة والخال مشترك بين أخي الام والظن ومراده الظن قلت زخرف هذا البيت ايضا لا يخفى انه مكسوف بدخان العقادة اين هذا من قول الشيخ تقي الدين السروجي

في الجانب الايمن من خدها * نقطة مسك اشتهي شمها

حسبته لما بدا خالها * وجدته من حسنه عمها

ومثله في اللطف والظرافة قول الشيخ عز الدين الموصلي

لحظت من وجنتها شامة * فابتسمت تعجب من حالي

قالت قفوا واستمعوا ما جرى * قد هام عمي الشيخ من خالي

والصلاة على محمد وآله اجمعين وهذا ورب الكعبة آخر ما في الجعبة لقد انصف القارة ومحا السيف ما قال ابن داره ثم لا نزوة بعدها الترك ولا تحكم بعدها بالملك لقد كاس السلطان اعز الله نصره اذ عفر لله شعره وعرض على الله فقسره وفوض الى الله أمره ونذر لله نذره ونا هض بالله خصمه وسأل الله حوله ولم يجبه كثرة الا حوله ولم يشغل بخيوله وخيوله بذا الشد الله أزره وقوى أسره واعز نصره واقطعه عصره واطعمه ملكه واورثه ارضه انما الظفر بأسبابه والموفق يأتي الامر من بابه والمخالفون ادام الله تمكين الشيخ الجليل وان كانوا الحديد وهاضوه وسمروا الى الموت وخاضوه وبلغوا العذر وجاوزوه

قلت ولهذا وقع الاجماع على ان المتأخرين هم الذين سموا الى افق التورية واطلعوا شموسها * ومازجوا بها أهل الذوق السليم لما أداروا كؤوسها * وقيل ان القاضل هو الذى عصر سلافة التورية لاهل عصره * وتقدم على المتقدمين بما اودع منها فى نظمه ونثره * فانه رحمه الله تعالى كشف بعد طول التحجب ستر حجابها * وانزل الناس بعد تمهيدها بساحتها ورحابها * ومن شرب من سلافة عصره * وأخذ عنه وانتظم فى سلكه بقر اندره * القاضى السعيد ابن سنا الملك ولم يزل هو ومن عاصره مجتمعين على دور كأسها * ومتمسكين بطيب أنفاسها * الى ان جاءت بعدهم حلبة صاروا فرسان ميدانها * والواسطة فى عقد جمانها * كالسراج الوراق وابى الحسين الجزار والنصير الحمامى وناصر الدين حسن بن النقيب والحكيم شمس الدين بن دانيال والقاضى محيي الدين بن عبد الظاهر قال الشيخ صلاح الدين الصفدى فى كتابه المسمى بفض الختام عن التورية والاستخدام وجاء من شعراء الشام جماعة تأخر عصرهم * وتأزر نصرهم * ولان فى هذا النوع هصرهم * وبعد حصرهم * كل ناظم تود الشعرى * لو كانت له شعرا * و يتمنى الصبح لو كان له طرسا والغسق مدادا والنثرة نثرا * ما جلا من بنات فكره خودا الا شاب لحسنها الوليد * وسيرها فى الآفاق وبين يديها من النجوم جوار ومن الشعراء عبيد * كالشيخ شرف الدين عبد العزيز الانصارى شيخ شيوخ حماة والامير مجير الدين بن تميم وبدر الدين يوسف بن لؤلؤ الذهبى ومحيي الدين بن قرناص الحموى وشمس الدين محمد بن العفيف وسيف الدين بن المشد وقال الشيخ صلاح الدين فى اواخر ديباجة كتابه المذكور ومع هؤلاء جماعة يحضرنى ذكرهم عند شعرهم * ويعز على اذا لم ارهم على تكاثرهم افوات عصرهم * وتلطف بقوله بعد ذلك ولا تقل ايها الواقف على هذا التأليف لقد أفرطت فى التعصب لاهل مصر والشام * على من دونهم من الانام * وهذا باطل ودعوى عدوان * وحمية لاوطانك ومن جاورها من البلدان * فالجواب ان الكلام فى التورية لاغير * ومن هنا تنقطع المادة فى السير * ومن ادعى انه يأتى بدليل وبرهان * فالمقياس بيننا والشقراء والميدان * انتهى كلام الشيخ صلاح الدين الصفدى قلت قد تقدم وتقرر أن التورية عند علماء هذا الفن بمنزلة الانسان من العين * وسموها فى البلاغة سمو الذهب على العين * وقد ثبت ان خواطر المتقدمين كانت بها شحيحة * وافكارهم لا تقصد مظانها وان كانت سليمة صحيحة * لكنها ربما وقعت لهم عفوا من غير مرام * فنقول انها رمية من غير رام * وقد علم أن المتأخرين من القاضل الى من فضل بعدهم نوروا مشكاتها * والمتفكهون فى أدواح الادب بثمراتها * فاذا جليت عرائس افكارهم على اختلاف أنواع التورية لا يمل المتأمل * اللهم الا ان يكون سيف ذهنه كليلا فيقول انه من هذا الفن متنصل * فان هذه العرائس لم تبرز لمتأمل الا من خدور هذا الكتاب * واذا طلبها من غيره توارت عنه بالحجاب * فاذا سرح المتأمل طرفه وامسى فى كل واد من محاسنها ايهم * وتنوعت حلاوات انواعها لذوقه السليم * جردت سيف العزم واقمت لكل نوع حدا * ونظمت له من انواع التورية واقسامها فى سلك هذا النوع عقدا * فان الشيخ صفى الدين الحلى لم يذكر فى شرح بديعيته نوعا من انواع التورية ولا قسما من اقسامها بل ذكر حد التورية الذى أجمع الناس عليه وقال هى أن يأتى

وجهلوا القتال وصدقوا المصاع واشبهوا السباع فقد حكم الله لهم بالفشولة بعد الهزيمة وطرق اليهم الذم والشتيمة فهؤلاء الاشقياء الذين هم فراش النار وقماش الدار وأوباش القرار وخشاش الارض وعاق السيف وحشرات الصف وتقيف السبيل على خفيف الخيل لا يلزمون دارهم ولا يعرفون مقدارهم أولا يرون أنهم يفتنون فى كل عام مرة او مرتين لا صبر فى القتال ولا نوم فى الرحال وعدة فوقها صلف وراعدة تحتها قصف يا ابناء الاماء ورعاء الشاء وحلب السقاء وغثاء الماء وجمع الغوغاء والقواعد من النساء الا يذهب احدكم لشانه الا يلزم رجل قطع لسانه الا يقف عند حده مالتاج

المتكلم بلفظة مشتركة بين معنيين قريب وبعيد فيذكر لفظا يوهم القريب الى ان يجيء بقرينة يظهر منها ان مراده البعيد قلت ومن أين يعرف الطالب من هذا الحد التورية المجردة والتورية المرشحة وقسميها والمبنية وقسميها والمهيأة وأقسامها وكذلك العلامة زكي الدين ابن أبي الاصبع لم يذكر في كتابه المسمى بتحرير التحبير نوعا من أنواعها ولا قسما من أقسامها مع ان كتابه ما وضع في هذا الفن له نظير بل قال التورية وتسمى التوجيه وهي أن يكون الكلام يحتمل معنيين فيستعمل المتكلم احد احتماليها ويهمل الآخر ومراده ما أهمله لا ما استعمله وأما صاحب التلخيص فانه قال مشيرا الى البديع ومنه التورية وتسمى الايهام أيضا وهي أن يطلق لفظ له معنيان قريب وبعيد وهي ضربان مجردة ومرشحة ولم يزد على هذا القدر شيأ واذا أردت ما وعدت بايراده من طلاوة المتأخرين في التورية شرعت في الكلام على أنواعها وأقسامها ليسير ركب الادب في طرقها المتشعبة بدليل * ويصير ديباجة هذا النوع تفصيل * وقد تقدم ذكر الفاضل ومن فضل بعده في باب الاستخدام ولكن لم يمكن اختصارهم في باب التورية فانهم فرسان حلباتها * وأجل من سكن غريب نظمه بابياتها وكل ما أوردته لهم ولغيرهم من التورية في غير بابه * تعين نظم شواهدها ليجتمع كل غريب باقاربه وانسابه * فمن مخترعات القاضي الفاضل في التورية قوله من مديح قصيدة طائية وهي نكتة لم تختلج في صدر غيره وهو

أما الثريا فنعل تحت أخمصه * وكل قافية قالت لذا لك طا

ومثله قوله

في خده فخ لعطفة صدغه * والخال حبته وقلبي الطائر

ومثله قوله

وكنت وكنا والزمان مساعد * فصرت وصرنا وهو غير مساعد

وناحي في ورد ريقك شارب * ونفسي تأبى شركها في الموارد

ومن هنا أخذ الشيخ عز الدين الموصلي وقال

لقد كنت لي وحدي ووجهك حضرتي * وكنا وكانت للزمان مواهب

فعارضني في ورد خدك عارض * وناحي في ورد ثغرك شارب

ومن نظم الفاضل أيضا في بواب يلقب بالبحري

وهب ان هذا الباب للرزق قبلة * فها انا قد وليته دونكم ظهري

وهب انه البحر الذي يخرج الغنى * فكل خراني لشط في لحية البحر (ى)

ومثله قوله

عاتبته فتضرجت وجناته * والقلب صخر لا يلين لقاصد

فنظرت من ذا في حرير ناعم * وضربت من ذا في حديد بارد

ومن اختراعاته التي لم تجل في فكر غيره قوله من مديح قصيدة عادلية

وهذا القرب ام خد لثمنا * فآثار الشفاه عليه شامه

وهذا الدر منثور ولكن * أروني غير أقلامي نظامه

وهذي روضة تندى وسطري * بها غصن وقافيتي حمامه

وأهل النتاج آل الى الموت يعبرون ام الرؤيا يعبرون انه الجلاد ثم البلاد مساكنكم لا يحطمنكم سليمان وجنوده كتب الله ليغلبن السلطان وراءك ان السيف أمامك وخلفك ان الموت قدامك وارضك ارضك ان تأتنا تنم نومة ليس فيها حلم ان المغازي قد عادت مخازي الارب راكض نادم ورب سوط ظالم ورب عثور الى ثبور ورب طمع اهدى الى طبع وان هذا الفتح فتح حفظ على الشريعة ماءها وعلى النفوس دماءها وعلى السنة ذمامها وعلى الاموال غطاءها وعلى الحرم غطاءها اعاد الله به البلاد خلقا جديدا وانشأ للناس نشأ جديدا وعقد المدن عقدا طريدا فما اخلق يوم الفتح بان يتخذ عيدا

ومنه قوله أيضا

بالله قـل للنيل عنى اننى * لم أشف من ماء الفرات غليـلا
وسل الفؤاد فانه لى شاهد * ان كان طرفى بالبكاء بخيـلا
ياقلب كم خلفت ثم بثينة * وأظن صبرك ان يكون جميلا

ومنه قوله وأجاد الى الغاية

وقائل وثب الاعـداء قلت له * كالفراش على نـير انه يثب
فان ثوب الذى عادا كم كفن * كما بيـوت الذى عاصا كم ترب
بلغفوهم مناهم فى ترفعهـم * والقوم ما ارتفعوا الا وقد صلبوا
هل السيوف عيون فى الجفون لكم * فانها لقراب البـغى ترتقب

ومن نثره فى هذا الباب قوله فى يوم شديد المطر والبرد * والخادم فى رأس جبل يتلقى الرحمة غضة قبل أن يبتذلها الناس * ويصافح الرياح عاصفة قبل أن تقتسمها الانفاس * و يتلقى الرعد بالرعدة * واذا السماء انشقت استصحاها المملوك بالسجدة * وقد تقدم القول ان ممن أخذ عنه ونهل من موارده العذبة القاضى السعيد ابن سنا الملك فن نظمه فى هذا الباب قوله

أما والله لولا خوف سخطك * لهان على ما ألقى برهطك
ملكت الخافقين فتهت عجبا * وليس هما سوى قلبى وقرطك

ومنه قوله أيضا

وفى الحى من صيرتها نصب خاطرى * فما آذنت فى نازل الشوق بالرفع
تتيه بفرع منـه أصـل بليتى * ولم أر أصلا قط يسمى الى فـرع

ومنه قوله

ليس الادمعى الذى من رأى جفـنى رآه كان دمعى هدبى
أنجم الدمع لاتغيب شروقا * مع انى رأيتها فى الغرب

ومنه قوله

صـفاتك فى كل الوجوه صحيحة * فلحظك نصبى وهو ان صحفوا يصبى
حرست الحشا من ناظريك بصارم * فكسره ذا الجفن من ذلك الضرب

ومما سبق اليه الناس فى هذا الباب قوله

وفى القلب تصديع وفى الوصل جبره * وفى الخد دينار وفى الجفن كسره

أخذه الشيخ جمال الدين بن نباتة فقال

فى خده وجفونه * للحسن دينار وكسر

وتلاعب الناس بعد ابن سنا الملك بهذا المعنى كثيرا حتى وصل الى المعمار فقال

كم حوى جفنى معنى * قلت ألفا وكسورا

ولم يزل ابن سنا الملك يتلاعب فى التورية باختراعاته ويسكنها فى عامر أبياته الى ان ظهر بعده السراج فلاغيا هيابنور مشكاته وتعاصر هو وابو الحسين الجزار والنصير الحمامى وتطارحوا كثيرا وساعـدتهم صنائعهم والقابهم فى نظـم التورية حتى انه قيل للسراج الوراق لولا لقبك

ويجعل فى المسرات تاريخا يلبس العقد مع الله بالشرطة فأوفوا الله عهـده كما صدقكم وعـده واما عهده عند السلطان اعز الله نصره أن يحسن النظر وعند الشيخ أن يحسن المحضر وهراة من البلاد شيعة هـذه الدولة وعينا ها فان حط عن جالتها القلادة وفك عن عشيرتها الزيادة فلله هذا النظر ما احلى ثماره واكرم آثاره وللشيخ ابن الخليل فى تشريف العبد بالجراب الفضل والعلو ان شاء الله تعالى

(وله فى قتل ابى عثمان رحمه الله)

كنت اطال الله بقاء الشيخ الجليل وأدام بهجته ومهجة دنياه ورفعته ورفعة الدين بمكانه وحرس مهجته وقدم المهج دونها وكبت اعداء الدين وانا ماعيد

وصناعته اذهب نصف شعره فمن ذلك قوله

شعر يتى مذ رمدت قد حبست * طرفى عنكم فصرت محبوسا
الحمد لله زاد لى شرفا * كنت سراجا فصرت فانوسا

وقال من أبيات فيمن تلقب بالضياء وأجاد

امولانا ضياء الدين دم لى * وعش فبقاء مولانا بقائى
فلولا أنت ما اغنيت شيأ * وما يغنى السراج بلا ضياء

ومثله قوله فيه

وما انا سائر فى ليل خطب * تساوى الصبح فيه والمساء
فلا انا مثل ما ادعى سراج * ولا هو مثل ما يدعى ضياء

ومنه قوله

وكنت حبيبا الى الغانيات * فألبسنى الشيب هجر الشبيب
وكنت سراجا بليل الشباب * فاطفأنورى نهار المشيب

وكتب الى بعض الرؤساء

بكتبك راج لى أملى وقصدى * وفى يدك النجاح لكل راج
ولولا انت لم ترفع منارى * ولا عرف الورى قدر السراج

ومنه قوله يتقاضى من بعض الرؤساء شمعا

ماعلينا ضوء وقد ابطأ الشمع * المفوض به ختام الدياجى
وتداركه بتاء عليه ظلام * لم يكد ينجلى بنور السراج

وقال وقد اجتمع شمس الدين بيلبك وبدر الدين آقسنقر

لما رأيت الشمس والبدر معا * قد أنجلت دونهما الدياجى
حقرت نفسى ومضيت هاربا * وقلت ماذا موضع السراج

وظريف قوله فى هذا الباب

بنى اقتدى بالكتاب العزيز * وراح ليرى سعيا ولاجا
فما قال لى فمذ كان لى * لكونى اباولكونى سراجا

ومنه قوله

أقول فى يوم شتاء له * من صحبه ما خفف النيلا
خرجت من بيتى سراجا وقد * عدت بحمد الله قنديلا

وكتب الى أبى حسين الجزار فى عيد الاضحى

اجبت بعيد النحر من كان سائلى * عن الحال فى عيدى وقد مرذكره
اذا بطل الجزار والعيد عيده * فلا تسأل لوراق فالعيد عذره

ومثله قوله

الهى لقد جاوزت سبعين حجة * فشكرا لنعماك التى ليس تكفر
وعمرت فى الاسلام فازددت بهجة * ونورا اذا قالوا السراج المعمر
وعم نور الشيب رأسى فسرنى * وماساءنى أن السراج منور

الله من نعمته وبقيته من دولته قوى الظهر مستظهر على الدهر والحمد لله حق حمده والصلاة على محمد النبى وآله والشهادة أدام الله عز الشيخ الجليل عنمة لا يدركها كل غاز انا اريدها وآخر يستفيدها وزيد بعشقها وعمرو يرزقها ويتعرض لها ابو الفضل من همذان وتعرض على الحاكم ابى عثمان قتل والله كما تقتل الكلاب وشق بطنه كما يشق الجراب وهريق دمه كما يهراق الشراب وقطف رأسه كما تقطف الاعناب وقعد القصاب آمنا الايصاب باضيعة الدنيا وضيعة اهلها والمسلمين وضيعة الاسلام والله لئن سكن السلطان العظيم وتغافل وتسامح

ومن اظرف ما وقع له في هذا الباب قوله

كم قطع الجود من لسان * قلد في نظمه النحورا
فهاانا شاعر سراج * فاقطع لساني ازدك نورا

ومثله قوله

اثني علي الانام أني * لم أهج خلقا ولاهجاني
فقلت لا خير في سراج * ان لم يكن دافئ اللسان

ومثله قوله

اذا بحت بالشكوى عنيت معاشرا * بلا راحة في مدحهم أتعبوا ذهني
يريدون في رطب اللسان ومن رأى * سراجا غدا رطب اللسان بلا دهن

وكتب اليه الامير ناصر الدين الحمامي وهو مقيم بالروضة

كم قد ترددت للباب الكريم لكي * ابل شوقي واحيي ميت اشعاري
وأنثني خائبا مما أؤمله * وأنت في روضة والقلب في نار

فكتب اليه السراج

الآن نزهتني في روضة عبقت * انفاسها بين ازهار واثمار
اسكرتني بشذاها فانثنيت بها * وكل بيت أراه بيت خمار
فلا تغالط فين فينا السراج ومن * اولى بأن قال ان القلب في نار

وقال النصير يوما للسراج الوراق قد عملت قصيدة في الصاحب تاج الدين واشتهي ان تثني عليها بحضرته وسيرها الى الصاحب فلما انشدت بحضرة السراج قال السراج بعدما فرغ منها

شاقني للنصير شعر بديع * ولمثلي في الشعر نقد بصير
ثم لما سمعت باسمك فيه * قلت نعم المولى ونعم النصير

ومنه قوله

طوت الزيارة ذرأت * عصر الشباب طوى الزياره
ثم انثنت لما انثنى * بعد الصلابة كالحجاره
وبقيت اهرب وهي تسـ * ـأل جارة من بعد جاره
وتقول يا ستي استرحـ * ـنا الآن لا سراج ولا مناره

ومما ورى به عن صناعة الوراقة قوله

نصب الحشا غرضا فقرطس اذ رمى * وهي القلوب سهامها الاحداق
وسألته وصلا فقال بحجبني * ياليت شعري من هو الوراق

ومثله قوله

يا خجلتي وصحائفي سود غدت * وصحائف الابرار في اشراق
وموبخ لي في القيامة قال لي * اكذا تكون صحائف الوراق

ومن لطائفه في غير لقبه وصناعته قوله

قالوا وقد ضاعت جميع مصالحي * لهموم نفسك ليت لا حملتها

الشيخ الجليل وتساهل ان الله قصر الاتصاف لي وان الله على الانتقام لقوي والمحنة أدام الله عز الشيخ الجليل في ذهابه بذلك العالم المسلم دون المحنة في بقاء هذا الظالم الظالم ولئن ساغ لهذا الفاسق ما فعل ليرخص بجم المسلم وليراق دم العالم وليصير ن كل سكين منشور ولاية ثم ليقعن الخرق على الراقع وليس دم المسلم بيسير عند ربه ولزوال الدنيا على الله أهون من صبه أليس الله تعالى يقول من قتل نفسا بغير نفس أو فساد في الارض فكأنما قتل الناس جميعا ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعا وأنا أعيذ بالله هذه الدولة من ان توصم بتعطيل الحدود أو توسم باهدار الدماء وعسى الله أن يوفق الشيخ الجليل

قد كان عندك يا فلان صريعة * فاجبتهم بعث الحمار و بعتها

ومنه قوله

رفضوا الشعر جهدهم ورموه * بينهم بالهوان والازدراء
فلو ان الكتاب كان بايديهم محوا منه آية الشعراء

وله فى المعنى وأجاد

يا اخى الآمال قد خاب الرجا * وقد اشتدت وقد عز العزاء
سفن الآمال فى بحر المنى * وحلت منا فاين الرؤساء

وقال فى المعنى

أصون اديم وجهى عن أناس * لقاء الموت عندهم الأديب
ورب الشعر عندهم بغيض * ولو وافى به لهم حبيب *

ومن لطائفه قوله

وقائل لى لما أن رأى قلقى * من انتظارى لآمال تعنينا
عواقب الصبر فيما قال اكثرهم * محمودة قلت أخشى أن تخرينا

ومن لطائفه بعد تخرينا قوله

اتيت أرجيه فى حاجة * فلم تنبعث نفسه الجامده
وفتل فى ذقنه والنفوس * تعاف المتسلة البارده

ومنه قوله

دع الهوينا وانتصب واكتسب * واكدح فنفس المرء كداحه
وكن عن الراحة فى عزلة * فالصفع موجود مع الراحه

وانشده الجزار وهو يسرح ذقنه مما جنا

لا تعجبن من لباسى * فكل أمرى لبس
والله ما ثم مال * وانما ثم نفس

فاجابه على الفور

صدقت ما ثم مال * وانما ثم نحس
وثم اخرى وأخرى * فيها وعندك حدس

ومنه قوله

ومعمومات روس باكرتنا * بطيب شذا ولا طيب العروس
فقمت بما يليق لها فقالت * يحق لك القيام على الرؤس

ومنه قوله

واحق اضافنا بيقله * لنسبة بينهما ووصله
فمن أقل ادبا من سفله * قدمته فى وجه الضيوف رجله

ومنه قوله

وسائل يسأل منى وقد * انشدت شعرا دونه الشعرى
يقول لى اذ كنت فى معشر * قد عبدوا البيضاء والصفرا

تدارك هذا الامر ان ذلك على الله يسير وقد جعل الله هذه الدولة مثابة للناس وليس الاسلام بجال ظفر من صاحب بدعة أو كفر ما أدام الله نضارتها وأدام الأئمة طلب الكفار بعد الاسفار وورد على خادم الشيخ الجليل كتاب من أقصى خراسان والعراق بحديث تسار فلان وصاحبه فلان وذكروا معرفتهما باحوال الثغور وممارستهما لما يعرض بها من الخطوب وأن أعين المرابطين والغزاة طامحة الى نصرة من السلطان المعظم أعز الله نصره وقد بعثوا بهما وفدا وقدرا أنهما يجدانى بالحضرة فاكون لهما لسانا وتنجزا الى كتابا معلما لى زلوا مكننى النهوض لاحتسبته لهما وذا لم ينهض قدمى فقد استناب قلمى والشيخ الجليل يرى عالى رأيه فى تقريبهما النصرة لله

هل حصلت دائرة بينهم * قلت بلى بطيخة خضرا

ومنه قوله

مدحته جهدي فما اهتزمن * قولي ونادى الناس كم تتعب

فقلت أرجو زبدة قيل لي * فاتك أين اللبن الطيب

ومن لطائفه أيضا قوله

كان أبر اصار سيرا * يلطم الاكساس سعره

كيف لا ينفرن عني * ومعي شيب ودره

ومنه قوله

فسرلي عابر مناما * فسل في قوله واجل

وقال لابد من طلوع * فكان ذاك الطلوع دمل

ومنه قوله وقد طلب شرابا فما وصل اليه

لا اطمعن براحة من معشر * سادوا بغير ما ثر السادات

قطعت عن المعروف أيديهم وقد * سرقوا لعلا خلت من الراحات

ومن نكته البديعة في مدائحه قوله

رأيت قطوف عفوك دانيات * فمن على المدى تجني ونجني

وكم بت المسيء قرير عين * وسيفك ان حلت قرير جفن

وكتب الى فتح الدين بن عبد الظاهر

انا تحت وعدك واعد أملي بما * يرجوه من ظفر ومن نجح

اذ قال أين الجود قلت أجيبه * مع أين مبني على الفتح

ومنه قوله

ومبخل بالمال قلت لعله * يندى وظني فيه ظن مخلف

جمع الدراهم ليس جمع سلامة * فأجابني لكنه لا يصرف

وكتبت في هذا المعنى الى المولى شهاب الدين بن لؤلؤ الذهبي بدمشق المحروسة وقد مطلني في صرف دنانير احلت بها عليه

قد منعتم صرف الدنانير عني * ولكم في الورى هبات كثيره

وأنا شاعر وفي شرع نظمي * صرفها واجب لاجل الضروره

وكتب السراج الى بعض اصحابه يطلب كتابا

لك في المكارم سنة مألوفة * معروفة الانساب والاسباب

فابعث لعبدك بالكتاب فلم تزل * تقوالك تشفع سنة بكتاب

ومن لطائفه في شخص اسمه عرفات

أطنبوا في عرفات وغدوا * يتعاطون له حسن الصفات

ثم قالوا لي هل وافقتنا * قلت عندي وقفة في عرفات

ومن اغراقه قوله

وفاتك يجرح سيف لحظه * مجردا عن جفنه ومغمدا

والاصفاء المنوية ان شاء الله تعالى

(وله اليه)

كان أطال الله بقاء الشيخ الجليل وأدام علوه وتمكينه وحرس دنياه ودينه وبسط بالخيرات يمينه وجعل التوفيق قرينه والقضاء معينة من هراة ولا هراة قد طحنتها هذه المحن كما يطحن الدقيق وقلبتها كما يقلب الرقيق وباعتها كما يباع الرقيق والحمد لله على المكروه والمحبوب وصلواته على نبيه وآله قد خدمت الشيخ الجليل سنين والله لا يضيع أجر المحسنين ونادمته والمنادمة رضاع ثان وطاعمته والمواكلة نسب دان وسافرت معه والسفر والاخوة رضيعا لبان وقت بين

خاف على خديه من لحاظه * فبات فى عذاره مزردا

ومنه قوله وهو فى غاية الحسن

ومهفهف عنى يميل ولم يمل * يوما الى فقلت من الم الجوى
لم لا تميل الى يا غصن النقا * فأجاب كيف وأنت من جهة الهوى

ومثله قوله

قلت للاهيف الذى فضح الغصن * كلام الوشاة ما ينبغى لك
قال قول الوشاة عندى ريح * قلت أخشى يا غصن أن يستميلك

ومنه قوله

عذبت طرفى بالسهاد فابله * قدمات عنه تعيش أنت صباحه
والحسائل أدمعى بحرمتى * ولكم أضر بسائل الحاحه

وقال فى مليح قلندرى

عشقت من ريقته زرقف * ومالها اذ ذاك من شارب
قلندريا حلقوا حاجبا * منه كنون الخط من كاتب
سلطان حسن زاد فى عدله * فاختار أن يبقى بلا حاجب

ومنه قوله

وانما ساقى جواد كفه * وكفت بالراح صبا بعد صب
قال قوم فاق كعبا فى الندى * قلت لاغرو لساق فوق كعب

ومنه قوله

يا ساكنا قلبى على انه * بوجده فى قلق ذائب
قلبى من خوف النوى واجب * وأنت لم تخرج عن الواجب

نكتة الواجب أخذها الشيخ جمال الدين بن نباتة ولكن سبكها فى غير هذا القالب فى قوله فى رامى بندق

اسعد بها يا فرى برزة * سعيدة الطالع والغارب
صرعت طيرا وسكنت الحشا * فانه ذيت عن الواجب

ويعجبنى من تغزلات السراج الوراق قوله

أقول لهم شبهت بالغصن قدها * فقالوا رأيناه قدها منه أرشقا
فقلت وبالرمان شبهت نهدها * فقالوا اذن شبهت شيأ محققا

ومنه قوله

وقفت باطلال الاحبة سائلا * ودمعى يسقى ثم عهدا ومعهدا
ومن عجب أنى أروى ديارهم * وحظى منها حين أسالها الصدا

ومنه قوله

وبى من البدو كحلاء الجفون بدت * فى قومها كمهاة بين آساد
بنت عليها المعالى من ذوائبها * بيتا من الشعر لم يعمد بأوتاد

بديه والقيام والصلاة
ثم بكاء عنان وأثنيت عليه
والثنا من الله عز وجل بكل
لسان واخلصت له
والاخلاص محمود من كل
انسان وان كنت لا احبه
محبة والدى وولدى فانا ابن
زانية وزان ولى مع الله
الهنات افبعد هذه الحرمات
انا طعمة فلان وفلان
يتناولانى سبعا فى ثمان

واوقدت وجنتاها النار للقرى * لكن لا تنقذ منا وأكباد

فلو بدت لحسان الحضر قلن لها * على الرؤس وقلن الفضل للبادى

قال ديوان الشيخ سراج الدين الوراق سبع مجلدات فى القطع الكامل ولكن الذى جنيته وفكهت المتأمل به هنا هو ثمرات تلك الاوراق وجمع الشيخ صلاح الدين الصفدى من ديوانه كتابا لطيفا وسماه لمع السراج ولكن رأيت نور السراج فيه قليلا ومن مقاطيف الجزار فى حسن التورية قوله مورياً فى صناعته

الاقل للذى يسأ * ل عن قومى وعن أهلى

لقد تسأل عن قوم * كرام الفرع والاصل

ترجيهم بنو كلاب * وتخشاهم بنو عجل

ومثله قوله

انى لمن معشر سفك الدماء لهم * دأب وسل عنهم ان رمت تصديق

تضحى بالدم اشراقا عراصهم * فكل أيامهم أيام تشريق

ومثله قوله

أصبحت لحاما وفى البيت لا * أعرف ما رائحة اللحم

واعتضت من فقرى ومن فاقتى * عن التذاذ الطعم بالشم

جهلته فقرا فكنت الذى * أضله الله على علم

ومثله قوله

أعمل فى اللحم للعشاء ولا * انال منه العشاء ما ذنبى

خلا فؤادى وفى فى ويدى * كاننى فى جزارتى كلبى

وظريف قوله

كيف لا أشكر الجزارة ما عشت حفاظا وارفض الآدابا

وبها صارت الكلاب ترجينى وبالشعر كنت أرجو الكلابا

وقلبه أيضا وقال

لا تعبنى بصنعة القصاب * فهى أذكى من عنبر الآداب

كان فضلى على الكلاب فمذ صر * ت اديبا رجوت فضل الكلاب

ومثله قوله

معشر ما جاءهم مسترفد * راح الا وهو منهم معسر

انا جزار وهم من بقر * ما راونى قط الا انفروا

وقال متهكما على المتنبى

تعاظم قدرى على ابن الحسين * فذهنى كالعارض الصيب

وكم مرة قد تحكمت فيه * لان الحروف أبو الطيب

وكتب اليه الشيخ نصير الدين الحمامى موريا عن صناعته

ومذ لزمت الحمام صرت بها * خلا يدارى من لا يداريه

محن الزمان كثيرة لا تنقضى
وسرورها يأتيك فى الاحيان
واقه ما كتبت هذا الكتاب
حتى رأيت جارى يرهب
وجاريتى تو هب ومالى
يذهب وضياعى تنهب
وأكارى يضرب ووكيلى
يطلب وان الكلمة بهراة
مختلفة جدا كالضد لا بلا ثم
ضدا فاذا صير الى خدين
كان احدهما خدا امرد
والآخر صدغا اسود
زعموا ان الشيخ الجليل

أعرف حر الاشيا وباردها * وآخذ الماء من مجاريه

فاجابه أبو الحسين الجزار بقوله

حسن التأنى مما يعين على * رزق الفتى والحظوظ تختلف
والعبد مذ صار فى جزارته * يعرف من أين تؤكل الكتف

ومن لطائفه البديعة ما كتب به الى بعض الرؤساء وقد منع من الدخول الى بيته فى يوم فرح

أمولاى ما من طباعى الخروج * ولكن تعلمته من خول *
أتيت لبابك ارجو الغنى * فأخرجنى الضرب عند الدخول

وكتب الى بعض الرؤساء يستهدى منه قطرا

ايا علم الدين الذى جود كفه * براحته قد أخجل الغيث والبحرا
اثن أمحلت أرض الكنافة اننى * لارجو لها من سحب راحتك القطرا

هذا القطر تحلى به الشيخ جمال الدين بن نباته بقوله

بجود قاضى القضاة أشكو * عجزى عن الحلو فى صيامى
والقطر أرجو ولا عجيب * للقطر يرجى من الغمام

وتلاعب الناس به بعده كثيرا ويعجبنى من تغزلات أبى الحسين الجزار قوله

تكامل بدر السما اذ حكى * محياك لولم يشنه الكلف
وقام بعذرى فيك العذار * فاجرى دموعى لما وقف

ومنها قوله

حمت خدها والثغر عن حائم شج * له أمل فى مورد ومورّد
وكم هام قلبى لارتشاف رضابها * فأعرب عن تفصيل نحو المبرّد

ومن لطائف مجونه فى التورية قوله

تزوج الشيخ أبى شيخة * ليس لها عقل ولا ذهن
لو برزت صورتها فى الدجا * ما جسرت تبصرها الجن
كأنها فى فرشها رمة * وشعرها من حولها قطن
* وقائل قال ما سنها * فقلت ما فى فمها سن

قال الشيخ اثير الدين أبو حيان رأيت ابا الحسين بالقاهرة عند الشيخ قطب الدين بن القسطلانى فقال لى الشيخ قطب الدين هذا هو الاديب أبو الحسين الجزار فانشدنى لنفسه وكتبت عنه

من منصفى من معشر * كثروا علىّ وأكثروا
صادقتهم وأرى الخرو * ج من الصداقة يعسر
كالخط يسهل فى الطرو * س ومحوه يتعذر
واذا أردت كشطته * لكن ذلك يؤثر

ومما شرح الصدور وسرّ القلب من قول الحمامى

وكدرت حمامى بغيبتك التى * تكدر فيها العيش من كل مشرب

نظر لجيرانك فنحن نستدرك ذلك وقلت ما احتاط الشيخ الجليل فى سكة احتياطه فى سكنى ولا نعرف حال محلة نعرفه حال محاق ولقد بعث اليها من عندها جرة جرة وعلم من يسكنها ملكا واجرة واستكشف حرفة كل واحد فاثبت على داره شيأ عدداره فان كان نظر لى كما تزعمون فلم تخفا المؤنة ولى نعمتكم وانتم صنائعه

فما كان صدر الحوض منشرحاً بها * ولا كان قلب الماء فيها بطيب

ومنه قوله

لي منزل معروفه * ينهل غيثاً كالسحب
اقبل ذا العذر به * واكرم الجار الجنب

ومن لطائفه ما كتب به الى السراج الوراق على يد مليح ولسانه

عبدك يا مولاى وافى بها * وفى بها معنى لمن يعقل
وهو على الباب ومقصوده * وفيك فهم أنه يدخل

ومن نكته اللطيفة قوله

أصبحت من اغنى الورى * وطائراً بالفرح
الخمر عندى ذهب * أكاله بالقدح

وقوله

أقول للكاس اذ تبدى * بكف احوى اغن احور
اخوبت يتى وبيت غيرى * واصل ذا كعبك المدور

ومن لطائفه فى تغزلاته قوله

مازال يسقينى زلال رضابه * لما خفيت ضنى وذبت توقدا
ويظننى حياً رويت بريقه * فاذا دعا قلبى يجاوبه الصدى

أخذه الشيخ جمال الدين بن نباتة وتقوى عليه بالسيف فقال

ادعو السيوف صقيلة من لحظه * واذا دعوت لما يجاوبنى الصدى

ومن لطائفه فى مداعباته قوله

رأيت شخصاً آكلا كرشة * وهو أخو ذوق وفيه فطن
وقال مازلت محباً لها * قلت من الايمان حب الوطن

ومن انتظم فى سلك الجماعة وانتصر للتورية وحسن مواقعها ناصر الدين حسن بن النقيب

وجودت مع فقرى وشيخوختى التى * بها اليوم نومى عن جفونى مشرد
* فلا يدعى غيرى مقامى فاننى * انا ذلك الشيخ الفقير المجرد *

ومن نكته العربية فى التورية قوله

اقول وقد شنوا الى الحرب غارة * دعونى فانى آكل الخبز بالجبن

ومثل ذلك قوله

اقول لنوبة الحمى اتركينى * ولا يك منك لى ماعشت أوبه
فقالت كيف يمكن ترك هذا * وهل يبقى الامير بغير نوبه

ومن لطائفه قوله

قالوا رأينا العلق ينفق مسرفا * والعلق لاشئ لديه ولا معه
فاجبتهم انفاقه من بحره * قالوا صدقت لذا ينفق من سعه

ولم تهدمون بناء هو رافعه
وتفرقون شملا هو جامعه
ولقد حدثت بهراة رسوم
غيرت فى وجه ما تقدم
واستؤنف ظلم يقطر الدم
لا اصبح الاعلى باب يردم
وساكن يعدم ولا امسى
الاعلى دار تهدم ومخدومة
تستخدم فى كل دار ديوان
وعلى كل باب أعوان وفى
كل يد ميزان وكل احد
سلطان واذا الطلق غوره

ومن لطائف ما وقع في توريته السمجة قول ابي الحسين الجزار وقد وقف على باب ابن الزبير ومنع من الدخول دون غيره فكتب رقعة وأرسلها الى ابن الزبير فاذا فيها

الناس قد دخلوا كالاير اجمعهم * والعبد مثل الخصى ملقى على الباب

فلما وقف ابن الزبير على هذا البيت أمر بعض الخدم ان يقف على الباب وينادي ادخل ياخصى فدخل وهو يقول هذا دليل على السعة ومنه قوله

ومكرش اضحى يحلق سفله * لعساه لا يشكى اليه ويشكر
ويقص لحيته فان ناديته * لبالك وهو محلق ومقصر

ويعجبني من لطائفه قوله في داره

ودار خراب بها قد نزلت * ولكن نزلت الى السابعه
طريق من الطرق مسلوكة * محجتها للورى شاسعه
فلا فرق ما بين اني اكون * بها او اكون على القارعه
تساررها هفوات النسيم * فتصغي بلا اذن سامعه *
واخشى بها أن أقيم الصلاة * فتسجد حيطانها الراكعه
اذا ما قرأت اذا زلزلت * خشيت بان تقرأ الواقعه

ومنه قوله

جودوا لنسجع بالمديح على علا كم سرمدا
فالطير أحسن ما يغرد عندما يقع الندى

ومن بدائع اغزاله قوله

ومالي سوى عين نظرت لحسنها * وذاك لجهلي بالعيون وغرقي
وقالوا به في الحب عين ونظرة * لقد صدقوا عين الحبيب ونظرتي

ومن لطائف مجونه قوله

نفقت لي راس من الخيل كانت * تسبق البرق والرياح الزعازع
وابتلي الله في المشاعر انوى * بشقاق لها عن المشي مانع
واذا قيل كم بقي لك رأس * قلت رأس لكن بغير كوارع

ومن لطائفه ايضا في تورية المطوق قوله

أنت طوقتني صنيعا واسمعتك شكرا كلاهما ما يضيع
فاذا ما شجاك سجعي فاني * انا ذاك المطوق المسموع

ومن هنا اخذ الشيخ جمال الدين بن نباتة سجع المطوق ووصل به عدة مقاطيع ومن غاية تغزلاته قوله

ومبت بمهجتي جمرات شوق * ولم تأخذك بالمشتاق رأفه
فهرول دمع عيني فوق خدي * وما حصلت لمع ذاك وقفه

ومن لطائف مجونه قوله

قال لي الواسع صف لي * مثل ما اعرف وصفك

والمن الله اياف لان لا اراه في اليوم الا اصاب ذنب اليوم ومما بث الشيخ الجليل ان مبلغ خراجي بجراة آلفان وعلى الخف من الجرمان ثلاثة مدوره بيض مقشره وعلى المثقل تسعة وعشره ووددت لو امكن التبليغ باقل من هذا فأفعل ولكن اذواها فاغره واضراسا طاحنه وعيالا واذيالا الله وكيلهم وانا

أين باب الطرق قل لى * قلت باب الطرق خلفك

ومن غرائب النكت قوله

أبيات شعرك كالقصو * ر ولا قصور بها يعوق
ومن العجائب لفظها * حر ومعناها رقيق

ومن بديع اختراعاته قوله

قالوا قد احترقت بالنار راحته * وهى الغمام ومنها الوابل الغدق
وقال قوم وما ضلوا وما وهموا * بأنها النيل قالت النيل يحترق

ومن غريب نكته قوله

يا خالد الاشواق يحيى الدجا * يعرف هذا العاشق الوامق
خذ حديث الوجد عن جعفر * من دمع عيني انه الصادق

ومن بديع تغزله قوله

يا مالكي ولديك ذلى شافعى * مالى سألت فما أجبت سؤالى
فوحدك النعمان ان بلمتى * وشكايتى من جفنك الغزال (لى)

ومن بديع غزله قوله

أقول لمن جفنه سيفه * ولكنه ليس يخشى نبوه
تكلف جفنك حمل الفتور * وأخرج فيه من الضعف قوه

ومن نكته الغريبة قوله

قلت لسقم الجسم منى وقد * أفرط بى فرط ضنى واكتئاب
نعات بى يا سقم ما لم يكن * تلبس والله عليه الثياب

وممن حصل الجلاء عيون التورية بلاطفته الحكيم شمس الدين بن دانيال من لطائفه قوله

يا سائلى عن حرفتى فى الورى * واضيعتى فيهم وافلاسى
ما حال من درهم انفاقه * يأخذه من أعين الناس

ومنه قوله

كم قيل لى اذ ادعيت شمسا * لا بد للشمس من طلوع
فكان ذاك الطلوع داء * يرقى الى السطح من ضلوعى

ومن لطائفه أيضا قوله

ما عاينت عيناى فى عطلتى * أقل من حظى ومن بختى
قد بعت عبدى وجارى معا * وصرت لا فوقى ولا تحتى

ومن لطائفه أيضا فى جارية تضرب بالدف واجاد قوله

ذات القوام الذى يهتز غصن نقا * لو مر يوما عليه طائر صدحا
تبدى على الدف كالجمار معصمها * لنقر بيتان يشبه البلحا
غنا وها برق الغنج غنجه * فما ينقط الا كل من رقصا

ومن اختراعاته البديعة قوله

ربهم رأ كيلهم وان أمكن يحويل هذا المتدارس الخراج يوشج لبنو فرحقوق بيت المال واصان عن مجازفات العمال وتبعات المحال فتلك غاية الآمال وان تعذر فكتاب الى كل واحد من الاعمال ينبض له على العروق السواكن ويسكن العروق النوابض ومن محن هذا العام أن ابا البحترى وهو من عيون التجار

أياسائلي عن قد محبوبي الذي * فتنت به وجداً وهمت غراما
أبى قصر الاغصان ثم رأى القنا * طوالا فاضحى بين ذلك قواما

ومن أحيا رسوم التورية وأظهر خفيها القاضي محيي الدين بن عبد الظاهر ومن نظمه فيها

لقد قال كعب في النبي قصيدة * وقلنا عسى في فضلها نتشارك
فان شملتنا بالجوائز رحمة * كرحمة كعب فهو كعب مبارك

ومن لطائفه قوله

لا ينقل الروض أحاديثه * عن عين نمام غدت حافيه
فانه ينقل أخباره * الى أعين عنده صافيه

ومثله قوله

* يا قاتلي بلحاظ * قتيلها ليس يقبر
ان صبروا عنك قلبي * فهو القتيل المصبر

وقال

ان لوزي حلق * واهن الحبل والقوى
لم يكافئك كسره * فالق الحب والنوى

ومن نظمي في هذا المعنى في المشمش السلطاني بحماة

قال سلطاني حماة عندما * أجلسوه مذ أتاهم في الصدور
مشمش الشام يقوى قلبه * يوم نقع فهو قد أضحى وزيري

ومن لطائف القاضي محيي الدين قوله

شكر النسيمة أرضكم * كم بلغت عني تحيه
لا غرو ان حفظت أحا * ديث الهوى فهي الذكيه

وهذه النكتة أخذها الشيخ صلاح الدين الصفدي وقال

يا طيب نشر هب لي من نحوكم * فأثار كامن لوعتي وتهتكي
أهدى تحيتكم وأشبه لطفكم * وروى شذا كم ان ذا لنشر ذكي

وأشار الى هذه السرقة الشيخ شهاب الدين بن أبي حجلة بقوله ولم يخرج عما نحن فيه من التورية

ان ابن أيبك لم تزل سرقاته * تأتي بكل قبيحة وقبيح
نسب المعاني في النسيم لنفسه * جهلا فراح كلامه في الريح

من نكته البديعة الغريبة قوله

لا تسلني عن أول العشق اني * أنا فيه قديم هجر وهجره
من دموعي ومن جبينك أرخت * غراما بمستهل وغره

ونطق الشيخ عز الدين الموصلي على هذا المعنى ولكن سبكه في قالب حسن بقوله من قصيد

فيا هاجري عاما القد ضل عاذلي * وليس له وجه وتاريخه سلخ

ومن لطائفه قوله بمنزلة القطيفة بالقرب من دمشق

واعيان الاحرار عاملني معاملة الطرار طالبت منه مالا استفتح بعضه الحي بلخ فابى أن يطلب حتى يحصل المال عند شريكه فاذا وصل الكتاب بوصوله اليه خرج حينئذ مما عليه وكتبت الى صاحبي بلخ فوفر على صاحبه المال واستخار الله ابو البختري وابتلعه ابتلاع الحوت وايام سلامة صدري وتهاونى بامري تركت هذا

هذى القطيفة التى * لاتشتهى عقلا ونقلا
شيت بيرديابس * فلاجل ذا الحشو تقلى

ومن لطائفه قوله

ضفر الشعر وآتى * خلقه كالقطن وفره
قات ماذا قال شيب * قلت والله ودره

ومن لطائفه قوله فى معشوقه المعنى المسمى بالنسيم

ان كانت العشاق من أشواقهم * جعلوا النسيم الى الحبيب رسولا
فأنا الذى أتلو لهم يا ليتنى * كنت اتخذت مع الرسول سبيلا

ومثله قوله فيه

يامن غدا لى من عوا * صف هجره الريح العقيم
اترى يطيب لى الهوى * ويقال لى رق النسيم

ومن لطائفه قوله

سل سيفا من جفنه ثم أرخى * وفرة وفرت عليه الجميلة
ان شكا الخصر طولها غيربدع * لنحيل يشكو الليالى الطويله

وألم به ابن العفيف فقال

حل ثلاثا يوم حمامه * ذوائبا تعبق منها الغوال
فقلت والقصد ذؤابانه * ياسهرى فى ذى الليالى الطوال

وهذا المعنى تلاعب به جماعة من المتأخرين ولولا الخيفة من طول الشرح لذكرت ذلك ولكن لابد أن يرد على المتأمل فى مواضعه ويعجبنى قوله

وبروحى هويته عجميا * لى لذت الفاظه الغتميه
كم حلا عجمة فقلت خلى * خلنى والحلاوة العجميه

ومن لطائف مجونه قوله

وأعور العين ظل يكشفها * بلاحياء منه ولاخيفه
وكيف يلقى الحياء عند فتى * عورته لاتزال مكشوفه

ومنه قوله

قال لى العلق وقد جئته * أريه ابر افاق فى حشفه
اير لهذا مات قلت انحنى * كرامة الميت فى دفنه

ويعجبنى من خمرياته قوله

خمرة للشقيق أمست شقيقه * بنت كرم بالمكرمات خليقه
قال قوم من لطفها هى فى آلكا * س مجاز والكاس فيها حقيقه
اتحفت فرحة وجاءت بكاس * صبغت حمرة فنعم الشقيقه

ومن بديع اقتباسه بالتوريه قوله

بابى فتاة من كمال صفاتها * وجمال بهجتها تحار الاعين

الحديث وراءه ظهرى مقدرا أن مالى عند صاحبى حتى ورد الآن كتابه فذكر أن هذه القصة فعلت قبح الله الخائن وأخزاه وأضعف له إذا جازاه عمرى لقد شكوت العلة الى طبيب وأزلت الحاجة بكريم وللشيخ الجليل الراى العالى والسلام

(وله اليه أيضا)

الشيخ الجليل أدام الله عزه يعلم حال هراة وأهلها

كم قد دفعت عواذلى عن وجهها * لما تبدت بالتى هى أحسن

هذا الاقتباس بالتورية أخذه الشيخ جمال الدين بقافيته ولكن زاده ايضاحا بقوله

يا عاذلى شمس النهار جميلة * وجمال فاتنتى ألذ وأزين

فانظر الى حسنيهما متأملا * وادفع ملامك بالتى هى أحسن

والم به الشيخ عز الدين الموصلى وما خرج عن ايضاحه أيضا بقوله

قد ساوناعن المليح بخود * ذات وجه به الجمال تفنن

ورجعنا عن التهتك فيه * ودفعناه بالتى هى أحسن

ومن لطائفه قوله

ذات طوق وذات زيق تغنى * فتنبى بالوجد من ليس يدرى

زيقت ثم كاشفتنا فقلنا * لك زيق الغنى ولى زيق فقرى

ما تراها قد حدثت خاطر الشعر بما قد جرى وما منه يجرى

ومن لطيف كلامه قوله

وبطحاء فى واد يروقك روضها * ولاسيما ان جاد غيث مبكر

تلاحظها عين تفيض بادمع * يرقرقها منه هنالك محجر

اذا فاخرتها الريح وهى عليلة * باذيال كثبان الربا تتعثر

بها الفضل يبدو والربيع وقد غدا * بها الروض يحيى وهو لاشك جعفر

وقال فى مليحة اسمها وردة

بابى وردة مولدة الحسن دعوها بوردة البستان

فى التصاوير مثلها ليس يلفى * فيقولون وردة كالدهان

ومن نوادره الغريبة فى المواليا فى مليح مشطوب

لك طرف احور جمى من حسنك السرحه * كم قد أغار على العشاق فى صحه

لما علت باوسابق الصحه * عليه خفت فشطبتوعلى صحه

ومن نكته الغريبة فى اغزاله قوله

ذباب السيف من لحظ اليه * لاخضر صدغه حسن انتسابى

ولا عجب اذا ما قيل هذا * لصدغ زمرذه ذبابى

ومن اختراعاته الغريبة قوله

كتبت لكم من اعين القصب التى * لها من معانيكم زمن نفسها طرب

فان أطرب التشبيب فيها بذكركم * فكم أطرب التشبيب من أعين القصب

ومن هنا أخذ المعمار فقال

هويته مشببا * بجماله برح بى

تيم قلبى بالجفا * ز من عيون القصب

ومن مخترعات القاضى محى الدين بن عبد الظاهر قوله

ملأت الليالى من علاو خفقتها * فقد اصبحت محشوة بمكارمك

في استقصاء النقد وكثرة الرد وشدة الاحتياط فى المدح وجراءة الاقدام على الذم وان الجميل عندهم من وراء جدار والقبيح عندهم نار على منار وانهم فى اللوذعيج قولات فاذا مدحوا اسيرة رجل وجدوا عشرته لم يبق فيه طمع للسمك ولا موضع للشك ووردت هراة فوجدت الالسن متفقه على تقريظ أبى فلان والنفوس بجملة بفراقه تسأله المقام بين اظهرهم وتجزع لخروجه من بلدهم ثم وجدته من بعد غالبا فى العبودية للشيخ الجليل مستظهرا بايامه وسألنى تقرير حاله واقامة الشهادة له فخرجت من عهدتها والشيخ الجليل فيما انهاه عبده وخادمه العين العالية

خفت عليها الثريا فقل لنا * اهدا الذى فى كفها من خواتمك

ومنه قوله

يا سيدى ان جرى من مدمعى ودمى * للعين والقلب مسفوح ومسفوك
لا تخش من قود يقتص منك به * فالعين جارية والقلب مملوك

ومنه قوله

ذو قوام يجور منه اعتدال * كم طعين به من العشاق
سلب القضب لينها فهى غيظا * واقفات تشكوه بالاوراق

ومنه قوله

يارب كاس صرت من شربها * من بعد وشنى ربق معشوقى
ملتهب الاحشاء نارا لان * شربتها منه على الريق

ويعجبنى منه قوله

انت من وجهه ولحظ * لك دينار وكسر

هذا الدينار والكسر اغتصبه الشيخ جمال الدين بن نباتة ولم يشبكه فى غير قالبه فقال

افدى حبيبا لى الى * مرآه طول الدهر فقر
فى خده وجفونه * للحسن دينار وكسر

وهذه زاوية اخترتها من ديوان الشيخ الامام العلامة شيخ الشيوخ عبد العزيز الانصارى الحموى سقى الله ثراه اما بعد حمد الله الذى اطلعنا من زوايا الادب على خبايا * وارشدنا بمشايخ شيوخه الى سلوك ما فيه من المزايا * والصلاة والسلام على نبيه الذى اختاره فكان نعم المختار * وعلى آله وصحبه المنتظمين فى سلك هذا الاختيار * فقد انتهى ما اوردته منوعا فى التورية من الحلاوات القاهرية * وقد تعين ان افكه المتأمل بعد ذلك بالفواكه الشاميه * واقتطف له من فروع شيخ الشيوخ ما يظهر به مزية الثمرات الحموية * وقدرة السلطنة فى الادب وناهيك بالسلطنة الشيخيه * فاخترت من ابيات قصائده ومواصيل مقاطيعه ما يحلو بها التشبيب * وسميته زاوية شيخ الشيوخ علما بانها زاوية يتاهل بها الغريب * والله تعالى يجعلنا ممن تخير العمل الصالح فاحسن * وسمع القول فاتبع منه الاحسن * فمن ذلك قوله من قصيدة

ويلاه من نوى المشرد * وآه من شملى المبدد
يا كامل الحسن ليس يطفى * نارى سوى ريقك المبرد

منها وصل الى المخلص وهو فى غاية الحسن قوله

غصن تقاحل عقد صبرى * بلين خصر يكاد يعقد
فمن رأى ذلك الوشا * ح الصائم صلى على محمد

ومنه قوله من قصيد

انا من ربة الخالين جاره * نواصل نارة وتصد تاره
تعاملنى بما يحلى سلاوى * ولكن ليس فى حلو مراره

(وله اليه ايضا)
وفى الحديث المرفوع اطال الله بقاء الشيخ الجليل ان شر القرون قرن يحلف فيه قبل ان يستحلف ويشهد فيه قبل ان يستشهد وقد قويت ان وفق الله تعالى ان لا يتلثم ماذا كرا ولولا هذه الحالة لحلفت ان الله تعالى وان صانى عن اليتم صغيرا وعن الثكل كبيرا فقد اذاقنى من فراق الشيخ الجليل امر منهما كاسا وحكى ان رجلا قعد للفاحشة مقعدها ثم افكر فقال ان من باع جنة عرضها السموات والارض بهذا القتر بحت هذا الستر لواسع رقعة الرقاعة خليق البضاعة بالاضاعة قليل البصر بالمساحة مغبون الصفقة فى التجارة جدير الحبس بالحجارة وذلك مثلى اذ بعت مكانى من

ومنه قوله وهو مطلع قصيد

بحروف غرامى كلها حرف اغراء * على أن سقمى بعض افعال اسماء

ومن هنا أخذ الشيخ جمال الدين وقال

أودت فعالك يا اسما باحشائى * واحيرتى بين افعال وأسماء

ومن بديع نكته قوله

وبدر دجى لم ينتقل كسميه * ولكنه ما زال فى القلب والطرف

يلوح لعينى ماشقا نون صدغه * فاعبد خلاقى على ذلك الحرف

هذه النكتة اخذها ابن الوردى بقافيتها وغالب الفاظها ومعناها فقال

* يا بدر تم نوره باهر * منزله فى القلب والطرف

صدغك حرف النون فى مشقه * من يعبد الله على حرف

ولعمرى انها سرقة فاحشة ومنه قوله

أقام لخده النارى عذارا * ومذ أقصى عذارى وهو يلجى

حمى مرج العذار بعقلتيه * فامسى الناس فى هرج ومرج

ومنه قوله فى التورية مع بديع الاقتباس

يا نظرة ما جلت لى حسن طلعته * حتى انقضت وأداءتنى على وجل

عاتبت انسان عينى فى تسرعه * فقال لى خلق الانسان من عجل

اخذه الشيخ جمال الدين بن نباتة وجعله مطلع القصيدة فقال

انسان عينى بعجيل السهاد ملى * عمرى لقد خلق الانسان من عجل

ومنه قول الشيخ عز الدين شيخ الشيوخ وتلطف ما شاء مع قصر الوزن

وغمام معربد * ببروق وزجره * غادر الروض ناضرا * بعيون مخضره

ومنه قوله

قلت وقد عقرب صدغاله * عن مشقه الحاجب لم يحجب

قد سدت يا رب الجمال الذى * الف بين النون والعقرب

وقال وتلطف ما شاء واظنه أول من ورى بهذه النكتة

افدى حبيبا ارزقت منه * عطف محب على حبيب

بوجنة ماتم ربحى * وقد غدا ورده انصيبى

ومن هنا أخذ الشيخ جمال الدين بن نباتة وغيره وقول الشيخ جمال الدين بن نباتة

فديتك غصنا ليس يبرح مثمرا * من الحسن فى الدنيا بكل غريب

تفتح فى وجناته الورد احمرا * فياليت ذاك الورد كان نصيبى

ومنه قوله

لا تنس وجدى بك يا شادنا * بحبه انسيت احبابى

مالى على هجرك من طاقة * فهل الى وصلك من باب

ومنه قوله

مجلسه المعمور واعتضت منه عرضا من الدنيا يسيرا ومتاعا قليلا فان ترجع الايام بينى وبينكم بذى الاثل صيفا مثل صيفى ومرابعى اشد على عناق النوى بعد هذه مرائر ان جاذبتها لم تقطع على انى اصبحت سداد الخلة وسدادا للخدمة وصوانا للوجه وبعض الشر اهون من بعض ولله الحمد ثم للشيخ الجليل من بعد فانى لا كتبه المتواترة ونعمه الظاهرة المتظاهرة لاقت طويلا ولم اصب قتيلا فالآن قد آذنت الحال ببعض النظام وستنتظم على الايام ان شاء الله تعالى وورودت من الشيخ الرئيس على كريم والعرب وان كانت اكبادها غلاظا اكثر الامم حفاظا وضبة وان كانت كسبها احقادا

مرضت ولي جيرة كلهم * عن الرشد في صبيق حائد
فاصبحت في النقص مثل الذي * ولا صلة لي ولا عائد

ومن هنا أخذ الشيخ عز الدين الموصلي وقال

اهل دمشق قد مرضت عندهم * وما قصدت نحوهم بمسئله
مع علمهم بأنني انا الذي * ولا أتاني عائد ولا صله

ومنه قوله

قالوا أما في جلق نزهة * تسيك من أنت به مغرى
ياعاذلي دونك من لحظه * سهما ومن عارضه سطرا

السهم وسطرى من متنزهات دمشق المشهورة ومن هنا أخذ الشيخ جلال الدين بن خطيب داريا وقال

سألت كان جنتا الشام بكرة * وعاينتا الشقراء والغوطة الخضرا
فقالوا اقرأ مني كتابا كتبته * بدمعي لكم مقرا ولا تنسيا سطرا

ومقرا أيضا من متنزهات دمشق وحسن بعد هذا ذكر سطرا ومنه قوله واجاد

شعبان مورثه من حسن يوسف ما * لم يبق في الجزلي والصبر من حصص
اقام للشعراء العذر عارضه * فكم لهم في دبيب النمل من قصص

ومنه قوله

ولقد عجبت لعاذلي في حبه * لما دجا ليل العذار المظلم
اوما درى من سنتي وطريقتي * اني اميل مع السواد الاعظم

ومن هنا أخذ الشيخ جمال الدين بن نباتة وغيره فاما ابن نباتة فانه أخذه وزنا وقافية وقال

اهواه معسول الرضاب منعما * ولقد يعذبني الهوى بتنعم
ياقلب هذا شعره وجفونه * صبرا على هذا السواد الاعظم

ومن لطائفه قوله

ا كلت سنا واربعين بها * اخلت هموي من راحتي ربعي
وجزت في السبع شانقا وجلا * لانني جائز على سبع *

ومن نكته اللطيفة قوله

هزم الهم عن ندامای راح * خطبت من سماعهم بلحون
لم تكد في الكؤس تظهر لطفا * فبدت من خدودهم في الصحون

ومن لطائف مجونه قوله

سألته من ريقه شربة * اطفي بها من كبدي حره
فقال اخشى يا شديد الظما * أن تتبع الشربة بالجره

ومن هنا أخذ المتأخرون ومن نكته اللطيفة ما كتبه على جرن حمام السلطان بحماة

كملت لطفا وفقارا على * ما حزت من اوصافي الحلوه
من أجل هذا صرت اهلا لان * اجالس السلطان في الخلوه

واكبا دا اوفر العرب اسلاما وا كثرها اكراما والشيخ الرئيس طوع لمخاطبات الشيخ الجليل يتصرف معها تصرف الظلال عن اليمين وعن الشمال فالشهد اذا عرض عنه سم مابذل الجهد والسم اذا نظر اليه شهد وقد وردت فال مقدمي اكراما ومنزلى انزالا وحديث ما حديث حديث الشيخين السيد ابن أبي القاسم وابي الحسين وارانى الله طلعتهما وامتعني بهما وبقربهما فلا عيش الا في ذراهما وبحيث اراهما وضالة الامل كلاهما وبرد الفؤاد هما هما افعلا واين بلغا فما يقصر نفاذهما ان لم يقصر استاذهما ولا يضيق امكانهما ان لم يضيق زمانهما وما أخاف عليهما الاعارض الكسل وحادث

ومن اجاد رقيق التورية من غلظا العقادة الامير مجير الدين بن تميم فى ذلك قوله

لما لبثت لبعده ثوب الضنى * وغدوت من ثوب اصطبارى عاريا
اجريت واقف أدمعى من بعده * وجعلته وقفا عليه جاريا

ومن لطائف نكته قوله فى كتاب

ياحسنها نسخة يلهو مطالعها * بها لما قد حوت من رائق الكلم
صحت وقد لطفت اجزاؤها فحكت * لطف النسيم وحاشاها من السقم

ومنه قوله

بتنا جميعا وبات لثمى * له حتى ثغره مباح
فمات منى الظلام غيظا * وانشق من غيظه الصباح

ومنه قوله

وساقية تدور على الندامى * وتنهرهم لسرعة شرب خمر
سنشكر يومها وقد تقضى * بساقية تقابلنا بنهر

وهذه النكتة تلاعب الناس بها كثيرا ومن نكته الغريبة قوله فى سجادة

اياحسنها سجادة سندسية * يرى التقى والزهد فيها توسم
اذا ما رآها الناسكون ذووا الحجا * أمامهم صلوا عليها وسلموا

ومن هنا أخذ الشيخ جمال الدين بن نباتة وقال

ان سجادتى الحقيرة قدرا * لم يفتها فى بابك التعظيم
شرفت اذ سعت اليك فامست * وعليها الصلاة والتسليم

وتطفل عليها الشيخ زين الدين بن الوردى أيضا فقال

سجادة اذكرتنى * منك الذى كنت اعلم
احمد بها لحب * صلى عليها وسلم

ومن قوله وهو من ألطف اغزاله

ياحسن اهيف حظه من حبنا * طيب النعيم وحظنا منه الشقا
قدم العذار الى نقا وجناته * يامرحبا بقدوم جيران النقا

ومن نكته الغريبة قوله فى مليح جرح جبينه

بكو الجراحة شقت جبين الشعيب فقال ما ضر الجراح
اليس جبينه صبحا منيرا * ولا عجب اذا انشق الصباح

ومن لطائفه قوله

وعيرنى بالشيب قوم احبهم * فقلت وشأن لعاشقين التحمل
بعثتم الى رأسى المشيب بهجركم * ومهما تى منكم على الرأس يحمل

وهذه النكتة أيضا تلاعب بها المتأخرون بعد ابن تميم كثيرا ومن لطائف نكته ايضا قوله

ونهر خاف الاهواء حتى * غدا طوعا لها فى كل أمر
اذا سرقت حلى الازهار ألقت * اليه بما فأخذها ويجرى

ان الطينة بحمد الله قابلة والقريحة حرة والهمة صاعدة وليت شعرى من المختلف اليهما وودت لو أقف عليهما فاخرج من عهدة بعض الثم والعود ان شاء الله احد انحاء وانسلاخ صفر وابتداء سفر وطيرة الهم وقوعها باذن الله زغائية لمجلس العالى ادام الله بهجته اعدهم امناء على تصديق منه فان احسنوا فان الله يجزى المحسنين وان خانوا فان الله لا يحب الخائنين السيد الفاضل فلان وان كان له اليد واللسان فمنه الحسن والاحسان وان كان قد خدمه الغريم فلن يخالفه الخلق الكريم وان حركته بالمحل همة انشدت ابيه مقصة عن قريب وما قليل وما شغفى بالماء الا تذكرا لماء به اهل الحبيب نزول وما عشت من بعد الاحبة سلوة ولكننى للنائبات حمول

ومثله قوله

سرق النسيم على الغصون بسحرة * لما أتاها وهي في اطرابها
وري بها نحو الغدير فضمها * في صدره من خوفه وجرى بها

ومن بدائع نكته

وليلة بت اسقى في غياهبها * راحا تسل شبابي من يد الهرم
مازلت اشربها حتى نظرت الى * غزالة الصبح ترعى نرجس الظلم

ومن لطائف نكته في أغزاله قوله

خليلي قد صاد الفؤاد بحسنه * غزال به عذر المحبين واضح
ولا غرو ان صاد الفؤاد بلحظه * الم تعلما أن العيون جوارح

ومن لطائف نكته في اغزاله أيضا قوله

وقالوا بدا خط العذار بخده * فأضحى سعيد الخد وهو معذر
فقلت خيال الشعر ماقد رأيتم * فان صح ذاك الخط فهو مزور

من هنا أخذ الشيخ صلاح الدين ولكن زاده نكتة اخرى بقوله

عيناه قد شهدت بأني مخطئ * وأتت بخط عذاره تذكارا
يا حاكم الحب اتئد في قتلتي * فالخط زور والشهود سكارى

ومن نكته الغريبة قوله

اياذا الذي قد كف كفيه عامدا * عن الجود خوف الفقر ماذا لسائغ
اتخشى سهام الفقر مادمت منفقا * نصيبك والنعما عليك سوابغ

ومن نكته الغريبة قوله

ونهر يعجب الروض اصبح مغرما * يروح ويغدو هائما بوصالها
اذا بعدت عنه شكا بخريره * جفاها وامسى قانعا بخيالها

ومن لطائف مجونه

وقواد يعيد الهجر وصلا * وطول البعد قربا واتفاقا
يكاد لحكمة فيه ولطف * يقود بلا أزمتها النياقا

ومن نكته البديعة الغريبة في باب التورية قوله

لما حسنتك بالمديح ولم أكن * ادرى بانك خامل في الناس
ناديت لما ان حسنتك بالهجاء * اكليب خذها من يدي جساس

ومنه قوله

مذ لاحظ المنثور طرف النرجس الشـ * ـمزور قال وقوله لايدفع
فتح عيونك في سواي فانني * عندي قبالة كل عين اصبع

ومن لطائفه في هذا الباب قوله

أيا حسنها من روضة ضاع نشرها * فنادت عليه في الرياض طيور
ودولا بها كادت تعد ضلوعه * لكثرة مايبكي لها ويدور

وللشيخ الجليل ادام الله عزه في تشريف عبده وخادمه بالجواب وتصريحه على الامر والنهي رأيه العالي ان شاء الله تعالى

(وله اليه ايضا)

وصل للشيخ الجليل السيد كتاب خشن البرد حافاته كالاسل يدق دق القصار ويشق شق البيطار ويقرض قرض الفار ويحك بالاظفار ويشك بالشفار فلو كنا على السواء ولكن احدنا في الارض والآخر في السماء
لو كان ادركنا ولكف بسطة
ولكن احاطت بالرقاب السلاسل

آخر

ولو رأى
مساغا لنابيه الشجاع لصمما
ولكن الرماح اجرت ولولا ان نبط دمي اقاضوني وخير ما في الباب قول الاول
تمنى ساني أن نلتني مساءة
لقد سرني اني خطرت ببالك

النكتة في بدور وروفي ضاع دارت بين ابن تميم وبين الجماعة وتسلسل دورها منهم بدر الدين يوسف ابن لؤلؤ الذهبي بقوله

وروضة دولابها * الى الغصون قد شكا
من حين ضاع نشرها * دار عليها وبكى

ومنهم الشيخ جمال الدين بن نباتة بقوله

وناعورة قسمت حسنها * على واصف وعلى سامع
وقد ضاع نشر الربا فاغتدت * تدور وتبكي على الضائع

ومنهم الشيخ صلاح الدين الصفدي ونقل المعنى الى الغزل بقوله

اضحى يقول عذاره * هل فيكم لي عاذر
الورد ضاع بخده * وانا عليه دائر

وبعضهم نقصه وقنع بالدور بقوله

أبدى لنا الدولاب قولا معجبا * لما رآنا قادمين اليه
اني من العجب العجيب كما ترى * قلبي معي وانا ادور عليه

وزاد الشيخ جمال الدين بن نباتة الدور نكتة أخرى فقال

وناعورة قالت وقد ضاع قلبها * واضلاعها كادت تعد من السقم
ادور على قلبي لاني فقدته * وامادموعي فهي تجري على جسمي

وهذا المعنى سبق اليه ابن تميم أيضا بقوله

قامت لنا بالعذر ناعورة * ادمعها في غاية السكب
تقول لما ضاع قلبي وقد * ضعفت بالنوح وبالندب
صيرت جسمي كله اعينا * يدور في الماء على قلبي

ومثله قوله

ناعورة قد ضاع منها قلبها * ناحت عليه بأنة وبكاء
وتعللت بلقائه فلاجل ذا * جعلت تدير عيونها في الماء

وقنع الشيخ زين الدين بن الوردي بالدور فقال

ناعورة مذعورة * والهانة وحائره
الماء فوق كتفها * وهي عليه دائره

وعلى ذكر تورية الدور يعجبني قول المقر المرحومي الفخري بن مكانس وقد كتب الى الشيخ بدر الدين البشتكي يداعبه وقد دار الشيخ بدر الدين المذكور في ساقية الهمائل

دورة البدر في سواقي الهمائل * تركت ادمع العيون هوامل
آه من للرياض نور اديب * مظهر من كلامه سحر بابل
فاق سجعا على بني مجلى في الجو * د وأغنى عن الولي الهاطل
زاد علما على أبي نور لكن * قال بالدور تارة والسلاسل

ومنها ولم يخرج عن تورية الدور

وما ظننت أحدا يعبث هذا العبث بطوما ر الجمار ويستخف هذا الاستخفاف بطي الاسرار زعم ادام الله تمكينه اني اخلف المواعيد واردّ العذر البعيد ومتى ادعيت ان قولي يكتب في المصاحف أو يتلى في المحاريب ومتى تبرأت من الاحاديث والله اني لا كذب الكذبة اظنها لحسنها صدقا وابس الشان في اللسان الشان فيما يعرج كل ليلة الى سماء الدنيا ولو شئت عددت عليه كما عد علي واكن لا تحرك الساكن وانما يلام المرء على موعد يخلفه اذا استفاد بخلفه جمالا او مالا او راحة فاما ترة الكذب ومرا صلة الرسل ونا في الوفاء بها اقرب الى

يا سعيدا اثرى من النظم والنثـــر فأنسى الورى زمان الفاضل

قد سقيت الرياض يا شيخ بالدو * ر فها غصنها من السكر مائل

ومن تطفلي فى تورية الدور أيضا قولى من قصيد

ومذ مد ذاك النهر ساقا مدمجا * وراح بنقش البيت يمشى على بسط

لو يناخلاخيل النواعير فالتوت * وأبدت لنا دورا على ساقه السبط

وعلى ذكر تورية الدور وتسلسلها هنا نكتة لطيفة وهى انه اتفق ان الشيخ نجم الدين القحفيرى سأل جماعة من الطلبة المشتغلين عليه عن قول الشاعر

يا أيها الحبر الذى * علم العروض به امتزج

أبن لنا دائرة * فيها بسيط وهزج

ففكر بعض الطلبة فيه ساعة طويلة ثم قال هذا فى الدولاب لانه أراد بالبسيط الماء وبالهزج صوته حال دورانه فقال له الشيخ صدقت الا انك درت فى الدولاب زمانا حتى ظهرت لك التورية وهذا الكلام فى غاية الظرف من الشيخ رحمه الله تعالى * رجع الى ما كنا فيه من لطائف ابن تميم فن ذلك قوله

لم لا اميل الى الرياض وحسنها * واعيش منها تحت ظل ضافى

والزهر يلقانى بثغر باسم * والماء يلقانى بقلب صافى

وهذان البيتان عزاهما الصلاح الكتبى فى كتابه فوات الوفيات للبدر يوسف بن لؤلؤ الذهبى ونسبا أيضا لمحيي الدين بن قرناص فى مواضع كثيرة والله أعلم ومن نكته اللطيفة فى التورية قوله

روحى الفداء لمن ادار بلحظه * صهباء فى عقلى لها تأثير

فاعجب له أنى يصون بلحظه * مشمولة واناؤها مكسور

ومنه قوله

انى لاشهد للحمى بفضيلة * من اجلها اصبحت من عشاقه

ما زاره ايام نرجسه فتى * الا وأجلسه على احداقه

وتلاعب المتأخرون بهذه النكتة كثيرا ومنه قوله

الا رب يوم قد تقضى ببركة * القت بها فيما جرى متفكرا

بعينى رأيت الماء فيها وقد هوى * على رأسه من شاهق فتكسرا

ومثله قوله

يا حسنه من جدول متدفق * يلهى برونق حسنه من ابصرا

ما زلت انظره عيونا حوله * خوفا عليه أن يصاب فيعثرا

فابى وزاد تماديا فى جريه * حتى هوى من شاهق فتكسرا

وتورية تكسر تلاعب بها الناس بعد ابن تميم كثيرا ومن نكته البديعة الغريبة قوله

لو كنت تشهدنى وقد حمى الوغى * فى موقف ما الموت عنه بمعزل

لترى أنابيب القناة على يدى * تجرى دما من تحت ظل القسطل

الله تعالى ولا فى الاخلال حرج من الله ولو كنت وعدته نصوصا ثم لم أتبع الوعد وفاء لاستهدفت لسهام العتاب لكن الله يشهد انى على الاخلال بالمكاتبة احب لمنى لا أرى وعينى ويدى وكل نعمة انعمها الله على سيد الاسلام ولو انصف ناظره لجبر بافراطى فى هذا الجانب تقصيرى فى ذلك الجانب فجعل بدل العتاب شكرا والسلام

(وله أيضا رقعة اليه)

قد بسط مولاى باع الفصاحة وملأ أسفار البلاغة وبهرنى بيانه كما غمرنى بفضله وبره وكالاعذر

ومن لطائف نكته قوله

قالوا أينالك كل وقت * تهيم بالشرب والغناء
فقلت انى فتى تنوع * أعيش بالماء والهواء

ومنه قوله

حاذر اصابع من ظلمت فانه * يدعو بقلب فى الدجى مكسور
فالورد ما ألقاه فى جمر الغضى * الا الدعا باصابع المنثور

ومن لطائف نكته وقد تقدّم معناها ولكن حلا مكررها هنا بقوله

تأمل الى الدولاب والنهر اذ جرى * ودمعهما بين الرياض غزير
كأن نسيم الروض قد ضاع منهما * فأصبح ذا يجرى وذا الذ يدور

وقال الشيخ اثير الدين ابو حيان انشدنى ابو الخير الازدى لمجير الدين بن تميم

نزلنا الى الغور فى جحفل * نقاتل قوما من المسلمينا
قطعنا الشريعة فى حربهم * وخضنا اليهم مع الخائضينا

ومن نكته البديعة الغريبة قوله

انى لاعجب فى الوغى من فارس * حارت دقائق فكرتى فى كنهه
اذ ى الشهادة لى بأنى فارس الشهجاء حين جرحته فى وجهه

ومن لطائف مجونه قوله

هويت نطاعا اذا جئته * بادرنى بالسخط والصفع
اروم ان احظى بوصل وقد * قابلنى بالسيف والنطع

ويعجبنى من نكته فى الخمريات قوله

ومدامة كاساتها * تعطى الامان من الزمان
قد أحكمت علم النجو * م واتقنت سحر البيان
فاذا حساها الشاربو * ن وأوقعتهم فى الامانى
بدأت باخراج الضمير وبعده عقد اللسان

ومن لطائف مجونه قوله

غطت محاسن وجهها عن ناظرى * هيفاء لم أرفى البرية شبهها
وغدت تمانعنى فقمت مبادرا * وكشفت من بعد التمنع وجهها

ومن نكته الغريبة قوله

ساهموا أناسا يشفون نقيصتى * وقد سخوا فى بحر جهلهم رسخا
واسلهم لا فى اوان مغيبهم * ولكن أريهم فى ورودهم السلخا

ومن لطائفه قوله

بعث النسيم رسالة بقدومه * للروض فهو بقربه فرحان
والطيب ماقرأ الهزار بشدوه * مضمونها ماماتت له الاغصان

ومن لطائفه التى سبقه السراج اليها واستعملها ابن تميم احسن منه

السيف اذا لم يمض ولا للنجم اذا لم يض وهو بحمد الله يزداد زيادة الهلال ويتقدم كل يوم فى محاسن الآداب والاخلاق وارجو ان لا تقف به همته دون اعلاء منزلته ولا يرضى لنفسه الكريمة الا بأقصى غايته وما تفضل به من الاعتذار فقد اغنى الله تعالى عنه فضله الظاهر فاضل عن كل حق وخلقه الطاهر بالغ به مدى كل بر وبقى أن يوفق الله عقابلته بما التزمه وأوجبه فيه وقد علمت فى أمر الدواء ما أشرحه له شفاها وجملة الامر أنى أومل النفع فى تناوله وارجو حسن عاقبته وحالى الآن صالحة ولا ماذكر من فتور الشيخ الجليل فقد شغل قلبى وأقلق نفسى وان كنت لا ينكر الضعف عقب اسهل واعل سبب هذا

أراق دمي بسيف اللحظ لما * وها أثر الدماء بوجنتيه
فلما خاف من طلبي لثاري * أدار عذاره زردا عليه

وقال في غلام وقاد

لاموا على الوقاد في حبه * وحبه باللوم يزداد
لولم يكن في حسنه كوكبا * ما كان أمسى وهو وقاد

وزاد شيخنا الشيخ شهاب الدين بن حجر فسح الله في أجله هذا المعنى نكتة حصل بها الاتفاق البديع بلقبه الكريم فقال في وقاد أيضا

أحبب بوقاد كنجم طالع * أنزلته برضا الغرام فؤادي
وأنا الشهاب فلا يعاند عاذلي * ان ملت نحو الكوكب الوقاد

ومن نكته البديعة الغريبة قوله

بنده الازرق لما * شده من قدسباني
جدول فوق كثيب * دار يسقي غصن بان

ومن نكته الغريبة قوله في وكيل بدار القاضي بدمشق المحروسة

لا تقرب الشرع اذا لم تكن * تخبره فهو دقيق جليل
ووكل العز الذي وجهه * على نجاح الامر أقوى دليل
ولا تمل عنه الى غيره * وحسبنا الله ونعم الوكيل

وعلى ذكر الوكيل رأيت

لاقى فلان اليوم ما ساءه * وافرغ الصك عليه وكيل
وذاق من كف الوكيل العمى * وحسبنا الله ونعم الوكيل

ومن لطائفه قوله يصف روضة

ارض كساها القطر حلة سندس * ورقت لها طرز من الغدران
وقد النسيم أضاع نشر رياضها * فالورق تنشده بكل مكان

وكتب الى كمال الدين بن الحجار وكيل بيت المال بدمشق المحروسة وهي من نكته المخترعة

كمال الدين يا مولاي يا من * يغير البحر في بذل النوال
أتيت لحاجة فاغنم ثنائي * عليك بها وشكري وابتهالي
ولا تجهل سؤالك لها فاني * عليك بنجحها وقع اتكالي
ايجمل أن يقول الناس اني * أتيت لحاجة لم تقضها لي
واصبح بينهم مثلا لاني * اتاني النقص من جهة الكمال

ومن لطائف نكته قوله

لم أنس قول الورق وهي حبيسة * والعيش منها قد أقام مقفصا
قد كنت ألبس من غصوني اخضرا * فلبست منها بعد ذلك مقفصا

وقال فيمن تاب عن شرب الخمر

تركت شرب الحبا غيره فتكثر * فيها وفي شربها اللذات والطرب

العارض ما وقع من الحركة الى ان عاد الى الدار وتعرض للشمس في طريقه فالله تعالى يعافيه ويبقيه ولا يرينا مكروها فيه ان شاء الله تعالى

(وكتب الى الشيخ أبي القاسم أدام الله تأييده وسودده رحمه الله)

أنا أصون ذلك المجلس الكريم عن الزكام والسعال وجميع اخوات الفعال ولو استطعت أتاني من جلتي انني لرضيت لخدمة المجلس اعلاه الله سائري ولكن هو مني وان ذن وكأني بالشيخ الجليل يقول الامثال لا تغير وفي الحدود المعطلة والثغور المهملة والرسوم المبدلة والسنن المحولة والبدع المستعملة هذا اللطأخال يسير وغلط قريب وما اسد استظهاري بخلافته وان لم يكن من ولد العباس

فارجع فقد اسبل الراووق ادمعه * شوقا اليك وقلب الكاس يلتهب

فأنشده بعد ذلك وقد وافقه

ان كان قد اسبل الراووق ادمعه * شوقا اليك وقلب الكاس يضطرم

فاليوم أعينه من فرط فرحته * تفيض دمعا وثغر الكاس يبتسم

ومن نكته الغريبة قوله فيمن غضب عند عزله من منصب ولايته

كم قلت للفاض غيظا وقد * ازيح عن منصبه المعجب

لا تعجبوا ان فار من غيظه * فالقلب مطبوع على المنصب

وهذا المعنى ألم به شرف الدين النصيبي واستعمله ارق واحسم بقوله

ولولا اذ علوا بجهلك منصبا * علوا بأنك عن قليل تبرخ

طبخوا بنار العزل قلبك بعد ذا * وكذا القلوب على المناصب تطبخ

وقال يعتذر عن مخدومه فى كثرة تجريده له

لقد لام قوم صاحبي حيث لم يزل * يجردنى دون الرفاق تعمدا

رآنى حساما ماضيا فاقامنى * مدى الدهر فى وجه الاعادى مجردا

ومنه قوله

مذ قلت للمنثور ان الورد قد * وافى على الازهار وهو امير

بسمت ثغور الاقحوان مسرة * بقدومه وتلون المنثور

وأحسن منه قوله

ومذ قلت للمنثور انى مفضل * على حسنك الورد المنزه فى الشبه

تلون من قولى وزاد اصفراره * وفتح كفيه وومالى وجهى

ومثله قوله

كيف السبيل للثم من أحببته * فى روضة للزهر فيها معرك

ما بين منثور وناضر نرجس * مع اقحوان وصفه لا يدرك

هذا يشير باصبع وعيون ذا * ترنو الى وثغر هذا يضحك

ومثله قوله

كيف السبيل لان أقبل خد من * اهوى وقد نامت عيون الحرس

وأصابع المنثور تومى نحونا * حسدا وتغمزها عيون النرجس

ومنه قوله

روض الحمى يهوى اقاحوانه * من فرط شوق لا يزال قرينه

لم يهد نرجسه اليك وانما * لغرامه اهدى اليك عيونه

ومن لطائفه فى أغزاله قوله

قالوا بدا نبت خده فخذ بدلا * عنه فقلت لهم حاشاه حاشاه

ان لاح فى خده نبت فلا عجب * الله أنبته والعين ترعاه

ونور به النبت والرعى تلاعب بها جماعة من المتأخرين بعد ابن تميم ومن مخترعاته فى هذا

والله يبقيه علما للفضل وعالما فيه والسلام

(جواب الشيخ أبى القاسم وهذه الرسالة جوابا انا أصون ذلك المجلس)

وصلت رقعة الاستاذ وشغل قلبي تبسط تلك التقصرة نسخ الله حكمها ومحا أثرها ولو قبل الفداء لكنت عنه وللمصافي أيده الله عما يصوني ورفعني عما يرفعني وهل جل الم ملابس من كريم عادته فى التخصم الى وماحق عرنين رتب دعرنينه الماء قبل الشفاه الا أن نشمه اذا عطس الكرام السيرة ولا عطس الاباشم من الطراز الاول ولولا التطير من سمة العبادة لخلف ركابى اليه والشيخ أبو الحسن يخوف شروط الخلافة فاذا كان المستخلف تغلبيا جاز ان يكون الخالف كسرويا

الباب قوله

لو كنت حين علوت كور مطيتي * لم تعتلقها للمطي عيون
وتوسطت بحر السراب حسبتني * من فوقها ألفا وتحتي نون

ومن نكته المخترعة قوله

دعيت فكان أكلي نخذ طير * ولم أشرب من الصهباء نقطه
ومابومي كاس وذاك أني * أكلت اوزة وشربت بطه

أخذ الشيخ صلاح الدين الكل مع القافية فقال

شوى الاوز فاضحت * في جرة الخد بسطه
فقلت تشوي أوزا * ام كنت تشرب بطه

ومن اختراعاته التي لعب الناس بها بعده

قد هجرت الراح حتى * ليس لي فيها نصيب
وعلى الراووق مني * طول ماعشت صليب

ومن نكته المخترعة الغريبة قوله يرثي الامير قطب الدين رحمه الله تعالى

نأيتم فلا قلبي عن الحزن مقصر * عليكم ولا جفني يجف له غرب
وافلاك لذا في تعطل سيرها * وهل فلك يسري اذا عدم القطب

ومن غريب نكته في اغزاله قوله

شبهت خدك يا حبيبي عندما * أبدى الجمال به عذارا أشقرا
تفاحة حمراء قد كتبوا بها * خطا دقيقا بالنضار مشعرا

ومثله في الغرابة قوله

ولما احتمت عنا الغزالة بالسما * وعز على قناصها ان ينالها
نصبنا شباك الماء في الارض حيلة * عليها فلم نقدر فصدنا خيالها

ومن لطائف غرامياته

لا تبعثوا غير الصبا بتحية * من أرضكم فلها على جميل
خاضت دموع العاشقين وعرجت * عنهم الي وثوبها مبلول

وهذا المعنى وقفت عليه لغيره والله أعلم من السابق ولعمري ان الآخر اجاد بقوله

وصبا صبت من قاسيون فسكنت * بهبوبها وصب الفؤاد البالي
خاضت مياه النيربين عشية * وأتتك وهي بليلة الاذيال

ومن لطائفه قوله

لولم اعانق من أحب بروضة * احداق نرجسها الينا تنظر
ماشق جيب شقيقها حسدا ولا * بات النسيم بذيله يتعثر

وتلاعب الناس بعد ابن تميم بهذا المعنى كثيرا وقال في اهداء مهرة حمراء وهي من مخترعاته

أهديت لي يامالكي مهرة * جميلة الخلق بوجه جميل
مؤخرها والعنق قد أوقعا * قلب الاعادي في العريض الطويل

(وله الى الشيخ السيد أبي الحسن علي بن الفضل الاسفرايني رحمه الله) كتابي اطال الله بقاء الشيخ السيد والخطيب ابو فلان قد توجه وفدا الى الحضرة ويريد أن يقرن بين الحج والعمرة ولا يقتصر على الشمس دون الزهرة ولا يقنع بالماء الامع الخضرة وقد قصد من الشيخ الجليل بحرا والشيخ السيد سفينة نجاته وذريعة حاجاته وسببه الى كل مراد يتعذر وجنته دون مايخاف ويحذر ومفزعه في كل مايأتي ويذر وهو وديعتي حتى ترده سالما وقد جهزت معه من السلام مايجلو دجى الظلام ويدر أخلاف الغمام ويهدي العافية الى السقام وينشر النعمة بالتمام ويربط عليها بالدوام وترفعت اليه باعبة شوق يؤديها وصفا

قد ابيضت من شفق حلة * تخبرنا أن أباها أصيل

ومنه قوله وهو من الاختراعات اللطيفة

حبيبي وعدت الكاس منك بقبلة * واعقب ذاك الوعد منك نفار
وما كان هذا الوهم اغيرانها * علاها اطول الانتظار صفار

ومن هنا أخذ الشيخ بدر الدين بن الصاحب فقال

يا حابس الكأس لا تردها * من بعد حبس الدنان حسره
واغنم مراحا لها لطيفا * أورثه الانتظار صفره

ومن نكته الغريبة البديعة قوله

لما رأت عيني مناطقك التي * انحت بشعر لند غمر تتعلق
لا تستقر وقد علتها صفرة * ونحول جسم بالصبابة ينطق
ايقنت ان الخصر صار لحافة * فلذا تدور بجوى عليه وتقلق

ومن هنا اخذ الشيخ صلاح الدين الصفدي وقال

وشاح من أحببته قال لي * وهو الذي في قوله قد صدق
قد ضاع مني الخصر لما انثنى * أما تراني دائرا في قلق

وقال في شخص اسمه عثمان يهدده بالهجو

توعدت يا عثمان الهجو شاعرا * سيوليك هجوا عاره ليس ينجلي
فخذها قصيدا إذ أتت من محمد * تجارد صخر حطه السيل من عل

ومن ابدر في افق التورية وانظم عقود لآلي ثم ابدر الدين يوسف بن لؤلؤ الذهبي فمن لآلي عقوده قوله

صدوا وقد دب العذار بخده * فضررتهم لو انهم خبروه
هل ذاك غير نبات خد قد حلا * لكنهم لما حلا هجروه

ومنه قوله

عرج على الزهر بأنديى * ومل الى ظلها الظليل
فالروض يلقاك بابتسام * والريح تلقاك بالقبول

ومنه قوله واجاد

ورياض وقفت اشجارها * وتمشت نسمة الصبح بها
طالعت أوراقها شمس الضحى * بعد ان وقعت الورق عليها

قال الشيخ صلاح الدين الصفدي في كتابه المسمى بفض الختام عن التورية والاستخدام لما وقف على هذين البيتين نكتة اشرف من هذا البيت ابن عبد الظاهر كان طالع وطالع عليه البدر وحفظ سره لما أضاعه ذلك الصدر ومنه قوله

وحديقة مطلولة باكرتها * والشمس ترشف ريق أزهار الربا
يتكسر الماء الزلال على الحصى * فاذا جرى بين الرياض تشعبا

ومن هنا اخذ الشيخ برهان الدين القيراطي فقال من قصيد

وشرحا ويصور شدة وترحا ورغبت له أن يقبل على يده العالية انما يقبل سبعة أبحر وسبعة انجم وأوصيته أن يحذو حذوه قبله ويعتقد طاعته مله واوصي الشيخ السعيد ان لا يألوه بسطا وتقريبا وتشدا وتوجيها والسلام

(وله الى الشيخ السعيد عمر بن حسن)

كتب وقد أنعم الله تعالى على الشيخ السعيد عامله بعد ان عدها لم يحصها وأمره أن يلبس شعاره ويحسن جوارها ليقر قرارها وليس بعد الايمان بالله خصلة خير هي اوفر من رضوان الله حظا ومن تقوية المسلم وتقدمه وليس بعد الشرك بالله خلة سوء هي أقرب الى غضب الله من شد على عضد ظالم وتقريبه بيده وقد علم الشيخ ما هي به اهل هراة من محن

وكان ذاك النهر فيه معصم * يد النسيم منقش ومكتب

فاذا تكسر ماؤه ابصرته * فى الحال بين رياضه يتشعب

ويعجبنى قوله من قصيد كلها غرر ولولا خشية الاطالة لاوردتها بكمالها

وتنبهت ذات الجناح بسحرة * بالواديين فنبهت اشواقى

ورقاء قد اخذت فنون الحزن عن * يعقوب والالحان عن اسحق

قامت تطارحنى الغرام جهالة * من دون صحبى بالحمى ورفاقى

انى تباربنى جوى وصبابة * وكآبة واسى وفيض مآقى

وانا الذى املى الجوى من خاطرى * وهى التى تملى من الاوراق

ومنه قوله

هل ياصاح الى روضة * يجلو بها العانى صدا همه

نسيمها يعثر فى ذيله * وزهرها يضحك فى كمه

ومنه قوله

ادر كؤس الراح فى روضة * قد فتقت ازهارها السحب

الطير فيها شيق مغرم * وجدول الماء بها صب

ومن هنا اخذ الشيخ جمال الدين بن نباتة وقال فى نواعير حماة من طرديته

ذات النواعير سقاة الترب * وأمهات عصفه والاب

تعلمت نوح الحمام الهتف * ايام كانت ذات فرع اهيف

فكلها من الحنين قلب * وكيف لا والماء فيها صب

وقال ابن نباتة فى مطلع قصيد

دمعى عليك مجانس قلبى * فاذن على الحالين للصب

ونكتة الصب تطفل عليها أيضا الشيخ صلاح الدين الصفدى ولكن ركبها تركيبا قلقا فقال

وحقكم ما حلت عن سنن الوفا * ولم ينقلب منى الى سلوة قلب

وما أنا غر بالصبابة والهوى * فانكر دمعى ان جرى وانا صب

ويعجبنى قول بدر الدين يوسف بن لؤلؤ من قصيدة

باكر الى الروضة تستجلها * فثغرها فى الصبح بسام

والنرجس الغض اعتراه الحيا * فغض طرفا فيه اسقام

وبلبل الدوح فصيح على الأيكة والشحرور تمتام

ونسمة الريح على ضعفها * لها بناسر والمام

فعاطنى الصهباء مشمولة * عذراء فالواشون نوام

واكتم أحاديث الهوى بيننا * ففى خلال الروض نمام

ومن هنا اخذ الجميع حتى الشيخ صفى الدين الحلى مع ان التورية غير مذهبه فقال

اقول وطرف النرجس الغض شاخص * الى وللنمام حولى المام

ايا رب حتى فى الحدائق اعين * على وحتى فى الرياحين نمام

الطائفة ثم ما ارهقهم من
الحقوق الديوانية ثم ما
زيد عليهم من علاوة
المصادرة الحادثة ثم ما
كشف الاستار واظهر
العوار وقبح النوار من
غلاء هذه الاسعار حقا
لقد أكلت الجيفة وهى
خائسة وطحنت عظام
الميتة وهى يابسة وعدم
القوت وثمنه موجود
وتركت العبادات وهجرت
النياحات وافردت الجنائز
وتخطى الموتى وهم بالشوارع
مطروحون ولقد دخلت
المسجد الجامع يوم امس
فرأيت تحت كل اسطوانة
عليلا وكلمت احدهم فلم
يفقه الا قليلا فيا عباد الله
تعاونوا على البر والتقوى
ولا تعاونوا على الاثم
والعدوان انكم تنشرون
ثم اليه تحشرون ومن
الواجب على السلطان اعز

ولكن

ولكن ما أحلى بها الشيخ جمال الدين بن نباتة لئلا يخرج عن مذهبه فقال

وأهيف ينهب أرواحنا * ووجهه كالروض بسام
تم خداه بقتل الورى * فخده ورد ونمام

واخذها ابن الوردي ايضا ولكن زادها نكتة أخرى بقوله

ان قال صف لي عذاري وصف مبسمه * ووجنتي قلت خذ يا صنعة الباري
هذا عذارك نمام ومبسمه * نار بخديك والنمام في النار

ومنه قوله

الروض احسن ما رأيت اذا تكاثرت الهموم
تحنو على غصونه * ويرق لي فيه النسيم

ومنه قوله

البرد قد ولى فمالك راقدا * يا أيها المدثر المزمل
أوما ترى وجه الربيع وحسنه * والروض يضحك والحيا يتهلل

ومن لطائف تغزلاته قوله

حلا نبات الشعر يا عاذلي * لما بدا في خده الاحمر
فشاقني ذاك العذار الذي * نباته احلى من السكر

ومثله في اللطف قوله

شوقي اليك على البعاد تقاصرت * عنه خطاي وقصرت اقلامي
واعتلت النسمات فيما بيننا * مما حملها اليك سلامي

ومنه قوله

تعشقته لدن القوام مهفهفا * شهي اللمى احوى لمراشف اشنبا
وقالوا بدا حب الشباب بوجهه * فيا حسنه وجها الي محببا

وقد تقدم القول ان ابا تمام أول من اخترع هذه النكتة ومن نكته الغريبة اللطيفة البديعة قوله

وذي قوام اهيف * بين الندامى قد نشط
قام يقط شمعة * فهل رأيت الظبي قط

وتطفل الناس بعده على هذه النكتة ومنه قوله

وبمهجتي المتحملون عشية * والركب بين تلازم وعناق
وحداتهم اخذت حجازا بعدما * غنت وراء الركب في عشاق

ومن هنا اخذ الناس بعد الشيخ بدر الدين كقول بعضهم

قلت مذ غني حجازا * ليتنا في اصبهان

ومنه قول الشيخ بدر الدين بن لؤلؤ

لك مبسم عذب اللمى يفترعن * بردوسلسال الرضاب مرادي
وفم يحاكي الميم الا انه * كم حوله عين تحوم كصاد

الله نصره في مثل هذا العام
ان يتعهد الناس بالطعام
ويتحول الرعية بالانعام
ويبذل فيهم الرغائب
ليؤمن الساكن وليتألف
الغائب والبلاء كل البلاء
ان طلب هذا المال الموظف
وتذهب الحاسة الباقية
فانشد الله الشيخ ليبذلن في
هذا الامر مجهوده وليجزن
موعوده وكرهت أن اخلط
بهذا الكتاب غير القماس
هذا النظر وفي الرأس
فضول وفي الدماغ فضول
ورأى الشيخ السيد في
ملاحظة فلان بالعين التي
كان يلاحظني بها وتمكينه
من مجلسه وبساطه اوقات
نشاطه وتمديته الى ما عساه
يحظى فيه وجه رشاده
او يضل عن سبيل مراده
عالي ان شاء الله تعالى

وهذا المعنى أيضا تطفل عليه المتأخرون بعد الشيخ بدر الدين منهم الشيخ جمال الدين بن نباتة حيث قال

يا عين آمالي اذا استجمعت * الى الى مورد لقيالك صاد

و يعجبني قوله من قصيدة ورّى في بيتها الاول باسمه فقال

قد اظلتني الغوادي غير راحة * ومحقتني الليالي بعد ابدار

فكم اواري غراما من جوى وأسى * زناده تحت اثناء الشاواري

جيراننا كنتم بالرقتين فذ * بعدتم صار دمعي بعدكم جاري

ومن هنا اخذ الشيخ جمال الدين بن نباتة وقال

يروحي جيرة ابقوا ادموعي * وقد رحلوا بقلبي واصطباري

كانا للمجاورة اقتسمنا * فقلبي جارهم والدمع جاري

وما أحلى قول بدر الدين من القصيدة المذكورة في الخمرة ولم يخرج عما نحن فيه من التورية فقال

سارت انقتص من قوم فما رجعت * في حث كاس على الاوتار دوّار

فالقوم من بعض قتلاها وما طلت * وانما أخذت منهم بأوتار

ومن هنا اخذ القاضي امين الدين الحمصي كاتب السر الشريف بالشام المحروس كان فقال

وقوس حاجبه يحمى كانه * مطالبات على قلبي بأوتار

ويطربني قوله من قصيد

فلما تفرقنا كاني ومالكا * لطول اجتماع لم نبت ليلة معا

فأسمته قابله طمعا على الغضى * وخليت لي جفنا على السفح أطوعا

ومن لطائفه الغريبة

رفقا بصب مغرم * ابليته صدا وهجرا

واغاك سائل دمعه * فرددته في الحال نهرا

هذا النهر ورد منه المتأخرون قاطبة ولولا طول الشرح لذكرت ذلك ومن لطائفه قوله

يا عاذلي فيه قل لي * اذا بدا كيف أسلو

يمرّ بي كل وقت * وكلما مر يحلو

ومن لطائف اتفاقه ونكته الغريبة قوله في نجم الدين بن اسرائيل وقد هوي مليحا يلقب بالجارح

قلبك اليوم طائر * عنك ام في الجوانح

كيف يرجى خلاصه * وهو في كف جارح

وكتب اليه وقد بلغه انه سلا عن معشوقه المذكور

خلصت طائر قلبك العاني ترى * من جارح يغدو به ويروح

واقد يسر خلاصه ان كنت قد * خلصته منه وفيه روح

ومن مخترعاته الغريبة قوله في الخمرة

ابدى الحباب لها خطا فاحسن ما * قد كان سرّ من منهم ومن هاه

(وله اليه ايضا)

يا فرحا بيوم لا يجيء بوجهك
وبليلة تطوى بفقدك
وبضمير يخلو من ذكرك
ويا شوقي وما رمي بجمالك
الى أن لا القاك او لا يكفيني
الا كحال بالقذى من
طلعتك حتى توقني بقذاة
رقعتك تخلى من تصاحبك
حتى ان رأيت السبل
يسيل بي فلا تنقذني وان
رأيته يغرقني فلا تنقذني
وان عاودتني بعد ذلك
شقشقاتك الباردة ظهر شؤم
شقشقتك على عنفقتك وقد
اعذر من أنذر

قديمة ذاتها فى روض جنتها * كانت وكان لها عرش على الماء

ومن هنا اخذ الصاحب فخر الدين بن مكانس فقال من قصيدة السرحة

فاستهدت دوحها المخضل واقترشت * نجم الربا ورقت عرشا على الماء

ولكن لم يساعده فى لفظة العرش اشتراك تورية بالنسبة الى الشيخ بدر الدين فان نسبة العروش الى الكرم معروفة ومنه قوله فى مليح نجار

بروحى نجار حكى الغصن قده * رشيق التثنى احور الطرف وسنان

يميل على الاعواد قطعا بما جنت * وماسرقت من قده وهى اغصان

ومن هنا اخذ جميع الناس وقال من قال

قد قلت ذا الاهيف النجار وهو على الاشجار يقطع فى اغصان خلاف

فقال لى عندها ثار تحدبه * لانها سرقت من لين اعطافى

ومن احيا ما درس من رسوم التورية القاضى محيى الدين بن قرناص الحموى تغمده الله برحمته فمن نكته اللطيفة قوله

سقيا له روضا قدود غصونه * تختال فى الابراد من اوراقها

جنت به ورق الحمام صبابة * اوما ترى الاغلال فى اعناقها

ومن لطائف قوله

مال القضيب بروضة من سكره * لما سقاه عقاره ادرار

حتى اذا سرق النسيم دراهما * من كمه صاحت به الاطيار

ومثله قوله

مذ أتينا نبغى زيارة دوح * قد حبانا بالجود والاكرام

ناولتنا ايدى الغصون ثمارا * اخرجتها لنا من الاكمام

ومثله قوله وتلطف ماشاء فى جمعه بين الاستعارة البديعة والتورية

قد اتينا الرياض حين تجلت * وتحلت من الندى بجمان

ورأينا خواتم الزهر لما * سقطت من أنامل الاغصان

ومنه قوله

ورب نهر له عيون * تحار فى وصفه العيون

لما غدا الريق منه عذبا * مالت الى رشفه الغصون

ومنه قوله

ابا حسنها روضة قد غدا * جنونى فنونا بافنانها

اتى الماء فيها على رأسه * لتقبيل اقدام اغصانها

ومنه قوله

تثنى الغصن اعراضا وعجبا * على نهر يذوب اسى عليه

فرق له النسيم وجاء يسعى * ملاطفة وميله اليه

ومنه قوله وتلطف ماشاء

(وله رقعة اشخاص)
سيرا على اسم الله وعونه الى الكلب ابن الكلبة والابس ابن الرخبه والضيق ابن الرحبه والقواد ابن القحبه وأنزماه داره وعرفاه مقداره وامنعاه طيب غذاه وريح الهواء وبارد الماء حتى يؤدى ماعليه او يحجرا برجليه ان شاء الله تعالى

(وله ايضا)
كأنى وكنت اقعد بحالى عن مطالعة المجلس العالى واقتصر على خدمة الدار طرفى النهار وللنفس آمر من فرط الصبابة وناه من ظل المهابة وللعزم باعث من الانبساط ومانع من الاحتياط والصدر بما يمسكه حرج وبما ينفثه فرج لكنى عرفت مكانى منه فلم ازاحمه ومحلى وخطه فلم أتخطه فلما ورد كتاب

ويوم قد قطعناه بروض * يضاحك نزهره شمس النهار
فكان نهارنا طلق المحيا * صبيح الوجه مخضر العذار

ومنه قوله

انم فان الدوح يا مالكي * حمل من اجلك ما لا يطيق
يرقبك الطير على وكره * واعين الازهار نحو الطريق

وهذا المعنى اخذه الصاحب فخر الدين بن مكانس وزناً وقافية فقال

والنرجس الغض غدا شاخصا * فلا يخلي عينه للطريق

ومنه قوله وتلطف ما شاء

لو كنت اذ نادمت من احبته * في روضة اطيارها تترنم
لرايت نرجسها يغض جفونه * عنا وثغر اقاحها يتبسم

ومنه قوله في معذر

ووجنة قد غدت كالورد حمرتها * واشبه الآس ذاك العارض النضر
كأن موسى كليم الله اقبسها * نارا وجر عليها ذيله الخضر *

وهذا المعنى استعمله بعضهم في شجرة نارنج فقال ولكن لم اعلم المخترع من هو

نارنجة برزت في منظر عجب * زبرجد ونضار صاغه المطر
كأن موسى كليم الله اقبسها * نارا وجر عليها ذيله الخضر

ومنه قوله

وروض قد اتت فيه معان * يطيب به الندامى والمدام
يسامره النسيم اذا تغنت * حمائمه ويسقيه الغمام

ومنه قوله

روضة من قرقف انهارها * وغناء الورق فيها بارتفاع
لا تلم اغصانها ان رقصت * فهي ما بين شراب وسماع

ومن لطائفه في اغزاله قوله

هويت في مكتب غلاما * قلبي بهجرانه جريح
اهيف اضحى قبيح خط * وانما شكله مليح

ومنه قوله في مليح مؤذن

ومؤذن اضحى كريما وجهه * لكنه بالوصل اي شحيح
ابدا اموت بهجره لكنني * من بعد ذلك اعيش بالتسبيح

ومنه قوله

قبلت خط عذاره لما بدا * وهصرت لين قوامه المياس
وطلبت لي من خده المحمر ما * يشفي قواي فجاءني بالآس (ى)

وهذه النكتة توارد هو وشمس الدين محمد بن العفيف عليها فقال

من يعطف نحوي قلب هذا القاسي * كم اذكره وهو لعهدي ناسي
اشكو سقمي لعارضيه وكذا * يشكو دنفي سقامه للآسي (س)

الامر في معنى استزارة الم اتاي تراجعيدا من المطالعة وبالله ما اعرف لاستزارته سببا يقتضي هربا وما اعلم علت حالا اوجبت ارتحالا وما أبرئ نفسي انم العيبة عيب لكنها اي عيب ولست بمعصوم عن كل لوم ولكني اصون ولا محجوب عن كل حوب ولكني اتجمل فليت شعري اي عيوبي ظهر وكيف اشتهر ولم تطر وان كان خبر فهلا ستر وان كان عثر فهلا عذر واين رق العمومة وستر الابوة وما هذه الشناعة والاشاعة وهلا تقدم الايقاع انذار وهلا سمع مني اعتذار وبالله اقسم وبنعمة الملك احلف ان كنت اتهم نفسي بجرم تطرقت اطرافه وامر قصدت خلافه اوشئ لم يوافق مراده اوحال

وتطفل عليها بعدهما الشيخ صلاح الدين الصفدي فقال

كم جرح القلب منه جفن * كالسيف في صحة القياس
وطب آس العذار جرحي * فصح ان الطبيب آسي

وابتذل المتأخرون بعدهم جنايها وطمعها انا ولكن زدتها نكتة اخرى من جنسها افترشت وازدادت حسنا وهي قولي

مذ جفاني مرض القلب ولم * الق للضعف ولا كسر انجبارا
قلت للعارض يا آسي اذا * درت داري مرض القلب فداري

ومن لطائفه في اغز المقوله

ان الذين ترحلوا * نزلوا بعين ناظره
انزلتهم في مقلتي * فاذاهم بالساهره

وهذه النكتة ايضا ابتذل المتأخرون جنايها كثيرا ومن ظرافات شمس الدين محمد بن العفيف المشهور بالشاب الظريف قوله

اذا حاولت حل البندقات * معاطفه حمانا الاجل
وان جليت بوجنته مدام * يرى عذاره دور وتزل

وسبك ايضا تورية الدور في قالب آخر وجاء في غاية اللطف والغرابة بقوله

لحاظك اسياف ذكور فعالها * كاز عم واشل الاوامل تغزل
ومابال برهان العذار مسلما * ويلزمه دور وفيه تسلسل

ومنه قوله فيما يكتب على كاس واجاد

ادور لتقبيل الثنايا ولم ازل * اجود بنفسي للنداي وانفاسي
واكسوا كف الشرب ثوبا مذهبا * فمن اجل هذا القبوني بالكاس (ى)

ومن هنا اخذ الشيخ شهاب الدين بن ابي حجلة وقال مضمنا

ياصاح قد حضر الشراب ومنيتي * وحظيت بعد الهجر بالايناس
وكسا العذار الخد حسنا فاسقني * واجعل حديثك كله في الكاس (ى)

ويعجبني قوله وقد اهدى مجموعا

يا أيها الصدر الذي وجه العلا * منه يزان بمنظر مطبوع
لا تعتقد قلبي يحبك وحده * هاقد بعثت لسيدي مجموعي

ونكتة المجموع استعملها الشيخ جمال الدين وغيره ومن نكته البديعة التي لم يسبق اليها قوله

كان ما كان وزالا * فاطرح قيلا وقالا   ايها المعرض عنا * حسبك الله تعالى

وهذه اخذها صاحبنا المرحوم مجد الدين بن مكانس بفصها فقال من قصيد

ياغصنا في الرياض مالا * حملني في هواك مالا
يارائحا بعد ما سباني * حسبك رب السما تعالى

ومن لطائفه في مليح رسام قوله

قلت لرسامكم * بك الفؤاد مغرم   قال متى اذيته * فقلت حين ترسم

اقلقت فؤاده اكثر من نصر بالمقام وكان يمكنه ان يضع لنفسه عذرا احسن مما وضع ويحمل وجها اجل مما تحمل واريد ان اذكر قصة يلمتني سامعها ويعتقد ناقلها اذ كان لا تجاوز لها بنفسه مثلى بمثله وانا فرع من اصله وجزء من كله ولكن لا بد من ان ارخي وامد واجذب واشد حتى يعلم الملك انني في استزرته مظلوم وانني من ظالمه مرحوم وقد علم ان اوردت هذه الحضرة بجلالة لا تظاهر ببردة وابدان لا تخطر باردان واني قاسمت هذا الم ثم مولانا على الانعمة لا تحتمل قسمة وصلة لم تحتمل فصلة من فرس لم يكن قطعه فصفين ومما لم يجز توزيعه بين اثنين واعل هذا الم تقم على هذا الجرم وان كنت نسبني الى

ومن اطائفه واختراعاته قوله

قلمت حروب الزهرما * بين الرياض السندسيه
واتت باجمعها التغشر ور وضة الورد الجنيه
لكنها انكسرت لان الورد شوكته قويه

ومن لطائفه ايضا قوله

يا ساكنا قلبي المعنى * وليس فيه سواك ثاني
لاى معنى كسرت قلبي * وما التقى فيه ساكنان

ومن لطائفه ايضا قوله

انى لاشكو في الهوى * ماراح يفعل خده
ما كان يدرى ما الجفا * لكن تفتح ورده

ومن هنا اخذ الشيخ صلاح الدين الصفدى فقال ولكن زاده نكتة

اقول له ما كان خدك هكذا * ولا الصدغ حتى سال في الشفق الدجا
فمن اين هذا الحسن والظرف قال لى * تفتح وردى والعذار تخرجا

ومن نكته البديعة قوله *

قد تعشقت خلافيا اولى فيه معانى
كلما جادلني العا * ذل فيه ولحانى
جئته من عارضيه * بدليل الدوران

ومن اختراعاته اللطيفة قوله في مليح خيالى

خيالى اخاف الهجر منه * ولست اراه يرغب في وصالى
وكنت عهدتنى قدما شجاعا * فمالى صرت افزع من خيالى

وقال في زهر اللوز

تبسم ثغر اللوز عن طيب نشره * واقبل في حسن يجل عن الوصف
هلموا اليه بين قصف ولذة * فان غصون الزهر تصلح للقصف

ومثله قوله

تمشى بعض الجامع الشادن الذى * على قده اغصان بان النقا تثنى
فقلت وقد لاحت عليه حلاوة * الا فانظروا هذى الحلاوة في الصحن

وقال

ياذا الذى نام عن غرامى * ونبه الوجد والجوى لى
جفنى جرى طيه دموع * شوقا الى وجهك الهلالى

ومن اختراعاته الغريبة قوله

عبتم على المحبوب حمرة شعره * واظنكم بدليله لم تشعروا
لاتنكروا ما احمر منه فانه * بدماء ارباب القلوب مضفر

وقال في مليح زجاج

محظور ركبته او مسكر شربته او منكر قربته او قمار لعبته او عود ضربته اوزرد نصبته او بيت نقبته او ثوب سلبته فقد صبرت على هذه الهنات عشر سنين فما هذا الضجر اليوم وان لم اتعاطها فلا لوم ولم يبق ابد الله الامير من انقلاب الزمان الا ان تطلع الشمس من مغربها والله المستعان ولخادمه بهذه الحضرة رتبة يحسده القاصى عنها ويخافه القارع لها ويزاحمه النازل بها ويعقته الطامع فيها فهو من جهاتها محسود ومن اجلها بالتشنيع مقصود والمرء لا يخلو من ذنب صغير يورى عن جهته فيرى كبيرا وخطب يسير حتى يوصل به كذب صار عظيما وربما شيع الى باب جهنم من لا يدخلها وانى لا ظهر

قولوا لزجاجكم ذا الذى * له محيا بالسنا يسفر
ان كنت فى الصنعة ذا خبرة * وكان معروفك لا ينكر
فالاحداق اقداحها * فى صحة من حسنها تكسر

وقال ايضا

كلف الفؤاد بظبية محجابة * ما كنت يوما آمنا من هجرها
محنت فؤادى بالغرام فاؤها * من ادمعى ودقيقها من خصرها

وهذا المعنى تلاعب به الجماعة بعد ابن العفيف ولكن ما برح دقيقه خاصا وقال فى ذم الحشيش واجاد

ما للحشيشة فضل عند آكلها * لكنه غير مصروف الى رشده
صفراء فى وجهه خضراء فى فمه * حمراء فى عينه سوداء فى جسده

وقال فى مليح اصيبت عينه

كان بعينين فلما طغى * بسحره ردّ الى عين
وذاك من لطف بعشاقه * ما يضرب الله بسيفين

وتورية السيف تناولها الجماعة بعد ابن العفيف ولولا خشية الاطالة لذكرت غالبها وقال فى مليح بدوى

بدوى كم جدلت مقلتاه * عاشقا فى مقاتل الفرسان
ذو محيا يصيح يا هلال * ولحاظ تقول يا لسنان

وقال فى مليح جرح بسكين

لم تجرح السكين كف معذبى * الا لمعنى فى الغرام محقق
هى مثل ما قد قبل جارحة له * ولكل جارحة اليه تشوّق

وقال فى مليح مؤذن بالجامع الاموى

فديت مؤذنا تصبو اليه * بجامع جلق منا النفوس
يطير النسر من شوق اليه * وتهوى ان تعانقه العروس

هذان البيتان توارد على نكتتهما شمس الدين بن العفيف والشيخ جمال الدين بن نباتة ورأيتهما فى ديوانه والبيت الاول بنصه والبيت الثانى فيه بعض تغيير وهو

لقد زف الزمان لنا مليحا * تكاد بأن تعانقه العروس

وقال فى مليح منير

منير وجدى به * اكتمه ويظهر
وكيف تخفى لوعتى * وقد غدا ينير

وقال ايضا يصف بساطا

بساط يملأ الاحداق حسنا * ويهدى للقلوب به سرورا
وينشرح حين يبسط كل صدر * وخيرا بسط ما يرضى الصدورا

وقال دوبيت

فى سائر الاخلاق الا النفاق فان لم اخف الله العلى الكبير لم ارهب الامير والسلام

(وله اليه ايضا)

كانى ومن شرط العبودية الكذب الى ولى النعمة بامور سليمة واحوال مستقيمة ثم يبعد عن قرحة الحال بصدق الاتحال لكن العبد يكره ان يقول امرى مستقيم وهو بالبعد منه مقيم بين نهار يقسفه حماه وليل يترقه حماه وبلد لا يوافقه ثراه وولى نعمة لا يراه فلو كان العبد حجرا لمات ضجرا بين هذه الاحوال وحديدا لسال صديدا تحت هذه الاثقال ويعزى العبد ان يزيد الحضرة لعالية ثقلا ولكن لاطاقة لمحموم بحر الصرم ولا قبل لمحرور بفيح الحرور ولاسيما اذا

الصب بحبكم عراه الوله * فى طوع هوا كم عصى عذله
ايضاح غرامه غدا تكملة * اذ كان مفصل الهوى مجمله

وقال ايضا

افدى عربا حلوا بوادى الجزع * ياوحشة ناظرى لهم فى الربع
لما بخلوا عندى فى فرقتنا * انشأت اهم مسائلا من دمعى

ومنه قوله

يقول وقد رناعن لحظ ظبى * وهز الغصن فى ورق الغلائل
أأقتلكم بطرفى ام بعطفى * فقلت بما تشا فالكل ذابل

وهذه النكتة اخذها الشيخ جمال الدين بقافيتها وقال

له معطف لدن القوام ومرشف * رقيق على التقبيل فالكل ذابل

وقال الشيخ صلاح الدين الصفدى فى كتابه الذى جمعه من املاء الشيخ اثير الدين ابى حيان وسماه مجانى الهصر من ادب اهل العصر انشدنى الشيخ اثير الدين قال انشدنى شمس الدين محمد بن العفيف فى مليح طباخ

رب طباخ مليح * فاتر الطرف غرير
مالكى أصبح لكن * شغلوه بالقدور (ى)

قال الشيخ صلاح الدين وانشدنى الشيخ اثير الدين قال انشدنى شمس الدين محمد بن العفيف لنفسه

ليس خلخالى ولكنه * يضرم فى الاحشاء نار الخليل
يا ردفه جرت على خصره * رفقا به ما انت الا ثقيل

وهذه النكتة تلاعب بها غالب المتأخرين بعد ابن العفيف ومن لطائفه قوله وقد احتجب بعض اصحابه عنه

ولقد اتيت الى جنابك قاضيا * باللثم للعتبات بعض الواجب
واتيت اقصد زورة احبابها * فرددت ياعينى هناك بحاجب

هذه النكتة اخذها الشيخ جمال الدين بن نباتة غفر الله لهما بقافيتها فقال

جبينى فازددت عندى علا * برغم من اقبل كالعاتب
وقلت لا اعدم من سيدى * من كان عينى فغدا حاجبى

والم الشيخ زين الدين بن الوردى بهذه النكتة ولكن سبكها فى غير هذا القالب بقوله

زرتكم محبة وودا * القيتكم مغلقين بابا
سعى الى بابكم جنون * عليه اسنا اهل الحجابا

ومن لطائفه فى أغزاله قوله

وكم يدعى صونا وهذى جفونه * بفترتها للعاشقين تواعد
وكم يتجافى خصره وهو ناحل * وكم يتحالى ريقه وهو بارد

ومن هنا اخذ الشيخ صفى الدين الحلى ولبئه ما قال

كان همذانى المولد جبلى المنبت نارى المزاج ضعيف البنية يابس العظام حاد الطبع حديث السن وعبده يجمع هذه الاوصاف وقد مال مزاجه الى الانحراف بأشر مابأشر من الحر بهذا المستقر ولم يهجم حزيران ولا القى جرانه تموز ومولانا ادام الله سلطانه رأى العين على مسيرة يومين فكيف اذا سار المطى بنا عشرا ونشرت حزيران فيحها نشرا ولوانعم على عبده واذن له فى قصده لجمع اسباب السعادة له فى سمط وارجو أن لا يرده عن هذا الامل ويسلمه الى العلل ولا يحرمه برد النظر الى الغرة الميمونة فلولا انه مرض وروح ماله عوض ولا فى خروجى ضرر

وما فيه شئ ناقص غير خصره * وما فيه شئ بارد غير ريقه

ومنه قوله

أيسعدني يا طلعة البدر طالع * ومن شقوتي خط بخدك نازل

ولو ان قسا واصف منك وجنة * لاعجزه نبت بها وهو باقل

الذي يظهر لي ان النكتة في باقل من اختراعات ابن العفيف فاني لم اجد احدا ممن تقدمه ألم بها ولكن ما صبر الشيخ جمال الدين عنها لحسنها فقال من قصيد مضمنا

تطاولت الاغصان تحكي قوامه * وعند التناهي يقصر المتطاول

واعيا فصيح الوقت نبت عذاره * وعير قسا بالفهاهة باقل

وكذلك الشيخ زين الدين بن الوردي ما صبر عنها حتى قال

وبي اغيد من حسنه البدر خائف * على نفسه والنجم في الغرب مائل

فلو رام قس وصف باقل خده * لعير قسا بالفهاهة باقل

ومن لطائفه قوله

ياخاله خضرة بعارضه * حرستها عن متيم مغرى *

كف عن العاشقين مقتصرا * هل انت الا حويرس الخضرا

ومن نكته اللطيفة قوله

زار وجيب الظلام منسدل * فانشق ثوب الدجى عن الفجر

وبت من صدغه ومبسمه * اجمع بين الحشيش والخمر

هذه النكتة أخذها الشيخ زين الدين بمعناها وقال

ومليح قال جهرا * يا نفوس الناس عيشي

من رضابي وعذاري * بين خمر وحشيش

ومن لطائف نكت ابن العفيف قوله

واتى بوجه كالهلال مركب * من قامة غصنية هيفاء

وبعقله خفق الفؤاد وقد رنت * وكذا الجنون يكون عن سوداء

ومن لطائف اختراعاته قوله

بدا وجهه من فوق اسمر قده * وقد لاح من سود الذوائب في جنح

فقلت عجيب كيف لم يذهب الدجى * وقد طلعت شمس النهار على رمح

ومنه قوله والنكتة غريبة وبديعة

اسكرني باللفظ والمقلة الـ * كحلاء والوجنة والكاس

ساق يريني قلبه قسوة * وكل ساق قلبه قاس (ى)

ومن لطائفه ايضا قوله

ياباعثا شعره انتشارا * بقامة ما لها نظير *

الموت من ناظريك لكن * من شعرك البعث والنشور

ومن لطائفه قوله في مليح اسمه مالك

ولا باقامتي غرض
وليس عقده بيدي
اذا ما غبت ينتقض
ولي في قصدتي شرف
وبين القصد معترض
اذا انقبضت من املي
ولكن فيم انقبض
آيأمر بالمقام وهل
يقوم بذاته عرض
ومولانا ادام الله سلطانه
أبسط رأفة على الخدم كافة
وعلى من بينهم خاصة
ألا يرحم لهذا الضعيف
في هذا الهواء الكثيف
والامراض لا تعبث من
عبده بشحم ولحم انما تصل
الى العظم فتقضه والى
الروح فتستخلصه وله ادام
الله قدرته في الانعام رتبه
انه الى ان شاء الله تعالى
وله الى ابي الحسن البغوي)
كتابي وجزى الله الشيخ خيرا
عن بيان الراغب وكف
الراغب واعانه على همته

مالك قد احل قتلي بربع السفك دمنه وراح قلبي طعينه
ليس يفتي سواه في قتل صب * كيف يفتي ومالك بالمدينه

ومنه قوله مع حسن التضمين

جلا ثغرا واطلع لي ثنايا * يسوق بها المحب الى المنايا
وانشد ثغره يعني افتخارا * انا ابن جلا وطلاع الثنايا

ومن لطائفه قوله

بأبي شادن غدا الوجه منه * يخجل النيرين في الاشراق
سلب القضب لينها فهي غيظا * واقفات تشكو بالاوراق

البيت الثاني بلفظه ومعناه تقدم لابن عبد الظاهر والله اعلم ايهما السابق وابتذل حجاب هذه النكتة بعد ذلك المتأخرون منهم الشيخ زين الدين بن الوردي بقوله

قده جار اعتدالا * فله فتك ونسك
سلب الاغصان لينا * فهي بالاوراق تشكو

ومن نكته البديعة الغريبة قوله

ومستتر من سنا وجهه * بشعر لهاذلك الصدغ في
كوى القلب مني بلام العذار * فعرفني انها لام كي

ومن لطائفه قوله

كأنني واللواحي في محبته * في يوم صفين قد قمنا بصفين
وكيف يطلب صلحا او موافقة * ولحظه بيننا يسعى بسيفين

ومن نكته التي تطفل الناس بعده عليها قوله

بأبي افدي حبيبا * تيم القلب غراما
عذر العاذل فيه * مذ رأى العارض لاما

وقال

لو لم تكن ابنة العنقود في فمه * ما كان في خده القاني ابو لهب
تبت يدا عاذلي فيه فوجنته * حمالة الورد لا حمالة الحطب

اخذه ابن نباتة وقال

حمالة الحلي والديباج قامته * تبت غصون النقا حمالة الحطب

قلت ورد ابن العفيف اغلى من ديباج ابن نباتة من حيث المناسبة الادبية والله اعلم وهذه النكتة ايضا اغار عليها المعمار بقوله

تعرض البدر يحكي حسن صورته * فراح منكسفا وانشق بالغضب
وبانة الجزع ماست مثل قامته * تبت وقد اصبحت حمالة الحطب

(وممن احسن المباشرة في نظم التورية) سيف الدين بن المشد فمن نكته البديعة الغريبة قوله

مسكية الانفاس تملي الصبا * عنها حديثا قط لم يملل

ووفقه واخلف عليه خيرا مما انفقه فليس لمثل هذا العام الامثل ذلك الانعام والبذل العام فلو انتقر لهلك من افتقر ولكنه احتفل وعم الاعلى والاسفل فكأنه كان ربيعا وكأنما احيا الناس جميعا ومما يدل على شكر الله لسعيه في الحج ان جعله كعبة المحتاج لا كعبة الحجاج وجعل داره مشعر الكرم ولم كاودع مشعر الحرم ولم ينفصل عن منى الخيف حتى عقد بناصيته منى الضيف وكما جعل البيت قبلة للصلاة جعل بيته قبلة للصلات الشيخ اذا لم يختم بهذا الختام لم يكن بالحج التام فالحمد لله الذي مكنه ووفقه والله بتمام النعمة كفيل وهو حسبنا ونعم الوكيل رجع فلان فوصف ما صدقه الشيخ من اعتناء واهتمام

جفنت لسان سرى عرفها * ومازرى من جنى بالمندل

ومن لطائفه قوله

ومجلس راق من واش يكدره * ومن رقيب له باللوم ايلام
مافيه ساع سوى الساقى وليس به * على الندامى سوى الريحان نمام

هذه النكتة تقدمت للبدر بن لؤلؤ الذهبى وذكرت من اغار عليها من الجماعة ولكن الامير سيف الدين زادها نكتة اخرى بديعة واستعملها أحسن من الجماعة ومن لطائفه قوله

وشادن اورد فى هجره * لهيب حر الشوق والفرقه
اصبحت حران الى ريقه * فليت لى من قلبه رقه

هذه النكتة نظمتها فى مبادى العمر ولم اقف على قول ابن المشد الا بالديار المصرية فى الايام المؤيدية فقلت

ارشفنى ريقه وعانقنى * وخصره يلتوى من الدقه
فبت من خصره وريقته * اهيم بين الفرات والرقه

ومن لطائفه قوله

فى يوم غيم من لذاذة جوه * غنى الحمام وطابت الانداء
والروض بين تكبر وتواضع * شمخ القضيب به وخر الماء

ومن لطائفه أيضا قوله

اذن القمرى فيها * عندتهويم النجوم
فانثنى الغصن يصلى * بتحيات النسيم

ومن لطائفه قوله

انى صرفت وحاشا * لذى الدنانير تصرف
وما عنقلت كريما * الا وأنت مثقف

ومن لطائفه قوله

الحمد لله فى حلى ومرتحلى * على الذى ذات من على ومن على
بالامس كنت الى الديوان منتسبا * واليوم اصبحت والديوان ينسب لى

ومن لطائفه قوله

لعبت بالشطرنج مع شادن * رشاقة الاغصان من قده
احل عقد البند من خصره * والثم الشامات من خده

تورية الشامات رخصها المتأخرون بعد سيف الدين بن المشد وممن أخذها الشيخ جمال الدين ابن نباتة فقال

افديه لاعب شطرنج قد اجتمعت * فى شكله من معانى الحسن اشتات
عيناه منصوبة للقلب غالبة * والخد فيه لقتل النفس شامات

انتهى ما تخيرته ووعدت بايراده فى باب التورية من كلام هذه العصابة التى مشت تحت

وذلك لانى بفضله فليتبع القرس الجام ان الصنيعة بآخرها والسلام

(وله ايضا)

ياشيخ والفاضل فضله والسديد ولو رأى كل [illegible] لم يتعده وابصر خطه لم يخطه واذا لم تنصف اقوام ولم تسفه احلام ولست والله لرتبة الشيخ اهلا وان كان الا كهلا فما الذى دعاك الى الزيادة واتصال لسيادة امر بالك ام خشونة سبالك ام مرض فؤادك ام صحة ودادك ام طهارة اصلك ام صرامة فضلك ام حصانة اهلك ام رجاحة عقلك ام ملاحة شكلك ام غزارة فضلك ام نظم كلامك وسلامك ام نجوم قعودك وقيامك ام كنف جنابك وخيامك ام حسن ورائك وامامك ياشيخ حقيق ان ذا غرك بنفسك

العصائب الفاضلية * وصار لها من بعده فى نظم التورية اعظم روية * وقدمت امامهم الذى صلت الجماعة خلفه وهو القاضى الفاضل وبعده القاضى السعيد بن سنا الملك والشيخ سراج الدين الوراق وأبو الحسين الجزار ونصير الدين الحمامى وناصر الدين حسن بن النقيب والحكيم شمس الدين بن دانيال والقاضى محيى الدين بن عبد الظاهر وهذه الفرقة التى تقدمت بعد الفاضل بالديار المصرية وأما الفرقة الشامية فامام جماعتها الشيخ شرف الدين عبد العزيز الانصارى شيخ شيوخ حماة وبعده مجير الدين بن تميم وبدر الدين يوسف بن لؤلؤ الذهبى ومحيى الدين بن قرناص الحموى وشمس الدين بن العفيف وسيف الدين بن المشد ولكن عجبت من الشيخ صلاح الدين الصفدى كيف اخل فى كتابه المسمى بفض الختام عن التورية والاستخدام بذكر الشيخ علاء الدين على بن المظفر الكندى الشهير بالوداعى وهو اشهر من قفا نبك فى نظم التورية بل هو امرؤ قيسها او كنديها * واذا ذكر شرف نسبها فانه علويها * وانتقل من حلب الى دمشق المحروسة وعاصر الجماعة المذكورين ومولده سنة أربعين وستمائة ووفاته سنة ست عشرة وسبعمائة فكانت مدة حياته ستا وسبعين سنة ومولد السراج الوراق سنة خمس عشرة وستمائة ووفاته سنة خمس وتسعين وستمائة فكانت مدة حياته ثمانين سنة ومولد أبى الحسين الجزار سنة احدى وستمائة ووفاته سنة اثنتين وسبعين وستمائة فمدة حياته احدى وسبعون سنة ووفاة نصير الدين الحمامى سنة اثنتى عشرة وسبعمائة ووفاة ناصر الدين بن النقيب سنة سبع وثمانين وستمائة ووفاة الحكيم ابن دانيال سنة عشرة وسبعمائة ومولد محيى الدين بن عبد الظاهر سنة عشرين وستمائة ووفاته سنة اثنتين وتسعين وستمائة فمدة حياته اثنتان وسبعون سنة ومولد شيخ الشيوخ الانصارى سنة ست وثمانين وخمسمائة ووفاته سنة احدى وستين وستمائة فمدة حياته خمس وسبعون سنة ووفاة مجير الدين بن تميم سنة احدى وثمانين وستمائة ووفاة بدر الدين يوسف الذهبى سنة ثمانين وستمائة ومولد شمس الدين بن العفيف سنة اثنتين وستين وستمائة ووفاته سنة سبع وثمانين وستمائة فمدة حياته خمس وعشرون سنة ومولد سيف الدين بن المشد سنة اثنتين وستمائة ووفاته سنة خمس وخمسين وستمائة فمدة حياته ثلاث وخمسون سنة وجل القصد من ذلك تحقيق الواقف على هذا الشرح ان علاء الدين الوداعى عاصر الجماعة او غالبهم وقد تقدم قولى فى باب التوجيه ان الشيخ علاء الدين الوداعى سبك التورية فى قوالب لم يسبقه احد من هذه الجماعة اليها * ولا سقط فكره عليها * ومع علو قدر الشيخ جمال الدين بن نباتة وهو الذى مشت ملوك الادب قاطبة بعد الفاضل تحت اعلامه تطفل على موائد نكت الوداعى ومعانيه * وعلى الانواع الغريبة من تواريه * واوردت هنالك من هذا القدر نبذة ولكن تعين ايرادها هنا كاملة لانها حق من حقوق التورية وصل فى تقدمه الى غير مستحقه بحيث ان الطالب اذا أراد ان يفرد هذا النوع اعنى التورية كان بافراده فريدا * وعقدا نضيدا * وكلما اوردته من انواع التورية فى غير بابه * عزمت على نظم شمله هنا ليجتمع كل غريب بأقاربه وانسابه * وقد عن لى اننى اذا فرغت من هذا الشرح ان افرد بابا للتورية والاستخدام واجعلهما مصنفا مفردا واسميه كشف اللثام * عن وجه التورية والاستخدام * فان الشيخ صلاح الدين الصفدى فى كتابه لم

انك بالتسبيح اخلق منك بالتسبيح وبالقيادة اليق منك بالسيادة كذبك من نباك ان اخاك من نادك وخانك من سودك ان الصادق من قودك واضلك من فضلك ان المرشد من ضللك وقد نصحتك وان اوحشتك وان شئت غششتك وآنستك وشمت الفلك اذ لم يكن عبد الك وسمت دهرك اذ لم يوف مهرك ونقعدبك عن ملك العراق وحيازة لا آفاق فالرأى فى الحبس ولا اطلاق والامر بالغل والاملاق والحكم فى الرؤس والاعناق فاكون ايضا من جملة من اجلوك حتى اذاولك فلا احب ان اكون هنالك وورد كتابك ووقفت منه على حديث خفى وما قدمته فى تحصيله من النكاية حتى التجأت فيه الى الشكاية فالحسين

يشف القلوب بترتيبه * ولا تفقه فى بديعه وغريبه * فمن موائد الوداعى التى تطفل الشيخ جمال الدين بن نباتة عليها قوله من قصيد

انخنت عينها الجراح ولا اثم عليها لانها نعساء

زاد فى عشقها جنونى فقالوا * مابه ذا فقلت بى سوداء

أخذه الشيخ جمال الدين بن نباتة فقال من مطلع قصيد

قام يزرى بعقله كلاه * علمتنى الجنون بالسوداء

والشيخ جمال الدين بن نباتة ادرك الوداعى وهو فى عنفوان شبابه * ولمعان سيوف آدابه وقد تقدم مولد الوداعى ووفاته ومولد الشيخ جمال الدين سنة ست وثمانين وستمائة وتوفى سنة ثمان وستين وسبعمائة فمدة حياته اثنان وثمانون سنة وعلى هذا كان سن الشيخ جمال الدين ابن نباتة عند وفاة الوداعى ثلاثين سنة والله اعلم وممانعطف به على ما تقدم قول الوداعى

اذا رأيت عارضا مسلسلا * فى وجنة كجنة يا عاذلى

فاعلم يقينا اننى من امة * تقاد للجنة بالسلاسل

اخذه الشيخ جمال الدين بن نباتة وزنا وقافية وقال

افدى الذى ساق اليها مهجتى * فرع طويل تحت حسن طائل

قلبى بصدغيها الى طلعتها * يقاد للجنة بالسلاسل

ومن ذلك قول الشيخ علاء الدين الوداعى

لقد سمع الزمان لنا بيوم * غدا فيه السمى مع السمى

تجمعنا كانا ضرب خيط * على فى على فى على

أخذه الشيخ جمال الدين بن نباتة أيضا وزنا وقافية وقال

علوت اسما ومقدارا ومعنى * فدالله من حسن جلى

كانكم الثلاثة ضرب خيط * على فى على فى على

قال الشيخ علاء الدين الوداعى

من آخذ من خده * بدم الشهيد المغرم

فالريح ريح المسك منه ولونه لون الدم

أخذه الشيخ جمال الدين بن نباتة وقال

لا ينكر الكاسر من جفنه * دم الشهيد الصابر المغرم

فالريح ريح المسك من خده * كما ترى واللون لون الدم

قال الشيخ علاء الدين الوداعى من قصيد

ينقش بالناثر من طرفه * وريقه البارد يا برد

أخذه الشيخ جمال الدين بن نباتة وقال من قصيد

لو ذقت برد رضاب من مقبله * يا حر ما لمت اعضائى التى نالت

مع ان الشيخ جمال الدين فترعن القاتر وقال الشيخ علاء الدين الوداعى

قيل ان شئت أن تكون غنيا * فتزوج وكن من المحصنينا

ولا ذلك الدين والموت ولا هذا الصوت فقد وهبت ذلك واضعافه اقلبك وان شئت رفعته لكلبك

(وله ايضا)

افارق الشيخ مفارقة العبد ثم اعلل نفسى بالمواعيد فاذا سهل الله العسير وقرب البعيد وأعاد لى العيد كانت المتعة خطفة البارق والسم الخارق ووقفة السارق والخيال الطارق وافتة الآبق والجواد السابق

لا استتم عناقه للقائه
حتى اروم عناقه لوداعه
ولوشاء الله جعلنى ظله ونوجهنى ظله طئ معه وعنده فدت عليه جلده ولكنت المنهوم الذى لا يشبع والحريص الذى لا يقنع

والنفس راغبة اذا رغبتها
واذا ترد الى قليل تقنع

قلت ما يقطع الا هجر * لم يضع بين اظهر المسلمينا

أخذه الشيخ جمال الدين بالقافية وقال

قال لى خلى تزوج تسترح * من اذى الفقر وتستغنى يقينا

قلت دع نصحك واعلم اننى * لم اضع بين ظهور المسلمينا

قلت ان قافية محسنين أصدق من يقين ابن نباتة فى مقطوعه قال الشيخ علاء الدين الوداعى مضمنا

ياعاذلى فى التكاريش اطرح عذلى * واعذر فعذرى فيهم واضح حسن

فالمرد ان حاولوا حربى بهجرهم * اذا القيام بنصرى معشر خشن

أخذه الشيخ جمال الدين بن نباتة فقال

لو آذتنى عذالى بجرمهم * أذى التكاريش قد أصبحت هيمانا

اذا القيام بنصرى معشر خشن * عند الحفيظة ان ذولوثة لانا

قال الشيخ علاء الدين الوداعى من قصيد

عذب مقبله وحلو لحظه * اوما تراه بالنعاس معسلا

أخذه الشيخ جمال الدين بن نباتة وقال من قصيد

معسل بنعاس فى لواحظه * أما تراها الى كل القلوب حلت

قال الشيخ علاء الدين الوداعى من القصيدة المذكورة

الحاظه وهى السيوف كليلة * ويكون تعذيب الكليلة اطولا

أخذه الشيخ جمال الدين مع القافية وقال من قصيد

بليت به ساجى الحاظ كليلها * ومازال تعذيب الكليلة أطولا

قال الشيخ علاء الدين الوداعى من قصيد

والنهر كالمبرد يجلو الصدا * ببرده عن قلب ظمآنه

أخذه الشيخ جمال الدين بن نباتة وقال من قصيد

والنهر فيه كمبرد * فلاجل ذا يجلو الصدا

لكن نقص نهره وكل مبرده عن نكتة ببرده فى بيت الوداعى فان الشيخ جمال الدين حط مكانها فى بيته فلاجل ذا وشتان قال الشيخ علاء الدين الوداعى فى مطلع قصيد

ما كنت اول مغرم محروم * من باخل بادى النفار كريم

أخذه الشيخ جمال الدين بن نباتة وقال من قصيد

مجفل يشبه ريم الفلا * ياطول شجوى من بخيل كريم

قال الشيخ علاء الدين الوداعى فى مليح أعمى

بروحى غزال راح فى الحسن جنة * تعشقته اعمى فهمت من الوجد

اذا ما تبدى قائدا بيمينه * تيقنت حقا انه جنة الخلد

أخذه الشيخ جمال الدين بن نباتة بالقافية وقال

اندبه اعمى مغمد اللحظ * ليرتعى فى خده الوردى

هذا والرحيل فداوات وغمم انف ابى الدردا وقرت عيون الاعدا وعلا نفس الصعدا وانطوى القلب على الدا وباح تقى من غد ان رأى ان ينفذ الى تذكرة بامره ونهيه وجريدة بعوارضه وحاجاته فعل وقد كان الشيخ كتب خطا عن فلان بصدر من الحنطة الى بعض وكلائه وانتظرت بحركة سعر فرجع القهقرى وتحرك الى ورا وقد حملت اباه فلان فى معناها ما يتم بالاصغاء اليه ويأتى قضية كرمه فيه ثم أبو فلان ثمرة الغراب وفرحة الاياب وتوصله بخصاله آكد ما معه من كتاب وللشيخ الرأى الموفق فيما يأتى ويذر

تمكنت عيناى من وجهه * فقلت هذى جنة الخلد

قال الشيخ علاء الدين الوداعى من قصيد

بخلت على بدر مبسمها * فغدت مطوقة بما بخلت

أخذه الشيخ جمال الدين بن نباتة وقال من قصيد

بخلت بلؤلؤ ثغرها عن لاثم * فغدت مطوقة بما بخلت به

هذا المعنى استحقيته على الشيخ علاء الدين الوداعى والشيخ جمال الدين بن نباتة فانى زدت الاقتباس من الحديث تورية بقولى

ناحت مطوقة الرياض وقد جرى * دمعى الملون بعد فرقة حبه

لكن بتلوين الدموع تباخلت * فغدت مطوقة بما بخلت به

قال الشيخ علاء الدين الوداعى من قصيدة فى مليح من المغل

وما يرى هوى المشتا * ق الاذلك المغلى

قال الشيخ جمال الدين من قصيد

من المغل اشكو نحوه ألم الجوى * وطب الهوى عندى كما قيل بالمغلى

قال الشيخ علاء الدين الوداعى

يانديمى والذى عاهدنى * أنه عن شربها لن يقصرا

اسقنى صرفا ودع عذالنا * يضربون الماء حتى يخصرا

أخذه الشيخ جمال الدين بن نباتة وقال

اسقنى صرفا من الرا * ح تحت الهم حتا

ودع العذال فيها * يضربون الماء حتى

قال الشيخ علاء الدين الوداعى من مطلع قصيد

باللوى صعدة عليها لواء * كل طعنات نصلها نجلاء

وقال بعد المطلع

لاتحل عندها سماعا الشكوى * فلهذا قالوا لها صماء

قال الشيخ جمال الدين بن نباتة فى مطلع قصيد

وعدت بطيف خيالها أسماء * ان كان يمكن مقلتى اغفاء

وقال بعد المطلع

يامن يطيل من الجوى اقوالها * شكواه وهى الصعدة الصماء

قال الشيخ علاء الدين الوداعى

ياربوة طربتنى * وحسنت لى هتكى

اذلست أبرح فيها * مابين دف وجنك

اخذه الشيخ جمال الدين بن نباتة وقال

بالجنك من مغنى دمشق حمائم * فى دف اشجار تشوق بلطفها

فاذا أشار لها الشجى بكأسه * غنت عليه بجنكها وبدفها

(وله ايضا الى محمد بن ظهير رئيس بلخ وعميدها)

كأنى والشيخ الرئيس رحمه الله فى الرياسة مخول وله فى الفضل آخر واول ومايجلو له طرف من شرف تناله يد الحر ولقد جعله عرضة يانع الوداد وطيب الثناء وصالح الدعاء

أيه أحلام ضبه واهلا باحلامها هن الاروم ومنها ذلك الثمر هن العروق عليها تنبت الشجر

السيف ادام الله عز الشيخ الرئيس خامل حتى يجيد حامل وكنت كمثل النصل فارق غمده فاحدثت الايام فى حده وهنا

فصادفه الشيخ الرئيس معطلا بأيدى رجال لايرون له وزنا فجاذبنى سنا وحدث لى سنا وجدد لى جفنا وحلى لى الجفنا

وليست الابيات لى ولكنى صدتها واستطبتها والبز

وتطفل أيضاً الشيخ صلاح الدين الصفدي على الوداعي في جنكه ودفه فقال

انهض الى الربوة مستمتعاً * تجد من اللذات ما يكفي
فالطير قد غنى على عوده * في الروض بين الجنك والدف

وتطفل على الوداعي أيضاً الشيخ زين الدين بن الوردي وتزاحم هو والصفدي على العود

دمشق قل ما شئت في وصفها * واحك عن الربوة ما تحكي
فالطير قد غنى على عوده * في الروض بين الدف والجنك

قال الشيخ علاء الدين الوداعي من قصيد يصف نار شوقه لمحبوبه مع كتمان سره

في حشاه للشوق نار تلظى * وبفيه حفظاً للسر ماء

أخذه الشيخ جمال الدين بن نباتة بالقافية وقال من قصيد ولكن زاده حسناً

فيا عجبا مني لانسان مقلتي * يحدث أخباري وفي فمه ماء

ومن لطائف الوداعي ونكته في العود الذي اخذه منه الشيخ صلاح الدين الصفدي والشيخ زين الدين بن الوردي واستعملاه بلا وتار قوله

والروض يهدي مع نسيم الصبا * نشر خزاماه وريحانه
وراسل القمري ورقاءه * شدوا على أوتار عيدانه

ويعجبني من هذه القصيدة قوله مشيراً الى رأس العين بيعابك

يا حادي الاظعان ان شارفت * من بعلبك سفح لبنانه
فاقر أحبابي على نازل * في محجر العين كانسانه

قال الشيخ علاء الدين الوداعي من قصيد

يا جيرة بالغور قد نزلوا * الله من جيرة ونزال
ما عطل الطرف بعد فرقتكم * من دمعه وا كشفوا عن الحال (ى)

أخذه الشيخ جمال الدين بن نباتة وقال

حلوا بعقد الحسن اجيادهم * وحاولوا صبري حتى استحال
فآه من عاطل صبر مضى * والحمد لله على كل حال

قال الشيخ علاء الدين الوداعي واجاد الى الغاية

قالت الورق اذ شدا * فشجاها وشوقا
ما رأينا مقرطقا * قبل هذا مطوقا

ومثله في تورية المطوق

يا جنة كوثرها * رضابه المروق
وفوق غصن قده * عذاره مطوق

ومثله قوله

فديت من مبسمه * زهر لغصن قده

الى بن والعزلين عز
وما أنجبونا طالما تعبي فتاتهم
ولكن خطبناه ابادرا ماسا
قهرا
ولي صاحب لما أتاني جوابه
نثرت على عنوانه قبلي نثرا
سرقت له شعرا ولو وصلت
يدي
سرقت له الشعرى ولم اسرق
الشعرا
اعوذ بالله من الحور بعد
الكور واستقيل الله
عثرات الكرام كنت
نويت ان لا اقول الشعر
ثابت الغلة الا الاديب وأجدني
قد اكتهلت والكهل قبيح
به الجهل ولاحت الشعرات
البيض وجعلت تفرخ
وتبيض وآن لعازب ان
يؤيب وانما اختارت الحكماء
الزاوية والاماكن الخالية
لانهم وجدوا العافية تهيج
الآبية وما أهنأ هذه
العافية اولم أحرم الخدمة
العالية ورقات تدرس
وشعرات تغرس وشويهات

وصدغه مطوق * في روضة من خده

النكتة في المطوق من اختراعات الوداعي وتطفل عليها الشيخ جمال الدين بن نباتة حتى في تسمية كتابه ومن نظمه فيها قوله

طوق جود الوزير جيدي * فلست عن مدحه اعوق
اسجع بالمدح في علاه * لا غرو أن يسجع المطوق

قال الشيخ علاء الدين الوداعي

لي من الطرف كاتب يكتب الشو * ق اليه اذا ائتوا دأمله
سلسل الدمع في صحيفة خدي * هل رأيتم مسلسلات ابن مقله

هذا المعنى قلبه ابن نباتة بعد الوداعي كثيرا وسبكه في قوالب كثيرة واظنه اخذه وزنا وقافية بقوله

قلت للكاتب الذي ما أراه * قط الا ونقط الدمع شكاله
ان تخط الدموع في الخد خطا * ما يسمى فقال خط ابن مقله

قال الشيخ علاء الدين الوداعي من قصيد

قلبي مطيع في هواك وانت لي * من بين دوح الحسن غصن خلاف

اخذه الشيخ جمال الدين بن نباتة وقال في مطلع قصيد

قاسي الجوانح لين الاعطاف * أهواه في الحالين غصن خلاف

قال الشيخ علاء الدين الوداعي من قصيد

كيف أقوى لحل حفظ وعهد * بعدما كان من رضاه وداني
فتكرم بعطفة والتفات * مثل ما في الاغصان والغزلان

اخذه الشيخ جمال الدين فقال من قصيد

غزال رمل ولكن غير ملتفت * وغصن بان ولكن غير منعطف

ومن لطائف الشيخ علاء الدين الوداعي ونكته الغريبة قوله

قال لي العاذل المفند فيها * يوم وافت وسلمت مختاله
قم بنا ندعي النبوة في العشـ * ـق فقد سلمت علينا الغزاله

اخذه الشيخ جمال الدين بن نباتة فقال

يا غزالا أشار بالسلام الى المغـ * ـرم لا تنكرن ضلاله
كيف لا يدعي النبوة في العشـ * ـق وقد سلم الغزال عليه

واخذه الشيخ صفي الدين الحلي فقال في ثلاثة ابيات تركيبها ضعيف

تنبأ فيك قلبي واسترابت * قلوب صم عنه ضلال
وردهم الهوى أن يؤمنوا بي * وقالوا معجزه محال
فقد سلمت سلت البرايا * الي وقبل كمه اعتزال

ومن لطائف الشيخ علاء الدين الوداعي ايضا ونكته الغريبة قوله على لسان صديق سوء عمر وقد هام عليه في احدى اذنيه لؤلؤة

تحرص واللبن الرائب والبر الملبط وعريش كعريش موسى والشأن أقرب من ذلك لعمري لئن قيدت نفسي لطالما سعت وأوضعت المطية بالحبل ثلاثين عاما ما أرى من عماية اذا برقت الا أشد لها رحلي فجزى الله الشيبة خيرا انها لا ناه ولا ردّ الشبيبة انها لهناه وبئس الداء الصبا وليس دواؤه الا نقضاؤه وبئس المثل النار ولا العار ونعم الرائضان الليل والنهار واظن الشباب والشيب لو مثلا لكان الاول كلبا عقورا والآخر شيخا وقورا ولاشتعل الاول نارا واقتشر الآخر نورا والحمد لله الذي بيض القار وجماه الوقار وعسى الله ان يغسل الفؤاد كما غسل السواد ان السعيد من شابت جلده واشقى من خضبت لحيته وكفى الله الشيخ

كم قلت لما صرت بي * مقرطق يحكي القمر
هـذا ابو لؤلؤة * منه خذوا ثار عمر

ومن لطائفه أيضا في مليح اسمه سعد

اذا ما كان قتلي يا حياتي * مرادك من برذك او بصد
ففوق سهم طرفك نحو قلبي * فداك أبي وامي وام سعد

ومن لطائفه أيضا في مليح بدوي

اقبل من حبه وحيا * فاشرقت سائر النواحي
فقلت يا وجه من بني من * فقال لي من بني صباح

ومن نكته البديعة الغريبة قوله

تعجبوا لما غدت أدمعي * بيضا وراحت كالدم القاني
لا تعجبوا طرفي رب الهوى * فكل يوم هو في شان

ومن نكته البديعة الغريبة ايضا قوله

* وليلة خلت مجلسنا سماء * وصحبي كالثريا في اجتماع
فبات الطرف يرعى البدر منهم * الى ان حل منزلة الذراع

ومن نكته البديعة الغريبة ايضا قوله من دو بيت

يا غصن نقا يشمخ بالازهار * يا ألطف من نسمة الاسحار
ريحان عذارك الذي تيمني * من ولده من قلم الاشعار

ومن لطائفه قوله من دو بيت ايضا

لما حجب الكرى عن الآماق * وانقاد مع العدى على العشاق
ناديت وقد تزايدت اشواقي * يا غصن رضيت منك بالاوراق

ومن لطائفه الغريبة قوله فيمن يبيع السكر بالدين

ارى من الواجب ان يصرف الـ * ـعطار بالصد وبالزجر
فأي تصريف وذوق لمن * يدين السكر بالصبر

ومن نكته الغريبة ايضا من مديح قصيدة

يا طالبا للكيمياء ولم * يحصل على عين ولا أثر
زر لا تماعتبات ساحته * تلقـ راذا بكرم الحجر

وهـذا المعنى تطفل عليه الشيخ جمال الدين بن نباتة وكثير من الناس بعد الوداعي ومن لطائفه قوله

يا عـز والله العـزيز الذي * قضى على نفسي باذلالها
ما خطرت من نحوكم نسمة * الا تعـرضت لتسآلها
ولا سرت منا الى ارضكم * الا تمسكت باذيالها

ومن لطائف مجونه قوله

انا شاعر قد هذب الطبع شعره * واصبح عاصيه على فيه طبعا

الرئيس كل محذور لقد كفاني كل مكروه ووفقني لشكره وخدمته آمين وصلى الله على محمد وآله الطاهرين اللهم غفرانك لنا اجمعين فان أبا جعفر العلوي اخذ على العهد الثقيل والميثاق الغليظ أن لا أكتب الا أجمعين فقلت وما أنكرت من الطاهرين فقال لأكون من جملة القوم فقد اخرجتني من زمرة الجد بهذا الحد والسلام

(وله اليه أيضا)

والله أطال الله بقاء الشيخ الرئيس ما سكنت هراة اضطرارا ولا فارقت غيرها فرارا وانما اخترتها قطنا ودارا واخترته سكنا وجارا لتكون ارفق لي من سواها ولازداد به عزا وجاها فان كان قد ثقل مقامي فالدنيا امامي وان كان قد طال ثوائي فالانصراف ورائي لست والله ذباب الخوان ولا وتد الهوان

اذا خس الناس القصيد حسنه * يحق لشعر قاله ان يسبعا

ومن نكته البديعة الغريبة قوله مع حسن التضمين

وشادن مثل الضحى وجهه * كتمت عشقى فيه مخوف الرقيب
حتى بدا ليل عذاره * فبحت والليل نهار الاديب

ومن لطائفه التى تقدمها قوله

كلما رمت فيك انكار حبى * من عذولى يزيد فى تعنيفى
عرفته لام العذار غرامى * بك والّلام آلة التعريف

ومن نكته التى هى نوع من السحر قوله فى مطلع قصيد

اعيذ ريم الترك بالروم * والصدغ مع فيه بحم

ومما حلى ما قال به مدولم يخرج من مطابقة التورية

وخده المشرق قد صح فى * عذاره المعوج تقويمى

ومن نكته البديعة الغريبة المطربة قوله

واغن ساجى الطرف ذى هيف * والواو فى واغن للقسم
قالت خلاخله أيسكتنى * نطق وماء الساق مل فمى

ومن نكته البديعة الغريبة قوله من قصيد

وكان ريق النحل ريقتها * فيها الشفاء لهيبة نحلت

ومن لطائفه قوله

ويوم لنا بالنيربين رقيقة * حواشيه خال من رقيب نشينه
وقفنا وسلمنا على الدوح بكرة * فردت علينا بالرؤس غصونه

ومن لطائفه أيضا قوله

وذى دنلى اهيف احور * أصبح فى عقد الهوى شرطى
طاف على القوم بكاساته * وقال ساقى قائف فى وسطى

ومن نكته البديعة الغريبة قوله

دع بمصر و بسكانها * شوقى وبعد عهدى بالخالى
وار ولنا يا سعد عن نيلها * حديث صفوان بن عسال

ومن اختراعاته البديعة الغريبة قوله

سقيا لكرم مدامة * انشت لنا النشوات ابلا
خلعت علينا سكرة * بدوية كما وذيلا

ومن نكته البديعة الغريبة قوله

رمتنى سود عينيه * فاصمتنى ولم تخطى
وما فى ذاك من بدع * سهام الليل لا تخطى

أخذه الشيخ جمال الدين بالقافية وقال

واغيد كل شئ فيه يعجبنى * كأنما هو مخلوق على شرطى

والشام لى شلم مادام بكرمى هشلم وهراة لى دار ماعرف فيها مقدار وقرى الضيف غير السوط والسيف مرض ابو العيناء مرض وفاته فقال له بعض عواده يا ابا العيناء قل لا اله الا الله فقال انا الله وجد يناوالله صار ابو سفيان بعد ما امان من لجأ الى داره ولا زعيداره يؤخذ بجرم جاره و يصلى بجرنا ره شد والله ما انتكس العمر وانقلاب الامر هذا الخليفة يزعم انى طمام فلا والله

اجفانه السود ما تخطى اذا رشقت * سهامها وسهام الليل لاتخطى

ويعجبني من نكته الغريبة قوله من قصيد

اهل نجد هل تبعدون محبا * صاده بالغوير ظبي ملول

كم دماء مطلولة فى هواه * وبها روض خده مطلول

وحديث عن السقام صحيح * قدرواه عن طرفه مكحول

وقال وقد عينه الوزير لرحبة مالك بن طوق

حاشا لله ان تختار لى رحبة * لست اليها الدهر بالسالك

لانها نار تلظى أما * ترونها تعزى الى مالك

ومن نكته التى ما حام فكر غيره عليها قوله

وفى اسانيد الاراك حافظ * للعهد يروى صبره عن علقمه

وكلما ناح به حمامة * روى حديث دمعه عن عكرمه

التورية فى علقمة وفى عكرمة ايضا فانه اسم للحمامة ومثله فى الغرابة ايضا قوله وقد توجه من دمشق الى البلقاء لزيارة صاحب له يلقب بالشمس فلما وصل الى البلقاء وجده قد توجه الى حسبان فكتب اليه

اتيت الى البلقاء ابغى لقاءكم * فلم اركم فازداد شوقى واشجانى

فقالت لى الاقوام من أنت قاصد * لرؤياه قالت الشمس قالوا بحسبان

انتهى ما أوردته من ترجمة الشيخ علاء الدين الوداعى ومن غرائب نكته البديعة فى باب التورية وأيدت سمو رتبته بتطفل مثل الشيخ جمال الدين بن نباتة على موائد بدائعه وغرائبه ولكن أقول ان الجزاء من جنس العمل كما اغار الشيخ جمال الدين على الوداعى ودخل الى بيوته وابتذل جلابيب نكره قيض الله له الشيخ صلاح الدين الصفدى فان الشيخ جمال الدين رحمه الله كان يخترع المعنى الذى لم يسبق اليه ويسكنه بيتا من ابياته العامرة بالمحاسن فيأخذه الشيخ صلاح الدين الصفدى بلفظه ولم يغير فيه غير البحر وربما عام به فى بحر طويل يفتقر فيه الى كثرة الحشو واستعمال ما لا يلائم فلم يصبر الشيخ جمال الدين على ذلك وصنف كتابا ألفه من نظمه ونظم الشيخ صلاح الدين الصفدى وسماه خبز الشعير يعنى انه مأكول مذموم واستهل خطبته بقوله تعالى رب اغفر لى ولوالدى ولمن دخل بيتى مؤمنا ورتب كتابه المذكور على قوله (قلت انا فأخذه الشيخ صلاح الدين وقال) وكنت اوردت من خبز الشعير نبذة فى اوائل هذا الكتاب ولكن لم يرض باب التورية الا ايراده هنا كاملا لانه حق من حقوقها فن ذلك قول الشيخ جمال الدين بن نباتة قال

ومواسم بخفاخ * بعذاوشيا بك

قالت لى العين ماذا * يصيد قلت كرا بك (ى)

فأخذه الشيخ صلاح الدين وقال

اغار على سرح الكرى عند ما رعى الـشكرا كى غزال للبدو ربما كى

ان لحبى لحرام وفيه عروق عظام ولو كنت طعاما لكنت الاكلة التى تمنع الاكلات ولو كنت الية ما كنت الا فى الفلاة ومن شقى فى خلف بلجزاو مائة الف واذا انتهت الدعوة الى فقد عزل عزرائيل ولم يبق من ولايته الا القليل والله ما يصلح لحبى للقديد ولا يحسن فوق الثريد انه لياتى من المضغ وينشب فى الحلق ويقلق فى البطن ولا يخرج من المعى الامع الامعا وكانوا الايصيدون

فقلت

فقلت ارجعي ياعين عن ورد حسنه * ألم تنظري كيف صاد كراك (ى)

قال الشيخ جمال الدين بن نباتة قلت

اسعد بها يا مقرى برزة * سعيدة الطالع والغارب
صرعت طيرا وسكنت الحشا * فما تعديت عن الواجب

فأخذه الشيخ صلاح الدين وقال

قلت له والطير من فوقه * يصرعه بالبندق الصائب
سكنت قلبي فتركته * فقال لم اخرج عن الواجب

وقال الشيخ جمال الدين قلت

ويهجني رشأ يميس قوامه * فكأنه نشوان من شفتيه
شغف العذار بخده ورآه قد * نعست لواحظه فدب عليه

أخذه الشيخ صلاح الصفدي وقال

واهيف كالغصن الرطيب اذا انثنى * تميل حمامات الاراك اليه
له عارض لما رأى الطرف ناعسا * أتى خده سرا فدب عليه

قال الشيخ جمال الدين قلت

ياغادرا بي ولم اغدر بصحبته * وكان مني مكان السمع والبصر
قد كنت من قلبك القاسي اخال جفا * فجاء ما خلته نقشا على حجر

فأخذه الشيخ صلاح الدين وقال

مازلت اشكو حين وفرق الضنى * قسمي واسلي الى البلاوى وفر
حتى تأثر من شكاية لوعتي * لي قلبه فرأيت نقشا في حجر

واحسن ماوقع في هذا الباب للشيخ جمال الدين بن نباتة انه قال

بروحي عاطر الانفاس ألمى * ملي الحسن حالي الوجنتين
له خالان في دينار خد * تباع له القلوب بحبتين

فأخذه الشيخ صلاح الدين الصفدي وقال

بروحي خده المحمر اضحت * عليه شامة شرط المحبه
كأن الحسن يعشقه قديما * فنقطه بدينار وحبه

فلما وقف الشيخ جمال الدين على هذين البيتين قال لا اله الا الله سرق الشيخ صلاح الدين كما يقال من الحبتين حبة قال الشيخ جمال الدين قلت

ياعاذلي شمس النهار جميلة * وجمال فاتنتي ألذ وازين
فانظر الى حسنيهما متأملا * وادفع ملامك بالتي هي احسن

فأخذه الشيخ صلاح الدين مع الصريل اخذ الكل مع القافية وقال

بأبي فتاة من كمال صفاتها * وجمال بهجتها تحار الاعين
كم قد دفعت عواذلي من وجهها * لما تبدى بالتي هي احسن

وهذان البيتان تقدم القول انهما ينصبهما القاضي محي الدين بن عبد الظاهر ولكن

ابن آوى وان كانوا اشم اوى
ومن حلف ان لا يأكل
مضيرة فأكل زبد كالب
وابن قرد لم يحنث وسافي
ان تركه الشيخ الرئيس
بقول فمن اخذ اذا لم يؤخذ
أكرة المتشمين بجرم محتشم
يؤخذ اكاره اذا جنى جانه
وخرج عليه اذا لم يذبحهم
بشعر السمل ويصلبهم
على جذوع النخل واسأل
الله خاتمة خير وعاجل وفاة
ان بطن الارض اوسع من
ظهرها وارفق بأهلها
ولا عليه ان لا ينهى الى دعا

رأيت العز الموصلي نبههما في تذكرته الصلاح الصفدي من جملة خبز الشعير والله ا[علم]
قال الشيخ جمال الدين قلت

قد يتسلى ايها الرامي بقوس * وطرف يا ضنى جسدي عليه
لقوسك نحو حاجبك انجذاب * وشبه الشيء منجذب اليه

فأخذه الشيخ صلاح الدين وقال

تشرطني من احب فذبت وجدا * فقال وقد رأى جزعي عليه
عقيق دمي جرى فأصاب خدي * وشبه الشيء منجذب اليه

قلت اظن ان الشيخ صلاح الدين لما سمع قول الشيخ جمال الدين ونظم هذين البيتين ما كا[ن]
في حيز الاعتدال واين انجذاب القوس الى الحاجب من انجذاب الدم الى الخد وأيته تلذ
بالانجذاب بل قال عقيق دمي جرى فأصاب خدي قال الشيخ جمال الدين قلت انا

يا منتكي الهم دعه وانتظر فرجا * ودار وقتك من حين الى حين
ولا تعاند اذا اصبحت في كدر * فانما انت من ماء ومن طين

اخذه الشيخ صلاح الدين الصفدي وقال

دع الاخوان ان لم تلق منهم * صفاء واستعن واستغن بالله
أليس المرء من ماء ومن طين * واي صفا لهاتيك الجبله

قال الشيخ جمال الدين بن نباتة قلت

احاول صبرا عن هوى قد كتمته * فلا اجد الصبر المحاول يعذب
والقي به ثوب المشيب مطبعا * فاغسله بالدمع والطبع اغلب

فأخذه الشيخ صلاح الدين الصفدي وقال

يقول الفكر لي دنست ثوب الشباب وفي غداة الشيب تتعب
وتغسله بدمعك كل وقت * وما ينقى لان الطبع اغلب

قال الشيخ جمال الدين بن نباتة رحمه الله تعالى رحمة واسعة قلت

اسفت لشاشي الذي قد مضى * وفاز به سارق حاشه
ووالله مابي مما جرى * سوى قولهم صفعوا اشاشه

فأخذه الشيخ صلاح الدين الصفدي وقال

قد سرق الشاش بليل وما * قدره الله فما يندفع
الحمد لله الذي لم يكن * شاشي على رأسي لما صفع

قال الشيخ جمال الدين بن نباتة قلت انا

اشكو الى الله ما اكابد من * دمامل مسني بها الضرّ
فالليل عندي من حالها سنة * فلا ليلي ولا لها فجر

فأخذه الشيخ صلاح الدين وقال

اشكو الى الله من امور * عسر عيشي لما عسر
ودمل مع دوام ليل * مالهما ما حييت فجر

اسكن من يقظان وجانما
اخبث من شبعان والذئب
لا يصاد عدوا والصواب
في الوقوف والطاس اذا
نقر فعاته بالصوت
(وله اليه أيضا)
كتابي ولعل الاخبار قد
وردت تلك الديار وكيف
شكرت النعمة واديت
فرضها وان عشت لتبلغن
الراعي ولو على ماء مدين
والذاهب ولو بعدن ابين
فشكر الغارس تثمير غرسه
ومن شكر فانما يشكر لنفسه
لما حضر في رؤساء نيسابور

ونظم

وتظم الشيخ جمال الدين هذا المعنى ايضا في ابيات معناها الوعظ يعجبني الى الغاية وهي

لا تخش من هم كغيم عارض * فلسوف يسفر عن اضاءة بدره

ان غمّ عن عباس حالك راويا * فكأنني بك راويا عن بشره

ولقد تمر الحادثات على الفتى * وتزول حتى ما تمر بفكره

ولرب ليل في الهموم كدمل * صابرته حتى ظفرت بفجره

وقال الشيخ جمال الدين بن نباتة قلت انا

بروحي فاتر الاجفان ساج * كأن الحسن لفظ وهو معنى

تفرد وهو ثاني الثني * فبارك الله من فرد تثنى

فأخذه الشيخ صلاح الدين وقال

واهيف حاز قدا * قد حار فيه المعنى

تراه في الحسن فردا * لكنه يتثنى

قال الشيخ جمال الدين بن نباتة قلت انا

بروحي جيرة بعدوا دموعي * وقد رحلوا بقلبي واصطباري

كانا للمجاورة اقتسمنا * فقلبي جارهم والدمع جاري

اخذه الشيخ صلاح الدين الصفدي وقال

اسكنت شخصك طرفي * حتى اوارى اواري

فمن جاورت دمعي * جعلت جارك جاري

وقد تقدم ان بدر الدين يوسف بن لؤلؤ الذهبي اول من سبق الى هذه النكتة قال الشيخ جمال الدين بن نباتة قلت

سألت النقا والغصن يحكي لناظري * روادف واعطاف من زاد صدها

فقال كثيب الرمل ما انا حاملها * وقال قضيب البان ما انا قدها

اخذه الشيخ صلاح الدين الصفدي وقال

يقول ردف حبيبي * وعطفه المتثني

ما انت يا غصن قدي * ولا كثيب وزني

قال الشيخ جمال الدين قلت انا

لئن بالازرق لسواد ناظر رأى * قمرا اضحى على الخلق يزهى

يا لها من سوالف وخدود * ليس تحت الزرقاء احسن منها

أخذه الشيخ صلاح الدين الصفدي وقال

لبسوه عمامة للنصارى * قد روى الازرق ردف الحسن عنها

وجلا طلعة كبدر تمم * ليس تحت الزرقاء احسن منها

قال الشيخ جمال الدين بن نباتة قلت انا

يا مجريا دمعي وموقف لوعتي * من جسمي المضنى على الاطلال

يا من اذا ما لاح عن بدر الدجى * والمستدل على الشقيق وخالي

ولم اشكر ذلك الاحسان
ما وقع من بيت حسان
اذا ما الاشربات ذكرن يوما
فهن لطيب الراح الفداء
فمنهم من سره فصاح ومنهم
من ساء فشاح وما انسى
لا انسى ارتياح الامام ابي
الطيب وقوله احسنت
والناس قوم آخرين جعل
الله نفوسهم فداء ذلك
الشمس
بجبهة العير يفدى حافر فرس
لاجرم اني نظرت الى الولي
وعطفت على العدو
ونشدتهما
مدحت الامير وابامه

اخذه الشيخ صلاح الدين وقال

فديت حبيبا ضرج الحسن خده * فصب على خديه ذوب عقيق
اذا عاين الروض البديع خده * يقول انا هـذا اخي وشقيق

قلت الشيخ صلاح الدين ماشم لمسك الخال رائحة والله اعلم وقال الشيخ جمال الدين قلت انا

هيهات بين ذوي الاسى لا يستوى * دمعي ودمعك ايها المتواجد
فحديث دمعي عن تلهب اضلعي * ذاكي اللظى وحديث دمعك بارد

فأخذه الشيخ صلاح الدين وقال

شكوت حتى لان بعد قسوة * ورحت ابكي وهو لي يساعد
وقال ها نحن سواء في البكا * لا يا حبيبي ما بكانا واحد
لا يستوي دمع حكى جمر الغضى * اذا جرى ودمع عين بارد

قال الشيخ جمال الدين بن نباتة قلت انا

هنئتم آل الشهيد بنجمكم * وبوجه مولودلكم ما ازهره
من قبل ما عملت لديه عقيقة * عملت له المدح الجواري جوهره

فأخذه الشيخ صلاح الدين وقال

ايا اندى الورى كفا ووجها * واقومهم الى العليا طريقه
لقد جاءتك جوهرة المعاني * فلا تبخل عليها بالعقيقه

قال الشيخ جمال الدين قلت انا

عذول لست اسمع منه عذلا * على هيفاء مثل البدر تما
له طرف ضرير عن سناها * ولي اذن عن الفحشاء صما

اخذه الشيخ صلاح الدين الصفدي وغير صيغة المثل بالحشو فقال

تعشقته مثل القضيب اذا انثنى * بوجه حكى البدر المنير اذا تما
وان كان عذالى عموا عن جماله * فلي اذن عن كل ما نقلوا صما

قال الشيخ جمال الدين قلت انا

حربي من مهفهف القد رام * اسهم اللحظ ما اسد وارشق
كلما قلت يفتح الله بالوصـ * ـل رماني من سحر عينيه بمغلق

فأخذه الشيخ صلاح الدين الصفدي وقال

سهام طرفك اصمت * قلبي ولم تترفق
ما يفتح الله الا * ورهن قلبي بغلق

قال الشيخ جمال الدين قلت انا

تأملت في الحمام تحت ما زر * روادف بيض ما سناها بغائب
كأني من هذى وها تيك ناظر * بياض العطايا في سواد المطالب

فأخذه الشيخ صلاح الدين الصفدي وقال

فضلات وجوه وسيئت وجوه
وهل يجحد الشمس الا الاعمى
وهل يعرف الفضل الا ذووه
انا اذا فكرت فيما عليه
الزمان من خطوبه مشغولا
القلب فاذا رجعت الى
ما يحكيه من كفاية الشيخ
الرئيس قوي الظهر والله
يبقيه ثما الا وجا الا ولا تزيده
الا القاضي ابا عاصم وما
احسن هذه الاحجية واملح
هذه الخفية واوفق لفظها
لمعناها ولا يذهبن ذاهب
الى التكنية فغيرها
قصدت بالتعمية وما هذا

تبدى حبيبى فى السواد فراقنى * وماراعنى لما اتى بالعجائب
وشبهت ذاك الجيد فى طوق برده * بياض العطايا فى سواد المطالب

قال الشيخ جمال الدين قلت انا

لقد كنت فى لذات ثغرك هائما * ليالى لم يمنع على عاشق ثغر
فاما وستردونها من شوارب * فلا خير فى اللذات من دونها ستر

أخذه الشيخ صلاح الدين الصفدى وقال

الا فاسقنى من خمر قلنطعمها * بفيك ولا تبخل وقل لى هى الخمر
وحط اثاما تحجب اللثم عن فمى * فلا خير فى اللذات من دونها ستر

قلت قد اوردت هنا ما جناه الشيخ صلاح الدين الصفدى من حدائق الروض النباق ومقابلة الشيخ جمال الدين له على ما جناه فان نسبنى احد الى تحمل راجعته الى النقل * وان وافق وتعقل الرتبتين فقد اكتفى بشاهد العقل * والا فالاقسماء الصفدية بالنسبة الى القطر النباتى تمجها الاذواق * وها انا قد ابرزت ثمرات الدوحتين بين هذه الاوراق * والشيخ صلاح الدين رحمه الله تصاغر * لذلك وما كابر * و وقف على باب الشيخ وقوف فقير يسأل بر الاجازة * واطال وقوفه فى ذلك الباب العالى الى ان حصل له الفتوح واجازه * وها انا اذكر سؤال هذا السائل الذى رد قبل العطاء ان يدفع بالتى هى احسن * واشرح كرم المسؤل الذى نثر على سائله الدر جزافا علما بأن عطاء الكريم لا يوزن * فسؤال الاجازة من الشيخ صلاح الدين قوله يخاطب الشيخ جمال الدين بن نباتة رحمهما الله تعالى ﴿ الحمد لله على نعمائه المسؤل من احسان سيدنا الشيخ الامام العالم العلامة رحلة اهل الادب * قبلة ذوى التحصيل فى التحصيل والادب * الذى تبيت شوارد المعانى صرعى تحولة طاقة تخيله * وتمسى الالفاظ العذبة طوع تحوله فى التركيب وتحيله * فأمسى وله النسيب الذى يضحك من العباس فى رقته * ويقيم صريع الغوانى الى مقته بعد مقته * والغزل الذى يشيب له فؤاد الوليد * ويسترق الحر من كلام عبيد * والتشبيه الذى لو علمه ابن المعتز لما نصب الهلال نحل الصد الحجوم * ولو تعاطاه حفيد جريح قيل له الم تسمع الم غلبت الروم * والمديح الذى لو بلغ زهيرا تنصل مما نال من هذه الحدائق * او اتصل نبؤه بالمتنبى لاشتغل عن ذكر العذيب وبارق * والرثاء الذى نقص عنده ابو تمام بعد ان رفع له لواء الشرف والفخر * وقول هذه عذوبة الزلال لا ما تفجر من الخنساء على صخر * والترسل الذى من الفاضل كأس الحرف الشبيه الغمود بالنجم والسيوف بالازهار * وانه حتى صحت له القسمة فى الخيل والخيال بين المراقب والمراصد فاخطأت معه فى المرابع والمساجد بين الانواء والانوار * والكتابة التى تغدر الطروس بها وكانها رياض محبرة * وسماء بنجوم زاهرة * ان لم ترض ان تكون فى لارض ... مزهرة

ادب على الحصرى يعود تاجه * وله ابن بسام وكن اقرانه
وترسل سحبان من قدرانه * ... واعطى ... النقصانا
وكتابة لعلو دها فى وضعها * ليس ابن مقلة عنده ... انسانا
فلكم اخى فضل رأت عيناه فى الاوراق لابن نباتة بستانا

التعريض وما هذا الهوس العريض وهلا شرحت فقلت المحبوب واسترحت والشيخ الرئيس فى تشريفى بالجواب وتعريفى بسار الاخبار وتكليفى سوانح الاوطار وتصريفى على الامر والنهى رأيه الموفق ان شاء الله تعالى

(وله اليه ايضا)

يجرى اطال الله بقاء الشيخ الرئيس لا يزيد البحر عددا يجرى لا يزيد الطود وزنا وقد رأيت ان لا زيده فضلا وليران لا ينقصنى فضلا

جمال الدين أبى عبد الله محمد ابن الشيخ الحافظ شمس الدين محمد بن نباتة جمع الله به شتات اهل الادب فى درجة هذه الدولة * ولمّ به شعث ابنائه الذين لا صون لهم ولا صولة * واقام به عماد ابيات الشعر التى لولاها ما عرفت دارمية من أطلال خولة * اجازة كاتب هذه الاحرف فسح الله له فى مدته برواية المصنفات فى الاحاديث النبوية * والتأليفات الادبية * على اختلاف اوضاعهما * وتباين اجناسهما وانواعهما * بحسب ما يؤدى ذلك اليه واتصل به من سماع اواجازة * او وصية او وجازة * من مشايخ العلم الذين اخذ عنهم واجازة ماله احسن الله اليه من منقول نظما ونثرا وتأليفا او وضعا اجازة خاصة واثبات ماله من التصانيف الى هذا التاريخ بخطه الكريم واجازة ما لعله يقع بعد ذلك اجازة عامة على احد القولين فى المسئلة فان الرياض لا ينقطع زهرها * والبحار لا ينفد درّها * واثبات ما يحسن ايراده فى هذه الاجازة من المقاطيع الرائقة * والابيات اللائقة * وذكر نسبه ومولده ومكانه متفضلا فى ذلك وكتب كتبه خليل بن ايبك بن عبد الله الايبكى بالقاهرة المحروسة فى مستهل شعبان المبارك سنة تسع وعشرين وسبعمائة وحسبنا الله ونعم الوكيل

(وكتب الشيخ جمال الدين بن نباتة الجواب مجيب السؤال الشيخ صلاح الدين الصفدى رحمهما الله تعالى) بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد حمد الله الذى اذا توجه اليه ذو السؤال فاز * واذا استدعى كرمه ذو الطلب اجاب واجاز * والصلاة والسلام على سيدنا محمد كعبة القصد التى ليس بينها وبين النجح مجاز * وعلى آله وصحبه حقائق الفضل والفضل من بعدهم مجاز * فلو لزم فى كل الاحوال تناسب المخاطبة * وكان جواب السؤال بحسب ما بينهما من شرف المناسبة * لما رضى سجع الحمائم لمطارحته نوعا من الاطيار * ولا قيل فصحاء الاول مراجعة الصدى من الديار * ولا قنع غمز حواجب الاحبة برد القلوب الهائمة فى اودية الافكار * ولكن نقول الاكابر والاولياء تبذل من الاجوبة جهدها وتنفق ما عندها * وتجرد الاماثل سيوف المنطق ولا تتعدى الاتباع من الطاعة حدها * ولما كنت ايها الراقم برود هذا الاستدعاء ببنانه * والمنشئ روض هذا السؤال بآثار السحب من بيانه * والسائل الذى بهرت الافكار فضائله * وسحرت ارباب العقول عقائله * واقام المسؤل مقاما ليس من اهله فليتق الله سائله * فريد فن الادب الذى لا يسارى * وبحره الذى لا يهدى غائص قلمه الدر الا ابكارا * وذا اليد البيضاء فيه الذى طال ما آنس من جانب الذهن نارا * وخليله الذى اطلع على اسراره الدقيقة * ورئيسه الذى لو طارح ابن المعتز وقت ولايته لكان امير المؤمنين على الحقيقة * وناظمه الذى يسرى الطائيان تحت علمه المنشور * وكاتبه الذى تتبجح العبدان بالدخول تحت رقه المأثور * طالما شافهه منه القلم وجها جميلا وقدرا جليلا * ولاقى من لا يندم على صحبته فيقول ليتنى لم اتخذ فلانا خليلا * فهو الغرس الذى يقصر عن امالى وصفه الشجرى * ويفخر الدين والعلم بشخصه ولفظه فهذا يقول غرسى وهذا يقول ثمرى * كم اغنى بمفرد شخصه عن فضلاء جيل * وكم بدا للسمع والبصر من بنات فكره بثينة ومن وجهه جميل * وكم تنزهت الافكار من لفظه بين آس وورد لا بين اذخر وجليل * وكم دام عهده ووده حتى كاد يبطل قول الاول دائما لا على ان لا يدوم خليل * نودّ الشهب لو كانت حصباء غدير

أنا العام اصدق عبودية واتم فيهانية فان نقصنى عطية ولم اركب خطية سؤت ظنا وضقت ذرعا ومانى الغرامة ان على لها محلا ولكن الناس تطارة رأيه العام لى فان صدق رغم الحساد وان تغير ظهر الفساد وكالا ينقض شرطه طاعة كذلك لا تنقض طاعته شرطا وانا الى الزيادة احوج وهو بها اخلق فان لم تكن الزيادة فلتكن العادة

طرسه * وتغار الافق اذا طرز براع دوجه بالظلماء أردية شمسه * ويتحاسد النظم والنثر على ما تنتج مقدمات منطقه من النتائج * وينشد كل منهما اذا حاول القول (خليل الصفاهل أنت بالدار عائج) ان كتب اغضى ابن مقلة من الحسد على قذاه * وجعل ابن البواب يحبيه عصا القلم فانلا ما ظلم من اشبه أباه * وان نحا الاصولي اعشرا * ولانت اعطاف الحروف قسرا * وتشاجرت على لفظه الامثلة فلا غرو أن ضرب زيد عمرا * يترجل كلام الفارسي بين يديه * ويطير لفظ ابن عصفور حذرا من البازي المطل عليه * وان شعر هامت الشعراء بذكره في كل واد * ونصبت بيوت نظمه على بقاع الشرف كما نصبت بيوت الاجواد * طالما بلد ابيدا * وولى منه شعر ابن مقبل شريدا * وقالت الآداب لبحترى لفظه ألم نربك فينا وليدا * وان تترف الدر اليتيم الا تحت بحره * ولا الزهر النضير الا ما ارتضع من أخلاف قطره * ولا المترسلون الا من تصرف في ولاية البلاغة تحت نهيه وأمره * وان تكلم على فنون الادب روى الظما * وجلا معاني الالفاظ كالدمى * وقالت الاعاريض لابن أحمد وله (خليلي هبا بارك الله فيكما) هذا وكم أثنى قديم علم الاوائل على فكره الحكيم * وشهدت رواية الحديث النبوي بفضله وما أعلى من شهد بفضله الحديث والقديم * بدأتني أعزك الله من الوصف بما قل عنه مكاني * وكاد من الخجل يضيق صدري ولا ينطلق لساني * وحملت كاهلي من المنن ما لم يستطع * وضربت لذكري في الآفاق نوبة خليلية لا تنقطع * وسألتني مع ما عندك من المحاسن التي لها طرب من نفسها * وثمر من غرسها * أن أجيبك وأجيزك * وأوازن بمثقال كلي الحديد ابريزك * وأقابل لسنك المطلق بلساني المحصور * واثبت استدعاءك على بيت مال نطق المكسور * فتحيرت بين أمرين أمرين * ووقع ذهني السقيم بين داءين مضرين * ان فعلت ما أمرت به فأنا من أرباب هذا القدر العالي * والصدر الحالي * ومن أنا من ابناء مصر حتى أتقدم لهذا الملك العزيز * وكيف أطال بمع اقتاري على بأن أمدح وأجيز * وأنى لمقيد خطوي هذه الوثبات * وأنى بمثل قوة هذا الغرس ضعف هذا النبات * وان منعت فقد اسأت الادب والمطلوب حسن الادب مني * واهملت الطاعة التي اقرع بعدها برمح القلم سني * وفاتني شرف الذكر الذي امتلأ به حوض الافق وقال قطني * ثم ترجح عندي ان اجيب السؤال * واقابل بالامتثال * صابرا على تهكم سائلي * معظما قدري كما قيل بعاقلي * منقادا الى جنة استدعائك من السطور بسلاسلي * واجزت لك ان تروي عني ما تجوز لي روايته من مسموع ومأثور * ومنظوم ومنثور * واجازة ومناولة ونقل وتصنيف * وتنضيد وتفويف * وماض ومتردد * رآه على رأي بعض الرواة ومتجدد * وجميع ما تضمنه استدعاؤك فاجمع ما يكون من لفظه المتبدد * كاتبا لك بذلك خطي * مشترطا عليك الشرط المعتبر فليكن قبوله يا عربي البيان جواب شرطي * ذاكرا من لمع خبري ما ابطأت بذكره وارجو ان ابطئ ولا اخطي * فأما مولدي فبمصر المحروسة في ربيع الاول سنة ست وثمانين وستمائة بمنزلنا بزقاق القناديل * واما شيوخ الحديث الذين رويت عنهم سماعا وحضورا فمن اقدمهم الشيخ شهاب الدين ابو الهيجاء غازي بن ابي الفضل بن عبد الوهاب المعروف بالرادف والشيخ عز الدين ابو نصر عبد العزيز بن ابي الفرج الحصري البغدادي والشيخ شهاب الدين احمد بن ابي محمد اسحق

(وله الى الوزير أبي نصر ابن أبي بريدة) قد عرف الشيخ الجليل الثاني بعبوديته ولو عرفت مكانا بعد العبودية لبلغته معه أفكلما بعدت صحبة رجعت رتبة وكلما طالت خدمة قصرت حشمة واست ممن يذهب عليه ان السلطان ان يرفع عبدا حبشيا ويضع قرشيا ولكني أحب أن أقف من مكاني على رتبة لولبها لا يغور ومنزلة كوكبها لا يدور فاذا عرفت مكاني

الابرقوهي * واما ذووا الاجازة في مصر وغيرها من الامصار فكثير * واما الفضلاء والادباء الذين رويت عنهم ورأيت منهم فمنهم القاضي الفاضل محيي الدين ابو محمد عبد الله ابن الشيخ رشيد الدين عبد الظاهر بن نشوان الكاتب المصري * والشيخ الامام بهاء الدين ابو عبد الله محمد بن ابراهيم بن النحاس الحلبي النحوي * والامير الفاضل شمس الدين ابو عبد الله محمد بن الصاحب شرف الدين بن اسمعيل بن المتني اقترح علي ان انظم له في زيادة النيل فقلت

زادت اصابع نيلنا * وطمت فأكمدت الاعادي
واتت بكل جميلة * ماذى اصابع ذي ايادي

والشيخ العالم علم الدين قيس بن سلطان المصري من اهل منية ابن خصيب قرأت عليه كثيرا من الكتب الادبية وكان كثيرا ما يستنشدني الى ان انشدته قولي

يا غائبين تعللنا لغيبتهم * بطيب عيش ولا والله لم يطب
ذكرت والكأس في كفي ليالكم * فالكأس في راحة والقلب في تعب

فقال اتعب والله جزعلة القدح * والشيخ العالم شهاب الدين احمد بن محمد المعروف بابن المقسر انشدني لنفسه

لا ارى لي في حياتي راحة * ذهبت لذة عيشي بالكبر
بقي الموت لمثلي سترة * يا الهي انت اولى من ستر

فأنشدته لي

بقلت وجنة المليح وقد ولى زمان الصبا الذي كنت املك
يا عذار الحبيب دعني فاني * لست في ذا الزمان من خل بقلك

والشيخ الاديب الفاضل سراج الدين عمر الوراق المصري سمعته ينشد لنفسه

واخجلتي وصحائفي مسودة * وصحائف الابرار في اشراق
وتوقفي لو بخ لي قائل * اكذا تكون صحائف الوراق

* والاديب الفاضل نصير الدين المناوي الحمامي انشدني لنفسه

احب من الدنيا الي وما حوت * غزال تبدى لي بكأس رحيق
وقد شهدت لي سنة اللهو انني * احب من الصهباء كل عتيق

فأنشدته لي

اني اذا آنست هما طارقا * عجلت باللذات قطع طريقه
ودعوت ألفاظ المليح وكأسه * فنعمت بين حديثه وعتيقه

* وجماعة يطول ذكرهم ويعز علي ان لا يحضرني الآن شعرهم * واما مصنفاتي التي هي كالياسمين لا تساوي جمعها * ولولا الخزائن الشريفة السلطانية الملكية المؤيدية تجبرها ما استخرت نصبها ورفعها فهي كتاب مجمع الفرائد * القطر النباتي * سرح العيون في شرح رسالة ابن زيدون * منتخب الهدية من المدائح المؤيدية * الفاضل من انشاء الفاضل * زهر المنثور * ابرار الاخبار * شعائر البيت * التقوى * لم تكمل الى الآن * الارجوزة المسماة فرائد السلوك في مصائد الملوك * اجزت لك اعزك الله روايتها عني ورواية ما دونه واجمعه بعد

ذلك

وخطه لم أتخطه واذا رأيت محلي وحده لم أتعده ثم ان قلعني يوما عليها علت ان عنايه وان اخرني عنها عرفت ان جنايه قدم علي اليوم فلا انا ولست انكر سنه وفضله ولا اجحد بيته وأصله ولكن لم تجر العادة بتقدمه لا في الايام الخاليه ولا في هذه الايام العاليه وشديد على الانسان ما لم يعود فان يكن حاسد قد هم او كاشح قدنم او خطب قد الم او امر قد وقع ثم فالشيخ الجليل اولى من

ذلك حسبما اقترحه استدعاؤك وبغته * ونسخه وحققه * وتضمنه سؤالك الذي تصدقت به فنك السؤال ومنك الصدقة * والله تعالى يشكر عهدك الجميل * وكما انك الجزلة وكرمك الجزيل * ويمتع بك فنون الفضائل الملتجئة الى ظل قلمك الظليل * ولا يعدم الاحباب والآداب من اسمك وسمك خير صاحب وخليل * قال ذلك وكتبه محمد بن محمد بن محمد بن الحسن بن أبي الحسن بن صالح بن علي بن يحيى بن طاهر بن محمد بن الخطيب بن يحيى بن عبد الرحيم بن نباتة الفارقي الحذاقي ثم المصري عفا الله عنه انتهى ما أوردته من استدعاء الشيخ صلاح الدين وسؤاله وجواب الشيخ جمال الدين واجازته بعد ان علمت دقائق الدرجتين في النظم والنثر واتضح الفرق بينهما وثبت أن الشيخ جمال الدين بن نباتة سقى الله نباته ورعاه * ومتع أهل الذوق السليم بحلاوة ذلك النبات وجناه * فانه وان تأخر في السبق عن فحول المتقدمين عصرا * فقد تقدم عليهم بديعه وغريبه بيانا وسحرا * وتفقه في الطريق الفاضلية لمذاهب ما سلكها المتقدمون وها نحن نستجدي من حواصلها نظما ونثرا * وكم سأله عالم في سلوك هذه الطريقة فقال له انك لن تستطيع معي صبرا * وكيف تصبر على ما لم تحط به خبرا * وان قيل ان الفاضل اجل من تمذهب بهذا المذهب فمذهبي وأنا استغفر الله انه وصل فيه الى درجة الاجتهاد وهذا القول يقول به من رفع الخلاف وتأدب فان هذه الطريقة ما امها ناظم ولا ناثر في الايام الاموية * ولا ابتسمت لهم ثغورها في الخلافة العباسية * ولما انتهت الغاية الى القاضي الفاضل اتى بهذه الفضلة الغريبة واظهر منها الزيادة المستفادة * واعادت بلغاء المتأخرين بها بعد ما شموا دوابسبقه فأكرم بها اعادة وشهادة * ولما اتصلت بالشيخ جمال الدين بن نباتة اهل غريبها * وشرف بأصل شجرته النباتية نسيبها * واسكن في ابياته من بديع النظم كل قرينة صالحة * واستسواجع انشائها على فروعه النباتية صادحة * وقد عن لي ان اورد نبذة من مفرداته التي حصل الاجماع في الغرابة عليها * واشار المصنف بقوله اليها

اصغ لما قال اخو وقته * وخل عنك اليوم ما قيلا
واسمع مقاطيعا له اطربت * ولا تقل الا مواصيلا

فمن ذلك قوله

حلت خاتم فيه فصا ازرقا * من كثرة اللثم الذي لم احصه
لولا ماء علم الرقيب فباله * من خاتم نقل الحديث بفصه

ومنه قوله

لله خال على خد الحبيب له * في العاشقين كما شاء الهوى عبث
ورثته حبة القلب القتيل به * وكان عهدي ان الخال لا يرث

ومنه قوله

واغيد جارت في القلوب لحاظه * واسهرت الاجفان اجفانه الوسنى
اجل نظرا في حاجبيه وطرفه * ترى السحر منه قاب قوسين او ادنى

وقوله

بروحي مشروط على الخد اسمر * دنا وفي بعد التجنب والسخط
وقال على اللثم اشترطنا فلا ترد * فقبلته ألفا على ذلك الشرط

تعرفه وعرفته والا فما الرأي الذي اوجب اصطناعي ثم ضياعي والسبب الذي اقتضى بعدا بتناعي انا لا الدس الشيخ الجليل على هذه الخصلة ولا احمله على هذه الفعلة
فاما ان تكون اخي بحق فأعرف منك غثي من سميني والا فاطرحني واتخذني عدوا أتقيك وتتقيني
لا اعدم كريما ولا تعدم نديما ولي مع هذا الماء حالان لا واسطة بينهما اما

وقوله

واحربا من هوى رشيق * معتدل كالقضيب مائل
عذاره لا يجيب دمعي * وسائل لا يجيب سائل

ومن نكته البديعة في هذا الباب قوله

وضعت سلاح الصبر عنه فماله * يقاتل بالالحاظ من لا يقاتله
وسال عذار فوق خديه جائر * على مهجتي فليتق الله سائله

ومن السرقات الفاحشة قول ابن الوردي غفر الله له

تعجبت من تهديه لوان لا مساه * أراد انقباضا لم تطعه أنامله
وسال عذار لو لحاه فمن صبه * بلاد بها فليتق الله سائله

ومنه قوله

لا تخف عيلة ولا تخش فقرا * يا كثير المحاسن المختاله
لك عين وقامة في البرايا * تلك غزالة وذي قتاله

ومنه قوله

قبلته عند النوى فتزرت * تلك الحلاوة بالتذرق والجوى
ولثمته عند القدوم فحبذا * رطب الشفاه السكرى بلا نوى

وقوله

افديه لدن القوام منعطفا * يسل من مقلتيه سيفين
وهبت قلبي له فقال عسى * نومك أيضا فقات من عيني

ومنه قوله

يارب اص ناهب سالب * وهو من الحسن ملي مغني
يرنو الى سرب الظبي لحظه * فيسرق الكحل من الاعين

ومنه قوله

صيقل الخد أدار الطلا * فقال لي في حبها عاتبي
عن أحمر المشروب ما تنتهي * قلت ولا عن أخضر الشارب

ومنه قوله

كم قلت بالثم وبرد اللمى * ايه برغم العاذل الحاسد
روّ صدى قلبي ودع عاذلي * في الحب يغتاظ على البارد

ومنه قوله

بروحي معسول اللمى متحجب * اذا لم يزر لم يهن عيش ولا اذا
وان ذقت منا من حلاوة ريقه * أتانا رقيب يتبع المن بالاذى

ومنه قوله

يا كعبة الحسن الممنع لا تطل * بيني وبينك للجفا حجاز
حاشى لها من قامة ألفية * بيني لقاها كاشح همّاز

صفوا فاشربه او كدرا فلا اقربه والسلام
(وله ايضا)
الكرم اطال الله بقاء القاضي الامام بحان بق ان يفطن له والفضل عدنان بق من يهتدى اليه وليس دون الجد حجاب يدفع ولا حاجز يمنع ولا بواب يعبس ولا شرى يحبس ولكن عز من يناله ومن شاء ان يعلم ان الناس ظماء وان الكرماء ماء لكن الشقاء يمنعهم من قربه والقضاء يحجزهم

ومنه قوله

يا واصف الخيل بالكميت وبالشهد أرحني من طول وسواسي
لانهــــــذا الامن صدر غانية * ولا كميت الامن الكاس

ومن هنا أخذ الصاحب فخر الدين بن مكانس وقال

وان ذكرت الخيل في الميدان * فاشرب كميتا واعل فوق نهد

ومنه قوله

قلت ولي في هوى حبيبي * قلب رقيق عليه يدهش
بالخفي والصدغ يا عنائي * هذا سقيم وذا مشوش

ومنه قوله

نقطة خال في وجنة جعلا * في اللهو لي بعد نوبتي غبطه
فيا لها وجنــة معشــقة * صرت عليها أقول بالنقطه

ومنه قوله

اذا سألوني عن هوى قد كتمته * سكت أرائي واشياور قيبا
وجاوب عني سائل من مدامعي * فلله دمعي سائــلا ومجيبا

ومن اختراعاته الغريبة مع بديع التضمين قوله

لما رأيت نهودها قــد أقبلت * ورأت لقلبي عشــقه يتجـــدد
قالت وقد رأت اصفراري من به * وتنهـــدت فأجبتها المتنهـــد

ومنه قوله

وتاجر قلت له اذرنا * رفقا بقلب صــبره خاسر
ومقلة تنهب طيب الكرى * منها على عينك يا تاجر

وهذه النكتة زاحمه فيها الشيخ زين الدين بن الوردي وزنا وقافية ومعنى وقال

وتاجر شاهدت عشاقه * والحرب فيما بينهم دائر
قال علام اقتتلوا هكذا * قلت على عينك يا تاجر

واتصلت بالشيخ شمس الدين الرئيس الدمشقي العصري الشهير بالمزين فاستعملها أحسن من الشيخ زين الدين بن الوردي وزاد المثل قوة وايضاحا بقوله

وتاجر أســكرني طرفه * والكاس فيما بيننا دائر
وقال لي سرك قلت اسقني * جهرا على عينك يا تاجر

ومنه قوله

أفني جفا كم كثــير دمعي * لكن بقي في القليـــل نشطــه
وكنت أروي عن ابن بحر * فصرت اروي عن ابن نقطه

ومنه قوله وتلطف كثيرا

خف خصر الحبيب ثم ابتلاني * بعـــــذول يزيدني تعنيفا
ليت لو كان في الملامة مثلي * في هوى الخصر يؤثر التخفيفا

عن شربه فلينظر هل يجب أن يدعى كريما كما يجب ان يرى سقيما ثم ليفكر ما الذي يمنعه عن مثل ما أتاه القاضي الامام من المفاتحة بذلك الفضل والابتداء بذلك الفصل ويا سبحان الله ما علمت ان هراه تسقيني صرصر والصرات حتى انستني دجلة والفرات على ظهر الغيب تطر الريب وكيف بنا اذا دخلناها وحللناها فسقاها الله من بلد واهلها من عدد والقاضي ابا القاسم من بينهم وما نصصت الاعلى

ومنه قوله

وكنت اظن العشق يترك مهجتى * اذا زاحم الشيب الشباب بمفرقى
فلما بدا مع أسود الشعر ابيض * اتى العشق يغزونى على الف أبلق

ومنه قوله

يا حبذا خد الحبيب * وقد اضاء شريقه
ان لم يكن فى الحسن نفس * الروض فهو شقيقه

اخذه الشيخ صلاح الدين الصفدى وقال

فديت حبيبا ضرج الحسن وجهه * وصب على خديه ذوب عقيق
اذا ابصر الروض المدبج خده * يقول اناه ذا اخى وشقيق

ومنه قوله

يا حبذا يومى بوادى جلق * وفرحتى مع الغزال الحالى
من اول الجبهة قد قبلته * مرتشفا لآخر الخلخال

ومنه قوله

آها لحاذق ذهن * يقول فى الحب من لى
قال العذار لحذقى * ما انت من خل بقلى

ومنه قوله مع التضمين للمثل

فى الناس من يشتاق للمردولا * يزال فى هجر وشوق يبطنه
وآخر شاخوا وما يتركهم * ذا يشتهى التين وذا يقطنه

ومنه قوله

يا من يقول البدر او شمس الضحى * كهذى لا كيد للقمرين
ابوجه ذالك وجه تلك تقيسه * قسما لقد اخطأت من وجهين

ومنه قوله

نسموحسنا للهلال وعينه * للظبى تنسب لا رميت ببينه
فاذا بدا فالى هلال اصله * واذا رنا فهو الغزال بعينه

ومثله ومن خطه نقلت

يزهو بشرف حسنه * فى ناظرى ولهانه
فهو الغزالة والغزا * ل بعينه وعيانه

وضاقت عين الشيخ صلاح الدين الصفدى عن هذه النكتة فأخذها بعينها وقال

بسهم أجفانه رمانى * وذبت من صده وبينه
ان مت مالى سواه خصم * لانه قاتلى بعينه

ومنه قوله

دعونى فى حلى من العيش ما تسا * وهر تقبا من بعده عفو راحم
اسد الى ذات الاساور مقلتى * واسأل للاعمال حسن الخواتم

عليهم وحبذا كتابه
واصلا ورسوله حاملا
فلقد اقرأنيه الشيخ السيد
ابو فلان بعد ان درجنى الى
النعمية وغالطنى فى كاتبه
ونسبه الى بعض خدمه
لبروز بقصده عقلى لخين
صادق امتداحى احاده
ووافق انتقادى اعتقاده
اطلع الكتاب من ستره
وابرز السر من خدره
وتطرت من عنوانه فى اسم
القاضى الامام فحمدت
الله اذ نبهه للكرم وانامنى
ثم لا جرم انى اخذت

ومنه قوله

لما تبدى في الحنين تحاربت كبدي وعيني
فاعجب لهامن وقعة * جاءت بيدر في حنين

ومن هنا أخذ الشيخ برهان الدين القيراطي فقال

بدت روادف حبي * تحت الحنين بعين
فقلت يا بدر هذي * حقا جبال حنين

ومن لطائف الشيخ جمال الدين قوله

دعوا شبيه الغزال يرمي * في مهجتي بالنفار جورا
تالله لا فاتني لقاه * وعين كيسي عليه جورا

ومنه قوله

بأبي نائم على الطرق راحت * في هواه وليس يعلم روحي
فاح في السكر فما سكر يا * يا له من مسكر مفتوح

ومنه قوله

ملأت انسان عيني عسجدا * من خدود قد ملاها الحسن صبغا
قلت والردف اريني فانثنت * ثم قالت هكذا الانسان يطغى

ومنه قوله

ومن الشقا ان الجفا وتشوقي * لا ينتهي هذا وذاك الى طرف
ما مال غصن قوامه عن فكرتي * يوما ولا دينار وجنته انصرف

ومنه قوله

سلت مهجية قد كان صدعها الاسى * فلا آخذ الله الاسى بصدوعها
وعين على حالي بعاد وجفوة * عفا الله عما قد جرى من دموعها

ومن لطائفه قوله

من الترك انثى سلوتي مع انها * صواب وأفتي فيه وهو من الخطا
اما والهوى لاحلت عن عطف اغيد * ولا بت في ران صدر مفرطا

ومن نكته البديعة في المدائح قوله

لنا ملك قد قاسمتنا هباته * فنثر العطا منه ونظم الثنا منا
يذكرنا اخبار معن بجوده * فننشي له لفظا وينشي لنا معنا (معنى)

وقال في صدر مطالعه

خذ من عبيدك مقتضى نياتها * في الجد واعذر مقتضى أقوالها
قسما والواسطات الملك جوهم * بمشت دروج الحدمن أوصالها

وقوله

لا عدمنا لابن الاثير يراعا * جاريا للعفاة بالارزاق
كلما ماس في المهارق كالغصن رأيت الندى على الاوراق

الفضل بجملته وبعثته الى هراة برمته وذلك اني اوفلان وهو الفاضل الذي أكتبته بغداد لطفا عراقيا وافادته جستان ادبا شرقيا ولو قدرت على انفس منه لبعثته هدية لكني تصفحت الاعلاق فوجدت الياقوت من جملة الاحجار وهذا الفاضل من جملة الاحرار والدر منسوبا الى الصدف وهذا الفاضل منسوبا الى الشرف والخز والبز

وقوله في كمال الدين بن الزملكاني

يفديه قوم تشبهوا حسدا * به وايسوا اله باشباه
ان نطقوا بالجميل اوفعلوا * فللسريا والكمال لله

ومنه قوله

لعمري لقد اخمدت بالفضل منطق * وقد كنت ذا نطق وفضل بيان
وحركت ميزاني فاثنى لسانه * فلا زلت مشكورا بكل لسان

وقال وقد كتب اليه الملك المؤيد صاحب حماة

فديتك من ملك يكاتب عبده * باحرفه اللاتي حكتها الكواكب
ملكت بها رقي واخليت الاسى * فها انا ذا عبد رقيق مكاتب

وقال يهنئ الصاحب شمس الدين بخلعة

تهنأ مدى الايام بالخلع التي * وجدنا بها الايام واضحة الانس
اضاء بها وجه الزمان واهله * ولم لا ومن اطواقها مطلع الشمس

ومنه قوله يهنئ القاضي جمال الدين وقد عاد من غزوة سيس

بقيت مدى الدنيا جمالا لدولة * لها منك شهم في اللقا ورئيس
يسوق لها عند الفتوح جنائبا * واول ها تيك الجنائب سيس

ومنه قوله في جواد

وادهم اللون حندسي * في جريه للورى عجائب
يقصر سعي الرياح عنه * فكلها خلفه جنائب

ومنه قوله وقد كتب بها الى الصاحب شرف الدين يعقوب

قالت العليا لمن حاولها * سبق الصاحب واحتل ذراها
فدعوا كسب المعالي انها * حاجة في نفس يعقوب قضاها

ومنه قوله

قصدت معاليك ارجو الندى * وازجي من العسر داء دفينا
فما كان بيني وبين اليسار * سوى ان مددت اليك اليمينا

وقوله يهنئ محتسبا

تهنأ بها حسبة ادركت * بايام فضلك ما ترتقب
فانك من اسرة تصطفى * وترزق من حيث لا تحتسب

ومنه قوله يهنئ بعيد النحر

تهنأ بعيد النحر وابق ممتعا * بامثاله سامي العلا نافذ الامر
تقلدنا فيه قلائد انعم * واحسن ما تبدو القلائد في النحر

وقوله

كذا ابدا يا ارفع الناس همة * غوادي الندى من راحتيك غزار
اقدم اطراسا وتمنح انعما * فمني اوراق ومنك ثمار

نوعين يخالق الدهر جدتهما هذا الفاضل لا يغيره الزمان عن عهد ولا يحيله حال عن ود والدرهم والدينار جوهرين يملكهما الاراذل كما يملكهما الافاضل وهذا الفاضل لا يسبك اشك ولا يضرب في محك والخيل العتاق يهتدى اليها الخذلان والجاح كما يلحقها الفضاض والطماح وهذا الفاضل نقي الجيب من كل عيب وقد جدت به بعد ضن ولعمري انه علق مضنة بقي ان يقبله القاضي الامام بمنة وسلام عليه مل عرضه ويحته حسب اخلاصي واخلاصه ان شاء الله عز وجل

ومنه

ومنه قوله وكتب بها الى القاضي بهاء الدين ابن أبي البقاء على يد طالب شفاعة

ارسلته لك واثقا بمكارم * أورثتها عن سادة انجاب

لاغرو ان أعربت عن احسابهم * فابو البقاء أحق بالاعراب

ومنه قوله وكتب بها الى القاضي شمس الدين المهنسي

يارب أمدد بالغنى بدسد * في يومه يهب الجزيل وفي غده

فالبحر يسعى خادما في بابه * والسحب جارية تهب على يده

ومنه قوله وكتب بها اليه

* على دون من شالم أقم بها * فما عجبا لى فى ازديادى من الفضل

واعجب من ذا أنك الشمس أشرقت * وها أنا منها حيثما كنت فى ظل

ومنه قوله وقد ارسل اليه شرف خالد الدين القيسراني هدية جليلة فى وقتها

لك الله ما ازكى واشرف همة * وأحمد صنعا حيث تبلى المحامد

فانت الذى قرت برؤيته العلا * وهنئت الدنيا بانك خالد *

قال وقد وصلت اليه هدية على يد الكمال

قبضت من الكمال نداه عفوا * بريئا من سؤال أو مطال

* فما لله من عادات بر * أتتنى بالتمام وبالكمال

وكتب الى الصاحب تقى الدين بن هلال

هنئت ما اوتيته من رتبة * حلتك فى العينين من اجلالها

فى مقلة الانسان تمت فقل لنا * أنت ابن مقلتها ام ابن هلالها

وقوله

فديناك يا ابن المحسنين مجوّدا * باقلامه اوجاتدا بمكارمه

لخاتم عند الجود فى بطن كفه * وياقوت عند الخط فى فص خاتمه

وقوله يهنى بالعيد

تهن بعوده عيدا سعيدا * وعش ماشئت يا كهف البرايا

تحرت به جميع عداك فاخر * قرونا آخرين من الضحايا

ومنه قوله

قف بباب العلا وقل يا كتابى * عن لسانى قول الخويدم حقا

انا عبد مكاتب غير انى * لست ابغى من مالك الرق عتقا

وقال وقد انعم عليه بنصفية

سور الذكر سهلت * لى نصفية علت

فباسين عوذت * ربعا ميم فصلت

وتلطف بكتابته الى من أنعم عليه بالنصفية بقوله

يا سيدى نصفيتى قد فصلت * وعجزت لما غبت عن تبطينها

ماحلت فيها عن ندى نعما يديك ولا اتخذت بطانة من دونها

(وله أيضا)

كتابى وقد توسطت الشباب ونطرفت الشيب وقبضت من اثر الزمان ونظرت فى عقب الامور وطرت مع الملوك ووقعت مع الخطوب ورافقتها والحسن تنهى وتأمر ففارقتها والموت خزيان ينظر وعددت من سنى خمسا وعشرين وما عددت اشهرا حتى حلبت اشطرها ولاسلت رسنها حتى استوفيت غنمها وانا بما منح الله الاستاذ كل يوم من مزيد منتظم الامور موفور السرور والحمد لله حق حمده والصلاة على رسوله محمد عبده وقول الاستاذ نعمة

وكتب الى القاضي شمس الدين الهيتي

شكر الله ايا ديك التي * انعشت حالي بشمس الهبات
أنت بالمعروف قد احييته * وكذا الشمس حياة النبات

وقال يهني قادما من الحجاز

قالوا سررت زائدا بقادم * حج شهابا ثم عاد بدرا
تقصد منه ماله اوجاهه * قلت نعم كلاهما وتمرا

وكتب الى من أهدى اليه تمرا رديا غالبه نوى

ارسلت تمرا بل نوى فقبلته * بيد الوداد فما عليك عتاب
واذا تباعدت الجسوم فودنا * باق ونحن على النوى احباب

ومنه قوله

قال فتح الدين اذ حدثنا * بيلا في قصة تقضي لمحي
كيف اخبار حديثي عندكم * قلت نصي والانهو فصي

وقال يهني ولد الامير ناصر الدين بن فضل الله العمري بامرة عشرة

هنئتها امرة مجددة * يا ابن السراة الاكابر البرره
اقسم من ذا وذا بانكم * وجدتم من أكابر العشره

ومن لطائفه في هذا الباب قوله

والله ما عجبي لقدرك انه * قدر على بانى مداه بعيد
الا لكونك لست تشكو وحشة * في هذه الدنيا وأنت وحيد

وكتب على شرح مختصر ابن الحاجب لشمس الدين الاصفهاني

انا العلم ان الشمس بادضياؤها * فسر بسناها حيثما أنت سائر
وخل فتى شيراز عنك فانما * هو القطب قد دارت عليه الدوائر

ومن لطائفه قوله

وصلت الى باب المرزوقاله * وفارقت ذلي اذ وصلت الى العز
واصبحت من جند المحامد والثنا * ولا بد للجندي من طلب الخبز

وقوله في الجامع الاموي بدمشق

ارى الحسن مجموعا بجامع جلق * وفي صدره معنى الملاحة مشروح
فان يتغالى بالجوامع معشر * فقل لهم باب الزيادة مفتوح

ومن مداعبته ومجونه واعراضه ونكته اللطيفة في باب التورية قوله

يا ابرلا تركن لعاق ولا * تثق به واتركه مع نفسه
ولا ترج الود ممن يرى * انك محتاج الى فلسه

ومن مداعباته اللطيفة مع الشيخ بدر الدين حسن الزغاري مضمنا قوله

يا غائبا عن مجلس قد شاقت * ندماه واشتعلت عليه الاكؤس
نبئت ان النار بعدك اوقدت * واستب بعدك يا كليب المجلس

لو صادفت ارضا وصنيعة لو اصابت موضعا فكانني به يقول هذا الكافر النعمة طوانا حين نشرناه وجفانا حين بررناه وغاب سنيز فلا كتاب شكر كتب ولا قصيدة مدح تظم ولا يوما من ايامي ذكر ولا يدا من ايادي نشر وان فعلت فلاني خراساني واعز موجود في الخراسانيه الانسانيه ولو رآني الاستاذ وانا في قميص باذنين وقباء ضيق الردنين وعمامة كقبة الحجاج وخف فاسد المزاج اعلاه جراب وأسفله خراب على برذون عندي انقطع برأسي كالرضيع اعلم كيف تجرى الفرسان وكيف يمسخ

ومنه

ومنه قوله في مليح اسمه الياس

أفدي مليحا في البرايا لم أزل * طول الزمان عليه في وسواس
قالوا أتقطعه كثيرا قلت من * راحات قلب المرء قطع الياس

وقوله

اهفي على فرسي الذي * اضحى تريح المقلتين
بكبو واملك رقه * فمتى فى الحالتين

ومنه قوله

سافرت للساحل مستبضعا * قصدا وجدا حسن ابـ لة
فباله من متجر رابح * ماانفقت فيه سوى بغلتي

وقوله

مرّ بي العاطل الحلي * قال له الفقر قف مكانك
لاتذكر المال عندهذا * ولا تحرك به اسانك

ومنه قوله يداعب صديقا له يروم ولاية القضاء

رب ان ابن عامر هائم الفكر * معنى في صبحه والمساء
يتمنى القضا فلا تعطينه * واجعل الموت سابقا للقضاء

ومثله قوله

لقد أصبحت في حال * يرق لمثلها الحجر
مشيب وافتقار يد * فلا عين ولا أثر

ومنه قوله يداعب بعض اصحابه

لفلان في الديوان صورة حاضر * وكأنه من جملة الغياب
لم يدر ما محزومه وجريده * سبحان رازقه بغير حساب

ومن لطائفه قوله يهني شارب دواء

امط بالدواء شباب الاذى * وطب بالرواح به والغدوّ
وكرر احاديث بيت الخلا * ولكن على رغم انف العدوّ

وكتب الى صفي الدين الحلي مداعباله

اوقعني ودّي مع هاجر * يبخل بالدرج وبالوصل
والله لاغررت من بعدها * ولا جعلت الودّ في حل

ومنه قوله

وقالوا اماطت ذقنه بخدوده * ووجدك لاينفك يذكر حسنه
فقلت نعم ضيفي بقلبي نازل * أعظم مثواه وأكرم ذقنه

وقوله

رب مليح حسن صوته * قالوا وقد أصبح ذا ذقن
لحيته قد قطعت حلقه * قلت من الاذن الى الاذن

الانسان وقد علم الله اني فارقت تلك الحضرة مفارقة ابينا الجنة ولكن الحر لايجنح الى النكوص الا اذا احوج الى الشخوص ولو من جنة الخلد ولا يسأم الاقامه الى القيامه على الدعامة بالهامه اذا وجد وجها خصيبا ومرعى رطيبا والله لقد رأيت بدى تحت افواه الامراء والوزراء وقد تطرت بيده فلم أر الا محنه وعطفت بسره فلم ار الا حسره
فان مت لم أهلك وفي النفس حاجة
وفي العمر الا قد قضيت قضاءها
(وكتب الى سهل بن محمد) اذا أناطويت عن خدمة

وكتب وقد أهدى اليه بعض أصحابه ديوكا

وصلتنا ديوك برئت زهو * بوجوه جميلة مستجاده
كل عرف يروق حسنا وانى * ارتجى ان تكون عرفا وعاده

وكتب اليه فى المعنى

قل للرئيس جمال الدين لا برحت * هباته ذات تاسيس وايناس
واصل رجاى بعرف الديك مقتبلا * لن يذهب العرف بين الله والناس

ومن لطائفه فى هذا الباب قوله

لقد عدنا كم لما ضعفتم * فلا والله ما وافيتمونا
اقيموا فى ضنا كم أو أفيقوا * فان عدنا فلا ناظا لمونا

ومنه قوله وقد صرف عن مباشرته

أيا ابن نباتة جار الزمان * وزلت وزالت قوى همتك
وقد كنت ذا خدمة وانقضت * فلا اوحش الله من خدمتك

ومن نكته اللطيفة قوله فى هذا الباب

احمد الله كم أجود فى الخلق * ة الا وما يفيد المقال
كلى فى الانام سحر ولكن * انا والسحر باطل بطال

وقوله

لقد أصبحت ذا عمر عجيب * أقضى فيه بالانكاد وقتى
من الاولاد خمس حول أم * فوا حرباه من خمس وست (ى)

ومن لطائفه قوله

قد لقبوا الراح بالعجوز وما * تخرج القابهم عن العاده
الا انت الغادة التى امتنعت * فصح أن العجوز قواده

وقال يداعب كبير الانف

أقبل عند القوم يسألنى * من أى ارض نلت ايثارا
قلت من الذيل ما رأى بصرى * خيرا ولكن رأيت منقارا

ومن لطائف مجونه

أرى ابرى تكبر فى جلوسى * وفى عمرو اعطى اللوم قومه
فامسى لا يقوم لزائريه * وان زار العزيز فنصف قومه

وقال فى صديق باع مملوكا وتزوج امرأة جميلة

لى صاحب ترك المليح وعادنى * حب المليحة من ذوى الاقدار
قد كان عبد الاشهب المنسوب فى * حسن فأضحى وهو عبد الدار

ومن لطائفه قوله فى هذا الباب

لقد اضحت سعاد تعاف ابرى * وتحوجها الضرورة ان تجامل
فتمسكه بلا قلب لديها * وتاخذه باطراف الانامل

الشيخ أطال الله بقاءه يوما لم ارفع له بصرى ولم اعدده من عمرى وكانى به اذا اغفلت مفروض خدمته من قصد حضرته يقول ان هذا الجائع قد تشبع وتجال وتبرقع فما يطور خلق ابن آدم خلقه الفراش مع نه فى المعاش ومداره على المضار والا بين لى اذا خرج من بلده ان تبذخلفه الحصات وتكنس بعده العرصات وتوقد فى اثره النار ويثار فى قفاه الغبار ويستنج نقراقه الكاتب ويصرف عن ذكره القلب وتسد لاوبته الاذنان وتغمض عن رجعته العينان ويقال كم سنة تعد وسلام لا يرد

ومنه قوله مع التضمين المخترع وهو

دنوت اليها وهو كالفرخ راقد * فما خجلتي لما دنوت وادلالي *
وقالت امكيه بالاناملى فاتقى * لدى وكرها العناب والحشف البالي

ومنه قوله

محبوبتي دنيا جفت بعدما * جادت وكانت نزهة الهائم
كانت مع الابر زمان الصبا * وهكذا الدنيا مع القائم

ومن لطائفه قوله

باع صديقي لجامه بغلته * ليشترى الخبز منه والادما
واها عليه راحت جرايته * فهو على ذا الشيء لك اللجما

ومن لطائف مجونه قوله

يا ملاذي الغوث من عائلة * ليس من تكليفهم لي مهرب
طلبوا اني ارجلي شيئاً وقد * نتبوا راسي بما قد طلبوا

ومنه قوله

جنينة التين وجيرانها * قد طيبت لذاتها اوقتي
وكثرت عندي ما اشتهي * فاتين من فوقي ومن تحتي

وقال يداعب صديقاً له طلق زوجة تسمى دنيا

قل لابن فلان الذي اصبحت * كرته بين الورى خاسره
* طلقت دنيا لو تاركتها * ورحت لا دنيا ولا آخره

وقوله

تبسم الشيب بذقن الفتى * يوجب سح الدمع من جفنه
حسب الفتى بعد الصباذلة * ان يضحك الشيب على ذقنه

ومن اغراضه اللطيفة في اهداء كتاب قوله

ارسلته نعم الجليس اذا تغيرت البشر
يبقى على سنن الوفا * ابدا ويقنع بالنظر

وقوله

* لله تصنيف له رونق * كرونق الحبات في عقدها
كادت تصانيف الورى عنده * تموت للهيبة في جلدها

وقال وقد عتب عليه القاضي بدر الدين لامر

أهلتني للعتب حتى اقد * لذا سمعي وهو صعب شديد
هذا ولو قطعتني انني * وسرني اني بيدر شهيد

وقال يداعب جندياً من اصحابه عرض ولم يقبل

ظننتا طوله يجدى * ليوم العرض او يرضى
فلا والله ما اجدى * وراح الطول في العرض

وما قدرت الشيخ بعد ما كفاه الله شر مقامي برناح لا ابالي وأصبحت سماؤه من اشغاله يلتذ بمقالي وصفا جوه من دهني يشتاق الى طلعتي شوقاً يبعثه على العتاب ويهزه للاستعتاب ولا شك انه اشتهاني كما يشتاق الجرب الحك وله العتبى فستأتيه كتبي تباعا ورسلي ولاء وحاجاتي قطارا وان شاء قذيت عينه بلقائي وانصرفت وراني والعافية لما وسع وهو الى العافية احوج والسلام

(وله اليه أيضا)

كتابي وليس الشوق الى لقاءه بشوق انما هو العظم الكسير والنزع العسير

ومن لطائف مجونه قوله

صفا لون شيبي ثم كدره يقق * فيا عجبا للشيب من كدر صافي

وصار على الاكتاف يضحك من يرى * فآها له شيبا يقطع أكتافي

ومن اعراضه اللطيفة قوله

كانت للفظي رقة * ضن الزمان بما استحقت

فمرقتها من قد رقى * واطعمتها من حيث رقت

ومن لطائف مجونه قوله

قالت أريد من طبيخ قدرة * وكثرت حاجتها وأوغلت

فقلت هذي قدرة يا ستنا * من قبل أن تمسها النار غلت

ومن لطائف مجونه قوله

دعاني صديق لحاجاته * فاوقعني في العذاب الاليم

كلام يزيد ومعقل * فبئس الصديق وبئس الحميم

ومنه قوله

مازلت اقلع شيبة سحقتها * فسواد عقد شبابها مفسوخ

حتى غدت صفحات وجهي آية * لا ناسخ فيها ولا منسوخ

ومن مراثيه البديعة قوله يرثي الملك المؤيد صاحب حماة

الا في سبيل الله ملك مؤيد * كنصل غدا في باطن الارض مغمدا

على الرغم منا ان اتى منه لامع * وجاوبنا من حول تربته الصدى

وقوله وقد توفي له ولد ولم يبلغ حولا

يا راحلا من بعد ما أقبلت * مخايل للخير مرجوه

لم تكتمل حولا وارثتني * ضعفا فلا حول ولا قوه

ومثله قوله في ولده عبد الرحيم

يا لهف قلبي على عبد الرحيم ويا * شوقي اليه ويا شجوي ويا داني

في شهر كانون وافاه الحمام لقد * احرقت بالنار يا كانون احشائي

ومنه قوله فيه

آه الشمل قد وهي سلكه * وكان ذا در بعبد الرحيم

فليتني لاقيت عنه الردى * وعاش ذاك الدر در يتيم

وقال يرثي جارية له

يقولون قد اخلقت جفنك بالبكى * نعم ان جفني بالبكاء حقيق

دعوا الدمع للجفن القريح مؤاخيا * فاني عدمت الدمع وهو شقيق

وقال يهني بالعشر بعد تعزية ببيت

اتيتك يا ازكى البرية جامعا * لامرين في يوم من الدهر واقد

هناء وعزا لا عيب فيه لانني * اهني بعشر اذ اعزي بواحد

والسم يسري ويسير والناد
تطيش وتطير وليس الصبر
عن رؤياه بصبرا انما هو
الصبر مجون بالصاب
وتشريح القلوب والاعصاب
والغاب في الميسر والانصاب
والكبد على يد القصاب
وقد دارت الحلقة الا قليلا
وكاد اللقاء الا يسيرا والحمد
لله كثيرا وصل كتاب الشيخ
مؤنسا مورده موحشا
مودعه وهذه الاعمال
موازين الرجال وهي
الحرفه جادها الغنى
والعفه والشيخ بحمد الله
الموزون في الكفه لا تشيله
الخفه حقيق ان لا أغره
من نفسي وأوطئه العشوة
من أمري وقد علم ان
العمل لعامه والعامل

وقال يرثى الملك الافضل صاحب حماة

مضى الافضل المرجو للبأس والندى * وصحت على رغم العداة وفاته
وما مات اذ ماتت بحزن نساؤه * وماتت باحزان البلاد حماته

وقال فى رثاء طفل

بدا وفى ساله توارى * فيالها طلعة شريقه
جوهرة ما عملت الا * دموع عينى لها عقيقه

وقال فى رثاء ولده أيضا

قالوا فلان قد جفت افكاره * نظم القريض فلا يكاد يجيبه
هيهات نظم الشعر منه بعدما * سكن التراب وليده وحبيبه

انتهى ما وقع عليه الاختيار ووعدت بايراده من غرائب الشيخ جمال الدين بن نباتة وبدائعه فى باب التورية على اختلاف أنواعها وقد تقدم قولى ان الراية الفاضلية هو عرابة مجدها * وواسطة عقدها * وقائد زمامها * ومسك ختامها * وقدمت أيضا من مشى تحت الراية الفاضلية من ابن سناء الملك الى الوداعى ولما رفع العلم النباتى كانت هذه الفرقة التى مشت تحت هذا العلم أكثر عددا وأشهر ذكرا * وأعلى رتبة نظما ونثرا * وقد عن لى ان اذكرها الكل من عاصره ومشى تحت علمه النباتى وتحلى بنكتة الادبية نبذة من مختار مقاطيعه التى حلا وتها فى الاصل نباتية ليظهر صدق قولى فى تفضيل الصحابة المجدية * واشرع بعد ذلك فى ايراد نبذة من نظم التابعين لهم باحسان * وادير هذا الكاس بحيث يتسلسل دوره الى آخر هذا العصر والاوان * والعصابة التى مشت تحت العلم النباتى وتحلت بقطر نباته هم الشيخ صلاح الدين الصفدى والشيخ زين الدين بن الوردى والشيخ برهان الدين القيراطى ومذهبى انه أقرب الناس الى الشيخ جمال الدين نظما ونثرا والشيخ شمس الدين بن الصائغ والشيخ بدر الدين بن الصاحب والشيخ شهاب الدين بن أبى حجلة والشيخ ابراهيم المعمار والشيخ بدر الدين حسن الزغارى والشيخ يحيى الخباز الحموى والشيخ شهاب الدين الحاجبى وممن ادركهم وعاصرهم المصنف وكتبوا اليه وكتب اليهم وانشدوه وانشدهم من أهل مصر والشام الشيخ زين الدين بن العجمى عين كتاب الانشاء الشريف بالديار المصرية والقاضى فتح الدين ابن الشهيد صاحب دواوين الانشاء الشريف بدمشق المحروسة وناظم السيرة النبوية نور الله ضريحه والشيخ عز الدين الموصلى والشيخ علاء الدين بن أيبك الدمشقى والشيخ جلال الدين ابن خطيب داريا والشيخ شمس الدين الرئيس الشهير بابن المزين والصاحب فخر الدين بن مكانس وولده الجناب المخدومى المجدى وسيدى ابو الفضل بن أبى الوفاء قدس الله روحه ولكن ما رأيته والشيخ شرف الدين عيسى الشهير بعويس والشيخ شهاب الدين بن العطار ولكن ما حضرته والشيخ جمال الدين ولكن ما رايته وصاحبنا الشيخ شمس الدين المنوفى المصرى والفرقة التى أطال الله بقاءها وامست قواعد الادب بها قائمة * وختمت بهم هذه الطريقة البديعة وأخلصوا فى العمل ففازوا فى الحالتين بحسن الخاتمة * وهم القاضى بدر الدين بن الدمامينى المالكى المخزومى فسح الله فى اجله والشيخ الامام الحافظ العلامة شهاب

فى عهدة ايامه والقابل ولاية اخرى ومنشور جديد فالكافى من استوفى زمانه ووفى ضمانه والعاجز من انفق أيامه قبل ان يبلغ تمامه فليتق الله وحرب السلطان وصعوبة الزمان وليصدر الباقى وليذكر القاضى والاعور الماضى والتسكن اموال الناحية لديه اربعة أصناف ثم اجابذلت به المجمة له أو تسببا أوصله أو جلا جلاه او حاصلا قبله ويبنى الامر على ان آخر درهم عليه مطلوب وأول درهم له محسوب والمغصوب والمكروب من طالب الانصاف وليأخذ من نفسه الانصاف فان قصر

الدين بن حجر العسقلاني الشافعي رحمه الله تعالى والشيخ بدر الدين البشتكي رحمه الله تعالى
ونبدأ بمن تقدم ذكره أولا فأولا فمن محاسن الشيخ صلاح الدين الصفدي في باب التورية
رحمه الله قوله

أفديه ساجي العيون حين رنا * أصاب مني الحشا بسهمين
أعدمني الرشد في هواه ولا * أفلح شيء يصاب بالعين

ومثله قوله

لقد شب جمر القلب من فيض عبرتي * كأن رأسي شاب من موقف البين
فان كنت ترضى لي مشيبي والبكا * تلقيت ما ترضاه بالرأس والعين

ومثله في تورية العين قوله

سألتم عن منام عيني * وقد براه جفا وبين
واليوم قد غاب حين غبتم * ولم يقع لي عليه عين

ومثله قوله

ان عيني مذ غاب شخصك عنها * يأمر السهد في كراها وينهى
بدموع كأنهن الغوادي * لا تسل ما جرى على الخد منها

ومنه قوله

وفقيه قلت صلني * قال بكي قرح عيني
قال لا تفخر بشيء * هو دون القلتين

ومن لطائفه قوله

قلت وقد أعرض عني ولم * يصغ الى الشكوى ولم يقبل
لا تطمعي يا نفس في وصله * ويا دموع العين لا تسألي

ومن لطائفه قوله

ان لم تصدقني تصدق بالكرى * ليزور في فيه الخيال الزائل
وانظر الى فقري لوصلك واغتنم * أجري وقل للدمع قف يا سائل

وقوله أيضا

يقول الناس كيف يميل عنه الحبيب ويدعى صونا وعفه
أليس لقده في كل يوم * بمرمع النواسم ألف عطفه

وقوله أيضا

وأحور أحوى فاتر الطرف قد غدا * به قلب صب بالجوى يتضرم
كستني ضنى جسمي سهام جفونه * فبرد سقامي في هواه مسهم

وقوله مع حسن التضمين

مقلته السوداء أجفانها * ترشق في وسط فؤادي نبال
ويقطع الطرق على سلوتي * حتى حسبنا في السويدا رجال

وألم الشيخ زين الدين بهذه النكتة ولكن سبكها في غير هذا القالب بقوله

الله بعبده أو بعز والله
بعينه بجميع ما فعل هباء
وهواه وهو والعاجز هواه
ثم هو الداء لا يحجمه
الا الدواء وليس الرأي
الآن بتكلف بوافيه
العمل في بدءاته يوم يدعها
زاليا ليأخذها معزولا
لبعيد الغلط مخذول
الأمل وعرضت على الشيخ
الجليل كتابه وما أقدم
عليه البغوي فقال
ليس أبو الوفاء بالبائع
لمغبون ولا المشتري الزبون
ولو رأيت السباع تلجمه
والجبال ترجمه ما كنت
ارحمه افهذا الجزع
مستحث ورد الناحية بكتاب
ما طوى عليه انتهى اليه
وما عداه لم تنله يداه

من قال بالمرد فانى امرؤ * ميلى الى النسوة ذات الجمال
مافى سويدا القلب غير النسا * ماحيلتى مافى السويدا رجال

ومنه قوله

بجفنه سيف فرى حده * قلوب قوم فى الهوى اسرى
ومن عجيب نصر ألحاظه * وجفنها المكسور قد فرا

(ى)

ومنه قوله

وظبى معانيه بيان بديعها * له سار فكرى اذ رأى كل معجز
قرأت مقامات الحريرى كلها * بعارضه مشروحة للمطرزى

وتزاحم الشيخ صلاح الدين والشيخ زين الدين بن الوردى فى هذا المعنى والنكتة بقوله

شبهت خد حبيبى * تشبيه فكر مبرز
مقامة الحريرى * وشرحها للمطرز

والذى يشهد به الذوق ان تركيب الصفدى احسن واقعد ومنه قوله

كن كيف شئت فان قد * ولك قد علا عندى وعزا
مات السلو نعيش انت اما رأيت الصبر عزا

ومن لطائفه فى هذا الباب قوله

قالوا حكى بدر الدجا وجه الذى * تهوى فقلت لهم قفوا وتربصوا
انا ما اصدق ما عليه كافة * فاذا حكى شيأ يزيد وينقص

ومنه قوله

من شافعى يوما الى مالك * فى امر روحى القبض والبسطا
صوب رأى الناس فى حبه * وشعره فى الارض قد خطا

ومنه قوله

يقول اذ أذكرته قبلة * غصبتها فى زورة الطيف
هدا عذارى وجفونى فقم * واحلف على المصحف والسيف

ومنه قوله

يقولون حاكاه الهلال فلا تزغ * عن الحق واعرف ذاك ان كنت تنصف
فقلت اذا ما صار بدرا مكملا * حكاه ومع هذا عليه تكلف

وقوله

اذا قلت قد اسرفت فى التيه قال لى * تقل فى جمالى فى الورى غير ما جرى
وأبيض طرفى واقد عند حده * واسود شعرى قد تواضع للثرى

وقوله

محياه له حسن بديع * غدا روض الخدود به مزهر
وعارضه رأى تلك الحواشى * مذهبة فزمكها وشعر

وقوله

ويقولون ارجفوا بعزله فكان ماذا الوعزل وغاية الراكب أن ينزل والوالى أن يعزل وليس العمل ضربة لازب ولا العامل فيه بخالد ولا عقده اوثق من عقدة النكاح ثم ينقضها الطلاق ويتلوها الشقاق ويختمها الفراق فليعمل الشيخ عمل من يلى ابدا وليحتط احتياط من يعزل غدا على أن جاهه بالحضرة على غاية الوفور وحاله فى نهاية النور فليتخذ الهادى ما استطاع من الهذاء وليعدد بسبب الى

أقول وجو الرمل قد زاد وقده * ومالى الى شم النسيم سبيل
أظن نسيم الجو قدمات وانقضى * فعهدى به فى الشام وهو عليل

النسيم العليل تلاعبوا به كثيرا ولكن قول الصفدى فعهدى به فى الشام وهو عليل فى غاية اللطف ومنه قوله

كؤس المدام تحب الصفا * فكن لتصاويرها مبطلا
ودعها سواذج من نقشها * فاحسن ماذهبت بالطلا

وقوله

قلت لما شوى اوزا حبيبى * وا كتسى بالهيب ثوب سناء
لو يعيش الجزار مات غراما * فى معانى محاسن الشواء

وقوله

كلفى ببدر صائغ * كالبدر فى جو السماء
سكر المحب بريقه * وغدا يموه بالطلاء

ومنه قوله

شوى الاوز فاضحت * فى جمرة الخد بسطه
فقلت تشوى اوزا * أم كنت تشرب بطه

ومنه قوله

قل للعذول يسترح من عذلى * ما اصبح المعشوق عندى مشتهى
وارتد قلبى عن سيوف لحظه * وكل شئ بلغ الحد انتهى

ومن نكته البديعة قوله

اقول له ما كان خدك هكذا * ولا الصدغ حتى سال فى الشفق الدجا
فمن أين هذا الحسن والظرف قال لى * تفتح وردى والعذار تخرجا

وقوله

اصبحت نابغة الغرام لصبوة * فى غادة بجمالها متفرده
كم قد جلت من خدها وسيوف مقـ * ـلتها الى النعمان والمتجرده

وقوله ايضا

انفقت كنز مدائحى فى ثغره * وجمعت فيه كل معنى شارد
وطلبت منه جزاء ذلك قبلة * فأبى وراح تغزلى فى البارد

وقوله

قالت وقد مادت كغصن النقا * اسرفت فى العشق بلا فائده
فقلت منهوم الهوى لم يكن * يشبع ان مدت له المائده

وقوله

سكن البدو من احب فقالوا * زاد اهل الغرام فى البعد بعدا
قلت بالله هل سمعتم ببدر * غاب عن عاشقيه لما تبدى

السماء وصلت التحفة ولم اجد الى قبولها سبيلا حتى تصل لى غاية هذا العارض المتالق وانا اعيذه بالله ان يجعل عرضه جنة لمراده والله ولى ارشاده

(وله فى شأنه ايضا وقد حبس)

ان هؤلاء العمال ايملقون المال كما تعلق النار الذبال والنار لا تذر الفتيل وان احتيل لها بما احتيل حتى تطفأ واطفاء العامل قتله وما اظن اباالوفاء الا تعرض للاطفاء من الحاصل والباقى الا ما وقى الله ونعم الواقى

ومن نكته الغريبة قوله

سال العذار فسل سيف جفونه * حتى غدت مهج الورى افلاذا
ياصدغه والله كافى غنى * عن ان تراك السائل الشحاذا

وقوله

اقول لقاض سهم مقلته غدا * يصيب الحشا الاتبغ قتلى ولا توذى
وان كان قلبى عنده غير تائب * فدعه ولا تحكم عليه بتنفيذ

وقوله

املت ان تتعطفوا بوصالكم * فرأيت من هجرانكم مالا يرى
وعلمت أن بعادكم لابدّ أن * يجرى له دمعى دما وكذا جرى

وقوله

لئن سمح الدهر البخيل بقربكم * وسكن منى انفسا وخواطرا
جعلت ابتذال الروح شكران وصلكم * وقلت لدمع العين يعمل ما جرى

وقوله

بدا فى الخد عارضه فاضحى * عليه معنفى باللوم يغرى
وحاول أن يرى منى سلوّا * وقال لقد تعذر قلت صبرى

وقوله

تقول له الاغصان اذ ماس قدّه * اتزعم ان اللين عندك قد ثوى
فقم نحتكم فى الروض عند نسيمه * ليقضى على من مال منا مع الهوى

وقوله

تناءى الذى أهوى فت صبابة * فقال عجيب كل امرك فى الهوى
صبرت لطرفى اذ رمتك سهامه * ولم تتصبر اذ رمتك يد النوى

وقوله

اتانى وقد اودى السهاد بناظرى * يسرق جنح الليل بارق فيه
فناديته ياطيب الاصل هكذا * اخذت الكرى منى وعينى فيه

وقوله

بأسياف الجفون قتلت نفسا * مبرأة عن الشكوى زكيه
فما اقوى جفونك وهى مرضى * واقدرها على قتل البريه

وقوله

جاء بقدّ قد ثنته الصبا * ورنحت اعطافه السامية
ومذ غدا فى لينه واحدا * كانت له ريح الصبا ثانيه

وقوله

وفى القلب من هاجرى لوعة * بغير تلافيه ما تندمل
فياشعره بعض هذا الجفا * ويا ردفه أنت ما تحمل

(وله الى الامير ابى الحرث محمد مولى امير المؤمنين) كتابى والبصر وان لم اره فقد سمعت خبره والليث وان لم القه فقد تصورت خلقه والملك العادل وان لم الك قد لقيته فقد بلغنى صيته ومن رأى من السيف أثره فقد رأى أكثره ومازالت ايد الله الامير أسمع بهذا البيت القديم بناؤه الفسيح فناؤه الرحب اناؤه الكريم آباؤه وأنشد فى هذه الحضرة ضالة الامل والعوائق تعنه ويسره تريني المنى حسره والزمان العثور يقعدنى ويثوره

وقوله

ياقلب صبرا على الفراق ولو * روعت ممن تحب بالبين
وانت يادمع ان اجبت بما * تخفيه وجدا اسقطت من عيني

وقوله

لولا شفاعة شعره في صبه * ما كان زار ولا ازال سقاما
لكن تطاول في الشفاعة عنده * وغدا على اقدامه يترامى

وهذه النكتة تزاحم هو والشيخ زين الدين بن الوردي عليها والله أعلم من المخترع فانهما كانا متعاصرين فقال

كيف انسى لشعر حبي يوما * وهو كان الشفيع في لديه
شعر الشعر أنه رام قتلي * فرمى روحه على قدميه

وقوله

ان قلت زرني قال لا * بحاجب ما اظلمه
فما يرى جوابه * الا بنون العظمه

والشيخ صلاح الدين تزاحم هو والشيخ برهان الدين القيراطي على هذه النكتة وزنا وقافية والله أعلم من المخترع منهما بقوله

وتائه حدثته * فلم يفه بكلمه أجابني بحاجب * لكن بنون العظمه

ويعجبني قوله

اضحى نسيم دمشق حياها الحيا * يمشي الهوينا في ظلال رباها
فكأنه من مائها وهضابها * ماداس الا اعينا وجباها

ومثله قوله

تقول دمشق اذ تفاخر غيرها * بمعبدها الزاهي الرفيع المشيد
جرى ليباهي حسنه كل معبد * وماقصبات السبق الا لمعبد (ى)

وقوله

لما زها زهر الربيع بروضه * وغدا له فضل ينير لديه
قام الحمام له خطيبا بالهنا * وجرى الغدير نخر بين يديه

وقوله

قالوا على نيل مصر في زيادته * حتى لقد بلغ الاهرام حين طمى
فقلت هذا عجيب في بلادكم * أن ابن ستة عشر يبلغ الهرما

ومن اغراضه قوله

رب طباخ به نضجت * مهجات غير مرحومه
سلوتي عنه مزورة * ابدا والنفس مغمومه

وقوله

احببت ابا حسنه بارع * سبى من الناس ألبابا

خامس عام الاعزمت وأبت المقادير ونويت وعرضت المعاذير والآن لما وفقت لهذه الزوره اختلفت على أخبار الملك في مستقره واختلفت باختلافها فرقة في قوس الطريق ومرت في وترها مقتفيا اثره حتى بلغت مبلغي هذا ثم وسوس الى الشيطان تعذر مقدار أني اقصد هذه الحضرة طامعا في مال اوطامحا الى نوال وعظم سلطان هذه الوسوسة حتى كاد يثنيني عن درك الحظ من طلعته ولم أبعد ما القاه في خلدي أن يكون وانا انشد الله

اغلق فى وجهى باب الرضى * فهل ترانى افتح البابا

وقوله

ان اللطافة لم تزل * بين الاكابر فاشيه

أرأيت عمرك فى الورى * طرفا رقيق الحاشيه

وكتب على لسان صاحب له طالب من صاحب سرجا لم يجهزه له قوله

عجبا كيف لم تجد لى بسرج * وحده واللجام دأب النفوس

واذا لم تبعثه فى اول الامر * اختيارا فابعثه بالدبوس

وكتب الى من اهدى له صحن قطائف قوله

اتانى صحن من قطائفك التى * غدت وهى روض قد تنبت بالقطر

فلا غرو ان صدقت حلو حديثها * وسكرها يروى ويملى عن ابى ذر

الجماعة تجار وافى هذا الحلبة واجادوا منهم الشيخ زين الدين بن الوردى بقوله

بعثت قطائفا حات * جناها قطرها الغامر

فسكرها ابو ذر * ومرسل صحنها جابر

وأجاد الشيخ جمال الدين بن نباتة هنا وجمع بين التورية وحسن التضمين وبديع الاكتفاء والحلاوة بقوله

أقول وقد جاء الغلام بصحنه * عقيب طعام الفطر يا غاية المنى

بعيشك قل لى جاء صحن قطائف * وبح باسم من تهوى ودعنى من الكنا (فه)

وقوله مع بديع التضمين

رعى الله نعماك التى من اقلها * قطائف من قطر النبات لها قطر

امد لها كفى فاهتز فرحة * كما انتفض العصفور بلله القطر

ويعجبنى هنا قول الشيخ برهان الدين القيراطى مع بديع التضمين

لقد قطفت زهر النبات قطائف * تخيرتها فاخترت للنفس ما يحلو

تقول اسمعوا منى مدائح مرسلى * فكلى ان حدثتكم السن تتلو

واما تورية القطر فالقطر النباتى معروف فمن ذلك قوله

شكرا لبرك يا غيث العفاة ولا * زالت مدائحك العلماء تنتخب

قد جدت بالقطر حتى زدت فى طمع * واول الغيث قطر ثم ينسكب

وقوله

بجود قاضى القضاة اشكو * عجزى عن الحلو فى صيامى

والقطر ارجو ولا عجيب * القطر يرجى من الغمام

ويعجبنى هنا قول ابى الحسين الجزار

ايا علم الدين الذى جود كفه * براحته قد اخجل الغيث والبحرا

لئن امحلت ارض الكنافة اننى * لارجولها من سحب راحتك القطرا

قالت الشئ بالشئ يذكر كرت هنا الغزا فى لوزنيج كتب به مولانا قاضى القضاة صدر الدين بن

الظنون ان تتصرف فى قصدى الاالى معرفة اوقعها اوخدمة اودعها ومدحة اسمعها ورجعة اسرعها ثم أذخرهذه الدولة لمملكة اغصبها اوراية انصبها اوكتيبة اغلبها اودولة اقلبها واما الدرهم والدينار دفعهما الى ونزعهما من يدى سواء لا اشكر واهبهما ولا اشكو سالبهما ان لى فى القناعة وقتا وفى الصناعة بختا لا يعدم نال المال اذا اردته ولا يحوجنى الى ركوب العقاب وسلوك

الادمي رحمه الله الى علامة العصر القاضي بدر الدين بن الدماميني رحمهما الله

يامن له في عروض الشعر أي يد * فاق الخليل بها فضلا وتمكينا
مااسم دوائره في لفظه ائتلفت * والثلم في صدرها مستعمل حينا
ابزاؤه من زحاف الشوق قد سلمت * وقد تقطع مطويا ومخبونا
تصحيف معكوسه لفظ يرادفه * ياقرديار حلة قوم مقيمونا
والعبد منتظر منه له فرجا * لازال سعدك بالاقبال مقرونا

فأجابه المشار اليه بقوله

يامرسلا من شهي النظم لي كلما * منه ابن سكرة قد راح مغبونا
لله درك صدرا من حلاوته * وجوهر النظم لم يبرح بحليتنا
حليت لغزك اذ أبهمته فلذا * يافاتني رحت بالاعجاب مفتونا
هذا وكم قد رأينا في دوائره * للكف قبضا يزيد العقل تمكينا
وليس اضماره مستحسنا فأدم * بالكشف عنه لمن وافاك تحسينا
وكن لنا هاديا صوب الصواب ودم * فينا أمينا رشيد الرأي مأمونا

وقد آن الرجوع الى ما كنا فيه مما اختاره من نظم الشيخ صلاح الدين الصفدي في باب التورية فن لطائف مجونه قوله فيمن سرق شيأ من بعض شعره

ان كان يامولاي لابد ان * تأخذ شعري بجملة كافيه
قافية البيت اطرح لفظها * وقم خذ الكل بلا قافيه

وقوله

أدير بلحيتي البيضاء كاسي * بكيس زائد مني وفطنه
ألم ترني وعفو الله راج * ومن شرهي أصفيها بقطنه

وقوله

وجرة قدموها * والراح فيها كمينه
شممت طينة فيها * فرحت سكران طينه

وقوله

قلت له اذهز لي ذقنه * ولام فيمن همت في عشقها
تذكر اذعنت قادي نعم * فقلت واشوقا الى حلقها

وقوله

وعاذل بارد المقالة لا * يعي صوابا وزاد في نكدي
وقال ذقن الحبيب باردة * فقلت يابردها على كبدي

وقوله

ملكت كتابا أخلق الدهر جلده * وما احد في دهره بمخلد
اذا عاينت كتبي الجديدة حاله * يقولون لاتهلك اسى وتجلد

ومن نكت المجون التي توارد هو والشيخ جمال الدين عليها وزنا وقافية قوله

الشعاب بل يجيئني فيضا ويتطفل على ايضا وما كل يرفع له الحجاب ولا يفتح له الابواب وبعد ذلك فهذه الحضرة وان احتاج اليها المأمون ولم يستغن عنها قارون فان الاحب الى ان أقصدها قصد موال لاقصد سؤال والرجوع عنها بجمال احب الى من الرجوع بمال وقد قدمت التعريف وانا انتظر الجواب الشريف فان نشط الامير اضيف ظله خفيف ضالته رغيف وامده اليه بالاقبال

اذا ما قام أيرك في الدياجي * وعندك من تحب فلا تحابي
وملّ نحو الطواشي واعتنقه * فمثلك لا يدل على صواب

وقول الشيخ جمال الدين

أرى لصواب يا أيري صفات * تحث على التعشق والتصابي
فبادره فانت به خبير * ومثلك لا يدل على صواب

ويحسن أن نختم هذه المجونات بقول الشيخ صلاح الدين وهو

يا ساحبا ذيل الصبا في الهوى * ابليته في الغي وهو القشيب
فاغسل بدمع العين ثوب التقى * ونقه من قبل وقع المشيب

الشيخ صلاح الدين سامحه الله كان من المكثرين وكان هو والشيخ شهاب الدين بن أبي حجلة يرضيان لرغبتهما في الكثرة بالاشياء الرخيصة ولم أورد للشيخ صلاح الدين هنا غير الغالي من نظمه واختياره واختياري ومن محاسن الشيخ زين الدين بن الوردي في باب التورية ومقاطيعه التي هي احسن من مقطعات النيل * واحلى في الاسماع من نغمات المواصيل

ان قلت قدك غصن * قالت لي الغصن ساجد
اوقلت ريقك ثلج * قالت تشبه بارد

ومن ذلك قوله

يا سائلي تصبرا * عن لثم فيه لا تسل * ما تستحي تبدلني * يا اصبر عن ذاك العسل

ومن ذلك قوله

ومليح اذا النحاة رأوه * فضلوه على بديع الزمان
برضاب عن المبرد يروى * ونهود تروى عن الرماني

وقوله

امام في الركوع حكى هلالا * ولكن في اعتدال كالقضيب
وقال تلوت قلت الشمس حسنا * وقال ختمت قلت على القلوب

ومن لطائفه في هذا الباب قوله

يشفع في شعره * اذ مال عن قبوله * فهو على اقدامه * ممدد بطوله

ومنه قوله

عجبت في رمضان من مسحرة * بديعة الحسن الا انها ابتدعت
قامت تسحرنا ليلا فقلت لها * كيف السحور وهذي الشمس قد طلعت

ومن لطائفه قوله

اذا تعذر رحبي * نخله يتعذر * فجيده أصل ما بي * والجيد لا يتغير

ومنه قوله

وتاجر ما طلته دينه * لاجتليه قال ما أمطلك
قلت له جيدك لي اوان * فقال هات المال والجيد لك

ان شاء الله تعالى
(وله اليه ايضا)
ان جاز للفقراء ان يصيروا فدا الامراء فانا فداء الامير السيد من سوء يلحقه ومكروه يرهقه والمصاب الذي اشار اليه خاتمة المعاتب على ان النساء كالصدف اذا انتزع منه درة الشرف لم يصلح الا للتلف والسعيد من جعل من دار السيد الامير نعشه واسعد منه من جدد فرشه ولا خلة بالرجال ابقى من الصبر ولا حصن للنساء احصن من القبر وانا اسأل الله

وقوله

قالت اذا كنت تهوى * انسى وتخشى نفورى
صف ورد خدى والا * اجور نادبت جورى

ومنه قوله

انكرحبى مدمعى * وقال هذا من هوى * فقلت لا بل من قذى * اصاب عينى بنوى

ومن نكته اللطيفة فى تضمين المثل السائر قوله

وسمينة كانت لها * فى القلب منزلة ترقت
رقت فعفت وصالها * وقطعتها من حيث رقت

وقوله

سألتها أى ناه * ثم الدعن حسن نوجك
قالت نهانى زوجى * فقلت روحى بزوجك

ومن اغزاله قوله

أقول اذ قال لى حبيبى * علام فارقتنى علاما
خدك كان الصفا ولكن * قد اصبح المشعر الحراما

وقوله

رامت وصالى فقلت لى شغل * عن كل خود تريد تلاقانى
قالت كان الخدود كاسدة * قلت كثير القلة القالى

وقوله

ابصر وادمعى تخافوا * قلت لا تخشوا بكاءى
ما عليكم من دموعى * غير امطار السماء

ومنه قوله

سل الله ربك من فضله * اذا عرضت حاجة مقلقه
ولا تسأل الترك فى حاجة * فاعينهم اعين ضيقه

وقوله

لما شئت عينى ولم * ترفق لتوديع الفتى
ادنيتها من خده * والنار فاكهة الشتا

وقوله

ضممتها عند اللقا ضمة * منعشة للمكلف الهالك
قالت غسكت والانفا * هذا الشذا قلت بأذيالك

وقوله

شكى من الخط ضعفا * وذاك منه دلال
قلت استعن بمثال * فقال مالى مثال

ومنه قوله

تعالى الذى سلبه الكرمة ان يمتعه بعنبها ولا خير فى الفضلة من وراء ربطها واما كتاب الاصول فالى اوان بعد الوصول أيحتمل حالى كل هذا التناسى فليحسن به ايناسى واما انا فعبد الامير وقد بلغنى تغدات فضله ومثلى من قصد باب مثله فعاد وحاله انطق من بيانه وخط يده افصح من لسانه وقد شققت اطراف الارض بادراج الشكر ولعل اجوبتها ترد عن قريب فيعلم اى حر استرق واى مجد استحق وقد طولت وعلى الله توكلت

وأهيف يسألني * ما المبتدا والخبر   مثلهما لي مسرعا * فقلت أنت القمر

ومن نكته مع حسن التضمين قوله

مليح ردفه والساق منه * كبنيان القصور على الثلوج
خذوا من خده القاني نصيبا * فقد عزم الغريب على الخروج

ومن نكته اللطيفة قوله

مهفهف القد إذا ما انثنى * يقول لا تخش من الرد
ما أنت حلي يا كثيب النقا * ولست يا غصن النقا قدي

وقوله

لو نلت من خديه تقبيلة * تزين الريحان بالورد

وقوله

رومية الأصل لها مقلة * تركية صارمها هندي
قد فضحتني وجنتاها فقل * في وجنة فاضحة الوردي

وقوله من دوبيت

يا روضة حسن ليتها لي وحدي * الشركة فيك قد أذابت كبدي
ما ضرك أن تسقي بماء فرد * والواجب أن يكون ماء الورد

ومنه قوله

هويت أعرابية ريقها * عذب ولي فيها عذاب مذاب
رأسي بنو شيبان والطرف من * نبهان والعذال فيها كلاب

وقوله

قلت وقد عانقته * عندي من الصبح قلق
قال وهل يحسدنا * قلت نعم حتى انفلق

ومنه قوله

تقويم قدك مال يا من ثغره * در يقصر دونه التقويم
اني لأبكي من جفاك ولي أب * والثغر يضحك منه وهو يتيم

ومن اختراعاته قوله

رأم ظبي الترك وردا * قلت اقصر خاب ضدك
عندك الورد المربى * قال قاني قات خدك

وقوله

رب فلاح مليح * قال يا أهل الفتوه
كفلي أضعف خصري * فاعينوني بقوه

وقوله

قلت لقزافري أديمي * وزاد صدا وطال هجرا

(وله الى الاستاذ أبي بكر محمد بن اسحق) الاستاذ الزاهد أدام الله عزه يأمر غاشية مجلسه ان يفتشوا أعطاف المقابر وزواياها فان وجدوا قلبا قريحا يحمل ودا صحيحا وكبدا دامية تنقل محبة نامية فانا ضيعتهما بالامس على ذلك الرمس رضي الله عن وديعته وعنا معاشر شيعته فيأمر بردهما فلا خير في الاجساد خالية عن الفؤاد عاطلة من الاكباد وأبو فلان موصل رقعتي هذه له قصة يعرضها وحاجة انا افرضها تلبذ قد تطرف بيوته وتحيف حانوته ولجأ من الاستاذ الى حصن منيع ولجأ الاستاذ منه

قد فر صبرى وفر نومى * قال نعم مذ عشقت فرا

وقوله

ورغيف خباز كم قد حكى * من وجهه التدوير والحمره
اذا رأى ميزانه المشترى * قال هنا الميزان والزهره

ومنه قوله فى مليح عبرى

اغيد عبرى له عمة * حكت من العشاق الوانا
لقد سبى بالنور شمس الضحى * فهل أتى من آل عمرانا

ومنه قوله

ووعدت أمس بأن تزور ولم تزر * فغدوت مسلوب الفؤاد مشتتا
لى مهجة فى النازعات وعبرة * فى المرسلات وفكرة فى هل أتى

وقوله

اعور كالبدر له مقلة * واحدة قامت مقام اثنتين
قد سرق الرقدة من ناظرى * وقال ماجئتك الابعين

وقوله

بالى أعور عين فاتن * مثل بدر التم والتم بعين
طرفه الواحد عضب ذكر * فله فى الحسن حظ الانثيين

ومنه قوله

رأيت رشيق القد أعور فاتنا * له مقلة اغنته عن حسن ثنتين
اذا قال غصن البان أنت ابن قامتى * يناديه بدر التم أنت أخو عينى

وقوله

جنكية شاهدت عشاقها * وهم بها فى الجهد والضنك
قالت أما تعشق جنكية * قلت كذا يا ليتنى جنكى

وقوله

تغسل عينى وجنتى * بدمعة هاملة
ذو جنتى قاتلة * عدوتى غاسلة

وقوله

ناديت صالحة الى * كم أنت عنا نازحه
قالت نزحت لانكم * لاتصلحون لصالحه

وقوله

هويت حصادا حكت قامتى * من طول ما يهجرنى منجله
أقول والسنبل من حوله * مولاى أنت الشمس فى السنبله

وقوله

أنا فى حالى تقبض * ياشموسا فى البزوغ

الى أمر شنيع وهو أبده الله قد عرف ظاهر هذا الحر وان لم يعرف باطنه وعلم سريرته وان لم يعلم سريرته وأيقن انه لولم يدع الكذب ديانه لتركه امانة وصيانه فان حرفته لا تحتمل غير العمة ثم يرضى بعد ألف مكاس ان يخرج راسا براس ويرد فضل صفقتين ويحمد الله على ما بركتين والله يوفق الاستاذ لما يأتيه ويدره فنعم الرفيق التوفيق والسلام

(وله اليه)

قد علم الاستاذ الزاهد أن اهل هذا الشطر من البلد رجلان هذا موتور وهذا مستور فصالحة الموتور غنمه والظفر بالمستور

هزم الصبر عليكم * والمنى دون البلوغ

ومن لطائفه قوله

قال لي بدر خصره * كم كذا ترجع البصر
قلت لا تنفرد به * للتشهد ولي نظر

ومن اغراضه اللطيفة قوله في صديق له بالمعرة يقال له شمس

لي بالمعرة شمس * رضاه غير مرادي
فلا تذموه اني * أدري بشمس بلادي

وكتب اليه في زفة له

ياشمس أشعلت شمعا * عليك عشر الاصابع
رغما لمن قال قبلي * الشمع في الشمس ضائع

ومنه قوله في آل النصيبي بحلب

فؤادي الى آل النصيبي مائل * وودي لهم في محضري ومغيبي
فبيني و بين القوم نوع تجانس * اذا طاب أصل الورد كان نصيبي

وقوله

للمقدسي بقلبي * حب خلي الدليل
فمن يكن ذا خليل * فالمقدسي خليلي

ومن لطائف اغراضه قوله

ياشيخ خل التصابي * فالزهد بالشيخ أليق
ولا تحث كميتا * فان فودك أبلق

وقوله

ولي صاحب بالمدح والهجو كسبه * يقول أتدري كيف أصنع بالخلق
اذا احمروا وجهي وما بيضوا ايدي * ازرق لهم رجلي ولو خضروا اعنقي

ومثله قوله

لي صاحب واسمه سراج * ماقرلي عنده قرار
لسانه محرق اقلبي * ان لسان السراج نار

ومن اغراضه اللطيفة قوله

تجادلنا اماء الزهر أزكى * أم الخلاف أم ورد القطاف
وعقبى ذلك الجدل اصطلحنا * وقد حصل الوفاق على الخلاف

ومن لطائف مجونه

يامن تولى قاضيا * هـذا قضاء أم قـدر
غدروك في بستاننا * ان القضا يعمي البصر

ومن اغراضه البديعة قوله

قدمات شيخي فاظهروا * بحر به أوسلمه

هزيمه والحرب ضفقفسو الخاسر عليها من يربح والمذبوح فيها من يذبح وقد وضعت اوزارها فالجاني من طلب ثارها والباغي من شب نارها وقد محا الصلح آثارها وفي الجانبين رجال مؤمنون ونساء مؤمنات من اتق الله فيهم من غير عذر فقد هلك وانما الحرب عليك اولك وترك النهى في بعض المواضع امر وربما كان تحت الرماد جمر وقد امسك هؤلاء القوم لاعن ظاهر ضعف ولاعن بين عجز فليمسك اولئك ان الثقة بالصلح شوم والاستظهار بالربح خرق فكم رأينا الشمال هبت جنوبا ووجدنا الخبرقد

عيشوا بجهل بعده * فقد قضى بعلمه

ومن اغراضه البديعة قوله

لا تحملوني على انتقام * فالجاه يحكي خيال طيف
عفوت عن مذنب فقرت * عين عدوي وجفن سيفي

ومن اغراضه قوله

ديار مصر هي الدنيا وساكنها * هم الانام فقابلها بتقبيل
يا من يباهي ببغداد ودجلتها * مصر مقدمة والشرح للنيل

ومن لطائف مجونه قوله

حماكم فيه اسود * هربت منه وأنا صارخ
قد سلخت جسمي اظفاره * يا قوم هذا اسود سالخ

ومن لطائف اغراضه قوله

يا من غدا في طلاب المجد مجتهدا * لم يثنه عنه لا مال ولا ولد
لا تبسطن لتقليد القضاء يدا * ايرتضي رتبة التقليد مجتهد

وكتب الى قاضي القضاة شرف الدين بن البارزي

جنبتني وأخي تكاليف القضا * وكفيتنا مرضين مختلفين
يا حي عالم دهرنا أحييتنا * فلك التصرف في دم الاخوين

وقوله مع تضمين المثل السائر

اني عدمت صديقا * قد كان يعرف قدري
دعني لقلبي ودمعي * يا صاح أجرف وأذري

ومن لطائف اغراضه وقد ولي قضاء شيراز قوله

انما شيراز نار * وبها القاضي مخلد
قلت لا أمكث فيها * أنا من حزب محمد

ومن اغراضه قوله

مرض الفؤاد وصح ودي فيهم * وأقام تذكاري وصبري نازح
انسان عيني كم سهاد كم بكى * يا أيها الانسان انك كادح

ومن نكته البديعة مع تضمين المثل قوله في آل البيت عليهم السلام

يا آل بيت النبي من بذلت * في حبكم روحه فما غبنا
من جاء عن بيته يحدثكم * قولوا له البيت والحديث لنا

ومن نكته الغريبة قوله في محتسب

من ولي الحسبة يصبر على * تعرض الواقف والسائر
فليس يحظى بالمنى والغنى * فيهم سوى المحتسب الصابر

وقوله

قد عجبنا لامير * ظلم الناس وسبح

صح مقلوبا وسمعنا بالقاتل فوجدناه قتيلا وبالطمع استمسكم لم يصب قتيلا لعل الله يصوتنا في هذه الايام الكرام وهذا الشهر الحرام عن الدم الحرام والسلام *(وله الى محمد بن ابراهيم الشاري)* لعمري ان ايامي منذ لم اره ليال وانحى من جسمي لفي طلل بال وان العيش لا يبسم الا بثغره والعافية لا تطيب الا في ظله ولكني وقيذ اوجاع من حمى الى صداع وأخشى ان يأخذ مني لفح الهوى ما أخذه فلذلك لا ابرز عن البيت واما فيه حتى كتبت واما ابطاله ماذكرت

فهو كالجزار فيهم * يذكر الله ويذبح

وقوله في مدينة حلب

عليك بصهوة الشهباء تلق * بجوشنها محاربة الزمان
فللعرفان في الفردوس ريح * يفوح شذاه من باب الجنان

ومن مجونه فيمن رتبوا له أربعة دراهم قوله

كل يوم رتبوا اربعة * لك فازددت علينا صعصعه
فلو استفتيت في سيدنا * قلت يستأهل قطع الاربعه

ومن اطائفه قوله

ناعورة مذعورة * ولهانة وحائره الماء فوق كتفها * وهي عليه دائره

ومن نكته الغريبة قوله

زوجة مجد الدين والداها * في اخذ عرض المجد اشبهاها
ان أباها وأبا اباها * قد بلغا في المجد غايتاها

وقوله

مليحة مصطولة * ان لمتها فيما يجرى
تقول كل طيبة * ترعى الحشيش الاخضرا

ومن اغراضه البديعة مع حسن التضمين قوله

كرهت وضوأ من قناة تساق من * دماء الرعايا او بسخرة مسلم
ستشرق في يوم الحساب بذامة * كما شرقت صدر القناة من الدم

ومما تخيرته هنا من تأليفي الذي وسمته بتحرير القيراطي رحمه الله تعالى قوله

البدر طلعة وجهه * وعذاره هالاته
وخفوق قلبي في هواه * سعيدة حركاته

وقوله

اجريت دمعي فذا فنيت ابحره * اجريت مني باسياف الجفون دمي
ان ملت عني برمح القد يا أملي * لتقرعن على السن من ندم

وقوله

اسدى بم ألحم تحت طاق * له والدمع يجرى كل وقفه
وكم يوم عبرت له زقاقا * أحاول غفلة وأروم عطفه

وقوله

لما تبدى قوام قامته * وحاجباه لناظر العين
رأيت موتي بسيف ناظره * من قيد رمح وقاب قوسين

وقوله

تنفس الصبح فجاءت لنا * من نحوه الانفاس مسكيه
واطربت في العود قرية * وكيف لا تطرب عوديه

فصدق ان علة لا يسيل لها الدماغ ولا تذوب منها الاضلاع ولا ينقطع بها النخاع ولا يتغاض فيها العواد ولا ينفر منها الطبيب ولم يشتغل لها الخفاير ولم يتسأف لها الجمال ولم يجر فيها حديث النائحة ولم يتداو منها بالرائحة حقيقة ان لا يساء بها الصديق ولا يحتجب عن الطريق وعلى كل حال فاذا خفت وطأة الهوى وحال وقت المسا اعبت لعباقي الى حضرته متزودا من طلعته ان شاء الله تعالى

(وله أيضا)

والله انى لارحم عقل طرفة اذ قال

وقوله

ارتاح للاقمار وهى طوالع * وشموس راحى للمغارب تجنح
ويهزنى زجل الطيور بلحنها * والروض بالزهر النظيم موشح

وقوله

ياأميرالجمال قل * فالمراسيم تستمع
أناممّلوكك الذى * لكَ قلبى غدا تبع

وقوله

فى جفنه سيف مضاربه * ياصاح اسبق لى من العذل
وبخده والردف لى خبر * قدسار بين السهل والجبل

وقوله

شبه السيف والسنان بعينى * من لقتلى بين الانام استحلا
فابى السيف والسنان وقالا * حدّنا دون ذالك حاشى وكلا

وقوله

هويت ظبيا خاله نصبة * نيرانها للقلب جنات
يكسر اجفانا اذا مارنى * لهما على الارواح نصبات

وقوله

اهيم باعطاف القدود صبابة * وان هى زادتنى جفا وتباعدا
ويعجبنى بين الانام تطفلى * عليها اذا شاهدتهن موائدا

وقوله

اباح لى نرجس الخاطه * فى مجلس مافيه ماننكره
فقلت وردالخد لى به * أيضا فقال الكل فى الحضره

وقوله

قال لى بالحمى غزالى لما * لم أجد من ظبا الجفون ملاذا
كيف جاءت اليك اسياف جفنى * قلت جاءت على الحمى فولاذا

وقوله

فى وصف خمرالثغر منك نوادر * تزرى بحسن نوادر ابن عتيق
واذا وصفت رشيق قدك عندما * هز القوام لنا فنا ابن رشيق

وقوله

جفنى وجفن الحب قداحرزا * وصفين من نيلك يامصر
جفنى له يوم الوداع الجفا * وجفنه الساجى له الكسر

وقوله

خدمت بالاغزال أبوابه * لماتبدى حسنه الباهر
ولى من الدمع على خدمتى * جراية اطلقها الناظر

وليت لنا مكانا الك عمرو
رغوثا حول قبتنا تدور
كيف ضرب المثل فى الشر
وقلة الخير بما هو خير له ان
الرغوث لتغذوه برسلها
وتصبوه بنسلها وتكسوه
بصوفها وتنفعه بيعرها
وتغبط عدوه بسراحها
وتقرعينه برواحها
وتملا بيته اقطاوسمنا
وحسبك من غنى شبع ورى
ثم ارجع الى حديثك تمنى
مكانه رغوثا وانا اتمنى
مكانك برغوثا ان
البرغوث اجدر منك ان
يغوث كنت اعلم انك
عرشى والعرشى تيس
وحشى وماحسبتنى افقد
منافع التيس فعلى الله
حسن الخلف منك ومن
الظن كان بك والسلام
(وله أيضا)

وقوله

الدمع والجفن فيه * لي شاهدان بحزني
فالجفن يسقط دمعي * والدمع يجرح جفني

وقوله

عبدك يامن جفاوصدّوما * درى بمن يموت بالكمد
جرى على الخدمن مدامعه * في الحب ما لاجرى على أحد

وقوله

في خدمن همت به شامة * ما الند في نفحه ندها
والعنبر الرطب غدا قائلا * لا تدعني الا يا عبدها

وقوله

ومخايل نبت العذار بخده * وله مخايل بالملاحة تشهد
لما رآني قائما بخياله * نزل العذار بوجنتيه يسود

وقوله

مال الى الهيئة ذو هيئة * فاتنة الابناباهرة
فخاله في خده نقطة * عذاره أضحى لها دائرة

وقوله

انظر الى سطر عذار بدت * من فوقه الشامات مثل النقط
صحت به نسخة حسن لمن * قد راحت الارواح فيه غلط

وقوله

جرت النقا لخويت لين غصونه * وكثيب واديه وجيد غزاله
وأخذت حسن البدر منه وقد بدا * في افقه بتمامه وكماله

وقوله

ويوم توالى القطر فيه نجانى * بشمس الطلا بدر يفوق على البدر
فعانقت لما مال عال قده * وقبلت معسول اللمى عدد القطر

وقوله

يامن تبرمك صبه في عشقه * بالروح لا تبخل فعشقي زائد
بالفضل جدلي ان دمعي جعفر * والوجد يحيي والتشوق خالد

وقوله

ياهاجرا اوقعني هجره * وصده في حالة صعبه
أخذت قلبي بالتجني وما * تركت لي منه ولا حبه

وقوله

قلت له لما زها حسنه * على بدور التم ما احسنك
وقلت للائم بالاسى * في خده الناعم ما اخشنك

ياسيدي اشعار كبير السوق واشغال كثير الامالي وأيام كانها الليالي وآمال كعهد العوالي معاذيري اليك واتكالي عليك لديك ان استقصرت كتابا اوذممت عهدا او طلت عتبي ولك بعد العتبى والمودة في القربى والكرامة والنعمى والمنزلة العظمى والقلب وخلبه والصدق ورحبه والعين وماسقته والنفس وماوسقت وخير أوقاتنا وقت ذكراك وخير منه يوم نراك ويابرح شوقا اليك وطول عهداه بك موردة ورهنت لسانى بما أكرضمانى وهوادام الله عزه يخرجني من عهدة ما بذلته مشكورا

ومن لطائف مدائحه قوله

اوصافكم تسرى أحاديثها * مسرى النجوم الزهر فى الافق
كأحاديث الندى عندكم * تسندها الركبان من طرق

وقوله فى العيانى الموقت

شهاب الدين ذو فكر بسمت * وبالفلك المحيط غدت محيطه
غدا فى العصر شيخ الوقت حقا * وفى اوضاعه ملك البسيطه

ومن اغراضه قوله

قناطر الجيزة كم قادم * عليك يلقى فيك اقصى مناه
أتاك قوم لاطة فانحنى * ظهرك للوط وصب المياه

وقلت فى هذا المعنى

وقالوا كيف النيل يجرى وقد غدا * عليه حلوق السبق قلت كذا يجرى
ولكنه نحو القناطر اذ أتى * يجـــــرى عليها معجبا فتقنطرا

ويعجبنى من اغراضه اللطيفة قوله

كم عالم قد اشتكى * فى الفقر طول مكثه
وكل ثور سارح * ز يدله فى حر ثه

وكتب الى الشيخ صلاح الدين

ياصلاح العلا صفاء ودادى * لايرى عن أبى الصفا تحويلا
فدع العتب انى لست ممن * لايراعون فى الانام خليلا

ومن لطائفه قوله فيما يكتب على طاسة

تامل فانى طاســــة صح نقشها * وفاق على نقش الغوانى التى تسبى
وواصف حسنى اطرب السمع قوله * كأنى فى الكاسات داخلة الضرب

وقلت فى المعنى

انا طاسة قدرى سما بروضتى * نهر المجرة للنجوم موارد
وتسارح القمر المنير لحسنه * فقمرته وعليه نقشى قاعد

وقلت أيضا

أنا طاسة بيضت وجهى عندكم * وصفا لكم قلبى بماء رائق
عذبت موارده ببارق بهجتى * فتنزهوا بين العذيب وبارق

ومن اغراضه اللطيفة فى باذهنج قوله مضمنا

بروحى أفدى باذهنجا سوكلا * باطفا ما يلقاه من حرق الجوى
اذا مدحت أوصافه قال منشدا * على انى راض بان احمل الهوى

ومن اغراضه قوله

اطربنا العود الى أن غدا * مقامنا يرقص مع صحبه
فشمعنا قام على ساقه * وكاسنا دار على كعبه

وقوله

ن شاء الله تعالى
وله الى ابى القمور بن شاه)
ظنك ياسيدى لم تسمع بقى
قائل
سمع نصيحة ناصح
جمع النصيحة والمقه
ايالك واحذر ان تشكو
ن من الثقاة على ثقة
صدق الشاعر واجاد لانقاة
خيانة فى بعض الاوقات
نه العين تريك السراب شرابا
وهذه الاذن تسمعك الخطأ
صوابا فلست بمعذور ان
وثقت بمعذور وهذه حالة
الواثق بعينه السامع باذنه
وأرى فلانا يكثر غشيانك

وقوله مضمنا

درب الحجاز لقد شرفت منازلا * قدر المنازل من سواها نازل
كم سرت فيها نحو مكة منشدا * للنبا منازل فى القلوب منازل

ومما اخترته من الابيات العامرة للمعمار رحمه الله قوله

ان قام يشاو سورة الشمس المنيرة فى ضحاها
يا حسنه فكانه الشقمر المنير اذا تلاها

(هى)

ونقلت من تذكرة الشيخ عز الدين الموصلى بخطه بيتين للمعمار وذكر انهما خارجان عن الديوان وهما من اللطائف فى هذا الباب

لما تبدى عذار الحب قلت له * رفقا ومهلا عليه ايها الجانى
ولا تخشن خافى الخد محتمل * بان يخط عليه عرق ريحان

ومن لطائفه فى هذا الباب قوله

وخادم قبلت مشروطه * فى خده لكن رأيت العجب
من ناعم حلو فناديته * ما انت يا مشروط الا رطب

وقوله

تملك قلبى خادم قده و يتيه * من الهند معسول اللمى اهيف القد
أقول لصحبى حين يرنو بلحظه * خذوا حذركم قد سل صارمه الهندى

وقوله

لثمت عذار محبوبى الشرابى * فقال تركت لثم الخد عجبا
حفظت الانسيون كما سمعنا * ورحت تضيع الورد المربى

وقوله

بصاد فؤادى من بنى العرب فتى * له من الحسن اتصال ونسب
فصحت فى الحى وقلبى طائر * ياعربا اهل ذمام وحسب
عسا كم أن تنشدوا حشاشة * فى حبكم ضلت وراحت ياعرب

وقوله

رحلوا عريب المنحنى * وفراقهم ما كان اصعب
املتهم ان يرجعوا * والموت لى من ذاك اقرب
جئت الحى لارى الخبا * م فلم يلح فى الحى مضرب

ومنه قوله واجاد

كافى بطباخ تنوع حسنه * ومزاجه للعاشقين يوافق
لكن مخافى من جفاه وكم غدت * منه قلوب فى الصدور خوافق

ومنه قوله

رب جزار هواه * صار لى لحما ودما
فزت بالالية منه * وامتلا قلبى شحما

وهو الذى دخلته الردى جلده السئ وصلته الخبيث كانه وقد قاسمته فى زرك وجعلته موضع سرك فارنى موضع غلطك فيه حتى أريك موضع تلافيه افظاهره غرك ام باطنه سرك وبلغنى انه عرض على أخيك خلعة فلبسها اعبد كا بالله انها خدعة ظاهرة النور وباطنة الغور كامنة الجور كسعلة السنور عرض على الجرذان نقلها من جحر الى جحر بوقر من السمسم فقالت الجرذان سفر محتضر والكرى خطر لكن فى الطريق نظر يامولاى يوردك ثم لا يصدرك ويوقعك ثم لا يعذرك فاجتنبه ولا تقربه وان حضر بابك فاكنس جنابك وان مس ثوبك

وقوله

ما كنت في شرع الهوى قاتلي * ولي دم طل على خده
فاتهم الحاكم لحظاله * تحقق الفتنة من عنده
مال الى الحق فلما رأى * قد حبيبي مال مع قده

وقوله

أصاب قلبي خطائي * بلحظه اشقاني
فرحت من فرط دائي * اشكو الى الحكماء
قالوا اصبت بعين * فقلت من علم دائي
ان كان هذا صوابا * فتلك عين الخطائي

ومن لطائفه قوله

رحت يوم الفراق اجري دموعي * حسرة اذ قضى الزمان ببيني
قيل كم ذا تجري دموعك تعمى * اوقف الدمع قلت من بعد عيني

ومن لطائفه قوله

شكوت للحب منتهى حربي * وما الاقيه من ضنى جسدي
قال تداوى بريقتي سحرا * فقلت يا بردها على كبدي

ومن لطائفه قوله

قلت له لما وفى موعدي * مختفيا من حاسد عندي
ورب كافر حتى بالوفا * اسبل على الستر يا سيدي

وقوله

وبي غضبان لا يرضيه الا * دموع ساكبات مستمره
فما عاطفت معاطفه بوصل * وفي عيني بعد الهجر قطره

ومن لطائفه قوله

لو انصفت لاشارت بالسلام على * متيم ما قضى من وصلها وطره
باصبع انما عضت انا ملها * حتى ولا واحد يعفو من العشره

ومثله قوله

لو رأى دور ثغره * عاذلي في التبسم
ذهبت روحه كما * قيل في دور درهم

وقوله

في خد من احببته * ورد بدا لم اجنه
وشامة ذقتها * حلاوة في صحنه

ومن لطائف قوله مع التضمين

عزمت على رقيا محاسن وجهه * بانوار آيات الضحى حين اقبلا
فلما بدا يفتر عن نظم ثغره * بدأت بسم الله في النظم اولا

فاغسل ثيابك واداسق
بطنك فاسلخ اهابك
وان كان ما أودعه صدرك
فليمكن من قلبك فلبس
الاشر بنحس المطبوخ
تتبعها بحاذق من الطوخ
برحضان عن ظاهرك
وباطنك ما اودعه ثم افتتح
الصلاة بلعنه واذا استعذت
بالله من الشيطان فاعنه
والسلام
*(وكتب الى عمار بن
الحسين)*
بما أجد لعمار مثلا الا
الغراب لا يقع الامشوما
على اى جنب وقع ان نعب
فروعة النذير وان حجل
فمشية الاسير وان شحج
فصوت الحمير وان اكل
فدبر البعير وان سرق
فبلغة الفقير كذلك عمار
ان حذفت عينه فالحين
وان حذفت ميمه فالشين

ومن بديع مديحه قوله

لابن فضل الله فضل * غمر الفضل ووفى
كيف لا وهو علىّ * علم السر واخفى

وقوله

ايا بدر المحاسن حزت جودا * وفضلا شاع بين العالمينا
وكنت من الكرام فجزت خطا * فصرت من الكرام الكاتبينا

وقوله

قسما بما أوليت من احسانه * وجميل ما عشت طول زمانى
ورأيت من يثنى على عليائه * بالجود الا كنت اول ثان

ومن اغراضه قوله

ما مصر الا منزل مستحسن * فاستوطنوه مشرقا أو مغربا
هذا وان كنتم على سفر به * فتيمموا منه صعيدا طيبا

وقوله

جاء الرخاء وفاض النيل وانفرجت * عنا الهموم وهان القمح ثم رمى
وراح خزانه للنيل ينظره * فاستكثر الماء فى عينيه ثم عمى

وقوله

حزن الخزان لما أن رأى * نيلنا قد عم سهلا وجبل
ورأى الارض لنا قد اخرجت * سنبلات ذات حب فاختبل
وبكى اذ رمدت اعينه * زادها الله عروقا وسبل

وقوله

سمعت يوما سيد مصر يقو * ل النيل وافى زائدا عندى
وكان هذا خبرا صادقا * فرحت ارويه عن السدى

وقوله

لائمى فى الشباب دع عنك لومى * است ممن تروعه بالعتاب
ايها الشيخ هات بالله قل لى * اىّ عيش يحلو بغير الشباب

وقوله

وشادن ليس له شارب * ولا عذار بل له طره
كفايتى من ريقه شربة * واحسرتى منه على جره

ومن لطائف مجونه قوله

شهر الصيام تولى * فراقه يوم عيد
فقيل شيع بست * فقلت ايضا وسيدى

وقوله

قلت هلال الصيام ليس يرى * فلا تصوموا وارضوا بقول ثقه

وان حذفت راءه فالرين وان صحف خطه فالمين وان لاصقته فالمعاذير الكاذبة وان استقصيته فالوجه العبوس وان صدقته فالظفر اللئيم وان كذبته فالعقاب الاليم وان زرته فالحجاب الثقيل وان لم تزره فالعتاب الطويل

(وله الى أبيه)

ان الابل على غلظ أكبادها لتحن الى بلادها وان الطير لتقطع عرض البحر الى مظانها ويلغنى ان ذا اليمينين طاهر بن الحسين لما ولى مصر وافاها مضروبة قبابها مفروشة ارضها مزخرفة جدرانها والناس ركبانا ورجالا والنثار يمينا وشمالا فاطرق لا ينطق حوفا ولا يرفع طرفا ولا يهش الى احد فقيل له فى ذلك فقال ما أصنع بهذا

فقالطوني وحققوا ورأوا * وكل هذا من قوة الحذقه

وقوله

اری مع المردخاب متجره * مذعاملوه معشر النصبه
فضيعوا راس مال حاصله * اذ كسروه وقام بالثقبه

وقوله

اری اذا ندبته * لحاجة تختص بی
قام لها بنفسه * ماهو الاعصبی

وقوله

تأخرت لعذرها * قلت لها تقدمی
أیری هذا عصبی * یدخل معك فی الدم

وقوله

لی أیر فیه کبر وجفاه * وهو منی بالقوی والی
کلما أغضبنی أرضیته * واذا أرضیته قام علی

وقوله

أیری مغری باللواط الذی * یقبح لاسیما علی مثله
أوقف حالی لانسل ماجری * وصرت خلف الناس من أجله

وقوله

وبت ایری اذجاه ملتمسا * بذاك من غفلة فما اکترثا
بل قال لی حین امته قسما * ماجزت حمام قسره عبثا
کیف وفیها طهارتی وبها * أقلب ماء وارفع الحدثا

وقوله

باللیلة قضیتها * فهل تراها عائده
عمود أیری قائم * وهی علیه قاعده

وقوله

وصغیرة کلفتها * أیری فقالت ویك باعد
ماخلت یحمل ذا العمو * د من النسا الا القواعد

ومثله

صغیر نام علی وجهه * وقال حکك قلت لافائده
قم أدخل العامود یاسیدی * فقال لا تخرم القاعده

وقوله

عمیرة قام یبتغی نکدی * جاسدته ثم قلت یاولدی
ها أنت فی قبضتی تطاوعنی * وان عصانی خصاه تحت یدی

وقوله

وليس فى النظائر جائز بوشنج والعجب من حاضر أنطاكية صاحب ياسين وقد كذب وعذب وقتل وجر برجله وأهلك قومه من أجله وقبل ادخل الجنة قال ياليت قومى يعلمون بما غفر لى ربى وجعلنى من المكرمين فكانه تمنى الجنة بلقيا قومه على سوء جوارهم وقبح آثارهم فهذا أخو كندة يزعم ان لا ينعم من كان أقرب عهده

قوله عميرة هو كسفينة وقد خطر ببال هذا الشاعر غلطا انه كناية عن الذكر وفى شرح القاموس انه كناية عن الكف والذى غره عبارة القاموس حيث قال وجلد عميرة كناية عن الاستمناء باليد فقهم منها ان عميرة كناية عن الذكر وليس كذلك اه مصحح

وجبة ذات حرابس * يعمل كالسندان رصي الشديد
تقول قسم طرقه لى لاتنم * فقلت مالى زبرة من حديد

وقوله

اطعمت ايرى كى ينا * م وقلت قر فما استقر
بل قام يسعى قائلا * أنا من اذا اطعم انتشر

وقوله

قد ذبت من كربى لفقد القسا * أفور كالتنور من ناريه
وقد طفى الماء فمن لى بأن * أحل بالجودى على جاريه

وقوله

لو رأى فقحة حبى عاذلى * وهى تجلى فى ثياب سندسيه
لغدا العاذل فيها عاذرا * وتفاصلنا على بيضا نقيه

وقوله

سألت وصال حبى قال دعنى * فانك فى افتقار لاتجاب
فقلت له حبيب القلب أدعى * بذى فقر وفى وسطى نصاب

وقوله

وصاحب ازل بى صفعه * غضبت اذ ضيع لى حرمتى
فقال فى ظهرك جامت يدى * فقلت لا والعهد فى رقبتى

وقوله

سألته فى صفعة قال لى * جناية الصنعة ما منه بد
صاع من التمر احلى به * قلت له اعطيك صاعا ومد

وقوله

لج العذول ولامنى * فيمن احب وعنفا
فهممت الطم رأسه * لما بليت تأسفا
لكننى زلقت يدى * ووقعت على أصل القفا

وقوله

جئت لخل بلاطف الجرحى * قلت له يا اخا الرضا صف لى
فى عنقى دمل به ورم * قال تداو بمرهم الخل

وقوله

قالوا عشقت الشباب جهلا * فعلك هذا هو القبيح
فقلت قد قيل كل شئ * يأتى على وجهه مليح

وقوله

بدا بخد الحبيب شعر * وسفله يا اخى سالم
فكان كالدوخ اذ ينادى * عليه ذا مشعر وناعم

ثلاثين شهرا وثلاثة احوال فاطمنى لاحدى عشرة سنة على ان لى برسول الله اسوة حسنه وعسى الله ان يأتينى بكم جميعا او يأتيكم بى سريعا ان شاء الله تعالى

(وله أيضا)

اطال الله بقاء الشيخ الرئيس طالت الاذيال وكثر العيال وضاق الاحتيال فالحلال قلما ينال والحرام حمى الله ومن أغضب الله وجد الله قويا عزيزا وبقيت شبهات هى مواقف العثار بين الجنة والنار حدمنها الى بأس الله وآخر الى عفو الله انا عليها أدور وفيها أخوض وحولها أحوم وهى ان لم تكن طعمة الاخيار فليست بآكلة الاشرار وآحق من اعان على صالح النية وطيب

وقوله

وعماجن يهوى الصفا * ع ولم يكن اذا الدنى
سلمه عنق الد فيشق فراح يخفه بغبن
ما ان أذنت له رضا * لكنه من خلف اذنى
لولا يدسبقته له * لامرته بالكف عنى

ومثله قوله

ومازحة تهوى المجون ولم تزل * تباسطنى لطفا بطيب مجونها
تقول وقد تاهت بلين قوامها * وقلبى مفتون بسحر عيونها
بعيشك هب لى صفعة ثم أقسمت * على صبها المضنى بنور جبينها
فلما جرى منها اليمين واكدت * مددت قفاى فسحة ليمينها

ومن عجائبه وغرائبه قوله

جاءت بخدين كالعجين * فقلت ماذا سوى لحينى
ذات حر واسع عميق * كانه ترعة الامينى
عليه شعر لونجته * لجاء مسحا الراهبين
وحاض ماء فقلت لما * عاينت منه غسلى بعينى
تقول لم لا تجر أقعا * اجبتها باسطا اليدين
ان كان قصدى عليه جرا * غرقت فيه بجرتين

ومنه قوله

وان من الخدام من ليس ترتجى * مكارمه فالبعد عنه غنائم
ولا تك عن يتهمهم بحشمة * فليس لهم بين الرجال محاشم

وقوله

فلان والجماعة عارفوه * وان ابدى التنسك والزهاده
يموت على الشهادة وهو حى * الهى لا تمته على الشهاده

وقوله

لما جاوا الى عروسا لست اطلبها * قالوا اليهنك هذا العرس والزينه
فقلت لما رأيت النهد منتفشا * رمانة كتبت باليها تينه

وقوله

ابيت من الافلاس والفقر طاويا * لقد زهدونى العشق قهرا وسلونى
وقالوا تحب البيض والسمر قلت لا * احب من الالوان فحمية اللون

وقوله فى المواليا

طرفى لمح حسن رايس قر وانقريح * اوسق بصدى وسمى الهجر بالتصريح
قذف لعرضى وخلانى من التسبريح * دمعى انحدروا العوازل تقذفوا فى الريح

الطعمة من صلبت نيته
وطابت طعمته وأخذ
الدهقة فى زماننا هذا خير
المطاعم وأبعدها من
الملاوم فان ضمن لى
مضارها توليت منافعها
فكان لى تثميرها وارتفاعها
وعليه عشرها وخراجها
والا كان اللحم نضيجا
وأخذت الثوب نسيجا
ولزمت التجارة المأمونة
والحرفة الميمونة فليغاب

قوله جاءت الابيات هى من
مخلع البسيط ووزنه
مستفعلن فاعلن فعولن
ست مرات وهى على ماتراه
هكذا فى جميع النسخ وهى
وان كانت للمعمار الاان
الطبقة الاولى من بيته
الثالث والثانية من بيته
الرابع خراب لانه حين
وزنها كان ميزانه مخلعا
اه مصحح

وقوله

مزحت يوما مع الحب الرشيق القد * وقلت آهي على قبـله بعض الخـد
فسل سيفو من الحاظ واقتلى حد * قلت انتهى الامر ياحبي الى ذا الحد

وقوله

رمى اصاب صميم القلب زين الزين * واصبحت منه فى قلق اخشى حلول الحين
وكنت لم اشك قبل الخل وشك البين * سالم من العشق حتى صابنى بالعين

وقوله

يقل لها زوجها لاتختشى من لوم * ولاتنى كل من فى الارض وانا الكوم
واتبنى واطعمينى ابق من ذا اليوم * انعس وأرقد ومثلى لايرى فى النوم

وقوله

قلت لمن تركتنى بالجفا ناحل * وصلك بكم وارحمى ذا العاشق الناحل
قالت بيتين جل قات لها انا راحل * مالى جمال ولكن نخل فى الساحل

وقوله

قالت لى اخبر وروى قابى الظامى * واصدقنى اعطيك ماخانى وقدامى
عهدى بايرك رقيق خرط لاقلامى * وقدما قلت ايرى لم يزل نامى

وقوله

قالوا توق الشتا كم قد صرع اعيان * يصدمك تعمى وذا شى يعرفوا العميان
انهض تحال ودع اعبك مع الصبيان * قلت يجى انى لو منحنى عريان

ومن لطائف العلامة الشيخ شمس الدين بن الصائغ الحنفى رحمه الله تعالى فى باب التورية

قوله

من هجر سلمى ماسلمت ومن ترى * يقوى لحمل الشوق والهجران
لاتغتـرر يوما بحلو رضابها * فلقد بدا من قد هام ران (نى)

وقوله

وشادن ظلت غصون الربا * لما رأته مقبلا ساجده
سألتـه من ريقـه شربة * فقال ذى مسئلة بادره

وقوله

ثنى غصنا ومد عليه فرعا * كظلى حين أطلب منه وصلا
وأسبله على الارداف منه * فلم ار مثل ذاك الفرع أصلا

وقوله

ركبت فى بحر هواكم مركبا * قذفت فيه يد التبريح
فانحدرت مدامعى واقبلت * عواذلى واقلعت فى الريح

وقوله

هجرت فاحشائى توقد بجرها * هذا وايست فى المحبة فاتره

فيهما رأيه الموفق ان شاء الله تعالى

(وله أيضا)

انا اطال الله بقاء الشيخ وان كنت امشى بالنهار على الماء واعرج بالليل الى السماء وازعم ان الشمس لاتخرج ظلى وان الماء ينبع من تحت رجلى فانى من جملة هذا البشر ومن عرض هذا المحشر آكل مما يأكلون وأشرب مما يشربون ولا غنى بالمرء عن طعمة طيبة اوخبيثة فالمحمود من تحرى طيبها والمذموم من تناول خبيثها وأرانى طيب الطعمة كريم المأكل واما على ذلك مذموم وهذه الصنعة ارتهنت بعضها بعلق وابتعت بعضها بغلق وقد ترنا ذنبك فما كونا فلعن الله القدرية وابعد والحاسد العتبى والمكاره

وتظل تسعر فى بنيران الجفا * ومن الذى يقوى لنار الهاجره

وقوله

قد أودعوا القلب لما ودعوا حرقا * فظل فى الليل مثل النجم حيرانا
راودته يستعير الصبر بعدهم * فقال انى استعرت اليوم نيرانا

وقوله

يقول عذولى للدموع وقد جرت * على اثر محبوب برى مهجتى بريا
تأنى فقد لاح العذار بخده * فقالت له والله قد زدتنى جريا

وقوله

قد زاد فى التفنيد لى عاذلى * على هوى من لم أطق بينها
حتى بدا من لحظها صارم * فقر لما ان رأى عينها

وقوله

لاتنكروا أنى تركت معذرا * اضنى الفؤاد بلوعة التبريح
لما بدا شعر بصفحة خده * قابلت ذاك الشعر بالتسريح

وقوله

عارضنى العذال فى عارض * قالوا بلطف بعد ما اطنبوا
ما آن للعارض ان ينتهى * قلت ولا للشيب لاتتعبوا

وقوله

قاس الورى وجه حبيبى بالقمر * بجامع بينهما وهو الخفر
قلت القياس باطل بفرقه * وبعد ذا عندى فى الوجه نظر

وقوله

لما ثنى العطف ثنى مهجتى * اليه ظبى فى الهوى شارد
ناديت اذ صرنا بلا ثالث * ياثانى العطف عسى واحد

وقوله

قال العذول عندما * شاهدنى فى شغلى
بمن فتنت فى الورى * فقلت دعنى بعلى

وقوله

ياباخلين بالسلام جهدهم * من ذا رأيتم شح يوما بالكلام
لاتمنعوا عنى السلام سادتى * فأنتم قصد المعنى والسلام

وقوله

ياملبحاروا الناعنه حسنا * وقبيح ان لم يكن تم حسنا
طبت لفظا مع الرواة ولكن * ينبغى ان تكون فى الدهر معنا (معن)

وقوله

اميل اليه كى يميل فينثنى * ويعرض ابصرت القضيب اذا انثنى

الرضا يرد على المال والبيع
باطل والشان انى اعيش
عيش الجعل بين السرقين
والعمل وانا على ذلك محسود
ان من اشراط الساعة
ان ترى الناس يحسدون
الكناس ليت شعرى
مايمنع الاستاذ اعزه الله
اذا نزل بباب الامير وأخذ
بأذناب الحمير وانتقل من
العراق فقعد بالرستاق
ولعل مقتدرا بقدر أرلى
فى هذه الفلاحة فلاحا فانا
فى العمارة شريك ابى
العبس فى التجارة وانما
الحسم للبيع لا للربح
رأيت رجلا يندم أن ولده
آدم او يألم أن يسعه العالم
يحصد فى قرية يشتريها
والله لولا يد تحت الحجر
وكبد تحت الخنجر وطفلة
كفرخ يومين قد حببت
الى العيش

ويطرحني عن بابه لا يعدني * فيلبسني من طرسه حلة الضنى

وقوله

وليلة مرت لنا حلوة * ان رمت تشبيها بها اعيتها
بشمع المعشوق في روضة * ونلت من خرطومه المشتهى

وقوله

است أنسى رقة العيش الذي * زاد في الرقة حتى انقطعا
فرعى الله زمانا بالحمى * وحماه وسقاه ورعا

وقوله

بدا لي سل العذار بخد بدر * يفوق البدر حسنا في الكمال
فلا تطمع عذولي في سلوى * فعشقي لا تغيره الليالي

وقوله

بروحي أفدي خاله فوق خده * ومن أنا في الدنيا فافديه بالمال
تبارك من أخلى من الشعر خده * واسكن كل الحسن في ذلك الخال

وقوله

راحت مني روحي فهذي مهجتي * من بعد ذا وحدا بها قد طاحت
فاترك ملامك يا عذول فانما * هي مهجة رحلت على من راحت

وقوله في القاضي علاء الدين بن فضل الله

لقد أعطى علاء الدين مالم * يوف بشكره المداح طرا
فما نحو الكرام الى حتى * دخلت مبردا وخرجت فرا

وقوله في القاضي تقي الدين بن صالح مع بديع التضمين

بجود تقي الدين أصبح دهرنا * رقيق الحواشي معلما بالمدائح
فيا دهر ناحزت المفاخر فافتخر * اذا نحن أثنينا عليك بصالح

ومن اغراضه قوله

اعدى احتراق النيل اكباد الورى * فغدت تذوب تلهبا وتلهفا
وتزايدت نيرانها من نقصه * فاذا به طاف البلاد وقد طفا

ومن نكته اللطيفة وقد أهدى له بعض الوزراء في عيد الاضحى كبشا

وزير الملك عيد أى عيد * فانت الصاحب الخلق الجميل
لقد منيت في الانحى بكبش * ملئ بالغنى كاف كفيل

ومن لطائف مجونه قوله

وناحل اضحى يصفى وقد * حنت له را ووق جريال
سألته كاسا أطفى بها * نيران احشائي فصفى لي

وقوله

قلت لبزاز على خلوة * واصل فتى بنسب الفرقة

وسلت عن رأسي الطيش اشمخت بأني عن هذا المقام ولكن صبر جميل والله المستعان

(ومن فصوله رحمه الله تعالى)

يا هؤلاء لا تكابروا الله في بلاده ولا تراودوه في مراده ان الارض لله يورثها من يشاء من عباده

(وله أيضا)

لي أبدلك الله على الكاب ابن الكلبة واليابس ابن الرطبة والضيق ابن الرحبة والعاق ابن القحبة مال قد عفار بمه لما نسجته من جنوب وشمال وقد مطلني مطل النعاس الكاب ولا أعرف جرما غير أني منعت دمه أن يسفك وستره أن

وخافى أصفق ولو صفقة * فانت ما تخسر فى صفقق

وقوله فى العنب العاصمى

وعاصمى قد غدا طعمه * اروى من الماء الذى الحائم
أورث خلى اكله هيضة * فاعجب له من مسهل عاصم

وقوله

جاء نحوى معتذر * بعد ما عز مطلبه
قلت ذا الاير ميت * ظل يبكى ويندبه

وقوله

تطلبت جرانى الظلام فلم أجد * ومن يك مثلى حسبة دأبه الجر
فنادانى البدر الاديب الى هنا * وفى الليلة الظلماء يفتقد البدر

ومن لطائف مجونه مع الشيخ شهاب الدين أحمد بن ابى حجلة قوله

يكذب من ينسب البغاء الى * شاعرنا المنتمى الى حجله
ما هو بغا كما يقال لنا * بل هو توريد وربالعجله

وقوله فى الشيخ تقى الدين بن دقيق العيد

لعلاء الدين ذقن * قلا الكف وتفضل
فاعمل المنخل منها * لدقيق العيد والمنخل

ومن لطائف الشيخ بدر الدين بن الصاحب فى باب التورية قوله وتلطف ماشاء

حبيب لى طبيب لم يزرنى * سوى بالطيف فى ظلم الليالى
رآنى ناحلا من فرط شوقى * فأهدى لى مزوّره الخيالى

وقوله

وعدتنى بخيال * يزور طرفى مناما
فشاب رأسى انتظارا * وما بلغت احتلاما

وقوله

ياهلالا قد تسامى * وله الصدغ عمامه
اشتهى لونلت حظا * منك مقدار قلامه

ومن لطائفه فى هذا الباب قوله

يقبل الارض لازالت مقبلة * من بعد ثغرى بثغر الروض والزهر
ويسأل الله جمع الشمل منتظما * ودمعه قائل يا منزل المطر

وقوله

جفنى عليك ساهر * بحرقة قد ذقتها
ودمعتى جارية * ان زرتنى عتقتها

وقوله فى قيم حمام

وقيم قيم فى حسن صنعته * حاز الجمال على حسن من الترف

يهتك ودارها ان تخرب وماله أن ينهب ولى عنده تذكرة تطلع كل يوم من جرمانه فلا أدرى كيف نسيها على قرب مكانها من مكانه فليقتضه ما عليه وليذكره التذكرة لديه ان شاء الله تعالى

(وله أيضا)

كتابى أطال الله بقاء القاضى كتاب من ينسى الايام ويذكره ويطوى العالم وينشره ويعقد من عصره عليه خنصره ثم ينبذ ابناء دهره وراء ظهره ويخرج أهل زمانه من عهدة ضمانه فاذا تسلمهم بيناه وسلمهم يسراه تيقن أن صفقته هى الرابحة وكفته هى الراجحة وانى أيد الله القاضى على

لو يخدم البدر انثنى البدر من كلف * لكنه لم يزل مابي من الكلف

وقوله

قلت بنبت من عوارض خده * فها انا في قيد الغرام أسير
ولا كان لي بالعشق قط تعلق * ولا بالهوى قبل العذار شعور

وقوله

اذا جلوا الى كاسي * بها حباب منتظم
علمت ان زماني * بعد القطوب تبسم

وقوله

يا أيها العاصر بادر الى * عنقودك الفاخر في كرمه
اياك أن تتركه ساعة * يزبب النحس على أمه

وقوله

ياحابس الكاس لا تزدها * من بعد حبس الدنان حسره
واغنم مزايا لها لطيفا * اورثه الانتظار صفره

وقوله

أطربنا مشبب * من غير جعل سأله
ياحسن موصول له * لم يفتقر الى صله

ويعجبني قوله

غنت فاغنت عن كؤس الطلا * بالسكر من لذات تلك اللحون
فقلت اذ هيجني صوتها * في مثل ذا الحلق تروح الذقون

وقوله

يامهدي الاقصاب من سكر * صفرا حكى طول القنا طولها
اياك أن تقطعها ساعة * فأحسن الاقصاب موصولها

وقوله

ناحت حمام البان ام ناحت أمي * لم ادر ما عناؤها من شوقها
عجماء لاتظهر حرفا من شجى * كأنها مخنوقة من طوقها

وقوله

وذات طوق على الاغصان تذكرني * قوام حسنك في ضمي لمعتنقك
قد سودت وجهها نوحا فقلت لها * سواد قلبي يا ورقاء في عنقك

ويعجبني قوله

ياليل ان الحبيب وافى * وخفت اسراع دهم خيلك
فطل وغش الصباح انى * دخلت ياليل تحت ذيلك

ومن نكته البديعة الغريبة في الشطرنج قوله

تأمل ترى الشطرنج كالدهر دولة * نهارا وليلا ثم بؤسا وأنعما

قرب العهد بالهند قطعت عرض الارض وعاشرت أجناس الناس فما أحد الا بالجهل تبعته وبالخبرة نعته وبالظن أخذته وباليقين نبذته مامن حد وضعته في أحد الا ضعته ولا مدح صرفته عن أحد الا عرفته ومن احتاج الى الناس وزنهم بالقسطاس ومن طاف نصف الشرق لقى نصف الخلق ومن لم يجد في النصف لمحة دالة لم يجد في الكل غرة لائحة كان لنا صديق يقول ثلثها ولا أتملك ثلثه وهذا العمري بأس بوجيه قياس وقنوط بالحجة منوط ودعابة تكاد تكون جدا ووراء هذه الجملة موجدة على قوم وعربدة على قوم

محرڪها باق وتفنى جميعها * وبعد الفنا تحيي وتبعث أعظما

وقوله مضمنا

اميل لشطرنج أهل النهى * واسلوه من ناقل الباطل

وكم رمت تهذيب لعابه * وتابى الطباع على الناقل

ومن اغراضه

لعبت فى الشطرنج فى غاية * تقصر الاوصاف عن حدها

ان صاح فى الاقران لى بيدق * غوت منه الشاة فى جلدها

ومن لطائف مجونه قوله

شاب الحبيب فقلت أهلا بالوفا * وازددت فيه تعشقا وتكلفا

والاير قام ولم يبل لمشيبه * فالراية البيضا عليه فى الوفا

وقوله

كم جار صرف الدهر فى حكمه * وضرّنى من حيث بى يعتنى

البسنى من شيبتى حلة * قلت له والله عز يتنى

ومن اغراضه البديعة مع حسن التضمين قوله

لله يوم الوفا والناس قد جمعوا * كالروض تطفو على نهر ازاهره

وللوفاء عمود من أصابعه * مخلق تملأ الدنيا بشائره

وقوله

النيل ألبس حلة * حمراء فى تخليقه

وله اصابع زينب * قد ختمت بعقيقه

وقوله

نادى منادى الوفا مصرا * اذ علقوا ستره علامه

من الغلا قد سلمت حقا * فبت فى الستر والسلامه

وقوله

كانت لمصر سترة * بالنيل مذ ولى خلت

كأنه زوج لها * فبعده ترملت

ومن اغراضه البديعة قوله

فاخرت الاقلام سمر القنا * والسعد فى الاقسام مكتوب

فقلت للخطى لا تستطل * كلا كما للخط منسوب

وقوله

ولائم زاد لوما * فى أسود اشتهيه

وقال أسود تهوى * فقلت عينك فيه

ومن لطائف اغراضه فى مليح فوّال قوله

انا ابن الذى فى الليل تسطع ناره * كثير رماد القدر للعيد يحمل

(وله من حسنات)

والامير السيد واسع مجال
الهمم ثابت مكان القدم
وأنا فى كنفه صائب سهم
الامل وافر جناح الجذل
والحمد لله على ما يوليه
ويولينا معاشر مواليه وصلى
الله على سيدنا محمد وعلى آله
وسلم وقد اعترضتنى أيد
الله القاضى فصول لا أدرى
بايها أبدأ أبالشوق فهو
أحرى فى الرسم واصدق
على الحال أم بالعتب فهو
أحق بالكتب ام بالشكر
فهو أولى بالذكر ولعمرى
ان شكر المولى هو الاولى
فهلم حتى تسالب سرده
وتقاسم برده أقول جرى
الله هذا الملك السيد أفضل
ما جازى مولى عن عبده
ومخدوما عن خدمه ومنعما

يطوف

يطوف باقداح العوافى على الورى * ويصيح بالخير الكثير يقول

ومما اخترته من نظم الشيخ شهاب الدين بن أبى حجلة وقد تقدم قولى انه كان يرضى بالرخيص لاجل الكثرة قوله

بى من غدا ظهرى عليه المنحنى * ولحظه لحظ ظباء رامه
ثم قلت من عذاره وقد بدا * لى خطه يا كاتب السلامه

وقوله

يقول لى الحبيب أرى عذارى * يدب الحسن من وجهى اليه
تكلم فى وظيفة حسن خدى * وقام بنفسه يسعى اليه

وقوله

وعاذل قد زاد فى لومه * وقال لما هاج بلبالى
بعارض المحبوب ماتنتهى * قلت ولا بالشيب والوالى

وقوله

ياسائلى عن حالتى ما حال من * امسى بعيد الدار فاقد الفه
بى صيرفى لا يرق لحالتى * قدمت من جور الزمان وصرفه

وقوله

أصبحت ما بين الورى * كالواله المصاب
من هجر ذا القبطى الذى * ما كان فى حسابى

وقوله

يقول جارى من بعد جور * وقد راى حرقتى ونارى
دمعك ما شانه ومن ذا * عليك قد جار قلت جارى

وقوله مضمنا

أقول لصب قلبه يشتكى الاسى * هو الحب فاسلم بالحشا ما الهوى سهل
عذلتك فى ابن السكرى والذى أرى * مخالفتى فاختر لنفسك ما يحلو

وقوله مضمنا

قل للهلال وغيم الافق يستره * حكيت طلعة من أهواه بالبلج
لك البشارة فاخلع ما عليك فقد * ذكرت ثم على ما فيك من عوج

وقوله فى غلام يدعى مقبلا

يامن تحجب عن محب صادق * مازال عنه كل حين يسأل
من لى بيوم فيه تقبل بالاقا * ويقال لى هذا حبيبك مقبل

وقوله فى جارية تدعى حكم الهوى

حكم الهوى صدق فبت لاجل ذا * ولهان من فرط الصبابة والجوى
ياعاذلى لا تلحنى فى حبها * نفذ القضا وكذا جرى حكم الهوى

ورأيت غالب مقطعات الشيخ شهاب الدين بن أبى حجلة فى الباذهنج والفانوس ولكن فنختار منها

عن نعمه وأعانه على همة
فلو أن البحر مدده والسحاب
يده والجبال ذهبه لقصرت
عما يهبه حقا أقول ان
التمرة بالبصرة أقل خطرا
من البدرة بهذه الحضرة
ولا أراها تحمل الى المتعجبين
الا تحت الذيل فى جنح
الليل ولا شئ أكثر وجودا
من الدينار بهذه الديار
بينما المرء فى سنة من نومه
لتعب يومه وقصارى همته
قوت ليلته اذ يقرع عليه
الباب قرعا خفيا ويسئل
سؤالا حفيا ويعطى ألفا
خالصا هذا اذا لم تنصره
وسيلة ولم تعصبه فضيلة
فاما أولو الآمال فلا حد
لما يصل اليهم من المال ابتد

ما يحسن نظمه فى هذا السلك فمن ذلك قوله فى فانوس مع حسن التضمين

وكأنما الفانوس نجم نير * منع الظلام من الهجوم طلوعه
أو عاشق أجرى الدموع بحرقة * من حر نار تحتويه ضلوعه

وتقدمه فيه مجير الدين بن تميم فقال وأحسن التضمين

انظر الى الفانوس تلق متيما * ذرفت على فقد الحبيب دموعه
يبدو تلهب قلبه بدموعه * وتعد من تحت القميص ضلوعه

وقال فيه ابن أبى حجلة وأجاد مع حسن التضمين

يحكى سنا الفانوس من بعد لنا * برقا تألق موهنا لمعانه
فالنار ما اشتملت عليه ضلوعه * والماء ما سحت به أجفانه

ويعجبنى قوله مع حسن التضمين

أنا فى الدجا ألقى الهوى وبمهجتى * حرق يذوب لها الفؤاد جميعه
فكأننى فى الليل صب مدنف * كتم الهوى فوشت عليه دموعه

ويعجبنى أيضا هنا قول مجير الدين بن تميم

ابدى اعتذارا لنا الفانوس حين بدا * فى حالة من هواه ليس ينكرها
رأى الهوى مضرما ما بين أضلعه * نار الجوى فغدا بالثوب يسترها

ومن نظم الشيخ شهاب الدين بن أبى حجلة فى الباذهنج قوله مع حسن التضمين

وباذهنج غدا فى الجو منظره * من فوق مخبره يدعو على سكنى
فانظر فديتك يا محبوب رفعته * واستنشق الريح من تلقاه يا سكنى

وقوله

يا باذهنجى كم كذا * تعلو على بان الحمى
أبديت حقا زائدا * ورفعت رأسك للسما

والطف منه قوله مع حسن التضمين

يا باذهنجى لا برحت من الهوى * مثلى على حب الديار مولها
دارى بحبك لم تزل مشغوفة * خلعت هواك كما خلعت هوى لها

وقوله مضمنا

هجا الشعراء جهلا باذهنجى * لان نسيمه ابدا عليل
فقال الباذهنج وقد هجوه * اذا صح الهوى دعهم يقولوا

ومن نكته الغريبة فى باب التورية قوله وكتب به الى ابن الزين المعروف بلبيكم

يا شاعرا قد حاز حسن بديهة * وتطيعه درر النجوم اذا نظم
وتجيبه قبل السؤال لقصده * وتقول يا ابن الزين لبيكم نعم

وقوله وقد قدم الشيخ جمال الدين الى الشام

يا معشر الادبا غدا تشبيبكم * ومديحكم فيما يروق ويعذب
وافاكم ابن نباتة فتفقهوا * أقواله بسكينة وتأدبوا

بخمسة عشر ألفا واتته الى
مائة ألف عرفا بخلاف
وعطاء بغير صرف وحسب
الغريم أن لا يوفى ومن
منع الصدقة فليقل قولا
معروفا وما أجهل ان ذلك
لشيخ ممن احتمل ذلك المال
وما ولكن لا أعرف لنفسى
به جزما وما فائدة خط
يبذل ولسان برهن وتاريخ
يكتب وضمان يقبل ومال
يغرم ولولا الغرامة لم تفد
الزعامة فقبح الله هذا المال
لا من هذا القبيل والقال
على كان بعرمى الآن رددت
اليه خطه وذكرته وعده ألم
يكن فى الرد مندوحة عن
تجاوز الحد أما أنا فليس له
عندى الا الثناء الجميل
لولا الجزيل ولولا الكافر
بن الكافر والعاهر بن
العاهر ابن فلان فى الظاهر

وقوله من ابيات

ومتى امتطيت من الكؤس كميتها * أمسيت عشى فى المسرة را كبا
ومتى طرقت عشى آنس ديرها * لم تلق الا راغبا أو راهبا

ومن قنص شوارد التورية بحبائل فكره الشيخ بدر الدين حسن الزغارى فمن ذلك قوله

قالت وقد أنكرت سقامى * لم ارذا السقم يوم بينك
لكن اصابتك عين غيرى * فقلت لا عين بعد عينك

وقوله

حبست الدمع ثم جعلت جفنى * سياجا ماله قط انفراج
فما زلتم بجوركم الى أن * تجرى الدمع وانخرق السياج

وقوله

قيل لى اذ رأيت اقمارهم * عن بدور السماء الطرف ناهى
اى وجه أضناك قلت دعونى * فسقامى قد صح من كل وجه

وقوله

سل لحتفى كالحسام الصقيل * لحظا حديدا تحت جفن كليل
ثقيل ردف قادنى فى دجا * شعر فقواد وليل طويل

وقوله أيضا

افديه فى الالكن يرمى دائما * وسواد قلب الصب من أغراضه
أطلقت لحظى نحوه فأجابنى * سهم وما عاينت كشف بياضه

وقوله مضمنا واجاد

يقول العاذلون نرى رمادا * على خديه من شعر العذار
فقلت لهم صدقتم غير أنى * أرى خلال الرماد وميض نار

وقوله

فتنت باسمر حلو اللمى * لسلوانه الصب لم يستطع
يقطع قلبى ومارق لى * ودمعى يرق وما ينقطع

ومنه قوله فى مليح بيده قوس حلقه

وبدا العشية أغيد فى كفه * قوس كأنتها سهام جفونه
فسألته البقيا على عشاقه * فنفوسهم مطوية بيمينه

وقوله

وانى كآبك ياخليلى بعدما * حكمت على ببعدك الايام
لكن ارى نار اشتياقى لم تكن * بردا على وفيه منك سلام

ومن نكته الغريبة قوله

أماترى النهر كالحسام غدا * يفصل بين الغصون والورق
وليس فى الجرى مثل صارمه * يشق نحوى مفارق الطرق

والله أعلم بالسرائر وما أشرب قلبه من الطمع فى مالى والتعرض لحق اصفا الغدير بينى وبين أبيه ومن وجد اباه يشكر بنته ولا يغفل بنته ولا يغسل استه ولا يراعى الفرض ووقته ولا يراقب الله ومقته لم يرث اللوم كلالة وان انجلت هذه الغمة وسكنت هذه الامة استعنت بالله عليه وصرفت اعنة الكلام اليه وهو حسبى وبه أستعين والسلام

(وله الى أبى على الحسامى بفرشستان)
ولا تكاد ادام الله عز الشيخ سنة سبع تعمل الاعمال السباع ثم لا تعمل فى اللقاء ما تعمل فى الوداع وكان سنة ثمان سنة آمال

قوله فى الالكن كذا فى النسخ ولم اقف له على معنى مناسب اه

ومن غاياته البديعة في هذا الباب قوله

سرت من بعيد الدار لي نفحة الصبا * وقد أصبحت حسرى من السير ظالعه
ومن عرق مبلولة الجيب بالندى * ومن تعب أنفاسها متتابعه

ومن لطائفه قوله

اعجب ما في مجلس اللهو جرى * من أدمع الراووق لما انسكبت
لم تزل البطة في قهقهة * ما بيننا تضحك حتى انقلبت

ومثله قوله وزاد لطفا بزيادة نكتة أخرى

يا من يلوم في التصابي خلني * فأذني عن الملام قد نبت
تصفية الكاسات في شواربي * أضحكت البطة حتى انقلبت

وتلاعب بهذا المعنى وقال

انا القليل العقل في صرف الذي * أملكه في كلف المشارب
ولم أنل مما أضعته سوى * تصفية الكاسات في شواربي

ومن مجونه قوله

يا صاحبا ما زال من انعامه * لثياب راجيه المؤمل رافي
قد قطعت فرجيتي حتى لقد * ظهر القطوع بها على أكتافي

ومن أتى في دقيق التورية بخاص الخاص الشيخ يحيى الخباز الحموي فمن ذلك قوله

قال عذولي والقوم قد رحلوا * وقصده في مقاله حيفي
اطلق دموعا ما زلت تحبسها * وطلق النوم قلت من عيني

وقوله

لم أنس طيفا زارني وانثنى * عني وقلبي بعده يخفق
وما كفى حتى دموعي غدت * من خلفه تجري وما تلحق

وقوله مضمنا

لئن وعدت بالوصل سلمى وأخلفت * فسلها عسى العذر المبين يقوم
ولا تبدها باللوم قبل سؤالها * لعل لها عذرا وانت تلوم

وقوله

لقد تعشقت فتى سائبا * يبدل الحاضر بالغايب
مدحته جهدي فلم يرتبط * وراح كل المدح في السائب

وقوله

تعذر من أهواه واسود وجهه * ورام وصالي بعد ما لم يكن خلق
وقال حكى صدغي نباتا اجبته * صدقت لهذا عاد يصلح للحلق

ومن لطائف نكته في هذا الباب قوله

قلت لمن ينتف أصداغه * لا تكره الريحان حول الشقيق
واعتق شعور الذقن من نتفها * فانني شيخ احب العتيق

ولم يوجعني العام الماضي بنفسه كما أوجعني برفسه انه لما طلع العام طلع البلاء العام تخبط الاوراق ثم فصل الاغداق ثم كسر الساق ثم قلع الاعراق وأنزل الله علينا من السيل وعلى جزيرة من الصرف كن يعصمني من الماء ويحميني صوب السماء حتى مضى العام فلم يضرني عينه ولم يصبني نابه ولم تخبطني يده فلما كدت أسلم رفضني برجله فقال بيني وبين أحب الناس الي وأعزهم علي وأقربهم لعيني وأشبههم بابوي وأوصلهم ليدي وأحضرهم في الملمات لدي ولم يخلني الله في هذه الحادثة من جميل عادته

ومن لطائف نكته في هذا الباب قوله

اصبحت في العالم اعجوبة * عند ذوي الالباب والفهم
جدي حوى فاسمعوا واعجبوا * وما كفى حتى ابي أمي

ومن لطائفه قوله

عاطنيها من عهد كسرى سلافا * تتقد في الكؤس كالنيران
وابن ماء السماء زوجه راحا * اذكرتنا شقائق النعمان

ومن رقيق اغزاله قوله

لضعف اجفان حبي * بالقتل فينا عتوه
فيالها من جفون * تزداد بالضعف قوه

ومن مجونه قوله

كسبت مملوكا ومن لطفه * يسير باللطف على سيري
سميته خيرا وان يدخل الاير يكن خيرا على خير

ومن مهاجاته مع الشيخ حسن الزغاري المذكور قوله

حسن الزغاري احمق * يابئس من يوافقه
خنقته هجوا وما * للكلاب الاخانقه

ومثله قوله فيه

نبح الزغاري عند نظم موشح * وكمال نظمي بالسفاهة نقصا
فضربته بعصا الهجا الماعوى * فاصبت مصرعه ولم تضع العصا

وقوله فيه

قل للزغاري الذي من جهله * امسى باقوال الاكابر هازي
هذا ابن قرصة قد سمعت هجاءه * من ذا يجيرك من يد الخباز

ومن لطائف الشيخ شهاب الدين الحاجي تغمده الله برحمته في باب التورية ولم أظفر له الا بما قل من مقاطيعه مع انى كثيرا الفحص عنها فانه مايجاري في انسجامه وسهولته ورقته ولطيف تركيبه في هذا الباب قوله

لها عين لها غزل وغزو * مكحلة ولي عين تباكت
وحاكت في فعائلها المواضي * فيالك مقلة غزلت وحاكت

وقوله

وصفت خصره الذي * اخفاه ردف راجح
قالوا وصف جبينه * فقلت ذاك واضح

وقوله

عودوا الصب بكى عليكم * ياجيرة ودعوا وساروا
فدمع عينيه عاد بحرا * وقلبه ماله قرار

وقوله

ولم يخل سهمي من سعادته حيث انزله في جوار النجم وفناء البحر ومناط الملك ومراد الجود ومساق العز ومجال المجد ومقام الدين وجناب العلم ومصاب الغيث وذمار الليث ومن جمع الله له جوار النيرين فقد جمع له صلاح الدارين وكنت على ان اكتب كتاب شكر الى السيدين الملكين المؤيدين ادام الله تمكينهما وجعل التوفيق قرينهما والقضاء معينهما وبسط بالخير يمينهما ثم رأيتني مهتزا لاقائهما مشتاقا الى فنائهما وقد مدت هذه الاسطر وانا عشية الله على اثرها وللشيخ في تعريفي جمل احواله وتفاصيلها رأيه الموفق

لا تبعثوا غير الصبا بتحية * ما طاب فى سمعى حديث سواها
حفظت أحاديث الهوى وتضوعت * نشرا فبالله ما أذكاها

ووقفت له على قصيدة لامية امتدح بها الملك الافضل صاحب حماة كلها غرر فى باب التورية مطلعها

عما جرى من ادمعى لا تسألوا * فدامعى اخبارها تتسلسل

وما أحلى ما قال بعد المطلع

وخذوا حديثا قد ألم بمهجتى * وازداد حتى أهملته العذل

منها

ثانى المعاطف كنت اول عاشق * فى حبه ولكل ثان اول
يرنو فيحلو للمتيم لحظه * اذ ذاك لحظ بالنعاس معسل
وتميل منه شمائل لم ادر من * مشمولة أو حركتها الشمال
متلون الاوصاف سيف لحاظه * ماض ولكن هجره مستقبل

منها قوله واظنه سبق ابن نباتة الى معناه وهو

أيعود لى دهر بطيف خياله * واظنه برجوع ذلك يبخل
أم كيف يأتى الطيف جفنا بابه * بالفتح من اوق الصبا بتمقفل

وقول الشيخ جمال الدين

واقسم لو جاد الخيال بزورة * لصادف باب الجفن بالفتح مقفلا

ومن قصيدة الحاجبى قوله

يا ساكنين السفح كيف حجبتم * عن ناظرى البدر الذى لا يأفل
وفعلتم بى ما يسر عواذلى * ماشئتم يا أهل بدر فافعلوا
لا تحجبوا بينى وبين غزالكم * فعلى مجاز الصد مالى محمل

ومنها وهو المرقص والمطرب قوله

يا صاح عللنى بكاس مدامة * عن ذكره ان المحب يعلل
صهباء ان جن الفتى بخمارها * فهى الشفاء وفى شذاها المندل

ومن لطائفه فى هذا الباب قوله

لم انس ايام الصبا والهوى * لله ايام الصبا والصباح
ذاك زمان مرح والمنى * ظفرت فيه بحبيب وراح

تالله لقد عز على ان تحجب عنى عرائس الحاجبى فى خدور الاوراق فانى لم اظفر من منهله العذب بغير هذه النهلة ومن عروبة الشيخ زين الدين بن العجمى فى باب التورية قوله

سهل الخدود وعز بزوصل من يرم * بوما جفى وجنانه لم يستطع
كم رمت لثم الخد منه فقال لى * لا تطمعن فكل سهل ممتنع

ان شاء الله تعالى (وله الى الشيخ الرئيس أبى الفضل) كان عناء الشيخ فى ان يثير ارضا أو يسقى حرثا أو يشيد بناء أو ينبط ماء أو يعمر طاحونا أو يغرس كرما كان عنائى ان افتق حيلة أو اخلق وسيلة فاذا وجدت من الكريم فرصة لم احتشم ولو خطر بالمال وخطرت بالمروأة لم اغتنم وقد كان تطول عام اول بخط أنا اقتضيه اعادة الانعام به فى هذا العام وقد والله بدرت لكنه زاد الرحيل وخطبه جليل اذا اصبحت عنكم راحلا وثقلت والثقل ليس مضاعضا للمطية الا اذا ما كان قرما بازلا واذا كان الكريم من قد

وقوله

حبي يمين في يمين الهوى * فلا تثق منه بزور المقال
كم قال ما ملت وولى وكم * قد سلب العشاق روحا ومال

وقوله

وافى وفي كمه ورد احمر * حبابه مذشب تحت لثامه
فرشفت حلو الراح من خرطومه * وجنيت ورد الخد من اكمامه

وقوله

انظر الى الغدران كيف تجعدت * امواجها فزهت وراقت منظرا
وحكت سطورا في طروس خطها * قلم النسيم بلطفه لما انبرى

ومن نكت مدائحه البديعة قوله في القاضي شهاب الدين بن فضل الله رحمه الله تعالى

يا عمري الاصل أنت مالكي * ونافعي بجوده دون البشر
اذا رفعت سندي في حكمكم * لنافع لمالك لابن عمر

وقال وقد اهدى له حلاوة وسكب

لفضلك يا قاضي القضاة مزية * على السحب لاتخفى على من له لب
فاول جود الغيث قطر مبدد * وغيث نداك الجم اوله سكب

ويعجبني من زهدياته قوله

عن طريق الذنوب قيدت خطوى * خيفة من عقاب عقبى التجرى
واذا لاح نهج بر تراني * فيه امشي ابغي ثوابي واجري

وقد عن لي ان اورد هنا نبذة له من المواليا فانه كان فارس ميدانها وقائد عنانها فمن ذلك قوله

للحب قالوا معناك الذي اذبلتو * جدلو بقبله فعقلو فيك خبلتو
فقال اقسم لو ان البوس سبلتو * ومات للشرق مادرتو وقبلتو

ومن مخترعات معانيه قوله فيها

حشيش عارضك الاخضر بدا في هدو * في روض وجنتك يحدو للصبابه حدو
والوهم ماضير خدك يارخيم الشدو * الالان حشيشو قد طلع في بدو

وقوله

شدوا المحامل فصرت ساعة التحميل * ملهوف لاحمل يعنيني ولا تحميل
والعين قد حلفت يا بدر في التكميل * لاتكتحل بالكرى ان غبت عنها ميل

وقوله

يامن على الخلق اذيال المكارم جر * وقد سلب نوم اجفاني وعنى فر
يحل لك ان قلبي يا غزير الدر * مالو قرار ودمعي البحر وانت البر

وممن فتح له هذا الوصيد القاضي فخر الدين بن الشهيد رحمه الله تعالى فمنه قوله

بستان حسنك اينعت ثمراته * واما الغصن قوامك المياس

عليه فلا رحني الله ان رحمته وقد جهزت الحاجة في ذل رخيمة الى كف كريمة فان عمل بقضية فضله وزن صداقها وان عمل بقضية تقصيري اسرع طلاقها وله في الامرين ما يراه ان شاء الله تعالى

(وله أيضا)

كأني والتي نقضت غزلها من بعد قوة انكاثا طالق ثلاثا مردودة على اهلها من ورائها البعرة وفي قفائها النعرة الا ترجع الخرقاء أو تطهر العنقاء والله ما نقض الغزل بعد قوة اسخف من نقض عهد واخوة وليس ارش الغزل اذا نقض ارش الفضل اذا رفض ولم يجعل الله اضاعة الصوف كاضاعة المعروف يا ابا

فى صدره رمان نهد زانه * حلى يوسوس فى صدور الناس

وقوله

افدى التى ساقت حروب الهوى * بحسن ساقيها لمشتاقها
جادلت عذالى على حسنها * فقامت الحرب على ساقها

وقوله

قال لاتخش رقيبى فلمن * حبنى فى زورتى أوفى نصيب
قلت ان زرت وحانت غفلة * فبودى وعمى عينى رقيبى

وقوله فى عين بعلبك

ولقد اتيت لبعلبك فشاقنى * عين بها روض النعيم منعم
فلاهلها من اجلها أنا مكرم * ولاجل عين الف عين تكرم

وقوله

قاسوا حماة بجلق فاجبتهم * هذا قياس باطل وحياتكم
فعروس جامع جلق ما مثلها * شتان بين عروسنا وحماتكم

فاجبته فى ذلك التاريخ عن ذلك بقولى

والله ان حماة شامة شامكم * وعروسها بمحاسن متزايده
ودمشقكم بعذارها الثلجى قد * وات شبيبتها وأمست بارده

ومن لطائف القاضى فتح الدين بن الشهيد قوله وقد احضر له عوادا يسمى طاثربغا بسفار الحاجب توكل

نهارى انس كله بمنادم * على عوده يغزو الحشا بتبلبل
وكنت أراه طائرا عز مطلبا * ولكننى حصلته بتوكل

وقال وقد حضر عنده من يلعب بالقانون واطربه

غنى على القانون حتى غدا * من طربه يهتز عطف الجليس
داوى قلوبا من عليل الاسى * وكان فيها من هواها رسيس
فصاحت الجلاس عجبا به * ياصاحب القانون انت الرئيس

ومن نكته اللطيفة التى هو أحق بها من غيره لكونه صاحب ديوان الانشاء الشريف بالشام قوله

كانت فتاتى لنظم بيتى * قرينة برة امينه
بكيتها والحمام قامت * بالسجع فى ندبها معينه
من علم الورق ان سجعى * ليس يؤاتى بلاقرينه

ومن لطائفه وقد جهز لبعض أصحابه رسالة القلب وهى مالا يستحيل بالانعكاس وجهز بعده قوالب سكر

رسالة القلب بها خدمتى * تقدمت فى الزمن الذاهب
وها أنا أرسل من بعدها * قوالب السكر فى الواجب

ـلحسن الحق ثقيل وهو خير
ـاقيل انا الخاطب بالشيخ
والجنون شعبة من شبابك
بالفاضل والفضل وراء
ـبك ولو كان القلب يستخير
الهوى يستشير ولم اكن
ـحب المغرم ولم تكن
ـحب المكرم الكتاب وصل
ـجم هائل ليس وراءه طائل
ـخط مجنون لايدرى الف
ـه من نون وسطور فيها
ـور دبيب السرطان على
ـلطان والفاظ اخلاط
يدركه استنباط ولا يفسره
ـراط هذيان المحموم
هوس الملوم وسوداء
ـهموم وقرأت شطر كتاب
ادر والله عما ذا يعبر
ن أمور سقيمة أو عن

ليعلم المخدوم انى امرؤ * اخدمه بالقلب والقالب

وكتب على عمارة بيته قوله

بنيت على وفق المكارم والعلا * فلا فتح أبوابى وصدرى للضم

سنا الملك يبدو من موشم زينتى * ومن أجل ذادار الطراز على كمى

وكتب على الرفرف

رفعتك ماشاء الترفه رفرفا * أزين سمائى بل أزين سماحى

فلا بدع ان الناس يهوون بهجتى * ويمشون فى ظلى وتحت جناحى

وكتب على مجلس بيته

يا من يتزه فى حسنى نواظره * اسمع صفات بها قد فقت أمثالى

انى مقام مقر عز جانبه * ودون قدر مقامى المجلس العالى

ومن لطائف الشيخ عز الدين الموصلى فى باب التورية قوله رحمه الله تعالى

يقول وقد بدا خراوغصنا * حباه حسنه هيفا بلين

تنشق مسك اصداغى حلالا * فهذا الطيب من عرق الجبين

وقوله

كالزرد المنظوم اصداغه * وخده كالورد لما ورد

بالغت فى اللثم وقبلته * فى الخد تقبيلا يفك الزرد

ويعجبنى من نكته الغريبة قوله

وحاجم فى الكاس أجرى دما * من ساق ساقينا باشفاق

لكنه خالف فى شرطه * وحكم الكاس على الساق

ولعمرى انه تلطف الى الغاية بقوله

اعدى سقام جفونه * جفنى فاعدمنى الكرى

حتى اعتلات بسرعة * مثل النسيم اذا سرى

ويعجبنى قوله فى باب التدبيج

خضرة الصدغ والسواد من العين بياض المشيب قد أورثانى

واحمرار الدموع صفر خدى * كل ذا من تلونات الزمان

وقوله

حديث عذار الحب بادوساقه * له أوجه تبدى لقلبى اشتياقه

درى انتى انسعى الى الحسن كلنا * فابدى لنا ذا الحديث وساقه

وقوله

يا مقلة الحب مهلا * فقد أخذت بثارك

وأنت يا وجنتيه * لا تحرقينى بنارك

وقوله

حديث عذار الحب فى خده يرى * كمسك على الورد الجنى مسطرا

أحوال مستقيمة لاجرم انى ظننت خيره ولم أبعد غيره وجوزت السلامة ولم آمن ضدها وذهبت مع الظن الجميل انفاقا ثم رجعت القهقرى اشفاقا فسألت الله لك المزيد ان كانت سلامة والسلام

(وله أيضا)

لا يزال الشيخ يحمل الى أبا فلان فيما يوليه من رفق باسبابه واعتناء بأصحابه ومايفعل فى ذلك الاما يوجبه فضله ويأتيه مثله ويدعو اليه أصله ومايأتى من الخير الاما هو أهله وحقا أقول لقد عاشرت هذا الفاضل فطابت عشرته

(ى)

فقبلت حتى محوت رسومه * كأن لم يكن ذا الحديث ولا يجرى

وقوله

عينى أفاضت دموعى * من طول صد وبين
ووجنة الحب قالت * رأيت غسلى بعين (ى)

وقوله

عاتبت حبى على تأخره * وقد تعنى بزحمة الردف
فقال هذا الثقيل أخرنى * عن سرعتى لانقطاعه خلفى

وقوله

لحديث نبت فى العذار حلاوة * وطلاوة هاجت بها العشاق
فاذا تجافى المردقات تمهلوا * فاليكم هذا الحديث يساق

وقوله

هجروك البيض لما * نصل الصبغ فضرك
كشف الدهر المغطى * يا جميل الستر سترك

وقوله

ذو حور اصابنى * بعينه لما انتظر فليس قتل صبه * الا كلمح بالبصر

ومن لطائف مجونه قوله

وبى ناتف للعارضين يقول صف * نبات عذار زان فى الحسن منظرى
فناديت يا حلو الشمائل ما الذى * يقول لسانى فى النبات المكرر

وقوله

لما جفا المحبوب ناديته * قابلت حبى منك بالبغض
فعندها نام على وجهه * وقال وجهى منك فى الارض

وكنت اظن ان هذه النكتة اختراع الشيخ عز الدين الموصلى الى أن وقفت على الديوان الكبير من نظم الشيخ جمال الدين بن نباتة فوجدته قد أخذها منه بنصها اللهم الا أن يكون وقع حافر على حافر وقول الشيخ جمال الدين فى هذه النكتة

عاتبت محبوبى وقد نكته * بطعنا فاضحى بخلا مغضى
فقلت در بى وخلى الحيا * فقال وجهى منك فى الارض

ومن لطائف مجون الشيخ عز الدين قوله

قد لقبوا بالزاغ ذا حنكة * كواه ذا التلقيب فى القلب داغ
وهو غراب البين فى شؤمه * لكن اذا جئنا الى الحق زاغ

وقوله فى تمتع الدمشقى

وذى أدب لطيف الذات جدا * طلبت الوصل منه فما تمنع
ودب لاخذ أيرى قلت من ذا * فنادانى باشفاق تمتع

وقوله

ولانت قشرته وواصلت فاحسنت وصالة واجدت خصاله وسألته فأعرب جوده وجمته فاصلب عوده ومانقبت فى الامتحان له عرقا الاجسته ولا نظرا الاقتربته فما اتنى خصله من خصاله الاهى أكبر من اختها حتى حالت الغربة بينى وبينه فكان لى فى الغربة اكبر فى الجد جهدا واطيب فى الغيب عهدا وأتم على البعد ودا ولعمرى ان ود المحضر اخاء واخوة وود الغيبة وفاء ومروة وقد جمع هذا الفاضل حبليهما وراش نبليهما وما خسر على الكرم كريم كما لم يربح

مذ نام اري قال لي * أقم بحظي بالوصول
فقلت فيه قصر * فقال ذا في يطول

ومن عاصر الشيخ عز الدين الموصلي ومشى تحت علم التورية علاء الدين بن ايبك الدمشقي وكان المتعصبون على الشيخ عز الدين يناظرونه به واعمري ان هذه المناظرة ما صدرت عمن له نظر في نكته البديعة قوله وقد اجتمع بمليح في متنزه من متنزهات دمشق يعرف بالسلطاني

سلطان حسن افتديه بناظري * واعيذه من نظرة الشيطان
يوما بزهر اللوز لما زارني * قضيت ذلك اليوم بالسلطاني

وقوله

احببت من حياته وجنته * مشرقة حمرا تشبه اللهب
قالوا الشهيدية اعطافه * فقلت والردف تليل الذهب

وقوله

أقول وقد ظمئت وجه حبي * له عرق على ورد الخدود
أرى ماء وبي ظمأ شديد * ولكن لا سبيل الى الورود

ومن لطائف مجونه قوله

تلطف واحتمل مزح الغواني * وان أوجعن منك الظهر دقا
وجيدك ان يلق الصفع فاصبر * فان الجيد في الدنيا ملقى

ومن نظم الشيخ جلال الدين ابن خطيب داريا في باب التورية قوله

شهدت جفون معذبي بملالة * مني وان وداده تكليف
لكنني لم أنا عنه لانه * خبر رواه الجفن وهو ضعيف

وقوله

تقول وقد أتتني ذات يوم * مخبرة عن الظبي الجموح
يسرك ان أروح اليه أجرى * فقلت لها خذي مالي وروحي

ومن لطائف مجونه قوله

يا معشر الاصحاب قد عن لي * رأي يزيل الحق فاستظرفوه
لا تحضروا الا باخفافكم * ومن تثاقل بينكم خففوه

وقوله

تصفحت ديوان الصفي فلم أجد * لديه من السحر الحلال مرامي
فقلت لقلبي دونك ابن نباتة * ولا تقرب الحلي فهو حرامي

للشيخ جمال الدين رحمه الله تعالى أراد بالسحر الحلال الذي ما وجده في ديوان صفي الدين التورية لا غير وما ذاك الا ان الشيخ صفي الدين كان اجنبيا منها ولهذا لم أنظمه في سلك القوم الذين مشوا في نظم التورية تحت العلم الفاضلي والعلم النباتي وغايته انه رضي بالشعر الساذج المنسجم وتعرض للتورية في بعض المواضع ولكن سبكها في غير قالبها لانه لم يكن في طباعه ويأتي الكلام على ذلك في موضعه ان شاء الله تعالى ومن نظم الشيخ جلال الدين غفر الله له

على الزوم لتيم وان يبذل الخير في القياس ولا يذهب العرف بين الله والناس اعان الله على تأدية فرضه وقضاء الواجب او بعضه ان شاء الله تعالى

(وله ايضا)

اين تكرم الشيخ العميد على مولاه وكيف معدلته الى سواه ابقصر في النعمة لاني قصرت في الخدمة اذا قد اسأت المعاملة ولم تحسن المقابلة وعثرت في أذيال السهو ولم ينعش بيد العفو ام يقول ان الدهر فيما بيننا خدع وفيما بعد متسع فقد ازف رحيلي ولا ماء بعد الشط ولا سطح وراء

والمعنى فى مراده ومفهوم قوله

ذكر المصطفى ثلاثين دجا * لايجيئون فى قيام الساعه
فيهم اعور وقد صح بالبر * هان أن جا كواحد من جماعه

ويعجبنى قوله فى آثار النبى صلى الله عليه وسلم

ياعين ان بعد الحبيب وداره * ونأت مرابعه وشط مزاره
فلقد حظيت من الزمان بطائل * ان لم تريه فهذه آثاره

ومن لطائف شمس الدين بن المزين فى باب التورية ما انشدنيه من لفظه لنفسه

مدير الكاس حدثنا ودعنا * بعيشك من كؤسك والخبيث
حديثك عن قديم الراح يغنى * فلاتسقى الانام سوى الحديث

وانشدنى من لفظه لنفسه أيضا

ومليح لالاء يحكيه حسنا * فهو كالبدر فى الدجى يتلالا
قلت قصدى من الانام مليح * هكذا هكذا والا فلا لا

ومن نكته اللطيفة قوله

قلت للاحدب لما * ان رأى الوجد علانى
أنا ابقى بوجدى * قبلك يا احدب فانى

وقد تقدم القول ان النكتة فى التاجر استحقها الشيخ جمال الدين ابن نباتة على الصلاح الصفدى وعلى زين الدين الوردى وهى

وتاجر اسكرنى طرفه * والكاس فيما بيننا دائر
وقال لى سر لذقات اسقنى * جهرا على عينك ياتاجر

ومن نكته المخترعة قوله

شاب ورد الرياض من * ورد خديك وانفرك
فله الناس اثبتوا * وانتفى الورد للكرك

ورسم الجوبانى وهو اذ ذاك كافل المملكة الشامية لفضلاء دمشق ان ينظموا له مايكتب على اسنة الرماح فنظم القاضى فتح الدين بن الشهيد

اذا الغبار علا فى الجو عثيره * فأظلم الجو مالشمس أنوار
هذا سنانى نجم يستضاء به * كأنه علم فى رأسه نار
ان الرماح لاغصان وليس لها * سوى النجوم على العيدان أزهار

ونظم مولانا قاضى القضاة صدر الدين بن الآدمى نور الله ضريحه وكان اذ ذاك فى عنفوان شبابه ومبادى نظمه

النصر مقرون بضرب اسنة * لمعانها كوميض برق يشرق
سبكت لتسبك كل خصم مارق * وتطرقت لمعاند يتطرق
زرق تفوق البيض فى الهيجاء اذ * يحمر من دمها العدو الازرق
ينسجن يوم الحرب كل كتيبة * تحت الغبار فنصرهن محقق

الخط أم ينتظر سؤالى وانما سألته يوم أملته واستمنحته حين مدحته واقتضيته وقت اتيته واتبعت سحابه لما أتيت بابه وليس كل السؤال اعطى ولا كل الرداء عفى ام يظن انى أرد صلته ولا البس خلعته وهذه فراسة المؤمن الا انها باطلة وتخيلة العارف الا انها فاسدة ام ليس يجد فى مكانا للنعمة يضعها وارضا للمنة يزرعها فلا اقل من تجربة بدفعة والمخاطرة بانفاذ خلعة ليخرج من ظلمة التخمين الى نور اليقين ولينظر أأشكر ام اكفر

ولعمري ان الشيخ شمس الدين بن المزين تطاول برمحه على أقرانه في ذلك العصر بقوله

أنا أسمر والراية البيضاء لي * لا بالسيوف وسل من الشجعان

لم أحل في عيش العداة لانني * نوديت يوم الجمع بالمران

واذا تعانقت الكماة بجحفل * كلمتهم فيه بكل لسان

فخالهم عنا تساق الى الردى * قهر المعظم سطوة الجوباني

وكتبت من حماة المحروسة حسب ما رسم لي به قولي

أنا في الخط ان تحمر نقطي * فكتابي مقاتل الفرسان

وقوامي اذا انثنى ففرد * ماله في تفرق الجمع ثاني

وسناني كالبرق بل صارمنه * قلب سيف البروق في خفقان

رمحه للردين ينسب لكن * صاح لما علاه بالسنان

ومن اغراض الشيخ شمس الدين المزين اللطيفة قوله

حل الدواة فرمتها * منه مرامة عاشق

قالت اذن ما أنت يا * قلم الديار بلائق

ومن لطائف مجونه قوله

سلما لي اضافنا * ابنا ماله ثمن

بيض الله وجهه * كما جاء باللبن

ومن مقاطيعه التي سارت لديها الركبان قوله

أنا دواة يضحك الجود من * بكا يراعي جل من قدبراه

دلوا على جودي من مسه * داء من الفقر فاني دواه

ومن اغراضه اللطيفة قوله

نزلنا بالقصير فرام قلبي * مليحا بالعذارى الغيد أزرى

فلما ان تعذر مال عنه * فؤادي والجوانح نحو عذرا

ومن مدائحه المخترعة ما أنشده لشيخنا ومولانا قاضي القضاة علاء الدين بن القضامى الحنفي نور الله ضريحه وقد مر على دمشق متوجها الى الحجاز الشريف في محفة قوله

محفة المجلس العلائي * تنشر جدواه في المشاهد

تقول هذا فتى واعطى * وحج بالناس وهو قاعد

وأمر ابن المزين ان يكتب على قبره من نظمه ما قرأته على القبر وحفظته وهو قوله رحمه الله

بقارعة الطريق جعلت قبري * لاحظى بالترحم من صديق

فيا مولى الموالي انت أولى * برحمة من يموت على الطريق

ومما قرنته للشيخ شرف الدين عيسى العالية في باب التورية قوله رحمه الله تعالى

لما رأوه مضاجعي تحت الدجا * هبوه عن عيني حتى اسهرا

ام يتوقع صاعقة تملكني او داهية تهلكني فهذا أمل موفر لان شيخ السوء باق مستمر ام يقصد وأنى أشكره اذا اصطنع واعذره اذا منع وبالله لو كنت بنبوع المعاذير ما حظي مني بجرعة فلو حظي بشرعة ام يرجو اني أمهله حتى اعود من هراة والشيطان اعقل من ان يوسوس اليه بهذا او يسول لدي ذلك وانا الى الشيخ العميد وردت وعن هؤلاء القوم صدرت وقد فعلوا فوق مقدارهم ودون ما قدرت فليحسبني من الفعل تذكرة او من القوم معذرة وليصرف على أمره ونهيه بهراة يشرف فيها ان شاء الله تعالى

قبلت خالا فوق كعبة خده * قبل الوداع وما أتيت المشعرا

وقوله

ومليحة راودتها فتعللت * بالحيض وهي تقول كالمذعور

هل موضع خال فقلت لها اسكني * فمواضعي ليست تعد ودوري

ومن لطائف مجونه قوله وهو حكاية حاله

قالت لي القحبة قم دفني * حتى ادفيك بقلبين

قلت لها بالله ما تشتهي * قالت غشا قلت على عيني

ومن مجونه مع الشيخ بدر الدين البشتكي

البشتكي المكدي * ذوابة ليس تخفى

قدمته للنيك رجلا * وللغلا تي كفا

وقوله

ايا معشر الصحب مني اسمعوا * مقالي وكس أم من يتذكى

الا فالعنوا آكلين الحشيش * وبولوا على شارب البشتكي

وقوله

البشتكي البدر له لحية * كلحية الراهب مشعوره

قال أما أشعر هذا الورى * قلنا له فاستعمل النوره

ويعجبني من مدائحه قوله

تهنا بنصف كم به من حلاوة * وجدلي بفضل لا يضيع ثوابه

فان لساني صارم وفمي له * قراب وارجو أن يحلي قرابه

ومن شعر عيسى في مؤلفه من قصيدة

صبيغ دعاويه ما تنقضي * ويخطئ في القول لا يشعر

تفكرت فيه وفي ذقنه * فلم ادر أيهما احمر

وقوله

ايا رب الجناب الرحب جدلي * وكثر في العطاء ولا تقلل

وما تعطيه لي من خشكنان * نهار العيد كبر أو فهلل

وقوله

لفضلك يا ابن فضل الله أشكو * برأسي البرد في يومي وامسي

وارجو أن يكون الشاش شمسا * اروم الفوز من برد بشمس

الشيخ شرف الدين عيسى وعصريه الشيخ شهاب الدين بن العطار الا في ذكره رحمهما الله تعالى والشيخ بدر الدين البشتكي لم اجد في اغزالهم من المقاطيع ما يغازل بغزله عيون التورية ولكن وقفت لهم على اغراض هي فوق الغرض فمن ذلك قول الشيخ شهاب الدين بن العطار

اصبحت بطال والاولاد اربعة * محمد وثلاث موتهم يجب

(وله ايضا)

هذا القاضي انا عنده في المنزلة أقل من شئ المعتزلة فسأل الله رأيا يسدد وسترا يمد ووجها لا يسود واما فلان فلا اشك ان كتابي يرد منه على صدر يحيى اسمه من صحيفته ونسى اجتماعنا على الحديث والغزل وتصرفنا في الجد والهزل وتقلبنا في اعطاف العيش بين الوقار والطيش وارتضاعنا ثدي العشرة اذ الزمان رقيق القشرة وتواعدنا ان يلحق أحدنا بصاحبه اذا انس الرشد في جانبه وتصافحنا من قبل ان لا يصرم الحبل وتعاهدنا من بعد ان لا ينقض العهد

فان تحيل فى رزق بعد حكم * ابو محمد البطال لاعجب

ومن ايهامه فى هذا الباب قوله

طلبت د زفاقيل رح ناظرا * بجبوش سيش قلت وأى تعيس

لوان ذى الحكام فى سلطنة * ما طلبوا انى ابقى بسيس

وقال فى الشيخ شرف الدين عيسى المذكور

عيسى ومن مدحوه * ماشمت فيهم رئيسا

وما رأيت اناسا * لكن حميرا وعيسا (وعيسى)

وقوله فى طاهر بن حبيب

تجادل شافعى مع مالكى * وهذا البحث بين الناس ظاهر

فقال الشافعى الكلب نجس * وقال المالكى الكلب طاهر

ومن لطائف مجونه قوله

هيأ البلان موسى * خلوة تحيى النفوسا

قلت ما اصنع فيها * قال تستعمل موسا (موسى)

ومن محاسن الشيخ جمال الدين عبد الله السوسى فى باب التورية قوله

اهوى غزالا عليه صبرى * قد بان فى الحب وهو عذرى

فاذا اسرت مقلتاه قلبى * فرحت مملوكه بأسرى

وقوله

تهاون شمس الدين بى وهو صاحب * وأظهر لى أضعاف ما تظهر العدا

نزلت به ابغى الندا وهو طالع * وعند طلوع الشمس يرتفع الندا

وقوله

زجرت النفس عن نذل لئيم * اقرعو عدى غلطا وأنكر

وقد ذكرته عنه مرارا * وهيهات المؤنث لا يذكر

وقوله

تجنب اقطعا لصابريا * يحن الى الجناية كل ساعه

وما قطعوه بعد الوصل الا * ارادوا كفه عن ذى الصناعه

وعن محاسن الصاحب فخر الدين بن مكانس فى باب التورية قوله

بابى عقيقة مرشف * برت وكانت قبل عقت

قبلتها ورشفتها * وقطعتها من حيث رقت

ومنه قوله

يقول مفندى اذ همت وجدا * بخد خلت فيه الشعر غلا

ايعرف خده للعشق اهلا * فقلت لهم نعم أهلا وسهلا

وقوله

زارت معطرة الشذا ملفوفة * كى تختفى فابى شذا العطر

وهل ذا كر من كان اقرب عهده ثلاثين شهرا او ثلاثة أحوال

(وله فى نقض قصيدة أبى بكر الخوارزمى)

سألت أمتع الله بك عن الخوارزمى وشعره وقلت انى لا اجد فيه بيتا لو رؤى فى المنام لاوجب الغسل حسا ويعده بيتا اذا اسرد بنقض الطهارة حسا ولعمرى ان هذين البيتين لو كان تبتين ما انبتنا فى أرض او غرتين ما جنيتا من غصن فكذلك اذا كانا شعرين يبعدان يصدرا عن صدر او يطبعا من طبع أو يصبا على قالب قلب او يكونا نفسى نفس فقد يعن الشاعر ثم يفث ويجيد

يا معشر الادباء هذه وقتكم * فتناظروا في الهجو والنشر

وقوله

علقتها معشوقة خالها * اذ همها بالحسن قد خصصا
يا وصلها الغالي ويا جسمها * لله ما اغلى وما أرخصا

وقال واجاد

ان الهوى إني يا معشوق قد عبثا * بالروح والجسم في سر وفي علن
فالروح تفديك بالممدود قد تلفت * والجسم حوشيت بالمقصور في كفن

وقوله مضمنا

ومقلة تلي برشق القلب سهمها * ولكنه رشق يزال به الهم
على نفسه فليبك من ضاع عمره * وليس له منها نصيب ولا سهم

وقوله

عارض المحبوب من فوقه * قد حشاه الخد فاتن
شبه ورد زاد لطفا * حول ماء غير آسن

وقوله في مجونه مضمنا

قلت يا لائمي على بذل مالي * في هوى الحب دع كلام القشار
فعلى فلس ذا يناح ويبكى * لا على درهم ولا دينار

وقوله

شكى الى اليم اذ نكته * مراهق فيه ملاحة كى
بت اسليه على يتمه * وكلما سليته يبكى

وقوله

سكر الشيخ وطابا * واشتهى الشيخ شبابا * حسب الخمرة صابا * وجد الراح شرابا

وقوله يمازح السراج السكندري وقد انقطع عنه

قل للسراج اذا تكبر شرحيث بالقوم احتمى * انت السراج بعينه * لو شلت انفك للسما

ومثله قوله فيه

يا ذا السراج اشترى أبرى فانت به * أولى وذلك للحق الذي وجبا
سكندرى وتدعى بالسراج وذا * مثل المنار اذا ما قام وانتصبا

وقال في الصاحب بن الشو الوزير وقد انشأ سبيلا بالجامع العمري

انشا القطيم النشو لما ارتقى * وزارة زادته في وزره
بالجامع العمرى سبيلا وقد * قال لنا عنه بنو مصره
هذا سبيل حاله فاسد * وزيره يرشح من قعره

ومن اغراضه البديعة قوله

لولا الزمان للصال قابل * ما سلسلوا ما اطلق كل جدول
واصبح الدولاب في رياضه * يقول بالدور وبالتسلسل

القائل ثم يرث ولكن لا كما تراه في شعر أبي بكر وما كنت لا كشف تلك الاسرار واهتك هذه الاستار واظهر منه العار والعوار لولا ما بلغنا عنه من اعتراض علينا فيما املينا وتجهيز قدح علينا فيما روينا من مقامات الاسكندري من قوله انا لا احسن سواها وانا نقف عند منتهاها ولو انصف هذا الفاضل لراض طبعه على خمس مقامات أو عشر مفتريات ثم عرضها على الاسماع والضمائر وأهداها الى الابصار والبصائر فان كانت تقبلها ولا تزجها أو تأخذها ولا تمجها كان يعترض علينا بالقدح وعلى املائنا

ومن اغراضه الغريبة قوله فى ولده مجد الله بن فضل الله رحمهما الله تعالى

اری ولدی قد زاده الله بهجة * وكمله فى الخلق والخلق مذ نشا
سأشكر ربى حيث اوتيت مثله * وذلك فضل الله يؤتيه من يشا

ومن بدائع امداحه قوله فى الشهيد فخر الدين نقيب الاشراف رحمه الله تعالى

جناب فخر الدين كهف الورى * دامت له النعماء لا تنقضى
فهو الشريف الحسن المرتضى * وخلقه ذاك الشريف الرضى

وقال يمدح الامام المرتضى على بن أبى طالب كرم الله وجهه

يا ابن عم النبى ان اناسا * قد تولوك بالسعادة فازوا
أنت للعلم فى الحقيقة باب * يا اماما وما سواك مجاز

ويعجبنى من حسن خواتمه قوله

واسوأتاه اذا وقفت بموقف * مالخلاصى فيه سوى الاقرار
وسواد وجهى عند أخذ صحيفتى * وتطلعى فيها شبيه القار (ى)

ومن محاسن ولده مجد الدين بن فضل الله تغمده الله برحمته قوله

واغيد بت منه * بنار عشقه اقلى
ربى من اللحظ سهما * به غوت وتبلى (لا)

وقوله

قالوا وقد عبثت بنا * قاماتهم والاعينا
ان رمت تلقانا فلج * بين السيوف والقنا

وقوله

يقولون هل من الحبيب بزورة * ومنا كم المطلوب قلنا لهم منا
فقالوا الناغوصوا على قده وما * يحاكى اذا ما اهتز قلنا لهم غصنا

وقوله

بحق الله دع ظلم المعنى * ومتعه كما يهوى بأنسك
وكف الصد يا مولاى عمن * يومك رحت تهجره وامسك

وقوله

قال خلى لحبيبى صل فتى * بك قد أضحى معنى مغرما
قال هل يوما ان واصلته * قلت ان فاز بثغرا ولما

وقوله

يا لائمى ان فقدت الصبر فى قمر * اصداغه سلبت اهل الهوى وسبت
كانت سيوف اصطبارى عنه حين بدا * آس العذار على وجناته ونبت

وقوله

من مجيرى من سادة الفوا الهجـــر لمشاقهم وزادوا النفارا
سال الدمع ان يجيروه قالوا * مثل هذا فى حينا لن يجارا (ى)

بالجرح او يقصر سعيه ويتداركه وهنه فيعلم ان من اصلى من مقامات الكذبة اربعمائة مقامة لامناسبة بين المقامتين لا لفظا ولا معنى وهو لا يةدرمنها على عشر حقيق بكشف عيوبه والسلام

(وله تجاوز الله عنه اليه)

اجد بالشيخ السيد وجدا يقض المظام وينقض النظام اذكر تلك الاخلاق الكرام وتلك الشيم الحسان وتلك الليالى القصار وما كنا نتجاذبه من حديث ونتنازعه من جدال فاتصدع ذفرات وانقطع حسرات وأموت

ومن اختراعاته اللطيفة

تسامر مناشذى أزهار روض * فحير ناظرى فيه وفكرى
فقلت نبيعك الارواح حقا * بعرف طيب منه ونشر (ى)

ومن اغراضه اللطيفة قوله

سمعة الذى تقلم يهيج من البغا * و يشير فى هجو الكرام هجاجا
اقصيته عنى فظل يسبنى * ومنعته ابرى فذم وهاجا (ى)

ومن مدائحه يهنى والده بعوده من السفر

هنئت يا ابتى بعودك سالما * وبقيت ما طرد الظلام نهار
ملئت بطون الكتب فيك مدائحا * حتى لقد عظمت بك الاسفار

وقال فيه أيضا وقد أهدى له هدية حسنة

تناهيت فى برى الى ان هديتنى * ولولاك كنت الدهر فى الغى ساريا
وأهديت لى ما حير العقل حسنه * فلازلت فى الحالين للعبد هاديا

ويعجبنى من زهدياته قوله

جزى الله شيبى كل خير فانه * دعانى لما يرضى الاله وحرضا
فأقلعت عن ذنبى واخلصت تائبا * وامسكت لما لاح لى الخيط أبيضا

ومن كلام الشيخ ابى الفضل بن ابى الوفاء العارف الذى دخل بحسن سلوكه الى زوايا الادب فاخرج منها الخبايا وأظهر البرهان تغمده الله برحمته قوله

عبدك الصب المعنى * عرف الفقر وذاقه
فلكم فاخر محبا * جاشكا فقرا وفاقه

ومن مخترعاته فى باب التورية مع بديع التضمين قوله

ما خادم واسمه فى در مبسمه * الا اغن غضيض الطرف مكحول
وريقه مع ثناياه التى انتظمت * كأنه منهل بالراح معلول (مع لولو)

ومن اختراعاته قوله

على وجنتيه جنة ذات بهجة * ترى لعيون الناس فيها ازاحا
حمى ورد خديه حماة عذاره * فيا حسن ريحان العذار رجاحا (حمى حمى)

ومثله قوله

ارسلت عينى بدمعيهما * بين يدى من قد تمادى جفاه
أسأله فى لمه قبلة * فلم يبلاه ولم يعطفاه (يعطفاه)

ومثله قوله

سالتها رشف ريق * مستعذب الطعم حلو
قالت فصفنى ارتجالا * فقلت بعد التروى

ومن لطائف نكته فى هذا الباب قوله

ازداد خدك شعرا * فازداد قلبى حبا

كل بمات فسقى الله عهده
عفو السحاب وجهده
والعزا الله فى اجتماعنا وعده
فما أقبح عيشى بعده وشتان
ما حالى ولبسى وارتضاه
بنت بعيش ناصب فى عذاب
واصب وخرج فاستراح
من فسولى واصحت سماؤه
من غيومى ومصائب قوم
عند قوم آخرين فوائد
وقد جعلت الشيخ أبا فلان
ولى عهدى فى خدمته
وأقمته مقام نفسى فى
ضمان نعمته ولبثه
خلافتى فيما كنت أتولاه
من مجلسه الا التجميل
فانه لا يبلغ كنه مقداره
وليس ذلك من شأنه واسأل

اذ كان ورد لك جرى * فيه فصار مربى

ومن لطائفه قوله

الا لا تلوموني فلست بمقلع * اذا اصدرت من كأسها الراح في حلق
سآوي الى بحر من الخمر مترع * احط المراسي عنده فاملى واسق (وسق)

وقوله

ذكرك لي في اللوم مستحسن * واللوم عندي غير مستحسن
كم قلت للمعرب في لومه * ان جئت نحوي قط لا تلحن (لى)

ومن لطائف مجونه مع حسن التضمين

وخل سمته صفعا بحال * فقال تواز عوه يا صحابي
اذا الحمل الثقيل توازعته * اكف القوم هان على الرقاب

ومن اغراضه قوله

تعنت دهر لج فينا بخطبه * وذللنا من بعد عز وأمكانا
قسا واتنى يختال في جبروته * وجر اذيالا علينا واردانا

وانشدني من لفظه لنفسه الشيخ شمس الدين المتبني قوله في مليح اسمه حمزة

ترى يدري لحمزة بعض مابي * ويرثى لي ويتطرف بلائي
واشفى بالمبرد من لماه * واجمع بين حمزة والكسائي (ى)

ومن لطائف علامة الوجود فريد الدهر بدر الدين بن الدماميني المخزومي المالكي قوله

قلت له والدجا مولّ * ونحن في مجلس التلاقي
قد عطس الصبح يا حبيبي * فلا تشمته بالفراق

وقوله

يقول بديوان المحبة وردوا * محاسن حبي فهو في الحسن مفرد
فوردت في الديوان عامل قده * فقال وذاك الخد قلت مورد

وقوله

وبي وجنة حمراء زاد صفاؤها * وأبدت صفات أبدع الحسن كونها
فدع لائمي ينهى عن الحب جهده * فما أنا بالسالي صفاها ولونها (نهى)

وقوله

يا عذولي في مغن مطرب * حرك الاوتار لما سفرا
كم تهز العطف منه طربا * عندما تسمع منه وترى (ا)

وقوله

اذاب احشائي هوى صائغ * قلت له والقلب رهن لديه
انى على فيك أرى خاتما * فهل ترى يقعد نقشي عليه

وقد زاد النكتة حسنا بقوله

بدا وقد كان اختفى * وخاف من مراقبه

الشيخ السيد ان يتطول عليه بصفى ويحفظ ما بينه وبينى ويتعوله دائبا ولا يعرض عنه جانبا ويمكنه من بساطه كل وقت ويضمه بجملته ويمتع سمعي بشارته ويظهر على صفحات حاله آثار افضاله ويشرفني كل وقت باوامره ونواهيه ان شاء الله تعالى

(وكتب اليه رقعة أخرى) كان أيد الله الشيخ العالم بين أمير بن خلاف كصدع الزجاج وشريطي السكون ولا مكاتبة ولا مجاملة وانبعث رجل طالب فضل بكتاب من ومن احدهما الى الآخر يسأله فيه العناية بوصله فتعجب

فقلت هذا قاتلي * بعينه وحاجبه

وقوله

امنيـــتى انت يامليح * مامثله فى الزمان ثانى
فكيف تبدى جفاك خوفا * وأنت فى غاية الامان (فى)

وقوله

وعـزيز الجمال او حب ذلى * وهواه عـلىّ اصبح فرضا
فهو فى الحسن والجمال سماء * صرت ياصاح منه بالذل أرضا (ضى)

وقوله

تناسبت أوصاف من وصله * ينفى عن القلب جميع الكرب
فى الخد تسهيل ومن ثغره * يطيب للصب ارتشاف الضرب

وقوله

لاماء ذاريك هما أوقعا * قلب المحب الصب فى الحين
فجد له بالوصل واسمح به * فقبلك قد هام بلا مين

وقوله

قلت لعطار به صبوتى * محمودة والصبر لايستطاب
اسقيتنى كاس غرام به * ذبت ومن فيك برانى الشراب

وقوله

لله منه ملثم اشنب * قد طاب فيه العشق للمغرم
قلت لعذالى لاتعجبوا * طيب الهوى مازال فى الملثم

وقوله

فى ليلة البدر اتى * حبى فقرت مقلتى
وقال لى يابدر قم * فقلت هذى ليلتى

وقوله

قم بنا نركب طرف اللهو سبقا للمدام
واثن ياصاحى عنانى * لكميت ولجام (ى)

المكتوب اليه وخيره بين العفو عنه ولاصله او يعرف الحال فان كان صادقا فله حكمه وان كان كاذبا فدمه فاختار المزور تعرف الحال فكتب الى وكيله هنالك ان يعرف الامر فى ذلك فقد خبرت موصل الكتاب بين حكمه واراقة دمه فتعرف الحال فقال الامير لندمائه ماترون فى هذا الرجل فقال احدهم يضرب وقال الآخر يصلب فقال الامير اوخيرا من ذلك انى اصدقه ليعطى حكمه فلا نعدم مكرمة اومثوبة فصدقه هذا الامير وخيره ذلك الامير

ومن اغراضه اللطيفة قوله

أقول لخل جن من فرط ماله * ورابى فأسقى الناس كأس عذاب
صفاتك ياهذا العمرى تناقضت * فانك ذو مال وانت ترابى

ومن مدائحه ما كتب به الى قاضى القضاة ناصر الدين التنيسى قوله

قد نلت ياقاضى القضاة مطالبى * بكنوز جود منك أورثت الغنى
واخافنى الدهر الظلوم فـذرآ * نى داعيا لجناب جودك آمنا

ومن مدائحه فيه قوله وقد ولاه وظيفة العقود فى مبادى العمر

ياحا كما ليس يلقى * نظيره فى الوجود

قوله فى الملثم هو فى النسخ بالشاء وبها تتم التورية والمعروف فى الريح التى تهب من ناحية الشمال الشاء وعليه فلا تورية اه

قد زدت فى الفضل حتى * قلدتنى بالعقود

وكتب الى برهان الدين الحلى

يا سريا معروفه ليس يحصى * ورئيسا ذكا بفرع وأصل
منعلا فى الورى محالك عزا * قلت هذا هو العزيز المحلى (ى)

وكتب الى شهاب الدين البارقى

قل للذى أضحى بنظم حاتما * ويقول ليس لجوده من لاحق
ان قسته بسماح أهل زماننا * اخطا قياسك مع وجود الفارق (ى)

و يعجبنى من اغراضه البديعة قوله

لئن عقدت بنت الكروم عقودها * على حل نفى الهم والهم زائد
فنحن شهود فى المقام لعـقدها * على أولياء اللهو واللوز عاقد

ومن لطائف مجونه قوله

أمنت صدوده فدنوت منه * على مهل بشئ زاد حسنا
وعاجلنى الرقيب فخاف أيرى * وانزل اذ رأى خوفا وامنا (امنى)

ومما اختاره سيدنا الشيخ العالم العلامة ابو الفضل احمد بن حجر العسقلانى روى الله من سحائب الرحمة ثراه من نظمه لنفسه رحمه الله تعالى فى باب التورية ورسم لى ان يكون واسطة لهذا العقد وكتب ذلك بخطه الكريم فى كراسة واتحف بها العبد لا نظمها فى عقود هذه الاسلاك وكتب فى ديباجة الكراسة قوله

يا سيدا طالعه * ان راق معناه فعد
وافتح له باب الرضى * وان تجد عيبا فسد

وقوله

سالت من لحظه وحاجبه * كالقوس والسهم موعدا حسنا
ففوق السهم من لواحظه * والقوس الحاجبان واقترنا (وقترنا)

وقوله

سألوا عن عاشق فى * قمر بادسناه * اسقمته مقلتاه * قلت لا بل شفتاه

وقوله

أتى من أحبائى رسول فقال لى * ترفق وهن واخضع تفز برضانا
فكم عاشق قاسى الهوان بحبنا * فصار عزيزا حين ذاق هوانا

وقوله

ضنيت جوى فواصلنى حبيبى * وعاد الى الجفاء فعاد ما بى
فقلت اعد وصالا قال كلا * فها أنا ذبت من رد الجواب (الجوى بى)

وقوله مع بديع الاقتباس

خاض العواذل فى حديث مدامعى * لما رأوا كالبحر سرعة سيره
فحبسته لاصون سر هواكم * حتى يخوضوا فى حديث غيره

فاختار أن زوجه ابنته وصلحت الحال بين الاميرين وجلب ذلك التزويج صلاح ذات البين وقد زورت على الشيخ تزويرا آمل أن ينفعه الله به فى الدارين وغدا اعترفها الحديث ان شاء الله تعالى وان أحب ان يعرف الحديث فوصلها على علم والسلام

(وله أيضا)

امـثل مثلى مع الشيخ الامام مثل التاجر مع ولده اذ جوزه من بلده بما أصحبه من مال وقال يابنى انا زان وثقتى بامانة عقلك وطهارة اصلك لست آمن عليك النفس وسلطانها والشهوة وشيطانها فاستعن عليهما نهارك بالصوم وليلك بالنوم انه

وقوله

ياعاذلى وسهام اللحظ ترشقنى * عن قوس حاجب بدر خده قبسى
ان تستطع انجاتى فى الهوى سببا * فاستنبط السلم لى من اسمهم وقس (قسى)

وقوله

ولم انس اذ زار الحبيب بروضة * فغارت من المعشوق أعينها المرضى
ولاحت بخد الورد حمرة خجلة * حياء رأينا طرف نرجسها غضا

وقوله

يامبدعا فى حسنه واصل اخا * همت له عام وما واصلتا
فقال هل صيف فى مشتاته * قلت نعم وفى هموم شتى

وقوله

محبوبتى واصلتنى * والهم عنى تشتت
وذاب قلب حسودى * لما وفت وتفتت

وقوله

احبب بوقاد كنجم طالع * انزلته برضى الغرام فؤادى
وانا الشهاب فلا تعاند عاذلى * ان ملت نحو الكوكب الوقاد

وقوله

نحن أهل الهوى بلوناه قدما * بين خوف من أهله وأمان
وشربنا خمر الهوى كل حين * بكؤس قد أترعت وأوان (نى)

وقوله

ورشا مذنشا وعينا التصابى * بعدما كان ذا اشتباه علينا
وجهلنا الغرام حتى أرانا * منه تحت اللثام خدا وعينا

وقوله

سرت وخلفتنى غريبا * فى الربع أصلى جوى بنارك
اغث حشا احرقت غراما * فى ربعك المعتلى ودارك

وقوله

وبدرتم جميل * محجب بالدلال
اذا هممت بانى * اسلو هواه بدالى

وقوله

نهانى حبيبى ان اطيع عواذلى * لكى أنتهى بالوصال الذى سرا
فقلت فدتك النفس سمعا وطاعة * فلم ار نهيا منه اهنى ولا أمرا

وقوله

واهيف حيانى بطيب وصاله * ومن ريقه الخمر الحرام حلالى
ادار لى الكاسين خمرا وريقة * ونزهنى عن جفوة وملال (لى)

لبوس ظهارته الجوع وبطانته الهجوع وما لبسه أشر الالات سورته أفهمتها ياابن المشؤمة ستحدثك النفس بمعنى اسمه القرم وتخبرك السفهاء عن شئ يقال له الكرم وقد جربت الاول فوجدته اسرع فى المال من السوس ونظرت الى الثانى فوجدته أشأم من البسوس ودعنى من قولهم أليس الله كريما بلى ولكن كرمه يزيدنا ولا ينقصه وينفعنا ولا يضره ومن كانت هذه حاله فلتكرم خصاله فاما كرم لا يزيدك حتى ينقصنى ولا يريشك حتى يبرينى فخذلان لا أقول عبقرى ولكن بقرى انه المال عافاك الله فلا

وقوله

تجرّد من احب فقال لى من * يلوم واظهر الحسد المكتم
اجادلك الحبيب بلمس جسم * لمكالخزقات ثم وأنم

وقوله

تيه فلان الدين مع فقره * اقوى دليل أنه جاهل
اثوبه بالصقل من فوقه * فعاقع ماتحتها طائل

ومن اغراضه اللطيفة قوله

اشكو الى الله مابى * وماحوته ضلوعى
قد طابق السقم جسمى * بنزلة وطلوع

وقوله وهو مما كتبه على مجموع الكرمانى

نظرت لما سطرته من فوائد * ابها الفضل اذ وافت محاسنها يعزى
فقه ماسطرت منها الخاطرى * فلم يكف طرفى منه شئ ولا أجزا

وقوله

قد جئت فى علم الاصول لناوفى * علم الفروع بخالص الابريز
وبرزت فى هذا وفى هذا على الر * ازى بالاحسان والتبريز (ى)

ويعجبنى من وعظياته قوله

ياأيها الشيخ المطيع هواه دع * هذى الدعابة قد اتى داعى الردى
وخيوط هذا الشيب لاتنسج بها * ثوب التصابى فهى ماخلقت سدى

وقوله

خليلى ولى العمر منا ولم نتب * وننوى فعال الصالحين ولكنا
فحتى متى نبنى بيوتا مشيدة * واعمارنا منا تهد وماتبنى (تبنا)

ومن نظم الشيخ بدر الدين البشتكى رحمه الله فى هذا النوع قوله

بدا بوجه جميل * قد شرف الحسن قدره
فى شمسه كل صب * يود يبذل بدره

هذا الذى ظفرت به من اغزاله فى هذا الباب ومن مجونه قوله

وافى بذقن بعد أن * قاسيته حلوا ومرا
فقبضت لحيته وابشرى فى استه وهلم جرا

وقال من كتابه المسمى برفع شان العمشان

اقول لناتف خديه مهلا * اترضى اللانطين مدى الدهور
فدع نتف العوارض عنك كيما * تنال بلحية مثل احرير (ى)

ومثله قوله فى الشيخ بدر الدين بن الدمامينى المخزومى

تبا لقاض جار فى أحكامه * حتى على المنثور والمنظوم
خان الشريعة مذ اطاع بنى وفا * وانقاد للفساق كالمخزوم (مى)

تنفق الا من الربح وعليك بالخبز والملح ولك فى البصل والخل رخصة مالم تذقهما واللحم لحك وماأراك تأكله يا ابن الخبيثة انما التجارة صرف وبين الاكلة والاكلات صروف ربح الصيرفيه ان لاخطر والصين غير أن لاسفر والحلو طعام من يعيش لا يأكل فكن ممن يأكل ليعيش وأخرى يا ابن اللئيمة ما التجار ولفضول العيش خذ هذا وحسبك ثم انت الآن وكسبك فلما انفصلت العير لحت بالفتى همة العلم فانفق ماصحبه فى طلبه فما انسلخ من طارفه وتالده رجع بالقرآن وتفاسيره الى والده فقيرا لايملك نقيرا وقال يا أبت جئتك بسلطان

ومن مدائحه قوله

وقاس الورى بالنيل نائلك الذى * حلا وصفا والنيل يبدو مرنقا
فقلت وهل يقاس من خلقه الوفا * بمن بالوفا فى العام يوما تخلقا

وكتب اليه سيدنا ومولانا قاضى القضاة شهاب الدين بن حجر العسقلانى فى رمضان

أليس عجيبا بأننا نصوم * ولا نشتكى من اذى الصوم غما
ونسغب والله فى نسكنا * اذا نحن لم نرو نثرا ونظما

فأجابه بقوله

الا يا شهابا رقى فى العلا * فامطر نانوء العذب قطرا
الى فقرة منك يا مقرنا * ونستغن ان قلت نظما ونثرا (ى)

ومما فضل لى من صبابات هؤلاء الفضلاء فى مناهل التورية قولى

هويته اعجميا فوق وجنته * لامية عوذتها احرف القسم
فى وصفها ألسن الاقلام قد نطقت * وطال شرحى فى لامية العجم (ى)

وقولى

خال الحبيب يقول لى لما بدا * من تحت عارضه كسر غامض
انا فارضى فى الغرام بخده * فغدا مقامى تحت ذيل العارض

وقولى

عزمت على السلو اطول هجرى * فجاءتنى عوارضه تعارض
وكان العذر يقبل فى سلوى * ولكن ما سلمت من العوارض

وقولى

دورة العارض عنى حجبت * برشقة من جفنه مشتقة
فاترك ملامى يا عذولى اننى * قتلت بين دورة ورشقة

وقولى

ولما رآنى الشعر وهو مذيل * وجانب ذاك الصدغ وهو مطرف
بدا بخمار من خمار بريقه * فقلت لهم هذا الجناس المحرف

وقولى

أقول لثغر الحب مت ولم أجد * سبيلا الى برد الحشا يا أخا الصفا
فقال ارتشف من خمر ريقى نهلة * ألم تره من برده قد تقرقفا

وقولى

لما تعذر من أحب تعذر الصبر الجميل فلم أطق ان أصبرا
قال العذول الصبر أعظم مسعد * فى العشق قلت اما تراه تعذرا

وقولى مع بديع الاقتباس

ناحت مطوقة الرياض وقد رأت * تلوين دمعى بعد فرقة حبه
لكن به لما سمعت نياحات * فغدت مطوقة بما بخلت به

الدهر وعز الابد وحياة الخلائق جئتك بالقرآن وتفاسيره والحديث باسانيده والفقه بأبازيره والكلام بأفانينه والشعر بغريبه والنحو بتصاريفه واللغة باصولها فاحسن العلم نورا ونورا والآداب حرا ودورا فأتى به الى السوق وقدمه للصراف والبزاز والعطار والخباز والقصاب وانتهى الى البقال فساومه عن باقة بقل وقال انقد تفسير أى سورة شئت فنهى البقال وقال انما نبيع بالكسرة المكسرة لا بالسورة المفسرة فأخذ الوالد ترابا بيده ووضعه على رأس ولده وقال يا ابن المشؤمة ذهبت بقناطير وجئت بأساطير لا تبيع

وقولى فى مدح حماة

ذكرت احبتى بالمرج يوما * فقوت ادمعى نيران وهجى
وبت أكابد الاحزان وحدى * وكل الناس فى هرج ومرج

وقولى فيه أيضا

مرج حماة بنواعيره * زاد على المقياس فى روضته
واغتاظ غروذ دمشق لذا * فقلت لا أنكر فى غيظته

وجلست يوما فى قطاف السفرجل على عين الغيضة المرصوفة ببيت الشام مع جماعة من اهل العلم والادب فنظم كل منهم ما يليق بذلك المقام على قدر مقامه فنظمت قولى

تقول ست الشام لما غازلت * بعينها فانعشت حياتى
وانتقشت بمرجها وابرزت * نهدا حلالانه نباتى
خذنى بغير ضرة فاننى * بديعة فى الحسن والصفات
واستجلنى عروسة يتيمة * شامية وعش بلا حماة

وقولى فى وادى رشعين وعينه بظاهر مدينة طرابلس

ارض وادى رشعين مفتوحة العيـ * ـن لها نقطة على الفـبرين
* ماحللنا هناك الاوقات * اجلسوهم على محاجر عينى

وقولى بوادى المنافس بظاهرها أيضا

وادى المنافس من معنى طرابلس * طيب انفاسه أبدى تنفسه
وكاد يلحق بالشقرا وابلتها * فلا تلوموا اذا قوى منافسه

وقولى برأس العين ببعلبك

ولما نزلنا بعلبك تفكهت * عيونى اذرأى رمان بنى البين
وطالبتها يوما برؤية مرجها * وخضرا قالت على لرأس والعين

ومن اغزالى البديعة قولى

ماس فى الروض وانثنى * بخدود موردة
* فرأينا غصونه * وهى خشب مسندة

وقلت مورد ومقتبسا ومكتفيا

قالوا وقد فرضت فى تصبرى * وما برى وصله بعقده
صبرعسى تحقيق بما ريقه * قلت ابهما حسرتا على ما

وقولى

ارخت انا ذوائبا من شعرها * عشرا وفرق الفجر فيه مع مرى
فصرت بالفجر لها معوذا * لما بدا بين ليال عشر *

وقولى موريا مع بديع التضمين

سرنا وليل شعره منسدل * وقد غدا بنوسنا مضـــفر
فقال صبح ثغره مبتسما * عند الصباح يحمد القوم السرى

ماذو عقل باقة بقل
والقصة ابداها الشيخ
الامام فهى قصتى معه
انفقت عمرى وروحى وقلبى
ونفسى على صداقة من
لم يثمر لى فى كتاب شكر حبى
أنا أول فى الخاتمين فاقوت
الفص ياقوت احمر و انقاه
جوهرا زهر والفيروزج
علق يذخر فانا اقول فى
درج كاغد قولا لم [illegible]
امر لم ابلغ كنه شاوه ولا
اكون صديق صداقة
اسقت هذا العتب سياقة
تحل عن ارقة قطع الله
الطمع ولا ن الوحش [illegible]
والانف تدركه [illegible]
يوجد المساندة [illegible]
رحلة غد او بعده فخر
فى الكتب وعده موفا
رأيه ان شاء الله تعالى
(وكتب أيضا

وقولى

قف واستمع طربا فليلى فى الدجا * باتت معانقتى ولكن فى السكرى
وجرى لدمعى رقصة بخيالها * اترى درى هذا الرقيب بما جرى

وقولى

كم صحت فى ظلمة الليالى * ويلاه من نومى المشرد
والدمع فى وجنتى ينادى * اواه من شملى المبدد

وقولى

يقول معذبى حسن تخير * سواى فقلت قد عز اصطبارى
وكم فى الناس من حسن ولكن * عليك لشقوتى وقع اختيارى

وقولى

ارشفنى ريقه وعانقنى * وخصره يانوى من الدقه
فصرت من خصره وريقته * أهيم بين الفرات والرقه

وقولى

ابصروا عند وداعى * عقدها وهو مفرط
لمتها فى ذاك قالت * برح الشوق وافرط

وقولى

سجدت جفونى هيبة لما بدا * محراب حاجبه بغير حجاب
الله اكبر وهو يغزو مهجتى * حربا ولم أخرج عن المحراب

وقولى

طلبت منه قبلة فقال لى * وقد بدا يشرع فى الاعراض
نسيت فعل سيف لحظى قلت لا * يا قاتلى وكيف أنسى الماضى

وقولى

قيل لى لما عرتنى شدة * وتناءى فرج عنى مده
يا أخا الاشواق ماذا تبتغى * قلت أبغى فرجا من بعد شده

وقولى

مذ جفانى بمرض القلب ولم * الق فى الضعف وفى الكسر انجبارا
* قلت للعارض يا آسى اذا * درت دارى مرض القلب فدارا

وقولى

طلبت تقبيل من احب وقد * انكرت فى انكاد نقطة حسنه
* فرق لى قلبه وقال اذا * قبلت خدى لا تنكر الحسنه

وقولى موريا ومضمنا

حثت عزمى شوقا اليكم * فلم اطق مكثه بارض
وحيث لم احظ بالتلاقى * فغايتى أن الوم حضى

انه ابد الله الشيخ ما بى
السلطان لكن القطان
ولا المكان لولا السكان
وقد كنت اسمع الناس
يقولون ان الانسان لولده
احب منه لوالده فانكرت
ذلك طبعا واعظمته شرعا
فقال لى انك لم تذق حلاوة
الاولاد فاقول واعل ويوشك
وانسب ذلك الى لؤم الفطرة
وسوء الخلقة وخبث الطينة
والقشر المطيون بالحما
المسنون حتى ولدت وحسب
العاقل نص الكتاب حكما
ان البنات خير زكاة
واقرب رحما لعمرى ان لى
بها شغف الوالد بالواحد وما
اود ان لى بدلا ولا عشرة لى

وقولى

جاء بصبح ثغره مبتسما * يمشي بليل الشعر في دلال
قالت لقد دمت لقلبي هكذا * مادامت الايام والليالي

وقولى مرتجلا في جبهة دمشق من دوبيت

* لما ملأ الجبهة بالانوار * لمناه على ذلك خوف العار
قال انصرفوا سمت من بلادتكم * والجبهة من منازل الاقمار

وقولى

مذ اظهر ورده لنا ريحانه * ناديت لتلك المقلة الكسلانة
قد دب عذاره على وجنته * قومي انتبهي قالت انا نعسانه

وقولى

احببته متأدبا ونظمت في * حسن ابتدائي فيه نظم المرقص
واشار في حسن الختام أجبته * حسن الختام يكون بعد تخلصي

وقولى

يحاضرني بابيات ولكن * يعيرني اذا طال اجتماعي
فان انشدت اشعار السلام * يطارحني بابيات الوداع

(مى)

وقولى

قلت للخال اذبدا * في نقا جيد السعيد
فزت يا عبد قال لي * انا عبد لكل جيد

وقولى

قال أراك الحمى تعوّض * بغصن قدي اذا جفاكا
فقلت من بعد قد حبي * والله ما اشتهي أراكا

وقولى

رمت يوم العيد منه وقفة * ابرى من بعده حالي وضعفه
فطر القلب وولى قائلا * يا معنى ما العيد الفطر وقفه

وقولى

قال نهد الحب صفني مذ غدا * قاعدا في الصدر بالتصدير يجهر
قلت اذ برز في تحقيقه * أنت بالتحقيق والله مصدر

وقولى

اسياف لحظ قاتلي * لما تعدت حدها
وعربدت من سكرها * قالت استحي فرّدها
* وقال لي موريا * لابد أن احدها

وقولى

عاتبته ودموعي غير جارية * لان دمعي من طول البكى نشفا

مثلا ومع ذلك فليس في حل
من ظن انى لا أجعلها لسيدنا
ادام الله عزه فداء وانتظر دعاء
ونداء لا ابتدارا لا ابتداء
على بذلك ميثاق من الله
غليظ والله على ما اقول
حفيظ واجدني اذا قرات
قصة الخليل ابراهيم في
الذبيح اسمعيل صلوات
الله عليهما احس لنفسي
من سيدنا ادام الله عزه
بتلك الطاعة لو وقع البلاء
والعافية اوسع واظنه
لو تلني للجبين اواخذ مني
باليمين وقطع الوتين لصنته
عن الانين وبين الضمان
والوفاء علم الله المحيط وبينهما
من الترجيح ما بيني وبين
الذبيح وربما نظر في كتابي
هذا من لم يعرف بعد
الضمان من الوفاء وبينهما

فقال لم أروكف الدمع قلت له * حسبك الله يا بدر الدجا وكفا (وكنى)

وقولي

قالت وقد قبلتها في جيدها * تصبو الى غيري وتخلص من يدي
فاجبت حين تقلدت بمدامعي * يا هند خوضي في دمي وتقلدي

وقولي

بنقطة الخال وطعم اللمى * وخضرة الشارب ياعاتبي
قدمات للنقطة بعد التقى * وقلت بالمشروب والشارب

وقولي

ارداف من اهواه قد تناقلت * لما تجافى الشعر يوم البين
وبعد ذا وجنته تلونت * وساقه والله ذو وجهين

وقولي

برامة لي ظبي * تخشى الاسود مرامه
كم هام قلبي فيه * بين العذيب ورامه

وقولي

هو بت غصنا الاطيار القلوب على * قوامه في رياض الوجد تغريد
قالت لو أحظه اناسود على * بيض الظبا قلت انتم اعين سود (د)

وقولي

* قالت له ان جفن مقلته * يشبه سهما بجعبة رشقه
خفت من الفتك ان رحت أماقه * سابقني مدمعي جرى ملقه

وقولي

في سويداء مقلة الحب نادي * لحظه وهو يقنص الاسد صيدا
لاتقولوا مافي السويدا رجال * فانا اليوم من رجال السويدا

وقولي

بروحي أفتدي ظبيا نفورا * يحق له بروحي ان يفدى
جلا لصدا قلبي فرد يوم * بوصل منه ثم جفا وصدا

وقولي مورّيا مضمنا

ومذ كلمت جسمي سيوف لحاظها * شكوت اليها قصتي وهي تبسم
فلم أر بدرا ضاحكا قبل وجهها * ولم ترقبلي ميتا يتكلم *

وقولي

جاد النسيم على الربا * بندى يديه وقال لي
انا ما اقصر عن ندى * وكما علمت شمائلي

وقولي

رأيت مع المنثور بعض وقاحة * ولم ادر ما بين الغدير وبينه

ما بين الارض والسماء فيرا لي اشرف وما اراه يعرف انه وان بعد المثل
اختلف قوم في عمر بن عبد العزيز والحسن بن يسار أيهما افضل فقال اولو التمييز عمر بن عبد العزيز وقال اهل الابصار الحسن ابن يسار وانما أردت بأولي التمييز نظارة القلوب وباهل الابصار نظارة العيون فسئل الحسن عن ذلك فقال عمر خير مني لانه ملك فعف ووجد فاخف واعدل الحسن لو وجد لاخذ وصدق رحمه الله ليس الزاهد عن جدة كالزاهد عن عدة وليس من فعل كمن وعد ان يفعل وسدما النعرف بركات دعاء سيدنا واستظهر

تلون منه ثم مدّ أصابها * الى وجهه قصدا وخضر عينه

وقولى

حباب جاعاصرها فى كأسها * مشرقة باسمة كالثغر
وقال هذى تحفة فى عصرنا * قلت استشيها يا امام العصر

وقولى

لما غدا حباب كأسى شاعرا * لنظم خمريانه يحرّر
اوقفت ساقينا على نظامه * فقال لى والله هذا جوهر

وقولى

لما غدا اراحى نحيلا باليا * وكاد أن لم يك فى الزجاج
وجاز بالماء الى بحرانه * ورق قالوا صنه بالعلاج
جئته مستقصيا اعراضه * وجدته معتدل المزاج

وقولى

فى حب كأسى لامنى * من ليس يدرى حالتى
فقلت دعنى اننى * وجدت فيها راحتى

وقولى مما جنا

أعنابكم ان حرموا ماءها * وحرّفوا فيها على الشارب
لا تحرمونى التين انى امرؤ * أعشقه بالقلب والقالب

وقولى

أدخلت أيرى فيه * اصبت منه المقاتل
فقلت كيف تراه * فقال والله داخل

وقولى

العلم ابن الكويز قال معى * لطف وظرف حواهما الكرم
وقامتى بانة مهفهفة * فقلت لا بانة ولا علم

وقولى

قالوا صفى الدين اشعاره * ما الورى فى طرقها يمشى
وهكذا انشاؤه مسكر * قلت لهم والله ما انشا

وقولى

ديوان نظمى جاء وهو محرّر * برقيق نظم لفظه يستعذب
فاذا بدى لا تستقلوا حجمه * وحبابكم فيه المكثر الطيب

انتهى ما أوردته فى باب التورية من كتاب الله وحديث نبيه صلى الله عليه وسلم وكلام اصحابه رضى الله عنهم اجمعين ومن نظم فحول العرب والمولدين الى أن ارتفع العلم الفاضلى وأوردت محاسنه ومحاسن من مشى تحت علمه المحمدى الى أن اتصل هذا السند باعيان أهل العصر قلت ولولا الحياء من العصابة الذاتية وأنا منها العزت العلمين من الوداعى

بها على الخطوب فليعدنى بها ادبار الصلوات وادبار النجوم ان دعاء الفجر كان مشهودا وعلى السيدنا ايده الله ورد صباح ومساء من صلاة ودعاء فليرقنى الى الحركات اسانه فقير وهو بان يفعل جدير والله على أن يستجيب قدير

(وله اليه أيضا)

يبسط سيدنا الى سمعه ويقف عليه من لا يتهم عقله ان هذا السلطان لما ارتحل عن بلاد خراسان الى دار الهند وهى سيف واصبح السيف وهو دم فتن تشتظى ونار تلظى وناس يأكل بعضهم بعضا وبعث الفساد أهله فالنهار مصادرة والليل مكابرة وقتل عمرو وقتل

بثالث فاوردت هنا من مطرب عطر مفرداته ما يغنى عن المثانى والمثالث فانه أحد أئمة هذا المذهب واذا ذكرت التورية فهو عذيقها المرجب وعلى كل تقدير ففرسان العلمين المشهورين القاضلى والنباتى هم الذين أبرزوا عروس التورية من خدرها وحققوا للناس من تسانيح عن نقوش القاعدة وسفل عن علو قدرها ولم أخل بذكر الشهاب محمود وكان محمود الحشمة فى الفاظه على كل ناظم وناثر الا ان التورية كانت غير مذهبه ووقوعها فى نظمه ونثره من النوادر وعذب بهذا القاضى شهاب الدين بن فضل الله ولكن ما تفقه فى هذا المذهب ولا حرره ولا أبدر فيها بدر الدين بن حبيب وكانت ليالى سطورها بنظمه غير مقمرة ولهذا خدمها حذاق الادب وحافظوا على الخدمة وثابروا وأنشدوا من رضى بالشعر الموزون

اذا كنت لا تدرى سوى الوزن وحده * فقل أنا وازن وما أنا شاعر

قلت ومما تخيرته من نظم القاضى شهاب الدين بن فضل الله رحمه الله من النكت التى وقعت له عفوا من غير كد ولا تكلف قوله

جاءوا بانواع من الطيب لنا * تحملها معشوقة معشوقه

قلت خذوا الطيب لكم جميعه * بشرط أن لا تأخذوا المعشوقه

ومما اخترته من نظم بدر الدين بن حبيب رحمه الله تعالى قوله

وجنته الحمراء لما كست * خضرة أذناب الطواويس

عابوا لفرط الحسن دينارها * فقلت خلوه على كيسى

قلت وقد عن لى أن أورد هنا نبذة من نظم من كانت التورية غير مذهبه لاجعلها فى مهالك الاشكال وموانع العقادة حل مطلبه وما على من تأخر عصرا أو تقدم فان الغرض أن يصير عقد التورية وهو بنظم من شعر بها منظم وما خفى أن من حذاق الادب من وقعت له التورية عفوا وصار العفو محلا عند القدرة ومنهم من نقب عنها وعسعس عليه ظلام التكليف فلم يبرزها نيره كالشيخ صفى الدين فانها كانت غير مذهبه وحاولها مرارا فاتى بها مغصوبة ولم يبلغ من اقتناص شواردها بحبائل فكره مطلوبه كقوله

وساق من بنى الاتراك طفل * أتيه به على جمع الرفاق

املكه قيادى وهو رقى * وافديه بعينى وهو ساقى

قلت لا شك ان مراده بالمعنى الواحد من التورية ساقى الراح وهو ظاهر صحيح وبالمعنى الآخر أن يكون هذا الساقى ساقا للشيخ صفى الدين وهو غير ممكن ولعمرى ان هذا مسلك من ليس له فى باب التورية مدخل وهذه النكتة أبرزتها معطلة الطرفين وانا اذ ذاك مبتدئ لم أبلغ من البلاغة أشدى ولا ثبت عند قضاة الادب رشدى بقولى موريا ومضمنا

يا حسن ساق يقول ان ذهبت * مدامكم تكيفوا بأحداقى

شمر عن ساقه لنا وسقى * فامت حروب الهوى على ساق

قلت ومما عقده الشيخ صفى الدين فى هذا الباب بيت بديعيته الذى نظمه شاهدا على هذا النوع وهو قوله فى مدح النبى صلى الله عليه وسلم

خير النبيين والبرهان متضح * فى الحجر عقلا ونقلا واضح اللقم

زيد وابن سعد فقد هلك سعيد وثمن الرأس منديل والمنية العادلة سكين ودار الحكم بيت القمار والمين المغموس فلان الجار والجامع حانة الخمار وخير الاسواق ما يسرق وشرها ما يحرق والسعيد من سلب والشقى من صلب ولا شئ الا السلاح والصياح وكل شئ الا السكون والصلاح وأنا اذ ذاك حاضر نيسابور ودارى بين القبة الرافضة وكل يوم تهديد ورعب جديد فقلت ولكن اخو الحزم الذى ليس نازلا بالخطب الا وهو للقصد مبصر فلقيت صدور نيسابور وقلت حتام هذا البلاء والعلاج قريب المأخذ

قلت

قلت ومن تواريه التى يستشهد بها على رفضه ولابد ان الله تعالى يقابله فيها على قبح سريرته وقلة أدبه قوله

اذا شاهدت عيناك وجه معذبى * وقد زارنى بعد القطيعة والهجر
رأيت بقاياً من تلقيه مرحبا * وسيف علىّ فى لحاظ أبى بكر

وكذلك الشيخ شمس الدين ابو عبد الله محمد بن جابر الاندلسى ناظم البديعية كان عن نظم التورية بمعزل ولم ترض أن تنزل من أبياته بمنزل وبيت نظمه فى بديعيته شاهدا على هذا النوع فى غاية العقادة والسفالة وهو قوله

لا يرفع العين للراجين غضهم * بل يخفض الرأس قولاها لئك فاحتكم

وهذه البديعية غالبها سافل على هذا النمط والتورية تجل عن أن تكون من مخدرات هذا البيت ولكن أورد له الشيخ أبو جعفر فى شرحه الذى كتبه على بديعيته ماهو منقول فى هذا الباب وهو قوله

وقفت للوداع زينب لما * رحل الركب والمدامع تسكب
مسحت بالبنان دمعى وحلو * سكب دمعى على اصابع زينب

قلت ورتبة الشيخ صفى الدين بالنسبة الى ابن جابر معلوم انها عالية ولكن التورية مادخلت الى بيت من بيوته الاخرجت غير راضية ومن التوارى التى وقعت لناظمها عفوا بل سحرا من غير كد قول القائل

قاسوك بالغصن فى التثنى * قياس جهل بلا انتصاف
فذاك غصن الخلاف يدعى * وأنت غصن بلا خلاف

ومن ذلك قول جلال الدين شاعر ماردين قديما

ويوم برديد أنفاسه * تخمش الاوجه من قرصها
يوم تود الشمس من برده * لو جرت النار الى قرصها

ومثله قول شرف الدين بن منقذ

ولرب ليل تاه فيه نجمه * وقطعته سهرا فطال وعسعسا
وسألته عن صبحه فاجابنى * لو كان فى قيد الحياة تنفسا

ومثله قول ابن نبيه وكانت التورية غير مذهبه

تعلمت علم الكيمياء بحبه * غزال بجسمى مابعينيه من سقم
فصعدت أنفاسى وقطرت أدمعى * فصح بذا التدبير تصفية الجسم

ومثله قول ظهير الدين ابن البارزى

بالحيسة الحب التى * طال لها تلفتى
هل أنت مسك التركاو * هل انت مسك تبت

ومثله قول امين الدين السليمانى

اضيف الدجا معنى الى لون شعره * فطال ولولا ذاك ماخص بالجر
وحاجبه نون الوقاية ماوقت * على شرطها فعل الجفون من الكسر

وهلا نفر طائفة من الغزاة الى هؤلاء الغواه وآزرهم اهل الصلاح وانا أول من دعا الى هذا الامر وأجاب اليه وبذل فيه وأنفق عليه ففعلوا وما كان سواد ليلة حتى علت كلمة الحق وباد الفساد وان جرح الجور قريب الغور وان نار الخلفاء سريعة الانطفاء وان كيد الشيطان ضعيف ثم أسمع الآن بهمذان من خراب واضطراب وباموالها من ذهاب وانتهاب وباسواقها من فساد وكساد وباسعارها من غلاء وباهلها من جلاء افليس فيهم رجل رشيد يجمع كلمة اهل الصلاح مجيبا من تعاون المفسدين على أخذ ماليس لهم

ومثله قول محاسن الشواء

ولما أتاني العاذلون عدمتهم * وما منهم الاالمحمي فارض
وقد بهتوا لما رأوني ساهيا * وقالوا به عين فقلت وعارض

ومنه قول سعد الدين الفارقي

قف بي على نجد فان قبض الهوى * روحي فطالب خد ليلى بالدم
واذا دجا ليل الفراق فناده * يا كافرا أحللت قتل المسلم

ومثله قول شهاب الدين ابن ابي الحوف

اقول لعقد أذهل الطرف حسنه * على جيد خود وصلها كل مقصودى
اخذت نظاما راق معنى فقال لى * ومازلت فى عمرى أدور على الجيد

ومثله قول ابراهيم بن عبد الله الغرناطى

يارب كأس لم تشج شمولها * فاعجب لها جسما بغير مزاج
لما رأينا السحر من اشكالها * جلا نسبناه الى الزجاج

ومثله قول مجير الدين بن حيان الشاطبى

تؤمون الحجاز وما علمتم * بان القلب يتكم العتيق
والفاظى العذيب واضلعى المنحنى ودموع مقلتى العقيق

ومثله قول الشريف محمد بن قاضى الجماعة بغرناطه وهو

حدائق انبتت فيها الغوادى * ضروب النور رائقة البهاء
فما يدعوبها النعمان الا * نسبناه الى ماء السماء

ومنه قول لسان الدين ابن الخطيب

جلس المولى لتسليم الورى * والفضل البرد فى الجو احتكام
فاذا ماسالوا عن يومنا * قلت هذا اليوم برد وسلام

ومنه قول الشيخ شمس الدين الادفوى

كم للنسيم على الربا من نعمة * وفضيلة بين الورى لن تجحدا
مازارها وشكت اليه فاقة * الا وهزلها الشمائل بالندا

ومثله فى الحسن واللطف قول الشيخ موفق الدين الحكيم

لله أيامنا والشمل مجتمع * نظما به خاطر التفريق ماشعرا
والهف قلبي على عيش ظفرت به * قطعت مجموعه المختار مختصرا

ومنه قول عبد العزيز الآمدى

ان الذى فى وجهه جنة * حفت بمكروه من العذل
مقلته فى وسط قلبى غدت * ارملة تأكل بالغزل

ومنه قول القائل واجاد

وبدا الشمال عشية مذ أرعشت * دلت على ضعف النسيم بخطها
كتبت سقيما فى صحيفة جدول * فبدا الغمامة صححته بنقطها

وتخاذل المسلمين عن منع مالهم واعجب من ذلك تدبير خراسان انه والله يعزنى ما اسمع فينطفئ ما تسمع وقد كنت سمعت من قبل بالقفول فارقنى عن تلك الديار الاموال الاخبار انى وان كنت بهذه الامصار امشى على الابصار قبولا عند السلطان ووجاهة عند العوام مقصوص جناح المسار اطير الى الاوطان كل مطار كان الم يصل رجى كل عام بكتاب ثم قطع عادة بره وأراء محاسى من صحيفة صدره وقد اهديت له فارقى مسك تصلان بوصول كتابى هذا اليه وبينهما من السلام اطيب منهما عرفا وسيدنا يوصلهما اليه ويصله بهما

ومثله فى الحسن قول علاء الدين بن البطريق ناظر الجيش ببغداد

دار السراج بديعة * فيها تصاوير بمكنه
تحكى كتاب كليلة * فتراها وهى دمنه

ويعجبنى فى هذا الباب قول القائل فى حمام

ان حمامك التى نحن فيها * أى ماء بها وأية نار
قد نزلنا فيها على ابن معين * ورويناعنه صحيح البخارى (ى)

ومن المخترعات فى هذا الباب قول الشيخ شمس الدين الواسطى يهجو عوادا وزامرا

شبهت ذا العواد والزامر اذ * ضاقت علينا بهم المناهج
بعقرب يضرب وهو ساكت * وارقم ينفخ وهو خارج

ويعجبنى قوله من دوبيت

ان ضرمنى بجذوة التذكار * حبى وبرى عظمى شكرت البارى
فالعاذل فى هواه لا عقل له * ما بلد عاذلى وأذكى نارى

ومنه قول القاضى علاء الدين بن الجوينى صاحب الديوان ببغداد

يا طيب مبيتنا بوادى السمر * فى بهجة ليلة بضوء القمر
وافى بفراقنا نسيم سحرا * ما أبرد ما جاء نسيم السحر

ومن الغايات فى هذا الباب قول الشيخ صدر الدين بن الوكيل

كم قال معاطفى حكتها الاسل * والبيض سرقن ما حوته المقل
والآن أوامرى عليهم حكمت * البيض تحد والقنا تعتقل

ومثله قوله

يا غاية منيتى ويا معشوقى * من بعدك لم أمل الى مخلوق
يا خير نديم كان لى يؤنسنى * من بعدك صلبت على الراووق

ويعجبنى من نظم المواليا فى هذا الباب قول القائل

حبى ومحبوبتى مذبات يوم البين * زاروا عشا ليلة الاثنين قبل الحين
فصرت انظر الى زينه وألمح زين * واقول يا قلب ما احلى ليلة الاثنين

ومثله فى اللطف قول الآخر

سمعتها وهى داخل دارها فى الصحن * تنشد رمل صحت قلبى المعنى صحن
ياليتها مع تغنيها وطيب اللحن * ترفع أجرّ ودع يدخل على اللحن

ومثله قول الآخر

قالت لها اختها قصدى يسمعنا * ما النحو قالت لها نحن باجمعنا
للرفع والنصب انا وانتى ومن معنا * للجر والزوج حرف جاء لمعنى

ومنه قوله

ستى الكبيرة لها الخدام والحرمه * تحلف على النيل بالمصحف وبالختمه
جاها الطواشى افشخت لونك من كلمه * واحت يبن القواقيه على قرمه

اليه ويصله بهما والقاضى مولاى أبو فلان لابد كرنى الاسرا ولا يأتينى الانزرا وهو الخاب وما يحجب والنفس وملتخدم وقد أهديت اليه فارة مسك معها أختها من السلام اليه مولاى أبو القاسم فى سعة من العقوق بركض وان كان سيدنا يعتذر عنه بما يعلم عبده وقد اتحفته بفارة مسك تصل اليه الفقيه فلان اذا نسيت الناس أذكره واذا طويت الجميع النشره البرقديما وحديثا الزكى اولا وآخرا قد بعثت اليه فارة مسك كأنها اشتقت من اخلاقه سيدى فلان

ومثله في اللطف قول القائل

يامنيتي زدت لهواني تشفها * واحرمتني الشفة الحمراء ارشفها

تحب بيضا واجفانك تحشفها * بالله انظر الى ماتي وكشفها

ويعجبني قول الشيخ حامد الحكالك

ثار الغرام الذي في مهجتي خامد * وسال دمعي الذي كنت اعهده جامد

وانا ببغداد والمحبوب في آمد * مصيبتي عظمت وانالها حامد

وقد طال الشرح واوردت في باب التورية من المحاسن ما يكفي قديما وحديثا وأوردت بعد ذلك ماوقع فيها من النظم عفوا وتكلفا وقد تعين على ايراد ما وعدت به في ديباجة هذا الباب من فقه التورية والكلام على أنواعها واقسامها فان القول على اختلاف عبارات الحدود قد تقدم والكل راجع الى مقصود واحد اذ القصد من لفظ التورية أن يكون مشتركا بين معنيين أحدهما قريب ودلالة اللفظ عليه ظاهرة والآخر بعيد ودلالة اللفظ عليه خفية فيريد المتكلم المعنى البعيد ويوري عنه بالقريب فيوهم السامع اول وهلة انه يريد القريب وليس كذلك ولهذا سمي هذا النوع ايهاما (والتورية اربعة أنواع) مجردة ومرشحة ومبينة ومهيأة

النوع الاول التورية المجردة وهي التي لم يذكر فيها لازم من لوازم المورى به وهو المعنى القريب ولا من لوازم المورى عنه وهو المعنى البعيد وأعظم امثلة هذا النوع قوله تعالى الرحمن على العرش استوى لان الاستواء على معنيين احدهما الاستقرار في المكان وهو المعنى القريب والثاني الاستيلاء والملك وهو المعنى البعيد المورى عنه وهو المراد لان الحق سبحانه منزه عن المعنى الاول ولم يذكر من لوازم هذا شيأ ولا من لوازم ذاك فالتورية مجردة بهذا الاعتبار ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم في خروجه الى بدر وقد قيل له ممن انتم فلم يردان يعلم السائل فقال من ماء واراد انا مخلوقون من ماء فورى عنه بقبيلة من العرب يقال لها ماء ومن ذلك قول ابي بكر الصديق رضي الله عنه في الهجرة وقد سئل عن النبي صلى الله عليه وسلم فقيل من هذا فقال هاد يهديني اراد أبو بكر هاديا يهديني الى الاسلام فورى عنه بهادي الطريق الذي هو الدليل في السفر ومنه قول القاضي عياض في سنة كان فيها شهر كانون معتدلا فازهرت فيه الارض

كأن نيسان أهدى من ملابسه * لشهر كانون أنواعا من الحلل

او الغزالة من طول المدى خرفت * فما تفرق بين الجدي والحمل

فالتورية هنا مجردة والشاهد في الغزالة والجدي والحمل فان الناظم لم يذكر قبل الغزالة ولا بعدها شيأ من لوازم المورى به كالاوصاف المختصة بالغزالة الوحشية من طول العنق وسرعة الالتفات وسرعة النفرة وسواد العين ولا من اوصاف المورى عنه كالاوصاف المختصة بالغزالة الشمسية من الاشراق والسمو والطلوع والغروب فان قيل ان الغزالة قد رشحت بذكر الجدي والحمل وهما مرشحان بالغزالة فالجواب ان لازم التورية من شرطه ان يكون لفظه غير مشترك والغزالة هنا مشتركة وكذلك الجدي والحمل ومنه قول القاضي محيي الدين بن زيلاق وقد اهدى صاحب الموصل حملا

فما التي نشدتها وعدتي التي ذخرتها وله فأرتا مسك وعليه قبولهما سيدي أبو فلان له من صدري شعب فارغ ومن قلبي محل عامر وعليه السلام وله فأرتا مسك يصله بهما سيدنا سيدي أبو فلان وكريمته العمة يصحان مثالا لعيني ويسان خيالا لقلبي وقد أهديت لهما فأرتي مسك إماطاب وعذب من السلام العمات مخصوصات بالسلام وقد وصلتين بفأرتي مسك يقسم بينهن سيدي أبو فلان قد سرني اقباله على العلم وتوسطه الادب واشتد عضدي به

يا أيها المولى الذى * يابه كل امل * لولم تكن بدر الماء * أهدى لك الثور حمل

فالتورية وقعت بين البدر والثور والحمل ولم يذكر لواحد منهما لازما فالبدر مشترك بين اسم الممدوح وبدر السماء والثور مشترك بين الحيوان والبرج فى السماء وكذلك الحمل ومنه قول بعضهم من كان وكان

لوسنبله خلف ظهرو * ناظر اليها المشترى
ولو ذنب مايقارن * حتى يرى الميزان

ومنه قول القاضى محيى الدين بن عبد الظاهر يصف واديا

وبطحاء من وادير وقك حسنه * ولاسيما ان جاد غيث مبكر
به الفضل يبدو والربيع وكم غدا * به العيش يحيى وهو لاشك جعفر

فالتورية وقعت هنا فى الفضل والربيع ويحيى وجعفر والاشتراك فى كل من الاربعة ظاهر

النوع الثانى التورية المرشحة وهى التى يذكر فيها لازم المورى به سميت بذلك لتقويتها بذكر لازم المورى به ثم تارة يذكر اللازم قبل لفظ التورية وتارة بعده فهى بهذا الاعتبار قسمان فالقسم الاول منها ما هو ماذكر لازمه قبل لفظ التورية واعظم امثلته قوله تعالى والسماء بنيناها بايد فان قوله بايد يحتمل الجارحة وهذا هو المعنى القريب المورى به وقد ذكر من لوازمه على جهة الترشيح البنيان ويحتمل القوة وعظمة الخالق وهذا المعنى البعيد المورى عنه وهو المراد فان الله سبحانه منزه عن المعنى الاول ومنه قول يحيى بن منصور من شعراء الحماسة

فلما نأت عنا العشيرة كلها * انخنا فحالفنا السيوف على الدهر
فما أسلمتنا عند يوم كريهة * ولا نحن اغضينا الجفون على وقر

الشاهد فى الجفون فانها تحتمل جفون العين وهذا هو المعنى القريب المورى به وقد تقدم لازما من لوازمه على جهة الترشيح وهو الاغضاء لانه من لوازم العين وتحتمل أن تكون جفون السيوف أى اغمادها وهذا هو المعنى البعيد المورى عنه وهو مراد الناظم ومن الطف ماوقع فى هذا القسم قول شمس الدين الحكيم بن دانيال الكحال

ياسائلى عن حرفتى فى الورى * وصنعتى فيهم وافلاسى
ماحال من درهم انفاقه * يأخذ من اعين الناس

الشاهد هنا فى أعين الناس فانها تحتمل الحسد وضيق العين وهو المعنى القريب المورى به وقد تقدم لازمه على جهة الترشيح وهو درهم الانفاق لانه من لوازم الحسد ويحتمل العيون التى يلاطفها بالكحل وهذا هو المعنى المورى عنه وهو مراد الناظم الكحال انتهى القسم الاول من التورية المرشحة والقسم الثانى منها ما هو ماذكر لازمه بعد لفظ التورية ومن أمثلته اللطيفة قول الشاعر

مذهمت من وجدى فى خالها * ولم أصل منه الى اللثم
قالت قفوا واستمعوا ماجرى * خالى قد هام به عمى

الشاهد فى الخال فانه يحتمل خال النسب وهذا هو المعنى القريب المورى به وقد ذكر لازمه بعد لفظ التورية على جهة الترشيح وهو العم ومنه قول الشاعر

والله يبقيه وله فارة مسك ولمن وراءه سترهم الله مثلها وقد خدمت مجلس سيدنا بخمس وعشرين نافجة تتمة خالصة لخاصته وأوصيت شيخى أبا نصر العطار أن يتأنق فى ابتياعها واختيارها ويحتاط فى انفاذها وايصالها وقرنت من العود الهندى الرطب بها نصف رطل ويصل بوصولها جبة حلة معينة وزوج خاتم أحدهما منقوش بلا اله الا الله والآخر بدخشانى لطيف وسيدنا يعتذر عنى الى الاخ فى تأخير ماطلب من الزبيب الطائفى فان ذلك أمر يتصل بفراغ البال وسعة الوقت واذا وجدتهما

اقلعت عن رشف الطلا * واللثم فى ثغر الحبب
وقلت هذى راحة * تسوق للقلب التعب

الشاهد هنا فى الراحة التى هى ضد التعب وقد ذكر التعب بعدها على جهة الترشيح لها وهذا هو المعنى القريب المورّى به ويحتمل الراحة التى هى من أسماء الخمر وهذا هو المعنى البعيد المورّى عنه وهو مراد الناظم

النوع الثالث التورية المبينة وهى ماذكر فيها لازم المورّى عنه قبل لفظ التورية أو بعده فهى بهذا الاعتبار أيضا قسمان فالقسم الاول هو ماذكر لازمه من قبل واستشهدوا عليه بقول البحترى

ووراء تسدية الوشاح ملية * بالحسن تملح فى القلوب وتعذب

الشاهد هنا فى تملح فانه يحتمل أن يكون من الملوحة التى هى ضد العذوبة وهذا هو المعنى القريب المورّى به ويحتمل أن يكون من الملاحة التى هى عبارة عن الحسن وهذا هو المعنى البعيد المورّى عنه وهو مراد الناظم وقد تقدم من لوازمه على جهة التبيين ملية بالحسن قلت هذا الشاهد الذى استشهدوا به من نظم البحترى فيه نظر ولكن يأتى الكلام عليه فى موضعه ومن أحسن الشواهد على هذا القسم قول الشيخ شرف الدين بن عبد العزيز شيخ شيوخ حماة رحمه الله تعالى

قالوا أمانى جلق نزهة * تنسيك من أنت به مغرى
ياعاذلى دونك من لحظه * سهما ومن عارضه سطرا (ى)

الشاهد هنا فى موضعين وهما السهم وسطرا فان المعنى البعيد هما الموضعان المشهوران عنتزهات دمشق وذكر النزهة بجلق قبلهما هو المبين لهما وأما المعنى القريب فسهم اللحظ وسطر العارض القسم الثانى من التورية المبينة هو الذى يذكر فيه لازم المورّى عنه بعد لفظ التورية ومن أمثلته البديعة قول الشاعر

أرى ذنب السرحان فى الافق ساطعا * فهل ممكن أن الغزالة تطلع

الشاهد هنا فى موضعين أحدهما ذنب السرحان فانه يحتمل أول ضوء الفجر وهذا هو المعنى البعيد المورّى عنه وهو مراد الناظم وقد بينه بذكر لازمه بعده بقوله ساطعا ويحتمل ذنب الحيوان المعروف وهذا هو المعنى القريب المورّى به واستشهدوا على هذا القسم بقول ابن سناء الملك وهو

أما والله لولا خوف سخطك * لهان علىّ ما ألقى برهطك
ملكت الخافقين فتهت عجبا * وليس هما سوى قلبى وقرطك

الشاهد هنا فى الخافقين فانه يحتمل أن يريد قلبه وقرط محبوبه وهذا هو المعنى البعيد المورّى عنه وهو مراد الناظم وقد بينه بالنص عليه فانه صرّح بعد الخافقين بذكر القلب والقرط ويحتمل أن يريد ملك المشرق والمغرب وهذا هو المعنى القريب المورّى به

النوع الرابع التورية المهيأة وهى التى لاتقع فيها التورية ولاتتهيأ الا باللفظ الذى قبلها أو باللفظ الذى بعدها أو تكون التورية فى لفظين لولا كل منهما لماتهيأت التورية فى الآخر فالمهيأة بهذا الاعتبار ثلاثة أقسام القسم الاول من التورية المهيأة وهو الذى تتهيأ فيه

أهديت له مائة وقر سيدى ماله قطع عادة فضله فى اهداء السلام والكتاب المفرد وسيدنا أولى من عاتبه لمعود الى الحسنى بمكانة معتمدة وقد أهديت له فارة مسك لموسعه تذكرة وبوسعى معذرة ولسيدنا فى الوقوف على ما كتبت به وتشريفى بالجواب رأيه الموفق ان شاء الله تعالى

(وله أيضا)

كتبت أطال الله بقاء الشيخ الجليل وأنا فى حياط ومياط وجمع اختلاط بزاق ممزوج بمخاط وسعال معجون بضراط فان نشط لى فى هذه الحالة فالقذر القذر وان لم ينشط فالحذر الحذر والسلام

التورية من قبل وقد استشهدوا على ذلك بقول ابن سناء الملك يمدح الملك المظفر صاحب حماة

وسيرك فيناسيرة عمرية * فروحت عن قلب وافرجت عن كرب
واظهرت فينا من سميك سنة * فاظهرت ذاك الفرض من ذلك الندب

الشاهد هنا في الفرض والندب وهما يحتملان أن يكونا من الاحكام الشرعية وهذا هو المعنى القريب المورى به ويحتمل أن يكون الفرض بمعنى العطاء والندب صفة الرجل السريع في قضاء الحوائج الماضي في الامور وهذا هو المعنى البعيد المورى عنه ولولا ذكر السنة لما تهيأت التورية فيهما ولا فهم من الفرض والندب الحكمان الشرعيان اللذان صحت بهما التورية * القسم الثاني من التورية المهيأة وهو الذي تتهيأ فيه التورية بلفظة من بعده ومن أمثلته نثرا قول الامام علي بن أبي طالب كرّم الله وجهه في الاشعث بن قيس انه كان يحوك الشمال باليمين فالشمال يحتمل أن يكون جمع شملة وهذا هو المعنى البعيد المورّى عنه ويحتمل أن يراد بها الشمال التي هي احدى اليدين وهذا هو المعنى القريب المورى به ولولا ذكر اليمين بعد الشمال لما تنبه السامع لمعنى اليد ومنه نظما قول الشاعر

لولا التطير بالخلاف وأنهم * قالوا مريض لا يعود مريضا
لقضيت نحبا في جنابك خدمة * لاكون مندوبا قضى مفروضا

فالمندوب هنا يحتمل الميت الذي يبكى عليه وهذا هو المعنى البعيد المورى عنه وهو المراد ويحتمل أن يكون أحد الاحكام الشرعية وهو المعنى القريب المورى به ولولا ذكر المفروض بعده لم يتنبه السامع لمعنى المندوب ولكنه لما ذكر تهيأت التورية بذكره ومثله قول أبي الحسين الجزار

ياعذولي دعني من العذل ان النـ * ـصح في مذهب الهوى تحريض
مت لما نأى فها أنا مندو * ب فراق وحبه مفروض

الكلام على هذا الشاهد كالكلام على الذي قبله * القسم الثالث من التورية المهيأة وهو الذي تقع التورية فيه في لفظين لولا كل منهما لما تهيأت التورية في الآخر واستشهدوا على ذلك بقول عمر بن أبي ربيعة المخزومي وهو

أيها المنكح الثريا سهيلا * عمرك الله كيف يلتقيان
هي شامية اذا ما استقلت * وسهيل اذا استقل يماني

الشاهد في البيت الاول في الثريا وسهيل فان الثريا يحتمل أن يكون أراد بها بنت علي بن عبد الله بن الحرث بن امية الاصغر وهذا هو المعنى البعيد المورى عنه وهو المراد والقريب ثريا السماء وهذا هو المعنى القريب المورى به وسهيل يحتمل أيضا سهيل بن عبد الرحمن بن عوف وقيل كان رجلا مشهورا من اليمن وهذا هو المعنى البعيد المورى عنه ويحتمل النجم المعروف بسهيل وهذا هو المعنى القريب المورى به ولولا ذكر الثريا التي هي النجم لم يتنبه السامع لسهيل وكل واحد منهما صالح للتورية والتورية هنا لا تصلح أن تكون مرشحة ولا مبينة لان الترشيح والتبيين لا يكون كل منهما الا بلازم خاص والفرق بين اللفظ الذي تتم به التورية واللفظ الذي تترشح به واللفظ الذي تتبين به أن اللفظ الذي تقع به التورية مهيأة لو لم يذكر

(وله الى فقيه نيسابور)
وصلت رقعتك وشكرت
في الذنب عن فضلك ومثلك
من ذب عمن أحب لكن
الذنب أبواب ولكل امرئ
جواب ولو آثرت الحلم
لكان أولى بك وأحب الي
واذا أبيت الا أن تعطي
المروأة مرادها كان
الصواب ان تحفظ تلك
الابواب أولها أن تعلم انه
ليس في أبواب الذب أضعف
من السب واذا تلوت قول
الله عز وجل ولا تسبوا
الذين يدعون من دون الله
فيسبوا الله عدوا علمت
أن سلاح خصمك أقوى
والناس رجلان كريم
ولئيم وكل بأن لا يسب
حقيق ان الكريم لا ينكر

لما تهيأت التورية أصلاً واللفظ المرشح والمبين اتماهما مقويان للتورية فلو لم يذكر الكانت التورية موجودة وسبب تعلم هذين البيتين أن سهيلا المذكور وتزوج الثريا المذكورة وكان بينهما بون بعيد في الخلق فان الثريا كانت مشهورة في زمانها بالجمال وسهيل بالعكس وهذا مراد الناظم بقوله عمرك الله كيف يلتقيان وأيضا هي شامية الدار وسهيل يماني انتهى الكلام على التورية المهيأة وهي آخر أنواع التورية (وهنا تنبيه فيه فائدة) وهو أن مشايخ هذا العلم قالوا ليس كل لفظ مشترك بين معنيين تتصور فيه التورية كاللغات التي تدور على الالسنة وانما تتصور حيث يكون المعنيان ظاهرين الا ان احدهما اسبق الى الفهم من الآخر وقد عن لي ان اختم باب التورية بفائدة تكون مسك ختامها وبدر تمامها وهي ان بعض علماء هذا الفن قالوا ان التورية اذا جاءت بلازمين فتكافآ ولم يترجح احدهما على الآخر فكأنهما لم يذكرا وصار المعنى القريب والمعنى البعيد بذلك في درجة واحدة وتلحق هذه التورية بالمجردة وتعد فيها قسما ثانيا وتصير مجردة بهذا الاعتبار واستشهدوا على ذلك بقول الشاعر

غدوت مفكرا في سر افق * أرانا العلم من بعد الجهاله

فما لويت له شبك الدراري * الى ان أظفرته بالغزاله

وقالوا ان الشبك من لوازم الغزالة الوحشية والدراري من لوازم الغزالة الشمسية قلت أما قوله في تقريره ان اللازمين اذا تكافآ ولم يترجح أحدهما على الآخر تصير التورية كالمجردة فقريب وأما الشاهد ففيه نظر فانه صدر بقوله غدوت مفكرا في سر افق فالتفكر في سر هذا الافق الذي أراه العلم من بعد الجهالة لازم خاص يرجح جانب الغزالة الشمسية وأما الشبك فاستعارة مرشحة بالحسن لنجوم الدراري وهي ايضا عبارة شح جانب الشمس عند طيها الذي أراد به الناظم غيابها ولو كانت الشمس مجردة من الدراري ربما كان للغزالة الوحشية بعض مقاربة وعين الشمس هنا ما تغطى على الترجيح والله اعلم واستشهدوا أيضا على هذا بقول مجير الدين بن تميم

وليلة بت أسقى في غياهبها * راحا تسل شبابي من يد الهرم

ما زلت اشربها حتى نظرت الى * غزالة الصبح ترعى نرجس الظلم

وقالوا أيضا ان الصبح من لوازم الغزالة الشمسية والرعي من لوازم الغزالة الوحشية قلت أما الصبح فمن لوازم الغزالة الشمسية كما قالوا وأما رعي نرجس الظلم فليس من لوازم الغزالة الوحشية وانما هو استعارة مرشحة بالحسن للنجوم وهي مثل استعارة الشباك والدراري والغزالة الوحشية ليس لها هنا مرعى فانها اجنبية من رعي نرجس الظلم الذي هو عبارة عن النجوم والله اعلم وقد تقدم قولي على الشاهد الذي اوردوه للبحتري في التورية المبينة بذكر لازم المورى عنه من قبل وقلت فيه نظر وهو قوله

ووراء تسدية الوشاح ملية * بالحسن تملح في القلوب وتعذب

هذا الشاهد تعارض فيه اللازمان وتكافآ وهو اقرب الى المجردة وماذاك الا أن الشاهد في قوله تملح يحتمل ان يكون من الملوحة ولازمه تعذب وهو المعنى القريب ويحتمل أن

الفضل وان النذل لا يألم العذل

يعجبك منه عرض ما لم يصنه ويرتع منك في عرض مصون وهل أفرض لك مسئلة الذب في الذباب لتعلم ان اتقاءه بالمكبة خير من اتقائه بالمذبة وان ذبه بالمظلة أبلغ من ذبه بالمذلة فان كان لابد من انتقام واستشفاء فاعلم ان الله تجهل أن آذان الانذال في القذال وهي آذان لا تسمع الامن ألسنة النعال الادم أو ترجمة اكف الخدم وعلامة فهمها جحوظ العينين وخدر اليدين فان تاب والا كرر هذا العتاب وجدتك ايدك الله تعجب ان يجحد لئيم فضل صديقك

يكون من الملاحة وهـذا هو المعنى البعيد المورى عنه ولازمه ملية بالحسن وقد تعارض
اللازمان وهذا هو الشاهد على هذا القسم الذى اختاروه أن يكون قسما ثانيا للتورية المجردة
وأقرب منه قول الشيخ زين الدين بن الوردى

قالت اذا كنت تهوى * أنسى وتخشى نفورى
صف ورد خـدى والا * أجور ناديت جورى

ومثله قول الشيخ جمال الدين بن نباتة

حلت خاتم فيه فصا أزرقا * من كثرة اللثم الذى لم احصه
لولا مماعـلم الرقيب فباله * من خاتم نقل الحديث بفصه

والاشباه والنظائر من هـذا القسم كثير والغرض ان اللازمين اذا تعارضا وتكافا فى
التورية يلحق هـذا القسم بالتورية المجردة انتهى الكلام على التورية وقد قدمت من نظم
الجماعـة الذين مشوا تحت العلمين المشـهورين ماهو أشهر من الاعـلام فالمتأمل اذا جمع
بين نظر فى هـذا الباب وعرف الانواع والاقسام وضـع كل شئ فى محـله فانى كشفت له اللثام
عن وجه التورية وأما أبيات البديعيات فقد تقدم ذكرها والله أعلم بالصواب

(ذكر المشاكلة)

(من اعتدى فبعدوان يشاكله * لحكمة هو فيها خير منتقم)

المشاكلة فى اللغـة هى المماثلة والذى تحرر فى المصطلح عنـد علماء هـذا الفن ان المشاكلة هى
ذكر الشئ بغير لفظه لوقوعه فى صحبته كقوله تعالى وجزاء سيئة سيئة مثلها فالجزاء عن السيئة
فى الحقيقة غـير سيئة والاصل وجزاء سيئة عقوبة مثلها ومثله قوله تعالى تعلم مافى نفسى ولا أعلم
مافى نفسك والاصل تعلم مافى نفسى ولا أعـلم ماعنـدك فان الحق تعالى وتقدس لايسـتعمل
فى حقه لفظ النفس الا أنها اسـتعملت هنا مشاكلة لما تقدم من لفظ النفس ومنـه قوله تعالى
ومكروا ومكر الله والاصل أخذهم بمكرهم ومنه قوله تعالى فمن اعتدى عليكم فاعتدوا
عليـه بمثل ما اعتـدى عليكم أى فعاقبوه فعدل عن هذا لاجل المشاكلة اللفظية وفى الحديث
قوله صلى الله عليه وسلم فان الله لايمل حتى تملوا الاصل فان الله لايقطع عنكم فضله حتى تملوا عن
مسألته فوضع لايمل موضع لايقطع الثواب على جهة المشاكلة وهو مما وقع فيه لفظ المشاكلة
أولا ومنه قول عمرو بن كلثوم فى معلقته

الا لايجهلن أحد علينا * فنجهل فوق جهل الجاهلينا

أى فنجازيه على جهـله فجعل لفظة نجهل موضع فنجازيه لاجل المشاكلة ومثـله قول الشاعر
وتلطف ماشاء

قالوا اقترح شيأ نجد لك طبخه * قلت اطبخوا لى جبة وقميصا

أراد خيطوا فذكره بلفظ الطبخ لوقوعـه فى صحبة طبخه قلت قد تقرر ان هـذا النوع أعنى
المشاكلة اللفظية أن يأتى المتكلم فى كلامه باسم من الاسماء المشـتركة فى موضعين فتشاكل كل
احـدى المشاكلتين اللفظيتين الاخرى فى الخط واللفظ ومفهومهـما مختلف ومن انشادات
التبريزى فى هذا الباب قول أبى سعيد المخزومى

(المشاكلة)

نخفض عليك رحمك الله
ان الذى نعجب منـه يسير
فى جنب ما يجده الانسان
ان الله تعالى خلق أقواما
وشق لهم اسماعا وابصارا
فغاصوا بها على عرق
الذهب حتى قصدوه ولم
يزالوا بالنجم حتى رصدوه
واحتالوا للطائر فانزلوه
من جو السماء والحوت
فاخرجوه من جوف الماء
ثم جحدوا مع هذه الافكار
الغائصة والاذهان الناقدة
صانعهم فقالوا اين وكيف
حتى رأوا السيف فلم تعجب
بانفسه ان جحدوا فضلا
ليست الارض بساطه ولا
الجبال أسماطه ولا السماء
فسطاطه ولا الليل رباطه
ولا النهار سراطه ولا النجوم

حدق الآجال آجال * والهوى للمرء قتال

فلفظة الآجال الاولى أسراب البقر الوحشية والثانية منتهى الاعمار وبينهما مشاكلة فى اللفظ والخط قال الشيخ زكى الدين بن أبى الاصبع فى كتابه المسمى بتحرير التحبير هذا الشاهد وامثاله داخل فى باب التجنيس قلت قول الشيخ زكى الدين ظاهر ليس فى صحته سقم وهذا البيت الذى أنشده التبريزى من أحسن الشواهد على الجناس التام ولوا عتد البديعيون على المشاكلة المعنوية لخلصوا من هذا الاعتراض وعلى كل تقدير فالمعارضة تعدت حكم الالتزام فى نظم هذا النوع أعنى المشاكلة اللفظية وبيت الشيخ صفى الدين فى بديعيته على هذا النوع قوله عن النبى صلى الله عليه وسلم

يجزى اساءة باغيهم بسيئة * ولم يكن عاديا منهم على ارم

وبيت العميان

سقاهم الغيث ماء اذ سقى ذهبا * فغيركفيه ان أمحلت لاتشم

وبيت الشيخ عز الدين

يجزى بسيئة الضد سيئة * معنى مشاكلة من خير منتقم

وبيت بديعيتى أقول فيه عن النبى صلى الله عليه وسلم

من اعتدى فيعدوان يشاكله * لحكمة هو فيها خير منتقم

(ذكر الجمع مع التقسيم)

(جمع الاعادى بتقسيم يفرّقه * فالحى للاسر والاموات للضرم)

هذا النوع أعنى الجمع مع التقسيم هو ان يجمع الناظم بين شيئين فأكثر ثم يقسم كقول أبى الطيب المتنبى

الدهر معتذر والسيف منتصر * وأرضهم لك مصطاف ومرتبع

للسبى مانكحوا والقتل ماولدوا * والنهب ماجمعوا والنار مازرعوا

وقد يتقدم التقسيم ويتأخر كقول حسان بن ثابت

قوم اذا حاربوا اضروا عدوّهم * أوحاولوا النفع فى أشياعهم نفعوا

سجية تلك منهم غير محدثة * ان الخلائق فاعلم شرها البدع

فالاول أحسن وأوقع فى القلوب وعليه مشى أصحاب البديعيات وبيت الشيخ صفى الدين الحلى فى بديعيته قوله

أبادهم فلبيت المال ماجمعوا * والروح للسيف والاجساد للرخم

الشيخ صفى الدين مسخ فى هذا الباب قول أبى الطيب فى بيته وبيت العميان فى بديعيتهم

والمال والماء فى كفيه قد جريا * هذا الراج وذا للجيش حين ظمى

وبيت الشيخ عز الدين فى بديعيته قوله

علم ومال على جمع تقسمه * هذا الغمر وهذا انفع مغترم

وبيت بديعيتى

جمع الاعادى بتقسيم يفرّقه * فالحى للاسر والاموات للضرم

(ذكر

(الجمع مع التقسيم)

اشراطه ولا النار شياطه وأراك ايدك الله تغلواذا وصفتنى ودونه افيصل المراد ان شاء الله تعالى

(وله الى الشيخ العميد أبى الحسين)

ما اشبه وعد الشيخ العميد فى الخلاف الا بشجر الخلاف خضرة فى العين ولا ثمر فى اليدين فالا ينفع الموعد والا انجاز ان يعد ومثل الوعد مثل الرعد ليس له خطر مالم يتله مطر كان ايده الله الشيخ فى جبر تار جل فاره الافراس فخر اللباس لايعد من الناس فلا تظنن ان الانسانية بساط قونى ولا ثوب سقلاطونى ولا تقدر أن المكارم ثوبان من عدن

(ذكر الجمع مع التفريق)

(سناه كالبرق ان أبدو اظلام وغى * والعزم كالبرق فى تفريق جمعهم)

هذا النوع اعنى الجمع مع التفريق هو ان يجمع الشاعر بين شيئين فى حكم واحد ثم يفرق بينهما فى ذلك الحكم كقوله تعالى وجعلنا الليل والنهار آيتين فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة فكأنه يقول الشمس والقمر كوكبان فهذا نهارى وهذا ليلى فجمع بينهما اذ هما كوكبان ثم فرق بان هذا يضىء نهارا وهذا يضىء ليلا فوقع الفرق فى الشىء الذى وقع به الجمع واستشهدوا على هذا النوع بقول الفخر عيسى

تشابه دمعانا غداة فراقنا * مشابهة فى قصة دون قصة

فوجنتها تكسو المدامع حمرة * ودمعى يكسو حمرة اللون وجنتى

هذا الناظم جمع بين الدمعين فى الشبه ثم فرق بينهما بان دمعها أبيض فاذا جرى على خدها صار أحمر بسبب احمرار خدها وان دمعه أحمر لانه يبكى دما وجسده من النحول أصفر فاذا جرى عليه الدمع حمره ومنه قول البحترى

ولما التقينا والنقا موعد لنا * تعجب رائى الدر منا ولاقطه

فمن لؤلؤ تجلوه عند ابتسامها * ومن لؤلؤ عند الحديث تساقطه

وبيت الصفى الحلى

سناه كالبرق يجلو كل مظلمة * والعزم كالنار يفنى كل مجترم

وبيت العميان فى تركيبه قلق حيث قالوا

فللذين كفه والبحر ما افترقا * الا بكف وبحر فى كلامهم

وبيت الشيخ عز الدين شن فيه الغارة على بيت الشيخ صفى الدين الحلى بقوله

وعزمه النار فى جمع يفرقه * ووجهه النور يجلو ظلمة الغشم

وبيت بديعيتى أقول فيه عن النبى صلى الله عليه وسلم

سناه كالبرق ان ابدو اظلام وغى * والعزم كالبرق فى تفريق جمعهم

(ذكر الاشارة)

(ومن اشارته فى الحرب كم فهم الانصار معنى به فاز وانصرهم)

هذا النوع أعنى الاشارة مما فرعه قدامة من ائتلاف اللفظ مع المعنى وشرحه بأن قال هو أن يكون اللفظ القليل مشتملا على المعنى الكثير بايماء ولمحة تدل عليه كما قيل فى صفة البلاغة هى لمحة دالة وتلخيص هذا الشرح انه اشارة المتكلم الى المعانى الكثيرة بلفظ يشبه لقلته واختصاره باشارة اليد فان المشير بيده يشير دفعة واحدة الى أشياء لو عبر عنها بلفظ لاحتاج الى الفاظ كثيرة ولابد فى الاشارة من اعتبار صحة الدلالة وحسن البيان مع الاختصار لان المشير بيده ان لم يفهم المشار اليه معناه فاشارته معدودة من العبث وكان النبى صلى الله عليه وسلم سهل الاشارة كما كان سهل العبارة وهذا ضرب من البلاغة يمتدح به والاشارة قسمان قسم للسان وقسم لليد ومن شواهد الاشارة فى الكتاب العزيز قوله وغيض الماء فانه سبحانه أشار بهاتين اللفظتين الى انقطاع مادة الماء من نبع الارض

(الجمع مع التفريق)

ولا قعبان من لبن الجهد وراء هذا الصف وقد طال مقامى وامتدت ايامى فلا تذكرة من فعل ولا معذرة من قول

(وكتب الى أبى نصر الطوسى)

كتابى عن سلامة ونعمة وأحوال على النظام جارية وشوق اليك وتواجد عليك واعتداد بك وعلق فيك واستيحاش منك وخلوص مقة لك والحمد لله رب العالمين والصلاة على سيد المرسلين محمد وآله اجمعين ولك ياسيدى أيدك الله خلال خير وخصال فضل لا يدفعك عنها أحد ولك فى أكثر المكارم لسان ويد ولا تخلو معها من حزونة طوسية

(الاشارة)

ومطر السماء وذهاب الماء الذى كان حاصلا على وجه الارض قبل الاخبار ولولم يكن كذلك لما غاض الماء ومنه قوله تعالى وفيها ما تشتهيه الانفس وتلذ الاعين فالمح ايها المتأمل كل ما تميل النفوس اليه من اختلاف الشهوات * وملاذ الاعين فى اختلاف المرئيات * لتعلم ان بلاغة هذا اللفظ القليل جدا * عبرت عن المعانى التى لا تنحصر عدا * ومنه قوله تعالى فاوحى الى عبده ما أوحى ومن المنظوم قول زهير فى هذا النوع

فانى لو لقيتك فاتجهنا * لكان لكل منكرة لقاء

يعنى قابلت كل منكرة بمثلها ومن أمثلة هذا النوع قول امرئ القيس

بعزهم عزرت فان يذلوا * فذلهم أنالك ما أنالا

فانظر كم تحت قوله أنالك ما أنالا من أنواع الذل ومثله قوله

فلأشكرن غريب نعمته * حتى أموت وفضله الفضل

أنت الشجاع اذا هم نزلوا * عند المضيق وفعلك الفعل

فالحظ كم تحت قوله وفضله الفضل بعد اخباره بانه يشكر غريب نعمته حتى يموت من أصناف المدح وترجيح فضله على الشكر وفى قوله غريب نعمته غاية المدح اذ جعل نعمته غريبة لم يقع مثلها فى الوجود وكم تحت قوله وفعلك الفعل بعد اخباره بنزول القوم عند المضيق الدال على صبرهم وشجاعتهم وما فى ذلك من ترجيح شجاعته عليهم ومنه قوله فى صفة الفرس

على هيكل يعطيك قبل سؤاله * أفانين جرى غير كز ولا وانى

فانه أشار بقوله أفانين الى جمع صنوف عدو الخيل المحمودة والذى يدل على ذلك قوله قبل سؤاله فان الأفانين المحمودة كانت منه عفوا من غير طلب ولا حث وهذا كمال الوصف ولو عدت هذه المعانى بالفاظها الموضوعة لها لاحتاجت فى العبارة الى الفاظ كثيرة وبيت الشيخ صفى الدين فى بديعيته

يولى الموالين من جدوى شفاعته * ملكا كبيرا عدا ما فى نفوسهم

والعميان ما نظموا هذا النوع فى بديعيتهم وبيت الشيخ عز الدين الموصلى فى بديعيته

ما تشتهى النفس يهدى فى اشارته * يعطى فنونا بلا من ولا سأم

وبيت بديعيتى

ومن اشارته فى الحرب كم فهم الا نصار معنى به فاز وابن صرهم

(ذكر التوليد)

(توليد نصرتهم يبدو بطلعته * ما البيعة الشهب ما توليد و ملهم)

قلت هذا النوع أعنى التوليد ليس تحته كبير أمر وهو على ضربين من الالفاظ والمعانى فالذى من الالفاظ تركه اولى من استعماله لانه سرقة ظاهرة وماذاك الا ان الناظم يستعذب لفظة من شعر غيره فيقتضبها او يضمنها غير معناها الاول فى شعره كقول امرئ القيس فى وصف الفرس

وقد اغتدى والطير فى وكناتها * بمنجرد قيد الأوابد هيكل

ورجل طاووسية ولو عريت منها الكنت الامام الذى تدعيه الشيعة وتنكره الشريعة وكنت عزمت عزم يقين ان لا كاتبك عاما عقوبة لك على اخلالك بما عودتنى من خلالك ثم وجدت مرآة شوقى اليك جديدة ووطأة الفطام عنك شديدة فاستخرت الله تعالى فى نقض العزيمة ولا يسعك دينا ومروأة أن لا تقدر الحظى منك وحظك منى بما وجدت اليه سبيلا فافعل ذلك قبل أن ادكم الحال بينى وبينك فارميها من عال فلا تجد الافتاتا وقد كانت فلانا أشغالا قبلك ومهمات نصورها لك فلا

(التوليد)

فاستعذب

فاستعذب أبو تمام قيد الاوابد فنقلها الى الغزل فقال

لها منظر قيد الاوابد لم يزل * يروح ويغدو في خفارته الحب

والتوليد من المعانى هو الاجمال والاستر وهو الغرض ههنا وذلك ان الشاعر ينظر الى معنى من معانى من تقدمه ويكون محتاجا الى استعماله فى بيت من قصيدة فيورده ويولد منه معنى آخر كقول القطامى

قد يدرك المتأنى بعض حاجته * وقد يكون مع المستعجل الزلل

وقال من بعده ونقص الالفاظ وزاد تمثيلا وتوكيدا وتذييلا

عليك بالصبر فيما أنت طالبه * ان التخلق يأتى دونه الخلق

فعنى صدر هذا البيت معنى بيت القطامى بكماله ومعنى عجزه نوع التذييل وما تقدم ذكره وهو مولد قال ابن أبى الاصبع فى تحرير التحبير أغرب ما سمعت فى التوليد قول بعض العجم

كأن عذاره فى الخد لام * ومبسمه الشهى العذب صاد

وطرة شعره ليل بهيم * فلا عجب اذا سرق الرقاد

فان هذا الشاعر ولد من تشبيه العذار باللام وتشبيه الفم بالصاد لصا وولد من معناه ومعنى تشبيه الطرة بالليل ذكر سرقة النوم فحصل فى البيت توليد واغراب وادماج وبيت الشيخ صفى الدين الحلى فى بديعيته على هذا النوع

من سبق لا يرى سوطا لها مهلا * ولا جديد من الارسان واللجم

بيت صفى الدين هنا غير صالح للتجريد وقد تكرر عليه هذا النقد فى كثير من الابيات فان بيته لم يظهر له معنى ان لم ينشد البيت الذى قبله وهذا العيب سماه علماء هذا الفن التضمين ويأتى الكلام عليه فى موضعه ولكن هو أقبح ما يكون فى البديعيات لان المراد من بيت البديعيات أن يكون بمجرده شاهدا على النوع المذكور وليس له تعلق بما قبله ولا بما بعده وبيت صفى الدين مولد من قول أبى عبد الله بن الحجاج

خرقت صفوفهم بأقب نهد * مراح السوط متعوب العنان

والعميان ما نظموا هذا النوع فى بديعيتهم وبيت الشيخ عز الدين

مالى بتوليد مدحى فى سواه هدى * لمعشر شبهوا الهندى بالحلم

بيت عز الدين هنا صالح للتجريد فان ضميره عائد الى النبى صلى الله عليه وسلم وأما قوله لمعشر شبهوا الهندى بالحلم فانه ذكر فى شرحه أنه ولده من قول أبى الطيب المتنبى

فالعيس أعقل من قوم رأيتهم * عما أراه من الاحسان عميانا

ثم قال فى الشرح ما شبه السيف بالحلم الا ناقص الاعمى قلت ومن أين لنا ان تشبيه السيف بالحلم مولد من بيت المتنبى والفاظه ومعانيها ظاهرة للمتأمل وبيت بديعيتى أقول فيه عن النبى صلى الله عليه وسلم

توليد نصر تهم بيد وبطلعته * ما السبعة الشهب ما توليد رطلهم

معنى هذا البيت ولدته من قول أبى تمام

تألوه فيها معونة ان شاء الله تعالى وكنت رسمت لفلان أن لا يخليني اسبوعا من كتاب وان استطاع ان يزيد زاد فجزاه الله عن الانسانية جزاءه وأحسن عنها عزاءه وان لم تر أهلا للمكاتبة فما وراءها عليك قياس والله المستعان ورأيك سيدى فى اسعادى بكتبك الى أن تسعدنى بقربك موفقا ان شاء الله تعالى

(وله الى الشيخ الرئيس ابى عامر عدنان بن محمد)

معاذ الله لا أشفع لضارب القلب ولا أرضى له غير الصلب وأعتقد فى داء الضرب أنه دار الحرب ولكن يا أيها الذين أمنوا ان جاءكم فاسق بنبا

والنصر من شهب الأرماح لامعة * بين الخميس علا في السبعة الشهب

ولكن ذكر التوليد هنا وهو اسم النوع البديعي مع النصرة لا تخفى محاسنه على حذاق الادب فانه التوليد في التوليد وذكر الرمل هنا توليد آخر وقد جمعت في صدر هذا البيت وعجزه بين التوليد الذي هو المراد من التورية في تسمية النوع وبين التذييل بقولي بعد تتمة الفائدة ما ولد رملهم وبين مراعاة النظير بذكر التوليد والرمل والسبعة الشهب والنصرة وجمعت بين قسمي التوليد في اللفظ والمعنى والذي بينهما من توليد المحاسن الظاهرة الزائدة على بيت أبي تمام غير خاف على المتأمل المنصف والله أعلم

(ذكر الكناية)

(قالوا طويل نجاد السيف قلت وكم * لناره ألسن تكنى عن الكرم)

الكناية هي الارداف بعينه عند علماء البيان وانما علماء البديع افردوا الارداف عنها والكناية هي أن يريد المتكلم اثبات معنى من المعاني فلا يذكره باللفظ الموضوع له في اللغة ولكن يجيء الى معنى هو ردفه في الوجود فيومئ اليه ويجعله دليلا عليه مثال ذلك قولهم طويل النجاد كثير الرماد يعنون بذلك أنه طويل القامة كثير القرى فلم يذكر والمراد بذكره الخاص به ولكن توصلوا اليه بمعنى آخر هو رديفه في الوجود ألا ترى أن القامة اذا طالت طال النجاد واذا كثر القرى كثر الرماد ومن أحسن الامثلة على هذا النوع قول الشاعر

بعيدة مهوى القرط اما لنوفل * أبوها واما عبد شمس وهاشم

أراد أن يذكر طول جيدها فأتى بتابعه وهو بعد مهوى القرط ومثله قول ليلى الاخيلية

ومخرق عنه القميص تخاله * وسط البيوت من الحياء سقيما

كنت عن الافراط في الجود بخرق القميص لجذب العفاة له عند ازدحامهم عليه لاخذ العطاء والابلغ في هذا الباب والابدع أن يكنى المتكلم عن اللفظ القبيح باللفظ الحسن والمعجز في ذلك قوله تعالى كانا يأكلان الطعام كناية عن الحدث وقوله جل جلاله وقد أفضى بعضكم الى بعض يريد بذلك ما يكون بين الزوجين وعلى الجملة لا تجد معنى من هذه المعاني في الكتاب العزيز الا بلفظ الكناية لان المعنى الفاحش متى عبر المتكلم عنه بلفظه الموضوع له كان الكلام معيبا من جهة فحش المعنى ولهذا عاب قدامة على امرئ القيس قوله

فمثلك حبلى قد طرقت ومرضع * فألهيتها عن ذي تمائم محول

اذا ما بكى من خلفها انصرفت له * بشق وتحتي شقها لم يحول

قال أعني قدامة عيب هذا الشعر من جهة فحش المعنى والقرآن منزه عن ذلك ولو استعار امرؤ القيس لمعناه الفاحش لفظ الكناية لسلم من العيب وهذا القدر ينتقد على مثله وفي السنة النبوية من الكنايات ما لا يحصى كقوله صلى الله عليه وسلم لا يضع العصا عن عاتقه كناية عن الضرب أو كثرة السفر وحكى ابن المعتز أن العرب كانت تقول لمن به ابنة أنت تحت العصا وأنشد

(الكناية)

فتبينوا وما أرى يخفى على الشيخ الرئيس أطال الله بقاءه أن ضرب القلب من ضربان القلب بحيث لا يتسع للرقيعة ولا يتفرغ للوقيعة ورضى من صاحب دار الضرب رأسا برأس لا ولكن هذا البائس كان يتعيش من دار الضرب عيشة أمثاله من العمال فحرم منها قوته فهدده صاحب دار الضرب بانهاء خبره ونهاه أبو الحسن أيده الله وتهيبه فابى الا الاصرار وخاف صاحبه منه فألصق به هذه السمة ثم أنا طوع الشيخ الرئيس السيد أدام الله عزه فان رأى غير ما رأيته ولاني قتله توليته والسلام

زوجك زوج صالح * لكنه تحت العصا

ومن نحوة العرب وغيرتهم كانت كنايتهم عن حرائر النساء بالبيض وقد جاء القرآن العزيز بذلك فقال سبحانه كأنهن بيض مكنون وقال امرؤ القيس فى معلقته

وبيضة خدر لا يرام خباؤها * تمتعت من لهو بها غير معجل

أى بيضة خدر يعنى امرأة كالبيضة فى صيانتها الايرام خباؤها لعزتها ومن لطائف الكنايات قول بعض العرب

ألا يا نخلة من ذات عرق * عليك ورحمة الله السلام

سألت الناس عنك فخبرونى * هناة ذاك تكرهه الكرام

وليس بها أحل الله بأس * اذا هو لم يخالطه الحرام

فان هذا الشاعر كنى بالنخلة عن المرأة وبالهناة عن الرفث فان العرب كانت تكنى بها عن مثل ذلك وأما الكناية بالنخلة عن المرأة فمن ألطف الكنايات وبيت الشيخ صفى الدين الحلى فى بديعيته عن الكناية قوله

كل طويل نجاد السيف يطربه * وقع الصوارم كالأوتار والنغم

والعميان ما نظموا هذا النوع فى بديعيتهم وبيت الشيخ عز الدين الموصلى

داع كثير رماد القدر أن وصفت * كناية بطنها والظهر بالدسم

قول الشيخ عز الدين كثير رماد القدر معلوم أنه أراد بذلك الكرم وأما تتمة البيت فالدسم الظاهر من القدر فى ظاهرها تعافه النفس ولفظة الدسم سافلة بعيدة عن حشمة الالفاظ وبيت بديعيتى

قالوا طويل نجاد السيف قلت وكم * لناره السن تكنى عن الكرم

تقدم القول ان الناس كنوا بطول النجاد عن طول القامة و بكثرة الرماد عن كثرة القرى ولكن الكناية بألسن النار عن كثرة الكرم والقرى لا تخفى استعارتها التى كادت تقوم مقام الحقيقة من المحاسن الظاهرة والله أعلم بالصواب

(ذكر الجمع)

(آدابه وعطاياه ورأفته * محبة ضمن جمع فيه ملتئم)

هذا النوع اعنى الجمع هو أن يجمع المتكلم بين شيئين فاكثر فى حكم واحد كقوله تعالى المال والبنون زينة الحياة الدنيا جمع سبحانه وتعالى المال والبنون فى الزينة ومنه قوله تعالى الشمس والقمر بحسبان والنجم والشجر يسجدان فجمع بين الشمس والقمر فى الحسبان وجمع بين النجم والشجر فى السجود ومنه قوله صلى الله عليه وسلم من أصبح آمنا فى سربه معافا فى بدنه و روى فى جسده عنده قوت يومه فكأنما حيزت له الدنيا بحذافيرها فجمع الامن ومعافاة البدن وقوت اليوم فى حوز الدنيا بحذافيرها وهى النواحى والواحد حذفار ومنه قول الشاعر

ان الشباب والفراغ والجدة * مفسدة للمرء أى مفسدة

فجمع بين الشباب والفراغ والجدة فى المفسدة وبيت الشيخ صفى الدين الحلى فى الجمع

(وكتب اليه أيضا) لم يكن اطال الله بقاء الشيخ الرئيس السيد على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم للانصار والمهاجرين ما فى وقتنا هذا للمؤاجرين وما جاز لعلية الاصحاب ما يجوز الآن لازواج القحاب وقد نبغت نابغة ونجمت زنابغة لا يرد رؤسهم شئ فلو شاء الشيخ الرئيس أطال الله بقاءه أراحنى منهم واغنانى عنهم وقد كثر تردد أصحابى الى فلان فابعدهم الاذناصحاء أو نابا أصم وانما يتولى حارها من تولى قارها ومن لم يتول منافعها لم يتول مضارها وان كان لا بد من صاحب بثقل فعل غيرى

(الجمع)

قوله

آراؤه وعطاياه ونقمته * وعفوه رحمة للناس كلهم

وبيت العميان في بديعيتهم

قد أحرزا السبق والاحسان في نسق * والعلم والحلم قبل الدرك للحلم

وبيت الشيخ عز الدين

للفصل والفضل والالطاف منه يرى * والعلم والحلم جمع غير منخرم

قلت حشو لفظة يرى في بيت الموصلي اذهب طلاوة الانسجام وبيت بديعيتي

آدابه وعطاياه ورأفته * مجيئة ضمن جمع فيه ملتئم

(ذكر السلب والايجاب)

(ايجابه بالعطايا ليس يسلبه * ويسلب المن منه سلب محتشم)*

هذا النوع أعني السلب والايجاب ذكر ابن أبي الاصبع في تحرير التحبير انه من مستخرجاته ولكن رأيت لابي هلال العسكري تقريرا حسنا على هذا النوع وهو ان ينفي المتكلم كلامه على نفي شئ من جهة واثباته من جهة أخرى والذي قرره ابن أبي الاصبع هو أن يقصد المادح افراد ممدوحه بصفة لا يشركه فيها غيره فينفيها في أول كلامه عن جميع الناس ويثبتها الممدوحه بعد ذلك كقول الخنساء في أخيها

وما بلغت كف امرء متطاولا * من المجد الا والذي نلت أطول

ولا بلغ المهدون للناس مدحة * وان أطنبوا الا الذي فيك أفضل

قال الشيخ زكي الدين بن أبي الاصبع ويروى متناولا ونصبها على انها مفعول به وما هنا ابلغ وعلى هذه الرواية رمناها هذا الشاهد وأخذ أبو نواس معنى البيت الثاني ولكن لم يتمكن منه الا في بيتين ومع ذلك قصر عنه تقصيرا زائدا فقال

اذا نحن أثنينا عليك بصالح * فانت كما نثني وفوق الذي نثني

وان جرت الالفاظ منا بمدحة * لغيرك انسانا فانت الذي نعني

هذا كله عن كلام الخنساء ولكن قالت وان أطنبوا في بيت الخنساء وقولها وما بلغ المهدون وكل هذه المبالغات قصر عنها أبو نواس والفرق بين وأنت الذي نعني وبين الذي فيك افضل ظاهر وأعظم الشواهد على هذا النوع قوله تعالى فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما ومنه قول امرئ القيس

هضيم الحشا لا يملأ الكف خصرها * ويملأ منها كل حجل ودملج

وبيت الشيخ صفي الدين في بديعيته على هذا النوع

أغر لا يمنع الراجين ماطلبوا * ويمنع الجار من ضيم ومن حرم

والعميان ما نظموا هذا النوع في بديعيتهم وبيت الشيخ عز الدين قوله

لم ينف ذما بايجاب المديح نقى * الا وعاقدت فيه الدهر بالسلم

وبيت بديعيتي

ايجابه بالعطايا ليس يسلبه * ويسلب المن منه سلب محتشم

(السلب والايجاب)

من الناس على هذا القياس ان شاء الله تعالى

(وكتب الى الشيخ أبي الحسن أحمد بن فارس جوابا عن كتاب كان ورد عليه منه يذم الزمان فيه ولا يشكره) نعم أطال الله بقاء الشيخ الامام انه الحمأ المسنون وان ظنت الظنون والناس بنسبون لآدم وان كان العهد قد تقادم وتركبت الاضداد واختلط الميلاد والشيخ الامام يقول فسد الزمان أفلا يقول متى كان صالحا أفي الدولة العباسية فقد رأينا آخرها وسمعنا أولها ام المدة المروانية وفي أخبارها لاتكسع الشول باغبارها أم السنين الحربية

(ذكر التقسيم)

(هذا تقسيمه حالى به صلحت * حياومينا ومبعوثا مع الامم)

التقسيم أول أبواب قدامة وهو فى اللغة مصدر قسمت الشئ اذا جزأته وفى الاصطلاح اختلفت فيه العبارات والكل راجع الى مقصود واحد وهو ذكر متعدد ثم اضافة ماالكل اليه على التعيين ليخرج اللف والنشر هذه عبارة صاحب التلخيص وذكر بعضها فى الايضاح وقال السكاكى هو أن يذكر المتكلم شيأ ذا جزأين او أكثر ثم يضيف الى كل واحد من اجزائه ماهو له عنده ومنهم من قال هو أن يريد المتكلم متعددا أو ماهو فى حكم المتعدد ثم يذكر لكل واحد من المتعددات حكمه على التعيين ويعجبنى بلاغة زكى الدين بن أبى الاصبع فانه قال التقسيم عبارة عن استيفاء المتكلم أقسام المعنى الذى هو آخذ فيه ومثل ذلك قوله تعالى هو الذى يريكم البرق خوفا وطمعا ليس فى رؤية البرق غير الخوف من الصواعق والطمع فى الامطار ولا ثالث لهذين القسمين ومن لطيف ماوقع فى هذه الجملة من البلاغة تقديم الخوف على الطمع اذ كانت الصواعق لا يحصل فيها المطرفى أول برقة ولا يحصل الابعد توا تر البرقات فان تواترها لا يكاد يكذب ولهذا كانت العرب تعتسبعين برقة ثم تنتجع فلا تخطئ الغيث والكلأ والى هذا المعنى أشار المتنبى بقوله

وقد أرد المياه بغير هاد * سوى عدى لها برق الغمام

فلما كان الامر المخوف من البرق يقع فى أول برقة أتى ذكر الخوف فى الآية الكريمة أولا ولما كان الامر المطمع انما يقع من البرق بعد الامر المخوف أتى ذكر الطمع فى الآية الكريمة ثانيا ليكون الطمع ناسخا للخوف لمجئ الفرج بعد الشدة ومنه قوله تعالى الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم فاستوفت الآية الكريمة جميع الهيآت الممكنات ومنه قوله تعالى ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات باذن الله فاستوفت الآية الكريمة جميع الاقسام التى يمكن وجودها فان العالم جميعه لا يخلو من هذه الاقسام الثلاثة ومنه قوله تعالى له ما بين أيدينا وما خلفنا وما بين ذلك فالآية الشريفة جامعة لاقسام الزمان الثلاثة ولا رابع لها والمراد الحال والماضى والمستقبل فله ما بين أيدينا المراد به المستقبل وما خلفنا المراد به الماضى وما بين ذلك الحال وفى الحديث النبوى قوله صلى الله عليه وسلم مالك من مالك الا ما أكلت فأفنيت أو لبست فأبليت أو تصدقت فأبقيت ومنه قوله صلى الله عليه وسلم من أقام الصلاة كان مسلما ومن آتى الزكاة كان محسنا ومن شهد أن لا اله الا الله كان مخلصا فانه صلوات الله عليه استوعب الوصف الذى من الدرجات العليا والوسطى والسفلى ومنه قول على بن أبى طالب كرم الله وجهه أنعم على من شئت تكن أميره واستغن عمن شئت تكن نظيره واحتج الى من شئت تكن أسيره فانه استوعب أقسام الدرجات وأقسام أحوال الانسان بين الفضل والكفاف والنقص ويحكى ان بعض وفود العرب قدم على عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه وكان فيهم شاب فقام وتقدم فى المجلس وقال يا أمير المؤمنين أصابتنا سنون سنة أذابت الشحم وسنة أكلت اللحم وسنة أنقت العظم وفى أيديكم فضول أموال فان كانت لنا فلا تمنعونا

(التقسيم)

والرمح يركز فى الكلى
والسيف يغمد فى الطلى
وميت يجرى فى الفلا والحزن انه
وكربلا ام البيعة الهاشمية
وعلى يقول ليث العشرة
منكم براس من بنى فراس
ام الايام الاموية والنقير الى
الحجاز والعيون الى الاعجاز
ام الامارات العدوية
وصاحبها يقول وهل بعد
النزول الا التزول أم الخلافة
التيمية وهو صاحبها يقول
طوبى لمن مات فى نأنأة
الاسلام أم على عهد
الرسالة ويوم الفتح قيل
اسكتى يافلانة فقد ذهبت
الامانة أم فى الجاهلية
ولبيد يقول

وان كانت لله فرقوها على عباده وان كانت لكم فتصدقوا ان الله يجزى المتصدقين فقال عمر بن عبد العزيز ماترك لنا الاعرابى فى واحدة عذرا ووقف اعرابى على حلقة الحسن البصرى فقال رحم الله من تصدق من فضل أو واسى من كفاف أو آثر من قوت قال الحسن ماترك الاعرابى فى واحدة عذرا ومن النظم قول زهير بن أبى سلمى فى معلقته

وأعلم مافى اليوم والامس قبله * ولكننى عن علم مافى غد عم

ونقل أبو نواس جد زهير الى الهزل فقال

أمر غد انت منه فى لبس * وامس قد فات فاله عن امس
فانما الشأن شأن يومك ذا * فبا كر الشمس بابنة الشمس

وقال ابن حيوس واجاد فى تقسيمه

ثمانية لم يفترقن بجمعها * فلا افترقت ماذب عن ناظر شفر
ضميرك والتقوى وكفك والندى * واقطك والمعنى وسيفك والنصر

ومنه قول الشيخ شرف الدين عمر بن الفارض قدس الله روحه

يقولون لى صفها فانت بوصفها * خبير أجل عندى باوصافها علم
صفاء ولا ماء ولطف ولا هوا * ونور ولا نار وروح ولا جسم

وأنشد سيبويه بيتا بديعا على هذا الباب وهو قوله

فقال فريق القوم لا وفريقهم * نعم وفريق أيمن الله ماندرى

ويعجبنى قول الحاسى فى هذا الباب

وهبها كشئ لم يكن اوكنازح * عن الدار أو من غيبته المقابر

ويعجبنى قول أبى تمام فى مجوسى احرق بالنار

صلى لها حيا وكان وقودها * ميتا ويدخلها مع الفجار

ومنه قول عمرو بن الاهتم

اشربا ماشربتما فهذيل * من قتيل أو هارب أو أسير

وبيت صفى الدين الحلى ماخوذ من قول عمرو بن الاهتم

افنى جيوش العدا غزوا فلست ترى * سوى قتيل ومأسور ومنهزم

وبيت العميان فى بديعيتهم

غيثان أما الذى من فيض أنمله * فدائم والذى للمزن لم يدم

وبيت الشيخ عز الدين

تقسيمه الدهر يوما أمسه كغد * فى الحلم والجود والابقاء للذمم

قلت قد تقدم شرح هذا النوع وتقرر ان الاثنين فى التقسيم لا يمكن ان يكون لهما ثالث والثلاثة لا يجوز ان يكون لها رابع وقد تقدم فى الاثنين قوله تعالى هو الذى يريكم البرق خوفا وطمعا وليس فى رؤية البرق الا الخوف من الصواعق والطمع فى المطر وتقدم فى تقسيم الثلاثة قول النبى صلى الله عليه وسلم ليس لك من مالك الا ما أكلت فأفنيت أو لبست فأبليت أو تصدقت فأبقيت ولا رابع لهذه الثلاثة ورأيت باب الزيادة فى بيت الشيخ عز الدين مفتوحا

ذهب الذين يعاش فى اكنافهم
وبقيت فى خلف كجلد الاجرب
أم قبل ذلك وأخو عاد يقول
بلاد بها كنا وكنا نحبها
اذ الناس ناس والزمان زمان
أم قبل ذلك وروى عن آدم
عليه السلام
تغيرت البلاد ومن عليها
ووجه الارض مغبر قبيح
ام قبل ذلك وقد قالت
الملائكة أتجعل فيها من
يفسد فيها ويسفك الدماء
وما فسد الناس وانما اطرد
القياس ولا اظلمت الايام
وانما امتد الظلام وهل
يفسد الشئ الا عن صلاح
ويمسى المرء الا عن صباح
لعمرى لئن كان كرم العهد

فانه يحتمل الحلم والجود وايفاء الذمم والشجاعة والصبر والقناعة والدين والهجر اوتقدم ان بيت
صفى الدين الحلى ماخوذ من بيت عمرو بن الاهتم

اشربا ماشربتا فهذيل * من قتيل أوهارب اوأسير

فهذه الثلاثة لاتحتمل رابعا وكذلك بيت صفى الدين فانه ماخوذ من هنا وبيت بديعيتى أقول
فيه عن النبى صلى الله عليه وسلم

هداه تقسيمه حالى به صلت * حيا وميتا ومبعوثا مع الامم

وهذه الثلاثة أيضا لايمكن ان يكون لها رابع وهذا النوع ليس فى تحصيله على واضعه مشقة
زائدة على حذاق الادب لاسيما مثل الشيخ عزالدين والذى أقوله انه لم تضق عليه المسالك
لابالتزام التورية فى تسمية النوع والله أعلم

(ذكر الايجاز)

(أوجز وسل أول الابيات عن مدح * فيه وسل مكة ياقاصد الحرم)

هذا النوع أعنى الايجاز اعتنت به فصحاء العرب و بلغاؤها كثيرا فانهم كانوا اذا قصدوا الايجاز
تركوا الالفاظ استغنوا بواحدها عن الفاظ كثيرة كأدوات الاستفهام والشروط وغيرذلك
فقولك أين زيد مغن عن قولك ازيد فى الدار ام فى المسجد الى ان تستقرى جميع الاماكن
وقولك من يقم أقم معه مغن عن ان يقم زيد أو عمرو أقم معه وما بالدار من أحد مغن عن
قولك ليس فيها زيد ولا عمرو وغالب كلام العرب مبنى على الايجاز والاختصار واداء المقصود
من الكلام باقل عبارة وهذا النوع على ضربين ايجاز قصر وايجاز حذف فايجاز القصر
اختصار الالفاظ وهو كقوله تعالى ولكم فى القصاص حياة فهذا اللفظ الوجيز المعجز المختصر
غاية فى الايجاز والايضاح والاشارة والكناية والطباق وحسن البيان والابداع ومنه قوله
تعالى ان الله يأمر بالعدل والاحسان وايتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى
يعظكم لعلكم تذكرون وعظ فى ذلك بالطف موعظة وذكر بالطف تذكرة واستوعب جميع
أقسام المعروف والمنكر واتى بالطباق اللفظى والمعنوى وحسن النسق والتسهيم وحسن
البيان والايجاز وائتلاف اللفظ ومعناه والمساواة وصحة المقابلة وتمكين القاصلة ومن
ذلك قول الشاعر

ياأيها المتحلى دون شيمته * ان التخلق يأتى دونه الخلق

وايجاز الحذف عبارة عن حذف بعض لفظه لدلالة الباقى عليه كقوله تعالى واسأل القرية التى
كنا فيها وكقول الشاعر

ورأيت زوجك فى الوغى * متقلدا سيفا ورمحا

أى ومعتقلا رمحا ومثله قول الشاعر

علفتها تبنا وماء باردا

أى وسقيتها ماء باردا وبيت الشيخ صفى الدين فى بديعيته على الايجاز

واستخدم الموت ينهاه ويأمره * بعزم مغتنم فى زى مغترم

تقديره بعزم رجل مغتنم ومثله فى زى مغترم ولكنه ماتحته فى بلاغة الايجاز كبير أمر

(الايجاز)

كما يرد وجوابا يصدر انه
لقريب المنال وانى على
توبيخه لى لفقير الى لقائه
شفيق على بقائه منتسب الى
ولائه شاكرا لانه لا أحل
حريدا عن أمره ولا أقف
بعيدا عن قلبه مانسيته ولا
أنساه انه أيده الله على
كل نعمة خولتها الله نارا
وعلى كل كلمة علمتها منارا
ولو عرفت لكتابى موقعا
من قلبه لاغتنمت خدمته
به ولرددت اليه سؤر كاسه
وفضل أنفاسه ولكنى
خشيت ان يقول هذه
بضاعتنا ردت الينا اوله أيده
الله العتبى والمودة فى القربى
والمرباع ومانا له الباع وما
ضمه الجلد وضمنه المشط

والعميان مانظموا هذا النوع في بديعيتهم وقول الشيخ عز الدين

وسل زمانك تلف الكتب راوية * ايجاز معنى طويل الذكر مرتسم

الشيخ عز الدين ايجازه وسل زمانك أى أهل زمانك واما بقية البيت فلا أفهم له معنى فان البيت الذى قبله متعلق بمدح النبى صلى الله عليه وسلم ماشى فى أثر الابيات التى قبله واما رواية الكتب لايجاز هذا المعنى الطويل المرتسم فانه نوع من المعميات والله أعلم واما بيت بديعيتى فهو قولى عن النبى صلى الله عليه وسلم

أوجز وسل أول الابيات عن مدح * فيه وسل مكة يا قاصد الحرم

الضمير فى لفظة فيه عائد الى النبى صلى الله عليه وسلم والايجاز البديع البليغ الغريب فى قولى وسل أول الابيات فانه اشارة الى اول بيت وضع للناس والايجاز الثانى فى قولى وسل مكة أى وسل أهل مكة فهذا البيت المبارك فيه ايجازان بليغان وفيه التورية بتسمية النوع وفيه المناسبة البديعة بين مكة والبيت والحرم ومراعاة النظير ايضا بين الايجاز والمدح والاثبات وفى الابيات تورية أخرى ونوع التمكين فى القافية ظاهر

(ذكر المشاركة)

(بالجرساد فلا ند يشاركه * بحر الكتاب المبين الواضح اللقم)

هذا النوع اعنى الاشتراك جعله ابن رشيق وابن أبى الاصبع ثلاثة أقسام قسمان منها من العيوب والسرقات وقسم من المحاسن وهو ان يأتى الناظم فى بيته بلفظة مشتركة بين معنيين اشتراكا أصليا اوفرعيا فيسبق ذهن سامعها الى المعنى الذى لم يرده الناظم فيأتى فى آخر البيت بما يؤكد ان المقصود غير ما توهمه السامع كقول كثير عزة

وأنت الذى حببت كل قصيرة * الى ولم تعلم بذاك القصائر

عنيت قصيرات الحجال ولم أرد * قصار الخطا شر النساء البحاتر

فانه أثبت فى البيت الثانى ما أزال به وهم السامع من انه أراد القصار مطلقا وقد يلتبس الاشتراك بالتوهيم على من لا يحققه والفرق بينهما ان الاشتراك لا يكون الا باللفظة المشتركة والتوهيم يكون بها وبغيرها من تحريف أو تصحيف اوتذييل والفرق بينه وبين الايضاح ان الايضاح فى المعانى خاصة لا تعلق له بالالفاظ وهذا نوع اشتراك اللفظة وبيت الشيخ صفى الدين على هذا النوع قوله

شيب المفارق يروى الضرب من دمهم * ذوائب البيض بيض الهند لا اللمم

هذا البيت الاشتراك فيه بين البيض فلولا بيض الهند التى ترشح بها جانب السيوف بذكر الهند لسبق ذهن السامع الى انه أراد الذوائب البيض ولكن بيت الشيخ صفى الدين لم يخل من بعض عقادة والعميان ما نظموا هذا النوع فى بديعيتهم و بيت الشيخ عز الدين الموصلى

وللغزالة تسليم به اشتركت * مع التى هى ترعى نرجس الظلم

هذا البيت يصلح ان يعد من باب الاشارة فى الجناس المعنوى فان الشيخ عز الدين أضمر احد الركنين واظهر الآخر وهذا حد جناس الاشارة من المعنوى فانه ذكر الغزالة فى أول

البيت

(المشاركة)

ولبست رضاى ولكن شهاجل ماأملك واثنتان ايده الله قلما تجتمعان الخراسانية والانسانية وانا وان لم اكن خراسانى الطينه فانى خراسانى المدينه والمرء من حيث يوجد لا من حيث يولد والانسان من حيث يثبت لا من حيث ينبت فاذا انضاف الى خراسان ولادة همذان ارتفع القلم وسقط التكليف فالجرح جبار والجانى حمار ولا جنة ولا نار فليحتملني الشيخ على هناتى بس صاحبنا يقول تأنى على ركاكة عقلى ان تيقنت انى همذانى ولد الى القاضى أبى الحسين على بن على) انا أمت الى

البيت وأضمر الغزالة الشمسية فى الشطر الثانى وهـذا النوع تقدم تقريره ولو صرح الشيخ عز الدين فى الشطر الثانى بلفظة الغزالة وذكر معها الاشراق والنور بحيث يزيل وهم السامع أن المراد الغزالة الوحشية ويتحقق ان المراد الغزالة الشمسية أو بالعكس كان نوع الاشتراك فى بيته خالصا مع ما فيه من النظر وهو ان كلا من الغزالتين سلم على النبى صلى الله عليه وسلم ولكنه أظهر لفظ الغزالة الثانية فصح انه صار جناسا معنويا ولعمرى انه احسن من بيته الذى استشهد فيه على الجناس المعنوى فى أول بديعيته

وكافر نعم الاحسان فى عذل * كظلمة الليل عن ذا المعنوى عمى

فانه أظهر فى أول البيت لفظة كافر والليل يسمى كافرا فاضمر لفظة كافر الذى هو الليل وتالله ان بيته الذى نظمه شاهدا على نوع الاشتراك يستحق الجناس المعنوى استحقاقا ذوقيا وهو اسحم من هذا البيت وارق للمعنى وأوقع فى الاسماع وبيت بديعيتى أقول فيه عن النبى صلى الله عليه وسلم

بالجرساد فلا ندّ يشاركه * بحجر الكتاب المبين الواضح اللقم

هذا البيت يجب ان يعتمد عليه فى هـذا النوع ولا يخفى على أهـل الذوق السليم ما فى تركيبه والعميان ما نظموه فى بديعيتهم وبيت عز الدين تقرر ان الجناس المعنوى احق به واشتراك بيتى فى لفظة الحجر فانى قلت فى أول بيتى بالجرساد وهذه اللفظة مشتركة بين العقل وسورة الحجر فلما قلت فى الشطر الثانى بحجر الكتاب المبين زال الالتباس عن السامع وعلم المراد وترشح عنده جانب السورة المنزلة على الممدوح فيه صلى الله عليه وسلم

(ذكر التصريع)

(تصريع أبواب عدن يوم بعثهم * يلقاه بالفتح قبل الناس كلهم)

هذا النوع أعنى التصريع هو عبارة عن استواء آخر جزء فى صـدر البيت وآخر جزء فى عجزه فى الوزن والروى والاعراب وهو أليق ما يكون بمطالع القصائد وفى وسطها ربما تمجه الاذواق والاسماع وهذا وقع فى معلقة امرئ القيس فانه صرع المطلع بقوله

قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل * بسقط اللوى بين الدخول فحومل

وقال فى اثناء هذه القصيدة

الا ايها الليل الطويل الا انجلى * بصبح وما الاصباح منك بامثل

قلت وعلى كل تقدير ليس فى نوع التصريع كبير امر حتى يعد من أنواع البديع ولكن القوم كلما تغالوا فى الرخص رغبوا فى الكثرة وبيت الشيخ صفى الدين الحلى

لا قاهم بكماة عند كرهم * على الجسوم دروع من قلوبهم

والعميان ما نظموه وبيت الشيخ عز الدين الموصلى

لا زال بالعزمات الغر والهمم * يصرع الضد بالتشطير فى القمم

وبيت بديعيتى أشير فيه الى النبى صلى الله عليه وسلم

تصريع أبواب عدن يوم بعثهم * يلقاه بالفتح قبل الناس كلهم

انظر أيها المتأمل المنصف الى بديع التورية وترشيحها عند ذكر الابواب بالفتح هو فتوح

القاضى اطال الله بقاءه بقرابة ان لم يكن عربيا فابى وأبو اسمعيل وعمى وعمه اسرائيل فان لم تجمعنا هذه الرحم فيا آدم عليه السلام نلتحم وأدل عليه بذمة جوار هو خراسانى وأنا عراقى وليس بين الدارين الامسيرة شهرين وعبور نهرين وقدرا فقته فى الدر وصاحبته فى المستودع والمستقر وعاشرته فى الجنود وشاركته فى الخلود ولابد ان أشرق ويغرب بتجديد العهد ويطوى المعرفة وادنى هذه الوسائل بلغة السائل انه ليست الوسيلة جلاله سناما ولا هو جانبه غلاما ولا شابعجلب من

(التصريع)

في هذا الباب مع سهولة التركيب وحسن الانسجام وتمكين القافية

(ذكر الاعتراض)

(فلا اعتراض علينا في محبته * وهو الشفيع ومن يرجوه يعتصم)

هذا النوع أعني الاعتراض هو عبارة عن جملة تعترض بين الكلامين تفيد زيادة في معنى غرض المتكلم ومنهم من سماه الحشو وقالوا في المقبول منه حشو اللوزنيج وليس بصحيح والفرق بينهما ظاهر وهو ان الاعتراض يفيد زيادة في غرض المتكلم والناظم والحشو انما يأتي لاقامة الوزن لا غير وفي الاعتراض من المحاسن المكملة للمعاني المقصودة ما يميزه على أنواع كثيرة ومن معجزه في القرآن فان لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة ومنه قوله تعالى فلا أقسم بمواقع النجوم وانه لقسم لو تعلمون عظيم ومن الشواهد الشعرية قول بعضهم

ان الثمانين وبلغتها * قد أحوجت سمعي الى ترجمان

فقوله وبلغتها من الاعتراضات التي زادت المعنى فائدة في غرض الشاعر وهو الدعاء للمخاطب وأمثلته كثيرة وبيت الشيخ صفي الدين الحلي يقول فيه عن النبي صلى الله عليه وسلم

فان من انقذ الرحمن دعوته * وانت ذاك لديه الجار لم يضم

فقوله وانت ذاك هو الاعتراض بعينه فانه زاد المعنى فائدة وسماه قدامة التفاتا وهو قريب والعميان ما نظموه وبيت الشيخ عز الدين

فلا اعتراض علينا في السؤال به * أعني الرسول لكي نحو من الضرم

فقول الشيخ عز الدين أعني الرسول هو الاعتراض الذي أراده وبيت بديعيتي أقول فيه عن النبي صلى الله عليه وسلم

فلا اعتراض علينا في محبته * وهو الشفيع ومن يرجوه يعتصم

فقولي بين الكلامين هو الشفيع هو الاعتراض البديع المتمكن فان في قول عز الدين أعني الرسول ركة تدل على ضعف التركيب وكذلك قول الشاعر في مخلص مديحه أعني فلانا يدل على ضعف رويته وقلة تصرفه فانهم عدوا ذلك من المخالص الواهية ولم يجنح اليه الا عوام أهل الادب ومثل الشيخ عز الدين ينتقد عليه ذلك والله أعلم

(ذكر الرجوع)

(وما لنا من رجوع عن حماه بلى * لنا رجوع عن الاوطان والحشم)

هذا النوع أعني الرجوع ذكره ابن المعتز وأبو هلال العسكري وسماه بعضهم استدراكا واعتراضا وليس بصحيح قال القاضي جلال الدين القزويني في التلخيص والايضاح هو العود على الكلام السابق بالنقض لنكتة كقول زهير

قف بالديار التي لم يعفها القدم * بلى وغيرها الارواح والديم

والنكتة فيه كأنه لما وقف بالديار عرته روعة ذهل بها عن رؤية ما حصل لها من التغير فقال لم يعفها القدم ثم رجع الى عقله وتحقق ما هي عليه من الدروس فقال بلى عفت وعليه بيت الحماسة

(الاعتراض)

العصر فيعلق في العصر انما هي العشرية والبلدية والجوار والعصبية وانا قد أخذنا بحمد الله من كل بحظ ولي مع الشيخ أبي نصر دوس قصة في ضيعة كرمه بالاحسان فيها زعيم وربما ارتقت الى القاضي أيده الله وبعض الظن اثم ولكن بعض الاثم حزم وبلغني ان القاضي أيده الله يريد ان يسهل فاريد ان لا يعجل حتى أحضر فينظر كيف الخصومه وانظر كيف الحكومه فالحكم رأيه سعد وهو رأس أسعد الشيطان مع الواحد وهو من الاثنين أبعد والسلام

(الرجوع)

أليس قليلا نظرة ان نظرتها * اليك وكل ليس منك قليل

ويعجبني هنا قول ابي البيداء

ومالى انتصار ان غدا الدهر جائرا * على بلى ان كان من عندك النصر

وأما من سمى هذا النوع استدراكا واعتراضا فتسميته غير صحيحة والذى أقول ان هذا الرجوع لافرق فيه بين السلب والايجاب وقد تقدم قول ابى هلال العسكرى ان السلب والايجاب هو أن يبنى المتكلم كلامه على نفى شئ من جهة واثباته من جهة أخرى وقال القاضى جلال الدين الرجوع هو العود على الكلام السابق بالنقض وكل من التقريرين لائق بالنوعين وللمتأمل أن ينظر فى ذلك بحسن ذوقه وبيت الشيخ صفى الدين الحلى

أطلتها ضمن تقصيرى فقام بها * عذرى وهيهات ان العذر لم يقم

وبيت العميان

قلوا بيد رفضوا واغرب شانئهم * به وما قل جمع بالرسول حمى

وبيت الشيخ عز الدين

رمت الرجوع عن الامداح أنظمها * سوى مديح سديد القول محترم

قلت ليس فى بيت الشيخ عز الدين رجوع الاعن حشمة الالفاظ وفخامتها فى مديح النبى صلى الله عليه وسلم فان قوله سديد القول دون من أنزل الله القرآن فى أوصافه ويعجبنى قول ابن نباتة فى لاميته

ماذا عسى الشعراء اليوم مادحة * من بعد ما مدحت حم تنزيل

وأيضا فانه كان يجب على الشيخ عز الدين ان يقول فى النوع البديعى الذى هو الرجوع رجعت عن الامداح حتى يصح النقض فى الشطر الثانى وانما قال رمت كأنه يرى أن يرجع وعلى الجملة فالبيت قاصر من كل وجه وبيت بديعيتى أشير فيه الى النبى صلى الله عليه وسلم بقولى

ومالنا من رجوع عن حماه بلى * لنا رجوع عن الاوطان والحشم

هذا البيت لم يحتج الى اطلاق عنان القلم فى ميادين الطروس بوصف ما فيه من المحاسن اذ فى مدح أهل الذوق من علماء هذا الفن ما يغنى عن ذلك والله أعلم

(ذكر الترتيب)

(ترتب الحيوانات السلام له * والنبت حتى جماد الصخر فى الاكم)

هذا النوع أعنى الترتيب من استخراجات التيفاشى ذكره فى كتابه وسماه بهذا الاسم وقال هو أن يعمد الشاعر الى أوصاف شتى فى موضوع واحد أو فى بيت وما بعده على الترتيب ويكون ترتيبها فى الخلقة الطبيعية ولا يدخل الناظم فيها وصفا زائدا عما يوجد عليه فى الذهن أو فى العيان كقول مسلم بن الوليد

هيفاء فى فرعها الليل على قمر * على قضيب على حقف النقا الدهس

فان الاوصاف الاربعة على ترتيب خلقة الانسان من الاعلى الى الاسفل وبيت صفى الدين الحلى

كالنار منه رياح الموت ان عصفت * روى صرى ماله أرض الوغى بدم

ولها أيضا الى الشيخ الرئيس أبى عامر عدنان بن محمد

اشهد لو خبر الشيخ الرئيس أطال الله بقاءه ملأ اختيار فوق ما اختبر له لما فى الغيب أكثر مما فى الجيب ولما بقى أحسن مما لقى هذا الامير عمدة الدولة أبو اسحق ملك العراقين بالامس وأشهر بها من الشمس ما أظن الله تعالى أخو مدته الا ليصدر شدته وزاد الا لها صيته اليوم سوددا وذلك مجد يملأ العين واليدا لك اليوم أسباب السموات مظهر

وما اليوم مما أنت بالغه غدا

عمدة الدولة أخو عز الدولة ابن معز الدولة ابن أخى عماد الدولة وركن الدولة وابن عم عضد الدولة ومؤيد الدولة وفخر الدولة وعز الملوك الغلب والجبال الشمخ والصوم المثل والصوب الطفح شراب من ذاقه

الترتيب

ترتيب بيت صفي الدين على العناصر الاربعة وهي الماء والنار والهواء والتراب والعميان ماانظموا هذا النوع في بديعيتهم وبيت الشيخ عز الدين

له الملائك والانسان أجمعهم * والجن والوحش في الترتيب كالخدم

هذا البيت ذكر الشيخ عز الدين في شرحه أنه على ترتيب المخلوقات الملائك والانس والجن والوحش ولكن وضع هذا الترتيب غير منتظم على ماقرره التيفاشي وبيت بديعيتي أقول فيه عن النبي صلى الله عليه وسلم

ترتب الحيوانات السلام له * والنبت حتى جماد الصخر في الاكم

معلوم ان الموجودات ثلاثة وهي حيوان ونبات وجماد والثلاثة على ترتيب خلقة الانسان من الاعلى الى الاسفل فاذا قلنا جسم نام خرج الجماد لانه لاينمو واذا قلنا جسم نام متحرك بارادته خرج النبات واذا قلنا جسم نام متحرك بارادته ناطق خرج باقي الحيوان وبقي الانسان وهذا حده والله أعلم بالصواب

(ذكر الاشتقاق)

(محمد أحمد المحمود مبعثه * كل من الحمد تبيين اشتقاقهم)

هذا النوع أعني الاشتقاق استخرجه الامام أبو هلال العسكري وذكره في آخر أنواع البديع من كتابه المعروف بالصناعتين وعرفه بأن قال هو أن يشتق المتكلم من الاسم العلم معنى في غرض يقصده من مدح أو هجاء أو غيره كقول ابن دريد في نفطويه

لو أوحي النحو الى نفطويه * ما كان هذا العلم يعزى اليه

أحرقه الله بنصف اسمه * وصير الباقي صياحا عليه

وهذا النوع ماذكره القاضي جلال الدين القزويني في التلخيص ولا في الايضاح ولا ذكره الشهاب محمود في حسن التوسل ولا نظمه العميان ولا غيرهم من أصحاب البديعيات غير الشيخ صفي الدين الحلي وبيت بديعيته التي ذكر أنه جمعها من سبعين كتابا قوله

لم يلق مرحب منه مرحبا ورأى * ضد اسمه عنده الحصن والاطم

الشيخ صفي الدين اشتق من اسم مرحب الترحاب حتى يقابله بضده وهذا هو الغرض الذي أراده الناظم وبيت الشيخ عز الدين في المعارضة قوله

ميم وحاء اشتقاق الاسم محو عدا * والميم والدال مدّ الخير للامم

هذا البيت يشق على ان أشرح اشتقاقه واذكر مافيه من التعسف والزيادة وعدم القبول للتجريد فانه أراد أن يمشي على طريق ابن دريد في الاشتقاق فلم يأت بغير الشقاق وماذا الا أن اسم نفطويه سداسي قسمه الناظم في الاشتقاق نصفين جعل النصف الاول نفطا والثاني صياحا وهذا الاشتقاق صحيح على هذا التفصيل وقالوا هو في محمد رباعي من أين للشيخ عز الدين غفر الله له هذا حتى تصح معه لفظة محو مع اني راجعت شرحه فوجدته قال الميم والحاء من اسم محمد صلى الله عليه وسلم فيه ما محو لاعدائه وأيضا فلم نجد أحدا استشهد في بيت من بيوت بديعيته وصدر بيته بقوله ميم وحاء اشتقاق الاسم محو عدا الا الشيخ عز الدين فان المراد من بيت البديعية أن يكون صالحا للتجريد خاليا من العقادة ليصح الاستشهاد به على ذلك

الاشتقاق

أنخ وصيت من سمعه
بجخ وشرف من ناله
أرخ عمري لقد زان الله
هذا البيت بكل زينة
وساق اليه العز من كل
مدينة وما أحوج هذا
البيت الى عماد من الشكر
وثيق وما أفقر هذه النعمة
الى حرث من الصدقات كثير
ان الله قد احتج على هذه
الامة بهذا البيت الكبير
واحتج على هذا البيت
الكبير بهذا الامير عرف
الامير كيف يجاور النعم
ويتقي الغير وعرفكم ان
النعمة ان لم تعمد بالشكر
لم يؤمن زوالها فالسعيد
من وعظ بغيره ألا وان
في صدري لغصة وان في
رأسي لقصة وان لكل مسلم
فيها لحصة وان في هذا
المقام فيها الفرصة قد سمع
الشيخ الرئيس أخبار عضد
دولة أبي شجاع وما أوتي من
بسطة ملك وباع ويدمن

النوع وبيت بديعيتي أقول فيه عن النبي صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه وسلم

محمد أحمد المحمود مبعثه * كل من الحمد تبيين اشتقاقهم

قد تقدم تقرير أبي هلال العسكري في هذا النوع وهو أن يشتق المتكلم معنى لغرض يقصده والغرض هنا أن كلا من محمد وأحمد وصفتهما المحمودة مشتق من الحمد وشرف هذا المدح ظاهر والله أعلم

(ذكر الاتفاق)

(ووصفه لابنه قد جاء تسمية * فانه حسن حسب اتفاقهم)

الاتفاق عزيز الوقوع جدا وهو أن يتفق للشاعر واقعة وأسماء مطابقة لتلك الواقعة تعلمه العمل في نفسها إما بالمشاهدة أو بالسماع فان السبق الى معاني الوقائع يشترك الناس في مشاهدتها وفي سماعها فضل لا يجحد وان حصل للشاعر في ذلك قران سعادة سارت الركبان بقوله وترنم الحادي والملاح به كما اتفق للرضي بن أبي حصينة المصري في حسام الدين لؤلؤ صاحب الملك الناصر يوسف حين غزا الفرنج الذين قصدوا الحجاز من بحر القلزم نظفر الحاجب بهم فقال ابن أبي حصينة يخاطب الفرنج

عدوكم لؤلؤ والبحر مسكنه * والدر في البحر لا يخشى من الغير

وأحسن من ذلك وأبدع ما اتفق للشيخ شمس الدين الكوفي الواعظ في الوزير مؤيد الدين العلقمي حيث قال

يا عصبة الاسلام نوحي والطمي * حزنا على ما حل بالمستعصم

دست الوزارة كان قبل زمانه * لابن الفرات فصار لابن العلقمي

فاتفق أن المذكورين كانا وزيرين وان المورى بهما نهران معروفان وقد طابق الناظم بينهما بالفرات الحلو والعلقم المر ومنه قول ابن الساعاتي وقد حضر الملك الناصر بيت يعقوب من حصون الشام يخاطب الفرنج

* دعوا بيت يعقوب فقد جاء يوسف *

ومنه قول ابن أبي الاصبع وقد اجتمع الملك الاشرف موسى بالملك الظاهر وهو الخضر بن يوسف ابن أيوب

غدا مجمع البحرين شاطي فراتنا * ألم تر موسى فيه قد لاقى الخضرا

واتفق لي مع الملك ما يناسب هذه الاتفاقات البديعة فاني أنشدته وقد كسر النيل في شهر مسرى وبلغه في يوم الكسر ان نوروز قد وصل من الشام الى غزة وقصد الديار المصرية فقلت

أيا ملكا بالله أضحى مؤيدا * ومنتصبا في ملكه نصب تمييز

كسرت بمسرى نيل مصر وتنقضي * وحقك بعد الكسر أيام نيروز

الاتفاق البديع الغريب في هذا البيت ان كسر نوروز بعد كسر مسرى ويسمونه المصريون الكسر النيروزي ولم يبق بعده كسر واتفق لي نظير ذلك بالحضرة المؤيدية وهو أن المقر التاجي نائب السلطنة الشريفة نقل عنه الى المسامع الشريفة كلام فثبت فيه براءته فأنشدته

الاتفاق

الفتوح صناع وخطوفي الخطوب وساع ان كان ليقول ملكان في الارض فساد وسفان في غمد محال ولم يرض أن يلي الارض بطاعة معروفة حتى يجعلها قبضته فأعد للصدمراكب وللبر مصانع وللحصون مكايد وكاد وهم ولو عمرانهم بحجزوا القدرة هذه أن يعمر التربتين الخبيثين أو يصلح البلدتين المشؤمتين قم والكوفة فعلم ان ذلك نلبث نحلتهما فهم ان يسبي ويبيع ثم فرض الجزية عليهم أو يقيموا التراويح ورجع صاحبي أتقامن هراة فذكر انه سمع في السوق صبيا ينشد

ان محمدا وعليا العنا تما وعليا

فقلت ان العامة لو علمت معنى تيم وعدي لكفتني شغل الشكاية وولي النعمة شغل الكفاية ويل أم هراة انصب الشيطان بها هذه

بالحضرة الشريفة المؤيدية ما حصل به للخواطر الشريفة الرضا الزائد وهو قولي

سبع وجوه لتاج مصر * تقول ما في الوجوه شبهي
وعند ناذ والوجوه بهجي * وأنت تاج بفرد وجه

وبيت الشيخ صفي الدين في بديعيته على هذا النوع

ومن غدا اسم آمه نعت الامه * فتلك آمنة من سائر النقم

اتفاق هذا البيت في اشتراك لفظي آمنة وآمنة والعميان ما نظموا هذا النوع في بديعيتهم
وبيت الشيخ عز الدين الموصلي في بديعيته قوله

محمد واسمه بالاتفاق له * وصف يشاكله في اسمه العلم

وبيت بديعيتي أقول فيه عن النبي صلى الله عليه وسلم واذكر فيه وصفه الشريف لابنه الحسن رضي الله عنه

ووصفه لابنه قد جا تسمية * فانه حسن حسب اتفاقهم

اتفاق هذا البيت في اشتراك لفظي حسن وحسن الوصف هو أن النبي صلى الله عليه وسلم أشار الى الحسن رضي الله عنه وقال ان ابني هذا سيد وسيصلح الله به بين فئتين عظيمتين من المسلمين اه

(ذكر الابداع)

(ابداع أخلاقه ابداع خالقه * في زخرف الشعر افاصبح بها وهم)

الابداع هو أن يأتي الشاعر في البيت الواحد بعدة أنواع أو في القرينة الواحدة من النثر وربما كان في الكلمة الواحدة ضربان من البديع ومتى لم يكن كذلك فليس بابداع كقوله تعالى وقيل يا أرض ابلعي ماءك ويا سماء أقلعي وغيض الماء وقضي الامر واستوت على الجودي وقيل بعدا للقوم الظالمين هذه الآية الشريفة استخرج منها زكي الدين بن أبي الاصبع أنواعا كثيرة من البديع منها * المناسبة * التامة بين ابلعي وأقلعي * والمطابقة * اللطيفة بين الارض والسماء * والمجاز * في قوله ويا سماء ومراده مطر السماء * والاستعارة * في قوله أقلعي * والاشارة * في قوله تعالى وغيض الماء فانه بهاتين اللفظتين عبر عن معان كثيرة والتمثيل * في قوله تعالى وقضي الامر فانه عبر عن هلاك الهالكين ونجاة الناجين بغير لفظ الموضوع له * والارداف * في قوله تعالى واستوت على الجودي فانه عبر عن استقرارها في المكان بلفظ قريب من لفظ المعنى * والتعليل * لان قوله تعالى غيض الماء علة الاستواء * وصحة التقسيم * اذ قد استوعب سبحانه أقسام أحوال الماء حالة نقصه * والاحتراس * في قوله تعالى وقيل بعدا للقوم الظالمين اذ الدعاء عليهم مشعر بأنهم مستحقون الهلاك احتراسا من ضعيف يتوهم ان الهلاك شمل من يستحق ومن لا يستحق فأكد بالدعاء على المستحقين * والمساواة * لان لفظ الآية الشريفة لا يزيد على معناها * وحسن النسق * لانه سبحانه وتعالى قص القصة وعطف بعضها على بعض بحسن ترتيب * وائتلاف المعنى * لان كل لفظة لا يصلح معها غيرها * والايجاز * لانه سبحانه وتعالى قص القصة بأقصر عبارة * والتسهيم * لانه من أول الآية الى قوله أقلعي يقتضي آخرها * والتهذيب * لان مرادات الالفاظ موصوفة

الابداع

الحباله وصرنا نشكو اهذه الحاله والله ما دخلت هذه الكلمة بلدة الا صبت عليها الذله ونسخت عنها الملة ولا رضي بها أهل بلدة الا جعل الله الذل لباسهم والفقر بينهم باسهم هذه نيسابور منذ فشت فيها هذه المقالة في خراب واضطراب وأموالها في ذهاب وانتهاب وأسواقها كاسدة وفاسدة وأسعارها في غلاء وخلاء وأهلها في بلاء وجلاء يفتنون في كل عام مرة أو مرتين ثم لا يتوبون ولا هم يذكرون وهذه قهستان منذ فشت فيها هذه المقالة جعلت مأكلة النغص ومجمعة الاكدار ولحمة السيف ومزار السنان مرة يهدم سورها ومرة تنهب دورها وتارة تقتل رجالها وأخرى تهتك حجالها فالشيطان لا يصيد هراة صيدا انما

بصفات الحسن وعليها رونق الفصاحة لسلامتها من التعقيد والتقديم والتأخير * والتمكين * لان الفاصلة مستقرة في قرارها مطمئنة في مكانها * والانسجام * وهو تحدر الكلام بسهولة كانسجام الماء * وباقي بمجموع الآية الشريفة * و * الابداع * الذي هو المراد هنا مع تكرار الانواع البديعية وسهوت عن تقديم حسن البيان وهو أن السامع لا يتوقف في معرفة معنى الكلام ولا يشكل عليه شئ من هذه النظائر وهذا الكلام تعجز عنه قدرة البشر وبيت الشيخ صفي الدين الحلي في بديعيته على الابداع قوله

ذل النضار كما عز النظير لهم * بالفضل والبذل في علم وفي كرم

الشيخ صفي الدين في بيته من أنواع البديع التجنيس والتسجيع واللف والنشر والكناية عن الكرم في قوله ذل النضار والتلاف المعنى مع المعنى والعميان ما نظموا هذا في بديعيتهم وبيت الشيخ عز الدين الموصلي ذكر فيه ستة عشر نوعا ما أمكن العبد استيعابها وتركته لحذاق الادب وهو قوله

كم ابدعوا روض عدل بعد طولهم * وازرعوا حوض فضل قبل قولهم

وبيت بديعيتي أقول فيه عن النبي صلى الله عليه وسلم

ابداع أخلاقه ابداع خالقه * في زخرف الشعر افصح بها وهم

الشطر الاول من هذا البيت مشتمل على التورية وعلى جناس التصحيف وعلى الجناس المطلق وعلى الترصيع والمماثلة والتسجيع وائتلاف المعنى مع المعنى والسهولة والشطر الثاني فيه التورية ومراعاة النظير والاعتراض والانسجام ظاهر في البيت بكماله والابداع الذي هو المراد هنا والله أعلم

(ذكر المماثلة)

(فالخير ماثله والعفو جاوره * والعدل جانسه في الحكم والحكم)

هذا النوع أعني المماثلة هو أن تتماثل ألفاظ الكلام أو بعضها في الزنة دون التقفية كقوله تعالى والسماء والطارق وما أدراك ما الطارق النجم الثاقب ان كل نفس لما عليها حافظ وقد تأتي بعض ألفاظ المماثلة مقفاة من غير قصد لان التقفية في هذا الباب غير لازمة كقول امرئ القيس

كأن المدام وصوب الغمام * وريح الخزامى ونشر العطر

وأما الشاهد الذي هو على أصل هذا الباب في الزنة دون التقفية فكقول الشاعر

صفوح صبور كريم رزين * اذا ما العقول بدا طيشها

والفرق بين المماثلة والمناسبة توالي الكلمات المتزنة وتفرقها في المناسبة قلت هذا النوع أعني المماثلة ما تستحق عقود أنواع البديع بسموها أن ينتظم النوع الساقل في اسلاكها وما أعلم وجه الابداع فيه ما هو ولا ترى من استخراجه وعده بديعا غير الكثرة وقد حسن ان أنشد ههنا

وكم فار تابت ولو شاء قللا

وبالله ما اختلج في فكري من حين تأدبت ان أرصعه في قصيدة من قصائدي ولكن حكم

يستدرجها رويدا وهذه الكوفة مما اختط أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه وما ظهر الرفض بها دفعه ولا وقع الالحاد فيها وقعه انما كان أوله النياحة على الحسين بن علي رضي الله عنهما وذلك ما لم ينكره الانام ثم تناولوا معاوية فأنكر قوم وتساهل آخرون فقد درجوا الى عثمان فنفرت الطباع ونبت الاسماع وكان القراع والوقاع حتى مضى ذلك القرن وخلف من بعدهم خلف لم يحفظوا حدود هذا الامر فارتقى الشتم الى يفاع وتناول الشيخين رضي الله عنهما فلينظر الناظر أية زند قدح القادح وأي خطب بلغ النابح لا جرم ان الله تعالى سلط عليهم السيف القاطع والذل الشامل والسلطان

المماثلة

المعارضة أوجب ذلك * وبيت الشيخ صفي الدين الحلي

سهل خلائقه صعب عرائكه * جم غرائبه في الحكم والحكم

والعميان ما نظموه وبيت الشيخ عز الدين الموصلي

يبدي بما ثله يعطى مناسبة * يجزى مجانسة في الكلم والكلم

وبيت بديعيتي

فالخير ما ثله والعفو جاوره * والعدل جانسه في الحكم والحكم

(ذكر حصر الجزئي والحاقه بالكلي)

(الحق بحصر جميع الانبياء به * فالجزء يلحق بالكلي للعظم)

هذا النوع الغريب اخترعه الشيخ زكي الدين بن أبي الاصبع وهو أن يأتي المتكلم الى نوع فيجعله بالتعظيم له جنسا بعد حصر أقسام الانواع فيه والاجناس كقوله تعالى وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها الا هو ويعلم ما في البر والبحر فانه سبحانه وتعالى يعلم ما في البر والبحر من أصناف الحيوانات والجماد حاصر الجزئيات المولدات فرأى الاقتصار على ذلك لا يكمل به التمدح لاحتمال أن يظن ضعيف أنه جل جلاله يعلم الكليات دون الجزئيات فان المولدات وان كانت جزئيات بالنسبة الى جملة العالم فكل واحد منها كلي بالنسبة الى ما تحته من الاجناس والانواع والاصناف فقال لكمال التمدح وما تسقط من ورقة الا يعلمها وعلم سبحانه وتعالى ان علم ذلك يشاركه فيه كل ذي ادراك فتمدح بما لا يشاركه فيه أحد فقال عز من قائل ولا حبة في ظلمات الارض ثم الحق هذه الجزئيات بالكليات فقال ولا رطب ولا يابس الا في كتاب مبين وأمثاله من النظم قول الشاعر

اليك طوى عرض البسيطة جاعل * قصارى المطايا أن يلوح لها القصر

فكنت وعزمي في الظلام وصارمي * ثلاثة اشباه كما اجتمع النسر

فبشرت آمالي بملك هو الورى * ودار هي الدنيا ويوم هو الدهر

المراد من النوع البيت الثالث فان الشاعر قصد تعظيم الممدوح وتفخيم أمر داره التي قصده فيها ومدح يومه الذي لقيه فيه فجعل الممدوح جميع الورى وجعل داره الدنيا ويومه الدهر فجعل الجزء كليا بعد حصر أقسام الجزئي أما جعله الجزئي كليا فلان الممدوح جزء من الورى والدار جزء من الدنيا واليوم جزء من الدهر وأما حصر أقسام الجزئي فلان العالم عبارة عن أجسام وظروف زمان وظروف مكان وقد حصر ذلك وهذا النوع صعب المسالك في نظمه عزيز الوقوع والتحصيل وقد فر العميان من نظمه وبيت الشيخ صفي الدين الحلي فيه

شخص هو العالم الكلي في شرف * ونفسه الجوهر القدسي في عظم

الشيخ صفي الدين جعل الجزئي كليا فقط وهو القسم الاول لكون الواحد لا يسع جميع القيود وبيت الشيخ عز الدين

فألحق الجزء بالكلي منحصرا * اذ دينه الجنس للاديان كلهم

هذا البيت ما وجدت فيه للكلام فسحة لاموره وبيت بديعيتي

ألحق بحصر جميع الانبياء به * فالجزء يلحق بالكلي للعظم

حصر الجزئي والحاقه بالكلي

الظالم والغراب الموحش ولما أعد الله لهم في الآخرة شر امقاما وأنا أعيذ بالله همة أن يجد الشيطان اليها هذا المجاز وأعيذ الشيخ الرئيس أن لا يحترز لهذا الامر احترازا يرد الشيطان على عقبه

(وله اليه أيضا)

الخبر أطال الله بقاء الشيخ محل الدين وهو على الشمال والروح على اليمين ويعلم ما على من فرائض النفقة ونوافل المروءة كما يعلم ما لي من وجوه الدخل وأبواب المنافع وقد ورد غرماني من موضع كذا وعليهم تبعات دواوينه وحقوق سلطانه فاذا تأمر ان اصنع وفيم ترى ان أشرع ولو رأيت لحنتهم آخر الصبر حتى يستوفي الديوان حقه على ان عهدي بالشيخ أن لا يؤخر مالي عن مال السلطان ولا يقعد لحقي

النبي صلى الله عليه وسلم صالح أن يكون هنا كما للعالم مقداره وعظمه فقولي عن الانبياء فالجزء يلحق بالكلي للعظم لا يخفى ما فيه من المبالغة والمغالاة في وصف الممدوح صلى الله عليه وسلم هذا مع تحرير هذا النوع الذي يدق عن افهام كثير وايضاحه مع التورية باسمه وسهولة تركيبه وانسجامه وما أعلم له في هذا الباب نظيرا وما أوضحه وزاده طلاوة وحسنا الا تشريفه بالمديح النبوي

(ذكر الفرائد)

(وشم وميض بروق من فرائده * وانظم حنانيك عقدا غير منفصم)

الفرائد نوع لطيف مختص بالفصاحة دون البلاغة لان المراد منه أن يأتي الناظم أو الناثر بلفظة فصيحة من كلام العرب العرباء تتنزل من الكلام منزلة الفرائد من العقد وتدل على فصاحة المتكلم بها بحيث ان تلك اللفظة لو سقطت من الكلام لم يسد غيرها مسدها كقوله تعالى أحل لكم ليلة الصيام الرفث الى نسائكم قوله تعالى الرفث فريدة لا يقوم غيرها مقامها وكقوله تعالى هي عصاي أتوكأ عليها وأهش بها على غنمي فقوله سبحانه وتعالى أهش بها على غنمي فريدة يعز على الفصحاء أن يأتوا بمثلها في مكانها ومنه قول عنترة في معلقته

يا دار عبلة بالجواء تكلمي * وعمي صباحا دار عبلة واسلمي

فعمي صباحا فريدة في مكانها وروى أن أبا ذر أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال عم صباحا فقال النبي صلى الله عليه وسلم ان الله قد أبدلني ما هو خير منها فقال ما هي قال السلام وبيت الشيخ صفي الدين الحلي

ومن له جاور الجزع اليبيس ومن * بكفه أورقت عجزاء ذي سلم (١)

الفريدة في بيت الحلي هي العجزاء والعجزاء هي العصا المعقدة ولو العميان ما نظموا هذا النوع وبيت الشيخ عز الدين

كم خصص الحق اذ وافت فرائده * وفي الوطيس بدا ثبتا بلا برم

الفريدة في بيت الشيخ عز الدين هي لفظة الوطيس وأما برم فما برم فيها أمرا وبيت بديعيتي أقول فيه وأنا مستمر على خطابي لمن رام مديح النبي صلى الله عليه وسلم فاني قلت في البيت الذي قبله

ألحق بحصر جميع الانبياء به * فالجزء يلحق بالكلي للعظم

وقلت بعده في الفرائد

وشم وميض بروق من فرائده * وانظم حنانيك عقدا غير منفصم

الفرائد في هذا البيت ثلاثة وهي شم وحنانيك ومنفصم والوميض صالح لذا والله أعلم بالصواب

(ذكر الترشيح)

(يس زادت على لقمان حكمته * وبان ترشيحه في نون والقلم)

هذا النوع أعني الترشيح هو أن يأتي المتكلم بكلمة لا تصلح لضرب من المحاسن حتى يؤتى بلفظة ترشحها وتؤهلها لذلك كقول التهامي في مرثيته المشهورة

واذا رجوت المستحيل فانما * تبني الرجاء على شفير هار

الفرائد

عن حقوق الديوان وان ألقيت دلوي في الدلاء وأمدني الشيخ الرئيس ببعض الاعتناء قضمت الى ان أخضم وقنعت الى ان أقبض وتطرفت حتى يمكن التوسط وان خذلني فقد عاالنصر وطار اراش وطير وانا أنشد الله وعد صديقه الكريم العزيز ثم واجب خادمه السامع المطيع فما أقدره ان نشط والسلام

(وله أيضا)

أنا وأنا عرس الشيخ الرئيس ألف العمامه على فضول لا تقلها جبال تهامه ثم أسبح في الماء الغزير ثم أعتضد بالامير والوزير ثم أستظهر بسجل القاضي ثم الشيخ الرئيس المتغاضي ثم لا حول ولا حيلة مع ابن جبلة العار والله النار والقتل والدمار والثار والتراب المثار عز والله

(١) قوله ذي سلم في نسخة من سلم اه

الترشيح

فلولاذكر الشفيرلما كان فى الرجاء تورية برجا البستر ولكان من رجوت الامر لقوله أولا واذا رجوت المستحيل قلت وهذا النوع تقدم ذكره فى باب التورية المرشحة وقد تقدم أيضا ان التورية أربعة أنواع مجردة ومرشحة ومهيأة ومبينة فالمرشحة هى التى يذكرفيها لازم من لوازم المورى به قبل لفظ التورية أو بعده وسميت مرشحة لترشيحها وتقويتها بذكرلازم المورى به وتقدم هذا فى باب التورية المرشحة ولكن ذكروا فى تكرير الترشيح هنا فائدة لم يكن لمكررها حلاوة وهى اذا قيل ما الفرق بين التورية والترشيح وقد جعلت مثاليهما واحدا قلت الفرق بينهما من وجهين أحدهما من أنواع البديع ما لا يحتاج الى ترشيح وهى التورية المجردة المحضة والثانى ان الترشيح لا يختص بالتورية دون بقية الابواب بل يعم المطابقة والاستعارة وغيرهما فى كثير من الابواب ألاترى الى قول ابى الطيب المتنبى

يا جنتى لرأيت فيه جهنما * وخفوق قلب لورأيت لهيبه

فان قوله ياجنتى رشحت لفظة جهنم للمطابقة ولوقال مكانها يامنيتى لم يكن فى البيت مطابقة البتة وأما ترشيح الاستعارة فكقول بعض العرب

وعشش فى وكريه طارت له نفسى * اذا ما رأيت النسر عزى ابن دأية

فانه شبه الشيب بالنسر لاشتراكهما فى البياض وشبه الشعر الاسود بابن دأية وهو الغراب لاشتراكهما فى السواد واستعار التعشش من الطائر للشيب لما سماه نسرا ورشح به الى ذكر الطيران الذى استعاره لنفسه من الطائر فقد ترشح باستعارة الى استعارة ولولا خشية الاطالة لذكرت ترشيح التشبيه وترشيح غيره من الانواع وبيت الشيخ صفى الدين الحلى يقول فيه عن النبى صلى الله عليه وسلم

بما أباح لهم من حط وزرهم * ان حل أرض اناس شد أزرهم

لفظة شد فى البيت للشيخ صفى الدين رشحت لفظة حل للمطابقة ولو أبقاها على حالها فى معنى الحلول لم يكن فى البيت مطابقة البتة والعميان ما نظموا هذا النوع فى بديعيتهم وبيت الشيخ عزالدين فى بديعيته قوله

جبرالكسر بترشيح من الرحم * فى الفتح ضم من الانصار شملهم

الترشيح فى بيت الشيخ عزالدين ظاهر فانه رشح الفتح للتورية بتصريح الضم ورشح الضم للتورية بذكر الكسر وبيت بديعيتى أقول فيه عن النبى صلى الله عليه وسلم

وبان ترشيحه فى نون والقلم * يس زادت على لقمان حكمته

فذكر لقمان رشح يس للتورية وذكر نون والقلم رشح لقمان للتورية والفرق بين قولى وبان ترشيحه فى نون والقلم وبين قول الشيخ عزالدين بترشيح من الرحم ظاهر وأما سهولة التركيب وعذوبة الانسجام وتمكين القافية فلم احتج معهما الى اقامة دليل والله تعالى أعلم

(ذكر العنوان)

(به العصا أثمرت عزا لصاحبها * موسى وكم قد محت عنوان سحرهم)

هذا النوع أعنى العنوان هو أن يأخذ المتكلم فى غرض له من وصف أو فخر أو مدح أو ذم

ابن جميله ان عاز الله ورسوله ثم أدرك سوله ان امر أترج كفته على كفة فيها خصمه والاسلام وحكمه والسلطان وأمره والوزير وشفاعته والرئيس وعنايته لوفور الحظ من الجلاله وان خصمه لبعيد الضرب فى الضلاله عجبا لذلك الخبيث وأف من هذا الحديث ولا أعاود بعدها الشيخ الرئيس والسلام

وكتب الى الشيخ الرئيس عدنان بن محمد

عجب الناس أطال الله بقاء الشيخ الرئيس من ثلاثة وهن فرحة الفؤاد وغضبة الجلاد ونشاط السماد والاستدرار على أبى الحسن بن غياث أعجب من هذه الثلاث واعجبا أتريد جهنم حطبا واعجبا أتريد أسوأ منها منقلبا

العنوان

او

أو عتاب أو غير ذلك ثم يأتي القصد تكملة بألفاظ تكون عنوانا لأخبار متقدمة وقصص مبالغة كقول أبي تمام لأحمد بن أبي دواد

تثبت ان قولا كان زورا * أتى النعمان قبلك عن زياد
فأثر بين حي بني جلاح * لدى حرب وبين بني مصاد
وغادر في صدور الدهر قتلى * بني بدر على ذات الاصاد

فأتى بعنوان يشير الى قصة النابغة حين وشى به الواشون الى النعمان فجر ذلك حروبا انطوت عليها قطعة من الدهر وذكر في البيت الثالث عنوانا آخر أشار فيه الى ما جرى بين بني عبس وبين بني بدر على غدير ذات الاصاد وبيت الشيخ صفي الدين الحلي في بديعيته

والعاقب الحبر في نجران لاح له * يوم التباهل عقبى زلة القدم

الشيخ صفي الدين أشار بعنوانه الى عبد المسيح عالم النصارى حين قال لهم النبي صلى الله عليه وسلم يوم التباهل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين وكان قد خرج النبي صلى الله عليه وسلم محتضنا الحسين آخذا بيد الحسن عليهما السلام وفاطمة تمشي خلفهما سلام الله عليهم أجمعين فحين رآهم العاقب قال للنصارى لا تباهلوا محمدا فاني أرى معه وجوها لو أقسم على الله أن يزيل بها الجبال لأزالها فانصرفوا وقبلوا الجزية والعميان ما نظموا هذا النوع في بديعيتهم وبيت الشيخ عز الدين الموصلي في بديعيته قوله

بشرى المسيح أتت عنوان دعوته * وقبله كل هاد صادق القدم

وبيت بديعيتي أقول فيه عن النبي صلى الله عليه وسلم

به العصا أثمرت عز الصاحبها * موسى وكم قد محت عنوان سحرهم

هذا البيت عنوانه ظاهر لم يحتج فيه الى شرح ولكن التورية في العنوان وترشيحها بلفظة محت لا يخفى ما فيها من المحاسن لانهما اسم النوع الذي هو القصد هنا وأما قولي به العصا أثمرت فهي مناسبة ليس لها في الحسن مناسب

(ذكر التسهيم)

كذا الخليل بتسهيم الدعا به * أصابهم ونجا من حر نارهم

هذا النوع مأخوذ من الثوب المسهم وهو الذي يدل احدى سهامه على الآخر الذي قبله لكون لونه يقتضي أن يليه لون مخصوص به لمجاورة اللون الذي قبله ومن المؤلفين من جعل التسهيم والترشيح شيأ واحدا والفرق بينهما أن الترشيح لا يدل على غير القافية والتسهيم تارة يدل على عجز البيت وتارة يدل على ما دون العجز وتعريفه أن يتقدم من الكلام ما يدل على ما يتأخر تارة بالمعنى وتارة باللفظ كأبيات أخت عمرو ذي الكلب فان الحذاق بمعاني الشعر وتأليفه يعلمون معنى قولها

* فاقسم يا عمرو لو نبهاك *

يقتضي أن يكون تمامه

* اذا نبها منك داء عضالا *

والله ما عجز قلم أبي الحسن حوالك ولا على شفقة أبي الحسن استدراك وما أظن الملائكة تحصي احصاءه ولا تبلغ الزبانية استقصاءه وقد كدت تلك القرية بالرجالة والفرسان واستأصلت نصيبها من العدل والاحسان ولا عليه أيده الله ان يحتمل غلطات أبي الحسن فيجعل ما أصله قانونا يجعل ابتداءه ويختم داءه فأستريح وأريح

(وله اليه أيضا)

أبقى أطال الله بقاء الشيخ الرئيس عبدان أحدهما الذي أثنت عليه شجرة من يقطين والآخر الذي قال خلقتني من نار وخلقته من طين فأنجي هذا من الظلمات ومد ذلك في المهلات فعرف لكل مقدار حق خدمته وأنا أمت الى الشيخ الرئيس أطال الله

التسهيم

دون غيره من القوافي لانه لو قال مكان داء عضالا ليثا غضوبا أو افعى قتولا أو ما ناسب ذلك لكان الداء العضال ابلغ اذ كل منهما ممكن مغالبته والتوقي منه والداء العضال لا دواء له هذا مما يعرف بالمعنى وأما مايدل على الثاني دلالة لفظية فهو قولها بعده

اذا نبها الليث عريسة * مفيتا مفيدا نفوسا ومالا

وكذلك قولها

وخرق تجاوزت مجهولة * بوجناء حرف تشكي الكلالا

* فكنت النهار به شمسه *

يقتضي ان يتلوه

* وكنت دجا الليل فيه الهلالا *

ومنه قول البحتري

أحلت دمي من غير جرم وحرمت * بلا سبب يوم اللقاء كلامي

* فليس الذي قد حللت بحلال *

ومن هنا يعرف المتأدب ان تمامه

* وليس الذي قد حرمت بحرام *

وبيت الشيخ صفي الدين الحلي في بديعيته قوله

كذاك يونس ناجى ربه فنجا * من بطن حوت له في اليم ملتقم

والعميان مانظموا هذا النوع في بديعيتهم وبيت الشيخ عز الدين الموصلي في بديعيته يقول فيه عن النبي صلى الله عليه وسلم

تسهيمه في الوغى حسم لمتصل * تسليمه في الرضا وصل لمحتشم

قلت الشيخ عز الدين رماه التسهيم في العكس فتشوش اذ صار كل من النوعين يتجاذبه وبيت بديعيتي أقول فيه عن النبي صلى الله عليه وسلم

كذا الخليل بتسهيم الدعا به * أصابهم ونجا من حر نارهم

لفظة التسهيم في هذا البيت انحصر فيها ثلاثة أنواع احدها تسمية النوع والثاني الاستعارة البديعية والثالث التورية المرشحة فان لفظة التسهيم رشحت التورية بذكر الاصابة وتحرير النوع ظاهر في دلالة الاول على الثاني

(ذكر التطريز)

(شملي بتطريز دمعي فيه منتظم * ياطيب منتظم ياطيب منتظم)

هذا النوع اعني التطريز هو ان يبتدئ المتكلم او الشاعر بذكر جمل من الذوات غير منفصلة ثم يخبر عنها بصفة واحدة من الصفات مكررة بحسب العدد الذي قرره وقدره في تلك الجملة الاولى وعدد الجمل التي وصفت بالذوات عدد تكرر واتحاد لا عدد تغاير كقول ابن الرومي

قرون في رؤس في وجوه * صلاب في صلاب في صلاب

ومثله قوله

كان الكأس في يدها وفيها * عقيق في عقيق في عقيق

ومثله قول ابن المعتز

بقاء ليستأنف الود فان كان قد عرض في البين عارض الحين واعتدى وليا من أوليائه فهي الآن عدوا من اعدائه لبس الشيخ الرئيس في تلك الاسباب وخراب تلك الضياع شفاء صدر ولا في بقائها زيادة قدر فان استطاع أن يحسن فيها الخلافة فعل

(وله الى الشيخ الامام ابي الطيب سهل)

ياشبر ماهذا الكبر ويافتر ماهذا الستر ويا قرد ماهذا البرد ويا يأجوج متى الخروج ويا فقاع بكم تباع ويا فزاني متى تراني ويا قمة الجبل نحن ببابك ويا بيضة النغلة من أتى بك

التطريز

فثوبي والمدام ولون خدي * شقيق في شقيق في شقيق

وابدع من الجميع والطف قولي من قصيدتي المصغرة

لفيظك والمقيلة مع تظني * سحر في سحر في سحر

وبيت الشيخ صفي الدين الحلي في بديعيته على التطريز

فالجيش والنقع تحت الظل من كم * في ظل من تحكم في ظل من تكم

قلت هذا البيت لا يخلو أن يكون العقادة فيه بعض تراكم والعميان ليس في بديعيتهم تطريز

وبيت الشيخ عز الدين الموصلي رحمه الله تعالى في بديعيته قوله

الدين والنفع تطريز لمحترم * في نصر محترم في نصر محترم

هذا البيت لم أفهم منه غير لفظة التطريز الذي هو اسم النوع وبيت بديعيتي أقول فيه عن النبي صلى الله عليه وسلم

شولي بتطريز مدحي فيه منتظم * ياطيب منتظم ياطيب منتظم

هذا البيت بهجة التطريز ظاهرة على أركانه وقد جمع فيه بين التطريز الذي هو المراد والتورية واللف والنشر والترشيح والاستعارة ومراعاة النظير والسهولة والانسجام والجناس التام والله أعلم

(ذكر التنكيت)

وآله الصيد آل أن بقس بندى * كفوفهم فافهموا تنكيت مدحهم

هذا النوع أعني التنكيت يستحق لغرابته ان ينتظم في اسلاك البديع ويغار عليه أن يجتمع المماثلة والموازنة ومع التطريز والترصيع وقد تقدم الكلام على سفالة هذه الانواع والتنكيت عبارة عن ان يقصد المتكلم شيئا بالذكر دون اشياء كلها تسد مسده لولا نكتة في ذلك الشيء المقصود ترجح اختصاصه بالذكر وعلماء هذا الفن أجمعوا على انه لولا تلك النكتة التي انفرد بها الكان القصد اليه دون غيره خطأ ظاهرا عند أهل النقد وجاء من ذلك في الكتاب العزيز قوله تعالى وانه هو رب الشعرى فانه سبحانه خص الشعرى بالذكر دون غيرها من النجوم وهو رب كل شيء لان من العرب من عبد الشعرى وكان يعرف بابن ابي كبشة ودعا خلقا الى عبادتها فأنزل الله تعالى وانه هو رب الشعرى التي ادعيت فيها الربوبية دون سائر النجوم وفي النجوم ما هو أعظم منها ومنه قوله تعالى وان من شيء الا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم فانه سبحانه وتعالى خص تفقهون دون تعلمون لما في الفقه من الزيادة على العلم والمراد الذي يقتضيه معنى هذا الكلام الفقه في معرفة كنه التسبيح من الحيوان البهيمي والنبات والجماد الذي تسبيحه بمجرد وجوده الدال على قدرة موجده ومخترعه ومن الامثلة الشعرية قول الخنساء

يذكرني طلوع الشمس صخرا * واذكره بكل غروب شمس

خصت هذين الوقتين بالذكر وان كانت تذكره كل وقت لما في هذين الوقتين من النكتة المتضمنة للمبالغة في وصفه بالشجاعة والكرم لان طلوع الشمس وقت الغارات على العدا وغروبها وقت وقود النيران للقرى وبيت الشيخ صفي الدين الحلي في بديعيته على التنكيت

وبادية وباحبة وبامن خلقه المسبة وبادمل ما اوجعك وباقل لنا حديث معك فان رأيت اذنت والسلام

(وله اليه ايضا)

ولما وقع بخراسان ما وقع من حرب وجرى ما جرى من خطب واضطربت الامور واختلفت السيوف والتقت الجموع وظفر من ظفر وخسر من خسر كتبني الله في الاعلين مقاما ثم الهمني من الامتداد عن تلك البلاد والاقلاع عن تلك البقاع واعترضتنا في الطريق الاتراك واحسن الله الدفاع عن خير الاعلاق وهو الراس بما دون الاعراض وهو اللباس

التنكيت

وآله امناء الله من شهدت * لقدرهم سورة الاحزاب بالعظم

الشيخ صفي الدين خصص سورة الاحزاب هنا بالذكر لان فيها التصريح بمدح آل البيت عليهم السلام بقوله تعالى انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا ولولا هذا الاختصاص كانت كغيرها من السور والعميان ما نظموا هذا النوع في بديعيتهم وبيت الشيخ عز الدين الموصلي رحمه الله

فني براءة تنكيت بمدحته * معناه في الشرح يشفي داء ذي البكم

ذكر الشيخ عز الدين في شرحه ان النكتة المقصودة في بيته في سورة براءة هي قوله تعالى ثاني اثنين اذ هما في الغار اذ يقول لصاحبه لا تحزن ان الله معنا وبيت بديعيتي اشير فيه الى النبي صلى الله عليه وسلم

وآله البحر آل ان يقس بندى * كفوفهم فافهموا تنكيت مدحهم

التنكيت في هذا البيت بديع وغريب في بابه فاني خصصت الندى بالذكر عند مقايسته بالبحر في قولي ان البحر عند ندى كفوفهم كالآل والآل هو الذي يحسبه الظمآن ماء ولو قلت انهار كفوفهم او جداول كفوفهم لسد كل واحد منهما مسده بزيادة زائدة ولكن في الندى نكتة ليست فيهما وهي الغلو في أن البحر يصير عند هذا الندى سرابا وهذا الذي أوجب تخصيص الندى بالذكر دون غيره وقد اجتمع في هذا البيت التنكيت الذي هو القصد هنا والتورية والغلو ومراعاة النظير والجناس والله أعلم

(ذكر الارداف)

(وفي الوغى رادفوا السن القنا سكنا * من العدا في محل النطق بالكلم)

نوع الارداف قالوا انه هو والكناية شيء واحد قلت واذا كان الامر كذلك كان الواجب اختصارهما وانما ائمة البديع كقدامة والحاتمي والرماني قالوا ان الفرق بينهما ظاهر والارداف هو أن يريد المتكلم معنى فلا يعبر عنه بلفظه الموضوع له بل يعبر عنه بلفظ هو رديفه وتابعه كقوله تعالى واستوت على الجودي فان حقيقة ذلك جلست على المكان فعدل عن اللفظ الخاص بالمعنى الى لفظ هو رديفه وانما عدل عن لفظ الحقيقة لما في الاستواء الذي هو لفظ الارداف من الاشعار بجلوس متمكن لا زيغ فيه ولا ميل وهذا لا يحصل من لفظ جلست وقعدت ومن الامثلة الشعرية على الارداف قول ابي عبادة البحتري يصف طعنة

فأوجرته اخرى فأضللت نصلها * بحيث يكون اللب والرعب والحقد

ومراده القلب فذكره بلفظ الارداف والفرق بين الارداف وبين الكناية ان الارداف قد تقرر انه عبارة عن تبديل الكلمة بردفها والكناية هي العدول عن التصريح بذكر الشيء الى ما يلزم لان الارداف ليس فيه انتقال من لازم الى ملزوم والمراد بذلك انتقال المذكور الى المتروك كما يقال فلان كثير الرماد ومراده نقله الى ملزومه وهي كثرة الطبخ للاضياف وبيت الشيخ صفي الدين رحمه الله تعالى على الارداف قوله

بثينة اسكنوا اطراف سمرهم * من الكماة محل الضغن والاضم

الشيخ صفي الدين زاحم البحتري في بيته الى ان نزع قلبه من صدره بل جل قصده في ارداف

الارداف

فلم نجزع لمرض الحال مع سلامة النفوس ولم نحزن لذهاب المال مع بقاء الرؤس وسرنا حتى وردنا عرصة العدل وساحة الفضل ومربع الحمد ومشرع المجد ومطلع الجود ومنزع الاصل ومشعر الدين ومفرع الشكر ومصرع الفقر حضرة الملك العادل ابي احمد خلف بن احمد فكان ما ضعناه كأنا زرعناه فأنبت سبع سنابل وكان ما فقدناه كأنا اقرضناه هذا الملك العادل وكأنما سمي خلفا ليكون عن كل فائت خلفا وعن كل ماضي عوضا وكأنما جئناه ليضيق علينا العالم ويغضر البناني آدم فيجعل حسبنا محسنان وقيدنا الاحسان وكأنما خلق للدنيا تحصيلا وللملوك تخجيلا وكان هذا العالم قد احتن

هنا القلب وكان الواجب العدول عنه لشهرته فى هذا الباب عند أهل البديع والعميان ما نظموا هذا النوع فى بديعيتهم وبيت الشيخ عز الدين الموصلى

للطعن والضرب ارداف بحل به * فى موضع العقل يحكيه ذو والحكم

وبيت بديعيتى قلت قبله عن آل النبى صلى الله عليه وسلم مشيرا الى الغلو فى كرمهم

وآله الصرآل ان يقس بندى * كفوفهم فافهموا تشكيك مدحهم

واردفته بقولى فى الشجاعة

وفى الوغى رادفوا السن القنا سكنا * من العدا فى محل النطق بالكلم

انظر أيها المتأمل فى بديع هذا الارداف الغريب الذى ميزته على أقرانه من البحترى الى الشيخ عز الدين بحسن مراعاة النظير الذى اسكنت به الالسنة بالافواه بقولى فى محل النطق بالكلم مع التورية بتسمية النوع والله سبحانه أعلم

(ذكر الايداع)

واودعوا الثرى اجسامهم فشكت * شكوى الجريح الى العقبان والرخم

هذا النوع أعنى الايداع يغلب عليه التضمين والتضمين غيره فانه معدود من العيوب والعيب المسمى بالتضمين هو ان يكون البيت متوقفا فى معناه على البيت الذى بعده كقول النابغة

وهم وردوا الجفار على تميم * وهم أصحاب يوم عكاظ انى

شهدت لهم مواطن صادقات * اتيتهم بود الصدر منى

والايداع الذى نحن بصدده هو ان يودع الناظم شعره بيتا من شعر غيره او نصف بيت او ربع بيت بعد ان يوطئ له توطئة تناسبه بروابط متلائمة بحيث يظن السامع ان البيت بجملته واحسن الايداع ما صرف عن معنى غرض الناظم الاول ويجوز عكس البيت المضمن بأن يجعل عجزه صدرا وصدره عجزا وقد تحذف صدور قصيدة بكمالها وينظم لها المودع صدور الغرض اختاره وبالعكس وقد تقدم وتقرر ان الاحسن فى هذا الباب ان يصرف الشاعر ما اودعه فى شعره عن معناه الذى قصد صاحبه الاول ويجوز تضمين البيتين بشرط ان ينقلهما من معناهما الاول الى صيغة اخرى كما حكى ان الحيص بيص قتل جروكلب وهو سكران فأخذ بعض الشعراء كلبة وعلق فى رقبتها قصة واطلقها عند باب الوزير فاذا فيها مكتوب

يا اهل بغداد ان الحيص بيص اتى * بخزية البسته العار فى البلد

ابدى شجاعته بالليل مجترئا * على جرى ضعيف البطش والجلد

فانشدت امه من بعد ما احتسبت * دم الابلق عند الواحد الاحد

اقول للنفس تاساء وتعزية * احدى يدى اصابتنى ولم ترد

كلاهما خلف من بعد صاحبه * هذا اخى حين ادعوه وذا ولدى

البيتان الاخيران لامرأة من العرب قتل اخوها ابنها فقالت ذلك تسلية ومنهم من اودع شعره بيتين وكل بيت منهما الشاعر كقول القاضى شهاب الدين محمود

عملا فجعل هذا الملك ثوابه وكان هذا الملك قد اذنب مثلا فجعل هذا العالم عقابه وكانه جسم والعرض عفاته وكانه ذاته والمكارم صفاته فهو البحر يمشى على رجلين والمجد يتصور فى العين والعدل يتقسم والجود يتجسم والنجم يتكلم فلما التقينا فرشت الارض بيدى فرشا ونقشت التراب بفمى نقشا وخطا الى خطوات كادت الارض لا تسعها وكادت الملائكة ترفعها ثم انه زينى بلقياى وفود الكلام كما زينت لقياه ملوك الانام وافردنى على الناس من جميع الاجناس فما ارضى غيره احدا ولا اجد مثله ابدا وان طلبت ملكا فى اخلاقه مت ولم الاقه

وبتنا على حكم الصبابة مطعمى * زفيرى واشجانى وشربى المدامع
وخلى يعاطينى كؤس ملامة * وينشدنى والهم للقلب صادع
اتطمع من ليلى بوصل وانما * تقطع اعناق الرجال المطامع
فبت كأنى ساورتنى ضئيلة * من الرقش فى انيابها السم ناقع

البيت الاخير للنابغة قلت غاية الاوائل ان ينقلوا المعنى الاول فى الايداع الى معنى آخر ان كان فى بيتين او بيت واحد اونصف بيت ولكن الفرقة التى مشت تحت العلم الفاضلى وتحلت بالقطر النباتى وهلم جرا لم يرضوا بنقله مجردا من التورية اومايناسبها من انواع البديع ومما يؤيد قولى هذا قول القاضى جلال الدين القزوينى فى التلخيص واحسنه مازاد على الاصل بنكتة كالتورية والتشبيه وممن ابدع فى نقله الى التورية علامة هذا الفن الشيخ جمال الدين بن نباتة رحمه الله تعالى بقوله

اتانى على البانياسى منشدا * فيالك من شعر ثقيل مطول
مكر مفر مقبل مدبر معا * كجلمود صخر حطه السيل من عل

ومثله قوله فى مليح اسمه حبيب وهو

حبيب حبيب القلب اخلى منزلا * به كان فى عرس المسرة يجتلى
فياصاحبى الذكر قد لذ بالبكا * قفانبك من ذكرى حبيب ومنزل

ومايشك من عنده ذوق ان المقطوعين فى الايداع تميزا لمحاسن التورية وغريب النقل الى غرض كل من الناظمين وكذلك تقطيع اعناق الرجال فى ايداع الشهاب محمود فانهم نقلوه الى الصفع وجاءت توريته فى غاية الحسن وهذا هو المذهب الذى انتهت غايات المتأخرين اليه ومن ذلك قول الشيخ جمال الدين بن نباتة ايضا وهو

اقول لمعشر جلدوا ولاطوا * وباتوا عاكفين على الملاح
الستم خير من ركب المطايا * واندى العالمين بطون راح

وقولى

ومذ كلمت قلبى سيوف لحاظها * شكوت اليها قصتى وهى تبسم
فلم ار بدرا ضاحكا قبل وجهها * ولم ترقبلى ميتا يتكلم

وقال الشيخ جمال الدين بن نباتة

دنوت اليها وهو كالفرخ راقد * فيا خجلتى لما دنوت واذلالى
نقلت امعكيه بالانامل فالتقى * لدى وكرها العناب والحشف البالى

وقولى

طاول الليل بالذؤابة قيس * وتثنى عجبا بلطف وكيس
خلالى السهاد مذ طال ليلى * ياخليلى من ذؤابة قيس

وقال الشيخ جمال الدين بن نباتة

تصدى الى ايرى فقلت له اتئد * وحقك لوعاينته وهو ثائر
رأيت الذى لا كله انت قادر * عليه ولا عن بعضه انت صابر

اوكريماف جوده عدمت قبيل وجوده غرس الله سلطانه من ملك وسع ارزاق وضيق اخلاق واغلى غنى غايته تريق اجد وعظم اميرى غايته يسعى بلده وهذا وصف ان اطلته طال وانشر الاذيال واستغرق القرطاس بل الانفاس واستنفد الاعمار بل الاعصار ولم يبلغ المعشار وافنى الاقلام بل الكلام ولم يبلغ التمام ماظنك بالشيخ ملك شهدت له الفراسة رضيعا بان لايكون وضيعا والمخائل فطيما بان يكون سمعا كريما والشواهد صبيا بان ينزل مكانا عليا والشمائل غلاما ان يكون ملكا همامافلما ايفع وارتفع طالبته الهمة العليا برفض الدنيا حتى يؤدى فرض الله فى الحج فقام عن سرير الملك الى سبيل النسك فحج البيت ودرس العلم حتى علم ناسخ

وانشدنى ٣ من لفظه لنفسه الكريمة مولانا المقر الاشرف المرحومى القاضوى الناصرى محمد ابن البارزى الجهنى الشافعى صاحب دواوين الانشاء الشريف بالممالك الاسلامية المحروسة كان تغمده الله برحمته ٣ ما اختلف هو والشيخ جمال الدين بن نباتة فى ابداعه واتفقا فى معناه والمعنى فى البيتين المذكورين قبل واما الترشيح فعندى ان التورية فى بيتى المقر الناصرى ارجح وهما قوله

اقول وقد ابى عن اخذ ثارى * وسالت من محاجره دموع
اذا لم تستطع شيأ فدعه * وجاوزه الى ما تستطيع

الذى ترجح عندى ان قوله وجاوزه اقعد من قول الشيخ جمال الدين لا كاه والذى اقوله ان كلا منهما فى بابه بديع وغريب وقال الشيخ جمال الدين بن نباتة

لم أنس موقفنا بكاظمة * والعيش مثل الدار مسود
والدمع ينشد فى مسائله * هل بالطلول لسائل رد

ومثله قولى

قف واستمع طربا قليلى فى الدجا * بانت معانقتى ولكن فى الكرى
وجرى لمعى رقصة بخيالها * أترى درى ذاك الرقيب بما جرى

ومن ابداعاتى الغريبة قولى من اعجاز الملحة

تنكر الحال علينا عندما * سال عليه العارض المسلسل
نعنه سلنى ان ترد تعريفه * فانه منكر يا رجل

ومما انفرد به الشيخ جمال الدين بن نباتة رحمه الله تعالى تضمين أعجاز الملحة والذى يؤيد انفراده حسن تخلصه من الغزل وهو ماش على التضمين الى مدح قاضى القضاة ولم يزل مستمرا على غرر المدائح اللائقة بالقاضى الى حسن الختام وضمن الشيخ زين الدين بن الوردى نبذة من اعجاز الملحة ولم يفرغها فى غير قوالب الغزل فان التخلص من الغزل الى المدح من المستحيلات فى هذا الباب ولكن الشيخ جمال الدين بن نباتة كان فى ذلك العصر نسيج وحده ومن المعلوم ان الجماعة مثل الشيخ زين الدين بن الوردى والشيخ صلاح الدين الصفدى والشيخ برهان الدين القيراطى وغيرهم ممن عاصره ما منهم الا من تطفل على موائد حلاوة النباتية وقد عن لى ان أورد هنا نبذة من التضمين للشيخين واجعل كلا من أبيات الشيخين وقفا محبسا على اصحاب الذوق السليم قال الشيخ جمال الدين فى المطلع

صرفت فعلى فى الاسى وقولى * بجمد ذى الطول الشديد الحول

وقال الشيخ زين الدين رحمه الله تعالى فى المطلع

يا سائلى عن الكلام المنتظم * هو الذى فى لفظ من أهوى قسم

هذا المطلع من الابداع الذى قصر فيه باع الشيخ زين الدين ابن الوردى فانه صدر مطلعه بالصدر وهو جائز ولكنه غير المراد فان الشيخ جمال الدين تقدمه بتضمين الاعجاز ونسج ابداعه على هذا المنوال ومن اغزال الشيخ جمال الدين البديعة فى هذا الباب قوله

أفدى غزالا مثلوا جماله * فى مثل قد أقبلت الغزاله

الكتاب ومنسوخه ومباحه ومحظوره ومتن الحديث وصدره وكان استخلف على رعيته بعض خدمه واوصى بهم كبيرا لا يظلمهم نقيرا فبسط ذلك العامل يده فى المظالم يحتقبها والمحارم يرتكبها فكر عليهم كرة القمر ورجع اليهم رجعة المطر فحاربه وقهره ومحا الله أثره ثم حملت له الاعداء العصى وحنت اليه القسى والله من ورائه يكلؤه من اعدائه فاقام يوم من تلك السنين الا نقصهم وازداد فكم ركن هدم وجيش هزم وكبد عدم فلما اقاموا طويلا ولم يغنوا فتيلا لم يكن اكثر من ان جاؤه امراء فعادوا فقراء ولبثوا أسراء ورجعوا صاغرين وانقلبوا خاسرين وتبعهم كيده النافذ ومكره الآخذ يقفو آثارهم ويكسح ادبارهم واشتملت جريدة ما لقى من الحروب مع ابناء الذنوب واولاد الدروب على بضعة عشر حربا اخفها مع بضعة عشر الف

ما قال مذ ملك قلبي واسترق * كقولهم رب غلام لي ابق
للقمرين وجهه مطالع * فهي ثلاث ما لهن رابع
لاحرف الحسن على خديه خط * وقال قوم انها اللام فقط
منفرد بالوصل في دار الهنا * مثاله الدار وزيد وأنا
لا يختشي تلاعب الظنون * والامر مبني على السكون
في خده التبري هان نشبي * وقيمة الفضة دون الذهب
فاصرف عليه ثروة تسام * فما على صارفها ملام
وان رأيت قده العالي فصف * وقف على المنصوب منه بالالف
والعارض النوني ما انصفته * وان تمكن باللام قد عرفته
واهاله من حرف نون قد عرف * كمثل ما تكتبه لا يختلف
يأتي بنقط الخال في الاعجام * وتارة يأتي بمعنى اللام
لحظه المسكر فعل يطرب * مفعوله نحو سقى ويشرب
ولا تلم فيه عويشقا تلف * ولا سكيران الذي لا ينصرف
جسمي وذا الخصر والجفن الدنف * هن حروف الاعتلال المكتنف
فيا مليحا عنه أخرت القمر * اما لاهوان واما لصغر
كرر فما احلى بسمعي السامي * قولك يا غلام يا غلامي
وارفق بصبك فسوى اسمه * ولا تغير ما بقي من رسمه
وقد حكى العذار في الوقوف * فاعطف على سائلك الضعيف
والخمر بمعنى لحظك المعشوق * في كل ما تأتيه حقيق
بالك لحظا بسعاد أزرى * وجاء في الوزن مثال سكرى
يا ناصبا أوصاف ذاك الصبي * تم الكلام عنده فلتنتصب
هيهات بل دع عنك ما أضنى وما * وعاص اسباب الهوى لتسلما
وكرر الامداح في علي * قاضي القضاة الطاهر النقي
بكل معنى قد تناهى واستوى * في كلم شتى رواها من روى
بادر بذا الحي العالي وصف * اذا اندرجت قائلا ولا تقف
دونك والمدح زكيا معجبا * نحو لقيت القاضي المهذبا
فالجود والعلم عليه ارتقى * وهكذا أصبح ثم امسى
واهرع الى قار قراه نافع * وافزع الى حام حماه مانع
يقول للضيف نداه جيء وجل * ومثله ادخل وانبسطوا اشرب وكل
وان ظفرت عنده بوعد * تقول كم مال أفادته يدي
لله ما البنه عند العطا * وما احد سفه اذا سطا
ان قال قولا بين الغرائبا * وقام قس في عكاظ خاطبا
وان حذا الحي على ذي العدد * والكيل والوزن ومذروع اليد

وجعل وكتب الله في جمعها النصر عادة في ملك عقب الدهر فلم يشرب الخمر ولم يسمع الزمر ولم يعرف النقر ولم يلعب القمر تشحن دور الملوك بالمعازف ودارهم بالمصاحف وتأنس مجالسهم بالقيان ومجلسه بالقرآن ويألف ابوابهم حملة الظلم وبابه حملة العلم وتعبث ايديهم بالعود ويده بالجود وتلعب انامله بالمزامر وانامله بالدفاتر يدخرون الدراهم ويدخر المكارم ويقتنون الجواهر ويقتني المآثر ويعدون نفيس الاعلاق ويعد نفيس الاخلاق وكثيرا ما ينشدني

فهن اذا جمعتهن دراهم
وهن اذا فرقتهن مكارم

الم به ذه الشده في هذه المده فلان فرجع بثلاثين الف دينار وقد نزلت بهذا المقام في هذه الايام فاختلت بين الخيل والخول

معطل السمع عن العذال * فماله مغير بحال *

الفضل جنس بيته المهنا * ونوعه الذى عليه يدق

سام به أهل العلا جميعا * وارفع ولا ترد ولا تقربعا

وان ذكرت افق بيت قدغا * فانصب وقل كم كوكب تحوى السما

بيت عظيم المجد والعلاء * عند جميع العرب العرباء

اذا اجتليت فى العطا جبينه * او استترت للرجا يمينه

منها والبيت مضمن بكماله

تقول قد خلت الهلال لائحا * وقد وجدت المستشار ناصحا

كم بالغنى عنه تولى راجل * وواقف بالباب أضحى سائل

قال له الشرع امض ماتحاوله * واقض قضاء لا يرد قائله

وانت يا قاصده سر فى جدد * واسع الى الخيرات لقيت الرشد

ولا تقل كان فما وارحل * كان وما انفك الفتى ولم يزل

باب سواه اهجر عد الشعب * وصغر الباب وقل بويب

جود به أنسى احاديث المطر * فليس يحتاج لها الى خبر

خذ بحر شعر جبته للذكر * وغصت فى البحر ابتغاء الدر

حتى ملا عينى نداه عينا * وطبت نفسا اذ قضيت الدينا

دونكها معقولة الآداب * ممزوجة بملحة الاعراب

مضى بها الليل مضى الانجم * وبات زيد ساهرا لم ينم

فافتح لها باب القبول تنجلى * وان تجد عيبا فسد الخللا

لازلت مسموع الثنا ذا منن * جائلة دائرة فى الالسن

مالعدالك راية تقام * فليس الا الكسر والسلام

وقال الشيخ زين الدين بن الوردى

فى صدغه للحسن آيات تخط * وقال قوم انها اللام فقط

قال الشيخ جمال الدين تقدمه فى هذا البيت بالابداع وهنا بحث لطيف ابحثه مع حذاق الادب قال الشيخ جمال الدين بن نباتة (لاحرف الحسن على خديه خط) ومراده بذكر الحرف هنا مخالفة القوم له على انه البيت باحرف وانما هى حرف اللام فقط وقال الشيخ زين الدين (فى خده للحسن آيات تخط) فلم يبق لقول من خالفه بقوله وقال قوم انها اللام فقط موضع ولا محل واين الآيات التى تخط من اللام ولعمرى ان هذا الابداع على هذا التقدير بصير بيته وبين المجزمن بيت الملحة بعض مباينة وكان الاليق للشيخ زين الدين الاعراض عن ابداع هذا البيت بعد الشيخ جمال الدين فانه لم يترك لغيره مجالا فيه والله اعلم وقال الشيخ زين الدين بن الوردى رحمه الله تعالى

زمانه غض فلا يخشى فرط * اذ الف الوصل متى يدرج سقط

بسيف جفنه قتلت نفسى * فانه ماض بغير لبس

ومجلسى بين الحلى والحلل
وسيأتيه العم بتفصيل
ما اجلت شمران لهذا الملك
عند الله تعالى دعاء مستجابا
يمهد بالاجابة واعتبر
ذلك فى خطب وقع فى هذه
السنة فكشفه الله بدعائه
ورد الكيد فى نحر اعدائه
وكان بعض اولاده كرمهم
الله تعالى يشرب فى السر
شرب المصر فبلغه الخبر
فقصه على من اختصه
وذهبت النفرة طولا وعرضا
وجر الحديث بعضه بعضا
وأفضى الى استمالة قلوب
العسكر لركوب المنكر
من اظهار العصيان والعقوق
برفع المحوق وضرب
البوق وطابقه على ذلك
جملة من الجنود ليسعوا

فيا عزالى ان ابنت ما اعتدى * فاسقط الحرف الاخير ابدا
قلت لمذكر لى خل الفند * واسع الى الخيرات لقيت الرشد

وهذا الايداع ايضا نسخه الشيخ زين الدين من قول الشيخ جمال الدين وسبكه فى غير قالبه وا
هذا من قول الشيخ جمال الدين فى اشاراته الى قاصد ممدوحه

وانت يا قاصده سر فى جدد * واسع الى الخيرات لقيت الرشد

قال الشيخ زين الدين

وان يكن عدالك فى المؤنث * فقل لها خافى رجال العبث

منها واجاد الى الغاية

قوامه اشبه شئ بالالف * كمثل ما تكتبه لا يختلف

ومثله فى الحسن قوله

يا خصره من ردفه فز بالمنى * ولا تسل اخف وزنا ام رجح

تركيب هذا البيت غاية فى هذا الباب لانه قدم ذكر الالف فى الاول وقال فى عجز بيت الملحة
كمثل ما تكتبه لا يختلف بخلاف قوله فى ذلك البيت آيات وقوله فى عجز بيت الملحة وقال قوم انم
اللام فقط وقال

عذاره الرقيم فز بلثمه * ولا تغير ما بقى من رسمه

ولكن مرسوم الشيخ جمال الدين امثل واين قول الشيخ جمال الدين

* وارفق بعشاقك فما سوى اسمه *

حتى يقول بعد التوطئة

* ولا تغير ما بقى من رسمه *

من قول الشيخ زين الدين

* عذاره الرقيم فز بلثمه *

وقال الشيخ زين الدين بعد بيته الاول

تقول فيه خضرة يسيره * كما تقول ناره منيره *
دينار وجهه به شعت * وكم دنينير به سمحت
بالتيه يعطف بالوصال * والعطف قد يدخل فى الافعال
لاما حلا لى فى هواه العذل * لشبهه الفعل الذى يستقبل

منها واجاد

عيناه افنت اكثر العشاق * وهكذا تفعل فى البواقى
* فى ثغره جواهر غوالى * جلوتها منظومة اللآلى
صورته كالبدر فوق الغصن * فانظر اليها نظر المستحسن
وخل عنك يا عذول العذلا * وان تجد عيبا فسد الخللا

وهذا البيت ايضا منسوخ من ايداع الشيخ جمال الدين والبون بينهما بعيد فان الشيخ جمال
الدين اعتذر للممدوح فى آخر القصيدة فى التقصير كما جرت عادة الشعراء بقوله

فى الظلم فلا يؤخذ فى الجرم
و يغسلوا عن لجام الشرع
ويأمنوا عليه ألم الردع
ودب الشيطان بينهم ودرج
وأولج هذا الابن وخرج
واتهمه الملك العادل باكثر
جنايه و زعماء بابه ونفر
من غلمانه ليرده الى مكانه
فلما بلغوا معسكره صاروا
معه يدا واحده وقدما
قاصده واظهروا شعار
الدولة والعصيان على وليهم
وولى نعمهم ومالك لحمهم
ودمهم واتصل الخبر
فكادت العقول تطير
والقلوب تطيش ولم يؤمن
من الحاضرين ان يكونوا
مع الغائبين ومن المقيمين
ان يكونوا كالذاهبين
فلما جن الليل اردفهم

فافتح لها باب القبول تجتلي * وان تجد عيبا فسد الخللا

هذا مع مطابقة الفتح بالسد فى هذا الباب وهذا غاية وأما اعتذار الشيخ زين الدين للعاذل وقوله له عن محبوبه وان تجد عيبا فسد الخللا فالمحبوب عند محبه أجل من هذا القدر والله اعلم وختام الشيخ زين الدين بن الوردى رحمه الله قوله

حتى رثى لى وألان القولا * والحمد لله على ما اولى

ولعمرى انى اختصرت من ابداع الشيخ زين الدين بن الوردى جانبا لم أرضه له ومن الابداعات التى برز فيها الشيخ زين الدين بن الوردى قصيدته التى امتدح بها النبى صلى الله عليه وسلم وضمن فيها اعجاز قصيدة أبى العلاء المعرى و بعض صدورها وهى القصيدة الرائية التى امتدح بها ابو العلاء المعرى ابن القصيصى ونقلها الشيخ زين الدين ابن الوردى الى مستحقها صلى الله عليه وسلم وقد عن لى ان اجمع هنا بين الاصل والفرع لتظهر مزية الشيخ زين الدين فانه اظهر فى ابداعه العجائب واتى بالغرائب ومطلع الشيخ زين الدين خال من الابداع وهو أدر أحاديث سلع والحمى أدر * والهج بذكر اللوى او بانه العطر

ومطلع الشيخ أبى العلاء المعرى

ياساهر البرق أيقظ راقد السمر * لعل بالجزع اعوانا على السهر

قال الشيخ زين الدين بعد المطلع

وقف على الجزع واذكرنى اساكنه * لعل بالجزع اعوانا على السهر

وقال فى ابداع صدر مطلع أبى العلاء

اذا تبسم لبلاقل لمبسمه * ياساهر البرق أيقظ راقد السمر

قال ابو العلاء يخاطب البرق

وان بخلت على الاحياء كلهم * فاسق المواطر حيا من بنى مطر

وقال ابو العلاء فى قصر الليل على العاشق ليلة الوصل

يود أن ظلام الليل دام له * وزيد فيه سواد القلب والبصر

نقله الشيخ زين الدين الى المديح واجاد الى الغاية بقوله عن النبى صلى الله عليه وسلم

تشرف الركن اذ قبلت اسوده * وزيد فيه سواد القلب والبصر

قال ابو العلاء

لو اختصرتم من الاحسان زرتكم * والعذب يهجر للافراط فى الخصر

فنقله الشيخ زين الدين الى المديح النبوى فقال يخاطب النبى صلى الله عليه وسلم

عذبت وردا فلم تهجر على خصر * والعذب يهجر للافراط فى الخصر

قال ابو العلاء يخاطب محبوبته

قلدت كل مهاة عقد غانية * وفزت بالشكر فى الآرام والعفر

نقله الشيخ زين الدين الى المديح النبوى وما احق المادح والممدوح به فقال

ان الغزالة لما ان شفعت نجت * وفزت بالشكر فى الآرام والعفر

قال الشيخ ابو العلاء

بجماعة من الاعراب وقام الى المحراب يستنجد الله تعالى على ولده و يسأله ان يجعله فى يده فلما التقت الفئتان اوحى الله تعالى الى الرعب ان يدهشه والى الرصل ان يوحشه فقهر ذلك الجمع وقسر وقص جناحه وكسر وافلت الكل واسر وبلأمن افلت الى ابن سمجور وحارب فى عسكره فلما التقى الجمعان بباب هراة وفى عسكره الحاجب النادب وزعيم بابه الذاهب اوحى الله تعالى الى فرسيهما فوقفا فاسر كل واحد منهما وحده واسر من كان معهما بعده فكبلوا فى الحديد ووردوا الى مولاهم فلما مثل الحاجب بين يديه قال كيف رايت الله يا ظالم نفسه ألم اشترك وحيدا الم اربك وليدا الم اغنك فقيرا الم ارفعك حقيرا الم تهرب مستجيرا الم تكن للظالمين نصيرا الم تأتنى اسيرا الست به جديرا الست

أقول والوحش ترميني بأعينها * والطير تعجب مني كيف لم أطر

نقله الشيخ زين الدين وقال

ضمنت مدح رسول الله مبتهجا * والطير تعجب مني كيف لم أطر

قال ابو العلاء

في بلدة مثل ظهر الضب بت بها * كانني فوق روق الظبي من حذر

نقله الشيخ زين الدين وقال

ولي ذنوب متى اذكرسوالفها * كأنني فوق روق الظبي من حذر

قال أبو العلاء يخاطب صاحبه

لا تطويا السير عني يوم نائبة * فان ذلك ذنب غير مغتفر

قال الشيخ زين الدين بعد قوله ولي ذنوب

ومطمعي انها لا شرك يشركها * فان ذلك ذنب غير مغتفر

قال أبو العلاء

ياروع الله سوطي كم اروع به * فؤاد وجناء مثل الطائر الحذر

نقله الشيخ زين الدين وقال

ولي فؤاد متى تغفر سوى مضر * فؤاد وجناء مثل الطائر الحذر

قال ابو العلاء في المخلص بعد روع الوجناء

باهت بمهرة عدنانا فقلت لها * لولا القصيصي كان المجد في مضر

قال الشيخ زين الدين لله دره

والله لو ان اهل الارض قاطبة * مثل القصيصي كان المجد في مضر

قال ابو العلاء مشيرا الى ممدوحه واساء الادب

وقد تبين قدري ان معرفتي * من تعلمين سيرضيني عن القدر

نقله الشيخ زين الدين بن الوردي الى المديح النبوي صلى الله عليه وسلم وقال بحق

يانفس لا تيأسي يوم المعاد فلي * من تعلمين سيرضيني عن القدر

قال ابو العلاء وكذب عن القصيصي في قوله

ولو تقدم في عصر مضى نزلت * في وصفه معجز الآيات والسور

نقله الشيخ زين الدين الى المديح النبوي وقال رحمه الله حيث قال

وأين شعري من الهادي الذي نزلت * في وصفه معجزات الآي والسور

قال الشيخ ابو العلاء يخاطب ممدوحه

وافقتهم في اختلاف من زمانكم * والبدر في الوهن مثل البدر في السحر

نقله الشيخ زين الدين الى المديح النبوي وقال يخاطب النبي صلى الله عليه وسلم وسبي العقول

بقوله وانت في القبر حي ما اعتراك بلى * والبدر في الوهن مثل البدر في السحر

قال ابو العلاء يخاطب ممدوحه

اعاذ مجدك عبد الله خالقه * من اعين الشهب لا من اعين البشر

عليه قدرا فما اجاب بافصح من السكوت فلما سمع الملك العادل صليل الحديد في رجليه بعد وسواس المنطقة عليه رق لشقوته فعفا عن قدرته وتلك عادته فمن خصه بجرم ولا يعفو عن مستوجب حدا ولو عز جدا ثم انه اطلق عن ولده وحبس من كان يسعى في الدولة بفساد وذكر الشيخ ابو فلان ان ابا فلان زاد على خراجه توابع ونوافل وضعف عليه مؤنا ولواحق وامر في ان اكاتبه ليرفع من الزيادة ما انبت ويحصد من النكاية ما انبت فقلت اللهم غفرا كيف يحتشني وهل يوقر فضلي من لا يوقر اصلي وكيف اكاتب سلطانا لا يعلم ان الدرهم يؤخذ من مالي خبيث الاحدوثة قليل المغوثة ان رأى الشيخ ان يعفيني من مكاتبته وهلم الى ملك وجد خراجين لم تزل الملوك من اسلافه يستأدونهما ويسمون الاول اصيلا ويتأولون في الثاني

والبيت نقله الشيخ زين الدين الى المديح النبوي بكماله ولكن كان فارس ميدانه وقائد عنانه وكأنه كان معدا القصيدته حتى يبرزه في محاسن مديح النبي صلى الله عليه وسلم وهو

لله قولي لعبد الله والده * قولا الى فص عليه على قدر

اعاذ مجدك عبد الله خالقه * من اعين الشهب لا من اعين البشر

قال أبو العلاء يخاطب ممدوحه

سافرت عنا فظل الناس كلهم * يراقبون اياب العيد من سفر

نقله الشيخ زين الدين الى المديح فقال يخاطب النبي صلى الله عليه وسلم

كم راقبت امم منك القدوم كما * يراقبون اياب العيد من سفر

قال أبو العلاء يخاطب الممدوح

لو غبت شهرك موصولا بتابعه * وابت لا تنقل الاضحى الى صفر

قال الشيخ زين الدين يخاطب النبي صلى الله عليه وسلم

سل تعط واشفع تشفع ماترده يكن * لو شئت لاتنقل الاضحى الى صفر

قال أبو العلاء في ختام قصيدته

ولا تزال بك الايام ممتعة * بالآل والحال والعلياء والعمر

قال الشيخ زين الدين في ختامه

وارتجي بك من ذي العرش عافية * في الآل والحال والعلياء والعمر

رحم الله الشيخ زين الدين هذه القصيدة معدودة من محاسنه ولولا خشية الاطالة لاستوعبتها بكمالها فانها بديعة في باب الابداع انتهى وأما اجازة قصيدة امرئ القيس اللامية المعلقة فان جماعة من اهل الادب ثابروا على تضمينها وتضمين البعض منها وسبكوها في قوالب مختلفة الانواع كتب الى مولانا قاضي القضاة صدر الدين بن الآدمي الحنفي سقى الله ثراه من دمشق المحروسة الى حماة المحروسة في صدر رسالته

احن الى تلك السجايا وان نأت * حنين اخي ذكرى حبيب ومنزل

واهدي اليها من سلامي معطرا * بمسك سحيق لا بريا القرنفل

وأذكر ايامًا لات بكم قد تصرمت * بدار حبيب لا بدارة جلجل

شكوت الى صبري اشتياقي فقال لي * ترفق ولا تهلك اسى وتجمل

* وقلت له اني عليك معول * وهل عند رسم دارس من معول

فاجبته وصدرت الرسالة بقولي

سرت نسمة منكم الي كأنها * نسيم الصبا جاءت بريا القرنفل

فقلت لليلي مذ بدا صبح طرسها * الا ايها الليل الطويل الا انجل

جنت ما حلا ذوقا فقلت تقربي * ولا تبعدينا عن جناك المعلل

ورقت فاشعار امرئ القيس عندها * كجلمود صخر حطه السيل من عل

فقلت قفا نضحك لرقتها على * قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل

وتطارح الشيخ جمال الدين والشيخ صلاح الدين قبلنا في جانب كثير منها ولكن الشيخ جمال

تأويلا ويسمون أحدهما فرضا والآخر قرضا فعمد الى انخراج الاول فصحفه والى الآخر فحذفه فاما أبو فلان فان استصوب الشيخ ان يعرض عليه الفصل من كتابي عرض ولا يستوحش من خشونة الاقوال فهي من خشونة الافعال من جهته فان جاز له ان يفعل جاز لنا ان نقول ثم ان استاذنا الحسني عرفني لاحسن الخطاب واعرف ما خبث مما طاب ويتوب الله على من تاب

(وله اليه أيضا)

عظم الله تعالى على الابناء حق الآباء لعلمه بان الوالد يصبو الى والده جنينا ولا يألو حنينا ويشمه وليدا ويقبله رضيعا ويغذيه فطيما ويربيه غلاما ويؤدبه ناشئا

الدين تنازل فيها الى الغاية فقال

رأى فرسى اصطبل عيسى فقال لى * قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل

واما الشيخ صلاح الدين فانه كتب الى الشيخ جمال الدين فى معنى العتب المفرط

افى كل يوم منك عتب يسوءنى * كجلمود صخر حطه السيل من عل
وترمى على طول المدى متجنبا * بسهميك فى اعشار قلب مقتل
فامسى بليل طال جنح ظلامه * علىّ بانواع الهموم ليبتلى
واغدو كان القلب من وقدة الجوى * اذا جاش فيه حميه غلى مرجل
تطير شظاياه بصدرى كانها * بأرجائه القصوى اناييش عنصل
وسالت دموعى من همومى ولوعتى * على النحر حتى بل دمعى محملى
اذا عاين الاخوان ما بى من الاسى * يقولون لا تهلك أسى وتجمل
ترفق ولا تجزع على فائت الوفا * فما عند رسم دارس من معوّل
ولى فيك ودّ طال ما قد شددته * بامراس كتان الى صم جندل
ولى خطرات فيك منها جوانحى * صحبن سلافا من رحيق مفلفل
كان امانيها كؤوس مدامة * غداها نمير الماء غير محلل
سلوت غوايات الشبيبة والصبا * وليس فؤادى عن هواها بمنسلى
واجلو محيا الودّ فيك لاهله * متى ما ترق العين فيه يسهل
فكرّ على جيش الجناية عائدا * بمنجرد قيد الاوابد هيكل
تجد خفرات الانس منها كواعبا * ترائبها مصقولة كالسجنجل
وخل الجفا وارجع الى معهد الوفا * وان كنت قد ازمعت صرمى فاجمل
حلا وتلك الماضى وان لم تعد أعد * لدى سمرات الحىّ ناقف حنظل

فاجابه الشيخ جمال الدين متهكما فى المطلع والتهكم فيه غاية لا تكاد تخفى على حذاق الادب بقوله

فطمت ولائى ثم اقبلت عاتبا * افاطم مهلا بعض هذا التدلل
بروحى الفاظ تعرض عتبها * تعرض اثناء الوشاح المفصل
فاحييت ودّا كان كالرسم عافيا * بسقط اللوى بين الدخول فحومل
تعفى رياح العذر منك رقومه * لما نسجتها من جنوب وشمأل
نعم قوضت منك المودة وانقضت * فيا عجبا من رحلها المتحمل
امولاى لا تسلك من الظلم والجفا * بناباطن خبت ذى قفاف عقنقل
ولا تنس منى صحبة تصدع الدجا * يصبح وما الاصباح منى بامثل
صحبتك لا الوى على صاحب عطا * بجيد معم فى العشيرة مخول
وحاولت من ادناء ودك ما نأى * فانزلت فيه العصم فى كل منزل
يقلب لى وجدى به سوط سائق * وارخاء سرحان وتقريب تتفل
وكم خدمة جملتها وحبة * تمتعت من لهو بها غير معجل

و يعلمه يانعا علما بنفسه نافعا ويبقيه ذخيرة حياته ويعقبها عليه بعد وفاته ويصدقه النصح فى حالاته ثم لا يكاد يعدم هذه المبار من ابيه الا الولد النادر هذه الابل على غلظ اكبادها تئط لاولادها وان الطير على خفة احلامها ترق افراخها وان الهرة لتأخذ اولادها بانيابها فلا تنفذ فى اهابها والناقة على ثقلها تطأ الحوار برجلها فلا توجعه بوطئها فاذا شب الولد محفوفا بهذه المبار مغمورا بهذه المسار صرف وجهه عن ابيه فلا يكاد يعرف نعمة والده ويقدرها قدرها الا الشاذ النادر وفى هذا الباب تحير أولو الالباب ولا حيرة فان عندى لهذه العقدة حلا ان الله فطر ابن آدم على ضد ما امره به امره

وكم

وكم اسطر مني ومنك كأنها * عذارى دراري في ملاء مذيل
وقلب خليل ينشد الود همه * الا ايها الليل الطويل الا انجلي
وكم ناصح كذبت دعواه اذ غدت * على وآلت حلفة لم تحلل
ولحية لاح غاظها ضحكي على * أثيث كقنو النخلة المتعثكل
ترى بعر الآرام في عرصاتها * وقيعانها كأنه حب فلفل
نزعت لسكري ساحبا من صبابتي * على اثرها اذيال مرط مرحل
الى أن تبدى عذره متمطيا * واردف اعجازا وناء بكلكل
فلا طفته في حالتيه ولم اقل * فسلي ثيابي من ثيابك تنسل
وضن باسطار كأن يراعها * اساريع ظبي او مساويك اسحل
و يقرع سمعي من معاريض لفظه * مداك عروس او صلاية حنظل
وعدنا الود يلأ القلب عوده * بشحم كهداب الدمقس المفتل
أعدت صلاح الدين عهد مودة * بكل مغار الفتل شدت بيذبل
فدونك عتبي اللفظ ليس بفاحش * اذا هي نصته ولا بمعطل
وعادات حب هن اشهر فيك من * قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل

والذى أقوله المهيع الذى اخترعه الصاحب فخر الدين ابن مكانس ومشى عليه في تضمين هذه المعلقة يعد من المعلقات في بابه * فانه ضمنها في مداعبة رجل من اصحابه * كان كبير الانف وأتى بما لا اختلج في صدر متأدب * ولا سمع بعده المرقص والمطرب * وهو قوله

تأنف عن وصف الغزال تغزلي * بلحية انف ذى عقاص ومرسل

انظر أيها المتأدب ما ألطف تأنف هنا والطف منه قوله بلحية انف فان العقاص جمع عقيصة وهو ما جمع من الشعر والمرسل الشعر المسرح ومراده ان لحية هذا الانف غزيرة الشعر مسرحة وقال مشيرا اليها

من البق فيها جلة قد تعرضت * تعرض اثناء الوشاح المفصل
فيا قبح شعر فوق أنف معرقص * اثيث كقنو النخلة المتعثكل

الاثيث الكثير والمتعثكل الذى دخل بعضه في بعض لكثرته وتدلى وهكذا قنو النخلة الذى شبه به الصاحب فخر الدين هذا الانف ولعمرى ان هذا الابداع من السحر في نقله الى هذه الصفة الغريبة وقال بعده

وقالوا اختبا في شعره فكأنه * كبير اناس في بجاد مزمل

هذا التشبيه بالنسبة الى كبر الانف نوع من الغلو وهو من النخبة عادة في بابه فان امرأ القيس شبه به جبل ثبير فقال

كأن ثبيرا في عرانين وبله * كبير اناس في بجاد مزمل

والعرانين جمع عرنين وهو الانف والوبل ما عظم من المطر والبجاد كساء مخطط من الشعر الابيض والاسود فنقله الصاحب فخر الدين في ابداعه الى الانف لما فيه من الشعر الابيض

بالصلاة وخلقه كسلان
وبالصيام وجبله شهوان
وبالزكاة وحبب اليه المال
وبالحج وكره اليه الارتحال
وبالعفة وسلط عليه الهوى
وبالصبر ونزع منه القوى
وخلق الانسان على حب
ولده ونهاه عن رؤيته وخلته
ليشق ذلك عليه فالوالد
يلتذ بما يتكلفه من مبرة
والولد يفعل ما يفعل من بر
مخالفا لما فطر عليه غير
ملتذ بما يسدى الى ابويه
ولعمرى لقد قضى سيدنا
... انه في امرى وفعل ما
... فعل غيره بغيرى ثم قسا
... اليه وجفت رحمه وانقطعت
كتبه بعد ما تواترت عداته
بالزيارة فالى الله المشتكى
والصلاة على نبيه المصطفى
وآله وسلم
(وله اليه ايضا)
كتابي اطال الله بقاء سيدنا
من بوشنج اسوة بيعقوب

والاسود الذى انتسج فى انفه كالبجاد وشبهه لما اختفى فى ذلك الشعر بكبير اناس فى بجاد مزمل اى ملتف وقد تقدم قولى انه من المخترعات

مقلص كلتا الجانبين كأنه * لدى سمرات الحى ناقف حنظل

وهذا التشبيه أيضا من العجائب فان هذا الانف لم يبرح سائلا فشبهه الصاحب برجل ناقف حنظل فان ناقف الحنظل كثير الدمع لشدة حرارته وقال

ترى القمل والصيبان فى عرصاته * وقيعانه كأنه حب فلفل
وفى جوفه شعر طويل كأنه * بارجائه القصوى انابيش عنصل
فيالك شعرا فوق انف معظم * يلوح كهداب الدمقس المفتل
وكم قلت اذ ارخى ذوائب انفه * على بانواع الهموم ليبتلى
ألا ايها الليل الطويل ألا انجل * بصبح وما الاصباح منك بامثل

الصاحب فخر الدين رحمه الله ضمن هنا عجزا وبيتا كاملا بنصف بيت واحد وفى هذا من الروية والقوة مايزيد على الوصف وانا اقول بعدما ارخى هذا الرجل ذوائب انفه الا ايها الليل الطويل ألا انجل فان هذا نوع من السحر بل السحر بعينه ومن المبالغة المفرطة فى هذا الباب قوله

كأن القسا ان قيس مع ريح انفه * نسيم الصبا جاءت بريا القرنفل
ترى شعرات الانف سدت خدوده * لما نسجتها من جنوب وشمأل
وقد درست بالانف آثار وجهه * فهل عند رسم دارس من معول
كأنى بمولانا على وصف انفه * تولى باعجاز وناء بكلكل
وجرد شعر الانف منه وجاءنا * بمنجرد قيد الاوابد هيكل
مكر مفر مقبل مدبر معا * كجلمود صخر حطه السيل من عل

هذا الذى وقع عليه الاختيار من اختراع الصاحب فخر الدين تغمده الله برحمته ورضوانه ولعمرى انه من الاختراع الذى لم يسبق اليه * ولا حام فكر من قبله عليه * انتهى وكان الامير مجير الدين بن تميم يجنح الى نوع الايداع كثيرا وأتى فيه بالعجائب والغرائب وقال من شغفه بالتضمين

اطالع كل ديوان أراه * ولم ازجر عن التضمين طيرى
اضمن كل بيت فيه معنى * فشعرى نصفه من شعر غيرى

ومن تضامينه

افدى الذى اهوى بفيه شاربا * من بركة راقت وطابت مشرعا
ابدت لعينى وجهه وخياله * فأرتنى القمرين فى وقت معا

وله أيضا

وشبابة قد كنت اهوى سماعها * وقد صرت منها بعد ما تبت انفر
وها انا قد فارقتها غير نادم * وكم مثلها فارقتها وهى تصفر

واورد العميان فى شرح بديعيتهم بيتين ذكروا ان تضمينهما لبعض المتقدمين من المغاربة

فى رواية اذ ظعن اليه من بلده وليس العاقى سود الاعراف ولا رمل الاحقاف ولا جبل قاف فلا ينشط والله لا يضيع بذلك المكان درهما الا عوضته دينارا ولا يعدم هنالك دارا الا فدته دارا اخاف والله ان اموت ولى النفس حاجة لم اقضها ومنية لم احظ ببعضها لا يفعل سيدنا الشيخ والضن بالولد اولى من الضن بالبلد وقد رسمت لموصل كتابى هذا ان ينقده مائة دينار بشرط ان يخرج وان يرتب له عمارة تشوبة نسعه والشيخ الفاضل الم بتفضلا وليقوما ويرحلا ويستصحب الاخ اباسعيد وليأتنى باهله اجمعين فانه يعجبنى لقاء ليس له بقاء ولا وصل بعده

وهما على طريقتهم ولكن اعجباني وهما

وفرع كان يوعدني بأسر * وكان القلب ليس له قرار
فنادى وجهه لاخوف فاسكن * كلام الليل يمحوه النهار

ومن التضامين البديعة قول زكي الدين بن أبي الاصبع وقد جعل مطلع أبي الطيب عجز بيتين فلم يلحق فيهما فانه نقلهما من فخامة التحمس الى زخارف الغزل بقوله

اذا الوهم أبدى لي لماها وثغرها * تذكرت ما بين العذيب وبارق
ويذكرني من قدها ومدامعي * مجر عوالينا ومجرى السوابق

ومن تضامين ابن تميم

عاينت في الحمام أسود وائبا * من فوق أبيض كالهلال المسفر
فكأنما هو زورق من فضة * قد اثقلته حمولة من عنبر

وقال في الفانوس

* يقول لي الفانوس حين أتوا به * وفي قلبه نار من الوجد تسعر
خذوا بيدي ثم اكشفوا الثوب تنظروا * ضنى جسدي لكنني أتستر

وله

أزهر اللوز أنت لكل زهر * من الازهار يأتينا امام
لقد حسنت بك الايام حتى * كأنك في فم الدهر ابتسام

وقال

لو كنت اذ أبصرتها فوارة * للشمس في أمواهها الآلاء
لرأيت أعجب ما ترى من بركة * سال النضار بها وقام الماء

وقال غيره وسبكه في غير هذا القالب

لو كنت في الحمام والحما على * اعطافه وبجسمه لألاء
لرأيت ما يسبيك منه بقامة * سال النضار بها وقام الماء

وقال

يا من يقول بان رشف لمى الحبائب لم يرف
وغدا يعنفني به * دع عنك تعنيفي وذف

وقال

لما رأيت البدر في ساعدى * ونرجس الانجم قد صوحا
اقنيت رشفا فيه ريق الدجا * من قبل أن ترشف شمس الضحا

وقوله

صهباء ريقته رشفت سلافها * وتغابيت فعجزت ان اتكلما
واذا سئلت أقل لمن هو سائل * اني لا اعلم ما تقول وانما

ومن محاسن الشيخ سراج الدين الوراق قوله

نوارت من الواشي بليل ذوائب * لها من جبين واضح تحته فجر

فراق فان لم يكن اصحاب القوم فلا يتأخر بنفسه فيترد على خمسمائة نيران والفا اكار وأحوال منتظمة وأسباب مستقيمة

* (ولولا الله الذي به كتب ورقاع أنشأها وقرنها الى والده ليقرأها الافاضل من الكتاب فيستدلوا بها على فضل والده) *

جعلني الله فداك الى الزوال الارض فانظر رحالك والنوى تطرد راحلتك حتى تقلك ارض بمجهل مائها ومرعاها وهيهات ان يكون ذلك ونار جزعي وراءك موقدة وأبواب الرجاء دونك موصدة وقد بعثت اليك بما يصل ان شاء الله تعالى فان شئت اجعله جهازا طريقك في انصرافك وان شئت امض على عقوقك في خلافك ورد الله غائب نأيك وعازب رايك وهو

فدل عليها شعرها بظلامه * وفي الليلة الظلماء يفتقد البدر

نقله الشيخ شمس الدين بن الصائغ الى المداعبة وزاده تورية بقوله

تطلبت بحرا في الظلام فلم أجد * ومن يك مثلي حمة دأبه البحر
فنادى البدر الاديب الى هنا * وفي الليلة الظلماء يفتقد البدر

وبعجبني من تضمين ابن أبي الاصبع قوله وهو منقول من الحماسة الى الغزل

لمن ودادي مثل كفيه صافيا * ولي منه ما ضمت عليه الانامل
ومن قده الزاهي ونبت عذاره * صدور رماح أشرعت وسلاسل

وقوله

هذا الذي أنا قد سمحت بحبه * كرما بلؤلؤ دمعي المنتظم
لا تحرموني ضم اسمر قده * ليس الكريم على القنا بمحرم

ومن تضامين الشيخ محمود البديعة قوله

من حاتم حدث عنه واطرح فيه * في الجود ولا بسواه يضرب المثل
لو مثل الجود سرحا قال حاتمهم * لا ناقة لي في هذا ولا جمل

ومن محاسن تضامين شمس الدين محمد بن العفيف البديعة قوله

قالوا غدا تندم عن لثمه * في خده اذ يغاب السكر
فقال لي مبسمه دعهم * اليوم خمر وغدا أمر

وقال

جلا ثغرا واطلع لي ثنايا * يسوق بها المحب الى المنايا
وأنشد ثغره يحكي افتخارا * انا ابن جلا وطلاع الثنايا

ومن تضامين مجير الدين بن تميم التي تطفل الناس عليها بعده قوله

ان تاه ثغر الاقاحي اذ تشبهه * بثغر حبك واستولى به الطرب
فقل له عند ما يحكيه مبتسما * لقد حكيت ولكن فاتك الشنب

ومن تضامين القاضي محيي الدين بن عبد الظاهر البديعة قوله

وناطقة بالروح عن أمر ربها * تعبر عما عندها وتترجم
سكتنا وقالت للقلوب فاطربت * فنحن سكوت والهوى يتكلم

ومن تضامين الشيخ صلاح الدين الصفدي قوله

ملكت كتابا اخلق الدهر رسمه * وما أحد في دهره بمخلد
اذا عاينت كتبي الجديدة جاده * يقولون لا تهلك اسى وتجلد

وقال

قل للرقيب يستريح من عذلي * ما أصبح المعشوق عندي مشتهى
وارتد قلبي عن سيوف لحظه * وكل شئ بلغ الحد انتهى

وقال مضمنا ومكتفيا

رشفت ريقك سلوا * فلم يكن لي صبر

حسبي ونعم الوكيل
(وله أيضا)
الابوة باطلها حق والبنوة حقها باطل ولو علمت ان مناظرة الوالد بالحجة عقوق ومجاهرته بالشبهة فسوق لم يلقني بابر من القبول واحسن من ترك الفضول
(ولابيه اليه عفا الله تعالى عنهما)
ما أتبق الاخبار عنك بما ترتج منه الاضالع وتستك منه المسامع يبلغني انك مع ابقتها نهارك هائم ومسافة ليلك نائم قصارك آلة تصوغها ودابة تروضها وجارية تستعرضها وما مكنك من هذا العبث الايسير ما أنت فيه كثير وقليل ما أنت معه جليل ولعل هذه الاحرف آخر ما تتأذى به من وعظي وتتغذى باستماعه من لفظي

وسوف أحظى بوصل * وأول الغيث قطر

ومن تضامين الشيخ عز الدين الموصلي

وعاق يرى للترك فيه تحمس * يقود عليه احدب ويعاشره
اذا جاءه اللوطي يطلب وصله * ثنى طرفه نحوا لحسام يشاوره

وله أيضا

جادلنا كالشادن الربيب * لحظته بالنظر المريب
فقال في السكرة عند نومه * يارب سلها من الديب

وقال

نادمت قوما الاخلاق لهم ولا * ميل الى طرب ولا اسمار
يستيقظون الى نهيق حميرهم * وتنام أعينهم عن الاوتار

وقال

لحديث نبت في العذار حلاوة * وطلاوة هامت بها العشاق
فاذا نهاني المردقلت تمهلوا * فاليكم هذا الحديث يساق

ومن تضامين الشيخ برهان الدين المعمار التي اجاد فيها قوله

عزمت على رقبي محاسن وجهه * بانوار آيات الضحى حين اقبلا
فلما بدا يفترّ عن تطم ثغره * بدأت ببسم الله في النظم أولا

وكتب الشيخ شرف الدين عبد العزيز الانصاري الى الشيخ سيف الدين الآمدي

لئن تقدم قوم عصر سيدنا * فكم تقدم خير المرسلين نبي
وان يكن علمه فرعا لعلمهم * فان في الخمر معنى ليس في العنب
وان أتت قبله كتب مؤلفة * فالسيف أصدق انباء من الكتب

ومن الغايات في هذا الباب قول الشيخ بدر الدين بن الصاحب

لله يوم الوفا والناس قد جمعوا * كالروض تطفو على نهر ازاهره
وللوفاء عمود من أصابعه * مخلق تملأ الدنيا بشائره *

ومما جاد به الشيخ برهان الدين القيراطي في تضمينه

قل في اخضرار عذاره وقوامه * خلع الربيع على غصون البان
وانشر من الاغزال في اردافه * حللا فواضلها على الكثبان

ومن غايات الشيخ شهاب الدين بن أبي حجلة في هذا الباب قوله

قل للهلال وغيم الافق يستره * حكيت طلعة من اهواه بالبلج
لك البشارة فاخلع ما عليك فقد * ذكرت ثم على ما فيك من عوج

ومن تضامين علاء الدين بن ايبك الدمشقي البديعة قوله

أقول وقد ظمئت ووجه حبي * له عرق على ورد الخدود
أرى ماء وبي ظمأ شديد * ولكن لا سبيل الى الورود

ومن تضامين القاضي محيي الدين بن عبد الظاهر قوله

شعر

يالك من قبرة بمعمر * خلا لك الجو فبيضي واصفري
ونقري ماشئت ان تنقري

(وله اليه أيضا تجاوز الله عنهما)

جعلني الله فداك اشهدك الله ان تعلم بخراسان انها مغرب شموسنا ومسقط نفوسنا وقد جمعت في مجمل ما رأيت في ذلك كذلك والسلام

(وله اليه أيضا اليه عفا الله عنهما)

جعلني الله فداك ان كانت للفراق غاية فقد بلغتها وزدت أو للعقوق مطية فقد ركبتها أو كدت وان كان صدرك ينبوع صبر وقلبك جلمود صخر فقد آن له ان يلين ولك ان تذكرني في الذاكرين جعلت فداك ما كان أولاك امرأ سوء يعامل بما

لقد قال لي اذ رحت من خمر ريقه * أحث كؤسا من ألذ مقبل
بلثم شفاهي بعد تقبيل مبسمي * تنقل فلذات الهوى في التنقل
وظريف في هذا الباب قول الشيخ بدر الدين بن المبجي
* ولما خلونا والمسرة بيننا * وقد عز شرب الراح فيناعن الشرب
تعوّض كل بالحشيش عن الطلا * ومن لم يجد ماء تيمم بالترب *
ومن تضامين شهاب الدين بن أبي حجلة البديعة قوله
يحكي سنا الفانوس من بعدلنا * برقا تألق موهنا لمعانه
فالنار ما اشتملت عليه ضلوعه * والماء ما سمحت به اجفانه
وقال فيه
أما في الدجا الذي الهوى وبهجتي * حرق يذوب لها الفؤاد جميعه
وكأنني في الليل صب مغرم * كتم الهوى فوشت عليه دموعه
وقال وأجاد
يا صاح قد حضر الشراب ومنيتي * وحظيت بعد الهجر بالايناس
وكسا العذار الخد حسنا فاسقني * واجعل حديثك كله في الكاس
ومن تضامين الشيخ برهان الدين القيراطي
تجمعت من لطف ذاته * حتى بدا في قالب فاسد
وليس على الله بمستنكر * ان يجمع العالم في واحد
وقال مضمنا في قطائف
لقد نطقت زهر الشأن بقطائف * تخيرتها فاختر لنفسك ما يحلو
تقول اسمعوا مني مدائح مرسلي * وكلي ان حدثتكم السن تتلو
وله في باذهنج وأجاد
بروحي افدي باذهنجا موكلا * باطفاء ما القاه من حرق الجوى
اذا فتحت في الحرمنه طوابق * أتاني هواها قبل ان اعرف الهوى
وقال فيه
ايا باذهنجا صح فيه لنا الهوا * صفاتك ماوفى بهن خطاب
وماشئت الا أن أدل عواذلي * على ان عشقي في هواك صواب
وقال فيه الشيخ شهاب الدين بن ابي حجلة وأجاد
هجا الشعراء جهلا باذهنجي * لان نسيمه ابدا عليل *
فقال الباذهنج وقد هجوه * اذا صح الهوى دعهم يقولوا
ويعجبني من قصائد الشيخ برهان الدين القيراطي قوله
وموسوس عند الطهارة لم يزل * ابدا على الماء الكثير مواظبا
يستصغر البحر الكبير لذقنه * ويظن دجلة ليس تكفي شاربا
ومن غاياته في هذا الباب قوله

عاملت ولا مسالف شر وقابل بما قابلت فما هذه البداءة على حين اسمعني الشيب نداءه وغشاني رداءه ولم ترض الايام بما جرعتنيه من ثكل فراقك حتى الحقت بك عملك وحرج على الدهر مؤكدا أن لم ينقض عروة عروة ويحل عقدة عقدة وردكتابك بذكر اخوانك واستقصاء تهاونك فيما ذكرت بين طرفي جد ولعب وحدي صدق وكذب فان قلته مزاحا فالفرع لا يمازح أصله وكذبا فالرائد لا يكذب اهله وان كان جدا ما ذكرت وصدقا ما اوردت فاستدم الوسيلة التي نلت بها الفضيلة واستبق الذريعة التي

(ى)

ولما بدا والليل اسود فاحم * قدا نتشرت فى الخافقين غياهبه
اضاء بثغر الثغر عند ابتسامه * دجا الليل حتى نظم الجزع ثاقبه

وقال بدر الدين حسن الزغاري وأجاد

وبي سامري مرى فى عمامة * قدا كتسبت من وجنتيه احمرارها
موردة دارت بوجه كانما * تناولها من خده فادارها

ومثله قول الشيخ عز الدين الموصلي

وسامري اعار البدر منه سنا * سود نجماوهذا النجم غرار
تهتز قامته من تحت عمته * كأنه علم فى رأسه نار

ومن تضامين محيي الدين بن قرناص الحموي

افديه اغيد زارني تحت الدجا * وعليه من فرعيه ليل ساجي
والفرق بين الشعر فوق جبينه * عريان يمشي فى الدجا بسراج

وقال ايضا

سقى الله روضا قد تبدى لناظري * به شادن كالغصن يلهو و يمرح
وقد نصبت خداه من ماء ورده * وكل اناء بالذى فيه ينضح

وقوله فى كاحل

دعوا الشمس من كحل الجفون فكفه * تسوق الى الطرف الصحيح الدواهيا
فكم اذهبت من ناظر بسواده * وخلت بياضا خلفها وما قيا

وقال الشيخ شهاب الدين بن أبي حجلة

ومتى امتطيت من الكؤس كميتها * امسيت تمشي فى المسرة راكبا
ومتى طرقت عشى آنس ديرها * لم تلق الا راغبا اوراهبا

وقال ابن الوردي تعجبت من اشتهار بيتين سائر حكمهما بانيهما ولا اعتنى بمعانيهما وهما

مقامات الغريب بكل ارض * كبنيان القصور على الثلوج
يذوب الثلج تنهدم البنايا * وقد عزم الغريب على الخروج

تخلصتم مما من مقامات الغريب بكل ارض واوقدت فكرتي فذاب الثلج وانهدمت البنايا المستحقة للنقض وجعلتم ما اسمى من السماء ونقلتهما من كثافة الارض فقلت

مليح ردفه والساق منه * كبنيان القصور على الثلوج
خذوا من خده القاني نصيبا * فقد عزم الغريب على الخروج

قلت وقد سألني بعض حذاق الادب عن بيت ابن مطروح الذى لم تصل افواه البلغاء الى لثم اعتابه * ولا الحضور الى جنابه * ولا وجد واطاقة للدخول من بابه * فضمنته تضمينا لوسمعه ابن مطروح لطرح نفسه خاضعا * وسلم الى مفاتيح بيته طائعا * وهو قوله

لبسنا ثياب العناق * مزررة بالقبل

فقلت

ولما خلعنا العذار * فككنا طوق الخجل
لبسنا ثياب العناق * مزررة بالقبل

اسكنتك المنزلة الرفيعة وهذه نصيحتي لك ووصيتي اليك والله حسبي فيك وخليفتي عليك والسلام

(وله الى اخيه)

كتابي اطال الله بقاءك ونحن وان بعدت الدار فربما تبعة فلا تحملن بعدي على قربك ولا تمحون ذكرى من قلبك فالاخوان وان كان احدهما بخراسان والآخر بالحجاز مجتمعان على الحقيقة مفترقان على المجاز والاثنان فى المعنى واحد وفى اللفظ اثنان وما بيني وبينك الا ستر طوله قتر وان صاحبي رفيق اسمه توفيق للتلقين سريعا ولذ سعدن جميعا والله ولي المأمول جعلت فداك الشفيق سيئ الظن وما احوجني الى ان اراك ولا قرابة الا الاخوة وتلك والله بعد ذلك نازلة الدهر وقاصمة الظهر وان يشأ

ومن تضامين الشيخ زين الدين بن الوردي ماذكره في ديوانه انه كان لصاحب يدعى بالمجد حصل له اذية مفرطة من زوجته وأبيها وجدها فكتب اليه الشيخ

زوجة مجد الدين والداها * في ثلب عرض المجد اشبهاها
ان اباها وابا اباها * قد بلغا في المجد غايتاها

ومن تضميني الذي ماحام فكر من ضمن اعجاز الملحة عليه * ولا سبقني جواد من فحول العربية اليه * قولي مداعبا

نصبت أيري اذنحوت نيكه * وهو يريد رفعها الى ابشدا
وبعدذا الجزة دا ضقته * وفي المضاف مايجر أبدا

وانشدني من لفظه الكريم قاضي القضاة شهاب الدين بن حجر من هذا الباب بيتين كان مولانا قاضي القضاة علاء الدين يترنم بهما

تيه فلان الدين مع فقره * أقوى دليل انه جاهل
لثوبه بالصقل من فوقه * قعاقع ماتحتها طائل

وقال ايضا في المجون

وشاعر فاسق أتى امرأة * من خلف اذ سامه الملح قلى
وقال اذا عاتبوه معتذرا * تلجى الضرورات في الامور الى

ومن تضاميني الغريبة

حنثت عزمي شوقا اليكم * فلم اطق مكثه بارض
وحيث لم أحظ بالتلاقي * فغايتي ان الوم حظي

وقولي

يقول معذبي حسن تخير * سواي فقلت قد عزاصطباري
وكم في الناس من حسن ولكن * عليك لشقوتي وقع اختياري

وانشد المقر المرحوم محمد بن منهال ناصر الدين عين الموقعين بدمشق المحروسة بيتين لابن الوردي والاصل للحريري صاحب المقامات

لو جنة صيادكم نسخة * حريرية ملحة في الملح
يقول لنبت العذار اجتهد * ومد الشباك وصد من سنح

فنظمت في ذلك المجلس بيتين اعترفت لهما القصور العوالي بالقصر * وماشك أحد ان ابابكر مقدم على عمر

غدا طير أفراحنا ساقحا * يحوم على ورد عذب القدح
فقلنا لدر الحباب اجتهد * ومد الشباك وصد من سنح

ومن تضاميني الغريبة ماضمنته قول عنترة في معلقته

واذا سكرت فانني مستهلك * مالي وعرضي وافر لم يكلم
واذا صحوت فما اقصر عن ندى * وكما علمت شمائلي وتكرمي

فقلت

الله يسلك سنا وينبئك نبأ احسنا والله اولى بك من اخيك وهو حسبي فيك فاستعن بالله وحده اليس الله بكاف عبده

(وله الى اخيه ابي سعيد)
كتابي اطال الله بقاءك معدولا به اليك عن سيدنا والخصم اذ تركوا الباب وتسوروا المحراب فدخلوا على داود من سوى الخصومة ومراد دون الحكومة وتحت القنا بلايا اواها ملامه على ان آخرها سلامه واولها فاتحة فتح على ان لها خاتمة صلح ولامر ما صرفت الخطاب اليك وقصرت الكتاب عليك وزويته عن سيدنا والشوق اليك شديد وهو الى غيرك اشد وانت الشقيق العزيز والمشتوق منه اعز ولكني افتتحت هذا الكتاب مصدورا ورققت له

جاد النسيم على الربا * بندى يديه وقال لى
أنا ما اقصر عن ندى * وكاعات شمائلى

وبيت الشيخ صفى الدين فى هذا النوع

اذا رآه الاعادى قال قائلهم * حتام نحن نسارى النجم فى الظلم

الشيخ صفى الدين ضمن فى بيته الشطر الاول من مطلع المتنبى وشطره الثانى

* وماسراه على خف ولا قدم *

وبيت العميان

واسمح بنفسك وابذل فى زيارته * كرائم المال من خيل ومن نعم

والعميان ضمنوا الشطر الثانى من بيت الشريف الرضى وشطره الاول

* ماض من العيش لو يفدى بذلت له *

وبيت الشيخ عز الدين

ابداعها الفضل فى الاصحاب شرفهم * بين الرجال وان كانوا ذوى رحم

والشيخ عز الدين ضمن الشطر الثانى من بيت المتنبى من قصيدته التى ضمن فيها الشيخ صفى الدين الشطر الاول وهو قوله

ولم تزل قلة الانصاف قاطعة * بين الرجال وان كانوا ذوى رحم

وبيت بديعيتى أنا مستمر فيه على المديح النبوى تابع اقولى وهو

وآله البحر آل ان يقس بندى * كفوفهم فافهموا تنكيت مدحهم
وفى الوغى رادفوا لسن القنا سكتا * من العدا فى محل النطق بالكلم
واودعوا الثرى اجسامهم فشكت * شكوى الجريح الى العقبان والرخم

وأنا أيضا ضمنت فى بيتى شطرا ثانيا من ميمية المتنبى والشطر الاول

* ولا تشك الى خلق فتشمته *

ووجه الاستحقاق هنا سافر لمستجلى محاسن هذا النوع والله أعلم

(ذكر التوهيم)

(والبعض ماتوا من التوهيم واطرحوا * والسمر قد قبلتهم عند موتهم)

قلت هذا النوع أعنى التوهيم وتقدمه باب الترشيح كان الاليق بهما ان ينتظما فى سلك باب التورية ويذكر التوهيم مع ايهامها والترشيح مع المرشحة وقد تقرر كل من النوعين وتقدم فى بابه والذى مشى عليه الشيخ صفى الدين هنا هو ايهام التورية وهو قوله

حتى اذا صدروا والخيل صائمة * من بعد ما صلت الاسياف فى القمم

فذكر صيام الخيل هنا يوهم السامع ان السيوف صلت من الصلاة ومراده الصليل وهو صوت الحديد واعظم الشواهد على هذا النوع قوله تعالى والنجم والشجر يسجدان بعد قوله الشمس والقمر بحسبان فان ذكر الشمس والقمر هنا يوهم السامع ان المراد بالنجم احد النجوم والمراد به النبت الذى لا ساق له قال ابن أبى الاصبع وقد يأتى التوهيم للمطابقة كقول أبى تمام رحمه الله تعالى

قلبى مغبطا ونويت ان انفث تنفيسا عن صدرى وتخفيفا عن صبرى فخشيت ان يغلظ كلامى او يطنى قلبى وقشر الابوة رقيق لا يحتمله ومجال العتب ضيق بين العبد وسيده والوالد وولده فاستخرت الله عند ذلك فى صيانته وابتذالك اذ وجدتنى بك آنس وعليك اقدر ولك املك وفيك أنطق ومعك اجرأ واجرى فلا عليك ان تسمع ولا تضجر والمكبر سلاحى عليك والسن عذيرى منك يأبى الله يا ابا سعيد ان اسعد من بلدك بحظ اوافوز من رحلتك بصلة اعمامك فى الخلفاء قدوة اصهارك وذو وسواتك كذرات

التوهيم

تردى ثياب الموت حمرا فما اتى * لها الليل الا وهي من سندس خضر

فانه اوهم بالمطابقة بين الاحمر والاخضر وليس يطابق اذ الاحمر لا يطابق الاخضر وفرع منه ضربا آخر فقال هو أن يأتي المتكلم بكلمة توهم ما بعدها من الكلام ان المتكلم أراد تصحيفها ومراده خلاف ذلك كقول أبي الطيب

وان الفئام التي حوله * لتحسد ارجلها الارؤس

فان الارجل أوهمت السامع ان لفظة الفئام بالقاف ومراد الشاعر الفئام بالفاء وهي الجماعات الكثيرة هكذا اروى هذا البيت والمبالغة تقتضيه فان القيام بالقاف يصدق عليه اقل الجمع انتهى وبيت عز الدين الموصلي

يا سائرا مفردا اعربت لذلك في * توهيم منع رضاع الشاء من حلم

قلت هذا البيت المبارك عجزت عن حل معناه اذ ليس له تعلق بما قبله ولا بما بعده ولا بمدح النبي صلى الله عليه وسلم ولم أزل في حيرة الى أن وقفت على شرح المصنف فوجدته قد قال الحلم مشتق من الحلمة وهي رأس الثدي ويحصل في جلد الشاة دودة دقيقة وتقول العرب حلمت وحلم اديمها أي وجد الدود في جلدها ثم قال ومعنى البيت الى اخاطب سائرا في الطريق منفردا بنفسه عن الناس لا يرغب في مرافقة احد فقلت له وانت تتوهم بتركك اجتماعك بالناس معنى لا نظيره كما يوهم الراعي بمنع رضاع الشاء ان جلودها حلمت وحلم بين حلم الشاة وحلم الاديب قلت والله ما ازددت الاحيرة في تفسير هذا الشرح والذي اقوله ان الشرح والنظم في العبادة وعدم الفائدة كفرسي رهان وبيت بديعيتي تقدم قبله وهو

واودعوا الثرى اجسامهم فشكت * شكوى الجريح الى العقبان والرخم

وقلت بعده في التوهيم

والبعض ماتوا من التوهيم واطرحوا * والسمر قد قبلتهم عند موتهم

فذكر الموت في البيت يوهم السامع ان نساءهم السمر قد ادارتهم الى جهة القبلة كما هو المعهود والتوهيم هنا في التقبيل وفي السمر والمراد بالسمر الرماح وبالتقبيل الطعن في الانواء التي تنزل هنا منزلة التقبيل واستعارة التقبيل للرماح في غاية الحسن فانهم شبهوا اسنان الرمح باللسان وشبهوا مواقع الطعن بالثغور ويعجبني هنا قول ابن المزين في الرمح

أنا أسمر والراية البيضاء لي * لا بالسيوف وسل من الشجعان

لم يحل لي عيش الغداة لانني * نوديت يوم الجمع بالمران

واذا تفاخرت الكماة بجحفل * كلهم فيه بكل لسان

(ذكر الالغاز)

(وكل ما ألغزوه لدى لسن * مذ طال تعقيده ازرى بفهمهم)

هذا النوع أعني الالغاز يسمى المحاجاة والتعمية وهي اعم اسمائه وهو أن يأتي المتكلم بعدة الفاظ مشتركة من غير ذكر الموصوف ويأتي بعبارات يدل ظاهرها على غيره وباطنها عليه وابدع ما فيه أنه لم يسفر في افق الحلي غير وجه التورية وأما تعسف الفرقة التي ليس لها المام بالتورية في الالغاز فاهم مسلم اليهم واما علماء هذا الفن فانهم ما قرروا غير ما قررناه فن

ذلك

مشارك والنية كالاعمال سوادا والليلة كالبارحة سوادا تحاسد والمال تطل وتهاجر والعمر قصير والشيبة تحقر الشيب لا يوقر والصغير يعرف الكبيرة والكبير يعطف على صغيره والقلوب الدور بعيدة والقلوب بعيد والحال ضيقة الاخلاق أضيق واللقاء عن عقر والسلام عن عذر والزيارة تاريخ والابتسام فتح الروم والاجتماع خلف النصول ما هذه الطباع وفيم هذا النزاع لو كان في قصص الخلافة اوسرير الامارة لكان سفها وبئس صنيعا وكنت اظن بنشء العشيرة

الالغاز

ذلك قول أبي العلاء في ابرة

سعت ذات سم في قميصي فغادرت * به أثرا والله شاف من السم *
كست قيصرا ثوب الجمال وتبعا * وكسرى وعادت وهي عارية الجسم

وقول ابن حرازفي خيمة

ومضروبة من غير ذنب أتت به * اذا ماهدى الله الانام اظلت

قلت لغزا بي العلاء ولغز محيي الدين لم تسة رفيهما الوجوه الحسان الامن وراء ستور التورية

ومنه قول ابن حراز فيمن اسمه عثمان

حروفه معدودة خمسة * اذا مضى حرف تبق ثمان

ومن الطف الالغاز في القلم

وذي خضوع راكع ساجد * ودمعه من جفنه جاري
مواظب الخمس لاوقاتها * منقطع في خدمة الباري

وقول ابن عبد الظاهر في شربه في كوز الوزير

وذي اذن بلا سمع * له قلب بلا قلب *
اذا استولى على حب * فقل ماشئت في الصب

ومن لطائف ماوقع في باب الالغاز ان شيخ الشيوخ بحماة كتب الى والده ملغزا في باب بقوله

ماواقف بالمخرج * يذهب طورا ويجي
لست أخاف شره * مالم يكن بمرتج

فكتب اليه والده في الجواب

ذهاب ومجي وخوف وشر هذا باب خصومة والسلام * وقال القاضي محيي الدين بن عبد الظاهر ملغزا في باب

اي شيء تراه في الدور والكتب مجازا هذا وذاك محقق
* هو زوج وتارة هو فرد * وهو فى اكثر الاحايين بطرق
وطليق في نشأتيه ولكن * بحديد من بعد ذلك يوثق
وهو في القلب يستوي وتراه * بان تصحيفه لمن يترمق *
فاجبني عنه بقيت مطاعا * لست في حلبة الفضائل تسبق

وقال الشيخ برهان الدين القيراطي في باذهنج واجاد

اهوى أنا المختلفه * قد اصبحت مؤتلفه
في شامخ بأنفه * على العوالي انفه
وذي جناح لم يطر * وكل طير الفه
جناحه طول المدا * يبدي علينا رفرفه
في الريح ضاع قول من * على هواه عنفه
عليله الصحيح كم * شفى فلو بادنفه
وروحه لطيفة * وذاته منحرفه

اذا انتهت الى التوبة نعت التوبة فقد عمت الجفوة في الله ان ابديكم شغفا ولا تحيبوني سرفا وكلما ازددت بكم خلفا ازددتم على صلفا أكل هذا القرى البكم وكل هذا الغنا كم عن يد المصون منافى التراب وحديث ماحديث سيدنا وبشه القول انى قاصد قصدكم العام وعدى له الايام وشكرى لاعقاب الشهور اذا انهت وشوقي الى انجازها حين تقبل فلما جاشت النفس واختلجت العين وطنت الاذن لقرب القافلة وردت خالية من كتابه نفثات الامل حسيرا وعجبت لذلك كثيرا ولم اعجب من تأخر ركابه عجبى من تأخر كتابه ارايت

عن قبلة الدين ازرى * حب الهوا قد صرفه
ولم تكن مع الهوا * اعطافه منعطفه
هوامتحت طوعه * كيف يشا صرفه
مازال غير شاكر * ساكنه مذ الفه
وكلما أسرف في * بذل شكرنا سرفه
انفاسه كم اودعت * مجالسنا تلطفه
كم ريحت من غصن * وقامة مهفهفه
معناه هو الحب شيء * عنده من قد عرفه

وقال محيي الدين ملغزا في قرى

ما معمى ورأسه * في عداد المطير
كم له من مترجم * كم له من مصحر
كم خواف له بدت * لالتقاع المبصر
كله مجمع وان * زال بعض اسمه قرى

وقال المقر المرحوم الاميني صاحب دواوين الانشاء الشريف بدمشق المحروسة ملغزا في فاختة

وما طائر يهوى الرياض تنزها * ويسرح في افنانها ويغرد
هجاء اسمه خمس حروف تعدها * وخمساه حرف ان تأملت مفرد
وبعدهما تصحيف باقيه ان ترد * بيانا له اني تبين وتشهد
وفيه أخ ان تهت عنه فأخته * تدل على ماقد عنيت وترشد

هذا اللغز ورد الى الديار المصرية وحله بقية السلف الشيخ زين الدين بن العجمي واجاب عنه بقوله

ايامن له مجد اثيل وسودد * غدا دون مرقاه سماك وفرقد
تفيد يسارا المقترين يمينه * ويسراه من يمنى الغمامة أجود
سؤالك عن انثى طروب ولم تزل * على عودها في الروض تشدو وتنشد
وتجذبني بالطوق عند نشيدها * لشجو التصابي لا أطيق افند
ومذبان منها الطرف امست لعكسها * تخاف الردى ممن لها يترصد
وان حذفت ثاني الاخير فانه * على العكس خاف بل يلوح ويشهد
فأولها مع ما يليه وحرفها * لنا فاه بالمعنى الذي فيه يقصد
وحرفان منها فرد حرف لناطق * واف لمن بالعكس في ذاك يجحد
بقيت بقاء الدهر عزك باذخ * وفي مفرق الجوزاء لواؤك يعقد

وقال ملغزا في درة

أي شيء من الجمادات يلقى * وتراه من بعد ذا حيوانا
وترى ذلك الجماد عزيزا * غالبا منه رصعوا تيجانا

يا أبا سعيد كاليوم اسمعت
بالتي نقضت غزلها انكاثا
أقرأت قصة التي وهبت
لواحدها اثاثا اتبغي بعد
هذا ميراثا ارأيت الذي
اتبع عقدة النكاح ثلاثا
اعجبت ممن وعد الغريق
في القابل غياثا غروان
قضيتك مع أخيك اطرف
وحال اخيك معك اعجب
عسى الله ان يجمع الشمل
انه قدير كريم

(وله اليه ايضا)

لا يكاد خيالك يغبني يوما
ولا كتابك لا يسرني يوما
وكما لا يعجب اباك ان تكون
ابنه فقط كذلك لا يعجبني
ان تكون اخي فحسب
نهات واقفني بعذرك فيما
اضعت من عمرك علام
انفقت وفيم انفدت وما
الذي افدت واعلم ان
للمرء سهما من المكاره
موفورا ونصيبا من النصب

وترى الروح منه فى حيوان * ذى جناح ويألف الطيرانا
واذا ماشدا على العود يوما * فوق دف يحرك الاغصانا
او بدا فى مقفص فابن برد * عند اسجاعه يصير مهانا
كله طائر وفى ثلثيه * لك ذو اربع مع العكس بانا
كاه عاطل به تحلى * كل خود وتستقل الجانا
وتراه عند الملوك عظيما * وبتصحيفه حقيرا مهانا
عكسه فى تصحيفه زد بنقص * فالمسمى هنا فكن يقظانا
واذا لم تدر التصاحيف ذره * للذى فيه فهو يدرى البيانا
وبتحريفه تؤدب من شئت اذا كان يجهل العرفانا
ثلثاه در نفيس وفى فيه اذا جاء يصحب المرجانا
لكن الثلث عنده نصف وحش * ذب عنا تصحيفه ما اعترانا
وهو فى البر نافر واذاما * حضروه قد يألف الانسانا
فافترسه بالحل ان كنت ليثا * فهو لغز عن فضله قد ابانا

وعلى ذكر القمرى والفاختة اوردت هنا ما الغزته فى القفص وهو قولى

اى مغنى اعواده يت شدو * مرقص مطرب وبالقلب صفق
ولمجموعه النباتى حسن * فرنت من بعضه بسجع المطوق

ونقل الشيخ جمال الدين الدميرى فى كتابه حياة الحيوان لغزا فى بجع

ما طائر فى قلبه * يلوح للناس عجب
منقاره فى وسطه * والعين منه فى الذنب

وكتب علامة العصر الشيخ بدر الدين الدماميني الى المجدى فضل الله بن مكانس ملغزا فى قدح فقال ما اسم حبيب الى النفوس * شبيه بالبدر حليف للشموس * ان قلب كان القلبه من العين مكان المناسبه * او سقط قلبه مع الفعل كان ضدا للاقوال الكاذبه * وان صحف بعد العكس انبأ عن الذكاء وهذا غاية الشرح * وان غير ثانيا علم رب الكلام المحرر انه دال على الطرح * حاشيناه مع التصحيف آلة للصيد * معينة على المكر والكيد * وان قطع طرفه كان صراح باقيه قواما * وان عكس على الطرف صار بتصحيفه مداما * وان زال اوله كان العكس عقابا للمتعاطى اثمه * او صحف اشتاقت الشفاه الى تقبيله ولثمه * وربما كان الحد عند تصحيفه الآخر منافيا لاسمه * مباينا فى الحقيقة لحده ورسمه * فكتب الجناب المجدى الجواب والغز فى ورد بقوله يقبل الارض التى اطالت بالجفا حرمانه * وتداركته بعد اجراء دموعه فعظمت فى العالمين شانه * وانهى المملوك الى اللغز الذى تمتع بلحه * وشرب بقدحه * فابتهل شكرا * ومالت اعطافه بالقدح الفارغ سكرا * فوجده كما قال مولانا حبيبا الى النفوس * مجتهدا فى التوصل بعلاه الى الرؤس * وكتب فى الجواب لغزا * وخالف نفسه اذ قالت لا ينبغى مجاراة هذا الجواد لزا (وهو) ما عاطل يتحلى به المجالس * ويتفكه به فى المجالس * ثمر وجناه من الشرب * وتحمد آثاره فى البعد والقرب * ان قلبته وجدته تاجا * وان

مقدورا هو لابد لاقيه فكن كاخيك لعل اباك يونبكهما فى صباك فان لم يضربك صغيرا لم تعدم من يضربك كبيرا وان لم يتعبك صبيا اتعبك الدهر مليا وان سمت وانت طفل ندمت وانت كهل وابدأ بالقرآن قبل كل محفوظ ثم تفسيره والله ولى تيسيره ولا تشغلك كتب اللغة عما رسمت لك ففيها اضاعة الزمان ولا خير فى لغة ليست فى القرآن

(وله اليه ايضا)

كتابى والاخ على ما آتاه الله من جراءة قلب وقدم وبسط لسان وقلم يقدم على الاسد فلا يخشاه ويقول المحال فلا يتحاشاه والمحال لا يلتطم الخد انما يتجاوز الحد ولا يشج الراس انما يرفع القياس ذكرانى كسلت عن اجابته فاتخذت

تركته على حاله زادك ابتهاجا * يعذب بالنار وغيره الجاني * ورب ان بدلت اوله برد الاماني * يستخرج وهو داخل * ويرى دمعه من نار قلبه هاطل * لا تبوح به في غبطه * ولا تجد فيه مع انهما لنقطه * فان حذفت أوله وحرفت باقيه وجدته أمرا بالشراب * وان فعلت كذا في ثانيه رأيت ما بقي مولد المحبة بين الاحباب * وان حذفت آخره كن ورى * وغص في بحر الفكر على عكس ثلثيه لتستخرج درا * والمملوك يسأل الصفح فانه لولا المحبة ما اجاب * ولا طرق بعد فقد ابيه هذا الباب * فكتب اليه الشيخ بدر الدين الجواب يقبل الارض وينهي ورود الجواب الذي شفى القلوب بوروده * واللغز الذي لبى بوروده بان الحي وطيب وروده * فوجده روض بلاغة عدم العائب والعائب * وترعرع زهره حيث امطرته من الانامل المجيدة خمس سحائب * فلو شاهده ابن الوردي لاحمر خجلا * او صاحب زهر الاداب لتلون وجلا * ثم تأمل حل اللغز فوجده قد كشف المشكل وجلى * واعترف انه لم يمر بذوقه اطيب من ذلك الحل ولا احلى * وتحقق أن مولانا اوسع المملوك في مقام الادب بفضله ايناسا * وتناول منه قدحا أعاده بالفاظه المسكرة كاسا * وانتهى المملوك الى اللغز المخدومي فقال

مولاي عبد الله يامن فضله * يروى وجود كفوفه يروى الصدى
الغزت في اسم عاطل حليته * فبنا بدو اللفظ او قطر الندى
ان أورد التصريف في اثنائه * قد كان للشاني هلا كاوردى

وقال مجيبا له أيضا عن الورد

لله لغزك يا مولى فضائله * قد عطر الكون منها طيب انفاس
اني بورد خيالي على قدحي * به وابهجني ما بين جلاسي
وقد اساجرح كسري حين اقبل لي * روحي الفداء اذكر الورد والآس (ى)

فاستحلى المملوك بالتصريف ورده * وود لو اقتطف من اغصان حروفه ورده * ووده الى ذل القصور عاريا عن ملابس عزه * وانشد قول ابن قلاقس وقد تقلى بنار عجزه *

اذا امتنعت اثمار المعالي * جناها الغض فاقنع بالشميم

فراح على بهرج هذا الرأي الكاسد * واقتنع بالشميم على رغم انف الحاسد * وعلم ان تلك الورود لا تخرج الامن تلك الحضره * وان هذا الفاكهة لا تخرجها الا اغصان اقلام لها بالمدا المخدومية بهجة ونضره * وتمشى المملوك من هذا اللغز في بساتين الوز ير على الحقيقة * ورأى كل ورقة فاحمرت الوجنات الحمر فصيرا هي وردة ام شقيقه * وتفكه به معجبا بثمار غرسه * منشدا لمن كرر النظر في صحيفتي طرسه

ان كنت تزعم ما في خده عجبا * فانظر الى الورد في خديه منثورا

فلقد ظفرت من نفسه الوردي بالمنبر لورد * وعوذته عند تبديل الثلاثة بالواحد الفرد * وتأملت بقصور راحتي نكتة برد الاماني * فانعقد لسحر البيان لساني * وتيقنت أنه لا يقوى على فهم هذا البرد الا كل حديد النظر * ووجدت تصحيف هذه الكلمة باشمس الفضائل للعقول قمر * وعلمت ان الفكر لا يجاري من بديهته من بحر الفضائل روبه * وان

ذلك الفصل ذريعة الى شاه وانما معنى اشتم عرض الاثم وألعن زغب البط واقول لم يرجع على ولم يرجع الى ولم يحم حوالى كانه العتب لو رجع صاحبه فاما اذا لم يرجع فلا عتب وان كان فلا عتبى وذكر اعتداده بما فعلت وقلت ثقته بما اعتقده من مودته وانما كتبت ذلك لتعلم لا لتعتقد وانهى لا لا ... ق واما ما وصف من شوقه ملوم لان الصبر عن مثله لوم والعجب شوقي اليه والوجه فلوس والرأس رؤس والجملة شيطان التفصيل سلطان وانا مع ذلك افديه عضوا عضوا الا الجدود المورود كيلا يحفظ على الحدود وتبلغ سلامي الى فلان والى فلانة واهاً من قلبي ما لا يحمل الزمان عقدته ومن

الخاطر لا يقوى على سلطان هذا اللغز لان شوكته قوية * وقلت للذهن رد بعضه لتنهل شرابا سائغا * وزد تصحيفه ليكون فى التعريف بمعناه مبالغا * وتمتعت من ورده بالمشموم * ثم تذكرت البعد عن جناب المخدوم * فاستقطر البين ماء الورد من حدقى ولولا انا الصفح عن مقابلة هذا الدر بالسقط * وغرهجير بهذا الحشف الملتقط * قلت وعلى ذكر القدح والورد حسن ان نورد هنا لغزا فى المدام وقفت عليه للشيخ صلاح الدين الصفدى بخطه

وماشئ حشاه فيه داء * واوله وآخره سواء
اذا ما زال آخره فجمع * يكون الحد فيه والمضاء
وان اهملت اوله ففعل * له بالرفع والنصب اعتناء

قلت لابد للمدام من ماء من حيث الممازجة ووقفت بالديار المصرية على لغز للشيخ زين الدين ابن العجمى الغزه فى الماء فاعجبنى وهو قوله سألتك اعزك الله عن سائل لاحظ له فى الصدقة ولم يكن متصل النسب بالاشراف * وتراه كثير الرجفان من غير أن يخاف * كم رد سائله نهرا * وعفر وجه قائده فى التراب قسرا * مذكر كثير الحيض * لطيف الانبساط سريع القبض * مطلق التصرف وعليه الحجر * وطالما قبل العشاء أبدى لنا الفجر * يتشعب ويتكسر * ويتعوج ويتدور * وتبدو له خسوف مينا واكثر * يحمل القناطير المقنطره * ويعجز عن حمل ابره * سريع الاستحالة * قل ان يثبت على حاله * بعيد الغوص ليس له قرار * ويعاجل صفاء وراده بالاكدار * ويسكن فى تخوم الغبرا * وينم على احوال السماء نثرا * بعيد الغوص رقيق القلب على كل عديم * وكيف لا وهو المولى الحميم * يجود بالخير الحلى * ولا يرد من نداه مؤملا * كم عمر سبيلا * وقطع طريقا وأخاف سبيلا * وكم طفى واحترق * واظهر الجفاء وهو كثير الملق * صقيل يجلو الصدا * ويظهر على شدة البرد تجلدا * قد جمع فيه الخوف والرجا * والكدر والصفا * فسبحان من جمع فيه هذه الاضداد * وارسله رحمة للعباد * ويعجبنى فيه قول ابى الفضل بن الخازن

وخل صفاء زرته بعد هجعة * فالفيت شخصى فى حشاه مصورا
واودعته سرى فافشاه للورى * فيا حسن ما افشى الغداة واظهرا
ابوه حليف للثريا وامه * به حامل فى بطن منخفض الثرى
سطيح له جسم بغير جوارح * يبارى الرياح الذاريات اذا جرى
تزر عليه الريح ثوبا موردا * وتكسوه شهب الليل ثوبا مدنرا

قلت وعلى ذكر الماء يحسن ان نورد هنا لغزا فى القربة كتب الشيخ بدر الدين الدماميني الى المقر الاميني امين الدين الحمصى كاتم السر بدمشق صاحب ديوان الانشاء بالشام لغزا فى قربة تزاحم سرب الادب على الشرب منها * ولو عاش صريع الدلاء ود أن يكون راوية عنها وهو قوله

اكاتب سر الملك والفاضل الذى * ثناه على الافكار فرض مرتب
يحدث عن سهل رواة كلامه * اذا ما اتاه اللغز يروبه مصعب
فديتك ماذات أطالعكم بها * ويبحث فى الاسفار عنها وتطلب

السلامة ما لا تخلق الايام جدته

(وله الى ابى الفتح ولد ابى طالب)

ارانى اذكر الشيخ اذا طلعت الشمس او هبت الريح او نجم النجم او لمع البرق او عرض الغيث او ذكر الليث او ضحك الروض ان للشمس محياه وللريح رياه وللنجم حلاه وعلاه وللبرق سناؤه وسناه وللغيث نداؤه ونداه وفى كل صالحة ذكراه وفى كل حادثة اراه فمتى انساه واشدة شوقاه عسى الله ان يجمعنى واياه

(وله اليه ايضا)

حثوا المطى فهذه نجد غاب الهوى وتطلع السعد وقد برح الشوق برحا لا استطيع له شرحا وغلى الوجد غليا لا يرده صبر ولا يسعه صدر

تشدو كم في الارض قاراً مالها * وصدق اذا ماقيل تلى وتكتب
وماهي في التحقيق راوية وكم * لها خبر في الذوق يحلو ويعذب
مليحة شكل يألف الحب صبها * زماناً وفي وقت لها يتجنب
وتبلغ منها العياض حقيقة * ولكن رأينا قلبها وهو طيب
يزيد من يدوها اذا ما تصوفت * ويشكرها أهل الزوايا ويطنبوا
لها ربيع لكن بساق رأيتها * على السعي في الاحياء بالنفع تدأب
وما نال اغاني تعاطيه بعد ما * رأيناه من تلك العتيقة يشرب
وشم فها المفتوح كم راح سائلاً * وما نطقت حرفاً عن القصد يعرب
وترضع احياناً وما حان رضعها * وكم من فتى في حملها راح يرغب
وتحمل ما فيه الحياة لربها * فيا حبذا منها البسيط المركب
وترسله فاعجب لمن مسلسل * غدا مرسلاً عنه الرواية تجب
وكم من خليع شمته اذ تمقت * يمد اليها الراح لهوا ويطرب
وكم قد تعبدنا بتحريف لفظها * ولم أر بالتحريف من يتقرب
وتصحيفها يا جبهة الدهر بلدة * حواها من الاقطار شرق ومغرب
وتوجد في الافلاك عالية لها * ويألفها بعض الجوارى ويصحب
ويا من لرق الفضل اصبح مالكا * فمالى الاغضو عليه مذهب
تلقت للغز نحو بابك قد أتى * وكل غدا من ظرفه يتعجب

قال بعضهم ملغزا في قربة السباحة

وذات فم طورا تسبح ربها * ولم تكتسب اجرا بتسبيحها قط
معانقة الصبيان مضمرة الهوى * كأن بقايا قوم لوط لها رهط

قلت أما لغز الشيخ بدر الدين في القربة فنسيج وحده وماذاك الا انه لم يجنح فيه الى عقادة من تمذهب بغير مذهبنا ولم يسبكه في غير قوالب التورية وقد اذكرني لغزا ألغزته في قصب السكر بطرابلس المحروسة وقد انشدني بعض المخاديم وهو المقر المرحومي الشهابي الدنيسري لغزا في قصب السكر ايضا وهو

وحاملة دراحكى الحلاوة * ونشرا يروى شربه ويقوت
تعيش اذا لم يبد منها فان بدا * فهيتها في اثر ذاك تموت
فلم ترعيني مرضعا في مثالها * من الخلق تسقي درها وتموت

وقال بعد الانشاد ولا اعلم في هذا الباب مثل هذا اللغز لانه سالم من التعقيد والتصحيف والتحريف والعكس والحذف والابدال فنظمت هذا اللغز في يوم الانشاد وهو

وعسالة تبدو بغير أسنة * ولا طعن فيها وهي داخلة الصدر
ممشقة هيفاء حلو مذاقها * به يطرح المران في المهمه القفر
منعمة لفاء مهضومة الحشا * تكاد بأن تنقد من رقة الخصر
وتحلو على البيض الرشاق شمائلا * اذا ماتثنت في غلائلها الخضر

وابرح ما يكون الشوق يوما
اذا دنت الديار من الديار
حيا الله طلعة الشيخ وبارك
في مقدمه بركة تعمه من
فرقه الى قدمه ووصل له
الخيرات بهذه السفرة حتى
تسفر له عن كل محبوب
وقد أصحت السماء قليلا
وصفا الجو يسيرا والحمد لله
كثيرا فليجعل اهتمامه امامه
وليعد اعتزامه قدامه
وليفرج بين الخطا حتى يشنو
عليه ويحاوطه ويسد ثلمه
ويؤنس وحشة وهو بذلك
يستوجب شكرا

(وله اليه ايضا)

ولو أن ما اودعته من محبة
اودعه الجبال لالتبسا
التباسا يجعل رأسيهما
راسا واساسيهما اساسا
واني لاذكره يقظان فاتصور
مثاله واحلم به نائما واواصل
خياله وله على كل خطر اني

يلذ قبيل العصر فى الظهر رشفها * وبرد لماها من أليم الجوى يبرى
وان سقيت ماء سقتك سلافة * بطيب مزاج وهى طيبة النشر
وبنت حلو الثغر حلو نباتها * فبرشف أريا قا الذ من الخمر
وان لمعت فى ثغرها وتبلجت * دع ابن جلا يقرع ثناياه فى الثغر
على عودها كم للرباب مواقع * وموصولها يغنى عن الناى والزمر
وان قطعوا موصولها شبت به * اولوا الذوق تشبيبا شفى غلة الصدر
وترفع بعد النصب والكسر جرها * فتجزم ما للقارمى من الذكر
وهمزاتها همزات وصل وقطعها * اذا ما أصلت جائزلك بامقرى
وفى أول الاعراف تروى من الظما * وتضرم نيران الجوى وهى فى العصر
ومن حلها ان افرغت فى قوالب * يقول الورى هذا هو السكر المصرى
ومن أجل ذا عنها ابن سكرة روى * وأما النباتى قال من ههنا قطرى
كذا ابن الحلاوى قلبه معها يرى * كسيرا وكم قد أوردته لظى الجمر
فيا من حلا ذوقا وحل بداتى * وفى عقد الالغاز بانافث السحر
تأملت بعد الحل كيف تنوعت * حلاوتها حتى رقت منبر الشكر
بنية فكر من حماة تغربت * وغربتها والله قد اشغلت فكرى
ومن شط ذاك النهر يا بحر قد أتت * فلا تمهروها فهى فى جبرة البحر
سعت من ابى بكر لاحمد خدمة * واحمد من أولى الورى بابى بكر
فلا زلت فى حل وعقد مؤملا * لكل غريب جاء حتى من الشعر

قلت وبعد قصب السكر يحلو أن نورد ههنا شيأ مما الغز به فى العسل فمن ذلك ما كتب به الشيخ شرف الدين عيسى العالية الى سيدنا الشيخ الامام العالم العلامة بدر الدين بن الدماميني وهو

يا أيها المولى الرئيس ومن له * ألفت مدحا كالجواهر نظمه
اسمع سمعت الخير أمرا محكما * يعفى على الالغاز جمعا حكمه
قالوا من الاطيار حقا اصله * أكرم به لغزا يروقك طعمه
لكنه ما حاز منقارا ولا * ريشا ولا جنحة ولست اذمه
من أين يعرف ما اسم شئ ربما * أكلته فى بعض الجماعة امه

فاجابه الشيخ بدر الدين بقوله

يا فاضلا نثر المحاسن نظمه * وللغزه قد ذل عجزا خصمه
وتطرزت حال البديع عنطق * منه علا بين الافاضل رسمه
شرف لأعراض البدائع سابق * ومن الفضائل قد توفر قسمه
الغزت فى اسم عاطل حليته * بنفيس درصح فينا تمه
فاذا اضفت القلب منه لأصله * قلنا بهذا الفعل قد وضح اسمه
واذا عكست الاصل منه فهوان * اعربت لحن ليس يجهل حكمه

رقيب وعلى كل تطرأنى حسيب ولا يقدح فى الحال بيننا أن يتأخر كتاب متوقع انما وجب ذلك عذرا لو وقع كحالنا العام انى اثبت هذه الاسطر ونصنى راحل وابلى مقيمة وكتبها والاحمال تشد والعلوفات تعد والجبر تؤكف والمكارى يزاف والدواب تسرج والجمال تقدم والجمال يشتم وفى اثناء هذه الاحوال تضل الآراء واما ان شاء الله وارد غزنة وراجع عنها الى هراة فكتاب الشيخ بما يجدده الله من حال ويقربه من منال ويفيضه من جاه ومال ويلغنيه من أمانى وآمال ويحسنه الى من دار ومآل وما ذلك

قد كانت الاذهان منه خلية * تفوت به شهد الذيذ طعمه
ورأى ابن سكرة حلاوة طعمه * فقضى بتقطير المرارة وهمه
ورأى بعين لغزك الحلو الجنى * حلو المذاق فحار فيه فهمه
واعاذه بعلى امير الفضل اذ * اضحى عليا فى الفصاحة نظمه
فاصفح بفضلك عن جواب سائل * ياطالعا فى خير افق نجمه

قلت وعلى ذكر العسل يحلو ايضا ان نورد هنا ما الغزه مولانا المقر المرحوم القاضى الناصرى محمد بن البارزى الجهنى الشافعى فى سكر نبات وكتب به الى وهو

ياقاضى الادب احكم لى فذا ادبى * حلا مذاقا ووقع لى بتحسين
واقبل شهادة ما اهديته تزمن * تصحيف معكوسه ثان بتزكية

ورسم لى بحل اللغز والجواب فالغزت مع الحل لغزا انذ الحلاوة فى قطر وهو

اهديت لغزا حلا ذوقا مكرره * فانحل منه حل فى قلبى بتمكين
وفزت منه بشكر فى مصحفه * وجاء منه بثان قلت يكفينى
تصحيف معكوسه من غير تزكية * وحكمه ثابت عندى بتبيين
حماة منبته لكن بمصر له * مزية تزدرى نبت الرياحين
نحل منه لنا لغزا مجانسه * يحل احشاء رضينا فيرضينى
يرادف اسم رباب فهو يطربنى * هذا وتصحيفه فى العيد يأتينى
حلو رقيق بلا حشو لذائقه * لان قطر النبات عنه يغنينى
فلا برحت برغم الكسر تجبرنى * وكلما مر لى عيش تحليتى

قلت وعلى ذكر القطر يحلو أن نورد هنا شيأ من بديع ما الغزوه فى الكنافة والقطائف فمن ذلك ما الغزه الشيخ برهان الدين ابراهيم القيراطى فى النوعين وهو قوله

هذان لغزان قد حلا يا بثنيا * قاضى العربة ماهذان خصمان
اسمان كل خماسى اذا كتبت * حروفه فهما لاشك حرفان
تباينا فى الورى شكلا اذا نظرا * وصورة وهما فى الاصل مثلان
هما الى الصين منسوب مقرهما * ان احضرا فى مكان بين اخوان
لذا كنى وهو بين الناس ليس له * من كنية ما اتحى فى ذلك اثنان
فى البرابى وان فتشت عنه تجد * فى لجة البحر ملقى خمسه الثانى
نبت ارى النار قد ابدت له ورقا * فاعجب له ورقا ينمو بنيران
يحيا اذا ماسقاه القطر وابله * وجاده بسحاب منه هتان
ذو رقة فاذا صفته ظهرت * كثافة منه فاستره بكتمان
هذا وكم من بدور فيه قد طلعت * فى آخر الشهر لم تمحق بنقصان
فقدها خيط فجر أبيض عمل * بالبرق يسطو عليها سطوة الجانى
واللغز الآخر فى اسم ذات ألسنة * لم يبد منها التباب النطق حرفان
ياحسنها ألسنا اضحت حلاوتها * يحلو المديح لها من كل ملسان

على الله بعزيز وقد طالت مراجعات الشيخ فى حديث ابى طالب جعلنى الله فداه وابو طالب جلدة بين العين والانف ولا يمس بعدى الامنى باكثرها فانه قرة عينى وبصرى وسمعى ولسانى ويدى وانس يومى وذخيرة غدى وفلذ كبدى وقطعة من جسدى والزيادة على التمام فضول وليس بعد الغاية سول فان رأى الشيخ وأبت الكريمة عنده الاتراد افشرط ذلك أن يبعد شأوه فى العلم ويرسخ قدمه فى الدين ويتحامى من اخلاق الشيخ تعاطى الشرب ويقتدى به فى سائر أخلاق الفضل ويزورنى لاخبره عاما

بالطى والنشر فى حال قد اتصفت * والطى والنشر فيما قيل ضدان
كم سكرت ففضحنا بالدخول بها * أبو ابيها فتلقتنا باحسان
حسناء أجمع اهل العقد كلهم * والحل منها على ابعد عرفان
وصالها حل بالاجماع فى زمن * فيه الوصال حرام عند اعيان
ثلثا ثلاثة اخماس لها وجدا * شيأ يجىء بايضاح وتبيان
وماذ كرت من الاخماس قد نطقت * صدقا بذكر اسمها من غير بهتان
وخمسها جبل لكن بقيتها * فى مكة يرتجى فوز ابغفران
مامل راو من القالى أماليه * عنها وماخاطر القالى لها شانى
فى الجوف منها قلوب جمة جمعت * ولا يكون بجوف الشخص قلبان
كم ظل يطرحها من ليس ذا شرف * جهرا و يوصف مع هذا باتقان
بالحل أنعم سقى القطر المواطئ من * اقدام سعيك من ار واه ظمآن

وكتب مولانا قاضى القضاة صدر الدين بن الآدمى الحنفى رحمه الله الى علامة العصر سيدنا ومولانا الشيخ بدر الدين بن الدماميني رحمه الله ملغزا فى لوزنيج واجاد الى الغاية وهو

يامن له فى علوم النظم أى يد * فاق الخليل بها فضلا وتمكينا
ما اسم دوائره فى نظمها ائتلف * والثلم فى صدرها مستعمل حينا
اجزاؤه من زحاف الحشو قد سلمت * هذا و يقطع مطويا ومخبونا
تصحيف معكوسه انظر يا ردفه * يا فرد يا رحلة قوم مقيمونا
والعبد منتظر من حله فرجا * لازال سعدك بالاقبال مقرونا

فحله المشار اليه رحمه الله وأجاد الى الغاية والجواب

يامرسلا من شهى النظم لى كلما * منها ابن سكرة قد راح مغبونا
لله درك صدرا من حلاوته * وجوهر النظم لم يبرح يحلينا
حليت لغزك اذ أبهمته فلذا * يافائى رحت بالاعجاب مفتونا
هذا وكم قد رأينا فى دوائره * للكف قبضا يزيد العقل تمكينا
وليس اضماره مستحسنا فأبن * بالكشف عنه لمن وافاك تحسينا
وكن لنا هاديا صوب الصواب ودم * فينا أمينا رشيد العقل مامونا

والله تعالى يمن على أفواه شاكريه بما هو اشهى من اللوزنيج وأحلى * و يحلى اعناق المنادبين من كلمه بما هو انفس من الدر وأغلى * وكتب الشيخ بدر الدين المشار اليه ايضا الغزا فى دواة وجهزه الى المقر المرحوى الامينى المقدم ذكره وهو هذا

كتبت واعذارى اليك تقرر * ونظمى بها ايا كاتب السر يجهر
اتتك بابيات المعانى فرضتها * وحكت حبير اللفظ وهو محرر
وحليت اهل العصر اذ كنت خاتما * لهم فعلمك الآن يعقد خنصر
وماانت الا البحر جاش عبابه * ولكن رأينا منك علما يحسر
فما كلمة اذ ديك دام اعتلالها * وفيها دواء ان عراها تغير

فان بعثت الكريمة لجمع الله بينها و بينى وأقر بلقائها عينى أعظمت قدرها ونفذت امرها وأقررت بكل مراد عينها ووصلت أبا طالب رحمه الله واستعنت بالله على ماأنويه فيه

(وله ايضا)

ورد العام من هراة ابو فلان وهو منى بمنزلة السمع والبصر والشيخ يمرض عليه نفسه ذاهبا وجائيا ويصلح شؤنه عائدا وباديا و يرد من بوشنج فلان وهو أخو الرئيس بها فليحسن خدمته متحققا بين يديه عارضا نفسه عليه والحاكم ابو عثمان وهو لى بمنزلة العم فليخصه من العناية بالاهم و يرد من بيته فلان وهو من صدور خراسان وكبرائهم والشيخ يحسن خدمته فيما وجد اليه سبيلا ويرد من بلخ ولى نعمتى ابو جعفر وهو ابن الشيخ الجليل ابى

ويحفظها اذ والسر وهي التي وشت * وذلك من عاداتها ليس ينكر
وما مسها الا وجادت بنفسها * وحتف ترى المقصود بالنفس يظهر
وتحمل سمر الخط رايات ملكها * على الرأس عباسية حين تخطر
كحيلة طرف تعشق العين شكلها * ويحسن مرآها اذا ما تحبر
مؤنثة كم ذكرت بابلونها * عهود الصبا والشئ بالشئ يذكر
وكم ند أوار اريقها من مسلسل * يلذبه في الذوق ورد ومصدر
وكم لاقت الاحبار منها محاسنا * فعادت لها الجهال بالعي تحصر
مسودة ان ترض فالعيش أخضر * وان غضبت فالموت لاشك أحمر
ويعذب للسمر الرقاق رضابها * فتنهل منها موردا لا يكدر
لقد أحكمت والنسخ مازال دأبها * بذلك قد جاء الكتاب المسطر
وماهي الا ذات مترية غدت * وكم ذي غنى عن قصدها ليس يفتر
واسنا نراها غير سائلة ولم * تفه بسؤال فاعترانا التحير
فانهم بحل اللغز يا خير منعم * فانت به والله أجدى وأجدر
فلا زالت الاقلام تسعى اشكركم * على رأسها طول المدى لا تقصر

فكتب المقر المرحوم الاميني الجواب بعد أيام وهو قوله

مواقع أقلام لها الفضل ينشر * وروضة آداب بها القلب يجبر
تحررمعنى حسنه نسيج وحده * فما حبذا الاسكندري المحرر
تشق على الافهام شقة شأوها * فكم من بليغ عن مداها يقصر
أتت سهلة الالفاظ ممنوعة الذرا * حماها من العلياء لا يتسور
تشير الى الحبلى التي عز وضعها * فاحشاؤها فيها الاجنة تقبر
ينامون لا تغشاهم سنة الكرى * فان هب فرد ظل يسعى ويحضر
وان أرشفته من زلال رضابها * تهادى بها نشوان يمشي ويعثر
وأما اذا اعموا السواد فكلهم * خطيب له فوق الانامل منبر
وينطق عن علم وطول بداهة * وعما رآه في المنام يعبر
تطاول سمر الخط الى تشاخت * سمو اومع هذا على الطول تقصر
وكل بني الآداب تلفي بيوتهم * تقام بها بين الانام وتعمر
فاكرم بها قد ولدته وانشات * وربت ويكفيها بذلك مفخر
تجيء وجيهي ان جلست ووجهها * تجاهي وجاهي عندها ليس يحقر
وقد فتحت فاها فقالت وقصرت * وأني استقالت فهي في ذاك تعذر
فلا زلتم أهل الجمال وخيركم * لدى النقص مثلي فهو حظ موفر
بعد حكم الاقلام يضحك سنها * بحق وافواه الدواة تقطر

ويعجبني من الالغاز في التورية قول شهاب الدين الغزاوي في قوس وهو

ما عجوز كبيرة بلغت سناطويلا وتنقها الرجال

العباس فليوثم سدته وليغتنم خدمته وأوصيت به خيرا واستوصى خيرا وان عرض له بالري عارض شغل تولاه هذا الشيخ وبلغ مراده منه ويكفي من الخدمة قدر الطاقة فلا يحمل على نفسه كعادتها في الاعوام قبلها ويرد ابو فلان وهو العالم الفرد والكوكب الفذ ويصل معه ان شاء الله ما اخدمت به سيدنا الشيخ فوصلت به اباطالب فليعن بخدمته فضل عنايته وسلام عليه وعلى من تشمله جملته وتضمه قبالته من صغير وكبير وله أيده الله فيما يؤنسني به من كتبه ويعرفنيه من سار أخباره رأيه الموفق ان شاء الله

(وله اليه ايضا)

أنا من ذأسعدني الله بما اساومه على الايام واقترحه

وإهاني البنين سهم وقسم * وبنوها كبار قدر نبال

ومن غريب ما أعجبني في هذا الباب قول القائل في كمون وهو

يا أيها العطار اعرب لنا * عن اسم شيء قل في سومك

تنظره بالعين في يقظة * كما ترى بالقلب في نومك

ومثله قول شمس الدين الهيتي في ورق وهو

وشيء بلا جرم يصلب تارة * ويقطع حينا في حضور واسفار

ومن قدم قد بيض الله وجهه * على أنه ما انفك يوما عن القار (ى)

ومن لطائف الشيخ شمس الدين ابن الصاحب في هذا الباب قوله في سهم

لله مملوك إذا * ما قام في الشغل اعترض لكنه في لحظة * محصل لك الغرض

وقال الشيخ جمال الدين بن نباتة رحمه الله ملغزا في قلم

مولاي ما اسم لناحل دنف * وما به علة ولا سقم

لسان قوم فان حذفت وان * صحفت بعض الحروف فهو فم

وقال ملغزا في علي

امولاي ما اسم جلي اذا * تعوض عن حرفه الاول

لك الوصف من شخصه سالما * وان قلبت عينه فهو لي

ويعجبني في هذا الباب قول ابن المرجاني ملغزا في مشط وهو

يا اماما سألته حل لغز * شط منه حزا رأهل الذكاء

اهمل الثاث باعتناء وقلب * تره جاء قائد الشعراء

ويعجبني قول الشيخ صلاح الدين ملغزا في قريشة

أي شيء يروق للناس اكلا * ذو بياض واصله من حشيشه

خمسه أثقل الجمادات وزنا * فتعجب له وباقيه ريشه

ويعجبني لغز ابن منقذ في الضرس وهو

وصاحب لا امل الدهر صحبته * يسعى لنفعي ويسعى سعي مجتهد

لم القه مذ تصاحبنا فذ وقعت * عيني عليه تفارقنا الى الابد

ومن الغايات التي لم تدرك في هذا الباب قول القاضي صدر الدين بن الآدمي رحمه الله ملغزا في كشتوان

ما رفيق وصاحب لك ثابتا * ومعينا على بلوغ المرام

هو للعين واضح وجلي * وتراه في غاية الابهام

واستظرف قول بعض موالياه ملغزا في بدرة

محبوبتي وجهها يغني عن المقباس * واسمها ينقذ العاشق من الافلاس

ان تعكس والتحد واضدين في الاجناس * هذا نفور وهذا يقبل الايناس

وسألني جماعة من فضلاء أهل الادب بالديار المصرية ان انظم لهم لغزا في كرمة واطلق لهم عنان القلم في ذلك فقلت

على الزمان من لقاء الشيخ وجاءت البشارات بقدمه وشكا اعتداد الانفاس واستغفر الناس واشكر اعقاب الايام واستبطئ سرى الليالي فأهلا بالقادم ومرحبا بالوارد والعيش البارد والظل الدائم والانس الكامل والروح الواصل ويا شوقاه متى اراه وحتام ذكراه سهل الله جمعنا واياه خير المواهب أدام الله عز الشيخ ما شابه بعض الاذى ليكون مصرفة لعين الكمال ولولا اختلاف السيوف والقناء الجموع واضطراب الجيوش واختلال الامور وفساد الطريق وتداول الملوك وما يتبع هذه الاحوال من الاهوال لاستقبلته بنفسي مائة فرسخ وباحبابي مثله لكن العوائق ظاهرة فلا يحملن ذلك على جهل بقدار

آخبرونى عن فاضل باصول * وفروع يسمو على كل فاضل
اسبغ الله ظله فهو ظل * سابغ وافر مديد وكامل
وأبو محجن يقول ادفنونى * تحته ان أتانى الموت عاجل
كم لينا قد مد كفا ندبا * صيرا العيش أخضرا فى المنازل
نقط الطل فوقه وضعته * عند توقيعها به وهو عاطل
ما تبدى لنا بعين ولكن * حرفته وصحفته الافاضل
قرأينا للترك فيه أمم عين * بفتور الاجفان جاءت تغازل
ان تذكرها حرف الكل تبدى * كرما والندى من الكف هاطل
أوتؤنثه يقبل الهاء فى الما * ل ومن بعد ذا برى وهو حامل
ويقل شطره لمن عابه مه * لك هم بالعكس عند ذى حاصل
هو حلو وفيه مرك يبدو * عند تحريف عكسه المتماثل
وبلا أول يرى فعل أمر * واقلب الفعل منه فالامر حاصل
وهو خشب مسندات ولكن * حار فيه لايدو رقيق الغلائل
ومن العز جسمه الغض يدمى * وتراه من بعد ذا وهو ذابل
واذا ما فرطت فيه تراه * لم يحل عنك وهو نعم الخصائل
ذو بياض وحمرة ولدالى * فرحا راح ساريا فى المفاصل
فتراه يوما عقود بلخش * نظمت سلكها بغير أنامل
وتراه يبدو عقود جمان * مالها غير ثغر حبى مماثل
وتراه طورا سلافة راح * ولدرا لحباب فيها حواصل
وعلى عوده يغنى علينا * أعجمى به تهيج البلابل
للتمنيه فواكه وشراب * كل غض البنك تلقاه واصل
وحلا وانه بها كل قلب * كسروه والكسر للقلب حامل
وترى وصله بصبر قليلا * وهو بالشام لايزال يواصل
وتراه بذات عرق مقيما * فى نعيم وظله غير زائل
واذا قلت فى الخيم بالغو * ر رأينا لك فيه اصدق قائل
ولقد جاء نابعتب لطيف * عند تصحيفه لمن هو هازل
كيف لا والكتاب عن جنتيه * قد اتى مخبرا بكل الفضائل
فتفكه من حمله بقطوف * دانيات لكل آت وراحل
واقسم تحت ظله فهو لغز * ظله ظاهر على كل قائل
ثم دم للالغاز فى الحل والعقد لغينا اذا اتى اللغز سائل

قلت ومما الحقوه بالالغاز ما حكى عن بعض ولاة الطوف ببغداد جاؤا اليه بغلام من غلب عليهما السكر فقال لاحدهما من ابوك فقال

انا ابن الذى لاينزل الدهر قدره * وان نزلت يوما فسوف تعود

نعمة الله فى لقائه ولا يستوحش لتأخرى عن استقباله ان الامر على ما وصفت ولا آمن ان خرجت عنا تطرق بسوء أو بيد اتممد تبشر فيضيق لذلك قلبه فاذا ورد ان شاء الله ورد على الاسماع والابصار ومشى على العروق والهام ووصل الى الفؤاد وتمشى فى العظام وحظيت به الصدور حظوة البلد القفر بصائب القطر ووردت كتب فلان مشحونة بشكره مما أولاه من الثناء عليه فازددت لها قامة وزدت بها قيمة وشكرت الله تعالى على ما وفقه الشيخ من التصنف بين يديه والتقرب اليه ووردت الكتب بخط فلان وقد كنت اخللت بعد بيته فى الكتاب اليه سهوا وغلطا ثم اعتقدت ذكاء الشيخ

ترى الناس افواجا الى ضوء ناره * فمنهم قيام حولها وقعود

فاطلقه وعظم في عينه وقال هذا ابوه من بيت كبير وقال للآخر من ابوك فقال

انا ابن من دانت الرقاب له * ما بين مخزومها وهاشمها

تأتيه بالرغم وهي صاغرة * يأخذ من مالها ومن دمها

فقال الوالي ما أشك ان هذا أبوه كان ملكا شجاعا فامر باطلاقهما فلما انصرفا كان في المجلس رجل نبيه فقال للوالي الشاب الاول كان ابوه فوالا والثاني كان ابوه حجاما فاعجب الوالي منه ذلك فقال

كن ابن من شئت واكتسب ادبا * يغنيك مضمونه عن النسب

ان الفتى من يقول ها أناذا * ليس الفتى من يقول كان ابي

وبيت الشيخ صفي الدين على الالغاز في بديعيته

حرّان ينقع حرّ الكرّ غلته * حتى اذا ضمه برد المقيل ظمي

الشيخ صفي الدين ألغز هنا في السيف فانه يروى في حرّ الكرّ بالدماء واذا دخل القراب الذي كنى به عن برد المقيل كان ظامئا والعميان ما نظموا هذا النوع في بديعيتهم وبيت الشيخ عز الدين الموصلي في بديعيته

ان المنافق لغز قلبه زغل * وهو المعمى كمثل الارزة الرزم

قلت الشيخ عز الدين غفر الله لم يأت في بيته بغير الجناس المقلوب في لغز وزغل واما التعمية بالارزة الرزم فما علمت ما المراد منهما حتى نظرت في شرحه فوجدته قد قال الرزم القائم والارزة شجرة الصنوبر فما ازددت في التعمية غير تعمية وبيت بديعيتي اقول فيه عن النبي صلى الله عليه وسلم

وكلما ألغزوه حله لسن * منذ طال تعقيده ازرى بفهمهم

قد تقدم وتقرر ان احسن التعمية في اللغز ما أسفر بعد الحل عن تورية بديعة في بابها وهذا البيت ايضا بديع في هذا الباب فان اللغز في الرمح والتورية في لسن لان لسان الرمح لسان القائل في التورية للتكليم وفي التعقيد المشترك بين تعقيد اللغز وتعقيد الرمح واما المناسبة بين الحل والتعقيد والازراء بالفهم بعد ذكر الالغاز فمحاسنها لا تخفى على حذاق الادب والله سبحانه وتعالى اعلم بالصواب

(ذكر سلامة الاختراع)

(وقد باختراع سالم الف * يبدو بترويسه من رأس كل كمي)

هذا النوع اعني سلامة الاختراع هو ان يخترع الشاعر معنى لم يسبق اليه كقول عنترة في وصف الذباب

وخلا الذباب بها فليس ببارح * غردا كفعل الشارب المترنم

هزجا يحك ذراعه بذراعه * قدح المكب على الزناد الاجذم

هذا المعنى اذا تأمله المتأدب وتخيله في فكره يجده غريبا في بابه فانه قال ان هذا الذباب لما خلا بهذه الروضة التي اعاد الضمير اليها في قوله بها صار هزجا مترنما يحك ذراعه بذراعه من

وفطنته في الامور فكان كما ظننت ووردت كتب السادة من الحجاج بمثل ما ورد به كتاب فلان وأجبت عن كل كتاب ورد وأرجوه وصل ان شاء الله تعالى

(وله اليه ايضا)

ولما نزلنا منزلا طله الندى انيقا وبستانا من النور حاليا اجد لنا طيب المكان وحسنه منى فتمنينا فكنت الامانيا

اليوم طلق والهواء رطب والماء عذب والمكان رحب والسماء مصحية والريح رخاء فاين سيدي أبو الفتح اشهد ما اليوم جميلا ولا الهواء طليلا ولا الماء يبرد غليلا وأقسم ما الروض الاقتيلا ولا الانس الا دخيلا ولا الزمان الا بخيلا واني لتعروني لذكراك هزة كما انتفض العصفور بلله القطر

(سلامة الاختراع)

الطرب الذى اعتراه فشبهه عنترة برجل أجذم قاعد يقدح زنادا بذراعيه والاجذم المقطوع اليد والتقدير فى البيت قدح الاجذم المكب على الزناد انتهى ومنه قول ابن الرقاع فى تشبيه قرن الخشف

يزجى أغن كأن ابرة روقه * قلم أصاب من الدواة مدادها

وعدوا قول ابن الرومى من المخترعات التى لم يسبق اليها فانه قال فى تشبيه الرقاقة حين يبسطها الخباز

لم انس بالامس خبازا مررت به * يدحو الرقاقة وشك اللمح بالبصر
ما بين رؤيتها فى كفه كرة * وبين رؤيتها قوراء كالقمر
الا بمقدار ما تنداح دائرة * فى صفحة الماء يرمى فيه بالحجر

وأجمعوا على ان قول ابى الطيب من الاختراعات التى لم يسبق اليها وهو قوله

حلفت وفيا ان رددت الى الصبا * لفارقت شيبى موجع القلب باكيا

قلت اما ابو الطيب فانه شن الغارات على معانى المتقدمين كثيرا وما خفى ما أورده عليه الحاتمى فى الحاتمية وكان قد عن لى أن أورد فى هذا الشرح المبارك له وان تقدمه ولمن تاخر عنه جملة مستكثرة مما وقع لهم من معانيهم من سلامة الاختراع بالنسبة الى اطلاعى وخفت أن يقع اختيارى على معنى أعده لصاحبه من سلامة الاختراع فيأتى من تعرف اطلاعه على معنى له لغيره ممن تقدمه فأضربت عن ذلك وجنحت الى ذكر ما وقع لى فى نظمى من سلامة الاختراع التى لم أسبق اليها ولا حام طائر فكر غيرى عليها فمن ذلك قولى من قصيدة رائية

وحمرة الخد أبدت خيط عارضه * فخلت كأس مدام وهو مشعور
ومذ بدت نسمات الثغر باردة * بدا باغضاء ذاك الجفن تكسير

وقلت منها فى وصف القلم

له يراع سعيد فى تقلبه * ان خط خطا أطاعته المقادير

ومنها

واشقر يده البيضاء غرته * له الى الرزق فوق الطرس تيسير
بل أسمر عينه السوداء يحفظها * وهدب اجفانها تلك المشاعير

ومثله قولى من القصيدة

كذا محابرة سود العيون فان * دنت أياديه فهى الاعين الحور

ومنه قولى من قصيدة ميمية

حين قابلت خده بدموعى * أثرت خات ثوب خز منمنم

ومنه قولى فى وصف حماة من قصيدة طائية

ينظم بالشطين درغمارها * عقود الها العاصى رأيناه كالسمط
وقد مد ذاك النهر ساقا مدملجا * وراح بنقش النبت يمشى على بسط

ولبس الشوق الى مولاى بشوق انما هو وقع السهام ولا الصبر عن لقياه بصبر انما هو كأس الحمام وما للسم سلطان هذا الهم ولا للجمر طغيان هذا الامر ولو شاء الله لاجتمع الشمل ولاتصل الحبل ولكن الله يفعل ما يريد ورد كتابه مع فلان اطفا جمه ظريفا طيه مليحا شكله بارا عنوانه سارا صدره حسنا خطه سديدا معناه ولفظه وفهمت مودعه وحمدت الله تعالى على ما خصنى من سلامته وسألته المزيد له من فضله فاما ما شكاه من تأخر كتبى عنه فما علمت ان سيدنا الشيخ تذكر عنده فصولى ولا علمت أن مولاى يعتقد بكتبى ولا أنه يعاتب فى قصورها عنه وظننت الفصل بلاغا وله العتبى من بعد وأما

لو بنا خلاخيل النواعير فالتوت * وأبدت لنا دورا على ساقة الشط

وقلت من قصيدة أخرى

وعاص رحيب الصدر قد خوطانها * ودولابه كالقلب يخفق في الصدر

وقلت من قصيدة أخرى

وهزت فيه كل عود أراكة * أضحى بها تيك الثغور مطيبا

والمعنى المخترع قولى بعده

ودخلت كل خباء زهر قد غدا * بدموع اجفان الغمام مطنبا

ومن اختراعاتى التى لم اسبق اليها وسارت الركبان بها قولى فى المدائح المؤيدية

فرج على المجنون نظم عسكرا * وأطاعه فى النظم بحر وافر

فانبت منه زحافه فى وقعة * يا من بأحوال الوقائع شاعر

وجميع هاتيك البغاة بأسرهم * دارت عليهم من سطاك دوائر

والمعنى المخترع فيها قولى

وعلى ظهور الخيل ماتوا خيفة * فكأن هاتيك السروج مقابر

ومنها فى سلامة الاختراع قولى

واذا سددت يراع رمحك ماله * الاقلوب الدارعين محابر

ونعال خيلك كالعيون ومالها * الاجماجم من قنات محاجر

ومنه قولى متغزلا فى مليح مشطوب

بالصدغ أبدى شطبة * من شكله محوط

سألته عن أمرها * فقال زاد الغلط

قلت بدا لى عارض * مشكل منقط

جئت شطبت فوقه * وقلت هذا غلط

ولى من قصيدة بديعة مشتملة على وصف متنزهات حماة المحروسة

والنبت يضبطها بشكل معرب * لما يزيد الطير فى التلحين

والمعنى المخترع قولى بعده

والغصن يحكى النون فى ميلانه * وخياله فى الماء كالتنوين

وقلت فى مطلع قصيدة

الف القد منه هالى بعزه * وعليها من عطفة الصدغ همزه

وقلت من قصيدة ثانية

وعارضه فى الوضع لام وصدغه * اذا مد هامن فوقه تتكوف

ماوصف من حال الشوق وبرحه فانا فى غنى عن شرحه لما انطوى عليه ولا عجب ان يتطرقه وقد توسطنى وان يكده وقد هدنى والقلبان بحمد الله قلب والروحان على ذلك الف ووصل ما تمنى به من الاتن والرسم فى مثلها ان ترد الى الوطن وتنقل الى المأمن وليت الذى هنا هنالك على انه حسن موقعه والطف مورده فليكن مايصلنى به من تلك الديار طيب الجبن ومبرز الزبيب وفاتق الزعفران وما يقرب من هذا الباب فاما انواع الثياب فالكلفة فى هذا انه ظاهرة والله لا يحب المتكلفين ولو أقام ابو فلان الى شهر لافردت لكل واحد من ولدى ابى طالب وابى فلان خلعة جمال وساعة مال وتذكرة حال ولكنه اقام عشر

واعمرى ان الشرح قد طال ولولا خشية الاطالة لذكرت من هذا الباب قدرا وافيا بالنسبة الى ما أدى اليه اجتهادى وقلت انى مخترعه وبشهادة الله انى ماتطفلت بالنسبة الى على على معنى لغيرى اللهم الا أن تكون احكام المواردة قد حكمت على فالحكم لله العلى الكبير وبيت الشيخ صفى الدين فى بديعيته على سلامة الاختراع قوله

كادت حوافرها تدمى جحافلها * حتى تشابهت الاحجال بالرثم

جحفلة الفرس شفته العليا والرثم بياض شفتيه وكانه يقول ان هذه الفرس لسرعة جريانها اتصلت أحجالها الى شفتيها فتشابها فى البياض والعميان ماتظموا هذا النوع فى بديعيتهم وبيت الشيخ عزالدين الموصلى رحمه الله فى بديعيته قوله

سلامة لاختراعى فى علاهم سمى * اسمى وفعلى كحرف عند رسمهم

وقال فى الشرح اسمى علا وفعلى علا والحرف المشبه بهما على هذا المعنى على الذى هو معدود من حروف الجر قلت لو ألحق الشيخ عزالدين ماقاله هنا بالالغاز لكان أقرب وأليق فان سلامة الاختراع وغرابة المعنى عنه بمعزل وبيت بديعيتى تقدمه قولى فى الالغاز بالرمح بقولى

وكم أالغزوه حلوا لسن * مذطال تعقيده ازرى بفهمهم

ولم أخرج عن الرمح بل قلت مخترعا فيه اختراعا بعد من المرقص والمطرب بعد بيت الالغاز وهو

وقده باختراع سالم ألف * يبدو بتر ويسه من رأس كل كمى

تقدم قولى أنه كان عن لى ان أورد هنا من سلامة الاختراع للمتقدمين والمتأخرين جملة مستكثرة ولم يصدنى عن ذلك الاالخيفة ممن تحجر على فى المطالعة فيورد ماأثبت من المعنى المخترع لزيد انه مسبوق اليه من عمرو فاردت ان اخلص من هذا الاعتراض واورد هنا نبذة من مخترعات ابن حجاج فانه منوال مانسج عليه غيره * وقد تقدم قول الشيخ جمال الدين بن نباتة فى ديباجة كتابه المسمى بتلطيف المزاج من شعر ابن الحجاج * وأما أشعار ابى عبدالله الحسين بن حجاج فانه امة غريبة تبعث وحدها وذرية تبلغ باتقان اللهو رشدها فن ذلك قوله

يادبة الصفع صبى * على قفا المتنبى
وأنت يار يح بطنى * على عذاريه هبى
ويا قفاه تقدم * واقعد قليلا بجنبى
وان صفعتك ألفا * فلا تقوان حسبى
وقد تعشقت معنى * طرطورك المتعبى
بالجبة هى عن جهـ * ـل شيخنا النذل تنبى
قومى ادخلى جوف بطنى * فقد وقعت بقلبى
وانت عندى مكان السواد من عين صلبى

ومنه قوله

كأنما باب سورمبعرها * عنقود كرم هزب العنب
كأنما الايرفوق عصعصها * راكب حمارة على قتب

ومنه قوله

جاريه قد سطت فيشتى * بوهج حمى سرمها الصالب

لبال ولقيت فيها ثلاث مرات اقياخيال فاصحبته مقتضى مقامه وموجب ايامه وهو الطل يتبعه الوابل والموعد ان شاء الله القابل أردت أن اختم هذا الفصل بحلى الكتاب ثم اتت جاشية الصدر وغات حامية الصبر فسأنفث قليلا ان لم ابث طويلا ماظننت النأى يثنى والدا عن ولده حتى يقطع رحمه وينسى اسمه الاتفاقا وانه المستعان انا واثق من مولاى بجميل الحصانة وكريم الرعية وانما يشتمل ستره على شقة من قلبى وقطعة من كبدى وجزء من روحى ولعمرى ماالوديعة عنده بضيعة ولا الامانة عنده بضالة وكل سترفعه بدا ستره وكل صهر قداه الصهره وانما هو طيب المولد وكرم المحتد

أخذت فى الليل مجس استها السعامى وقد دنامت الى جانبي

أوجب اخراج دم فاسد * من عين فقال استها الضارب

ابظرها الاسود دنيـــة * تصلح للقاضى أبى السائب

خطبت بالامس عليها استها * فأنعمت للخاطب الراغب

وبات ايرى رافضى الخصى * يعطى قفا مبعرها الناصب

وقال أيضا

قوموا افتضوا باب سرمها وبلجوا * فكل عضو من استها شرج

قوموا فعين استها لرؤيتكم * بالليل فوق الفراش تختلج

ان لم يسعكم م رعصعصها * فثم بالطول تحته ازج

* وفى استها خاتم للولبه * طوق محلى رفصه سج

اذا الخصى صاح استها خربت * تحتى وبالبيض تعمل الحجج

وقال أيضا

بابى من عككت من فؤادى * فانا الدهر كله فى اجتهاد

قدها فى القيام من قوم يأجو * ج ولكن بظرها قوم عاد

وقفت لى فبستها من قعود * بوسة بردت غليل فؤادى

ولها شعرة ولا زبد البحر بياضا وعصعص كالمداد

وحر اشمط العذارين المى * فيه سمت النساك والعباد

بظرها فوقه كدنية الحا * كم يوم الصداره فى السواد

ماتوهمته وحقك الا * بعض أصحابنا بنى حماد

يوم حاملتها فلما أحست * فى خراها بمثل شرط الفصاد

جذبت حلقى وقالت اباشيخ ترى أنت كافر بالمعاد

أنت ممن يبغى خلافا على الله ويسعى فى ارضه بالفساد

قلت كنى انا وجدنا على هذا ابور الآباء والاجداد

عرفيني وخبريني متى كا * نت سيوف الخصى بلا أغماد

ومن غاياته فى هذا الباب قوله

مولاى يدعوك شيخ لا وقار له * حتى القيامة سكران ومخمور

مافيه للشيب اكرام يزجره * عن الفجور ولا للسن توقير

يقول بالامرد المه قول عارضه * مقسما فيه تأنيث وتذكير

وبالفتاة التى تنور مدخلها * بعد العشا الشوى الخصيان مسجور

وبالعجوز التى فى أصل عنبلها * غداة بعث الخاصى ينفخ الصور

زبال زرع استها يسقى بدالية * وبظرها واقف فى الزرع ناطور

لها حر اشمط قد شاب مفرقه * عليه بظر طويل فيه تدوير

كانه شاعر قد جاء من حلب * شيخ على رأسه المحلوق طرطور

وصدق الفتوه ونصح المروه ونافع الحمية وناصح الامانة فالله يجزيه خيرا ولا يريه فيما يليه سوأ برحمته ماسرنى فصل من كتابه كالفصل الذى ابلغنى فيه سلام فلان وبشرنى بسلامته والله يسبغها عليه وأعددت بها أهداء من سلامة الاخوة ولئن كان لابى فلان حرس الله روحه الشعب الاوسع من قلبى والنصيب الاوفر من نفسى فان لكل من سادتى لمكانا من كبدى مكينا وحصنا من قلبى حصينا ولسيدى ابى فلان من الصبة ما يجعل ليلهم ارا وليت شعرى بمولاى ابى فلان كيف اقتصر على الفصل على انه كان بلاغا من الفضل ولو افرد كتابا لافردت جوابا وعليه من السلام ما يرد شبابه طريا ووجدت فى فصله اثرا عن مرضعتى فارتحت لحديثها وما علمت حياتها حتى الآن والآن فما علمت الاظنا ولا احققها الارجاء فان كانت

هذا الاستطراد في البيت الاخير استطرد فيه الى أبي الطيب وهو في غاية اللطف والظرف وقد تقدمت اشارته الى طرطور في الابيات المتقدمة البائية ومن اختراعاته في هذا الباب قوله

أحب من الكس تقبيله * اذا كان في شفتيه لعس
ويعجبني منه اني اذا * نقرت أتقه بقمدي عطس
وواسعة السرم تشكو استها * اذا مسها الني ضيق النفس
فتاة لدرب استها حارس * يعلق من خصيتيه جرس

ويعجبني قوله من قصيدة

في أستها سدرة اذا نقضوها * جعوا الى من تحتها كف نبق
وهو نبق بلا نوى اسود اللو * ن اذا الكته تحمض شدقي

(ذكر التفسير)

(ومعذبه بالوجوه البيض يوم وغى * كم فسروا من بدور في دجى الظلم)

هذا النوع اعني التفسير من مستخرجات قدامة وسماه قوم التبيين وهو ان يأتي المتكلم أو الشاعر في بيت بمعنى لا يستقل الفهم بمعرفة فحواه دون تفسيره اما في البيت الآخر أو في بقية البيت ان كان الكلام يحتاج الى التفسير في أوله والتفسير يأتي بعد الشرط وما هو في معناه و بعد الجار والمجرور وبعد المبتدا الذي يكون تفسيره خبره بشرط أن يكون المفسر مجملا والمفسر مفصلا * فمن بديع التفسير الذي وقع في بيت واحد قول بعض المغاربة

صالوا وجادوا وضاؤا واحتبوا فهم * اسود مزن واقمار واجبال

فانه احسن الترتيب في عجز البيت كله وجعل المفسر في الصدر بحيث أتى كل قسم مستقلا بنفسه ومثال ماوقع من التفسير بعد الحروف المتضمنة معنى الشرط قول الفرزدق

لقد جئت قوما لو لجأت اليهم * طريد دم او حاملا ثقل مغرم
لالفيت منهم معطيا ومطاعنا * وراءك شزرا بالوشيج المقوم

والفرزدق ماراعى حسن الترتيب في بيته فان عندهم عدم الترتيب مع حسن الجوار وقرب الملائم لا ينقص حسن الكلام البليغ الاترى الى قوله تعالى يوم تبيض وجوه وتسود وجوه فاما الذين اسودت وجوههم ثم قال سبحانه وتعالى بعد ذلك وأما الذين ابيضت وجوههم ومن الامثلة الواقعة بعد الجار والمجرور في باب التفسير قول شرف الدين القيرواني

لمختلفي الحاجات جمع ببابه * فهذا له فن وهذا له فن
فللخامل العليا وللمعدم الغنى * وللمذنب العقبى وللخائف الامن

وما جاء من التفسير بعد المبتدا قول ابن الرومي

آراؤكم ووجوهكم وسيوفكم * في الحادثات اذا دجون نجوم
منها معالم للهدى ومصابح * تجلو الدجى والاخريات رجوم

قالوا ان هذا ابلغ ماوقع في التفسير من الامثلة الشعرية فانه راعى فيه الترتيب احسن مراعاة *ومن بديع هذا النوع قول محمد بن وهيب في المعتصم

في كنف من العلياء فأنشد الله مولاي لما أحسن اليها ووفر عليها وقضى من حقها مدة حياتها وسأبعث ان شاء الله لها اسدادا من نفقة ومدادا من معونة والى حين وصولها فمولاي خليفتي على تعهدها وحسن تفقدها ونعم الخليفة والوكيل ولولا ما منيت به من فساد هذه المداد ونصول هذه الدواة لاحببت ان اطيل ولكن شجو به قد أضجرني وورد هذا العام همذان في جملة الحاج ابو فلان وابو فلان فاما ابن أحمد قاضي هراة وامام خراسان فليحسن حقوقه واختلافه اليه وتعرضه لحاجاته وأما ابو الفضل في افاضل هراة ومعدوديها في الجلالة فليقض حقه بالزيارة ذاهبا وعائدا ورأى الشيخ في مواصلتي بكتبه كل وقت وتصريفي على حاجاته موفق ان شاء الله

(التفسير)

ثلاثة تشرق الدنيا ببهجتها * شمس الضحى وابو اسحق والقمر

ومثله في الحسن قول محمد بن شمس الخلافة

شيا آن حدث بالقساوة عنهما * قلب الذى يهواه قلبي والحجر

وثلاثة بالجود حدث عنهم * البحر والملك المعظم والمطر

ومن معجز التفسير ما جاء في الكتاب العزيز وهو قوله تعالى والله خلق كل دابة من ماء فمنهم من يمشي على بطنه ومنهم من يمشي على رجلين ومنهم من يمشي على اربع * فذكر سبحانه الجنس الاعلى اولا حيث قال كل دابة فاستغرق اجناس كل ما دب ودرج ثم فسر سبحانه هذا الجنس بعد ذلك بالاجناس المتوسطة والانواع حيث قال فمنهم ومنهم ومنهم مراعيا الترتيب وذلك انه قدم ما يمشي على غير آلة لكون الآية سيقت لبيان القدرة وتعجيب السامع وما يمشي بغير آلة اعجب مما يمشي بآلة فلذلك كان تقديمه ملائما لما قصود الآية الشريفة ثم ثنى بالافضل فاتى بما يمشي على رجلين وهو الآدمي والطير لتمام خلق الانسان وكمال صورته ولما في الطير من عجيب الطيران الدال على الخفة مع ما فيه من الكثافة الارضية وثلث بما يمشي على اربع لانه احسن الحيوان البهيمي واقواه فتضمنت هذه الكلمات التي هي بعض آية عدة من المحاسن وهي صحة التفسير وصحة التقسيم مع مراعاة الترتيب والاشارة وائتلاف اللفظ مع المعنى وحسن النسق والفرق بين التفسير والايضاح ان التفسير تفصيل الاجمال والايضاح رفع الاشكال لان المفسر من الكلام لا يكون فيه اشكال * وبيت صفي الدين على التفسير قوله

هم النجوم بهم يهدى الانام وبه‍ سحاب الظلام وبهم صيب الديم

والعميان ما نظموا هذا النوع في بديعيتهم * وبيت الشيخ عز الدين الموصلي قوله

ذكر الامام وابنيه يفسره * علي والحسنان أكرم بذكرهم

الشيخ عز الدين ما أفادنا في التفسير هنا شيأ * وبيت بديعيتي أقول فيه عن الصحابة رضى الله عنهم أجمعين

وصحبه بالوجوه البيض يوم وغى * كم فسروا من بدور في دجى الظلم

هذا هو التفسير الذى لا يستقل الفهم بمعرفة فحواه في الشطر الاول من البيت الا بتفسيره من الشطر الثاني على الترتيب * وأما ذكر الامام علي كرم الله وجهه وذكر ولديه عليهما السلام في بيت الشيخ عز الدين رحمه الله فانه غير محتاج الى تفسير والله اعلم

(ذكر حسن الاتباع)

(ذكراه يطربهم والسيف ينهل من * اجسامهم لم يشن حسن اتباعهم)

هذا النوع اعني حسن الاتباع هو ان يأتي المتكلم الى معنى اخترعه الغير فيحسن اتباعه فيه بحيث يستحق بوجه من الوجوه الزائدة التي توجب للمتأخر استحقاق معنى المتقدم اما باختصار لفظه اوقصر وزن اوعذوبة لفظ اوتمكين قافية اوتتميم نقص اوتحلية من البديع توجب الاستحقاق كاتباع أبي نواس جريرا في قوله

اذا غضبت عليك بنو تميم * حسبت الناس كلهم غضابا

(وله اليه ايضا)

مازلت اعرف الشيخ ظريف الجملة كريم الخلقة واسع العطن عذب المورد وما علمته يبلغ من الفضل فوق غايته ويسع من الجدا كثر من قلته لقد قفلت قافلة الحجاج واثنوا عليه ثناء لو رقى به الشباب لعاد سريعا اوصب على الفراق لانقلب شملا جميعا ومازلت معتقدا بفضله واثقا بكريم فعله وانا اليوم به اكثر اعتضادا واقوى ظهرا وفؤادا وكتبت هذه الرقعة على حد شخوصي الى حضرة السلطان ولم اتسع فيه وسترد عليه ان شاء الله بقية ما في الصدر ووصل ما انفذه وحسن موقعه فانما قرة العين وقوة الظهر ومسكة النفس ومنة الامل نجابة ولدى ابي طالب حرسه الله تعالى

(حسن الاتباع)

فنقل ابونواس المعنى من الفخر الى المدح بقوله

وليس لله بمستنكر * ان يجمع العالم فى واحد

فزاد على جرير زيادات منها قصر الوزن وحسن السبك واخراج كلامه من الظن الى اليقين وأيضا فان ذكر العالم أعم من ذكر الناس فى بيت جرير * وعدوا من الشواهد الحسنة فى حسن الاتباع قول منصور النميرى فى زينب اخت الحجاج واترابها وهو

وهن اللواتى ان برزن قتلننى * وان غبن قطعن الحشا حسرات

فاحسن اتباعه ابن الرومى بقوله

ويلاه ان نظرت وان هى اعرضت * وقع السهام ونزعهن اليم

قلت وقع السهام ونزعهن بعد ويلاه فى بيت ابن الرومى تركت بيت النميرى اطلالا بالية وقال ابو عبادة البحترى

اخجلتنى بندى يديك فسوّدت * ما بيننا تلك اليد البيضاء

صلة غدت فى الناس وهى قطيعة * عجبا وبر راح وهو جفاء

واحسن ابو العلاء وقال

لو اختصرتم من الاحسان زرتكم * والعذب يهجر للافراط فى الخصر

لانه استوعب معنى البيتين فى صدر بيته وأخرج العجز مخرج المثل السائر مع الايجاز والايضاح وحسن البيان وقال عنترة

انى امرؤ من خير عبس منصبا * شطرى واحمى سائرى بالمنصل

فاحسن اتباعه منصور الفقيه فى شريف نسبه وكان شرفه من جهة أبيه لا من جهة امه بقوله

ان فاتنى بأبيه فلم يفتنى بامه * ورام شتمى ظلما سكت عن نصف شتمه

فان هذا الفقيه احسن غاية الاحسان من وجوه أحدها الايجاز فانه حمل معنى عنترة الذى جاء به فى بيت تام من الكامل فى بيت من المجتث واتى بالمطابقة المعنوية فاما قوله سكت عن نصف شتمه ففيه من التأدب الدينى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم والاحتراس ما يزيد على الوصف وقال ابن الرومى

تخذتكم درعا حصينا لتدفعوا * نبال العدا عنى فكنتم نصالها

وكنت أرجى منكم خير ناصر * على حين خذلان اليمين شمالها

فان كنتم لا تحفظون مودتى * ذماما فكونوا لا عليها ولا لها

قفوا وقفة المعذور عنى بمعزل * وخلوا نبالى للعدا ونبالها

فاحسن ابن سنان الخفاجى اتباعه بقوله

اعددتكم لدفاع كل ملمة * عونا فكنتم عون كل ملمة

وتخذتكم لى جنة فكأنما * نظر العدو مقاتلى من جنتى

فلانفضن يدى يأسا منكم * نفض الأنامل من تراب الميت

ويعجبنى هنا قول القائل

وقد نوبت له غيرما كنت عليه وسقمت له الايام من كل مراد فلم واظب الشيخ على تهذيبه وتأديبه والسلام عليه ولم يرد من الشيخ سيدنا كتاب فى هذه السنة ووالله ليفين بوعده وليلحقن بولده بل بعبده أولا قطعن مكاتبته ما عشت ومواصلته ما بقيت ولى فيما افعل اسوة بيوسف عليه السلام ثم ان قصدنى واصلا وحضرنى زائرا لاخدمنه خدمة يتحدث بها الركبان برا وبحرا وتسير بها الاخبار شرقا وغربا

(وله اليه ايضا)

وما شبه نفسى ادام الله عز الشيخ فى هذه الاسفار الا بالخيال الطارق او بلمع البارق

واخوان حسبتهم دروعا * فكانوها ولكن للاعادى
وخلتهم سهاما صائبات * فكانوها ولكن فى فؤادى
وقالوا قد صفت منا قلوب * لقد صدقوا ولكن من ودادى

وقال ابن الرومى

سد السداد فى عماريكم * لكن فم الحال عنى غير مسدود

واحسن زكى الدين بن ابى الاصبع اتباعه فقال

هبنى سكت فالسان ضرورتى * اهجى لكل مقصر عن منطق

وقال سليك بن سلكة

وتبسم عن المى اللثاة مفلج * خليق الثنايا بالعذوبة والبرد
وماذقته الا بعينى تفرسا * كما شيم برق فى السحابة من بعد

وقال نصيب

كان على أنيابها الخمر شجها * بماء الندى فى آخر الليل عابق
وماذقته الا بعينى تفرسا * كما شيم فى اعلى السحابة بارق

واحسن بشار بن برد اتباعهما بايجازه وقال

يا أطيب الناس ريقا غير مختبر * الاشهادة اطراف المساويك

وقال السموأل

يقرب حب الموت آجالنا لنا * وتكرهه آجالهم فتطول

فاحسن بشار اتباعه بزيادة محاسن فقال

* أفناهم الصبر اذ أبقاهم الجزع *

وقال الاسود بن يعفر

يسعى بها ذو تومتين كأنما * قنأت أنامله من الفرصاد

واحسن أبو نواس اتباعه بزيادة من المحاسن وقال

تبكى فتذرى الدمع من نرجس * وتلطم الورد بعناب

استوفى ابو نواس المعنى فى نصف بيت وأخذه الواوا الدمشقى من ابى نواس وزاد عليه زيادة عجيبة بقوله

وامطرت لؤلؤا من نرجس فسقت * وردا وعضت على العناب بالبرد

وقال مسلم بن الوليد

تجرى محبتها فى قلب عاشقها * مجرى المعافاة فى اعضاء منتكس

فاحسن أبو نواس اتباعه فقال

فتمشت فى مفاصلهم * كتمشى البرء فى السقم

وجميع ذلك مأخوذ من قول بعض الملوك باليمن

منع البقاء تقلب الشمس * وطلوعها من حيث لا تمسى
تجرى على كبد السماء كما * يجرى حمام الموت فى النفس

أو الغلام الآبق أو الجواد السابق أو جهرب السارق أو السهم الخارق وانما هو الشد والترحال والخيل والبغال والجمر والجمال وبين المقبل والمبيت بون بعيد وبين المصبح والممسى نأى طويل وبين المضرب والمقصد طى المراحل بالبيد والشيخ يستقصر كتبى ويستبطئ رسلى ومابى اغفال ولكن امكان وقد استقرت بحمد الله القدم وكل وقت رسول قاصد وكتاب نافذ ان شاء الله والشيخ أبو فلان لا يزال يسلفنى يدا غراء يرتهن بها شكرى ثم لا يلبث قدر ما اقتضى من منة حتى يتبعها اختها لاجرم انى استغفر الله فى الكسل وله ابده الله من قلبى الحبة السوداء ومن صدرى شعب فارغ ان شاء الله تعالى

(وله اليه أيضا)

نقل أبو هلال العسكري في الصناعتين عن الصولي انه قال حدثني أبو بكر بن هارون بن عبد الله المهلبي قال كنا في حلقة دعبل الشاعر فجرى ذكر أبي تمام فقال دعبل كان يتبع معاني فيأخذها فقال له رجل في مجلسه مثل ماذا أعزك الله فقال قلت

وان امرأ أسدى الي بشافع * اليه ويرجو الشكر مني لاحمق

فاخذه ابو تمام وقال

واذا امرؤ أسدى اليك صنيعة * من جاهه فكأنها من ماله

فقال الرجل احسن والله فقال دعبل كذبت والله قبحك الله فقال الرجل ان كان سبقك بهذا المعنى وتبعته فما احسنت وان كان اخذه منك فقد أجاد فصار اولى به منك على الحالين فغضب دعبل وقام وقال بشار

من راقب الناس لم يظفر بحاجته * وفاز بالطيبات الفاتك اللهج

فاحسن اتباعه سلم الخاسر وقال

من راقب الناس مات غما * وفاز باللذة الجسور

فلما سمع بشار هذا البيت قال قد ذهب ابن الفاعلة ببيتي وممن زاد على المتقدمين بحسن سبكه وعذوبة لفظه ابن المعتز رحمه الله بقوله

ولاح ضوء هلال كاد يفضحه * مثل القلامة قد قدت من الظفر

وهو مأخوذ من قول الاول

كأن ابن ليلته جانح * الى مسقط الافق من خنصر

وقال ابو العتاهية

كم نعمة لا تستقل بشكرها * لله في طي المكاره كامنه

فاحسن أبو تمام اتباعه فقال

قد ينعم الله بالبلوى وان عظمت * ويبتلي الله أدنى القوم بالنعم

فزاد عليه الا انه أتى بعكس المعنى ومايعرف للمتقدمين معنى شريف الا نازعهم اياه المتأخرون وطلبوا الشركة معهم فيه الا قول عنترة

* وخلا الذباب بها فليس ببارح *

فانه ما نوزع في هذا المعنى على جودته وقد رامه بعض المجيدين فافتضح وتقرر ذلك في بيت سلامة الاختراع * وبيت الشيخ صفي الدين الحلي على حسن الاتباع قوله

ينازع السمع فيها الطرف حين جرت * فيرجعان الى الآثار في الاكم

بيت الشيخ صفي الدين مأخوذ من قول القائل

وطرف يفوت الطرف في جريانه * ولكن للاسماع فيه نصيب

والعميان ما نظموا هذا النوع في بديعيتهم وبيت الشيخ عز الدين الموصلي في بديعيته قوله

والجزع حن اليه بعد فرقته * حسن اتباع لتلك الاربع الحرم

ذكر الشيخ عز الدين في شرحه انه اتبع الفرزدق في قوله في مدح الامام زين العابدين علي

ابن

مثل العبد اطال الله بقاء الشيخ الرئيس فلا صدقات القطر ولا صدقات العطر ولا فضلات القطر ولا لفظات الذكر واسمع الناس يقولون ان الشيخ الامام مستبرد لي مستوحش مني وأنا سليم نواحي القول والفعل والنية وانما أنا كالحية اضمن ان لا اسع ولا أضمن ان لا يفزع والسلام

(وله اليه أيضا)

الصدق اطال الله بقاء الشيخ الرئيس حسن جميل والجنة معاده والكذب سيئ قبيح وأسوأ منه معاده ومن فسيح العار ونسيج الادبار وداعي البوار وموحشات الدار وموجبات النار حلف المرء قبل ان يستحلف فاسمع اللهم ان كانت سنة احدى واثنتين اشتملتا بعلي على يوم وليلة واحدة اخليت الشيخ الرئيس فيهما من ورد دعاء نهارا وورود دعاء ليلا فانا من حولك

ابن الحسين بن على عليهما السلام وهو هذا

هذا ابن من تعرف البطحاء وطأته * والركن يعرفه والبيت والحرم

وبيت بديعيتى تقدمه قولى فى حق الصحابة رضى الله عنهم أجمعين

وصحبه بالوجوه البيض يوم وغى * كم فسروا من بدور فى دجى الظلم

ثم انى قلت بعده فى حسن الاتباع عن الصحابة

ذكراه يطربهم والسيف ينهل من * اجسامهم لم يشن حسن اتباعهم

هذا المعنى سبقنى اليه الشيخ شرف الدين بن الفارض وكنت فى صغرى أترنم به وهو قوله

فلى ذكرها يحلو على كل صيغة * ولو مزجوه عذلى بخصام

الشيخ شرف الدين قرران ذكر محبوبه يحلو ولو كان فى محل خصام من العذال وقولى أبلغ فى حق الصحابة رضى الله عنهم لان ذكر النبى صلى الله عليه وسلم يطربهم والسيوف تنهل من اجسامهم وأين الطرب فى هذا المقام من يحلو فى ذلك المقام وأين المخاصمة بالالسن من التكليم بالسنة السيوف والزيادة التى ماعلى حسنها من مزيد قولى لم يشن حسن اتباعهم فان شدة الحرب وتكليم النفوس ماشان حسن السيوف وذهاب الانفس ماشان حسن اتباعهم للنبى صلى الله عليه وسلم يوما من الايام والتورية فى حسن الاتباع الذى هو المراد من تسمية النوع محاسنها لاتخفى على المنصفين من أهل الادب والله اعلم

(ذكر المواردة)

كأنما الهام احداق مسهدة * ونومها واردته فى سيوفهم

هذا النوع اعنى المواردة هو أن يتوارد الشاعران على بيت أو بعض بيت باللفظ ومعناه فان كان أحدهما اقدم من الآخر واعلى رتبة فى النظم حكم له بالسبق والا فكل منهما نظمه كما جرى لامرئ القيس وطرفة بن العبد فى معلقتيهما وهو قول امرئ القيس

وقوفا بها صحبى على مطيهم * يقولون لاتهلك أسى وتجمل

قال طرفة أسى وتجلد فلما تنافيا فى ذلك واحضر طرفة بن العبد خطوط أهل بلده فى اى يوم نظم هذا البيت كان اليوم الذى نظماه به واحدا وقد يقع مثل ذلك أو دونه فى بيت يخالف وزن البيت الاصلى وبيت الشيخ صفى الدين على المواردة قوله

تهوى الرقاب مواضيهم فتحسبها * حديدها كان اغلالا من القدم

وبيت الشيخ صفى الدين ذكر فى شرحه أنه نظم بيتا من جملة ابيات وهو

تهوى مواضيك الرقاب كأنما * من قبل كان حديدها اغلالا

ثم ذكر انه سمع بعد ذلك بيتا لايعلم قائله وهو

تهوى الرقاب مواضيه فتحسبها * تودلو أصبحت اغلالا من أسرا

ماسقط البيت الذى له فلما تعددت عليه الانواع فى نظم البديعية ووصل الى المواردة الجأته الضرورة الى نظمها ليكون البيت المنظوم منتظما فى سلك شواهد بديعيته بحيث لاتخلو من هذا النوع وبيت الشيخ عز الدين فى بديعيته قوله

وقوتك برئ وعلى مقتك واعتنك جرى وما اعتذر بهذا انى اصون الاطراف محفوظ الاسباب وان امر أصلاحى فى ناصيته ومعاشى فى ناحيته وبقائى فى عافيته لحقيق بالاكثر من صالح الدعاء ولو نالت اليد الثريا والذى أحب ان يعلمنى شكورا ويتصورنى مخاصا ومابى تسوية الخراج وتهيئة الضياع انما انا المرء لايشفينى القيل ولايرويق النيل ولكن عبد تلك الاخلاق وفداء ذلك الحلم ولون الذى خوانيه ابنيه مانقصته محبة

واقسم لو روبت سيفك من دمى لاغمر بالود الصحيح فجرب

واستغفر الله على افراط الشعر على انى له نعم العبد

(وله اليه ايضا)

سئل بعض الفقهاء اطال الله بقاء الشيخ الرئيس عن

(المواردة)

ليت المدائح تستوفى علاه ولو * تواردت فى مديح غير منصرم

الشطر الاول من هذا البيت ذكر الشيخ عز الدين فى شرحه أنه توارد هو وأبو الطيب المتنبى عليه والعميان لم ينظموا هذا النوع فى بديعيتهم ومعنى المواردة فى بيت بديعيتى انى كنت مدحت عمر بغاء الافضلى الشهير بنطاش ورياحين الشبيبة غضة ونشوة الابتداء تحث على دور كاسات الادب وكان المشار اليه اذ ذاك كافل المملكة الحموية بقصيدة تائية سارت بديع محاسنها الركبان واحتوت على معان لم أسبق اليها وتمثلت فى غصون نظمها بين يدى شيخى وهو مولانا قاضى القضاة علاء الدين أبو الحسن على القضامى الحنفى رحمه الله وقد علق بخاطرى منها أبيات فانشدته فى ذلك الوقت ما علق بخاطرى وهو قولى منها

له مطالعة فى الحرب حين يرى * دم العدا فوق طرس الارض قد سطرا

ان راسل القوم انشا فى رسائله * صحعات ضرب بها الهامات قد نثرا

كتابه السيف والخطى له قلم * والرسل أسهم حتف توضح الخبرا

ان كان قد نظم الاعدا مكيدتهم * فقل لهم انه من قبلهم شعرا

لانه ببديع الحسن الف لنا * شملا ولكن لاعناق العدا نثرا

وخط من فوق ألواح الصدور لهم * بابا من الخوف فى احشائهم وقرا

وصار يكتب بالهندى ويعجم بالـ * ـخطى فعل شجاع قد قرا ودرى

تراه بالرمح بدرا حاملا غصنا * وبالتريسة غصنا حاملا قمرا

ان جس عود الضرب مال سامعه * والطبل يرقصها ان حركت الوترا

وصرت كلما انشدته بيتا من هذه الابيات يترنم كثيرا ويرسم لى باعادته حتى انتهيت الى قولى

كأنما الهام أحداق اضربها * سهد وأسيافه فى الحرب طيب كرى

فلما سمع هذا البيت لم يترنم كما ترنم الابيات التى قبله وقال أبو الطيب هو ابو عذرة هذا المعنى ولكن احسنت الاتباع بقولك اضربها سهد وبقولك فى الشطر الثانى طيب كرى فان فيه ازيادتين حسنتين فالتزمت له بيمين انى ما ملكت ديوان المتنبى يوما من الايام ولا طالعته عند الغير وما كنت فى ذلك الوقت اطالع غير ديوان الشيخ جمال الدين بن نباتة وديوان الشيخ صفى الدين الحلى فتعجب مولانا قاضى القضاة من ذلك وبالغ فى الجبر والثناء ولكنى اسقطت البيت من القصيد خوفا من قدح حاسد فلما وصلت بديعيتى الى نوع المواردة الجأت الضرورة الى نظمه فى سلك أنواعها * وبيت المتنبى الذى حصلت المواردة به قوله

كأن الهام فى الهيجا عيون * وقد طبعت سيوفك من رقاد

وبيت بديعيتى

كأنما الهام احداق مسهدة * ونومها واردته فى سيوفهم

والترشيح ايضا هنا ظاهر فى قولى مسهدة والترشيح فى تورية المواردة بتسمية النوع وزيادة المعنى غير خاف على أهل الادب

(ذكر الايضاح)

لحم الذباب الميت فقال من اشتهاه حاطريا فيأكله هنيا مريا انا لا اعلم للسلطان فى مالى حاجة ولا للشيخ الرئيس فى خرفى نجعة وأبو فلان به ما بى فلم لا يرحم شبابى والغلط الواقع فى ابن أبى اليقظان واحربا واليك اشكو الحرب اظن والله اجلى قد اقترب وبالله للموت فى وقته خير من الحياة فى غير وقتها اللهم توفنى مسلما وألحقنى بالصالحين رب العالمين

(وله اليه يعزيه عن بعض مستوراته)

كتابى ولا اخلال بفرض الخدمة ولا رغبة عن مشاركة ولى النعمة ان مأتم قوم فى الصدور اشد من مأتم آخرين فى الدور ان المصيبة لتشق من قوم ظاهر الجيوب ومن قوم باطن القلوب وللغليل

(الايضاح)

(هذا وتزداد ايضاحا مخافتهم * في كل معترك من بطش ربهم)

هذا النوع أعنى الايضاح هو أن يذكر المتكلم كلاما فى ظاهره لبس فلا يفهم من أول وهلة حتى يوضحه فى بقية كلامه كقول الشاعر

يذكرنيك الخير والشر كله * وقيل الخنى والحلم والعلم والجهل
فالقاك عن مكروهها متنزها * والقاك فى محبوبها ولك الفضل

معنى البيت الاول ملتبس وما ذاك الا انه يقتضى المدح والذم ولكنه أوضحه بقوله

فالقاك عن مكروهها متنزها * والقاك فى محبوبها ولك الفضل

وقد يكون الايضاح فى الوصف الذى لا يتعلق به مدح ولا هجاء وذلك أن يخبر المتكلم بخبر واحد عن شئ واحد يحصل فيه الاشكال فيوضح ذلك الاشكال بما يفهم منه كشف اللبس عن الحد الاول كقول ابن حيوس

ومقرطق يغنى النديم بوجهه * عن كأسه الملاى وعن ابريقه
فعل المدام ولونها ومذاقها * فى مقلتيه ووجنتيه وريقه

فانه لو اقتصر على البيت الاول أشكل الامر من جهة الوجه فانه وان كان حسنا لا يغنى النديم عن الخمر فأزال اللبس فى البيت الثانى وأوضحه وقد تقدم وتقرر الفرق بين الايضاح والتفسير وبيت الشيخ صفى الدين قوله

قادوا الشواذب كالاجبال حاملة * أمثالها ثبتة فى كل مصطدم

العميان ما نظموا هذا النوع فى بديعيتهم وبيت الشيخ عز الدين الموصلى فى بديعيته قوله

للخير والشر ايضاحا به فبذا * أمر وعن ذا النهى حب صحبهم

والذى أقوله أن الشيخ عز الدين غفر الله له لم يتضح فى بيته غير الاشكال وبيت بديعيتى تقدم قولى قبله فى وصف الصحابة رضى الله عنهم أجمعين بحسن الاتباع والصبر والاقدام الى أن قلت فى المواردة

كأنما الهام أحداق مسهدة * ونومها واردته فى سيوفهم

ثم انى قلت بعده فى الايضاح

هذا وتزداد ايضاحا مخافتهم * فى كل معترك من بطش ربهم

الاطناب والمبالغة فى وصف الصحابة رضى الله عنهم قد تقدم بالشجاعة التى هى فوق الوصف فلما قلت فى هذا البيت ان مخافتهم تزداد ايضاحا فى كل معترك ظهر اللبس فأوضحته بقولى من بطش ربهم والتورية بتسمية النوع الذى هو المطلوب هنا محاسنها لم تفتقر الى الايضاح والله الموفق

(ذكر التفريع)

(ما العود ان فاح نشرا أوشدا طربا * يوما باطرب من تفريع وصفهم)

هذا النوع أعنى التفريع وهو ضد التأصيل هو أن يصدر الشاعر أو المتكلم كلامه باسم منفى بما خاصة ثم يصف ذلك الاسم المنفى بأحسن أوصافه المناسبة للمقام اما فى الحسن واما فى القبح

ابراهيم بالذبيح اسمعيل وجد بفعل الافاعيل وان لم يكن للتراب على الرأس نقع ولليدين على الارض وقع ولكاعلنا ان القعود على هذا الموقف أبلغ فى الخدمة من القيام والسكوت عن هذا المصاب أفصح من الكلام حتى لقد سخف قوم وسفهت أحلام قال الفرزدق
وجفن سلاح قد رزئت فلم أنح
عليه ولم أبعث عليه البواكيا
وفى جوفه من دارم ذو حفيظة
لو ان المنايا أنسأته لياليا
فأثار هذا الشجن العجيب وأطار هذا اللفظ الغريب وطرب هذا التطريب وليم مع ذلك وعيب على أنه قال لم أنح عليه ولم أبعث البواكى وعزى المتنبى بالامس سيف الدولة عن بعض مستوراته فعدت فى هناته ورثى ابن الرومى أمه فنوقض بما نوقض

التفريع

ثم يجعله أصلا يفرع منه جملة من جار ومجرور متعلقة به تعلق مدح أو هجاء أو فخر أو نسب أو غير ذلك ثم يخبر عن ذلك الاسم بأفعل التفضيل ثم يدخل من على المقصود بالمدح أو الذم أو غيرهما ويعلق المجرور بأفعل التفضيل فحصل المساواة بين الاسم المجرور بمن وبين الاسم الداخل عليه ما النافية لان حرف النفي قد نفى الافضلية فتبقى المساواة بيان ذلك أن تقول ما الزهر اذا بكى الغمام فضحك بأحسن من أخلاق زيد فالمساواة بين الزهر والاخلاق ههنا ثابتة بالشروط المذكورة ومن الامثلة الشعرية قول الاعشى

ماروضة من رياض الحسن معشبة * غناء جاد عليها مسبل هطل
يضاحك الزهر منها كوكب شرق * مؤزر بعميم النبت مكتهل
يوما بأطيب منها طيب رائحة * ولا بأحسن منها اذ دنا الاصل

وقد يجيء الفرع والاصل في بيت واحد كقول أبي تمام

ماربع مية معمورا يطيف به * غيلان أبهى ربا من ربعها الخرب
ولا الخدود وان أدمين من خجل * أشهى الى ناظري من خدها الترب

ذكر في البيت الاول الاصل والفرع وكذلك في البيت الثاني فالاصل هو الاسم المنفي مع ماذكر من أوصافه والفرع هو أفعل التفضيل مع مايتعلق به ويعجبني في هذا الباب قول ابراهيم بن سهل الاشبيلي من قصيد وهو

وماوجد اعرابية بان دارها * وحنت الى بان الحجاز ورنده
اذا آنست ركبا تكفل شوقها * بنار قراه والدموع بورده
وان أوقدوا المصباح ظنوه بارقا * يحيي فهشت للسلام ورده
بأعظم من وجدي بموسى وانما * يرى أنني أذنبت ذنبا الوده

ومن انشاء القاضي شهاب الدين محمود في هذا الباب قوله وما أم طفل قذفها الزمن العنيد في بعض البيد في أرض موحشة المسالك قليلة السالك قد لمع سرابها وتوقدت هضابها وصرخ يومها ونفر ظليمها وحضر سمومها وغاب نسيمها فلما خافت على ولدها من الظما الهلاك أجلسته الى جنب كثيب هنالك ثم ذهبت في طلب الماء للغلام لئلا يقضي عليه الاوام فانتهى بها المسير الى روضة وغدير وآثار معطى بوارك تدل على أن الطريق هنالك فعادت الى ولدها مسرعة وكل أعضائها اليه عيون متطلعة فلما اشارفت جنب الكثيب رأت ولدها في فم الذيب بأكثر مني حسرة وتلهفا * وأعظم مني حرقة وتأسفا

وأغزر دمعا عند ماقيل لي الذي * كلفت به اضحى على البعد مزمعا

وذكر صاحب الايضاح للتفريع قسما ثانيا لم يذكره غيره ولا نسج على منواله أصحاب البديعيات فألغيته أيضا والشيخ زكي الدين بن أبي الاصبع اخترع قسما ثالثا ولكن وجدت هذا النوع الذي نحن بصدده أحلى في الاذواق وأوقع في القلوب وعلى سننه مشى أصحاب البديعيات وألغيت أيضا ما اخترعه ابن أبي الاصبع رحمه الله وبيت الشيخ صفي الدين الحلي على هذا النوع في وصف الصحابة رضي الله عنهم أجمعين

وعورض بما عورض ثم سمعت من بعد انه أقيم المأتم وحضر العالم فخشيت أن أنسب الى الاخلال وما أردت غير الاجلال وانقد جادلت الزمان في غير هذا الموقف حتى وقف الجدال أنشدته

ما للزمان وصرفه لا ينثني * الا العلا ومنازل الاشراف

فأنشدني

لاتعتبن على الزمان وصرفه * مادام يقنع منك بالاطراف

فقلت له

صرفان في أيام عام واحد * يا فرط ما أخذت به الاقدار

فقال لي

هل تنقمون على الليالي حكمها * لاسيما نذرت به الاعمار

فألزمته قولي

هلا سوى الاغصان ان يك آخذا * والفرع ان يك لامحالة فاعلا

فانفصل بقوله

ان الاشاء اذا أصاب مشذبا * منه أغل زورا وأث أسافلا

ماروضة وشع الوسمى بردتها * يوما بأحسن من آثار سعيهم

والعميان ماتظموا هذا النوع فى بديعيتهم وبيت الشيخ عز الدين فى بديعيته قوله

ماالدوح تفريعه بالزهر متسق * نظما بأطيب من تعريف ذكرهم

وبيت بديعيتى أقول فيه عن الصحابة رضى الله عنهم أجمعين

ماالعود ان فاح نشرا أوشدا طربا * يوما بأطيب من تفريع وصفهم

هذا البيت فيه نوع التفريع الذى هو القصد هنا والتورية بتسميته والاستخدام ومراعاة النظير وفيه الانسجام والتمكين والله أعلم

(ذكر حسن النسق)

(من ذا يناسقهم من ذا يطابقهم * من ذا يسابقهم فى حلبة الكرم)

هذا النوع أعنى حسن النسق ويسمى التنسيق من محاسن الكلام وهو أن يأتى المتكلم بالكلمات من النثر والابيات من الشعر متتاليات متلاحمات تلاحما سليما مستحسنا مستهجنا وتكون جملها ومفرداتها متسقة متوالية اذا أفردمنها البيت قام بنفسه واستقل معناه بلفظه كقول شرف الدين القيروانى

جاور عليا ولا تحفل بحادثة * اذا ادّرعت فلا تسأل عن الاسل

سل عنه وانطق به وانظر اليه تجد * ملء المسامع والافواه والمقل

فالحظ حسن النسق وصحة هذا التركيب فيه واستيعاب هذا التقسيم ووضوح هذا التفسير ومنه قول أبى نواس

واذا جلست الى المدام وشربها * فاجعل حديثك كله فى الكاس

واذا نزعت عن الغواية فليكن * لله ذاك النزع لا للناس

حسن النسق هنا الامر بين فنين متضادين فى هذين البيتين وهما المجون والزهد حتى صارا كانهما فن واحد وبيت الشيخ صفى الدين الحلى قوله

والذئب سلم والجنى أسلم والشعبان كلم والاموات فى الرحم

والعميان مانظموا هذا النوع فى بديعيتهم وبيت الشيخ عز الدين الموصلى فى بديعيته قوله

فالضيق أذهب والتوفيق سبب والتنسيق رتب فى تصديق حكمهم

وبيت بديعيتى أنا مستمر فيه على وصف الصحابة رضوان الله عليهم بقولى

من ذا يناسقهم من ذا يطابقهم * من ذا يسابقهم فى حلبة الكرم

(ذكر التعديد)

(تعديد فضلهم يهدى لسامعه * علما وذوقا وشوقا عند ذكرهم)

هذا النوع أعنى التعديد ذكره الامام فخر الدين الرازى وغيره وسماه قوم الاعداد وهو عبارة عن ايقاع أسماء منفردة على سياق واحد فان روعى فى ذلك ازدواج أومطابقة أوتجنيس أومقابلة فذلك الغاية فى حسن النسق مثاله قوله تعالى ولنبلونكم بشئ من الخوف والجوع

حسن النسق

وربعت بقولى الدهر أدهى نظما كان منفردا وفى الثريا فريد الحسن مطرد وقابل بقوله ان يبق منفردا فالشمس منفرد والسيف منفرد والليث منفرد ولولم أهب الجبال وأخف الملال لقلت وقال أيد الله الشيخ الرئيس لوكان أحد دون أن يذكر بالله واحد فوق أن يذكر بالله لكنت وكان ولكنه بحمد الله ممن اذا ذكر بالله خضعته هيبة العلم ولم تأخذه العزة بالاثم وأنا أذكره الله الذى خلقه من قبل ولم يك شيأ مذكورا ثم جعل جمرة العرب قبيلته ثم جعل أشرف تلك القبيلة فصيلته ثم اصطفاه من بينهم وفضله عليهم ثم جعل أبناء ملوك العجم خوله ثم أوطأ سادة العرب عقبه ان ينسى الكثير من نعم الله لقليل من بلاء

التعديد

ونقص من الاموال والانفس والثمرات وبشر الصابرين ومن الامثلة الشعرية قول أبي الطيب المتنبي

الخيل والليل والبيداء تعرفني * والسيف والرمح والقرطاس والقلم

وبيت الشيخ صفي الدين في بديعيته على هذا النوع قوله

ياخاتم الرسل يامن علمه علم * والعدل والفضل والايفاء للذمم

والعميان ماتظموا هذا النوع في بديعيتهم وبيت عزالدين في بديعيته قوله

تعديدأوصافهم في المدح يعجزنا * أهل التقى والنقا والجود والهمم

وبيت بديعيتي أنا مستمر فيه على مدح الصحابة رضي الله عنهم أجمعين بقولي

تعديد أوصافهم يبدي لسامعه * علما وذوقا وشوقا عند ذكرهم

(ذكر التعليل)

(نعم وقد طاب تعليل النسيم لنا * لانه مر في آثار تربهم)

هذا النوع أعني التعليل هو أن يريد المتكلم ذكر حكم واقع أومتوقع فيقدم قبل ذكره علة وقوعه لكون رتبة العلة تتقدم على المعلول كقوله تعالى لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم فسبق الكتاب من الله تعالى علة النجاة من العذاب وكقوله صلى الله عليه وسلم لولا أن أشق على أمتي لامرتهم بالسواك عند كل صلاة فخوف المشقة على الامة هو علة في التخفيف عنهم من الامر بالسواك عند كل صلاة ومن أمثلته الشعرية قول البحتري

ولولم تكن ساخطالم أكن * اذم الزمان وأشكو الخطوبا

فوجود سخط الممدوح هو علة في شكوى الشاعر ومنه قول ابن هانئ الاندلسي

ولولم تصافح رجلها صفحة الثرى * لماصح عندي علة للتيمم

وفي رواية لما كنت أدري وعلى كلا الروايتين ففي الغلو قبح واساءة أدب كيف انه لم يدر علة للتيمم الا بما ذكر وقد علمت صحة التيمم من نص الكتاب والسنة * ولقد أحسن ابن رشيق القيرواني في تعليل قوله صلى الله عليه وسلم جعلت لي الارض مسجدا وطهورا حيث قال

سألت الارض لم جعلت مصلى * ولم كانت لنا طهرا وطيبا

فقالت غير ناطقة لاني * حويت لكل انسان حبيبا

فتخلص مما وقع فيه ابن هانئ لكونه سأل الارض عن العلة وتلطف في استخراج علة مناسبة لاحرج عليه في ايرادها وقد بينة تم المعلول على العلة في هذا الباب وعلى هذا المنوال نسج ابن رشيق وبيت الشيخ صفي الدين الحلي في بديعيته على التعليل قوله

لهم أسام سوام غير خافية * من أجلها صار يدعى الاسم بالعلم

وبيت العميان

لم تبرق السحب الا انها فرحت * اذ ظللته فأبدت حسن مبتسم

التعليل

الله لاتزيده النعمة الا شكرا والمصيبة الاصبرا أو بضيق بترادف هاتين المصيبتين ذرعا ويسوء بالله ظنا ان السعيد من ورث أولاده وقدم أحبابه وأنا أرجو أن يكون أولنا للدنيا اصابه وآخرنا الى الآخرة اجابه وان يوصل ما أوتي من نعمة في العاجل بخير منه في الآجل

(وله اليه أيضا)

نعم العون على عزة الشيخ الرئيس دينه الابيض الناصع واسلامه الصادق النافع لقد جمعت عوده في أمرين منكرين فوجدته طيب المكسر فوالله لاقولن مادام يسمع ولاذيعن ماوجدته ينتصح عسى الله ان يوفقني قائلا ويوفقه قابلا هذا الذي يستخرج فضل الاحداث لوسمى مال النثار أومال الحلوان أواسما آخر غير مال الاحداث كانت الحاجة تدرك والدين وافر قوي

وبيت الشيخ عز الدين قوله

تعليل طيب نسيم الروض حين سرى * بأنه نال بعضا من ثنائهم

وبيت بديعيتي أقول فيه عن الصحابة

نعم وقد طاب تعليل النسيم لنا * لانه مر في آثار تربهم

(ذكر التعطف)

(تعطف الخير كم أبدوا المذنبهم * والخير ما زال في أبواب صفحهم)

التعطف شبيه بالترديد في اعادة اللفظة بعينها في البيت والفرق بينهما ان التعطف شرطه أن تكون احدى كلمتيه في مصراع والاخرى في مصراع آخر قلت وهذا النوع أيضا من الانواع التي تقدمت وقررت ان ليس تحتها كبير أمر وان رتبة البديع أعلى من هذه الانواع السافلة ولكن تقدم قولي ان القوم كلما طلبوا الكثرة تغالوا في الرخيص والشروع في المعارضة ملزم وقد استشهدوا على هذا النوع أعني التعطف بقول أبي الطيب المتنبي

فساق الي العرف غير مكدر * وسقت اليه المدح غير مذمم

وبيت الشيخ صفي الدين على هذا النوع الرخيص قوله

وصحبه من لهم فخر اذا افتخروا * ما ان يقصر عن غايات فضلهم

والعميان ما نظموا هذا النوع في بديعيتهم وبيت الشيخ عز الدين الموصلي في بديعيته قوله

تعطفوا برضا أحبابهم وعلى * أعدائهم عطفوا بالصارم الخذم

وبيت بديعيتي أنا مستمر فيه على وصف الصحابة رضي الله عنهم بقولي

تعطف الخير كم أبدوا المذنبهم * والخير ما زال في أبواب صفحهم

وقلت بعد مشيرا اليهم .

(ذكر الاستتباع)

يحمون مستتبعين العفو ان ظفروا * ويحفظون وفاهم حفظ ذممهم

الاستتباع هو استفعال من تتبع الرجل اذا اقتفى أثره وفي الاصطلاح هو أن يذكر الناظم أو الناثر معنى مدح أو ذم أو غرض من أغراض الشعر فيستتبع معنى آخر من جنسه يقتضي زيادة في وصف ذلك الفن كقول أبي الطيب المتنبي

نهبت من الاعمار ما لو حويته * لهنئت الدنيا بانك خالد

فانه مدحه بالشجاعة على وجه استتبع مدحه بكونه سببا لاصلاح الدنيا حيث جعلها مهنأة بخلوده ومثله قوله

الى كم ترد الرسل فيما أتوا به * كأنهم فيما وهبت ملام

فمدحه بالشجاعة اياه والغزو في رد الرسل عما أتوا به وصدهم عن مطلوبهم والتهاون برسلهم واستتبع في آخر البيت مدحه بالكرم لعصيان الملام في الهبات ويعجبني هنا قول أبي بكر الخوارزمي

سمح البديهة ليس يمسك لفظه * فكأنما ألفاظه من ماله

التعطف

والكفر صاغر فمي ولكان المراد يرتفع والاسلام سالم والشيطان راغم انه ليس المسؤل لم أخذت كالمسؤل لم كفرت وسأضرب مثلا ومثالا لما قدمت انه قضى الله أن لا ربا فقالت قريش ضاق علينا العيش فأمروا أن يشتروا ويبيعوا فقالت طائفة ان الذي أمرنا به كالذي نهينا عنه فأنزل الله سبحانه تسخيفا لكلامها وتسفيها لاحلامها قالوا انما البيع مثل الربا وأحل الله البيع وحرم الربا صدق الله وكذب القياس وأمر الله فليطع الناس انه ليس بين الحرام الموبق والحلال الطيب الا نظر المسلم لنفسه وهل بين الجنة والنار الا الجواب من كلام أو حجاز من صدقة أو صيام وهل بين الزنا والنكاح الا ما بين الربا والبيع المباح قول معروف يفتح رضوان الله وحسن مآب وتهاون يثمر لعنة الله ودارا

الاستتباع

فانه مدحه بذلاقة اللسان على وجه استتبع الكرم وبيت الشيخ صفي الدين في بديعيته عن هذا النوع قوله

الباذلو النفس بذل الزاد يوم قرى * والصائنو العرض صون الجار والحرم

وبيت العميان

تجري دماء الاعادي من سيوفهم * مثل المواهب تجري من كفوفهم

وبيت الشيخ عز الدين

يستتبعون ببذل العلم بذل ندى * ويحفظون المعالي حفظ عرضهم

وبيت بديعيتي

يحمون مستتبعين العفو ان ظفروا * ويحفظون وفاهم حفظ دينهم

(ذكر الطاعة والعصيان)

(طاعاتهم تقهر العصيان قدرهم * له العلو فجانسه بمدحهم)

هذا النوع أعني الطاعة والعصيان استنبطه أبو العلاء المعري في شرحه الذي سماه معجز أحمد عند نظره في شعر أبي الطيب وهو قوله

يرد يدا عن ثوبها وهو قادر * ويعصي الهوى في طيفها وهو راقد

وسماه الطاعة والعصيان وقال انما أراد أبو الطيب ان يقول يرد يدا عن ثوبها وهو مستيقظ بحيث تطيعه المطابقة في قافية البيت بقوله راقد فلم يطعه الوزن في ذلك ولما عصاه الوزن عدل الى لفظة قادر وجعلها مكان مستيقظ لما فيهما من معنى اليقظة وزيادة فأطاعه التجنيس المقلوب بين قادر وراقد وعصته المطابقة بين راقد ومستيقظ فلم يخل بيته عن معنى بديعي وقيل ان هذا النوع لم يسمع له مثال قبل أبي العلاء ولا بعده في سائر كتب البديع لقلة وقوعه وتعذر اتفاقه وانما وقع للمتنبي نادرا قلت أنا تابع في هذا النوع مذهب علامة هذا العلم وهو الشيخ زكي الدين ابن أبي الاصبع تغمده الله برحمته ورضوانه فانه كشف عن وجه الاشكال وأرشد من كان متعلقا بحبال المحال فان القوم أضربوا عن هذا النوع وهو ظاهر لان الشيخ زكي الدين قال اضرابهم عن النظر فيه اما لحسن ظنهم بالمعري وموضعه من الادب واعتقادهم فيه العصمة من الخطا والسهو واما أن يكون مر عليهم ما مر عليه في هذا البيت اذ ليس في البيت شئ أطاع الشاعر ولا شئ عصاه ودليل ذلك قول المعري ان المتنبي أراد مستيقظا ليحصل بينها و بين لفظة راقد طباقا فأفاعصته لفظة مستيقظ لامتناعها من الدخول في هذا الوزن وهذا محال لان المتنبي لو أراد أن يقول يرد يدا عن ثوبها وهو ساهر لحصل له غرضه من الطباق ولم يعصه الوزن وانما المتنبي قصد أن يكون في بيته طباق وجناس فعدل عن لفظة ساهر الى قادر لان القادر ساهر وزيادة وحصل بين راقد وقادر الطباق المعنوي وجناس العكس لان الطباق أنواع منه المعنوي كما ان الجناس أنواع منه العكس ومذهب المتنبي ترجيح المعاني على الالفاظ ولاسيما وبالعدول عن الطباق اللفظي حصل في البيت الطباق والجناس معا وما كان فيه الطباق والجناس معا أفضل مما ليس فيه سوى الطباق ولو عدل المتنبي الى ما ذكره المعري لفاته هذا

الطاعة والعصيان

لها سبعة أبواب وهراة اليوم بحمد الله مدينة السلام وخطة الاسلام ودار السنة ومدارها ونار الهداية ومنارها ولو فسد الملح لفسد اللحم ولو وهن الرأس لوهن الجسم وانما الشيخ الرئيس امامها وقوامها ولا يتم صلاحها حتى يتم صلاحه ولا ينم صباحها حتى ينم صباحه وكما نيط بسلام الراس سلامة الجسد كذلك نيط بصلاح الرئيس صلاح البلد وكل يسئل عما يفعل وهو أيده الله يسئل عما فعلوا وقد سمع وعيد الله على الحدود وأخذ الله على اليهود فيما آتاهم من كتاب ليبيننه للناس ولا يكتمونه ثم أخذ على هذه الامة من العهود أوثق مما أخذ على اليهود وان المسلم لينشط الى الفسق مغترا بعفو الله متسعا في حلم الله ولا ينشط الى الكفر انها الحالة التي لا تقنعها الحالة والقالة التي

الفضل والله أعلم وقد ثبت من هذا البحث ان بيت المتنبي لايصلح أن يكون شاهدا على هذا الباب لانه لم يعصه فيه شئ ولم يطعه غيره وكذلك بيت الشيخ صفي الدين في بديعيته وهو قوله

لهم تهلل وجه بالحياء كما * مقصوره مستهل من اكفهم

فانه ذكر في شرحه أنه أراد الجناس بين الحياء والحيا ولما عصاه الوزن وتعذر التجنيس عدل الى لفظة مقصوره وهو ردف لفظة الحيا فأطاعه الجناس المعنوي باشارة ردفه اليه اه قلت والذى قرره الشيخ صفي الدين أيضا محال ولو قال

لهم تهلل وجه بالحياء كما * أنا الحيا مستهل من اكفهم

لحصل له ما أراد من الجناس وخلص من ثقل مقصوره وحصل لبيته طلاوة في الاذواق وخلا من العقادة وتحقق المتأمل ان عصيان الوزن هنا محال وكذلك بيت الشيخ عز الدين وهو

اطاعه وعصاه المؤمنون ومن * ناواه دا الفرق بين الانس والنعم

فانه ذكر في شرحه انه أراد الطباق بين المؤمنين والكافرين فعصاه الوزن وتعذرت المطابقة فأتى بلفظة ناوى فأطاعته المطابقة وعصاه الوزن قلت والذى قرره الشيخ عز الدين أيضا ههنا محال ولو قال

أطاعه وعصاه المؤمنون وجشع الكافرين ولم يحفل بجمعهم

لحصل له ما أراد من المطابقة بين المؤمنين والكافرين وخلص من ثقل ناوى وتجشم الانس والنعم التى زلزلت أركان بيته وأما قوله أطاعه وعصاه فهذه المطابقة تحصيل الحاصل لانهما تسمية النوع الذى هو المراد هنا وحل القصد ان عصيان الوزن في بيت أبي الطيب و بيت الشيخ صفي الدين وبيت الشيخ عز الدين محال و بيت بديعيتي أقول فيه عن الصحابة رضي الله عنهم أجمعين

طاعاتهم تقهر العصيان قدرهم * له العلو فجانسه بعدهم

هذا البيت أردت أن أجانس فيه بين العلو والغلو فلم يطع فيهما الوزن فلما عصى ذلك عدلت الى لفظة جانسه فحصل الجناس المعنوي باشارة ردفه اليه فهذا البيت مشتمل على الطاعة والعصيان حقيقة فان الناظم أراد فيه جناس التصحيف فعصاه الوزن وأطاعه الجناس المعنوي والعصيان ما نظموه في بديعيتهم والله أعلم

(ذكر المدح في معرض الذم)

(في معرض الذم ان رمت المديح فقل * لاعيب فيهم سوى اكرام وفدهم)

هذا النوع أعني المدح في معرض الذم من أنواع ابن المعتز وهو أن ينفي صفة ذم ثم يستثني صفة مدح كقولك لاعيب في زيد سوى أنه يكرم الضيف وأعظم الشواهد على هذا النوع قوله تعالى لايسمعون فيها لغوا ولا تأثيما الا قيلا سلاما سلاما ومن الشواهد الشعرية قول النابغة الذبياني

ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم * بهن فلول من قراع الكتائب

ومنه قول الشاعر

لاتسعها الافاق والمهواه التي لايبلغها عفو الله ولا تدركها رحمة الله عزمة من عزمات الله أبرمها في الكفار انهم من اصحاب النار ومعنى مال الاحداث اثمان الحدود وحدود الله لاتباع ورسوم الله لاتضاع فان قبل فالرشد أصاب والحق أجاب خار الله له الخيرة ووفقه لصالح القول والعمل

(وله اليه أيضا)

قسما لئن استرقني الشيخ الرئيس حديثا لقد استحقني قديما ولئن اشتراني طريفا لقد ملكني تليدا ولقد أجله الله بين أعاديه فلا تناله يد أحد بسوء ومنهم شقي وسعيد فالسعيد من أغناه وعقبه بعده والشقي من أعناه وحده فاذا استاذن ذو فضيلة للعود الى بلده لم يرض بما سلف من انعامه حتى يتبعه بأضعافه ثم يأذن له في انصرافه فاذا وصل الى

المدح في معرض الذم

ولا عيب فيكم غير أن ضيوفكم * تعاب بنسيان الاحبة والوطن

ومنه أيضا قول الشاعر

ولا عيب في هذا الرشا غير أنه * له معطف لدن وخد منعم

وبيت الشيخ صفي الدين الحلي

لا عيب فيهم سوى أن النزيل بهم * يسلو عن الاهل والاوطان والحشم

وبيت العميان في بديعيتهم

لا عيب فيهم سوى أن لا ترى لهم * ضيفا يجوع ولا جارا بهم تضم

قلت بين قول الشيخ صفي الدين عن الضيف انه يسلو عن الاهل والاوطان والحشم وبين قول العميان عن الضيف انه لا يجوع بون بعيد وبيت الشيخ عز الدين

في معرض الذم ان رمت المديح فهم * لا عيب فيهم سوى الاعدام للنعم

وبيت بديعيتي

في معرض الذم ان رمت المديح فقل * لا عيب فيهم سوى اكرام وفدهم

(ذكر البسط)

(هم معشر بسطوا جودا اسقاه حيا * فاخضر العيش في اكناف أرضهم)

هذا النوع أعني البسط من مستخرجات ابن أبي الاصبع و لبسط بخلاف الايجاز لكونه عبارة عن بسط الكلام لكن شروطه زيادة الفائدة كقول النبي صلى الله عليه وسلم الدين النصيحة فقيل لمن يا رسول الله قال لله ولكتابه وانبيه ولائمة المسلمين وعامتهم فبسط هذه اللفظة الجامعة لفرد الائمة بالذكر من جملة المسلمين ولم يكن الاقتصار على الائمة لاجل نقص المعنى اذ تمامه لا يكون الا بذكر عامة المسلمين فأتى بذلك البسط ليفيد تتميم المعنى بعد تخصيص من يجب تخصيصه بالذكر ومن الامثلة الشعرية المستحسنة على البسط قول البحتري في الخيري وهو المنثور الاصفر

قد نفض العاشقون ما صنع الـهـجر بألوانهم على ورقه

فان حاصل هذا الكلام الاخبار بصفرة الخيري فبسط اللفظ الذي لو اقتصر عليه لما حصل به المراد لما في البسط من حسن ادماج الغزل في الوصف بغير لفظ التشبيه ولا قرينة اذ مفهوم اللفظ ان صفرة المنثور تشبه ألوان المهجورين وبيت الشيخ صفي الدين الحلي في بديعيته

سهل الخلائق سمح الكف باسطها * منزه قوله عن لا وان ولم

والعميان ما نظموه في بديعيتهم وبيت الشيخ عز الدين الموصلي في بديعيته

ذو بسط كف وخلق زانه خلق * أثنى عليه اله العرش بالعظم

وبيت بديعيتي أنا مستمر فيه على مدح الصحابة رضي الله عنهم أجمعين

هم معشر بسطوا جودا اسقاه حيا * فاخضر العيش في أكناف أرضهم

(ذكر الاتساع)

(نور القبائل ذو النورين ثالثهم * وللمعالي اتساع في عليهم)

البسط

الدروب فثم ناس فمعهم افراس وناس معهم لباس وناس معهم اكياس فاذا وصل الى المنزل الاول فهناك رجال معهم بغال ورجال معهم بغال واخرون معهم حمير واعبد يدفعها كبير يرى انه وقع تقصير وان ما حمل يسير واذا وصل الى المنزل الثاني فالجمارة بنفيس من الاعلاق وألف خلق للانفاق وكثير من المعاذير اثناء الدنانير وهلم جرا الى آخر المملكة في كل أرض يطؤها منحة تعلقه وهدية تطلقه هذه حال الظاعن فما حال القاطن ثم ان الجود أيسر خصاله هلم الى الدين المتين فوالله لقد مضت ليلة الرقود ولم يشعر بمضيها وأتى النيروز ولم يحس باتيانه فأما المسكر وشربه والمسكر وقربه والعود وضربه والنرد وقصبه والشطرنج ولعبه فقد نزه الله هذه العتبة وطهر هذه الجنبة عنها وعمن يجالسها ويجانسها

الاتساع

هذا النوع أعنى الاتساع يتسع فيه التأويل على قدر قوى الناظم فيه و بحسب ما تحتمل الفاظه من المعانى كقول امرئ القيس

اذا قامتا تضوع المسك منهما * نسيم الصبا جاءت بريا القرنفل

فان هذا البيت اتسع النقد فى تأويله فمن قائل تضوع المسك منهما بنسيم الصبا ومن قائل تضوع المسك منهما تضوع نسيم الصبا ومن قائل تضوع المسك منهما بفتح الميم يعنى الجلد بنسيم الصبا وهو أضعف الوجوه والوجه الثانى مذهب ابن أبى الاصبع وهو أنور الوجوه ومن ذلك فواتح السور التى اقسم الله بها فانهم اتسعوا فى تأويلها ولم يترجح من ذلك الا أنها اسماء السور وبيت الحلى فى بديعيته قوله

بيض المفارق لا عار يدنسهم * شم الانوف طوال الباع والامم

والعميان مانظموا هذا النوع فى بديعيتهم وبيت الشيخ عز الدين الموصلى فى بديعيته قوله

بان اتساع المعانى فى الصحابة كالـ * ـفاروق ثم شهيد الدار ذى الحرم

وبيت بديعيتى أنا مستمر فيه على مدح الصحابة رضى الله عنهم اجمعين

نور القبائل ذو النورين ثالثهم * وللمعانى اتساع فى عليهم

(ذكر جمع المؤتلف والمختلف)

*(جمعت مؤتلفا فيهم ومختلفا * مدحا وقصرت عن أوصاف شيخهم)*

هذا النوع أعنى جمع المؤتلف والمختلف ذكر المؤلفون فيه أقوالا كثيرة غير سديدة ومثلوه بامثلة غير مطابقة ولم يحرره ويطابقه بالامثلة الصحيحة اللائقة غير الشيخ زكى الدين بن أبى الاصبع والذى تحرر عنده ان هذا النوع عبارة عن ان يريد الشاعر التسوية بين ممدوحين فيأتى بمعان مؤتلفة فى مدحهما ويروم بعد ذلك ترجيح أحدهما على الآخر بزيادة فضل لا ينقص بها مدح الآخر فيأتى لاجل الترجيح بمعان تخالف معنى التسوية كقوله تعالى وداود وسليمان اذ يحكمان فى الحرث اذ نفشت فيه غنم القوم وكنا لحكمهم شاهدين ففهمناها سليمان وكلا آتينا حكما وعلما فصلت المساواة فى الحكم والعلم فساوى بينهما فى اهلية الحكم ثم رجح سليمان فقال ففهمناها سليمان ثم راعى حق الوالد فقال وكلا آتينا حكما وعلما فحصلت المساواة فى الحكم والعلم وكقول الخنساء فى أخيها وقد أرادت مساواته بابيها مع مراعاة حق الوالد بزيادة مدح لا ينقص به حق الولد

جارى أباه فاقبلا وهما * يتعاوران ملاءة الفخر

وهما وقد برزا كأنهما * صقران قد حطا على وكر

حتى اذا نزت القلوب وقد * لزت هناك العذر بالعذر

وعلا هتاف الارض ايهما * قال المجيب هناك لا أدرى

برقت صفيحة وجه والده * ومضى على غلوائه يجرى

أولى فاولى أن يساويه * لولا جلال السن والكبر

جمع المؤتلف والمختلف

ولابسها او بحارسها وأما الملك وحراسته والامر وسياسته والدولة واقبالها فكما عرف حالها وسارت أمثالها وأما البلدة فهى التى غيرتها الحراب والحروب وخربتها الخطاب والخطوب ولا فصل البقية مامضى من تهنئة القاضى بالنصر الذى اتاحه الله للمسلمين فقد علم اى حق حق وأى باطل زهق وأى خيل كشفت اى خيل بل اى نهار فضح اى ليل وأى قطر سيق الى اى قفر واى مغونة ادركت اى لونة وأى ماء أهدى الى ظماء فانسحبت الرياح توضح فالمقراة كما نسجت السمورية هراة فالحمد لله الذى أراح وسكن تلك الرياح واشفى من السلطان الكبير من اذا

وبيت الشيخ صفي الدين الحلي رحمه الله في بديعيته قوله

هم هم في جميع الفضل ما عدموا * سوى الآخاء ونص الذكر والرحم

قلت الحلي أساء الادب في نظم هذا البيت وكان يجب ان يؤدب على نظمه فانه بخس فيه حق صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم وكذب في الثلاثة التي استثناها وقال ان الصحابة رضي الله عنهم عدموها وقوله هم هم في جميع الفضل لا يفهم منه مدح لانه سلبهم الفضل في الشطر الثاني من البيت ولهذا قال الشيخ عز الدين في بديعيته مشيرا الى هذا البيت

هم هم في جميع الفضل ما عدموا * ما قاله الرافضي النذل في الكلم

وعلى هذا الترتيب الفاسد فما جمع في بيت الصفي غير المختلف لان المؤتلف عنه بمعزل والعميان ما نظموا هذا النوع في بديعيتهم وبيت الشيخ عز الدين في بديعيته قوله

جمع المؤتلف فيهم ومختلف * في العلم والحلم مع تقديم ذي قدم

وبيت بديعيتي يجب ان لا يستشهد على هذا النوع بغيره فاني قلت فيه عن الصحابة رضي الله عنهم

جمعت مؤتلفا فيهم ومختلفا * مدحا وقصرت عن أوصاف شيخهم

(ذكر التعريض)

*(تعريض مدح أبي بكر يقدمني * في سبق حلمهم مع موصليهم)*

هذا النوع أعني التعريض نوع لطيف في بابه وهو عبارة عن ان يكني المتكلم بشيء عن آخر لا يصرح به ليأخذه السامع لنفسه ويعلم المقصود منه كقول القائل ما أقبح البخل فيعلم انك أردت ان تقول له أنت بخيل وكقول بعضهم للآخر لم تكن أمي زانية يعرض بان أمه زانية والتعريض نوع من الكناية ومن امثلته الشعرية قول الحجاج يعرض بمن تقدمه من الامراء

لست براعي ابل ولا غنم * ولا بجزار على ظهر وضم

والشواهد على هذا النوع كثيرة ولكن أردت أن أجعل العمدة فيه على بيتي المنتظم في سلك بديعيتي فانه من الامثلة البديعة وليس في هذا النوع له مثال ولكن نبدأ ببيت الشيخ صفي الدين رحمه الله لاجل الترتيب وهو

ومن أتى ساجد الله ساعته * ولم يكن ساجدا في العمر للصنم

والعميان ما نظموا هذا النوع في بديعيتهم وبيت الشيخ عز الدين الموصلي رحمه الله قوله

تطويل تعريض شانيهم يعظمهم * والرفض أقبح شيء موجب الاضم

وبيتي الذي اطنبت في وصفه هو قولي بعد

جمعت مؤتلفا فيه ومختلفا * مدحا وقصرت عن أوصاف شيخهم

تعريض مدح أبي بكر يقدمني * في سبق حلمهم مع موصليهم

(ذكر الترصيع)

*(لم ترصع شعري واعتلت هممي * وكم ترفع قدري وانجلت غممي)*

التعريض

اعتل قد واذا اعترض قط ومن الامير العادل من اذا شاء رفع واذا شاء حط هنيئا اتلك الديار نيل الجبار ولكتب القاضي موقع من قلبي لطيف وشعب من نفسي فارغ فلم لا يسرني بها والسلام

(وله أيضا)

ليس الشوق اليك يا سيدي بشوق انما هو النار تطيش وتطير والسم يسري ويسير وايست أياديك عندي بأياد هذه في واد وتلك في واد وهن أطواق الحمام وقلائد لكنهن من العظام وليس تقصيري عنها بتقصير لكنه حياء من مقابلتها بغير كفئها وهيهات ليس التخلق في المكرمات بخلق وقد جاءت شيخي ابا فلان رسالة تم هي اليها حتى يأتيك كتابي

الترصيع

هذا النوع أعنى الترصيع هو عبارة عن مقابلة كل لفظة من صدر البيت او فقرة النثر بلفظة على وزنها ورويها وهو مأخوذ من مقابلة ترصيع العقد ومن أمثلته الشريفة فى الكتاب العزيز قوله تعالى ان الابرار لفى نعيم وان الفجار لفى جحيم ومثله قوله تعالى ان الينا ايابهم ثم ان علينا حسابهم ومنه قول الحريرى فى المقامات يطبع الاسجاع بجواهر لفظه ويقرع الاسماع بزواجر وعظه وان كان مع الترصيع زيادة بديع كطباق أو مقابلة أو جناس كان ذلك زيادة حسنة ومن أمثلته الشعرية قول أبى فراس

وافعالنا للراغبين كرامة * وأموالنا للطالبين نهاب

ومنه قول الشاعر

فيا يومها كم من مناف منافق * ويا ليلها كم من مواف موافق

والمبرز فى هذا النوع هو الذى يخلى نظم بيته من الحشو والحشو فيه عبارة عن تكرار الالفاظ التى ليست من الترصيع بحيث لا يأتى فى صدر بيته بلفظة الا ولها أخت تقابلها فى العجز حتى فى العروض والضرب كقول ابن النبيه

فحريق جمرة سيفه للمعتدى * ورحيق خمرة سيبه للمعتفى

فهذا البيت وقع الترصيع فى جميع ألفاظه فان المقابلة فيه حاصلة بين حريق ورحيق وبين جمرة وخمرة وبين سيفه وسيبه وبين المعتدى والمعتفى وأبو فراس بيته خال من ترصيع العروض والضرب والشاهد الثانى كرر فيه ناظمه حرف النداء فدخل عليه الحشو وبيت الشيخ صفى الدين الحلى فى الترصيع قوله

من حاسر بغرار العضب ملتحف * وسافر بغبار الحرب ملتثم

صفى الدين فانه فى هذا البيت رصع العروض والضرب وقد تسامحوا فيهما ولكن الغاية ما قررته فى نظم هذا النوع وايضا فان الشيخ صفى الدين غير عاجز عن ذلك فانه أتى فى بيته بالحشو مع عدم ترصيع العروض والضرب وناهيك ان العميان تبصر واله ونظموه فى بديعيتهم وهو

فهجر ربعى لذاك الربع مغتنمى * وتفرجى لذاك الجمع معتصمى

هذا البيت استشهد به العميان على الترصيع الواقع فى جميع ألفاظ البيت ولكن ذاك فى مقابلة ذاك اعتذر عنهما الشيخ شهاب الدين أبو جعفر الشارح وقال ان معناهما مختلف فان الاشارة الاولى للربع والثانية للجمع وعلى كل تقدير فللنظر فيهما مجال وبيت الشيخ عز الدين الموصلى فى بديعيته قوله

كم رصعوا كلما من درّ لفظهم * كم ابدعوا حكما فى سرّ علمهم

الشيخ عز الدين رصع حتى فى العروض والضرب ولكن كرر فى بيته لفظة كم ودخل عليه الحشو وهو من وفى والكمال لله وبيت بديعيتى أقول فيه بعد قولى فى بيت التعريض

لم ترصع شعرى واعلات همتى * وكم ترفع قدرى والجلت هممى

التنبيه على محاسن هذا البيت كالتنبيه على محاسن بيت ابن النبيه فان ناظمه وفى حقوق هذا النوع فى نظمه وأما الجماعة المذكورون معه فما منهم الا من بخسه بعض حقه لما أدخله

على اثرها وعلى ابى فلان سلام يصحبه شوق يضم الجوانح هضما ويبرى لها وعظما ويا كانى خضما وقضما وانفثه نثرا ونظما وانا فى عهدة قصيدته الغراء واياديه الغر وكأن قد والسلام

وله الى صديق جواب كتاب ورد منه يذكر وصوله اليه يوم العيد

كتابى ياسيدى كتاب من لا همة له الا قربك ولا غاية له الا حديثك فحرج عليك وحرام لا يحله الا الوفاء ان تقيم ساعة تطرك فيه او تعرج على شئ دون التاهب للخروج وحبذا العزم الذى نبهك الله واسعدنى به ومرحبا بيوم لقائك وياشوقاه الى وجهك ولى بقربك عيدان ونعم الموعد العيد الا انه بعيد والمراحل أقل من الايام فلو تفضلت واختصرتها وساءنى ما ذكرت فى كتابك من الارتياد لسيرك بادية والله انى استبعدك وأنت معى فى ازار فكيف فى دار

في بيته وقد تميز بيتي على بيت ابن النبيه أيضا في ترصيع نظمه بزيادة جوهرتين فاني قابلت فيه خمسة بخمسة وابن النبيه وبقية القوم قابلوا أربعة بأربعة والزيادة على ابن النبيه أيضا في تسمية النوع الذي هو الترصيع ولعمري انها تورية ما رصع في العقود نظيرها وهذا البيت مشتمل على الترصيع والتورية والجناس اللاحق واللزوم والتمكين والترصيع والموازنة ومراعاة النظير والسهولة والانسجام والله أعلم

(ذكر السجع)

*(سجعي ومنتظمي قد أظهرا حكمي * وصرت كالعلم في العرب والعجم)*

السجع مأخوذ من سجع الحمام واختلف فيه هل يقال في فواصل القرآن اسجاع أولا فنهم من منعه ومنهم من أجازه والذي منع تمسك بقوله تعالى كتاب فصلت آياته فقال قد سماه فواصل وليس لنا أن نتجاوز ذلك والسجع ينقسم أربعة اقسام المطرف والموازي والمشطر والمرصع القسم الاول المطرف وعلى منواله نسج نظام البديعيات وهو ان يأتي المتكلم في أجزاء كلامه أو في بعضها باسجاع غير متزنة بزنة عروضية ولا محصورة في عدد معين بشرط أن يكون روي الاسجاع روي القافية كقوله تعالى ما لكم لا ترجون لله وقارا وقد خلقكم أطوارا وكقولهم جنابه محط الرحال ومخيم الآمال ومن الامثلة الشعرية قول أبي تمام

تجلى به رشدي وأثرت به يدي * وفاض به ثمدي وأورى به زندي

الثاني الموازي وهو ان تتفق اللفظة الاخيرة من القرينة مع نظيرتها في الوزن والروي كقوله تعالى سرر مرفوعة وأكواب موضوعة ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم اللهم أعط منفقا خلفا وأعط ممسكا تلفا ومنه قول الحريري في المقامات الجأني حكم دهر قاسط الى ان انتجع أرض واسط وقوله وأودى بي الناطق والصامت ورثى لي الحاسد والشامت ومن أمثلته الشعرية قول أبي الطيب المتنبي

فنحن في جذل والروم في وجل * والبر في شغل والبحر في خجل

القسم الثالث المشطر وهو ان يكون لكل نصف من البيت قافيتان مغايرتان لقافيتي النصف الاخير وهذا القسم مختص بالنظم كقول أبي تمام

تدبير معتصم بالله منتقم * لله مرتقب في الله مرتغب

الرابع المرصع وقد تقدم الكلام عليه قلت واذ كنت منشئ ديوان الانشاء الشريف انشأت جميع ما يحتاجون اليه من الفوائد التي أخذتها عن علماء هذا الفن فان قصر الفقرات يدل على قوة المنشئ وأقل ما يكون من كلمتين كقوله تعالى يا أيها المدثر قم فانذر وربك فكبر وثيابك فطهر وامثال ذلك كثيرة في القرآن العزيز لكن الزائد على ذلك هو الاكثر وكان بديع الزمان يكثر من ذلك كقوله كميت نهد كأنما راكبه في مهد يلطم الارض بزبر وينزل من السماء بخبر لكن قالوا التذاذ السامع بما زاد على ذلك اكثر لتشوقه الى ما ورد منه متزايدا على سمعه وأما الفقر المختلفة فالاحسن أن تكون الثانية أزيد من الاولى بقدر غير كثير لئلا يبعد على السامع وجود القافية فتذهب اللذة وان زادت القرائن على اثنتين فلا يضر تساوي القرينتين الاوليين وان زادت الثانية على الاولى يسيرا او الثالثة على

السجع

وفي دار فكيف في جوار وهذه الحضرة من ضيق المنازل وعوزها وعزتها على غاية لا يمكن عليها مزيد ولا أعرف لك مسكنا تاوي به اوفق بك ولا أرفق بي من صدري ولا غرفة أولى بك وأخبأ لك من صدقي وما ضاقت دار لمتحابين وأنا في حجرة تسعنا وفيها مربط للدواب واليها الهجرة وعليها النزول وأما الشيخ الذي وصفت حاله وتوسله بكتاب سيدي فلان فاهلا به على ان الوسيلة الاولى لا تقصر عن الثانية فليرد مستجيرا بالله متوكلا عليه والله المعين على ما يخرج من عهدة وسيلته وهو حسبي ونعم الوكيل

(وله أيضا)

كتابي عن سلامة لولا ما ينغصها من فراقك وعافية لو متعت بلقائك يكاد كتابك يرويني ان عطشت ويغذوني

الثانية فلا باس ولا يكون أكثر من المثل ولا بد من الزيادة فى آخر القرائن مثاله فى القرينتين وقالوا اتخذ الرحمن ولدا لقد جئتم شيأ اذا تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الارض وتخر الجبال هدّا فالثانية أطول من الاولى ومثاله فى الثالثة قوله تعالى وأعتدنا لمن كذب بالساعة سعيرا اذا رأتهم من مكان بعيد سمعوا لها تغيظا وزفيرا واذا ألقوا منها مكانا ضيقا مقرنين دعوا هنالك ثبورا ومن قواعد الانشاء أن تكون كل فاصلة مخالفة لنظيرتها فى المعنى لان اللفظ اذا كان من القرينة بمعنى نظيره من الاخرى كان معيبا كقول الصاحب بن عباد يصف منهزمين طاروا واقين بظهورهم صدورهم وباصلابهم نحورهم فالظهور بمعنى الاصلاب والصدور بمعنى النحور ومنه قول الصابى يسافر رأيه وهو لا يبرح ويسير وهو ثاو لا ينزح ويبرح وينزح بمعنى واحد ويسافر ويسير كذلك ومن فوائد الانشاء التى يطول بها باع المنشئ ان السجع مبنى على الوقف وكلمات الاسجاع موضوعة على ان تكون ساكنة الاعجاز موقوفا عليها لان الغرض ان يجانس المنشئ بين القرائن ويزاوج ولا يتم له ذلك الا بالوقف اذ لو ظهر الاعراب لفات ذلك الغرض وضاق ذلك المجال على قاصده الا ترى انهم لو بينوا الاعراب مثل قولك ما ابعد ما فات وما أقرب ما هو آت للزم ان تكون التاء الاولى مفتوحة والثانية مكسورة منونة فيفوت غرض الاتفاق ومن ذلك ان السجع مبنى على التغيير فيجوز ان تغير لفظة الفاصلة لتوافق أختها فيجوز فيها حالة الازدواج ما لا يجوز فيها حالة الانفراد فى ذلك الامالة فقد يكون فى الفواصل ما هو من ذوات الياء وما هو من ذوات الواو فتمال التى هى من ذوات الواو وتكتب بالياء حملا على ما هو من ذوات الياء لاجل الموافقة نحو قوله تعالى والضحى والليل اذا سجى اميلت والضحى وكتبت بالياء حملا على ما هى من ذوات الياء لاجل الموافقة وكذلك والشمس وضحاها اميلت فيها ذوات الواو وكتبت بالياء حملا على ما هى من ذوات الياء ومن ذلك حذف المفعول نحو قوله تعالى ما ودعك ربك وما قلى الاصل وما قلاك حذفت الكاف لتوافق الفواصل ومن ذلك صرف ما لا ينصرف كقوله تعالى قواريرا قواريرا صرفه بعض القراء السبعة ليوافق فواصل السورة الكريمة ولو تتبع المتأمل ذلك فى الكتاب العزيز لوجده كثيرا ومما جاء من الحديث قوله صلى الله عليه وسلم اعيذه من الهامة والسامه ومن كل عين لامه والاصل عين ملمة لانه من آلم ولكنه لاجل الموافقة قيل لامه ومنه قوله صلى الله عليه وسلم ارجعن مأزورات غير مأجورات الاصل موزورات بالواو لانه من الوزر ولكن ليوافق مأجورات ومنه قوله صلى الله عليه وسلم دعوا الحبشة ما ودعوكم واتركوا الترك ما تركوكم الاصل ما وادعوكم ولكن حذف الالف ليحصل الاتفاق مع تركوكم وسمعت ان بعض علماء الانشاء صنع مؤلفا فى أحكام الفواصل ومن ذلك ان المراد من علم الانشاء البلاغة فى المقاصد والبلاغة هى ان يبلغ المتكلم بعبارته كنه مراده مع ايجاز بلا اخلال واطالة من غير املال والفصاحة خلوص الكلام من التعقيد وقيل البلاغة فى المعانى والفصاحة فى الالفاظ فيقال لفظ فصيح ومعنى بليغ والفصاحة خاصة تقع فى المفرد يقال كلمة فصيحة ولا يقال كلمة بليغة وأنت تريد

ما عشت لا اذكر معه شغلا وان اهم وكانى اتأمل من سطوره صفحات صدرك واعلم ان مصدره عن صدر زجاجى الطبع باطنه كظاهره اما ما ذكرته من حديث اقامتى وظعنى فالمقام ما اقام الشتاء والظعن اذا ساعد القضاء واما انصراف القوم الى نيسابور فليس بصواب انى اذا أحسست من الهواء بطيب راحل نحوهم لا محالة ان شاء الله واما ما وصفت من انقاذ ما انفذت وابتياع ما ابتعت فما زدتنى علما بما عرفت انى اذا شككت فى الشمس ضحوة نهار لم اشك فى فضلك واما أبو فلان فلو عرف ما يجرى له فى هذه الديار لقر عينا ولو نشط فألم كان خيرا وأما حديث أبى فلان فقد اخبره بذكران أصحاب الجبال قبضوا اماله من

المفرد فانه يقال للقصيدة كلمة كما قالوا كلمة لبيد ففصاحة المفرد خلوصه من تنافر الحروف والفصاحة أعم من البلاغة لان الفصاحة تكون صفة للكلمة والكلام يقال كلمة فصيحة وكلام فصيح والبلاغة لا يوصف بها الا الكلام فيقال كلام بليغ ولا يقال كلمة بليغة واشتركا في وصف المتكلم بهما فيقال متكلم فصيح بليغ *فن الانشاء* افصح البليغ قول ابن عباد وقد قيل له ما أحسن السجع فقال ما خف على السمع فقيل مثل ماذا قال مثل هذا ومنه ما كتب به عبد الحميد عند ظهور الخراسانية بشعار السواد فانيتوا ريثما تنجلي به هذه الغمره وتصحو هذه السكره فينضب السيل وتمحى آية الليل ومنه قول أبي نصر العتبي دب الفشل في تضاعيف احشائهم وسرى الوشل في تفاريق اعضائهم فجيوب الاقطار عنهم مزروره وذيول الخذلان عليهم مجروره ومنه قول الصابي نزغ به شيطانه وامتدت في الغي أشطانه ومنه قول بديع الزمان كتابي الى الحضرة وان لم أره فقد سمعت خبره والليث وان لم القه فقد تصورت خلقه ومن رأى من السيف أثره فقد رأى أكثره ومنه قول القاضي الفاضل رحمه الله ووافينا قلعة نجم وهي نجم في سحاب وعقاب في عقاب وهامة لها الغمامة عمامه وانملة اذا خضبها ايدى الاصيل كان الهلال لها قلامه ويعجبني في هذا الباب من انشاء الشهاب محمود قوله في وصف مقدم سرية لا زال في مقاصده أخف من وطأة ضيف وفي مطالبه أخفى من زورة طيف وفي تنقله أسرع من سحابة صيف وأروع للعدا من سله سيف ومثله في الحسن قوله في صدر مثال شريف سلطاني اصدرناها والسيوف قد أنفت من الغمود ونفرت من قربها والاسنة قد ظمئت الى موارد القلوب وتشوقت الى الارتواء من قلبها والسيوف قد اضرمت الحمية للدين نار غضبها وعداها حر الاشفاق على ثغور المسلمين فاعرضت عن برد الثغور وطيب شنبها والحماة ما منهم الامن استظهر بامكان قوته وقوة امكانه والابطال ما فيهم من يسأل عن عدد العدو بل عن مكانه قلت ما أوردت كثيرا من الانشاء ههنا الالان يطيب للمتأمل تنقله من شطوط البحور الى التنزه في رياض المنثور فمن ذلك ما انشأته في تقليد مولانا المقر الاشرف المرحومي القاضوي الناصري محمد بن البارزي الشافعي بصحابة دواوين الانشاء الشريف بالممالك الاسلامية المحروسة وهو قولي وقد أوصلناه الى رتبة استحقاقه من رتب المعالي ورقيناه الى درجات الكمال علما ان الكمال ما خرج عن بيته العالي فانه المنشئ الذي ما للصاحب دخول الى ديوانه ولا لابن عبد الظاهر بلاغته وقوة سلطانه ولا للشهاب محمود ان يباهي كماله في طارفه وتليده ولا للقاضي الفاضل شرف البارزي وتمييزه ولو بالغ في كثرة شهوده ما انثرفي كمام طرسه زهره الاوأرانا ذبول زهر المنثور ولا قرع أبواب المصطلح الاوفتحت ودخل بيتها بغير دستور ولا تسنم منبرا الاأجاد بالفاظ كان مزاجها من تسنيم وقالت البلغاء الفصاحة المحمدية ما تم الاالرضا والتسليم ومنه ما أنشأته في تقليد ولده وهو مولانا المقر الاشرف الكمالي عظم الله شأنه بصحابة دواوين الانشاء الشريف بالممالك الاسلامية المحروسة وهو قولي فانه من البيت الذي وهبه الله شرف العلم ورحم منه كل ميت فقل لكل من مشايخ الاسلام ناشدتك الله هل تنكر هبة الله لهذا البيت وما خفى ان

المال فان رأى الصواب ان يخرج فالامر اليه ان شاء الله تعالى

(وله ايضا)

وصلت كتبك بما شرحته من حالك وقصصته من حديثك وقبالو غشي ذات حمل لوضعت ويوما تذهل كل مرضعة عما ارضعت وقد شاهدت نيسابور يوم غضب السلطان وتوظيفه على الديار ووجوه التجار مائتي ألف دينار كيف طارت العقول من ذلك الحديث وزاغت العيون وطاشت القلوب وحشرجت النفوس هذا ولم يتجاوز القول الى الفعل ولم يتعد الوعيد الى الايقاع فما ظنك بثلثمائة ألف دينار توجه وجوهها في ثلاثة أيام ثم تحصل عن آخرها بتمام فلم يكن عرض تلك الحال في تلك الاهوال واعمري ما انت فيما تأتي

ان امامكم الاعظم أول من راعى حقوقه و بادر الى رفع مناله وشرع فى رفع قواعده وتشييد كماله وابهم هذا الفرع الذى زكت أصوله وسقيناه ماء القرب فاثمر وقد انبته الله نباتا حسنا والنبات الحموى حسنه لا ينكر غاب نيره الاكبر فابدر بعده وهذا البدر فى كماله ما أبهاه ولجأ الى الله ثم الينا فزاده الله كمالا وعلمنا ان الكمال لله وسلكاه فى حياة والده فكان لمشيختنا الشريفة نعم المريد وأخذ عنا الادب فجاد نظمه وها هو فى البيوت البارزية بيت القصيد والكتابة دون كماله ومحاسنه تجل أن تقابل بمثال وان كان الكمال زها بحاشيته فحاشيتنا زهت بهذا الكمال وكان والده عقدا فرط فيه الزمان ولكن استدركناه فارطه وقد نظمناه فى عقد سلكنا الشريف الى أن صار به نعم الواسطه وامتدت ألسن الاقلام الى ثغور المحابر فقبلتها وانشرحت صدور الاوراق وعلق فيها عنابر سطور فحملتها وقالت لهم أقلامه اهلا بالعربيات التى ليس لها الا الايدى الجهنية غرر ومرحبا بعد النوبة بقهوة الانشاء فان شباب الزمان قد عاد وزهر المنثور قد زهر وجاء الامام الذى ان كتب تقليدا قالت البلغاء هذا الامام الذى يجب تقليده وهذا هو الخليفة على السر الشريف وأمينه ومأمونه ورشيده ان تحمس فى انشائه قال الجبان لا أقعد الجبن عن الهيجا أو استطرد الى وصف روض مرج زاد هرجا ومرجا أو ترسل غراميا فحديقة زهير عند زهر منثوره أو كتب عنا تهديدا اسال جامد الصخر ولو سمعت الجوزاء حديثه اسقطت مع الحصى عند خريره فانه المنشئ الذى ما اعتقل رمح قلمه بيمينه وهزه هزه الاقال كل منشئ دخلت اصبع قلمى من دواتى تحت رزه ولاحول من دوح أقلامه فرعا الاتساقط بين الاوراق ثمرات شهيه فلو ادركها الصاحب اقدمها وأخر الفواكه البدريه ولوناسبه الفتح اقابله المؤمنون بالقتال وكان والده قد اعترف بكماله وهذا التقليد بثبوت ذلك الاعتراف اسجال فانه لا من الذى ان تصرف فى مزررتنا الشريفة فقد ثبت ان توثيق العرا لبيته العالى آو أملى فى دواتنا الشريف كانت اماليه أمالى المحب لا أمالى التمالى ولولا خشية الاطالة لا وردت هذا التقليد الشريف بكماله لانه فى صناعة الانشاء انسيج وحده ومنه ما أنشأه عن مولانا السلطان الملك المؤيد سقى الله ثراه من غيث الرحمة جوابا عن مكاتبة الملك الناصر صاحب اليمن وهو لازال جناس مجده سعيد الحركة بين اليمن واليمن وسيفه اليمانى ليرضى بمجانسة سيف ابن ذى يزن والامة باجدها تهنأ بجنات عدن فى عدن ولا برحت صنائعه بصنعاء محبرة حتى فى سطور الطروس وأقلام الثناء سود اللمم بمدحه ولو تركت لاعتراها شيب الرؤس وتحياته المكرمة مخصوصة منا بشرف التسليم وبدور مودته سافرة فى ليالى سطورها بين بديعى التكميل والتتميم أصدرناها وشاهد المودة قد وضع رسم شهادته وكتب واثبت مقدمات الاخلاص فحكم له قاضى المحبة بالموجب وأودعناها من السلام ما نعمه رحمة الله وبركاته ومن طيب الثناء ما يتأرج بين أدراج ذلك المندل الرطب نفحاته ومن خالص المودة ما يضم به بعد حسن التخلص من طيب اعراقه حسن الختام ومن سجعات الاشواق كل مصونة ليس لها غير سواد النقس لثام وتبدى لعلمه ورود المثال العالى بطيب تلك المعادن التى ود النسيم أن يقيدها وتحتبس ولقد رافقها الا كتاب

بجازم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال سيد الشهداء يوم القيامة حمزة ابن عبد المطلب ورجل قام الى أمير جائر فامره ونهاه افتريد ان تكون سهيم حمزة فى الشهادة وقسيمه فى السيادة وانت تألم الضرب وتكره القيد وتعاف الغل وتخاف الذل وتعاشر الناس ويعجبك ان تناط بك الآمال كلا وان كنت مشفقا على نفسك فقف عند مقدارك انما ذلك لمن ودع اهله وخرج من بيته مستعدا للموت ليشرب كأسه والسيف يجر رأسه فان سلم فنادر يؤرخ حديثه وان قتل فشهيد تقسم مواريثه وانما ترك الامر بالمعروف لهذا الحروف والصواب أن لا يطلب هذا الثواب والجواب أن لا يغادر هذا الباب انما ينبغى هذا الامر

اللطيف ولكن سرق من طيب عرفها وتكلم بنفس فأكرم به مثالا أرانا خفر اللآلئ على كل
قرينة لها من حجب البلاغة ستور وخدامها من سود سطورها وبيض طروسها عنبر وكافور
ورد صحف الصفاء صقيلة فتمثل فيها وأظهر من أوراقه ثمرات المودة ونحن بيد القبول
نجتنيها وقدم من ذلك الحرم الاحمدى فكان أكرم وافد قوبل منا بالاكرام وفتح أبواب
الدخول الى السلام فسلمنا وقلنا لخواصنا ادخلوها بسلام ولقد غلنا بكاس انشائه وهو
بحضرتنا الشريفة دائر وعلمنا ان هذا الانشاء لا يصدر الا من فاضل والفاضل لا ينسب
الا الى الناصر وتغزلنا فى محاسنه بجيرة اليمن بعد تغزلنا بجيرة العلم وراعنا تحمس
بلاغته فقلنا هذا لا يصدر الا من رب سيف وقلم وود كل دوح أن يملأ طروس اوراقه
بريحان سطوره وتطفل كل روض أريض عند ورود على زهر منثوره وقالت فصاحته
وتلك البلاغة التى جاءت بسحر البيان هل يفتى لنا بصدق المحبة فقال لهما القلب قضى الامر
الذى فيه تستفتيان فهذا نفس طيب عرفنا معدن طيبه فلم نقل من أين وهذه سلافة
انشاء دارت سلطانياتها فانشأت أهل الخافقين وهذا مصر صدقت عزائمه فى العطف
والقبول بين الملكين وابطل هذا السحر الحلال ما حرم ببابل من سحر الملكين واشتمل
على نظم ونثر رأينا شعار السلطنة عليهما عيانا كأن البلاغة قالت لهما قد جعل لكما
سلطانا فياله من مثال تدرع زرد ميماته فقلنا الا طعن فيك لطاعن وتشرع طباق بديعه
فكانت على أكناف النيل من أثره مساكن وأطرب بانفاسه علمنا أنها من يراع ما برح
بالسعادة موصولا وطاف فى حضرتنا الشريفة بكاس يمانية كان مزاجها زنجبيلا
ولقد أكثر هذا المقال فى كتابه المبين من ايناس الخطاب وقضت به الوحشة أجلها
فقلنا لكل أجل كتاب وهذا الجواب أيضا ولولا خشية الاطالة لاستوعبته بكماله فان اليمن
ما دخل اليها من الديار المصرية نظيره والله أعلم * ومنه ما أنشأته عن مولانا السلطان الملك
المؤيد سقى الله ثراه جوابا عن مكاتبة وردت من صاحب تونس وهو المتوكل على الله أبو
فارس عبد العزيز رحمه الله وهو لا زالت سيوف عزائمه فى الجهاد ماضية الضرب ولا
برح جوده واقدامه متطابقين فى السلم والحرب نخصه بسلام هو لنا وللشوق برد وسلام
وسقاية وداد ماء زمزم تسنيم قبولها الا تعالى ذلك المقام وتحيات تنطق بها عند مواظبة
الخرس ألسنة الاقلام وثناء يقلد بخالص عقوده جيد الزمان ويهدى قلائد العقيان
ومحبة يقدم صدقها فى ذلك الافق الغربى ويشمس وتزيل وحشة من سلا عن غيرها
فى المغرب وتونس (منها) واستطردت مفاوضتكم الى الوصية بحجاج المغرب فبادرنا الى
قبول ذلك فان هذا قد تبرك من النجب السائرة به بالمبارك وقد اعددناه مصحوبا بالسلامة
وحداته تطرب بنغمة الحجاز به وتهيم اشتياقا عند تشبيبها بذكر الطلعة المتوكلية واعدنا
جواب ذلك على يد رسولكم الذى لم يقابل منا بغير القبول ليكون خالص ودنا مستمسكا
بالكتاب والرسول * ومنه ما كتبته جوابا عن مكاتبة وردت من الجناب العالى الناصرى
محمد بن أبى يزيد بن عثمان وهو لا زالت تحياته مخصوصة منا بشرف التسليم وسيره العثمانى
محفوظا فى بيعة المودة بالتقديم وشعراء الاخلاص فى كل بيت من معانى محبته تهيم وفروض

لمن يصاب الجرو يولى الرمح
عرضا ويقول وجهات
اليك رب لترضى ما أعرف
مقاما أخلق بالعثار واقرب
من الثار والتراب المثار
من المقام الذى يقومه فى
المرام الذى يرومه ولا يغرنك
منشور الخليفة وذكر
المسلمين فى الصحيفة ان
كتاب الله حرم ذلك المنشور
وليس بين الاخماس والعشور
الا تقوية يد الآمر بالمعروف
واغاثة الملهوف وقد نبذوه
وراء ظهورهم واشتروا به
ثمنا قليلا وان كنت تريد
صلاح دنياك فانا أعبر رؤياك
ان الآمر بالمعروف اذا قصد
جاها بعرض اوما لا يكثر
اوصيتا يبعد وقتل دون
امره حبط عمله وخاب امله
وان أراد الآخرة وشاب
بها شيأ مما عددت ونبذا مما
ذكرت كتب فى المشركين
وانا انشدك الله فى نفسك
انها عليك عزيزة واليك
حبيبة وفى مالك انك اخرجته
من لهوات الاسود وجمعته

الجهاد بسيوفه المسنونة فى كل وقت تقام وبلاده الاسلامية محروسة بالجناب المحمدى
عليه السلام وهمزات عوامله بصدور الكفار موصولة وألسن سيوفه بثغور بلادهم من
رشف أرياق دمائهم مبلولة ولا برح يجاهد فى سبيل الله برا ويتخذ فى البحر سبيله فانه من
الذى علا بمحمد مقامه وانسجم بالخلف العثمانى نظامه واقتدى بمشيختنا المؤيدية
والنجم فى هذا الاقتداء له شريك وساعدته توريه السعادة لما تمسك بقول من قال ولابد
من شيخ يريك ولم يبق بعد الاقتداء بهذه المشيخة الا الفتوحات المقبولة والمشاركة فى
القبول على ما يرضى الله ورسوله صدرت هذه المفاوضة الى الجناب المحمدى تتأرج
بطيب السلام عليه وتنسم نسمات القبول من أخبارها الطيبة ما تنقله اليه وجعلناها
ثناء أطلقنا عنان كميت القلم وهو غرة فى جبهته وتوجهت رؤس الاقلام قبل ركوعها
الى قبلته (ومن الانشاء الملوكى ما أطلق به فصيح القلم لسانه وخضر الشباب على عوارض
نفسه ومحاسن صفحاته وقال الفاضل الناصر هذا الانشاء الذى ما خرس لسان قلمه
ولا شابت لمة دواته) ونبدى لعلمه الكريم ورود ما أهداه من ثمرات المودة يانعا فى أوراقه
مختالا فى شعار الاخلاص فعلمنا انه عنوان لعهده وميثاقه وقد اتحف من نبات الايناس
ما غرس باكناف النيل فحلا نباته ودنت قطوف انسه وظهر فى فروع المحبة ثمراته
فقطفنا زهر المنثور من رياضه عند الورود وتغزلنا فى رقم سطوره على بياض طروسه بين
العوارض والخدود وطالعنا مجموع محاسنه الذى لم ينس وعلمنا انه للملوك تذكرة
وتبصرنا فيما أدهش من حكمه فرأينا المدهش فى التبصرة وقلنا هذه لمعة لو أدركها
السراج لقصر لسانه وقال سراج الملوك حرمته قوية أو القاضى السعيد لقال ما سناء
الملك بجنة عند هذه الانوار المحمدية (منها) وقد تيقظت عيون عزمنا الشريف للجهاد
وعن قريب تهجر مقل السيوف أجفانها وتجرد لقتال المشركين وقد تمكنى لها النصر بايه
فايد سلطانها واذا قدحت سيوف الدولتين فى عباب البحر على الكفار نارا تلا لسان
النصر لا تذر على الارض من الكافرين ديارا (ومن انشاء الفاضل عن الناصر هنا ما يحسن
ان يشنف به سمعه الكريم فانه عن أبى الفتوحات الذى مشى على هذا الصراط المستقيم)
وهو اذا كان الله قد أعطانا البلاد وهى آلة المقيم الراتب وأعطاهم المراكب وهى آلة
الظاعن الهارب فقد علمنا لمن عقبى الدار ومن سنة الله تعالى انتقال قوم نوح من الماء الى
النار فالجناب يوطن نفسه على حسن المآل فى الحالين ويعلم انه من المكرمين فى الدارين
وقد تلمظت ألسن سيوفنا شوقا لحلاوة نصره وتحركت عيدان رماحنا طربا عند سماع ذكره
وفضت جوارح سهامنا ريش اجنحتها لاقتناص تلك الغربان وهامت فرساننا المؤيدية
الى منازل الاحباب لتريه من اعدائه مقاتل الفرسان فانه المجاهد الذى حظ بنى الاصفر
فى البحر الازرق من بيض سيوفه اسود وكم أذاقهم الموت الاحمر وكمال التدبير يقول
أهلا بعيش أخضر يتجدد وتتولد نصرتنا عنده برفع راية الفرح فى كل وقت عليه مبارك
ويتأيد بعز نصرنا المؤيدى حتى يقول له لسان الحال أعز الله انصارك فتقديمه العثمانى
من جهة الاستحقاق قد ثبت عندنا وتقرر وهو اليوم امام المجاهدين الذى ماصات سيوفه

على الايام البيض والليالى
السود ان تعرضه للتفريق
وفى اطفالك ان تدعهم على
قارعة الطريق ودار
سلطانك واقسم حيطانك
واعرف زمانك واقطع
لسانك انه سبع بين فكيك
فاحذر ان ينم عليك فاما
شكرك للشيخ الامام
فشكرا المجاوره مجاورة
النار للعود وملابسه
ملابسة الوجود للجود
ومقارنه مقارنة الوفاء للعهود
ومخالطه مخالطة الخدود
للاصداغ السود ومعاشره
معاشرة البدر للسعود
وانا اجاهد نفسى فاستنزلها
عن لجاجها اجابة لك
وان كانت حضرته اجلها
الله واما شكرك لفلان
فشكر فضول انه ليس من
الدنيا وما يتعاطاه اهلها فى

فى محراب القتال الاقال مرقى النصر الله أكبر والله يجريه على أجل العوائد من هذا النصر ليصير الكافرون فى زلزلة من قارعة سيوفه بهذا العصر (ومنه) ما كتبته جوابا عن مولانا السلطان الملك المؤيد سقى الله عهده عن مثال كريم ورد من قرا يوسف صاحب العراقين وهو أعز الله أنصار المقر الكريم العالى الجمالى اليوسفى لا زالت زوراء العراق فى أيامه القوية مستقيمة الجانبين وحلتها الفيحاء عالية المنار وشمل الدين بها مجتمعا فى الجامعين وعراق العرب والعجم بارزين من محاسنه اليوسفية فى حلتين فلامية العرب تقول

ولولا اجتناب الذم لم يلف مشرب * يعاش به الالدى وما كل

ولامية العجم تقول *

حلو الفكاهة مر الجد قد مزجت * بشدة الباس منه رقة الغزل

فاكرم بهما الامين دارا على وجنات الطروس لكمال المحاسن اليوسفية وفضت لها الميمات أفواه الشكر لانها من الاحرف المؤيدية أصدرناها الى المقر وساجعها تغرد بالثناء بين أوراقها والسن الاقلام قد أودعت صدور طروسها سر أشواقنا عند انطلاقها فانها الصدور التى تعرب من نفثاتها عن ضمائر الاشواق واذا أطلقت من فض الختم خفقت اجنحتها بذلك الثناء على الاطلاق ونبدى لكريم علمه ورود البشير بالقرب اليوسفى وقد حل بالاسماع قبل رؤيته تشنف وهبت نسمات قبوله فاطفأت ما فى القلوب من التلهف وضاع نشرها اليوسفى فقال شوقنا اليعقوبى الى لاجد ريح يوسف وتاملنا كريم مثاله فوجدناه قد مد اطناب المحبة وخيم على معانى المودة وحام عليه صادى الاشواق فوجده منها قدا عذب الله فى مناهل الصفاء ورده وأومض البرق فى الظلمات من رقم سطوره فاشككنا انه نظم برده فهو مثال يوسفى ولكن ظهر السر الداودى من فصل خطابه وصدقنا رسوله لما جاءنا بكريم كتابه والتفتت من كاس سطوره آرام الايناس فاقتنصنا منها ما هو عن العين شارد والفت القلوب على الولاء فضربت الاعداء من جماد الجسد فى حديد بارد وامست الدجلة والنيل لامتزاجهما بسلاف المحبة كالماء الراكد وهذه الفة خولتنا فى نعم الله وزمام الاخوة منقاد الينا وقد تعين على المقر ان يقول أنا يوسف وهذا أخى قد من الله علينا ومرتنا الاشارة الكريمة بالتمكين من أرض الاعداء ومطابقة الطول بالعرض وعلمنا ان هذا الاسم الكريم قد شملته العناية قديما بقوله تعالى وكذلك مكنا ليوسف فى الارض وأما قراعثمان فقل سيوفنا ما غمضت عنه فى اجفانها وأنامل أسنتنا ماذكرت نوبته الاشرعت فى جس عيدانها وجوارح سهامنا ما برحت تنفض ريش اجنحتها للطيران اليه وان كان معنى سافلا فلابد لاجل الغرض اليوسفى ان نخيم عليه وننزل سلطان قهرنا بارضه ونغرس فيها عوامل المران وان كانت من الاسماء التى ما أنزل الله بها من سلطان ولم يهمل الا الاشتغال الدولتين بالدخول فى تطهير الارض من الخوارج وايقاع الضرب الداخل بعد جس العيدان فى كل خارج وقد آن سلة لئلا يكون بين المحب والمحبوب رقيبا ولا بد أن يجانسه العكس ويرى ذلك قريبا ويدهمه من أبى النصر ابناء حرب شرف فى انساب

شئ وانما يقوم لله ويقعد لله ومايكاد مثله يصنع بكتاب مثلى وان ابيت الاذالك لم أرض الا ارضاك وأما فلان فما يخفى عنى فضله والخبر الذى هو أهله وان لم يحظ بعضنا من بعض بعشرة ولم يجر رسمى بمفاتحة وقليل فى الواجب ان ابلغ مرادك فانتظر فى الجملة كتبى فانها تصل عن قريب ورأيك فى معرفة ما كتبته والمواظبة على العادة التى احدثتها منك وقراءة السلام على الاخوان موفقا ان شاء الله تعالى

(وله أيضا)

سيدى وجدت قلبا فارعا فتمكنت ومعقلا من صدرى فتحصنت فكيف ازعجك وقلبى حصارك ام كيف أغالبك وكلى انصارك

الوقائع جدهم وورد الجوع الصحيحة الى التكسير فردهم واذا كثرت الحدود وتوردت بالدماء غردت بورق الحديد الاخضر مردهم واذا امتدوا الى امد تلا لهم حصنهم سورة الفتح قبل القتال فانهم مريدون ولهم شيخ منحه الله بكثرة الفتوح والاقبال واذا صرفوا الهمم المؤيدية لم تمكن لهم حصونهم عند ذلك الصرف مانعة ولم يسمع لسا كنها مجادلة اذا صدموا بالحديد وذات تلك الحصون الواقعة وان كانت المنايا غابت عنه مدة كلمة السنتسيوفهم وقالت حصرت واذا طرق بروجه منهم طارق رأى سماء تلك البروج قد انفطرت وما خفى عن كريم علمه ماجمعه الناصر من الجموع التى مزقها الله أيدى سبا وكم سائل سأل وقد رآهم فى النازعات عن ذلك النبا وقد أشار بعض شعراء دولتنا الشريفة الى ذلك بقصيد كامل بحرها مديد ولكن القصد هنا من أبيات تلك القصيد

يا حامى الحرمين والاقصى ومن * لولاه لم يسمر بمكة سامر
والله ان الله نحولك ناظر * هذا ومافى العالمين مناظر
فرج على اللجون نظم عسكرا * وأطاعه فى النظم بحر وافر
فانبت منه زحافه فى وقعة * يامن باحوال الوقائع شاعر
وجميع هاتيك البغاة باسرهم * دارت عليهم من سطاك دوائر
وعلى ظهور الخيل ماتوا خيفة * فكان هاتيك السروج مقابر

وما خفى عن علمه الكريم أمر الذين نقضوا بيعتنا بعد الناصر فاشتروا الضلالة بالهدى ودعوا سيوفهم الصقيلة لما حاق بهم المكر السىء فأجابهم الصدا ولم يكن لحرارة عزمنا الشريف عند عصيانهم البارد فترة حتى أظهرنا تلون الشام من دمائهم على تدبيج الدروع ألوان النصره وأخذوا سريعا شبان حرب ماشابت عوارضهم الا بغبار الوقائع وحكم برشدهم ولم يخرجوا من تحت حجر المقامع وقد أسبغ الله ظلال الملك وخيم به على الدولتين ولم يظهر لخراب بهجة الا بهاتين القبيلتين ولو صلت السيوف لغيرهما ما قبلت أو صرفت العوامل للاعراب عن سواهما ما عملت وقد نهمنا كريم الالتفات الى ان تدار كؤس الانشاء بيننا ممزوجة بصافى المودة وعلمنا انها أحكام صحيحة فى شرع الاخوة وهذه الاحكام عندنا معمدة وتالله لقد سابق القصد الموسقى بسهام مراده الى الغرض وقضى حاجة فى نفس يعقوب ليس عنها عوض ولم يبق الا اتصال شمل الاوصال بكل رسالة سطور الاخوة فى رقاعها محققة وتصديق ما يقصه فى الجواب فان القصة اليوسفية ما برحت مصدقة والله تعالى يمتع الاسماع والابصار بشاء شدة أمثلته وطيب أخباره ويفكهنا من بين أوراقها بشهى ثماره (ومما) انشأته بالديار المصرية وحصل اجماع الامة على انه من الافراد تقليد مولانا قاضى القضاة جلال الدين شيخ الاسلام البلقينى نور الله ضريحه بعد عزل الهروى ويوم قراءته بالجامع المؤيدى أرخه المؤرخون وذكروا أنه لم يتفق بملك مصر يوم نظيره وهو الحمد لله الذى أبان فضل العرب على العجم فى الكتاب والسنة وأظهر جلال سراجهم المنير فاوضح بحسن تدبيره طريق الجنة وأزال ظلم الجهل بنور هذا الجلال فله الحمد على هذه المنة ونشكر حمده على نصرة أصحاب

ومادمنا ظماء وكنت لنا ماء فمن نشربك فارفق شا لاقربنا يخاف ولاوردنا بعاف والسلام

وله الى ابى الوفاء صاحب ديوان بست

لو يجعل راسبنا رأسالما زدته ودا ولو حال بينى وبينه سور الاعراف ما نقصته حبا ولقد اختلفت على مواصلته حتى ظننت ان القضاء يكابر واردت زيارته بالامس ثم وقع من الاضطراب ما ثنى العزم فان نشط الى هذه الليلة عرفنى مستقره لاحضر ان شاء الله تعالى والسلام

(وله الى الفقيه أبى سعيد)

وصلت رقعة الفقيه ولولا وده وأنا استبقيه لشمت العام والخاص وذكرت العاص والماص ولتجاوزت دار لرجال الى حجرة العيال

الشافعي وعود جيرته الى منازلها العاليــة ونشكره على نيل الغرض بسهام ابن ادريس فى جهل أحكام القضاء أمست عليه قاضية ونشهد ان لا اله الا الله وحـده لا شريك له شهادة نستعين بحسن ادائها على القضاء والقــدر ونشهد ان محمدا عبـده ورسوله الذى من قابل شريعته المطهرة بدنس الجهل فقد كفر صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه الذين أزالوا بفصاحتهم العربيــة كل عجمه وتميزوا على العجم بقوله تعالى انا جعلناه قرآنا عربيا وهـذا التمييز نصبه مرفوع على كل أمه صلاة نسن بها سيوف السنة على من تسربل ببدوع ضلاله ونقيم حدودها على من بدل حديث النبى صلى الله عليه وسلم وجهل أسماء رجاله وسلم تسليما كثيرا أما بعد فالهناء بنصرة هذا الدين القيم بين هذه الامة مشترك وكيف لا وقد ظهر جلاله مقمرا وأنشدوا

يا ليل طل أولا تطل * فليس نرعى قمرك

وقد حـلا مكر را لحمد بنشر الاعلام المؤيد به على ائمتنا الاعـلام وحلت أيضا مواقع التورية بنصرة شيخ الاسلام فهو الليث الذى كان لظما العلماء الى امامهم نعم الغوث والغيث حتى تأيد وا بجؤيدهم وأعز الله انصارهم بالشافعى والليث تجنباه عن غيوم العزل وقلنا وقد ساعدنا رأينا الشريف فى اظهاره

اصالة الرأى صانتنى عن الخطل * وحلية الفضل زانتنى لدى العطل

و ولى غيره فانشد كل عالم أظلم ضوء نهاره

ما كنت اوثر ان يمتد بى زمنى * حتى أرى دولة الانذال والسفل

واعتلت كتب العلم فقالت وعيون سطورها باكية

لعل الحمامة بالجذع ثانية * يدب منها نسيم البرء فى عللى

وأنشد لسان حال شيخ الاسلام وقطوف قربه دانية

تقدمتنى رجال كان شوطهم * وراء خطوى لو أمشى على مهل

وأشار الينا وقال وخواطرنا الشريفة باشارته راضيه

اعلاء يد افضلى ونقصهم * لعينه نام عنهم أو تنبه لى

فتنبهنا له وقلنا الضده وقد اهبطناه من تلك الرتبة العالية

فان جنحت اليه فاتخذ نفقا * فى الارض أو سلما فى الجو فاعتزل

وكيف يطلب من نار خامدة هدى أو يجعل السراب ماء * واذا دعونا الرى جاوبنا الصدى * ويابى الله أن يطابق سحبان باقل أو يجارى فارس العلم براجل

ومن يقل للمسك أين الشذى * كذبه فى الحال من شما

وتالله لقد زادنا تحجبـه فى غيوم العزل علما بعلو مقـداره وكان عزلا أظلمت بسببه الدنيا الى أن من الله على المسلمين بابداره وقالت الامة ذلك ما كنا نبغى واستوفى كل عالم شروط المحبة واستوعب وعلمنا ان الحكم العدل حكم بتقديم هذا الامام بالموجب انلنا وظيفته غـيره فزلزلت الارض زلزالها وقلنا يخف عـلى قلبنا فاخرجت الارض أثقالها وأظهرنا جـلال العرب فاطلقوا أعنـة بلاغتهم فى ميادين الفصاحه وما أحقهـم هنا بقول

ما هذه الاسجاع التى كتبها والفصاحـة التى عرضها بكر وتالم الطلق أعـلى رأمى يتعلم الحلق أم لم يجد غيرى يجرب سـيفه عليه اعلمه الرواية كل يوم فلما قال قافية هجانى

وكتب الى رئيس بلخ وعميدها محمد بن ظهير

كتابى وللشيخ الرئيس رسم فى الراسيات مخول وله فى الفضل آخر وأول ولا يحاوله طرف من شرف ومن انتهت الى المجد حدوده وعطست بانف شامخ جدوده ونبت فى مغرس الفضـل عوده وقف الثناء على متصرفاته وأقام عليــه بعـد وفاته ومازالت جفنته تدور على الضيف فى الشتاء والصيف حتى عبرت بحسان فارتهنت منـه اللسان وحبر فيهـم

الفاضل وتناجدت اهل نجد فكل صاح ياصباحه وعلمنا ان هذا فضل وفل به ابناء العرب فى حلل التقديم وان الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم وامتلأ صحن جامع القلعة بحلاوة هذه البشرى وهلل مؤذنوه وذكروا طلعته الجلالية فكبروا وأنشدوا

لو ان مشتاقا تكلف فوق ما * فى وسعه لسعى اليك المنبر

وازهرت هذه البشرى فى ربيع ولكنه ربيع الابرار الذى نزه الله روحه وريحانه عن كل غمام وصان فيه المسلمين ممن يأكل أموال الناس بالباطل ويدلى بها الى الحكام ونشر الله اعلام كتب العلم وزاد الله بالسيف المؤيدى اسعافها وكانت ستور الجهل قد اسبلت على التفاسير فاظهر السر للا كشافها أما القرا آت فهى فى قرى شيخ الاسلام وفضله فيها عاصم من الجهل ونافع وأما الحديث فهو مجلى مبهماته بنور جلاله الساطع وأما العربية فقد ظهر بعد وعر العجم تسهيلها وشرحت بيوت العرب لشواهدها وأكرم نزيلها وأما المعانى فقد أظهر الله بيانها وجليت بها عروس الافراح واهتدينا بنور جلالها ففتحت لنا أبوابها بغير مفتاح وأما المنطق فقدمات منطقه العذب أرتنا نتائجه يقينا وأما العقليات فما رأينا من ناظره فيها فى هذه المدة عقلا ولولا الحياء لقلنا ولا دينا وهاهو قد نبه الفقه من سنة الغفلة بعدما أمرض الجهل عيونه وأرمد والحاوى أظهر ما حواه من العلم بعدما كان هلك أسى وتجلد والروضة أزهرت فى حدائق هذه المسرة بين أوراقها فاينعت ومدت الشافعية أصول دوحتها فتفرعت وظهرت رفعة الرافعى فى افق كماله ونور الله ضريح الشافعى بنور سراجه وبهجة جلاله (ولما كان) الجناب الكريم الجلالى هو الذى ناظرنا بالغير فقال نور الشريعة وهو أشهر من نار على علم

وما انتفاع أخى الدنيا بناظره * اذا استوت عنده الانوار والظلم

فعلمنا انه حجة الشافعى الذى منه الاستقصاء واليه منتهى السؤال وما أبدر فى أفق درس الا أزال ظلم الشك بأنواره واسفر ابداره عن التتمة والاكمال وهو ابو العلماء الذى ولدمن الام افراحهم وابو المهمات الذى شهر من العدة الكاملة فى ميدان الفرسان سلاحهم واليه انتهت الغاية فانه مابرح يأتينا فى وجيز تقريبه بالعجاب ويغنينا عن موضح القشيرى فانه يغذينا فى ابانته باللباب اقتضت آراؤنا الشريفة ان نعيده الى منازل شرفه بعد التعجب وهاهو قد ظهر ويتسلسل فى أيامنا الشريفة عند الرواة حديث ابن عمر فلذلك رسم بالامر الشريف العالى المولوى السلطانى الملكى المؤيدى السيفى لازالت الشافعية فى أيامه الشريفة بجلالهم فى ترشيح بهجة وابتهاج وثبت الله القواعد وأقامها فى ملكه على التحرير ومشى الرعية فيها على أوضح منهاج ان تفوض الى الجناب المشار اليه وظيفة كذا وكذا وقد وقع التقوية فى الفروق بينه وبين الغير عند أهل التبصرة والهداية وهو نهاية المطالب وعيون المسائل وتاج رؤسها والمذهب الذى تهذيبه فى أدب القاضى كفاية وهو البحر الذى ما دخلنا بسطه المبسوط الا قالت التورية انه فى البسيط كامل ولانظرنا الى حلته الجلالية الا غنينا عن المصباح بنوره الشامل وقد ميزناه على مناظريه لما أقر واله بالتعجيز وقرت عيون ابن البارزى نور الله ضريحه بهذا التمييز والغيناذ كر علوم يجل قدره عن نسبتها اليه ولكن

القصائد الحسان فهذا الزمان يخلق وهى جديدة وتلك العظام تبلى فى الثرى وهذه المحاسن تبقى بين الورى وحق على الله ان لايخلى كرمامن لسان يبث احدوثته وما اثبت دولة الشيخ الرئيس برمى فى هذه القوس وقد خطب القاضى ولسانه مقراض الخفاجى يضعه حيث يشاء ويجرلا تكدره الدلاء وصدر كانه الدهناء وقلب كانه الارض والسماء وشرف دونه الجوزاء وحوله الخلفاء وخاصه العوام ل والقصور والسفاح والمنصور فما ظن الشيخ بثناء يصدر عن هذه الجملة وقد حضر هراة فسر انها وآنس سكانها وملأ ها شكر الله وثناء عليه ثم رحل عنها يسلبها جمالا

ثغور وسيناتها تبسم عند ذكره وافواه مهماتها تكثر الثناء عليه فليتاق ذلك فانه العزيز عندنا والمنتقى لهذا التشريف الذى هو ديباجة رقه واذا ذكرنا الاصول فاصوله محفوظة وهو المعتمد عليه فى التمهيد والمستصفى بديع علمه ولو عاش ابن الحاجب ما تغزل فى رفع حاجبه وخفض له جانبه وعلم ان جلا لنا عن الاسلام فلم نرفع على العين حاجبه والوصايا كثيرة ولكن جواهر ذخائرنا تلتقط من املائه وأماليه وهو جامع مختصراتها ومظهر زوائدها ببيانه ومعانيه لازال حديث فضله يتسلسل مع الرواة ويسند ولا برح أجل من أوضح الرسالة فى مسند محمد وأحمد (ورسم) لى فى الايام الشريفة المؤيدية سنة تسع عشرة وثمانمائة أن أنشئ رسالة بوفاء النيل المبارك لم أسبق اليها ولا حام طائر فكر عليها وأحضر مولانا المقر الاشرف القاضوى الناصرى محمد بن البارزى الجهنى الشافعى صاحب دواوين الانشاء الشريف بالممالك الاسلامية تغمده الله بالرحمة والرضوان قطعة من انشاء القاضى الفاضل بوفاء النيل وقرئت على المسامع الشريفة المؤيدية وحذرت من التعرض الى شئ من ألفاظها ومعانيها فانشأت رسالة حكم لابى بكر بها على كل فاضل بالتقديم وان كان لسان القلم قد طال فانا أقطعه ههنا تأدبا مع عبد الرحيم وقد وصلنا ههنا شمل القطعتين لينفكه المتأمل فى جنى الجنتين ويتنزه نظره فى حدائق الروضتين ويطرب لسجع حمام الدوحتين (قال القاضى الفاضل) نعم الله سبحانه وتعالى من اصوبها نزوعا واضفاها سبوغا واصفاها ينبوعا واسناها نفوعا وامدها بحر مواهب وأضمنها احسن عواقب النعمة بالنيل المصرى الذى يبسط الآمال ويقبضها مده وجزره ويربى النبات بحره ويجرى على سواد الارض بفضته البيضا ويهنأ بيده الخضيبة نقب الجرب من الجدب ويحيى مطلعه أنواع الحيوان ويجنى ثمرات الارض صنوان وغير صنوان وينشر مطوى حريرها وينشر مواتها ويوضح معنى قوله تعالى وبارك فيها وقدر فيها أقواتها وكان وفاء النيل المبارك فى تاريخ كذا وكذا فاسفر وجه الارض وان كان قد تنقب وأمن يوم بشراه من كان خائفا يترقب فرأينا الابانة عن لطائف الله سبحانه وتعالى وقد حققت الظنون ووفت بالرزق المضمون ان فى ذلك لآيات لقوم يؤمنون وقد أعلمناك لتوفى حقه من الاذاعه وتبعده من الاضاعه وتتصرف فيه على مايصرفك من الطاعه وتشهر ما أورده البشير من البشرى باباته وعده بايصال رسمه اليه على عادته (فقلت بعد الفاضل) ونبدى لعلمه ظهور آية النيل المبارك الذى عاملنا الله فيه بالحسنى وزيادة وأجرانا فى طرق الوفاء على أجمل عاده وحلق أصابعه ليزيل الابهام فاعلن المسلمون بالشهاده كسر بمسرى فاصبح كل قلب بهذا الكسر مجبورا واتبعناه بنوروز ومابرح هذا الاسم بالسعد المؤيدى مكسورا دفقنا السودان فالراية البيضاء من كل قلع عليه وقبل ثغور الاسلام وأرشفها ريقه الحلو فمالت باعطاف غصونها اليه وشبب خريره فى الصعيد بالقصب ومد سبائكه الذهبية الى جزيرة الذهب فضرب الناصرية واتصل بام دينار وقلنا انه صبغ بقوة لماجاء وعليه الاحرار وأطال الله عمر زيادته فتردد الناس على الآثار وعمته البركة فاجرى سواقى مكة الى ان غدت جنة تجرى

الامالى فى اهامن ثناء على الرئيس خلفه فيها وله فى التمسك بالعادة التى انتجت هذه السعادة والشيمة التى اثمرت هذه الاثنية الكريمة رأيه الموفق ان شاء الله تعالى

(وله ايضا)

شاهدت من طلعة الشيخ دارة القمر وجنيت من حديثه طيب الثمر وانتهى الى من اخلاقه مؤنس الخبر واقتصر الزمان منه على هذا المقدار ومنع له تلك الاسفار ومصائب قوم فوائد آخرين ومضى فقضى حجه المبرور ورجع فعاود منزله المعمور وعدت عوادى هذه المحن عن ان أزوره مهنئا أو آتيه معتذرا وكان شئ الى شئ فانعقدت بخجلة سدت الباب

من تحتها الانهار وحصن مشتهى الروضة فى صدره وحنى عليه حنو المرضعات على الفطيم

وأرشفه على ظما زلالا * الذمن المدامة للنديم

وراق صديد بحر لما انتظمت عليه تلك الابيات وسقى الارض سلافته الخمرية فخدمته بحلو النبات وأدخله الى جنات النخيل والاعناب فالق النوى والحب فارضع جنين النبت وأحيى لها امهات العصف والاب وصالحته صفوف الموز فختمها بخواتيمه العقيقيه ولبس الورد تشريفه وقال أرجوان تكون شوكتى فى أيامه قوية ونسى الزهرى بحلاوة لقائه مرارة النوى وهامت به الشقراء فارخت ضفائر فروعها عليه من شدة الهوا واستوفت الاشجار ما كان لها فى ذمة الرى من الديون ومازج الحوامض بحلاوته فهام الناس بالسكر والليمون وانجذب اليه الكباد وامتد ولكن قوى قوسه لما حظى منه بنصيب سهم لا يرد ولبس شربوش الاترج وترفع الى ان لبس بعده التاج وفتح منشور الارض لعلامته بسعة الرزق وقد نفذ أمره وراج فتناول معالم الشنبر وعلم باقلامه اوراق محبوس كل سد بالافراج وسرح بطائق السفن فخفقت بخلاق بشائره وأشار باصابعه الى قتل المحل فبادر الخصب الى امتثال أوامره وحظى بالمعشوق وبلغ من كل أمنية مناه فلا سكن على البحر الانحر لتسا كنه للمطالعة بعدما تفقه واتقن باب المياه ومد شفاه أمواجه الى تقبيل فم الخور وزاد بسرعته فاستحلى المصريون زائده على الفور ونزل بركة الحبش فدخل التكرور تحت طاعته وحمل على الجهات البحرية فكسر المنصورة وعلا على الطويلة بشهامته وأظهر فى مسجد الخضر عين الحياة فاقر الله عينه وصار أهل دمياط فى برزخ بين المالح وبينه وطلب المالح رده بالصدر وطعن فى حلاوة شمائله فاشعر الا وقد ركب عليه ونزل فى ساحله وأمست واوات دوائره على وجنات الارض عاطفه وثقلت اردافه على خصور الجوارى فاضطربت كالخائفة ومال اليه باسق النخل فلثم طلعه وقبل سوالفه وأمشت سود السفن كالحسنات فى جرة وجنانه وكلما ازداد زاد الله فى حسناته فلا فقير سد الا وحصل له من فيض نعمائه الفتوح ولا ميت خليج الا عاش به ودبت فيه الروح ولكنه اجرت عيونه على الناس بزيادة وترفع فقال له المقياس عندى قبالة كل عين اصبع فنشر النيل اعلام قلوعه وحمل وله من ذلك الخرير زمجره ورام ان يهجم على عير بلاده فبادر اليه عزمنا المؤيدى وكسره وقد آثرنا المقر بهذه البشرى التى عم فضلها برا وبحرا وحدثناه عن البحر ولا حرج وشرحنا له حالا وصدرا ليأخذ حظه من هذه البشرى البحرية بالزيادة الوافرة وينشق من طيبها نشرا فقد حملت له من طيبات ذلك النسيم انفاسا عاطره والله تعالى يوصل بشائرنا الشريفة لسمعه الكريم ليصير بها فى كل وقت مشنفا ولا برح من نيلنا المبارك وانعامنا الشريف على كلا الحالين فى وفا (ومما انفردت بانشائه رسالة السكين) فان الشيخ جمال الدين بن نباتة سبق الى رسالة السيف والقلم وتقدمه أبو طاهر اسمعيل بن عبد الرزاق الاصفهانى الى رسالة القوس وكتاب الانشاء لا بد لهم من سكين فقلت وبنهى

ونوا الى ربعى السعادة فنوفحت بهذا الكتاب واعتقدت بالقاضى وعقدته جسرا الى رضاه ووجدته من مولاه الشيخ بحيث يطاع الشفاعة ولا يدخر السمع والطاعة فان كان لهذا الكتاب موقع فما يتلوه عريض طويل وان لم يكن له موقع فالتطويل ثقيل وشدما اقتنص الشيخ جملة هذا القاضى فما ينتمى الا اليه ولا يرفرف الا عليه ولا يطمئن الا لديه ولا يرى الشرف الا من يديه ولا الحماية الا من حواليه امتع الله بعضهما ببعض وزادهما من كل خير ان شاء الله تعالى

وصول السكين التى قطع المساولة بها اوصال الجفاء وأضافها الى الادوية فحصل بها البر
والشفاء وتالله ماغابت الاوصلت الاقلام من تعثرها الى الجفاء زرقاء كم ظهر للبيض منها
الوان خرساء ومن العجائب انها لسان كل عنوان ماشاهدها موسى الاحمد فى محراب
النصاب وذلك بعد ان خضعت له الروس والرقاب كم أيقظت طرف القلم بعد ماغط
وعلى الحقيقة مارؤى مثلها قط وكم وجد بها الصاحب فى المضائق نفعا وحكم بحسن
صحبتها قطعا ماضية العزم قاطعة السن فيها حدة الشباب من وجهين لانها بالشباب
والنصاب معلمة الطرفين واغلة صبح تقمصت بسواد الدجى فعوذتها بالضحى والليل اذا
سجى ولسان برق امتد فى ظلمات الليل فتنكرت اشعة الانجم وماعرف منها سهيل
هذا وتقطيعها موزون اذلم يتجاوز فى عروض ضربها الحد ومعلوم ان السيف والرمح
لم يعرفا غير الجزر والمد من اجل ذا تدخل فى مضائق ليس للسيف فيها قط مدخل وكما
تفعله تؤجزه والرمح فى تعقيده مطوّل ان جمعت جفنها كانت أمضى من الطيف وكم لها
من خاصة جازت بها الحد على السيف تنسى حلاوة العسال فلا يظهر لطوله طائل وتغنى
عن آلة الحرب بايقاع ضربها الداخل ان مرت بشكلها الحلى تركت المعادن عاطلة ولم
يسمع الحديد فى هذه الواقعة مجادلة شهد الرمح بعد التيه انها أقرب منه الى الصواب وحكم
لها بصحة ذلك قبل ان تستكمل النصاب ماطال فى رأس القلم شعرة الاسرحتها باحسان
ولا طالعت كتابا الأزالت غلطه بالكشط من رأس اللسان تعقد عليها الخناصر لانها
عدة وعدة وتالله ماوقعت فى قبضة الأطالت لسانها وتكلمت بحده ان ادخلت الى
القراب كانت قد سبكت على الدخول أوأبرزت من غمده كان على طلعتها قبول
تطرف باشعتها الباهرة عين الشمس وباقامتها الحد حافظت الإقلام على مواظبة الخمس
وكم لها من عجائب صار بها جدول السيف فى بحر غمده كالغريق ولو سمع بها قبل ضربه
ماحل التطريق فلو عارضها أبوطاهر لرجع من قوسه الاذنين وقال له جددت رسالتك
ياذا القرنين فان جذبت الى مقاومتها وكان لك يد تعتمد وصلت السكين الى العظم
وصار عليك قطع وانتهى أمرك الى هذا الحد وهل تعاند السكين صورة ليس لها من
تركيب النظم الاماجات ظهورها أوالحوايا أوما اختلط بعظم ولولحها الفاضل لحقق
قوله ان خاطر سكينه كل أوأدركها ابن نباتة ماأقر برسالة السيف وقل وقال القلم رسالته
أطلق لسانك بشكر مواليك وأخلص الطاعة لباريك وماقصد المملوك الايجاز فى رسالة
السكين ونظمها الالتكون مختصرة كحجمها لازالت صدقات مهديها تتحف بما يذبح نحر
فقرى وتأتى بما يشفى وايهام التورية بقول ويبرى (قلت) الذى أوردته ههنا من انشائى
وانشاء الغير كان من الواجب لان الباب الذى تحتم على شرحه وبيانه وايضاحه باب
التسجيع وهو عبارة عن علم الانشاء وقد تقدم تقرير السجع وأقسامه وعلم انها أربعة
أقسام وهى المطرف والموازى والمشطر والمرصع وذكرت فيه الفوائد التى منها
أحكام الفواصل وأوردت المباحث فى الانشاء الذى فيه نظر بالنسبة الى الحالة التى هى
المطلوب وأوردت من بديع الانشاء وغريبه هذه النبذة التى هى من انشائى وانشاء الغير

وله أيضا الى اسمعيل بن أحمد الدوانى

ولايزال يستخفى الى الشيخ
لولا الامير شوق ونزاع
فيذكرنى الهوانق تطاع
طلوع الشمس محياه
ونسيم السحر رياه وعسى
الله ان يجمعنا واياه انه على
ذلك قدير والمكارم أدام
الله عز الشيخ كوامن فى
الاحرار ككمون النار فى
الاحجار وكون الماء فى
الاشجار ثم لاتقدح تلك
النار ولا ينبط ذلك الماء
بمثل هذه الاعمال السلطانية
انها تمكن اليد من بسطتها
وتعين الهمة على مرادها
ومحال ان أخطى من الشيخ
بحظوة ويبلغ هومن
الرفعة

ولولا خشية الاطالة لاوردت من ذلك ماتذبل عنده زهر المنثور ويقرط فى قلائدا النحور ومن أراد البحث عن صحة ذلك فعليه بمصنفى المسمى بقهوة الانشاء فانه خمس مجلدات منها مجلد انشأته بالبلاد الشامية قبل أن استقر منشئ دواوين الانشاء الشريف بالديار المصرية والممالك الاسلامية وثلاث مجلدات انشأتها عن مولانا السلطان الملك المؤيد سقى الله ثراه ومجلد انشائه عن الملك المظفر والملك الظاهر والملك الصالح وعن مولانا السلطان الملك الاشرف وعن مولانا أمير المؤمنين المعتضد بالله زاده الله شرفا وتعظيما انتهى والفرق بين التسجيع والتجزئة اختلاف زنة اجزائه ومجيئه على قافية واحدة من غير عدد معين محصور وبيت الشيخ صفى الدين الحلى فى بديعيته على التسجيع قوله

فعال منتظم الاحوال مقتحم الأهوال ملتزم بالله معتصم

وبيت العميان

من لى بمستلم لليد معتصم * بالعيس لاسئم يوما ولا سئم

وبيت الشيخ عز الدين الموصلى قوله

كم قاتل بصميم الجمع مقتحم * وقائل لنظيم السجع ملتزم

قلت الذى يظهر لى ان الشيخ عز الدين لم يمش فى نظم بديعيته مشى محقق لانه تقرر عنده وعند الجماعة فى شروحهم ان التسجيع هو ان يأتى المتكلم فى اجزاء بيته أو كلامه أو فى بعضها باسجاع غير متزنة والشيخ أتى فى شطر بيته الاول باسجاع قابل كلا منها فى الشطر الثانى بوزنه مثل قاتل وقائل وصميم ونظيم وجمع سجع ومقتحم وملتزم وهذا هو الترصيع بعينه فان الترصيع من شرطه ان تقابل كل لفظة من البيت بوزنها وريها واوليته نقل هذا البيت الى الترصيع فان بيته فى الترصيع ناقص بالذى أظهره مع قصر باعه فيه من الحشو وهو

كم رصعوا كلما من در لفظهم * كم أبدعوا حكما فى سر علمهم

مع انه نظر فى بيت الشيخ صفى الدين الحلى وهو

فعال منتظم الاحوال مقتحم الاهوال ملتزم بالله معتصم

ورأى اختلاف الوزن بين ملتزم ومعتصم وبيت بديعيتى أقول فيه

سجعى ومنتظمى قد أظهرا حكمى * وصرت كالعلم فى العرب والعجم

(ذكر التسميط)

(تسميط جوهره يلفى بابحره * ورشف كوثره يروى لكل ظمى)

هذا النوع أعنى التسميط هو ان يجعل الشاعر كل بيت بسمطه أربعة أقسام ثلاثة منها على سجع واحد بخلاف قافية البيت كقول مروان بن أبى حفصة

هم القوم ان قالوا أصابوا وان دعوا * أجابوا وان أعطوا أطابوا وأجزلوا

والفرق بين التسميط والتسجيع كون اجزاء التسميط غير ملتزم ان تكون على روى البيت وكون اجزائه متزنة فيكون عددها محصورا والفرق بين التفويف وبينه تسجيع بيت التسميط قال ابن أبى الاصبع ما خالفوا بين قافية البيت واسجاع التسميط الا لتكون

(وله ايضا الى ابن ميكال رئيس نيسابور) اعجوبة لكنها محجوبة حتى تصلى على النبى بنشاط وتنزل عن قيراط ماهى بأخبث البك بساق الحديث ان عشنا وعشت رأيت الاثنان تركب الطيمان روح ولا جسد وصوت ولا أحد والعود أحد ومتى قرزنت يا بيدق وأف لقوم سدتهم ويا بؤس عصر أحوجهم اليك ويا سخف من يافد على راقد وشر دهرك آخره أنشد لئن صدق البحترى فى اللامية لقد صدق الاعشى فى الصادية وان وصف الدريدى فى المقصورة فلقد تغير الامير عن الصورة وان كان كالآخر الاول فما احوج الكتب الى المقراض واكذب السواد على البياض افراطا فى الامتداح وقصدا فى السماح ان ظلم ابن الرومى فى الطائية فالقول

(التسميط)

القافية كالسمط والاجزاء المسجعة بمنزلة حب العقد لان السمط يجمع حب العقد والمراد بأجزاء التسميط بعض اجزاء التقطيع ويسمى تسميط التبعيض ومن التسميط نوع آخر يسمى تسميط التقطيع وهو ان تسجع جميع اجزاء التفعيل على روي يخالف القافية كقول ابن ابي الاصبع

واسمر مثمر من مزهر نضر * من مقمر مسفر عن منظر حسن

فجاءت جميع اجزاء التفعيل من هذا البيت من سباعيها وخماسيها مسجعة على خلاف سجعة الجزء الذي هو قافية البيت وبيت الشيخ صفي الدين الحلي في بديعيته على التسميط

فالحق في أفق والشرك في نفق * والكفر في فرق والدين في حرم

والعميان ما نظموا هذا النوع في بديعيتهم وبيت الشيخ عز الدين الموصلي في بديعيته قوله

تسميط ذي أدب تنظيم ذي ارب * تحقيق ذي غلب بالنصر ملتزم

وبيت بديعيتي اشرت فيه الى نظمي ونثري ثم ختمتها بمدح النبي صلى الله عليه وسلم وصحابته رضي الله عنهم بقولي

سجعي ومنتظمي قد أظهرا حكمي * وصرت كالعلم في العرب والعجم

وقلت بعده مشيرا الى النظم

تسميط جوهره يلقي بأبحره * ورشف كوثره يروي لكل ظمي

التورية في التسميط هنا منتظمة في سلك الجواهر وقد تقرر ان السمط هو الذي يجمع حب العقد ولهذا قلت تسميط جوهره والمناسبة البديعية حاصلة بقولي يلقي بأبحره فمحاسنه فيه ظاهرة بعد ذكر الجوهر ومثل ذلك الرشف للكوثر والري للظامي وتمكين القافية ظاهر والله أعلم

(ذكر الالتزام)

(لا ان مدح رسول الله ملتزمي * فيه ومدح سواه ليس من لزمي)

هذا النوع الذي سماه قوم الالتزام ولزوم ما لا يلزم ومنهم من سماه الاعنات والتضييق وهو في الاصطلاح ان يلتزم الناثر في نثره أو الناظم في نظمه بحرف قبل حرف الروي أو بأكثر من حرف بالنسبة الى قدرته مع عدم التكلف وقد جاء في الكتاب العزيز في مواضع تجل عن الوصف كقوله تعالى فلا أقسم بالخنس الجوار الكنس وكقوله تعالى ما أنت بنعمة ربك بمجنون وان لك لاجرا غير ممنون ومثله قوله تعالى والليل وما وسق والقمر اذا اتسق وأما الشعراء فابو العلاء كان أكثرهم في هذا النوع التزاما حتى انه صنع كتابا وسماه اللزوميات جاء فيه باشياء بديعة الا ان فيه من عثرات لسانه كثيرا كقوله

ضحكنا وكان الضحك منا سفاهة * وحق لسكان البسيطة أن يبكوا

يحطمنا صرف الزمان كأننا * زجاج ولكن لا يعاد لنا سبك

ومنه قوله

لا تطلبن بآلة لك رفعة * قلم البليغ بغير حظ مغزل

سكن السماكان السما كلاهما * هذا له رمح وهذا أعزل

ومنه قوله

قول السوفسطائية بإجبا بلد الاغر البهيم وولد آزر ابراهيم وابت الذي أخرج الميت من أهلى رد هذا الثوب الى الطي يا أيها العام الذي قد رابني أنت الفداء لكل عام أول وما أقذى العام لكن الانعام وما اشكو الايام لكن اللئام عام اول عرفان والعام هذا الفرقان لنا في كل قرار امير الا بطانه والجار جائع وتحفظ ماله والعرض ضائع لبدات الاشياء حتى نلتها ستبدي غروب الشمس من حيث تطلع كانت السيادة في المطابخ فصارت في المطامخ أشهد لئن كثرت مزارعكم لقد قلت مشارعكم ولئن سمنت انفسكم لقد هزلت اقيسكم اف لكم يا رذالة الزمن والراغبين عن تقليد المنن وأبيكم لا يصون العرض جاركم ولا يدر على مرعاكم اللبن

(الالتزام)

يقولون فى البستان للعين لذة * وفى الراح والماء الذى غير آسن
اذا شئت ان تلقى المحاسن كلها * ففى وجه من تهوى جميع المحاسن

وبيت الشيخ صفى الدين الحلى على لزوم ما لا يلزم قوله

من كل مبتدر للموت مقتحم * فى مارق بغبار الحرب ملتثم

وبيت العميان

وسيل سعى لنيل القرب من شيمى * وسيل دمعى بذيل الترب كالديم

وبيت الشيخ عز الدين قوله

لى التزام بمدحى خير معتصم * بربه وارتباط غير منفصم

وبيت بديعيتى أقول فيه

لان مدح رسول الله ملتزمى * فيه ومدح سواه ليس من لزمى

(ذكر المزاوجة)

(اذا تزاوج ذنبى وانفردت له * بالمدح من وجانى من النقم)

هذا النوع سموه المزاوجة والازدواج وهو فى اللغة مصدر زاوج بين الشيئين اذا قارب بينهما وفى الاصطلاح قال السكاكى ومن تبعه هو ان يزاوج المتكلم بين معنيين فى الشرط والجزاء كقول البحترى

اذا ما نهى الناهى فلج بى الهوى * اصاخت الى الواشى فلج بها الهجر

ومنه قوله

اذا احتربت يوما ففاضت دماؤها * تذكرت القربى ففاضت دموعها

وبيت الشيخ صفى الدين الحلى فى بديعيته قوله

ومن اذا خفت فى حشرى فكان له * مدحى فجوت وكان المدح معتصمى

وبيت العميان

اذا تبسم فى حرب وصاح بهم * يبكى الاسود ويرمى الالسن بالبكم

وبيت الشيخ عز الدين

اذا تزاوج خوف الذنب فى خلدى * ذكرت أن نجاتى فى مديحهم

وبيت بديعتى أقول فيه

اذا تزاوج ذنبى وانفردت له * بالمدح من وجانى من النقم

(ذكر التجزئة)

وزينت فى كلى جزيت من قسمى * ابديت من حكمى جليت كل عمى

التجزئة هى ان يأتى المتكلم ببيت ويجزئه جميعه اجزاء عروضية ويسجعها كلها على وزنين مختلفين جزأ بجزء أحدهما على روى يخالف روى البيت والثانى على روى البيت كقول الشاعر

هندية لحظاتها خطية * خطراتها دارية نفحاتها

وبيت الشيخ صفى الدين

(المزاوجة)

اللامية قول البحترى
بلا نه عجب تنبيك من خبرى
فيها وعن خبر الشاة ابن ميكال
والصادية قول الاعشى
كلا ابو بكم كان فرعا دعامة
ولكنهم زادوا واصبحت ناقصا
والمقصورة قول الدريدى
ان ابن ميكال الامير انتاشنى
من بعدما قد كنت كاشىء اللقا
والطائية قول ابن الرومى
يا آل وهب حدثونى عنكم
لم لا ترون العدل والاقساطا
ما بال ضرطتكم بصل رباطها
عفوا ودرهمكم يشد رباطا
صروا ضراطكم المبذ صركم
عند السؤال الفلس والقيراطا
اوفما سمعوا بنو الحكم
وضراطكم
هيهات لستم للنوال نشاطا
لكنكم افرطتم فى واحد
وهو الضراط فعدلوا الاسقاطا
(وله الى قيس بن زهير)
اعوز الصوف فبعثت

(التجزئة)

يارق خذم في مأزق أم * أوسابق عزم في شاهق علم

والعميان ما نظموا هذا النوع في بديعيتهم وبيت الشيخ عزالدين قوله

ذي فضل أدلة ذي عدل تجزئة * فالذئب في ظلم يمشي مع الغنم

الشيخ عزالدين سها في هذا البيت من رتبة التجزئة في الشطر الثاني بالنسبة الى التقرير في شرح الرتبة وبيت بديعيتي أشير فيه الى ما أبديته من المحاسن في المديح النبوي بقولي

وربت في كلمي جزءيت من قسمي * أبديت من حكمي جليت كل عمي

(ذكر التجريد)

(لي المعاني جنود في البديع وقد * جردت منها المدحى فيه كل كمي)

التجريد عرفه صاحب التلخيص بأن قال هو أن ينتزع من أمر ذي صفة آخر مثله وفائدته المبالغة في تلك الصفة كقولك مررت بالرجل الكريم والنسمة المباركة فجردت من الرجل نسمة متصفة بالبركة وعطفتها عليه كأنها غيره وهي هو ومن أمثلته الشعرية قول الشاعر

أعانق غصن البان من لين قدها * وأجني جني الورد من وجناتها

فانه جرد من قدها غصنا ومن وجنتيها وردا وبيت الشيخ صفي الدين في بديعيته قوله

شوس ترى منهم في كل معترك * أسد العرين اذا ما احمر الوطيس حمي

الشيخ صفي الدين جرد في بيته أسد العرين من الشوس وبيت العميان في بديعيتهم

من وجه أحمد لي بدر ومن يده * بحر ومن لفظه در لمنتظم

وبيت الشيخ عزالدين الموصلي قوله

من لفظه واعظ بالنصح جرد لي * يا نفس توبي والتجريد فالتزمي

وبيت بديعيتي في المديح النبوي قولي

لي في المعاني جنود في البديع وقد * جردت منها المدحى فيه كل كمي

(ذكر المجاز)

(وخذ المجاز الى الجنات ان عبرت * اياته بقبول سابغ النعم)

المجاز هو عبارة عن تجوز الحقيقة فان المراد منه ان يأتي المتكلم بكلمة يستعملها في غير ما وضعت له في الحقيقة في أصل اللغة هذا رأي السكاكي وأصحاب المعاني والبيان وقال البديعيون المجاز عبارة عن تجوز الحقيقة بحيث يأتي المتكلم الى اسم موضوع لمعنى فيخصه اما ان يجعله مفردا بعد أن كان مركبا أو غير ذلك من وجوه الاختصاص والمجاز جنس يشتمل على أنواع كثيرة كالاستعارة والمبالغة والارداف والتمثيل والتشبيه وغير ذلك مما عدل فيه عن الحقيقة الموضوعة للمعنى المراد وهذه الانواع وان كانت من المجاز فكونها ممتدة لخلوها عن معنى زائد عن تجوز الحقيقة كالاستعارة والتشبيه وبقية ما ذكره من الانواع فلما لم يكن له غير تجوز الحقيقة اختصارا أفرد باسم المجاز اذ لا يليق به غيره وعمل الشريف الرضي كتابا سماه مجاز القرآن ومات قبل استيفائه ومن أمثلته الشعرية قول العتابي

يا ليلة لي بحوارين ساهرة * حتى تكلم في الصبح العصافير

(التجريد)

البسك بفرو ونطقت تاوم وظلت تقعد في العتاب وتقوم وارانى ما بعدت في العباس ولا خرجت عن متعارف الناس فالصوف نفس الفرو الا انه نسيج والفرو نفس الصوف الا انه حديج فكل فرو صوف وليس كل صوف فروا فان الصفت وجدت الفرو فطرة والصوف بدعة وان نظرت وأيت الفرو صوفا وزيادة فكان نعمى وسعادة والفرو ورقى الشتاء وطمع في الصيف فان فرسك البرد فالبسه وان قيس وان غشيك المطر فاقلبه وانت تيس

(المجاز)

قوله لخلوها الخ كذا في النسخ والصواب أخذ من السابق واللاحق لعدم خلوها الخ اه

قوله ساهرة مجاز وبيت الشيخ صفي الدين قوله

صالوا فنالوا الاماني من مرادهم * بيارق في سوى الهيجاء لم يشم

المجاز في بيت الشيخ صفي الدين في لفظة بارق والعميان ما نظموا هذا النوع في بديعيتهم وبيت الشيخ عز الدين قوله

أحمي فؤادي مجازي نحو حجرته * وقد دهشت لجمع فيه مزدحم

وبيت بديعيتي تقدمه قولي اني تجردت لمدح النبي صلى الله عليه وسلم وقلت بعده في المجاز

وهو المجاز الى الجنات ان عمرت * أبياته بقبول سابغ النعم

(ذكر ائتلاف اللفظ مع المعنى)

ائتلاف اللفظ مع المعنى

تآلف اللفظ والمعنى بمدحته * والجسم عندي بغير الروح لم يقم

هذا النوع ذكره قدامة أعني ائتلاف اللفظ مع المعنى وترجمه منفردا ولم يستقن معناه وشرحه الآمدي وأطال ولم توف عبارته بايضاحه وأوضحه ابن أبي الاصبع وقال مختصر عبارة هذه التسمية ان تكون ألفاظ المعاني المطلوبة ليس فيها لفظة غير لائقة بذلك المعنى ان كان اللفظ جزلا كان المعنى فخما أو رشيقا رقيقا كان المعنى غريبا كقول زهير بن أبي سلمى

أثافي سفعا في معرس مرجل * ونؤيا كجذم الحوض لم يتثلم

فلما عرفت الدار قلت لربعها * الا انعم صباحا أيها الربع واسلم

فان زهيرا قصد تركيب البيت الاول من ألفاظ تدل على معنى غريب لكن المعنى غير غريب فركبه من ألفاظ متوسطة بين الغرابة والاستعمال ولما جنح في البيت الثاني الى معنى أبين من الاول وأغرب ركبه من ألفاظ مستعملة معروفة وبيت الحلي في بديعيته قوله

كأنما حلق السعدي منتثرا * على الثرى بين منقض ومنقصم

والعميان ما نظموا هذا النوع في بديعيتهم وبيت الشيخ عز الدين الموصلي قوله

تؤلف اللفظ والمعنى فصاحته * تبارك الله منشي الدر في الكلم

بيت الشيخ عز الدين في هذا النوع عامر وبيت الشيخ صفي الدين خراب لانه غير صالح للتجريد ولم يظهر له معنى حتى يأتي بالمشبه به في البيت وعلى هذا التقدير لم يحصل في بيته الائتلاف بين اللفظ والمعنى وبيت بديعيتي أقول فيه عن النبي صلى الله عليه وسلم

تآلف اللفظ والمعنى بمدحته * والجسم عندي بغير الروح لم يقم

(ذكر ائتلاف اللفظ مع الوزن)

ائتلاف اللفظ مع الوزن

(واللفظ والوزن في أوصافه ائتلفا * فما يكون مديحي غير منسجم

هذا النوع أعني ائتلاف اللفظ مع الوزن قال قدامة هو ان تكون الاسماء والافعال تامة لم يضطر الشاعر في الوزن الى نقصها في البنية ولا الى الزيادة ولا الى التقديم والتأخير ومنهم من قال هذا النوع لا مثال له بصورة معينة لانه عبارة عن انه لا يضطر الى ما يلزمه منه فساد صورة المعنى وذهاب رونق اللفظ كقول الفرزدق

وما مثله في الناس الا مملكا * أبو أمه حي أبوه يقاربه

(وله الى ابي على الشادي جوابا عن رسالة كتبها يعتذر اليه فيها) وصلت رقعتك ياشيخ وحضر رسولك فادى رسالتك وسرد مقالتك وسأل اقالتك وقد صانك الله عما ظننت فافترقنا وحشة فتجمعنا معذره ولا قطعنا جرم فتصلنا مغفره اما ما اعتذرت منه من حق لم تقضه وواجب أخللت بفرضه فاجعل الله الصلة فرضا حتى تصير قرضا ولم اقرضك مكرمة انتظر بازائها ان تثمر بجزائها وقد كان يوجب فضلك ان آخذ نفسي لك بما تأخذها الي فاني على السعي اقوى وأقدر والاعتذار من جانبي اولى واجدر واما ما ذكرت من غفلتك يوم اجتيازي عن القيام فقد علمت ان على ذلك الباب الرفيع عالما كبيرا وجما غفيرا ولم يقم لاجتيازي الانفر معدودون فان كان

وفي رواية أخواته فان اضطرار الوزن حمله على رداءة السبك فحصل في الكلام تعقيد يمنع من فهم معناه بسرعة ولو قال وما مثله الا املاك أبوه يقارب خاله لسهل مأخذه وقرب تناوله وبيت الشيخ صفي الدين في بديعيته قوله

في ظل أبلج منصور اللواء له * عدل يؤلف بين الذئب والغنم

والعميان ما نظموا هذا النوع في بديعيتهم وبيت الشيخ عز الدين الموصلي قوله

ائتلف اللفظ مع وزن بمدحة من * لانا وذم عدو بين النسم

قلت ثقل الهمزة في لفظة ائتلف والوقوف على تحرير الوزن عند قوله بمدحة من ولا نا كان سببا في عدم ائتلاف اللفظ مع الوزن في بيت الشيخ عز الدين وبيت بديعيتي قلت فيه عن النبي صلى الله عليه وسلم بعد قولي فيه في ائتلاف اللفظ مع المعنى

تآلف اللفظ والمعنى بمدحته * والجسم عندي بغير الروح لم يقم

وقلت بعده

واللفظ والوزن في أوصافه ائتلفا * فما يكون مديحي غير منسجم

(ذكر ائتلاف المعنى مع الوزن)

(والوزن صح مع المعنى تآلفه * في مدحه فأتى بالدر في الكلم)

هذا النوع أعني ائتلاف المعنى مع الوزن هو أن تأتي المعاني في الشعر صحيحة لا يضطر الشاعر في الوزن الى قلبها عن وجهها ولا الى خروجها عن صحتها كقول عروة بن الورد

فاني لو شهدت ابا سعاد * غداة غدا بمهجته يفوق
فديت بنفسه نفسي ومالي * وما آلوه الا ما يطيق

فانه أراد أن يقول فديت نفسه بنفسي ومالي فألجأته ضرورة الوزن الى قلب المعنى ومهما كان الشعر سليما من مثل هذا كان الشعر الذي ائتلف معناه مع وزنه وبيت الشيخ صفي الدين الحلي في بديعيته قوله

من مثله وذراع الشاة حذره * عن سمه بلسان صادق الرنم

والعميان ما نظموا هذا النوع في بديعيتهم وبيت الشيخ عز الدين الموصلي في بديعيته قوله

تؤلف اللفظ والمعنى مدائحه * فالمعاني ترى الالفاظ كالخدم

قلت بيت الشيخ صفي الدين في هذا النوع قاصر عن بيت الشيخ عز الدين فان الشيخ عز الدين اتى ولا بالانسجام والسهولة مع التورية بتسمية النوع وتمكين القافية فان لفظة رنم في بيت الشيخ صفي الدين غير ممكنة وأيضا فان الوزن والمعنى في بيت الموصلي في غاية الائتلاف وبيت بديعيتي قلت فيه

واللفظ والوزن في أوصافه ائتلفا * فما يكون مديحي غير منسجم

وقلت بعده في ائتلاف المعنى مع الوزن

والوزن صح مع المعنى تآلفه * في مدحه فأتى بالدر في الكلم

قوله وقلت بعده فائتلف بعد قوله أولا قلت فيه عن النبي الخ

ائتلاف المعنى مع الوزن

قيام القائم بيسر فقعود القاعد لا يضر واما ماذكرت من منزلتك كانت عند الامير من قبل وتغيرها الآن فان الزمان يقلب الاعيان فكيف الالوان هذا عيبه العتيق وطبعه العريق وقد لبسناه على هذا العيب ولو انصفك خلفك ولو احسن عشرتك ما غير قشرتك ولكنه كما اشاب هامتك اشاب كرامتك وكما اوهن ركنك اوهن رتبتك ومن ذا الذي يا عز لا يتغير وقد حضرني يا شيخ خاطر نصح لك في قبوله حظ ولي في ايراده وعظ ومثلي لا يعظ مثلك ولا يعيب فعلك ولكن للمداناة قريحة وللمسلم نصيحة فاسمعها وان لم ترضها فدعها وقد توجهت تلقاء امر اري لك ان لا تاتيه او تعدا ليه يدا

(ذكر ائتلاف اللفظ مع اللفظ)

(واللفظ باللفظ فى التأسيس مؤتلف * فى كل بيت بسكان البديع حى)

هذا النوع أعنى ائتلاف اللفظ مع اللفظ هو ان يكون فى الكلام معنى يصح معه هذا النوع ويأخذ عدة معان فيختار منها لفظة بينها وبين الكلام ائتلاف كقول البحترى فى الابل النحيلة

كالقسى المعطفات بل الاسهم مبرية بل الاوتار

فان تشبيه الابل بالقسى كناية عن هزالها فلو شبهها بغير ذلك كالعرجون والدال جاز لكن المناسبة والائتلاف بين الاسهم والاوتار والقسى حسنت التشبيه وبيت الشيخ صفى الدين الحلى فى بديعيته

خاضوا عباب الوغى والخيل سابحة * فى بحر حرب بموج الموت ملتطم

والعميان ماتظموا هذا النوع فى بديعيتهم وبيت الموصلى فى بديعيته

ساروا وجدّوا النوى واللفظ مؤتلف * من لسن دمعى بلفظ خدّ منسجم

الذى فهمته من هذا النوع معنى الشطر الاول وأما الشطر الثانى فما حصل بينه وبين هذا النوع ائتلاف وبيت بديعيتى قلت قبله

والوزن صح مع المعنى تألفه * فى مدحه فأتى بالدرّ فى الكلم

وقلت بعده فى ائتلاف اللفظ مع اللفظ

واللفظ باللفظ فى التاسيس مؤتلف * فى كل بيت بسكان البديع حى

(ذكر التمكين)

(تمكين سقمى بدا من خيفة حصلت * لكن مدائحه قد أبرأت سقمى)

هذا النوع اعنى التمكين وهو ائتلاف القافية منهم من سماه بالتمكين ومنهم من سماه ائتلاف القافية وهو ان يمهد الناثر لسجعه فقرة أو الناظم لقافية بيته تمهيدا تأتى به القافية متمكنة فى مكانها مستقرة فى قرارها غير نافرة ولا قلقة ولا مستدعاة بما ليس له تعلق بلفظ البيت ومعناه بحيث ان منشد البيت اذا سكت دون القافية كملها السامع بطباعه بدلالة من اللفظ عليها وأ كثر فواصل القرآن على هذه الصورة والذى عقد البديعيون عليه الخناصر فى هذا الباب قول أبى الطيب

يامن يعز علينا ان نفارقهم * وجداننا كل شئ بعدكم عدم

وقال ابن أبى الاصبع لم نسمع لمتقدم شعرا متمكنا فى قافية أشدّ من تمكين النابغة الذبيانى حيث قال

كالاقحوان غداة غب سمائه * جفت أعاليه وأسفله ندى

زعم الغمام ولم اذقه بانه * يروى بريقته من العطش الصدى

قلت و يعجبنى هنا قول صدر الدين بن عبد الحق ولعمرى انه أمكن والطف واظرف وهو

ورب ظبى آنس * حشاشتى ملكته * أسقمته أسكرته * حركته نبهته
نادمته أعجبته * حدثته أطربته * مددته كشفته * بلا طويل نكته

ائتلاف اللفظ مع اللفظ

قوله هو ان يكون الخ عبارة غير مؤدية للمقصود بل فاسدة ولو قال هو ان يكون فى الكلام معنى يصح تأديته بعبارات مختلفة فيختار منها لفظة بينها وبين الكلام ائتلاف لسلم من ذلك اه

التمكين

فقد أوجعنى الآن ماأوجعك غدا أرالتلق هذا الامير بدلال وتنسبه الى ملال وهما من كان خليقان بالعشار فاجعل قصاراك تحسين امر مولاك وساعد اذا أدناك وتواضع اذا اعلاك الله ان دنوت وادناك صرت فى حجره فتعرضت لهجره وان علوت واعلاك الجأته الى دفعك واحوجته الى وضعك ثم اشكره اذا رفعك ولا تشكه اذا وضعك على انى اراك ترفع فوق حدك ويتجاوز بك قدر مثلك اقسو همتك الى ابعد من حيث رتبتك ارايت لوان صاحبك الشاش ورد الى هذه الديار ما كان يصنع بهذا الامير أكان يجلسه على السرير ايايت لو كانت

وبيت الحلي على تمكين القافية قوله

به استغاث خليل الله حين دعا * رب العباد فنال البرد في الضرم

والعميان ما نظموا هذا النوع في بديعيتهم وبيت الشيخ عز الدين الموصلي في بديعيته قوله

تمكين حبك في قلبي تمكن به * محبة الكل من عرب ومن عجم

وبيت بديعيتي أقول فيه عن النبي صلى الله عليه وسلم

تمكين سقمي بدا من خيفة حصلت * لكن مدائحه قد أبرأت سقمي

(ذكر الحذف)

(وقد أمنت وزال الخوف منحذفا * نحو العدو ولم أحقر ولم أضم)

هذا النوع اعني الحذف عبارة عن ان يحذف المتكلم من كلامه حرفا من حروف الهجاء أو جميع الحروف المهملة بشرط عدم التكلف والتعسف وهذا هو الغاية كما فعل الحريري في المقامة السمرقندية بالخطبة المهملة التي اجمع الناس على انها نسيج وحدها * وواسطة عقدها (وقد عن لي) ان أوردها ههنا بكمالها * واورد معها ما نسج المتأخرون على منوالها * وهي قوله * الحمد لله الممدوح الاسماء * المحمود الآلاء * الواسع العطاء * المدعو لحسم اللاواء * مالك الامم * ومصور الرمم * واهل السماح والكرم * ومهلك عاد وارم * ادرك كل سر علمه * ووسع كل مصر حلمه * وعم كل عالم طوله * وهد كل مارد حوله * احمده حمد موحد مسلم * وادعوه دعاء مؤمل مسلم * وهو الله لا اله الا هو الواحد الصمد * لا والد له ولا ولد * ارسل محمدا للاسلام ممهدا * وللملة موطدا * ولادلة الرسل مؤكدا * وللاسود والاحمر مسددا * وصل الارحام * وعلم الاحكام * ووسم الحلال والحرام * ورسم الاحلال والاحرام * كرم الله محله * وكمل الصلاة والسلام له * ورحم آله الكرماء * وأهله الرحماء * ما همر ركام * وهدر حمام * وسرح سوام * وسطا حسام * اعملوا رحمكم الله عمل الصلحاء * واكدحوا للمعاد كدح الاصحاء * واردعوا اهواءكم ردع الاعداء * واعدوا للرحلة اعداد السعداء * وادرعوا احلال الورع * وداووا اعلال الطمع * وسووا أود العمل * وعاصوا وساوس الامل * وصوروا اوهامكم حؤول الاحوال * وحلول الاهوال * ومساورة الاعمال * ومصارمة المال والآل * واذكروا الحمام وسرعة مصرعه * والرمس وهول مطلعه * واللحد ووحدة مودعه * والملك وروعة سؤاله ومطلعه * والمحوا الدهر ولؤم كره * وسوء محاله ومكره * كم طمس معلما * وأمر مطعما * وطحطح عرمرما * ودمر ملكا مكرما * همه سلك المسامع * ومسح المدامع * واكداء المطامع * وارداء المسمع والسامع * عم حكمه الملوك والرعاع * والمسود والمطاع * والمحسود والحساد * والاساود والآساد * ماموّل الامال * وعكس الآمال * ولا وصل الاوصال * وكلم الاوصال * ولاسر الاوسا * ولؤم واسا * ولا اصح الاولاد الداء * وروع الاوداء * الله الله * رعاكم الله * الى م مداومة اللهو * ومواصلة السهو * وطول الاصرار * وحمل الاصار * واطراح كلام الحكماء *

الحذف

قوله أو جميع الحروف الخ عبارة ناقصة تمامها أو المعجمة مع ابدال كل بكل اه

غرشستان ميزانك وكان الشارخ رانك اين كنت تروم ان تقعد وتقوم وجدتك تذكر عظيم حقك في هذه الدولة فلو اتصلت هذه الدولة بلسان وفم لما قضت لك الحساب وقالت يا أبا علي حقك حقك انك شيخ فقط لا اللفظ يسعدك ولا الخط ولا الراي يصحبك ولا السيف ولا الاصل يعضدك ولا النفس ولا المال يرفعك ولا الدين ولا الجد يقومك ولا المزح يفضلك فما هذا الحق العظيم ما كنت تراك قائلا هل هي الا الصحبة الطويلة الثقيلة فنقلب عليك الوسيلة فيلزمك اكثر مما يلزمك صحبتها فلم ترزق فتقا ولم تشد لها ازرا وصحبتك فاشبعت جوفك وامنت خوفك فالحاصل عليك لا لك أبا علي هذه كلمات

ومعاصاة اله السماء أما الهرم حصاد كم والمدر مهاد كم اما الحمام مدرككم والصراط مسلككم اما الساعة موعدكم والساهرة موردكم اما أهوال الطامة اكلكم مرصده امادار العصاة الحطمة المؤصده حارسهم مالك ورواؤهم حالك وطعامهم السموم وهواؤهم السموم لامال أسعدهم ولا ولد ولاعدد حماهم ولاعدد ألا رحم الله امرأ ملك هواه وأم مسالك هداه وأحكم طاعة مولاه وكدح لروح مأواه وعمل مادام العمل مطاوعا والعمر موادعا والصحة كامله والسلامة حاصله ولادهمه عدم المرام وحصر الكلام والمام الآلام وحموم الحمام وهدوء الحواس ومراس الارماس آه الها حسرة ألمها مؤكد وأمدها سرمد ومحارسها مكمد مالواهه حاسم ولالسدمه راحم ولاله مماعراه عاصم الهمكم الله أحمد الالهام وردأكم رداء الاكرام وأحلكم دار السلام واسأله الرحمة لكم ولاهل ملة الاسلام وهو أسمع الكرام والسلام والسلام (قلت) رحم الله أبا القاسم الحريرى أتى فى عاطل هذه الخطبة بالسهل الممتنع ولكن الجأته ضرورة العاطل فى مواضع الى الاتيان بالفاظ تفتقر الى الحل وقد تعين هنا تفسيرها لئلا يتعذر على الطالب مرام ولايحصل هذا الاشكال فى مرآة الافهام فاللأواء الشدة والاحمر والاسود العرب والعجم ووسم بمعنى علم وهمر بمعنى صب والركام السحاب المتراكم والكدح عمل الانسان من الخير والشر والاود المعوج والمساورة المواثبة وطحطح بمعنى هدوهلك والسك ضيق الصماخ والرعاع السفلة والاساود الحيات والآصار جمع اصر وهو الثقل والساهرة قيل انها عرصات القيامه وقيل انها وجه الارض انتهى (وأوقفنى) رجل من طلبة العلم بحلب المحروسة يقال له الشيخ بدر الدين بن محمد بن الضعيف سنة أربع عشرة وثمانمائة على رسالة مشتملة على حكم ومواعظ على طريق الفقهاء لا على طريق الادباء وسألنى الكتابة عليها فامتنعت من ذلك فتوصل الى ان رسم لى مولانا المقر الاشرف القاضوى الناصرى محمد بن البارزى الجهنى الشافعى صاحب دواوين الانشاء الشريف بالممالك الاسلامية روح الله روحه وجعل من الرحيق المختوم غبوقه وصبوحه ان اكتب له على رسالته العاطلة تقريظا عاطلا فقلت هذا النوع من المستحيلات فان الخطب والوعظيات ثمرات ألفاظها دانية القطوف وأما التقريظ فالتوصل الى تحصيل ألفاظه العاطلة غير ممكن لان كف المتناول من ذلك صفر والطريق مخوف فلم يحصل عن المرسوم رجوع وعلمت أن الصرف الى غير الامتثال ممنوع (فكتبت) هذا التقريظ الذى ماسبقنى ناثر اليه ولاحام طائر فكره عليه وهو طالع الماولك رسالة محمد وسلم واحكم السمع والطاعة لكلامها المحكم والله ماسمعها عالم الاوهام ولاردع سحرها الحلال مسلما الا كره الحرام وعاد عاملا واعد للصلاح حواصله وصارله مع الله معامله ماحلى ماكرر عاطلها الحلى واهلا لسهولة مسالكها وسهلا مالولد ساعدة سعد احكامها ولالاهل العصر سكر الا ما أدار كاس مدامها ولاللعمارة عامر صرحها ورهطه ولاللصدر درّ كلؤلؤها وسمطه ولالولد مطروح مع طرحها الحر ومطارحه ولاصار لولادة رسالة مسموعة ولالسمرحها آرام سارحه ولامسارح الماء الحلو لملحها الا كالا آل

حرمة الالهام احق ولولم أرد نصحك لحسنت قبحك ولو كنت لك عدوا أو اردت بك سوأ لقلت لاترض برتبتك وطالب بحق صحبتك والق هذا الامير بادلالك ومن بازلالك ولو فعلت ذلك او اخطرته ببالك خربت على سبالك وكنت سبب الجناية وأيضا فان نسبتك ولى نعمتك الى الملال نوع من أنواع الاخلال لان ذلك ينفر من لايعرف خلقه من الزوار ويردع من يريد قصده من الاحرار ويعرض فى العاجل للعار وفى الآجل للنار فلاتعرض بما صرحت وقد نصحتك ان انتصحت وأما اخوك الذى تصفه فمن هو لا أعرفه ان كنت عنيت الاستاذ ابا فلان فاسأل الله

وما عاص ما أسسه المعمار الا أطلال وما المطاعم الحلوة معها الا ماطله وما صوادح الكلام الصادح الاحول دوحها صادحه وما الطعم الراح مع حلاوته ووردها راحه ولا السلسل الورد معها طلاوة ولو كان الطل أدواحه ولا الملوك الدر درّها ولو كها ولا المسوالك العاطرة عطر مسوكها ولم لا ومحكمها حرسه الله صار ملكا ولحكمه أحكام وكلام الملوك ملوك الكلام لا اله الا الله ما أسر اولاد آدم الاحكمه وما كلام الحكماء وما أحكموه الا حرمه وما أمة رسول الملك العلام الاسادة الامم وما سماء صدورهم الا مطالع أهل الحكم أطال الله عمره وما ملها سامع واطلع هلال دالها وسعد السعود لها طالع وحصل للعالم لما هل هلالها سرور واكرموا محلها وأحلوها الصدور أحكامها عمدة لامة محمد وما أعادها السامع الا صار العود أحمد

سلسلوا دورها السمع كساه * درّها وهو عاطل كل حله
لا سماع الالهما لا كلام * سواها كرره كرره الله

وع ما حكاه ولد همام أورواه واسمع مساحر قهمام صعد طور الحكم وساعده الله وحسم كل كلامه مادة العواطل وسلسل اطروسه وسطوره سلاسل الدرر ودور السلاسل ولو سمعها ملك العواطل امال رؤس رماحه وكل حد سلاحه وسع معالم العلم ومعاهد صدره وأدرّ لاهل الموارد الحلوة ولله درّه ما الكمال أصول سطوره الكامله ولا ورد مع رسول كرسالة محمد مرسله رحم الله امرأ أطاع اوامر حكمها وسمع مرسوم رسمها ودارس ما احكمه عهدها واملاه امد الله عمره والحمد لله * والحلي في بيت بديعيته في باب الحذف على العاطل وهو

آل الرسول محل العلم ما حكموا * لله الا وعدوا أعدل الامم

والعميان ما نظموا نوع الحذف في بديعيتهم وانا والشيخ عز الدين تعذر علينا نظم الحذف عاطلا لاجل تسمية النوع في البيت اذ فيه الذال والفاء ولا بد من التورية بتسمية النوع كما شرط أولا فكل منا جنح في باب الحذف الى جهة أما الشيخ عز الدين فانه ذكر انه نظم بيته من الحروف النورانية المقطعة وسمى الحذف في بيته اسقاطا فقال

اروم اسقاط ذنبي بالصلاة على * محمد وعلى صديقه العلم

وبيت بديعيتي حذفت منه الاحرف التي تنقط من تحت وهو الذي نظمته بعد قولي

تمكين سقمي بدا من خيفة حصلت * لكن مدائحه قد أبرأت سقمي

فقلت

وقد أمنت وزال الخوف منحذفا * نحو العدو ولم احقر ولم أضم

(ذكر التدبيج)

(واخضر أسود عيشي حين دبجه * بياض حظي ومن زرق العداة حمي)

نوع التدبيج من مستخرجات ابن أبي الاصبع وهو عبارة عن ان يذكر الناظم أو الناثر ألوانا يقصد بها التورية والكناية بذكرها عن أشياء من تشبيب أو مدح أو وصف أو غير ذلك من الاغراض فمن التدبيج على طريق التورية قول الحريري في المقامة الزورائية مذ اغبر العيش

تعالى ستر ابعد ووجها لا يسود سبحان الله اقل ما في الباب انترتيبه في الخطاب ترتيبه ولا ما ياشيخ هذه الالفاظ وان جبت على الاعضاء حمى الرمضاء فانها تعمل في الامعاء عمل الدواء فافتح لها حجاب اذنك وافسح لها فناء صدرك فقد والله نصحتك وان أوحشتك وان شئت غششتك فقد ظلمك الدهر بما بخسك والسلطان بما نقصك واساء الادب من زاحمك والعشرة من تقدمك واخطأ الرأى من لم يتصرف على أمرك ونهيك لانك نسيج وحدك وسواد العراق بستان جدك وعلي بن عيسى خادم عبدك وعبيد الله غرس يدك وذو

(التدبيج)

لاخضر وازور المحبوب الاصفر اسود يوم الابيض وابيض فودي الاسود حتى رثالى
اعدو الازرق فحبذا الموت الاحمر ومنهما كتبت به جوابا عن مولانا السلطان الملك المؤيد
رحمه الله الى الجناب العالى الناصرى محمد بن أبى يزيد بن عثمان فانه المجاهد الذى جعل
حظ بنى الاصفر فى البحر الازرق من بيض سيوفه اسود فاذاقهم الله به الموت الاحمر وكمال
التدبيج يقول أهلا بعيش اخضر يتجدد ومن الامثلة الشعرية فى باب التدبيج قول ابن
حيوس

ان ترد خبر حالهم عن يقين * فالقهم فى منازل او نزال
تلق بيض الوجوه سود مثار النقع خضر الاكناف حمر النصال

ومثله قوله

ببياض عزم واحمرار صوارم * وسواد نقع واخضرار رحاب

ومن ظريف هنا قول الشيخ زين الدين بن الوردى من ابيات

ولى صاحب بالمدح والهجو كسبه * يقول انا ادرى كيف أصنع بالخلق
اذا احمر وا وجهى وما بيضوا يدى * ازرق لهم رجلى واخضر واعنق

ويعجبنى قول الشيخ عز الدين فى هذا الباب

خضرة الصدغ والسواد من العيش بياض المشيب قد اورثانى
واحمرار الدموع صفر خدى * كل ذا من تلونات الزمان

قلت تلونات الزمان فى باب التدبيج غاية فى الحسن وبيت الشيخ صفى الدين الحلى فى التدبيج
قوله

خضر المرابع حمر السمر يوم وغى * سود الوقائع بيض الفعل والشيم

والعميان ما نظموا هذا النوع فى بديعيتهم وبيت الشيخ عز الدين الموصلى فى بديعيته

خضر المرابع حمر البيض سود ردى * بيض الثنا فاسمع تدبيج وصفهم

قلت ما يليق بالشيخ عز الدين ما اعتمده فى بيت الشيخ صفى الدين من أخذ لفظه ومعناه والحق انه
تلون فى باب التدبيج على الصفى وتحرم على الحلى وبيت بديعيتى قولى

واخضر اسود عيشى حين دبجه * بياض حظى ومن زرق العدا تحمى

(ذكر الاقتباس)

(وقات باليت قومى يعلمون بما * قد نلت كى يلحظونى باقتباسهم)

الاقتباس هو ان يضمن المتكلم كلامه كلمة من آية أو آية من آيات كتاب الله خاصة هذا هو
الاجماع والاقتباس من القرآن على ثلاثة أقسام مقبول ومباح ومردود فالاول ما كان
فى الخطب والمواعظ والعهود ومدح النبى صلى الله عليه وسلم ونحو ذلك والثانى ما كان
فى الغزل والرسائل والقصص والثالث على ضربين أحدهما ما نسبه الله تعالى الى نفسه
ونعوذ بالله ممن ينقله الى نفسه كما قيل عن أحد بنى مروان انه وقع على مطالعة فيها شكاية من
عماله ان الينا ايابهم ثم ان علينا حسابهم والآخر تضمين آية كريمة فى معنى هزل ونعوذ بالله من
ذلك كقول القائل

الرياستين فى كمك وذو العلمين فى جيبك والمقتدر بالله ولى عهدك والقائم بالامر من بعدك وغباوة من الايام بتأخير مثلك وجهل من الاقدار باضاعة فضلك وعمى بالخلافة عن محلك وغفلة بالملوك عن كفايتك وشين على السرير لعود غيرك والشمس تزداد ضوأ بطلعتك والدهر معتز بكونك من اهله فاما ابن العميد فاحسن العميد بيابك والمهلبى صبى كتابك وانما اضطربت أمور خراسان حين خذلها تدبيرك وما استقامت حتى وسعها ضميرك وما شئت من هذا الباب واكثر من هذا الجراب فاختر من القوابن

(الاقتباس)

أوحى الى عشاقه طرفه * هيهات هيهات لما توعدون
وردفه ينطق من خلفه * لمثل ذا فليعمل العاملون

ومن الاقتباسات التي هي غير مقبولة قول ابن النبيه في مدح الفاضل

قم ليل الصدود الا قليلا * ثم رتلت ذكركم ترتيلا
ووصلت السهاد أقبح وصل * وهجرت الرقاد هجرا جميلا
مسمعي كل عن سماع عذول * حين ألقى عليه قولا ثقيلا
وفؤادي قد كان بين ضلوعي * أخذته الاحباب أخذا وبيلا
قل لراقي الجفون ان لعيني * في بحار الدموع سبحا طويلا
ماس عجبا كأنه ما رأى غصنا طليحا ولا كثيبا مهيلا
وحمى عن محبه كأس ثغر * كان منه مزاجها زنجبيلا
بان عني فصحت في اثر العيس ارحموني ومهلوهم قليلا
أنا عبد للفاضل بن علي * قد تبتلت بالثنا تبتيلا
لا تسمه وعدا بغير نوال * انه كان وعده مفعولا

ونعوذ بالله من قوله بعد ذلك

جل عن سائر الخلائق فضلا * فاخترعنا في مدحه التنزيلا

واعلم ان الاقتباس على نوعين نوع لا يخرج به المقتبس عن معناه كقول الحريري فلم يكن الا كلمح البصر أو أقرب حتى أنشد فأغرب فان الحريري كنى به عن شدة القرب وكذلك هو في الآية الشريفة ونوع يخرج به المقتبس عن معناه كقول ابن الرومي

لئن أخطأت في مدحك ما أخطأت في منعي
لقد انزلت حاجاتي * بواد غير ذي زرع

فان الشاعر كنى به عن الرجل الذي لا يرجى نفعه والمراد به في الآية الكريمة أرض مكة شرفها الله وعظمها ثم اعلم انه يجوز ان يغير لفظ المقتبس منه بزيادة أو نقصان أو تقديم أو تأخير أو ابدال الظاهر من المضمر أو غير ذلك فالزيادة وابدال الظاهر من المضمر كقول الشاعر

كان الذي خفت ان يكونا * انا الى الله راجعونا

فزاد الالف في راجعون على جهة الاشباع وأتى بالظاهر مكان المضمر في قوله انا الى الله ومراده آية التعزية في المصيبة وهي قوله تعالى انا لله وانا اليه راجعون والنقصان ما تقدم من قول الحريري فلم يكن الا كلمح البصر أو أقرب فانه اسقط لفظة هو اذ الآية الكريمة لفظها كلمح البصر أو هو أقرب والتقديم والتأخير كقول الشاعر

قال لي ان رقيبي * سيئ الخلق فداره
قلت دعني وجهك الجنة حفت بالمكاره

هذا الاقتباس من الحديث فانه تقدم ان الاجماع على جواز الاقتباس من القرآن ومنهم من عد المضمن في الكلام من الحديث النبوي اقتباسا وزاد هنا الطيبي في الاقتباس من

احبها اليك وأنا على ماترى
من فراغي مشغول الضمير
ضيق الاوقات حرج البال
فلا عليك ان لا تزيدني شغلا
وذكرت حرصك على عشرتي
واسفك على الفائت منها
[illegible]لا بأس وان فاتك كلي
[illegible]لا بأس وان لك في عشرة
غيري متسعا وباخلاق
[illegible]واي مستمتعا فاهون لمن
هون بك واخلط لاخيك
[illegible]سا من الوحشة بهذا الانس
[illegible]نعما من المأتم بهذا العرس
اجعلني آخر خطابك وأول
[illegible]سالك وان رأيت ان لا تراني
[illegible]تى أراك فعلت ذلك ان
[illegible]شاء الله تعالى

(وله أيضا)

[illegible]والله لا أظلك انك الشيخ
[illegible]لفاضل وزيادة والفاضل
[illegible]كرامة وليس من

مسائل الفقه والشاعر قدم فى لفظ الحديث وأخر لان لفظ الحديث حفت الجنة بالمكاره ومن هنا يتبين لك قطع نظرهم فى الاقتباس عن كونه نفس المقتبس منه ولولا ذلك للزمهم الكفر فى لفظ القرآن والنقص منه ولكنهم يأتون به على انه لفظ القرآن ومن أمثلته الشعرية قول الحاجرى

اذا رمت عنها سلوة قال شافع * من الحب ميعاد السلو المقابر
سيبقى لها فى مضمر الحب والحشى * سرائر تبقى يوم تبلى السرائر

ومنه

أهدى اليكم على بعد تحيته * حيوا أبا حسن منها أو فردوها

ويعجبنى هنا قول ابن سنا الملك فى بعض مطالعه

رحلوا فلست مسائلا عن دارهم * انا باخع نفسى على آثارهم

ومن لطائف هذا الباب قول القاضى محيي الدين بن عبد الظاهر فى معشوقه المسمى بالنسيم

ان كانت العشاق من أشواقهم * جعلوا النسيم الى الحبيب رسولا
فانا الذى اتلو لهم يا ليتنى * كنت اتخذت مع الرسول سبيلا

ومثله فى الحسن قول شيخ شيوخ حماة المحروسة رحمه الله تعالى

يا ناظرة ما جلت لى حسن طلعته * حتى انقضت وأدامتنى على وجل
عاتبت انسان عينى فى تسرعه * فقال لى خلق الانسان من عجل

ومثله

ان دمعت عينى فمن أجلها * بكى على حالى من لا بكى
اوقعنى انسانها فى الهوى * يا أيها الانسان ما غرك

ومثله

قسما بشمس جبينه وضحاها * ونهار مبسمه اذا جلاها
وبنار خديه المشعشع نورها * وبليل صدغيه اذا يغشاها
لقد ادعيت دعاويا فى حبه * صدقت وافلح من بذا زكاها
فنفوس عذالى عليه وعذرى * قد ألهمت بفجورها وتقواها
فالعذر أسعدها مقيم دليله * والعذل منبعث له أشقاها

ومنه قول القاضى محيي الدين بن قرناص

ان الذين ترحلوا * نزلوا بعين باصره
انزلتهم فى مقلتى * فاذا هم بالساهرة

ومنه قول الشيخ جمال الدين بن نباتة رحمه الله تعالى

واغيد جارت فى القلوب لحاظه * واسهرت الاجفان أجفانه الوسنى
أجل نظرا فى حاجبيه وطرفه * ترى السحر منه قاب قوسين أو أدنى

ومنه قول الشيخ زين الدين بن الوردى رحمه الله تعالى

الانصاف ان تخاطب بالكاف ان عمل البريد اليك ومدار الانهاء عليك واولى ما يجب لعامل الانهاء ان يخاطب بالهاء ولكنك طفقت لانتهاب سلطان العلم فاعلناك ان سلطان العلم لا يهابك ولو انصلت باسباب السماء أسبابك أنت عافاك الله اذ قلدت البريد نبردت هذا النبر يديؤذن انك لو وليت الديوان لقلت الاخوان فلو قلدت الوزارة ما كنت تصنع أكنت أول من يصفع واذا بيل على سبيل الطائع وهو الخليفة فمن الخليفة يا شيخ حشمة فى الراس وعشرة بين الناس فاذا رفعت فالانهاء نميمة وليس للنمام قيمة ولو نسجت الدر فى الذهب ما كنت

رب فلاح مليح * قال يا أهل الفتوه
كفلي أضعف خصري * فأعينوني بقوه

ومنه قول المعمار

ابن الجمالي مات حقا * برح بي موته وآذى
ورحت اقرا عليه جهرا * يا ليتني مت قبل هذا

ويعجبني في هذا الباب قول سيدنا الامام القدوة الحافظ الشيخ شهاب الدين بن حجر العسقلاني الشافعي تغمده الله برحمته وهو

خاض العواذل في حديث مدامعي * لما جرى كالبحر سرعة سيره
فحبسته لاصون سر هواكم * حتى يخوضوا في حديث غيره

وقال

ناحت مطوقة الرياض وقد رأت * تلوين دمعي بعد فرقة صحبه
لكن به لما سمحت نباخلت * ففدت مطوقة بما بخلت به

وهنا فائدة يتعين ذكرها في هذا الباب وهي ان العلماء في هذا الباب قالوا ان الشاعر لا يقتبس بل يعقد ويضمن وأما الناثر فهو الذي يقتبس كالمنشئ والخطيب فمن ذلك قول الحريري فطوبى لمن سمع ووعى وحقق ما ادّعى ونهى النفس عن الهوى وعلم ان الفائز من ارعوى وأن ليس للانسان الاماسعى وأن سعيه سوف يرى وقوله انا انبئكم بتأويله واميز صحيح القول من عليله وكقول ابن نباته الخطيب في الخطب التي في ديوانه أما أنتم بهذا الحديث تصدقون مالكم لا تشفقون فورب السماء والارض انه لحق مثل ما أنكم تنطقون قال وأما عبد المؤمن الاصفهاني صاحب أطباق الذهب فانه عنوان هذا الكتاب وامام هذا المحراب فمن قوله في الاطباق فمن عاين تلوين الليل والنهار لا يغتر بدهره ومن علم ان بطن الثرى مضجعه لا يمرح على ظهره فيا قوم لا تركضوا خيل الخيلاء في ميدان العرض أأمنتم من في السماء أن يخسف بكم الارض وقوله ولو علم الجذل صولة النجار وعضة المنشار لما تطاول شبرا ولا تخايل كبرا وسيقول البلبل المعتقل ليتني كنت غرابا ويقول الكافر ياليتني كنت ترابا وقوله

قد تحت قباب العز طائفة * اخفاهم في رداء الفقر اجلالا
هم السلاطين في أطمار مسكنة * استعبدوا من ملوك الارض أقيالا
هذي المكارم لا ثوبان من عدن * خيطا قميصا فعادا بعد أسمالا
هذي المناقب لا قعبان من لبن * شيبا بماء فعادا بعد ابوالا

هم الذين جبلوا براء من التكلف يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف (وقوله) أهل التسبيح والتقديس لا يؤمنون بالتربيع والتسديس والانسان بعد علو النفس يجل عن ملاحظة السعد والنحس وان في الدين القويم لشغلا عن الزيج والتقويم الايمان بالكهانه باب من أبواب المهانه فأعرض عن الفلاسفه وغض بصرك عن تلك الوجوه الكاسفه فا كثرهم عبدة الطبع وحرسة الكواكب السبع فالمنجم

الا المسائل ومن جملة أولئك ولما خرجت من مجلس الشيخ اسمعيل ورأيت قيامك الثقيل ونهوضك العليل صعدت السطح لأنصح اعلى المواضع فرأيت منارة الجامع اشرف المطالع فبدرت ان اقصدها ونويت ان اصعدها فاذا صرت منها في الدرجة العليا خربت على الدنيا والسلام

(وله الى ابي الفوارس الاصم)

يعجبني ان يكون الشيخ فصيح اللسان طويله حسن البيان جيله ولا يعجبني ان يطول لسانه حتى يلحس به جبينه ويضرب به صدره ويحك به قفاه فخير الامور أوساطها وأمام الساعة أشراطها والغاية شؤم

الغى وماالكاهن الاجنبى وسرجب عن غير النبى وهل ينخدع بالفال الاقلوب الاطفال وان امرأ جهل حال قومه وما الذى يجرى عليه فى يومه كيف يعرف حال الغد وبعده ونحس الفلك وسعده وان قوما يأكلون من قرصة الشمس لمهزولون وانهم عن السمع لمعزولون ما السموات الا مجاهل والكواكب ضواها وما النجوم الاهيا كل سبعة ومن الله قواها كل يسرى لأمر معمى وكل يجرى لاجل مسمى (وقوله) المرض يسبل على وجوه الظلمة براقعا والظلم يدع الديار بلاقعا يرضون طيب الحياة وينسون يوم النشور ويفتكون فتك البزاة ويؤملون عمر النسور فلا تغرنك من الظلمة كثرة الجيوش والانصار انما نؤخرهم ليوم تشخص فيه الابصار (وقوله) اغتنم نوذلك الفاحم قبل ان يبيض فانما الدنيا جدار يريد أن ينقض فلا يغرنك قطفها النضيج هو غيث اعجب الكفار نباته ثم يهيج (وقوله) فى آخر مقالة من الاطباق تلك أمة قد خلت ذكروا الله فى الخلوات فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات (وقوله) أصدق الارواح روحان ممتزجان وأخلص القلوب قلبان يزدوجان يتصاحبون قياما وقعودا وعلى جنوبهم وآخرون يقولون بالسنتهم ماليس فى قلوبهم وقوله قدره فياهذا لاتحسد المتنعم على ترفه ولا تغبط المتكبر على شرفه وقل له اذا برزت الجحيم وقدم له الحميم ذق انك أنت العزيز الكريم (وقوله) أليس من الخسران جزار يأكل الميت ومكى لايزور البيت فلا تكن كالجمل الطليح يحمل لغيره أسفارا ولاتك كالحمار يحمل أسفارا (قلت) هذا القدر الذى أوردته هنا كاف فى الاقتباسات التى تليق بمواعظ الخطب فيتعلم بليغ الخطباء منها سلوك الادب ولم يبق الا اظهار نور الاقتباس من مشكاة نور المترسلين فانهم ملوك هذا الشأن ومن استضاء بسهر اقتباسهم قال ان هذا الا سحر مبين ومن ذلك قول مالك ازمة هذا الفن القاضى الفاضل من تقريظ ورأيت كل معتاض غيره لصناعة البديع لاهجا بالبدعة خارجا عن الشرعه دارجا فى غير عشه مخرجا ميت القول من طرسه على نعشه فهى المدام ومادون فهم عنها اقدام ووفود بلاغة لو وجهت الى الجنة لقال رضوانها ادخلوها بسلام وكل ابنة فكر ماطالعت فكرها الاصاح لسان طربه يابشراى هذا غلام وكل غصن ألف وكل همزة حمام وفيها وفيها وأخاف ان أقول ولا أوفيها وليت هذه المحاسن وليت الاسماع وألقت القناع وفى العمر مستمتع وفى قوس الشيبة منزع ولكن ضاق فتر عن مسير وجاء فضلها الاول فى الزمن الاخير وقد حان ان تخيب فى البلاغة القدحان وأنى وانه قضى الامر الذى فيه تستفتيان (وقوله) لازالت الملوك تنزل لركوبه والسيوف تضحك لقطوبه واسبغ عليه نعمه باطنة وظاهره وكتب له فى الدنيا حسنة وفى الآخره وغض عيون اعدائه فاذاهم بالساهره (وقوله) وقف الخادم على الكتاب فارتقى الى سماء المكرمات وكانت سطوره درجا واضاءت فى خاطره فما استمدت مدادا ولكن اذ كتب سرجا ونهجت له طريق السعادة فلله من كتاب لولا الغلو لقلنا من كتاب لم يجعل له عوجا (وقوله) ورد على الخادم الكتاب الكريم فشكره وقربه نجيا

والاستقصاء لوم فان الحمار يشب على جمارته فتارة بعض الانحراف وتارة كل الانصراف وتارة تحت الاكاف ثم يوعيه فى الغلاف ويزعم الجمار انه لوشاء فى اول شبابه لاتى الامر من بابه واقر الحق فى نصابه وكان هذا ظننا به ولكن لوقوف السيارة وتعيير النظارة وتحريض الجارة فلا تكن أحمر من حمارى ولا علمك ان يبذلك غيرى فان الجرمن الجر ينب ومن الكبائر والله طفيلى يدب ومن النوادر ذباب يثب واللص فى بيت النائب آمين وانما يقع فى الحريم ويهتك بحائط الحجيم

(وله الى الشيخ أبى الحسن الشبلى)

احدى عشرة ليلة كنت حدثتك يا شيخ حديثها

ورفعه مكانا عليا وأعاد عليه عصر الشباب وقد بلغ من الكبر عتيا (وقوله) كتبها الخادم وقد اخرجت السماء أثقالها وقصت من العزالى أقفالها وركضت الرعود لابسة من الغيم جلالها وثوب الليل بالغمام غسيل وسيح الظلام بسيف البروق قتيل وقد زادت السيول الى ان صارت الخيام عليها فواقع وهمهم الرعد قارئا فاستقبلت قبابها بين ساجد وراكع وكأن الصباح قد ذاب فى الليل قطرا وكأن البرق لما ساوى الغمام بين سدفى الليل والنهار قال آتونى أفرغ عليه قطرا (وقوله) ونفذت بلاغته بسلطانها ونفثت بسحر بيانها وصلى القلم من يده فى محراب ومن طرسه على سجادة وجاء منه كتاب لو كان البحر مدادا لما زاده وكم كاتب لا يساوى مداده وأخذت الارض زخرفها وجاءت من الاسلحة أموفها وشنت الغارة على السمع والبصر فسلم لها من أسلم وبهت الذى كفر (وقوله) النوبة البغدادية الحديث فيها زائد وناقص والخبر عنها مشوب وخالص وابن أبى عصرون قوم يقولون قد وزر وقوم يقولون كلا لا وزر (وقوله) وقفت على تلك الالفاظ المجنسة التى هى ذرية بعضها من بعض وثمرات الجنة فكلما رزقت منها رزقا قلت كقول أهلها الحمد لله الذى أورثنا الارض (وقوله) ومما يجب ان يعانيه تربية الحمام التى سكنت فى البروج فهى أنجم وأعدت كنائن للحاجات فهى أسهم وقد كادت ان تكون من الملائكة فاذا نيطت بها الرقاع صارت أولى اجنحة مثنى وثلاث ورباع (وقوله) وعملوا الابرجة الخشبيه وزحفوا بها الى الابراج الحجريه وخصوصا الى برج يعرف بالذباب ولكن حماه ذباب السيف الاسلامى من الذباب فلم يقدروا ان يستنقذوه وضعفوا عنه فسلبهم أرواحهم وان يسلبهم الذباب شيأ لا يستنقذوه (وقوله) والاسلام مد الى ترابه باعا طويلا والقى عليه الشرك من ألسنة السيوف قولا ثقيلا وحصون العدو قامت قيامتها فالها اليوم كيوم تكون الجبال كثيبا مهيلا (وقوله) مما كتب به عن السلطان الملك الناصر الى أمير المؤمنين المستضئ بالله وهو سلام قولا من رب رحيم وروح وريحان وجنة نعيم مملوك العتبات الشريفة وعبدها ومن اشتمل على خاطره ولاؤها وودها ينهى أن الله سبحانه شرف ملة الاسلام على الملل ودولة أمير المؤمنين على الدول وقد أقام سيفه حساب الكفرة فاظهر تحريف حسابها ونقلها من ظهور أسرتها الى بطون ترابها فهل ترى لهم من باقيه أو تسمع لهم من لاغيه وظلت أخفاف بنى حام تحت غربان الفلاة غربانا وشوهدت ظلمات بعضها فوق بعض أفعالا وألوانا وعزت سيوف الاسلام فظلت أعناقهم لها خاضعين وعوتبت منهم الانفس والرؤس فقالتا أتينا طائعين (ومن اقتباسات القاضى محيى الدين بن عبد الظاهر البديعة قوله) من رسالته التى كتبها عن السلطان الملك الظاهر الى شمس الدين آقسنقر الفارقانى جوابا عن كتابه الذى أرسله بفتوح النوبة لما توجه اليها من الديار المصرية (وهو) أدام الله نعمة المجلس ولا زالت عزائمه مرهوبه وغنائمه مجلوبة ومحبوبه وسطاه وخطاه هذى تكفى النوب وهذه تفتح أرض النوبه ولا برحت وطأته على الكفار مشتده وآمالها الهلاك الاعداء كرماحه ممتده ولا عدمت الدولة بيض سيوفه التى يرى بها الذين

والضحى ان لحيتك لمن تلك اللحى باشؤم البقرة ترد وانا لا أشعر وتصدر وأنا لا أخبرهبنى لا أعلم بقدومك ألم تعلم بمقامى وهبنى لم ابال بسبالك أما تخاف ملامى وهبنى لم أنشط للقائك ألم ترغب فى سلامى والله لولا شفعك من القلب لربطتك مع الكلب ولكن لا حيلة وصدرى حصارك وكلى انصارك والسلام

(وله أيضا الى المعدل بن أحمد)

تصبحنا الايام كل صبيحة
ببادرة تربو على أخواتها
وكانت تطير الطير عن وكناتها
فصارت تزيل الهام عن سكناتها

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الراجع فى هبته كالراجع فى قيئه ثم اختلف العلماء فمن وهب من ماله وأعطى من حلاله

كذبوا على الله وجوههم مسوده صدرت هذه المكاتبة الى المجلس تثنى على عزائمه التى دلت على كل أمر رشيد وأتت على كل جبار عنيد وحكمت بعدل السيف فى كل عبد سوء وما ربك بظلام للعبيد والله يشكر تفاصيل همم المجلس وجملها وآخر غزواته وأولها واذا انسلخ نهار سيفه من ليل هذا العدو يعود سالما الى مستقر والشمس تجرى لمستقر لها (وقوله) فى وصية العهد الشريف الذى انشأ للسلطان الملك الاشرف صلاح الدين خليل عن والده الملك المنصور قلاوون الصالحى رحمه الله وهو والشرع الشريف هو قانون الحق المتبع وماموس الامر المستمع به يمسك من يمتاز ويمتاز وهو جنة والباطل نار فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز (ومن ذلك) اقتباس العلامة أبى طاهر اسمعيل بن عبد الرزاق الاصفهانى فى رسالة القوس وهو صورة مركبة ليس لها من تركيب النظم الا ما جلت ظهورها أو الحوايا أو ما اختلط بعظم (ومن ذلك) ما أورده الشيخ جمال الدين بن نباتة من الاقتباسات البديعية فى رسالة السيف والقلم فرقى الآمل على أعواده وقام خطيبا بمحاسنه فى خلعة سواده والتفت الى السيف فقال بسم الله الرحمن الرحيم ن والقلم وما يسطرون ما أنت بنعمة ربك بمجنون الحمد لله الذى علم بالقلم وشرفه بالقسم وخط به ماقدر وقسم وصلى الله على سيدنا محمد القائل جف القلم بما هو كائن وعلى آله وصحبه ذوى الجد البين وكل مجد بائن صلاة واضحة السطور فاتحة أدراج الصدور مانقلت عن سحائب البحار غواديها وكتبت أقلام النور على مهارق الرياض حكمة باريها أما بعد فان القلم منار الدين والدنيا وقصبة سباق ذوى الدرجة العليا ومفتاح باب اليمن المجرب اذا أعيى وسفير الملك المحجب وعذيق الملك المرجب وزمام أموره السائره وقادمة أجنحته الطائره وأئمة الهدى المشيرة الى ذخائر الدنيا والآخره به رقم كتاب الله الذى لا يأتيه الباطل وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم التى تهذب الخواطر الخواطل فبينه وبين من يفاخره الكتاب والسنه وحسبه ماجرى على يده الشريفة من منه ان نظمت فرائد العلوم فالقلم سلكها وان علت أسرة الكتب فانما هو مليكها هذا وهو الجارى بما أمر الله به من العدل والاحسان والمسود الناطر فكانما هو لعين الرأى انسان طالما قاتل على البعد والصوارم فى القرب وأوتى من المعجزات نوعا من النصر والرعب لا يعاديه الا من سفه نفسه ولبس لبسه وطبع على قلبه وقل الجدال من غربه وكيف يعادى من اذا كرع من نفسه فقل انا أعطيناك الكوثر واذا ذكر شانئه فقل ان شانئك هو الابتر فعند ذلك نهض السيف عجلا وتلا لسانه للقول مرتجلا وقال بسم الله الرحمن الرحيم وأنزلنا الحديد فيه باس شديد ومنافع للناس وليعلم الله من ينصره ورسله بالغيب ان الله قوى عزيز الحمد لله الذى جعل الجنة تحت ظلال السيوف وشرع حدها فى ذوى العصيان فاغصتهم بماء الحتوف وشيد بها مراتب الذين يقاتلون فى سبيله صفا كانهم بنيان مرصوص وعقد مرصوف وصلى الله على سيدنا محمد هازم الالوف وعلى آله وأصحابه الذين طالما محوا بريق الصوارم من سطور الصفوف وسلم أما بعد فان السيف زند الحق القوى وزند الورى به أظهر الله الاسلام وقد جنح خفاء وجلا شخص الدين الحنيفى وقد جمح جفاء وأجرى سيوله بالاباطح فاما الحق فمكث وأما الباطل فذهب جفاء وحامله

ثم رجع فى نواله فقال أبو حنيفة مكروه قبيح وقال الشافعى حرام صريح وقلتم انه حسن مليح ولكل أصل وترجيح وتأويل الخبر صحيح يقول أبو حنيفة التى وان كان رجيعا وكان أكله قبيحا شنيعا فليس بحرام ويقول الشافعى ورد الخبر مورد النهى ولا شئ فى بابه الافى وتقولون التى لمن قاءه لا لمن شاءه ونحن اولى به من الكلاب وان ساءه وورد عليك كتاب من سلطانى بان لا تتعرض لضياعى بوجه ولا تطالب اكرتى بشئ فرأيت ان أصالحك على النصف من مال الاحداث ووجدت الصلح جائزا فى مال الميراث فامضيت الصلح وأديت النصف ثم رجعت عودا على بدء تطالب ما بقى فبعثت

اليد الشريفة النبويه وخصته على الاقلام بهذه المزيه وأطلعته فى ليالى النقع والشك سراجاوهاجا وفتح باب الدين الى ان دخلت فيه الناس أفواجا فهو ذو العزم الثاقب وسمه الجد الذى زينت آثاره بزينة الكواكب والحد الذى كأنه ساعد اق يخرج من بين الصلب والترائب تحسم به ادواء الفتن المعضله وتحذف همه اللازمة حروف العله ويحيى من سهاء القتام بالضرب فقل يسألونك عن الاهله يجلس على رؤس الاعداء قهرا ويصرع ابناء الشجاعة فانا للقلم ذلك تأويل مالم تستطع عليه صبرا وهل يفاخر من وقف الموت على بابه وعضت الحرب الضروس بنابه وقذف شياطين القراع بشهبه ومن آيات شريفة منها طلوع الشمس من غربه ومنها ان الله أنشأ برقه وكان للمارد مصرعا وللرائد مرتعا ومن آياته يريكم البرق خوفا وطمعا فقام القلم فى دواته وقعد واضطرب على وجه القرطاس وارتعد وانحرف الى السيف وقال أيها المضرب بطبعه المغرب بلمعه الناقض حبل الانس بقطعه الناسخ بجوره من ظلال العيش فيأ السراب الذى يحسبه الظمآن ماء حتى اذا جاءه لم يجده شيأ الحبيس الذى طالما عادت عليه عوائد شره المسكين الابليس الذى لو أمرلى بالسجود لقال خلقتنى من نار وخلقته من طين فاقطع عنك أسباب المفاخره واسترمن نابك فى هذه المكاشره فما يحسن بالصامت محاورة المفصح والله يعلم المفسد من المصلح اولست الذى قيل فيه

شيخ يرى الصلوات الخمس نافلة * ويستحل دم الحجاج فى الحرم

فدع عنك هذا الفخر المديد وتأمل قدرى اذا كشف عنك الغطاء فبصرك اليوم حديد قلت ولولا خشية الاطالة لاوردت هنا رسالة السيف والقلم بكمالها ولكن فى هذا القدر من نور اقتباسه مايهتدى به الاعشى ويستغنى بانشائه عن سلافة الانشاء ومن غريب اقتباسات الشيخ جمال الدين أيضا ما كتب به مع منقد نحاس (وهو قوله فيه) طالما حمدت معاشرته ولذت فى الليالى مسامرته وأطلع من أفقه نجوما سعيدة القران وتلا على الريح والثلج يرسل عليكما شواظ من نار ونحاس فلا تنتصران (ومن ذلك) بديع الاقتباس للشيخ زين الدين بن الوردى فى خطبته فى الكلام على المائة غلام (وهو) لعمرى ما أنصفنى من اساء بى الظن وقال انى رضيت مع درجة العلم بهذا الفن والصحابة كانوا ينظمون وينثرون ونعوذ بالله من قوم لايشعرون (ومن ذلك) قوله فى توقيع عدالة بعض الشهود بحلب المحروسة (وهو) الحمد لله الذى شاد رتبة العدالة وحماها وجعلها همة من شرفت نفسه فزكت وقد أفلح من زكاها وعصمة من فرقة فى قلوب الحكام من نار تدليسهم وقود وهم على ما يفعلون بالمؤمنين شهود (ومن ذلك) ما كتب به عنه وعن أخيه يوسف واذا عن الصاحب بالاخ رفقا واحسانا تلوناهذه بضاعتنا ردت الينا ونمير أهلنا ونحفظ أخانا والله يعلم انا بملوك ويبلغنا مرجونا يبلوغ مرجولك حتى يقول أولاد الصاحب عنا ليوسف وأخوه أحب الى أبينا منا (ومن ذلك) ما كتب به بقية السلف الشيخ زين الدين أبو بكر العجمى على قصيدتى الكافية البرهانية تقريظا أشرقت أقطار الادب بنور اقتباسه والاقتباس فى التقريظ فماله من قصيد ودعون أعيان هذه الصناعة من الحياء مطرقه تالية على من قال هابامرئ القيس فلا تميلوا كل الميل فتذروها كالمعلقة (ومن ذلك) ما كتب به الشيخ برهان الدين القيراطى الى الشيخ جمال

الملك ثلاثة دنانير منقبا شرف نحوس الله هذه الدنانير ورزقنا منها الكثير انها تفعل مالا يفعل التوراة والانجيل وتفى مالا يفى التأويل والتنزيل وتصلح مالا يصلح جبريل وميكائيل فاما الامير والشيخ الجليل ومنشورهما الطويل فنسأل الله سترا جميلا وسبحان الله بكرة وأصيلا والسلام

(وله الى الفقيه أبى الحسن الظريف):

من استسلام فى اخوة أو قصد فى مروة فالفقيه السابق الى كل كريم من الخصال المبتهج بكل نبيه من الكمال الحالى بكل نادرة غراء العاطل من كل فاحشة عذراء ان ذكر الجمال طلع بدرا اوالسخاء زخر بحرا اوالعميد رسخ

الدين بن نباته يقبل الارض التى سقت السماء نباتها وعمر الله بمعانى الحسن آياتها (منها) فلا غرو ان فضح بديع الزمان بلفظه البديع وأزهرت الاوراق بمنثور رسائله التى كل فصل منها ربيع وخجلت صفحة الخد المنمنمة بطراز العذار المرقوم وقالت الكؤس حين شبهت فى امالة الاعطاف بالفاظه ومامنا الاله مقام معلوم (منها) فسبحان من أسرى بها فى ليل نقسها الى المحل الاقصى وحباها بالفضل الذى لايحصى وأنبت دوحتها فى رياض الفصاحه وغنى حدائقها التى لو فتح النرجس عينه فى عينها انسب الى الوقاحه فتبارك الذى جعل فى سماء دوحته لشمس بلاغته بروجا وأعلى همته التى لاترضى الشهب جيادا والاهلة سروجا حتى أقام يراع قلمه لسوق الادب قصبه وشاد من قصائده كل بيت اذا امرا لحاسد ببابه قبل العتبه وسارت كالسبعة السيارة مصنفاته وعلت من قصره المشيد بسينات سطوره شرفاته وفديت بالمباسم والقدود جمانه وألفاته وزهت امداحه المؤيدية فاصبحت بيوته المرفوعة ذات العماد وراقت محاسنها التى لم يخلق مثلها فى البلاد وفضحت لسهلها الممتنع أدباء العصر الذين جابوا الصخر بالواد (منها) طالما سرح الناظر فى بستانها منظره ورام ابن سكرة فتح الابواب لمعارضة قطرها النباتى فوجدها مسكره وعلم المتنبى ان هذا خاتم الادباء لامحاله والمترسل الذى نهض دونه باعباء كل رساله وأقام بتقديمها على غيرها براهين الاحتجاج وقال المحى عندما قابل بحرها الحلو بصره هذا عذب فرات سائغ شرابه وهذا ملح أجاج ومن ذلك مانقلته من خط الصاحب فخر الدين ابن مكانس تغمده الله برحمته (وهو) وردعلينا شخص من اهل القير وانضر يسمى عبد الله الزغبى يتعاطى نظم الشعر المقفى الموزون الخالى عن المعانى فتردد الى فى مجالس متفرقة ثم بلغنى انه وشى الى صاحبنا الشيخ زين الدين ابن أبى بكر العجمى عين كتاب الانشاء الشريف بانى اهتضمت جانبه وانتقصته وغضضت منه بالنسبة الى الادب وانه يستعين بكلام الغير كثيرا فتأذى من ذلك وتأذيت من كذب الناقل فكتبت ليس على الاعمى حرج بلغنى ٣ بلغ الله سيدنا ومولانا الامام العالم العلامة الاديب الشاعر الناظم الناثر المحقق الامه الكاتب الحجة زين الدنيا والدين قرة عين الكرام الكاتبين أقصى ماينتهى اليه تنافس المتنافس وتبتهج به صدور الاولياء والرؤساء والمجالس ولازال زينة يحلى به العاطل ويظل تحت جناح أدبه القائل من غيبة ذلك الضرير ٣ ما الاخشى الله فيه بظهر الغيب ونقل الى المسامع الكريمة مالايحتاج للاعتذار عنه لما فيه من الريب ولكن لاغنا لسيف ذهن المملوك الكليل من التنصل ولابد من نهلة اعتذار على سبيل التعلل وكان المملوك يترقب سببا للمطارحة فهذا المغتاب الآن صار عنده محمودا اذ كان السبب لحسن التوسل الى صناعة الترسل (منها) فلو اختلف الادباء على املم لاهل هذه الصناعة مطهرمن الارجاس لقال لهم لسان البلاغة مر وأبا بكر فليصل بالناس فكيف يسوغ للمملوك ان يدعى غيرهذا وكيف ولم ولماذا أحسدا على الادب فما أهجرنى له من عصر الصبا بحمد الله وما اغنانى او تفاخرا بالنظم فما اشغلنى عنه بتدبير الممالك بما عنانى نعم وان كان جوهر الالفاظ مما يحسد عليه فما أزهدنى والله فى هذا العرض الفانى (منها) والمسؤل من احسانه امران (احدهما) الجواب فانه يقوم عند المملوك مقام

صخرا او الرأى اسفر فجرا او الحياء رشح خمرا او الذكاء توقد جمرا وقد وصلت كتبه تترى وما تأخر الجواب عنها لعذر الاعادة كسل لم يسبق عليها الاخوان قبله وان لم يكونوا مثله ولم يبلغوا فضله وأرجو ان يكون هذا الكتاب لما خرقه الكسل رفوا ولما جرحه التهاون أسوى وقد نهض أبو فلان وهو منى بمنزلة العين واليدين وأوصيته ان لايغب زيارته يوما وكما أوصيته كذلك أوصى الفقيه ان لايألوه معاضدة ومراغدة انه بصدد شغل لبلده فليجمع يده الى يده فى كل ماهو بصدده ومما أخبره به ما أجريت بحضرة الشيخ من حديثه وقرائه عليه من كتابه وشحذت عزمه

الفرج من هذه الشدة والا آخر رد كل فاسق عن الباب العالى فان ابا بكر أول من تصلب
فى الرده وبلغ المملوك ان هذا الضرير قصد بعض الاصحاب برمية كهذه فاصمى وتردد
اليه مرة أخرى فعبس وتولى أن جاءه الاعمى (ومن ذلك) ما كتب به الى المقر الصاحبى
الفخرى المشار اليه بعد توجهى من خدمته الى دمشق المحروسة ومشاهدتى ماقدر الله
عليها من الحريق والحصار من قبل الملك الظاهر سنة احدى وتسعين وسبعمائة وهذه الرسالة
التى سارت بها الركبان وجاء البديع الاقتباس فى معانيها بيان (وهى) يقبل الارض التى
من يممها أو تيمم بترابها حصل له الفخر والمجد فلا برح هيام الوفود الى ابوابها أكثر من هيمان
العرب الى ربا نجد ولازالت فحول الشعراء تطلق اعنة ألفاظها وتركض فى ذلك المضمار
وتهيم بواديها الذى يجب ان ترفع فيه على اعمدة المدائح بيوت الاشعار وينهى بعد
اشواق أمست العين بها فى مجارى العين معثره ولولم يقر انسانها بمرسلات الدمع اقلت
فى حقه قتل الانسان ما أكفره وصول المملوك الى دمشق المحروسة فياليته قبض قبل ان
يكتب عليه ذلك الوصول ودخوله اليها والله لقد تمنى خروج الروح عند ذلك الدخول
(منها) وتطرقت بعد ذلك الى الحدادين ولقد نادتهم النار بلسانها من مكان بعيد آتونى زبر
الحديد ولقد كان يوم حريقها يوما عبوسا قمطريرا ضج المسلمون فيه من الخيفة وقد رأوا
سلاسلا وأغلالا وسعيرا يامولاى لقد لبست دمشق فى هذه المأتم السواد وطبخت قلوب
أهلها وسلقوا من الاسنة بالسنة حداد ولقد نشفت عيونهم من الحريق واستنشقوا فلم
ينشقوا رائحة الغاديه وكم رؤى فى ذلك اليوم وجوه يومئذ خاشعة عاملة ناصبة تصلى نارا
حاميه وكم رجل تلا عند لهيب بيته تبت يدى أبى لهب وخرج هاربا وامرأته حمالة الحطب
(منها) ونظرت بعد ذلك الى القلعة المحروسة وقد قامت قيامة حربها حتى قلنا أزفت الآزفة
وستروا بروجها من الطارق بتلك الستائر وهم يقولون ليس لها من دون الله كاشفة (منها)
وتطاول الى السور المشرف وقد فضل فى علم الحرب وحفظ أبوابه المقفلات فما وقفنا على باب
الا وجدناه لم يترك خلفه لصاحب المفتاح تلخيصا لما أبداه من المشكلات فلاوابيك لونظرته
يوم الحرب وقد تصاعدت فيه أنفاس الرجال لقلت ونفخ فى الصور ذلك يوم الوعيد والى
المحاصرين وقد جاؤا فارسا وراجلا ليشهدوا القتال لقلت وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد
والى كواكب الاسنة وقد انتثرت والى قبور الشهداء وهى من تحت أرجل الخيل قد بعثرت
والى كر الفوارس وفرها لقلت علمت نفس ماقدمت وأخرت (منها) وتصفحت بعد ذلك فاتحة
باب النصر فعوذته بالاخلاص وزدت لله شكرا وحمدا وتأملت أهل الباب وهم يتلون لاهل
البلد سورة الفتح وللمحاصرين وجعلنا من بين أيديهم سدا وكم طلبوا فتحه ولم يجدوا لهم طاقة
وضرب بينهم بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب (منها) هذا وكم من مؤمن
قوم خرج من دياره حذر الموت وهو يقول النجاة وطلب الفرار وكلما دعاه قوم لمساعدتهم
على الحريق ناداهم وقد عدم الاصطبار ياقوم مالى أدعوكم الى النجاة وتدعوننى الى النار
(منها) فاعيذ مابقى من السبعة بالسبع المثانى والقرآن العظيم فكم رأينا بها يعقوب
حزن رأى سواد بيته فاصفر لونه وابيضت عيناه من الحزن فهو كظيم (منها) وتوصلت الى

فيه من اصطناعه وصوبت
رأيه فيه من اختياره وأبو
فلان يقوم بوصفه وما
أمرنى بكتابه واردا ورسوله
قاصدا وحديثه جاريا
وخياله طارقا فليهد منها
مااستطاع ان اكل موقعا
وللفقيه فيما يراه التوفيق
والسداد ان شاء الله
تعالى

(وله الى طاهر الداوردى
يهنئه بابن له)

حقا لقد انجح الاقبال وعده
ووافق الطالع سعده وان
الشأن لفى ما بعده وحبذا
الاصل وفرعه وبورك
الغيث وصوبه وا ينع
الروض ونوره وحبذا
سماء اطلعت فرقدا وغابة
ابرزت اسدا وظهر وافق
سندا وذكر يبقى ابدا
ومجد يسمى ولدا وشرف
لحمة وسدا

ظاهر كيسان فانفقت كيس الصبر لما انفقرت من دنانير تلك الازهار والدراهم رباها وكابرت الى اطراف الباب الصغير فوجدت فاضل النار لم يغادر منها صغيرة ولا كبيرة الا أحصاها (منها) هذا وكم خائف قبل اليوم آوينا به الى ربوة ذات قرار وكم كان بها مطرب طير خرج بعد ما كان يطرب على عود وطار وأضحت أوقات الربوة بعد ذلك العيش الخضل واليسر عسيرة ولقد كان أهلها في ظل ممدود وماء مسكوب وفاكهة كثيرة (ومن ذلك) ما أنشأته قديما في توقيع لمولانا قاضي القضاة علاء الدين عالم المسلمين أبي الحسن علي الحنبلي جمل الله الوجود بوجوده بنظر البيمارستان النوري بحماة المحروسة والذي أوردته في التوقيع من الاقتباسات البديعة قولي وصفت مشارب الصفاء بعد الكدر وسقاهم ربهم شرابا طهورا وتلا من سعى لهم في ذلك وجزى بالخيرات ان هذا كان لكم جزاء وكان سعيكم مشكورا ودار شراب العافية على اهل تلك الحضرة بالطاس والكاس وحصل لهم البرء من تلك البراني التي يخرج من بطونها شراب مختلف الوانه فيه شفاء للناس وتمشت الصحة في مفاصل ضعفائه وقيل لهم جوزيتم بما صبرتم وامتدت مقاصيرهم وفتحت أبوابها وقال لهم خزنتها سلام عليكم طبتم (ومن ذلك) ما اقتبسته في ديباجة عهد مولانا أمير المؤمنين المعتضد بالله زاده الله شرفا وتعظيما وهو الحمد لله الذي شد عضد هذه الامة بمن أمسى به معتضدا واسعفنا من البيت النبوي بخليفة ما برح شيخ الملوك في تقديم بيته الشريف مجتهدا وأقام العلم العباسي بعد ابي مسلم بابي النصر فاكرم بحسن الختام وحسن الابتدا ونشكر رحده على سلطان مؤيد اتحف به العلماء الاعلام وظهر بجلالهم في ايامه الزاهرة بهجة فقال هذا زمان مشايخ الاسلام نحمده على حكمته التي اقتضت ان تكون الخلافة عمدة الاحكام يزول بها الالتباس وهو القائل تعالى ياداود انا جعلناك خليفة في الارض فاحكم بين الناس (ومن ذلك) ما اقتبسته في عهد مولانا السلطان الملك الظاهر ططر بقولي منه فان البغاة بنت لاحتجاب السلطنة عنه سدا أسسته على الطغيان فقيل لاهل البيعة قد فتح الله لابي الفتح فانفذوا لا تنفذون الا بسلطان (ومن ذلك) ما اقتبسته في مثال شريف مؤيدي كان جوابا لقرا يوسف ونبدي لعلمه الشريف ورود البشير بالقرب اليوسفي وقد حل بالاسماع قبل رؤيته نشنف وهبت نسمات قبوله فاطفأت ما في القلوب من التلهف وضاع نشرها اليوسفي فقال شوقنا اليعقوبي اني لاجد ريح يوسف وهذه الفئة تحول لتنا في نعم الله وزمام الاخوة منقاد الينا وقد تعين على القرآن يقول أنا يوسف وهذا أخي قد من الله علينا (واتفق لي) في تقليد قاضي القضاة ولي الدين العراقي اقتباسات بديعة (منها) وكم قال هذا المنصب رب قد اضعفني اليتم وصار الباطل قويا فهب لي من لدنك وليا (ومنها) واعاذنا الله من ولاية قوم يسمعون بينة الحق واذا اجتمعوا على الرشوات تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات (ومن ذلك) ما كتبته على ديوان المقر البارعي الكاملي الاديبي العمادي اسمعيل بن الصائغ الحلبي احد أعيان كتاب الانشاء الشريف الذي عارض به ديوان الصبابة للشيخ شهاب الدين بن أبي حجلة رحمه الله وهو وقفت على هذا الكتاب الذي رفع عماد الادب في هذا الجيل وشرعت في ذكر محاسنه فقال لسان

انجب ايام والداه به
اذ نجلاه فنعم ما نجلا
شهاب ذكاه وبدر علاء
ووجداه ابن جلا
ايض يدعو الجفلى
كمثله اولى فلا
اذا الندى احتفلا

(وله الى أبي المظفر في شأن أبيه أبي الحسن البغوي)

يبلغني ان أباه دائم العبث بالحمى والتنقل يشتمي وانه حسن البصيرة في بغضي كثير التناول من عرضي ولعمر الله ان دم الصديق لا يشرب على الريق ولحم الوزيد لا يصلح للقديد والولي لا يقلى ولا يتخلخه نقلا بالقدح وعلى املائنا بالجرح اويقصر سعيه ويتداركه وهنه فيعلم أن من أملى من مقامات الكدية اربعمائة مقامة لا مناسبة بين المقامتين لفظا ولا معنى وهو لا يقدر منها على عشر حقيق الانهاج لكشف عيوبه والسلام

القلم واذكر في الكتاب اسمعيل (ومنه) واما ابن حجة فقد ندب الى الوقفة على عرفات هذا الفضل المعروف والامتثال هنا واجب ولكن الكف صفر والطريق مخوف هذ وقد ذوت من حد اثق فكري زهرة الشباب واختنق لساني كما قال ابن نباتة واغلق عليه من شقتيه مصراعي باب وخمد جمر القريحة وجمد ذلك الذهن السيال ونأى عن خدي كافور الطروس وعنبر المداد وصواب المقال ولكن هبت على نسمات الشبيبة من دوحة هذا المصنف الجليل فقدت وقد شبت نار القريحة وأملت على هذا الوصف الجميل الحمد لله الذي وهب لي على الكبر اسمعيل وهذا القدر الذي أوردته كاف هنا في الاقتباس من القرآن فاني اخشى باب الملالة ولكن عن لي ان أفرد كتابا واسميه رفع الالتباس عن بديع الاقتباس وقد تقدم وتقرر أيضا انه ان جاء في المنظوم فهو عقد وتضمين وان كان في المنثور فهو اقتباس وقد أوسع بعض علماء هذا الفن المجال في ذلك فذكر ان الاقتباس يكون في مسائل الفقه وقال بعضهم اذا قلنا بذلك فلا معنى للاقتصار على مسائل الفقه بل يكون في غيره من العلوم وعلى هذا التقدير تعين ان نورد هنا ما وقع من الاقتباس في الحديث النبوي وبقية العلوم بحيث لا يخلو هذا الشرح الغريب من الغرائب فان الظاهر من كلامهم ان الاقتباس مقصور على القرآن والحديث فما وقع من الحديث النبوي قول الصاحب بن عباد

اقول وقد رأيت له سحابا * من الهجران مقبلة الينا
وقد سحت غواديها بهطل * حوالينا الصدود ولا علينا

الصاحب اقتبس من قوله عليه الصلاة والسلام حين استسقى وحصل نزول مطر عظيم اللهم حوالينا ولا علينا (ومنه) قول أبي الحسن علي بن المفرج المنجم لما احترقت دار الوجيه بن صورة بمصر

أقول وقد عاينت دار ابن صورة * وللنار فيها مارج يتضرم
كذا كل مال أصله من نهاوش * فعما قليل في نهابر يعدم
وماهو الا كافر طال عمره * فجاءته لما استبطأته جهنم

اقتبس من قوله صلى الله عليه وسلم من أصاب مالا من نهاوش اهلكه الله في نهابر النهاوش بالنون المظالم والنهابر المهالك الواحد نهبور (ومنه) قول شمس الدين محمد بن عبد الكريم الموصلي

ومنكر قتل شهيد الهوى * ووجهه ينبئ عن حاله
اللون لون الدم من خده * والريح ريح المسك من خاله

اقتبس من قوله صلى الله عليه وسلم في وصف دم الشهيد اللون لون الدم والريح ريح المسك ومن اقتباسات الحديث في النثر قول الحريري في المقامات انما الاعمال بالنيات وبها انعقاد العقود الدينيات ومنه قوله شاهت الوجوه وقبح اللكع ومن يرجوه

(وله الى بعض اخوانه في شأن أبي الحسن المحتسب)

بلغني أطال الله بقاءك أن فاضلا يكنى أبا الحسن معهد ودافي نزل الكتاب وفروح أهل الفضل والآداب إنتدب للآفاق وبيني وبينه مهامه فيح وما شككت انا اذا وردنا نيسابور استقبلنا مراحل بفضائله وتلقانا فراسخ بمسائله وقد وردناها فلا أرض استقبال قطع ولا قوس نضال نزع ولا باب سؤال قرع وبيا زلنا ننتظر نشاطه لما اسلف حتى اخلف ونصرته لما بذل حتى خذل واهتزازه لما اقدم حتى احجم وقيامه لما وعد حتى قعد ووفاءه فيما قال حتى استقال واقدامه على ما نذر حتى اعتذر فهو ايده الله وان لم يستقل بلسان قوله فقد استقال بلسان فعله ولم يعتذر في ظاهر أمره فقد

اقتبس من قوله صلى الله عليه وسلم يوم حنين وقد رمى الكفار بكف من الحصى شاهت الوجوه ويعجبني من المنظوم هنا قول الشيخ شهاب الدين أبي جعفر بن مالك الاندلسي الغرناطي

لا تعاد الناس في أوطانهم * قلما يرعى غريب في الوطن
واذا ما شئت عيشا بينهم * خالق الناس بخلق ذي حسن

اقتبس من قوله صلى الله عليه وسلم لابي ذر اتق الله حيثما كنت وأتبع السيئة الحسنة تمحها وخالق الناس بخلق حسن وهذا الحديث حديث صحيح ومن الاقتباس في مسائل الفقه في المنظوم قول بعضهم

اقول لشادن في الحسن اضحى * يصيد بلحظه قلب الكمي
ملكت الحسن اجمع في نصاب * فاذ زكاة منظرك البهي
فقال ابو حنيفة لي امام * يرى ان لا زكاة على الصبي
وان تك مالكي الرأى أومن * يرى رأى الامام الشافعي
فلا تك طالبا مني زكاة * فاخراج الزكاة على الولي

ومثله قول ابي العلاء احمد بن سليمان المعري

ايا جارة البيت الممنع جاره * غدوت ومن لى عندكم بمقيل
لغيرى زكاة من جمال فان تكن * زكاة جمال فاذكرى ابن سبيل

ومما ينسب الى الامام الشافعي رحمه الله

خذوا بدمي هذا الغزال فانه * رماني بسهمي مقلتيه على عمد
ولا تقتلوه انني انا عبده * وفي مذهبي لا يقتل الحر بالعبد

ومنه قول القاضي عبد الوهاب المالكي

بزرع وردا ناضرا ناظري * في وجنة كالقمر الطالع
فلم حرمتم شفتي قطفها * والحكم ان الزرع للزارع

وله ايضا

ونائمة قبلتها فتنبهت * وقالت تعالوا فاطلبوا اللص بالحد
فقلت لها اني فديتك غاصب * وما حكموا في غاصب بسوى الرد

ومنه قول أبي الطيب المتنبي

بليت بلى الاطلال ان لم أقف بها * وقوف شحيح ضاع في الترب خاتمه
ففي تفرى الاولى من اللحظ مهجتي * بثانية والمتلف الشئ غارمه

المعنى ان النظرة الاولى اتلفت مهجتي فلزم غرمها بنظرة ثانية لانه من أتلف شيأ حكم عليه

اعتذر في باطن سره ولا اعلم ما الذي نهاه كالا اعلم ما الذي أغراه وما اعرف السبب في نشوزه كالا اعرفه في بروزه ولعل العلة في عذره الآن كالعلة في نذره كان ومن طاب لغير ارب هرب لغير سبب ومن شهر سيفه قبل الحرب اغمده قبل الضرب ومن حارب لغير احنة صالح بغير هدنة وما احسن البناء على القاعده واقبح الصلف تحت الراعده ورحم الله الجاحظ فقد ضرب حالي مع هذا الفاضل في قالب قصة طريفة وحكاها في معرض اعجوبة لطيفة وذكر في كتاب طبائع الحيوان ان فأرين خرجا من نقبين فتوعد كل منهما صاحبه وجعل يهز رأسه ويرفع صدره ويخبط أرضه ويحرق نابه ثم هرب كل من صاحبه من

بغرمه ولكن فى التركيب قلق وعقادة (ومنه) قول شمس الدين محمد بن جابر الاندلسى رحمه الله تعالى

طلبت زكاة الحسن منها لجاوبت * اليك فهذا ليس تدركه منى
على ديون للعيون فلا ترم * زكاة فان الدين يسقطها عنى

ومنه قول الشيخ صدر الدين بن الوكيل

ياسيدى ان جرى من مدمعى ودمى * للعين والقلب مسفوح ومسفول
لاتخش من قود يقتص منك به * فالعين جارية والقلب مملوك

ومن الاقتباسات فى علم المنطق قول شمس الدين محمد بن العفيف التلمسانى

للمنطقين اشتكى أبدا * عين رقيب فليته هجعا
صادرها من أحبه فابى * ان نختلى ساعة ونجتمعا
كيف غدت دائما ومااتصلت * مانعة الجمع والخلو معا

وهذه الابيات فى غاية الحسن ولكن اورد بعضهم ايرادا وقال ظاهر كلامه التعجب من هذه القضية والمراد فى مثل هذا ان يتعجب مما خرج عن القواعد وهذه القضية موجودة مستعملة وذلك قولهم العدد اما زوج واما فرد فهذه القضية مانعة الجمع فان الزوجية والفردية لايجتمعان ومانعة الخلو فان العدد لايخلو من أحدهما فلا معنى للتعجب ومنه قول بعضهم

مقدمات الرقيب كيف غدت * عند لقاء الحبيب متصله
تمنعنا الجمع والخلو معا * وانما ذاك حكم منفصله

هذا التعجب مما يسوغ التعجب منه لان منع الجمع لايكون فى المتصلة وانما هو فى حكم المنفصلة وأما الاقتباس فى علم الجدل فمنه قول شمس الدين بن العفيف

ومابال برهان العذار مسلما * ويلزمه دور وفيه تسلسل
وعندى ان الشمس بالصحو آذنت * وسكرى أراه من محياك يقبل

وأما الاقتباس من علم النحو فقد اتسع مجالهم فيه حتى غلب على غالبهم التوجيه فمنه قول أبى الطيب

حولى بكل مكان منهم خلق * تخطى اذا جئت فى استفهامها بمن

أبو الطيب يقول اذا استفهمت عن مثل هؤلاء الاقوام لاتستفهم بمن لان من لمن يعقل وهؤلاء عندى بمنزلة مالايعقل فحقهم ان يستفهم عنهم بما ومنه قوله

اذا كان ماتنويه فعلا مضارعا * مضى قبل ان تلقى عليه الجوازم

يقول اذا هم بفعل اوقعه قبل ان يمنع وينهى عنه ويقال له لاتفعل او ينفى فيقال لم يفعل ومنه قول ابن عنين فى معزول

ـون اللقاء فاوى الى بحره
وقد كان عجب من رآهما
ـن ذلك القرار عقيب ذلك
لاضرار وذلك الهرب
ـلوهذا الطلب وتلك
لشماسه بعد هذا الحماسه
لوشاهد هذا النفار
ـى القار ومااللوم هذا
فاضل على بساط شرطواه
موقد حرب احتواه
كنى ألومه على مانواه ثم
يبلغ هواه واراده ثم لم
رزناده ورامه ثم لم يبلغ
امه فاقول قد ضرب
ين الايجاع وانذر فأين
يقاع وهذى بوارقه
ن صواعقه وذا الوعيده
ن عديده وتلك بنوده
ن جنوده وهذى
اهده فأين عهوده
أهول رعده لوأمطر
ـده ولا كفران فلعله
فق على غريب ان يظهر

فلا تغضبن اذا ماصرفت * فلا عدل فيك ولا معرفه

ومنه قول ابن أبي الاصبع في ذلك

أيا قمرا من حسن وجنته لنا * وظل عذاريه الضحى والاصائل

جعلتك للتمييز نصبا لناظري * فهلا رفعت الهجر فالهجر فاعل

قلت ومن أغرب ماوقع في هذا الباب أن شرف الدين محمد بن عنين مرض فكتب الى الملك المعظم هذين البيتين

انظر الى بعين مولى لم يزل * يولي الندى وتلاف قبل تلافي

انا كالذي أحتاج مايحتاجه * فاغنم ثنائي والدعاء الوافي

فجاءه الملك المعظم يعوده ومعه ألف دينار وقال له أنت الذي وانا العائد وهذه الصلة ومنه قول البهاء زهير

يا القامين قد أقبلت * بالله كوني الف الوصل

ومنه قول الامير امين الدين علي السليماني

أضيف الدجا معنى الى لون شعره * فطال ولولا ذاك ماخص بالجر

وحاجبه نون الوقاية ماوقت * على شرطها فعل الجفون من الكسر

ومنه قول شمس الدين بن العفيف

ياساكنا قلبي المعنى * وليس فيه سواه ثاني

لاي معنى كسرت قلبي * وما التقى فيه ساكنان

أما البيتان فانهما في غاية اللطف ولكن أوردوا عليهما أيضا ايرادا حسنا وهو أن الساكنين اذا اجتمعا كسر أحدهما وهو الاول وكلامه في البيتين أن المكسور غير الاثنين ومنه قول ابن الوردي

شاعرا أخرج نصفا زغلا * عند خباز فلما أن عرف

قال لم تصرف هذا قال مه * يصرف الشاعر مالا ينصرف

قلت قد أتيت في معنى هذه النكتة بما هو أبدع من بيت زين الدين بن الوردي وماذاك الا ان مولانا المقر الاشرف القاضوي الناصري محمد بن البارزي الجهني الشافعي صاحب دواوين الانشاء الشريف رحمه الله أحالني على شهاب الدين الذهبي بخمسين دينارا ومطل بها مدة فكتبت اليه

قد منعتم صرف الدنانير عني * ولكم في الورى هبات كثيره

وانا شاعر وفي شرع نظمي * صرفها جائز لاجل الضروره

ويعجبني في هذا الباب الى الغاية قول الشيخ زين الدين بن الوردي رحمه الله تعالى

وأغيد يسألني * ما المبتدا والخبر

مثلهما لي مسرعا * فقلت أنت القمر

وحكي أنه كان بالعراق غلامان أحدهما اسمه عمر والآخر أحمد فعزل عمر عن عمله وولي أحمد مكانه بسبب مال وزنه فقال بعض الشعراء في ذلك

أيا عمرا استعد لغير هذا * فأحمد في الولاية مطمئن

عواره وان طار طواره فأمسك عن معاياته وان قصد هذا القصد فقد أساء الى نفسه من حيث أحسن الي وأجحف بفضله من حيث أبقى علي وأوهم الناس أنه هاب البحر أن يخوضه والاسد أن يروضه والحية أن تطوقه والسم أن يذوقه وظننت غير المظنون بفضله بعد آن شرقت بكاس الغم من أجله وهجرت الوساد من خوفه وبنا أنشد

ان جنبي عن الفراش لناب * حتى أنشدت

طاب ليلي وطاب فيه شرابي * وبنا أقول

مالقلبي كأنه ليس مني * حتى قلت

أين من كان قاعدا ابابي ومن وقع بمالم يكتسب فجا من حيث لم يحتسب وما أحسن منارا في هذا الفاضل أن وجد خلف العافية فامتراه وظهر السلامة فامتطاه ومن أبي

٢ قوله في الهامش أين من كان قاعدا ابابي لعله اين من كان قائلا إناعني

وكل مشكا كفه كريم * ومنع الصرف فيه كما يظن
فيصدق فيك معرفة وعدل * وأحدفيه معرفة ووزن

ومنه قول الفاضل

لي عند كم دين ولكن هل له * من طالب وفؤادي المرهون
فكأنني الف ولام في الهوى * وكأن موعدوصلك التنوين

ويعجبني في الاقتباس من علم العروض قول القائل

وبقلبي من الجفاء مديد * وبسيط ووافر وطويل
لم أكن عالما بذلك الى أن * قطع القلب بالفراق الخليل

وهذا القدر كاف في الاقتباس من القرآن والحديث النبوي ومسائل الفقه والمنطق وعلم العربية والعروض وغيره وقد تقدم ان الاقتباس مقصور على القرآن والحديث في النثر وأما في النظم فهو عبارة عن عقد وتضمين ونظام البديعيات لم يقتبسوا من غير القرآن * وبيت الشيخ صفي الدين الحلي في بديعيته قوله

هذي عصاي التي فيها مآرب لي * وقد أهش بها طورا على غنمي

وبيت العميان

ذو مرة فاستوى حتى دنا فرأى * وقيل سل تعطه قد خيرت فاحتكم

وبيت الشيخ عز الدين

فاصبحوا الاترى الامساكنهم * ولا اقتباس يرى من هذه الاطم

وبيت بديعيتي قولي

وقلت ياليت قومي يعلمون بما * قد نلت كي يحظوني باقتباسهم

(ذكر السهولة)

يارب سهل طريقي في زيارته * من قبل أن تعتريني شدة الهرم

السهولة ذكرها التيفاشي مضافة الى باب الظرافة وشركها قوم بالانسجام وذكرها ابن سنان الخفاجي في كتاب سر الفصاحة فقال في مجمل كلامه هو خلوص اللفظ من التكلف والتعقيد والتعسف في السبك وقال التيفاشي السهولة أن يأتي الشاعر بألفاظ سهلة تتميز على ماسواها عند من له أدنى ذوق من أهل الادب وهي تدل على رقة الحاشية وحسن الطبع وسلامة الروية ومن ألطف الامثلة قول الشاعر

أليس وعدتني ياقلب أني * اذا ماتبت عن ليلى تتوب
فها أنا تائب عن حب ليلى * فمالك كلما ذكرت تذوب

ومنه قول أبي العتاهية

اتته الخلافة منقادة * اليه تجرر أذيالها
فلم تك تصلح الا له * ولم يك يصلح الا لها

ومذهبي أن البهاء زهيرا قائد عنان هذا النوع وفارس ميدانه فمن ذلك قوله

ومدام من رضاب * بحباب من ثنايا

الايام قبل الليالي ومن عقد الزجاج أطاع العوالي ومن لم يشرب كاس السلامة هنيأ سقي مجل الندامة رويا ولن يعدم طالب الملامة عبوسا ولا خاطب الندامة عروسا ولئن أساء بدأ لقد أحسن عودا ولئن أوعد قولا لقد أمن فعلا وبقي أن ينظم على النضال ولا يندم على الافضال فيأتينا من باب المعاشرة ان لم يأتنا من المكاشرة ويشرننا في الوداد ان لم يطونا في باب الجهاد اللهم الا أن يكون بقي في صدره غرض أو في قلبه مرض ولا يجد من امتحاننا بدا فحينئذ نسأله أن يستر علينا ما يظهر له وليت شعري بم أراد امتحاني ورام امتهاني فليفطن اني غفلت عما فطن واسترحت مما أتعب

(وله ايضا)

اللون أعدل شاهد والتعين

(السهولة)

كان ما كان ومنه * بعد فى النفس بقايا

ومثله قوله

ان أمرى لعجيب * ما يرى أعجب منه
كل أرض لى فيها * غائب أسأل عنه

ومثله قوله

شوقى اليك شديد * كما علمت وازيد
وكيف تنكر شيأ * به ضميرك يشهد

ومثله قوله

أوحشتنى والله يا مالكى * قطعت يومى كله لم أرك
هذا جفا منك ما اعتدته * فليتنى أعرف من غيرك

ومثله قوله

سيدى قلبى عندك * سيدى أوحشت عبدك
اترى تذكر عهدى * مثل ما اذكر عهدك
اترى تحفظ ودى * مثل ما احفظ ودك
قم بنا ان شئت عندى * مسرعا او شئت عندك
انا فى دارى وحدى * فتفضل انت وحدك

ومنه قوله

هذا كتاب محب * قد زاد فيك غرامه
أضناه فرط اشتياق * فرق حتى كلامه
اما ترى كيف اضحى * مثل النسيم سلامه

ومنه قوله

كأنى والمدام فى فمه * قد نفحت من حباب مبسمه
وماس كالغصن فى تمايله * سكران يشتط فى تحكمه
بالله يا برق هل تحدثه * عن نار وجدى وعن تضرمه
وهل نسيم سرى يبلغه * رسالة من فمى الى فمه
عجبت من بخله على وما * يذكره الناس من تكرمه
هم علو فصار يهجرنى * رب خذ الحق من معلمه

وقال ويكاد يسيل رقة وسهولة وهو

كتبت اليك اشكو فى كتابى * امورا من فراقك أشتكيها
وفى سوق الهوان عرضت نفسى * رخيصا لم اجد من يشتريها
فهل وعدالى سنة فانلم * يكن فيها يكن فيما يليها
وقد أنهيت من شوقى فصولا * لمولانا علو الرأى فيها

ومثله فى الرقة والسهولة قوله

أعرف ناقد فليحتمل منى اللون وشحوبه والقلب وخفوقه والجسم ونحوله والاجفان ودرها والانفاس وحرها والافكار وغوصها فوالله لقد تحملت وجدا لو لاقى الصخر لجابه أو الحديد أذابه أو الطفل أشابه أو الكوثر لشابه أو الموت اهابه والسلام

(وله ايضا)

لا والله لا أطأ العشرة بعدها ولا أويد كرامة لا تحتمل غرامة ولا أقبل محبة لا تساوى حبة والسلام

(وله أيضا)

الانسان يولد على الفطرة من طرفه استطرفه ومن لحمه استملحه حين لا يسمى قرطبانا حتى يشقى زمانا فاذا تعب دهرا طويلا يسمى

ملكتمونى رخيصا * فانحط قدرى لديكم
فأغلق الله بابا * دخلت منه اليكم
حتى ولا كيف انتم * ولا السلام عليكم

وألطف منه قوله

انا أدرى بأننى * قل قسمى لديكم
فالى كم تطلبى * والتفاتى اليكم
كان ما كان بيننا * وسلام عليكم

والطف منه قوله

اما تقـــررنا * فلم تأخرت عنا
وما الذى كان حتى * حالت ماقد عقدنا
ولم يكن لك عذر * ولو يكون علمنا
فلا تلمنا فانا * قلنا وقلنا وقلنا

ومنه قوله

قال ماترجع عنى قلت لا * قال ما تطلب منى قلت شى
فانثنى يصمرمنى خجلا * وثناه التيه عنى لا الى
كدت بين الناس أن اثمه * آه لو أفعل ما كان على

ومنه قوله

قالوا كبرت عن الصبا * وقطعت تلك الناحيه
فدع الصبا لرجاله * واخلع ثياب العاريه
ونعم كبرت وانما * تلك الشمائل باقيه
ويميلنى نحو الصبا * قلب رقيق الحاشيه
فيه من الطرب القديم بقية في الزاويه

وقال وزنا وقافية وسال برقته

من لى بقلب أشتريه من القلوب القاسيه
والسلك يا ملك الملا * ح وقد اشكو حاليه
انى لأطلب حاجة * ليست عليك بخافيه
انعم على بقبلة * هبة والا عاريه
واعيدها لك لا عدمت بعينها وكما هيه
واذا اردت زيادة * خذها ونفسى راضيه

ومنه قوله

ان شكا القلب هجركم * مهد الحب عذركم
لو أمرتم بما عسى * ما تعديت امركم
قصروا عمر ذا الجفا * طول الله عمركم

كشفا ناثقيلا والضب اذا شب كان بالخيار اشاسمى لعم الحوار أوكنى أبا الجار أولقب برد الخيار أوشبه بالجدار أو أطلال الدار وان شاسمى برقعة الاحباب أو زينة الاتراب أو ثمرة الغراب او دمية المحراب او فرحة الاياب وعلى الام ان تلد البنين وتغذوهم سنين وتقيهم الماء والنار وتكنهم الليل والنهار فان خرجوا مخانيث فقد قضت ماعليها من الحديث وان قرم السرم فلغيرها الجرم وان حل الشرج ففى الاير الفرج وعلى ابنها الحرج أما الام ففى العراء وان رغمت أنوف الشعراء
وما جلت من امرئ فى ضلوعها أعق من الجانى عليه لسانيا

شرفوني بزورة * شرف الله قدركم
كنت أرجو بأنكم * شهركم لي ودهركم
قد نسيتم وانما * أنا لم أنس ذكركم
لو رأيتم محاسنكم * من فؤادي لسركم
لو وصلتم محبكم * ما الذي كان ضركم

ومن المرقص في هذا الباب قوله

تعيش أنت وتبقى * أنا الذي مت عشقا
حاشاك يا نور عيني * تلقى الذي أنا ألقى
ولم أجد بين موتي * وبين هجرك فرقا
يا أنعم الناس بالا * الى متى فيك أشقى
سمعت عنك حديثا * يا رب لا كان صدقا
وما عهدتك الا * من اكرم الناس خلقا
لك الحياة فاني * أموت لاشك حقا
يا ألف مولاي مهلا * يا ألف مولاي رفقا
قد كان ما كان مني * والله خير وأبقى

وبيت الشيخ صفي الدين في السهولة قوله

وقلت هذا قبول جاءني سلفا * ما ناله أحد قبلي من الامم

والعميان ما نظموا هذا النوع في بديعيتهم ولا وجدته في بديعية الشيخ عز الدين الموصلي الا أن يكون في نسخة غير التي نقلت منها وعلى كل تقدير فالشيخ عز الدين قدم العقادة في بيته على السهولة وبيت بديعتي

يا رب سهل طريقي في زيارته * من قبل أن تعتريني شدة الهرم

(وقلت بعده في حسن البيان)

(حتى يبث بديعي في محاسنه * حسن البيان وأشدو في حجازهم)

حسن البيان قالوا هو عبارة عن الابانة عما في النفس بعبارة بليغة بعيدة عن اللبس اذ المراد منه اخراج المعنى الى الصورة الواضحة وايصاله الى فهم المخاطب باسهل الطرق وقد تكون العبارة عنه تارة من طريق الايجاز وطورا من طريق الاطناب بحسب ما يقتضيه الحال وهذا بعينه هو البلاغة وحقيقتها * وفي البيان الاقبح والاوسط والاحسن * فالاقبح كبيان باقل وقد سئل عن ثمن ظبي في يده فأراد أن يقول أحد عشر فأدركه العي حتى فرق أصابعه وأدلع لسانه فأفلت الظبي ومن هنا يعلم أنه ليس كل ايجاز بلاغة ولا كل اطالة عيا فانه لا ايجاز في الافهام أوجز من بيان باقل لان المخاطب فهم عنه بمجرد نظرة واحدة وقد ضرب به المثل بالعي في بيانه وكان الاحسن أن يقول احد عشر * والاوسط أن يقول ستة وخمسة أو عشرة وواحد والنوع المبين في هذا الباب بيان القرآن الكريم كقوله تعالى وقد أراد أن يحذر من الاغترار بالنعم كم تركوا من جنات وعيون وزروع ومقام كريم ونعمة كانوا فيها فاكهين وكقوله سبحانه وتعالى وقد أراد أن يبين عن الوعد ان المتقين في مقام أمين وكقوله

وقد بلغني عن فلان ما كاد يوحش وسوء الاستقبال خير من حسن الصرعة والسلام

(وله الى ابن أخته)

أنت ولدي ما دمت والعلم شانك والمدرسة مكانك والمحبرة حليفك والدفتر أليفك فان قصرت ولا اخا لك فغيري خالك والسلام

(وله أيضا الى وارث مال)

وصلت رقعتك يا سيدي والمصاب لعمر الله كبير وأنت بالجزع جدير ولكنك بالصبر اجدر والعزاء عن الاعزة رشد كانه الغي وقد مات الميت فليحيى الحي فاشدد على مالك بالخمس فانت اليوم غيرك بالامس قد كان ذلك الشيخ رحمه الله وكيلك تضحك ويبكي لك وقد مولك بما لف بين سراه وسيره وخلفك فقيرا الى الله غنيا

حسن البيان

سبحانه وقد أراد ان يبين عن الوعيد ان يوم الفصل ميقاتهم أجمعين وكقوله تعالى فى الاحتجاج القاطع للخصم وضرب لنا مثلا ونسى خلقه قال من يحيى العظام وهى رميم قل يحييها الذى انشاها أول مرة وهو بكل خلق عليم وكقوله تعالى وقد أراد أن يبين عن العدل ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وامثال هذا الباب كثيرة لمن يتتبعها فى القرآن ومما جاء من ذلك فى الشعر قول أبى العتاهية

يضطرب الخوف والرجاء اذا * حرك موسى القضيب اوفكرا

وكقول الآخر

لحظات فى خفايا سريرة * اذا كرها فيها عقاب ونائل

فان هذين الشاعرين أرادا مدح هذين الممدوحين بالخلافة ووصفهما بالقدرة المطلقة وعظم المهابة بعد الله سبحانه وتعالى فاذا نظر أحدهما نظرة أو حرك القضيب مرة أو اطرق مفكرا اضطرب الخوف والرجاء فى قلوب الناس فابانا عن هذه المعانى باحسن ابانة وبيت الشيخ صفى الدين رحمه الله تعالى

وعدتنى فى منامى ماوثقت به * مع التقاضى بمدح فيك منتظم

والعميان مانظموا هذا النوع فى بديعيتهم وبيت الشيخ عز الدين قوله

حسن البيان بحمد الله بين لى * هدى النبى الرضى الواضح اللقم

وبيت بديعيتى قلت قبله فى السهولة

يارب سهل طريقى فى زيارته * من قبل ان تعتريني شدة الهرم

وقلت بعده فى حسن البيان

حتى يبث بديعى فى محاسنه * حسن البيان وأشدو فى جاوزهم

(وقلت بعده فى الادماج)

قد عز ادماج شوقى والدموع لها * على بهار خدودى صبغة العنم

هذا النوع أعنى الادماج هو ان يدمج المتكلم غرضا له فى ضمن معنى قد نحاه من جملة المعانى ليوهم السامع انه لم يقصده وانما عرض فى كلامه لتتمة معناه الذى قصده كقول عبيد الله بن عبد الله لعبيد الله بن سليمان بن وهب حين وزر للمعتضد وكان ابن عبيد الله قد اختلت حاله فكتب لابن سليمان

أبى دهرنا اسعافنا فى نفوسنا * واسعفنا فيمن نحب ونكرم

فقلت له نعماك فيهم أتمها * ودع امرنا ان المهم المقدم

فادمج شكوى الزمان وشرح ماهو عليه من الاختلال فى ضمن التهنئة وتلطف فى التلويح ورفق التحيل لبلوغ الغرض مع صيانة نفسه عن التصريح بالسؤال لاجرم أن ابن سليمان فطن لذلك ووصله واستعمله ومن لطيف الادماج قول ابن نباتة السعدى

ولا بد لى من جهلة فى وصاله * فهل من حليم أودع الحلم عنده

ابن نباتة ادمج الفخر فى الغزل فانه جعل حلمه لا يفارقه البتة ولا يرغب عنه بنفسه جملة وانما عزم على ان يودعه اذ كان لا بد له من وصل هذا المحبوب لان الود ائع تستعاد ثم استفهم عن

الحل

عن غيره وسيحجم الشيطان عودك فان استلانه رماك بقوم يقولون خير المال ما أتلف بين الشراب والشباب وأنفق بين الحباب والاحباب والعيش بين الاقداح والقداح ولولا الاستعمال لما أريد المال فان أطعتهم فاليوم فى الشراب وغدا فى الخراب واليوم واطربا للكاس وغدا واحربا من الافلاس يامولاى ذلك الخارج من العود يسميه الجاهل نقرا ويسميه العاقل فقرا وذلك المسموع من الناى هو اليوم فى الآذان زمر وغدا فى الابواب سمر والعمر مع هذه الآلات ساعة والقنطار فى هذا العمل بضاعة وان لم يجد الشيطان مغمزا فى عودك من هذا الوجه رماك بآخرين يثلون القفر حذاء عينك فتجاهد قلبك وتحاسب بطنك تناقش غبنك وتمنع نفسك تبوء فى دنياك بوزرك وتراه

الادماج

الخل الصالح الذي يصلح لهذه الوداعة استفهاما انكاريا فيكون مفهوم الخطاب بقباحته
لعدم من يصلح للوداعة ثم أدمج في ضمن الفخر الذي أدمجه في الغزل شكوى الزمان لقلة
الاخوان بحيث انه لم يبق منهم من يصلح لهذا الشان ومنه قول ابن المعتز في وصف الخيري

قد نفض العاشقون ماصنع الـ * ـدهر بالوانهم على ورقه

قصد وصف الخيري بالصفرة وأدمج فيه وصف ألوان العشاق وبيت الحلي في الادماج قوله

لصدق قولك لو حب امرء حجرا * لكان في الحشر عن مثواه لم يرم

هذا البيت فيه ادماج سؤاله حسن المحشر في زمرة النبي صلى الله عليه وسلم في طي تصديقه
الحديث المأثور عنه وبيت العميان

لهم أحاديث مجد كالرياض اذا * أهدت نواسم أحيت دارس السلم

قال الشيخ أبو جعفر الشارح ان الناظم جعل لهم اولا أحاديث مجد طيبة وأدمج في ذلك
وصف الرياض وبيت الشيخ عزالدين الموصلي

ادمجت شكواي من ذنبي بمدحته * عساه تشفع لي يا شافع الامم

الشيخ عزالدين ذكر انه أدمج الشكوى من ذنبه لكن نوع الادماج البديعي لا أعلم أين
أدمجه والله أعلم وبيت بديعيتي

وقد عزادماج شوقي والدموع لها * على بهار خدودي صبغة العنم

هذا البيت أبدع من بيت ابن المعتز وفيه زيادة وادماج آخر فان ابن المعتز غايته قصده وصف
الخيري بالصفرة وأدمج فيه ألوان العشاق وأنا قصدت شرح الحال في غرة ادماج الشوق
بواسطة جريان الدمع وأدمجت في ذلك صفرة اللون وحمرة الدموع هذا ومحاسن التورية
بتسمية النوع غير خافية على أهل الانصاف من حذاق الادب والله اعلم

(ذكر الاحتراس)

فان اقف غير مطرود بحجرته * لم أحترس بعدها من كيد مختصم

الاحتراس هو ان يأتي المتكلم بمعنى يتوجه عليه فيه دخل فيفطن له فيأتي بما يخلصه من ذلك
ومثاله في كتاب الله عز وجل اسلك يدك في جيبك تخرج بيضاء من غير سوء فاحترس
بقوله سبحانه وتعالى من غير سوء عن امكان ان تدخل في البرص والبهق وغير ذلك ومثال ذلك
في الشعر قول طرفة

فسقى ديارك غير مفسدها * صوب الغمام وديمة تهمي

فقوله غير مفسدها احتراس من مقابله وهو محو معالمها والفرق بين الاحتراس والتتميم
والتكميل ان المعنى قبل التكميل صحيح تام ثم يأتي التكميل بزيادة تكمل حسنه
اما بفن زائد او معنى والتتميم يأتي لتتميم نقص المعنى ونقص الوزن معا والاحتراس انما هو
لدخل يتطرق الى المعنى وان كان تاما كاملا ووزن الشعر صحيحا وبيت الشيخ صفي الدين الحلي
في بديعيته قوله

فوفني غير مأمور وعود لي * فليس رؤياك اضغاثا من الحلم

احتراس الشيخ صفي الدين في قوله غير مأمور فان لفظة وفني في البيت فعل أمر ومرتبة

قوله الدهر في نسخة الهجر

قوله أحيت الخ في نسخة
تحيي بالي الرمم

في الآخرة في ميزان غيرك لا ولكن قصدا بين الطريقين وسلا عن الفريقين لا منع ولا اسراف والبخل فقر حاضر وضير عاجل وانما يبخل المرء خشية ماهو فيه فليكن لله في مالك قسط وللمروأة قسم فصل الرحم مااستطعت وقدر اذا قطعت فلان تكون في جانب التقدير خير لك من أن تكون في جانب التبذير

(وله أيضا الى ابي الحسن البيهقي)

حزني وانا حصير يد الفضل طويلة ولسان الشكر قصير انا بالله وبهذا اللجاج يأتي بيهق وهذا بابها والشيخ الفاضل ونيته وما احسن هذه العادة واحسن منها الاعادة والبر في كل فصل جديد والفطام كما علمت شديد وابتداء الفضل سهل والشان في ترتيبه والاقط مطبوخا اطيب والباذنجان نضيجا اقرب ونحن الى الدعوة احوج والصديق

الاحتراس

الآخر فوق مرتبة المأمور فاحترس بقوله غير مأمور والعميان ما نظموا هذا النوع وبيت الشيخ عز الدين

حبي له تمشي في المفاصل قل * بالاحتراس تمشي البرء في السقم

قلت الشيخ صفي الدين احترس في بيته بقوله غير مأمور واحتراس الشيخ عز الدين عجزت عن تحقيقه بل عن تحقيق معناه فان هذا البيت مأخوذ من قول أبي نواس في وصف الخمرة

فتمشت في مفاصلهم * كتمشي البرء في السقم

وبيت بديعيتي

فان أقف غير مطرود بحجرته * لم أحترس بعدها من كيد مختصم

فقولي غير مطرود هو الاحتراس الذي يليق بمقام المادح بالنسبة الى مقام النبي صلى الله عليه وسلم والتورية باسم النوع في قولي لم أحترس بعدها محاسنها تورى والتكميل بقولي من كيد مختصم هو الذي زاد محاسنها بهجة وكمالا

(وقلت في براعة الطلب)

(وفي براعة ما أرجوه من طلب * ان لم اصرح فلم أحتج الى الكلم)

هذا النوع من مستخرجات الشيخ عز الدين الزنجاني في كتاب المعيار وهو أن يلوح الطالب بالطلب بالفاظ عذبة مهذبة منقحة مقترنة بتعظيم الممدوح خالية من الالحاف والتصريح بل يشعر بما في النفس دون كشفه كقول أبي الطيب المتنبي

وفي النفس حاجات وفيك فطانة * سكوتي بيان عندها وخطاب

والفرق بين براعة الطلب وبين الادماج أن الادماج أن يقدر معنى من المعاني ثم يدمج غرضه ضمنه ويوهم أنه لم يقصده وهذا مقصور على الطلب فقط وهو أيضا فرق بينه وبين الكناية وبيت الشيخ صفي الدين قوله

وقد علمت بما في النفس من أرب * وأنت أكرم من ذكرى له بفمي

والعميان ما نظموا هذا النوع في بديعيتهم وبيت الشيخ عز الدين الموصلي رحمه الله قوله

براعة بان فيها منتهى طلبي * وأنت أكرم من نطقي بلا ولم

وبيت بديعيتي

وفي براعة ما أرجوه من طلب * ان لم أصرح فلم أحتج الى الكلم

(وقلت بعده في العقد)

(قد صح عقد بياني في مناقبه * وان منه لسحرا غير محترم)

العقد ضد الحل لان العقد نظم المنثور والحل نثر المنظوم ومن شرائط العقد ان يؤخذ المنثور بجملة لفظه او بمعظمه فيزيد الناظم فيه وينقص ليدخل في وزن الشعر ومتى اخذ بعض معنى المنثور دون لفظه كان ذلك نوعا من انواع السرقات ولا يسمى عقدا الا اذا اخذ الناظم المنثور برمته وان غير منه طريقا من الطرق التي قدمناها كان المتبقي منه اكثر من المغير بحيث يعرف من البقية صورة الجميع كما فعل ابو تمام في كلام عزى به الامام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه الاشعث بن قيس في ولده وهو ان صبرت صبر الاحرار والا سلوت سلو

البهائم

يفين وانا لا استزيد فتي
القدر تدرك وفي أي ليلة
حضر والسلام

(وله أيضا)

نا اطال الله بقاء الشيخ ان
ان اللقاء أول نظرته جفاء
ود الرحال على ارتحال
المرء كالسيف مضاه تحت
سباه فمن رأى فرنده فقد
رف ما عنده (قيل
نصراني) ان المسيح يحيي
الموتى فقال واحر باه كذا
ن اشبه آباه ولو لم استدل
لى فضله الا باصطناع ذلك
لشيخ له لكنت خليقا ان
افضل طريقا فهل ترى
ن نشترك في خدمة ذلك
شيخ على ان تكون على
ثنيها وله منها والى كلفها
ه تحفها فان رأى ذلك
صواب فلحسن المآب
يعرفني لا كون الرقعة
ثانية اذا رجع أو يدانى
ي ما اصنع فما اشوقني
لى ذلك المجلس الشريف
ما احوجني الى التعريف
رأيه الموفق في ذلك ان
اء الله تعالى

براعة الطلب

العقد

البهائم فعقده أبو تمام شعرا فقال

وقال علي في التعازي لاشعث * وخاف عليه بعض تلك المآثم
أتصبر للبلوى عزاء وحسبة * فتؤجر أم تسلو سلو البهائم

وبيت الشيخ صفي الدين قوله

ماشب من خصلتي حرصي ومن أملي * سوى مديحك في شيبي وفي هرمي

المقصود في هذا البيت من العقد قول النبي صلى الله عليه وسلم يشيب ابن آدم ويشب فيه خصلتان الحرص وطول الامل والعميان مانظموا هذا النوع في بديعيتهم وبيت الشيخ عز الدين في بديعيته قوله

عقد اليقين صلاتي والسلام على * محمد داعما مني بلاسأم

قلت أما الشيخ صفي الدين فاني لم أصادف في بيته من عقد الحديث النبوي محلا ولكن ذكر فيه حكاية حاله وأما الشيخ عز الدين غفر الله له فانه ذكر في شرحه أن الصحابة رضي الله عنهم قالوا يارسول الله قد علمنا كيف نسلم عليك فكيف نصلي عليك فقال صلى الله عليه وسلم قولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم وفي حديث آخر قولوا اللهم صل على محمد عبدك ورسولك النبي الامي وعلى آله وصحبه وسلم وفي الحديث اكثروا من الصلاة علي ومنه قوله تعالى ان الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما وذكر انه عقد الآية والحديث ولم يظهر لي حل هذا العقد في أي موضع هو من البيت وبيت بديعيتي

قد صح عقد بياني في مناقبه * وان منه لسحرا غير سحرهم

العقد هنا قوله صلى الله عليه وسلم ان من البيان لسحرا والله أعلم

(ذكر المساواة)

(تمت مساواة أنواع البديع به * لكن يزيد على ما في بديعهم)

هذا النوع أعني المساواة مما فرعه قدامة من ائتلاف اللفظ مع المعنى وشرحه بأن قال هو أن يكون اللفظ مساويا للمعنى بحيث لا يزيد عليه ولا ينقص عنه وهذا من البلاغة التي وصف بها بعض الوصاف بعض البلغاء فقال كأن الفاظه قوالب لمعانيه ومعظم آيات الكتاب العزيز كذلك واعلم أن البلاغة قسمان ايجاز واطناب والمساواة معتبرة في القسمين معا فأما الايجاز فكقوله تعالى ولكم في القصاص حياة يا أولي الالباب والاطناب في هذا المعنى كقوله تعالى ومن قتل مظلوما فقد جعلنا لوليه سلطانا فلا يسرف في القتل وقال سبحانه وتعالى في قسم الايجاز من غير هذا المعنى خذ العفو وامر بالمعروف وأعرض عن الجاهلين وقال عز من قائل في الاطناب ان الله يأمر بالعدل والاحسان الآية ولا بد من الاتيان بهذا الفصل لئلا يتوهم المتأمل ان الاطناب لا يوصف بالمساواة ومن الشواهد على المساواة قول امرئ القيس

فان تكتموا الداء لا نخفه * وان تبعثوا الحرب لا نقعد
وان تقتلونا نقتلكم * وان تقصدوا الدم لا نقصد

(وله الى أبي علي بن مشكويه)

الاستاذ الفاضل وان كان باذلا في التجارب حنكته والايام عركته فقد يخفى على العارف وجه الامر لغموض سببه وعين الناظر أبصر من عين المناظر وليس من يدأب كمن يلعب وهذا شيء لا تحمد خاتمته ودست لا تعمد قائمته وقد جعل الحبس يدجريدته فليجعل العفو بيت قصيدته ولكن الحلم سلطان غضبه وليرش الماء على لهبه فبالله ما ادخر ودا ولا آلو نصحا ونفى الله قائلا ووقفه قابلا وعد الآن الى حديث الشوق وتقسم فكري بخروجه وهذه عادة الايام متى اذا عقدت اصبعي وذلك اني لم أثق بصاحب * من الناس الاخانني وترحلا في البيت لفظ قلبته لغرض

المساواة

وقول زهير

ومهما تكن عند امرئ من خليقة * وان خالها تخفى على الناس تعلم

وقول طرفة

ستبدى لك الايام ما كنت جاهلا * ويأتيك بالاخبار من لم تزود

وبيت الشيخ صفى الدين الحلى فى بديعيته قوله

وقد مدحت بما تم البديع به * مع حسن مفتتح منه ومختتم

والعميان ما نظموا هذا النوع فى بديعيتهم وبيت الشيخ عز الدين الموصلى فى بديعيته قوله

خطت مساواة معناه وصورته * فى الحسن شاهده فى نون والقلم

وبيت بديعيتى فى المساواة قولى

تمت مساواة أنواع البديع به * لكن يزيد على ما فى بديعهم

(وقلت بعده فى حسن الختام)

(حسن ابتدائى به أرجو التخلص من * نار الجحيم وهذا حسن مختتمى)

هذا النوع ذكر ابن أبى الاصبع انه من مستخرجاته وهو موجود فى كتب غيره بغير هذا الاسم فان التيفاشى سماه حسن المقطع وسماه ابن ابى الاصبع حسن الخاتمة وهذا النوع الذى يجب على الناظم والناثر ان يجعلا خاتمة لكلامهما مع أنهما لا يدان يحسنا فيه غاية الاحسان فانه آخر ما يبقى فى الاسماع وربما حفظ من دون سائر الكلام فى غالب الاحوال فلا يحسن السكوت على غيره وغاية الغايات فى ذلك مقاطع الكتاب العزيز فى خواتم السور الكريمة فن المعجز فى ذلك قوله تعالى اذا زلزلت الارض زلزالها وأخرجت الارض أثقالها وقال الانسان مالها يومئذ تحدث أخبارها بأن ربك أوحى لها يومئذ يصدر الناس أشتاتا ليروا أعمالهم فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره انظر أيها المتدبر هذه البلاغة المعجزة فان السورة الكريمة بدئت بأهوال يوم القيامة وختمت بقوله تعالى فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره (ومثله) قوله تعالى فى سورة عبس يوم يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه وصاحبته وبنيه لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه وجوه يومئذ مسفرة ضاحكة مستبشرة ووجوه يومئذ عليها غبرة ترهقها قترة أولئك هم الكفرة الفجرة ومن ذلك قوله تعالى وترى الملائكة حافين من حول العرش يسبحون بحمد ربهم وقضى بينهم بالحق وقيل الحمد لله رب العالمين (ومن كلام أمير المؤمنين) على بن أبى طالب كرم الله وجهه وهو المقدم فى فنون البلاغة على بلغاء البدو والحضر فى ختام جواب كتاب كتب به الى معاوية ثم ذكرت ان ليس لى ولا صحابى عندك الا السيف فلقد أضحكت بعد استعبار وانى مرقل اليك بجحفل من المهاجرين والانصار وقد صحبتهم ذرية بدرية وسيوف هاشمية عرفت مواقع نصالها فى أخيك وخالك وجدك وما هى من الظالمين ببعيد وأجعوا

حسن الختام

أصبته ومعنى غيرته لشئ آثرته وهو الظرف الهمذانى فليعلم ذلك والسلام

(وله الى أبى سعيد الطائى الهمذانى)

أنا بما يهدى الى من أخبار الشيخ قرير العين قوى الظهر مستظهر على الدهر معتد للايام بما يوليه من حال رضاها ومحاب يبلغها راغب الى الله تعالى فى حفظ ما خوله والزيادة فيما شمله ومن فتق سمعى بالثناء عليه وبرد صبرى بحسن القول فيه أبو فلان فقد أبدأ وأعاد وأبلغ وزاد وأحسن وأجاد وراعى الانفصال وراعى الى ما خلف من حظه بخدمته ومكانه من مجلسه وسألنى تزويده هذه الاحرف ليتخذها عنده ذريعة وتكون لديه وديعة فأنعمت له بالجواب وسيصل بمشيئة الله فلا

بعد ذلك على ان فواصل المقامات يقوم غالبها مقام المثل السائر وحسن خواتمها تعقد عليه الخناصر (وقد عن لى) ان أورد هنا مقامة كاملة فاذا نظر المتأمل الى براعة استهلالها وفهم القصد الذى جنح اليه الحريرى عرف مقدار حسن الختام الذى تمت به الفائدة وحسن السكوت عليه (وقد اخترت المقامة الثالثة عشرة) وهى الزورائية لانه ثبت عن القاضى الفاضل انه شرع فى معارضة المقامات وعارض منها كل فصل بفصل أحسن منه الى ان وصل الى فصل هذه المقامة الذى سيأتى وأنبه عليه فى موضعه والمقامة الموعود بايرادها هى قوله (حكى الحرث بن همام) قال ندوت بضواحى الزوراء مع مشيخة من الشعراء لا يعلق لهم مبار بغبار ولا يجرى معهم مجار فى مضمار فأفضنا فى حديث يفضح الازهار الى ان نصفنا النهار فلما غاض در الافكار وصبت النفوس الى الاوكار لمحنا عجوزا تقبل من البعد وتحضر احضار الجرد وقد استتلت صبية أنحف من المغازل وأضعف من الجوازل فما كذبت اذ رأتنا أن عرتنا حتى اذا ما حضرتنا قالت حيا الله المعارف وان لم يكن معارف اعلموا ياماَل الآمل وثمال الارامل انى من سروات القبائل وسريات العقائل (والفصل الذى عجز القاضى الفاضل عنه هو) لم يزل أهلى وبعلى يحلون الصدر ويسيرون القلب ويمطون الظهر ويولون اليد فلما أردى الدهر الاعضاد وفجع بالجوارح الاكباد وانقلب ظهرا لبطن نبا الناظر وجفا الحاجب وذهبت العين ونفدت الراحة وصلد الزند ووهت اليمين وبانت المرافق ولم يبق لنا ثنية ولا ناب (قلت) وهذا الفصل الذى أحجم القاضى عن معارضته قلت فى معناه وكتبت الى سيدنا قاضى القضاة صدر الدين بن الآدمى نور الله ضريحه رسالة مجسده مشتملة على ذلك جميعه راعيت فيها النظير لاجل الصدر من الرأس الى القدم ولم أخرج فيها عن حسن الختام الذى ما ختمت رسالة بنظيره والتزمت فيها السجع الذى فاز الحريرى منه فى فصله (وقد عن لى) ان أثبت الرسالة هنا بكمالها وارجع الى ما كنا فيه من حسن الختام فى المقامة الحريرية (وهى)

يقبل أرضا بالعلا قد تجسدت • بأرواح أهل العلم روضة مشتهى

وهبت بانفاس العلوم قبولها • ولازال صدر الدين منشرحا بها

وينهى أن الصدر رأس العلوم وكم له من فرق دق على الافهام وهو كالغرة فى جباه الايام لازال الجيد له حاجبا مقرونا بسعده الشامل ولا برح بعلمه عينا لوجوه المسائل فلله أهداب معانيه التى هى أسحر من عيون الغزلان وأمضى من السيوف اذا برزت من الاجفان واصداغ فضائله التى هى عاطفة على وجنات الوجود لانها كالعوارض الماطرة وكم أنست عند ذكره من سالفة وكم لها فى قلوب الاعداء من خدود وندى جوده الذى اذا جاءه الشارب وجد عنده شفاه وحلاوة نظمه الذى انسانا ذكر العذيب وثناياه وعنق مكارمه التى التفت من البديع الالتفات واوصافه التى غدت على خد الدهر شامات حتى تبدلت سيآته حسنات كف عنا تعب الفقر بكرم راحته المتزايد من غير أن يقال له ساعد وشهدنا بأن أياديه بحر يفيض بسنائه فأشار النيل الى قبول هذه الشهادة بأصابعه فلله ندى يمينه الذى لم يزل

بألوه عزازا واهتزازا وانا الى ما أتطلعه من سار أخباره فقير وهو بامدادى بها جدير ويسرنى له ان يصل رحم البلدية بالجواب اذا لم يصلها بالافتتاح فليفعل وليهد الى من ثمرات يديه ولسانه ما أسكن اليه وأشكره عليه الشيخ أبو فلان وصف لى ظمأ فى جوار البحر وسغبا فى جنان الخلد وضيقا فى فضاء الارض على قرب الرحم وعلو السن والذنب فى ذلك لقسام الاجل وانقضاء المدة ومثل الشيخ من شال بضبع الاحرار من هذه الادبار وكان به فضل الاستظهار على الليل والنهار فان فعل خيرا شكر وان عاق عائق عذر وانا الى ذلك الشيخ بالاشواق ثم نأكل الطعام ونمشى فى الاسواق حتى يفرج الله ونرتاح فنحل عقدة

المملوك به في بلاد الشام مكني وكم فاض منه قلب النيل وجهدان يوفيه بالباع والذراع فما وفي جبلت على محبته القلوب فصار حبه ظاهرا في كل باطن وحنت اليه الجوارح لما سارت مناقبه الى كل جانب فحركت كل ساكن ورفع المملوك أدعيته التي هي ان شاء الله تعالى نعيم للبدن الكريم واعتدال للطيف ذلك المزاج وأثنيته التي هي كالمناطق على خصور الحسان وبها الكل قلب ابتهاج لكن تثاقلت عليه أرداف النوى وأسكنت في وسط قلبه الجوى وقده الانقطاع بسيفه الذي زاد في حده ولكن جار في قده ولو حصر المملوك ماساق اليه البعد من الاشتياق الى تقبيل الاقدام لم تسعه قائمه وهو يعد القلب بالصبر ولكن كاذ كرعقب عن مواعيد عرقوب فنسأل الله حسن الخاتمة (رجع) الى ما كنافيه من تكملة المقامة الحريرية والتنبيه على حسن ختامها قال بعد الفصل المجسد الذي آخره ولم يبق لنا ثنية ولا ناب فغذا غبر العيش الاخضر وازورّ المحبوب الاصفر اسودّ يومي الابيض وابيض فودي الاسود حتى رثى لي العدو الازرق فحبذا الموت الاحمر وتلوي من ترون عينه فراره وترجمانه اصفراره قصوى بغية أحدهم ثرده وقصارى امنيته برده وكنت آليت ان لا أبذل الحر الا للحر ولو أني مت من الضر وقد ناجتني القرونه بأن توجد عندكم المعونه وآذنتني فراسة الحوباء بأنكم ينابيع الحباء فنضر الله امرأ أبر قسمي وصدق توسمي ونظر اليّ بعين يقذيها الجود ويقذيها الجود (قال الحرث بن همام) فهمنا البراعة عبارتها وملح استعارتها وقلنا لها قد فتن كلامك فكيف الحامك فقالت يفجر الصخر ولا فخر فقلنا لها ان جعلتنا من رواتك لم نبخل بمواساتك فقالت لأرينكم أولا شعاري ثم لأرينكم أشعاري فأبرزت ردن درع دريس وبرزت برزة عجوز درديس وانشأت تقول

أشكو الى الله اشتكاء المريض * جور الزمان المعتدي البغيض
يا قوم اني من أناس غنوا * دهرا وجفن الدهر عنهم غضيض
فخارهم ليس له دافع * وصيتهم بين الورى مستفيض
كانوا اذا ما نجعة أعوزت * في السنة الشهباء روضا أريض
تشب للسارين نيرانهم * ويطعمون الضيف لحما غريض
ما بات جارلهم ساغبا * ولا لروع قال حال الجريض
فغيضت منهم صروف الردى * بحار جود لم أخلها تغيض
وأودعت منهم بطون الثرى * أسد التحامي وأساة المريض
فمحملي بعد المطايا المطا * وموطني بعد اليفاع الحضيض
وافرخي ماتأتلي تشتكي * بؤساله في كل يوم وميض
اذا دعا القانت في ليله * مولاه نادوه بدمع يفيض
يا رازق النعاب في عشه * وجابر العظم الكسير المهيض
اتح لنا اللهم من عرضه * من دنس اللوم نقي رحيض

الحرمان وتفصل أثياب الزمان والسلام

(وله الى أبي القاسم الكاتب)

أما الآحسد أحدا على ماخوله الله من نعمة ورزقه من خير ولكن هذه الكتب التي تصدر عن قلم الشيخ يجل عنها قدره ولا أحب أن يحسد مثلها صدره ولا أراه بحمد الله الاموفيا على أمسه ولا أجد آثار الربيع الا لآثار خمسه أنجب والده عبد الشيخ الجليل وبارك الله في السليل وماضره تلفه والشيخ الفاضل خلفه وما محاه موته ما بقي صيته وصوته وأما الحواصل فانها غير حواصل والسلام

(وله الى صديق له يستدعي بقرة)

الكدخدائية زرع ان لم يصادف ثرى ثريا من التدبير وجوا غنيا من

بطـــفى نارالجوع عناولو * بمـذقـة من جازرا ومخيض
فهـل فتى يكـشف ماناٮهم * ويغنم الشكرالطويل العريض
فو الذى تعنو النواصى له * يوم وجوه الجمع سود و بيض
لولاهـــم لم تبـدلى صفحة * ولاتصـديت لنظم القريض

(قال الراوى) فوالله لقدصـدعت بأبياتها أعشارالقلوب واستخرجت خبايا الجيوب حتى ماحها من دينه الامتياح وارتاح لرفدها من لم تخله يرتاح فلما افعوعم جيبها تبرا وأولاها كل منا برّا تولت يتلوها الاصاغر وفوها بالشكرفاغر فاشرأبت الجماعة بعـدممرها الى سبرها لتبلو مواقع برها فكفلت لهم باستنباط السر المرموز ونهضت أقفوا ثر العجوز حتى انتهت الى سوق مغتصة بالانام مختصة بالزحام فانغمست فى الغـمار واملست من الصبية الاغمار ثم عاجت بخلو بال الى مسجدخال فأماطت الجلباب ونضت النقاب وانا ألمحها من خصاص الباب وأرقب ماستبدى من العجاب فلما انسرت أهبة الخفر رأيت محيا أبي زيد قدسفر فهممت بأن أهجم عليه لاعنفه على ماأجرى اليه فاستلقى استلقاء المقرّدين ثم رفع عقيرة المغرّدين واندفع ينشد

يالبت شعرى أدهرى * أحاط علما بقـدرى
وهل درى كيف غورى * فى الخدع أم ليس يدرى
كم قـد قمرت بنيـه * بحيلتى وبمـكرى
وكم برزت بعـرف * عليهـم وبنكـر
اصـطاد قوما بوعظ * وآخرين بشـعر
واسـتفز بخل * عقلا وعقـلا بخـمر
وتارة أنا صخـر * وتارة أخت صخـر
ولو سلكت سبيلا * مألوفة طول عمـرى
لخاب قدحى وقدحى * ودام عسرى وخسرى
فقـل لمـن لام هـذا * عذرى فدونك عذرى

(قال الحرث بن همـام) فلما ظهرت على جلية أمره وبديعة أمره ومازخرف فى شعره من عذره علمت ان شيطانه المريد لايسمع التفنيد ولايفعل الاما يريد فثنيت الى أصحابى عنانى وأبثثتهم ماأثبته عيانى فوجموا لضيعة الجوائز وتعاهدوا على محرمة العجائز (قلت) قدعلمت أيها المتأمل أن هذه المقامة البـديعة بنيت على ترهات هذه العجوز ومازخرفتـه من الباطل فى نظمها ونثرها الذى خلب كل منهـما القلوب وسلب عقول السامعين الى أن بالغوا فى اكرامها فلما كشف لهـم الغطاء عن جميع مانمقته وتحققوا أنه بنى على الباطل كانت الخاتمة فوجموا لضيعة الجوائز وتعاهدوا على محرمة العجائز (قلت) والالفاظ المحتاجة الى الحل فى هـذه المقامة هى قوله ندوت أى حضرت النادى والجوازل فراخ الحمام واحدها جوزل وعرتنا قصـدتنا بقال عراه واعـتراه والمعارف الوجوه والمعارف الثانيـة من المعرفة وغال

التقدير لم يحصـل بالغه ولم يجن يانعـه والجملة اذا اجتمعت على معـد مختلفة الاهواء متفقة الارجاء طاحنـة الرحى جرت الى الاحتيال فيما يقيم الاود ويكفى العدد وقد احتيج فى الدار الى بقـرة يحلب درها فلتكن صفوفا تجمع بين قعبين فى حلبه كما تنظم بين دلوين فى شربه ولتملأ العـين وصفها كما تملأ اليـد خلفها ولتزن مشيها سعه الذرع كما يزين درها سعه الضرع ولتكن عوان السـن بين البكر والمسـن ولتكن طروح الفصـل رموح الرجـل ولتصف لونها صفاء لبنها ولتكن ثمنها كفاء سمنها ولتكن رخصة اللحم جمة الشحم كثيرة الطعم سريعة الهضم صـافية كالجون فاقعـة اللون واسـعة البطن وطية الظهر ممتلئة

القوم من يقوم بأمرهم وسروات القبائل السر وهو السخاء والمروأة واحد السروات سراة لايجوز أن يكون سراة بالضم وسريات جمع سرية وهى العقيلة السخية والقلب هنا قلب العسكر ويعطون الظهر أى يحملون المنقطع ويولون اليد أى النعمة وأردى أهلك والاعضاد جمع عضد وهو مايمسك الشئ ويقويه والجوارح هنا الاعضاء التى تجرح وقوله وانقلب ظهر البطن المراد به عكس الحال ونهد ارتفع والحاجب صاحب الامير وصلد الزند أى لم يور ووهت أى ضعفت واليمين القوة والثنية الناقة التى لها ستة أعوام والناب المسنة واغبر العيش أى تكدر وازورّ مال والمحبوب الاصفر هو الدينار وفودى صدغى والموت الاحمر كناية عن الفقر والعدوّ الازرق الشديد العداوة والاصل فيه العطش وبه فسر قوله تعالى ونحشر المجرمين يومئذ زرقا أى عطاشا وتلوى تابى وعينه فراره أى عيانه يغنيك عن اختباره وفى المثل ان الجواد عينه فراره أى عيانه وقصارى أمره أى آخر أمره وآليت أى حلفت وابذل الحر أى الوجه والقرونة النفس والحوباء النفس أيضا ونضر بمعنى حسن ويقذيها يلقى فيها القذى والجمود الامساك ويقذيها الجود يخرج عنها القذى والحامك بمعنى تطمك الشعر والشعار الثوب الذى يلى الجسد والدثار ما فوقه والردن الكم ودرديبس من أسماء الداهية والسنة الشهباء المجدبة وتشب توقد وغريض طرى وساغب جائع والجريض الغصص والاساة الاطباء والمطايا الابل والمطا الظهر واليفاع التل المشرف والحضيض القرار من الارض تأتلى تترك والنعاب فرخ الغراب والمهيض الذى كسر بعد جبر وأمح وفق ورحيض مغسول وبعذقة أى بجرعة واعشار القلوب أى قطع القلوب وحق ما حهامن دينه الامتياح أى أعطاها من عادته يعطى وافعوعم امتلا وفاغر مفتوح فاشرأبت تطلعت وسبرها اختبارها واستنباط استخراج والمرموز المبهم والغمار الزحام والانغمار البله وعاجت عطفت وأماطت الجلباب باعدته وهو الرداء ونضت جردت وخصاص جمع خصاصة وهو الثقب فى الباب وكذلك الصير وفى الحديث من نظر الى قوم من صير باب فقئت عينه وانسرت انكشفت وانحسر الحياء وسفر انكشف وأسفر أضاء وأجرى قصد واستلقى رقد على ظهره ورفع رجلا على رجل والمغردين المطربين والعقيرة الصوت وكنه غورى حقيقة أمرى والخل والخمر هنا كنايتان عن الخير والشر وقدح سهمى وقدحى استخراجى أمره العجيب والمريد العاق والمرادة العتو وجموا أى سكتوا اﻫ تفسير الالفاظ المحتاجة الى البيان من هذه المقامة (ومن صناعات القاضى الفاضل فى حسن الخواتم قوله) فى حسن خاتمة رسالة كتب بها الى الديوان العزيز الخليفى وهو لابرحت راياته السود سويدات قلوب العساكر وأجنحة الدعاء المحلق الى السماء من أفق المنابر ومثله قوله لابرحت الاقدار له جنودا والجديدان يسوقان اليه فى أيامهما وليا ليهما اماء وعبيدا ومثله قوله والله تعالى يرد ردّ السحب الهاطلة الى الامكنة الجدوب والمغفرة الشاملة الى مواقع الذنوب والمسرة الى مستقرها من مطالع القلوب (ومن ذلك) قوله فى ختام جواب كتاب ناصرى ولازال كالئا للاسلام بسيفه الذى جفنه كجفنه ساهر ولا أخلى الله منه الدين بقوة منه ولا ناصر (ومنه

المهموة فسيحة اللهوة لاتضيق بطنها عن العلف فيؤديها الى التلف ترد الهول ولاتخافه وتشرب الرنق ولاتعافه واجهد أن تكون كبيرة الخلق لتكون فى العين أهيب ضيقة الحلق ليكون صوتها فى الإذن أطيب واحذر ان تكون نطوحا أو ملوحا وإياك ان تبهشها ملوحا أو رشوحا ولتكن مطاوعة عند الحلب لاتمنع نفسها ولاتكثر لحسها وداهية فى الرعى لاقرب سقى سقاء على الحوض كالنعجة لاتأمن من البعجة الوفة للراعى الذى يرعاها مجيبة لصوته اذا دعاها مهتدية الى المنزل بغير هاد ذاهبة الى المرعى بغير قياد ولا أظنك تجدها اللهم الان يمسخ القاضى بقرة وهو على رأى التناسخ جائز فاجهد جهدك وابذل ما عندك

قوله) والله تعالى يغنى عن المكاتبات بلقائه كما أغنى عن بقية الخلق بيقائه (ومن ذلك قول
العلامة الشهاب محمود فى ختام رسالة) والله تعالى يجعل الآمال منوطة به وقد فعل ويجعله
كهفا للاولياء وقد جعل (وصرع) ابن الصاحب أمين الدين مرزماوهو من أصناف الطير
الجليل ومن طيور الواجب وسأل الشيخ جمال الدين فى انشاء مطالعة الى الحضرة الشريفة
المقدسة الخليفية يسأل فيها القبول فيما صرعه من الواجب فانشأ الشيخ جمال الدين بن نباتة
رسالة بديعة فى هذا المعنى وحسن ختامها أبدع (وهو) والله المسؤل سبحانه ان يمتع المملوك
فى ولاء المواقف المقدسة باتباع طرقه وان ينفعه بالانتماء اذ أزمته الدنيا طائره فى يديه
وأزمته الآخرة طائره فى عنقه (ومن ذلك) حسن ختام العهد الذى انشأه القاضى محيى الدين
ابن عبد الظاهر عن السلطان الملك المنصور سيف الدين قلاوون لولده الملك الاشرف صلاح
الدين خليل (وهو) والله تعالى يجعل استخلافه هذا للمتقين اماما وللمعتدين انفصاما
ويطفئ بماء سيوفه نار كل حطب حتى تصبح كما أصبحت نار سميه بردا وسلاما (ومن ذلك) حسن
ختام رسالتى التى تقدم ذكرها فى باب الاقتباس المشتملة على الكائنة التى قدرها الله تعالى
على دمشق المحروسة من الحريق وغيره (وهو) فوصل المملوك الى البلاد وقد دوّيومه لو تبدل
بالامس ولم يسلم له فى وقعة الحرب غير القرس والنفس فأعاذ الله مولانا و بلاده من هذه
القيامة القائمة وبدأه فى الدنيا ببراعة الامن وفى الآخرة بحسن الخاتمة (ومن أبدع الامثلة
التى ليس لها مثال فى حسن الختام قولى فى تقليد بالاشارة الشريفة) والوصايا كثيرة ولكن
لايهدى تمر الى هجر فاتنا الى مشورته أحوج من المبتدا الى الخبر والله تعالى يديمه ركنا لهذا
البيت الشريف الذى تطوف الناس حوله ويسعى اليه ولا برح كلامه فى المشورة لفظا
ومعنى تمم الفائدة به ويحسن السكوت عليه (وقلت فى خاتمة تقليد بنظر الكسوة) فليباشر
ذلك عالما انه من تقرب الى الله بخدمة بيته فقد فاز ولا بدان يصير لديباجة هذا البيت
بحسن توشيعه دار الطراز فقد أسعده الله وظهر له فى توشيح هذا البيت نظم مفيد ولا ينكر
حسن هذا التوشيح للقاضى السعيد والله تعالى يكرم مثواه فى الآخرة بتشييد هذا
البيت وقيام شعاره ولا زالت أنامل بره تختم بخواتيم الخير وتنقل أحاديث المحاسن بفصها
فى أخباره (ومثله قولى) فى تقريظ كتبته لاقضى القضاة ولى الدين القرشى على كتابه المسمى
بعمدة المناسك (وهو) والله تعالى يزيد صناعة هذا النسك بهجة على كل ناظم ويجعله لاعماله
الصالحة المقبولة من أحسن الخواتم (وتقدم لى بالديار المصرية) بشارة بوضع المقر الاشرف
سيدى موسى ولد المقام الشريف المؤيدى سقى الله من غيث الرحمة ثراه من رأس القلم
بالحضرة الشريفة جاءت نسيج وحدها وواسطة عقدها (منها) حملت به أمه وأبرزته
كشمس الحمل بهجة ونورا وأصبح فؤاد أم موسى فارغا واسكن ملأ الدنيا سرورا (وتوجهت)
بعد ذلك التاريخ الى ثغر الاسكندرية المحروسة فى مهم شريف فورد على نائب الثغر المحروس
بشارة شريفة بولد سيدى المقر الاشرف الناصرى محمد ولد المقام الشريف المؤيدى نوّر الله
ضريحه فركب نائب السلطنة الشريفة بالثغر المحروس الى اتجاه عندى وسألنى الجواب

واجعل اهتمامك امامك وحرصك قدامك يوفق سعيك ويحسن هديك واستعن بالله تعالى فانه نعم المولى ونعم المعين والسلام

(وله نسخة وصية)

هذا ما أوصى أحمد بن الحسين بن يحيى بن سعيد يوصى وهو يشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له اليه متابه ومآبه خلقه ولم يك شيأ مذكورا ورزقه قدرا مقدورا وضرب له أمدا ممدودا وأمره ونهاه فأطاعه وعصاه ولم يطعه الا بتوفيق من عنده ولم يعصه الا اعتمادا على لطفه بعبده واتكالا على رحمته وعفوه لا اجتراء على لعنته ومقته ولا معتزا بنفسه ووقته ويشهد أن محمدا عبده ورسوله أرسله بالهدى ودين الحق فبلغ الرسالة وأدى الامانة ونصح الامة وأراهم الجادة وحذرهم ثنيات الطرق

قوله من رأس القلم كذا فى النسخ ولعل معناه بدون تفكر اهـ

فكتبت تهنئة بديعة وحسن ختامها أبدع منها (وهو) أكرم بها صحيفة محمدية أمسى بها كل قلب مأنوسا وتلت مسرتها من تقدم قبلها من الصحف الاولى صحف ابراهيم وموسى فالحمد لله على تواتر هذه التهانى التى أتم بها كل حاد والمجد وعمت بركتها بابراهيم وموسى ومحمد والله تعالى يوصل أحاديث التهانى المؤيدية ليتسلسل كل حديث بسنده ولا برحت الخواطر الشريفة مسرورة بمحمد وحديثه ومولده (ومن ذلك) قولى فى ختام تقليد قاضى القضاة ولى الدين العراقى بقضاء قضاة الشافعية بالديار المصرية والممالك الاسلامية (وهو) والله تعالى يطلق له أعنة الاقبال ويمله من نعمه مالا يخطر قبل وقوعه ببال ويحلى به جيد الدهر وقد تحلى بعدما ذهب رونقه وزال وكما أحسن له فى البداية أن يحسن اليه فى النهاية حتى يقول الحمد لله على كل حال (ومثله) فى الحسن ختام تقليد قاضى القضاة أبى البقاء علم الدين صالح البلقينى (وهو) والله يرفع علم علمه على كل غادو رائح ويجعل كلا من عمله وحكمه واسمه الكريم صالحا فى صالح (وقد عن لى) أن أختم ما تقدم لى من الامثلة فى حسن الخواتم بختام كتاب المسك من أقل عبيده ويود منثور الدر ان ينتظم فى سلك عقوده وذلك انى كتبت للمقر المرحوم القاضى فتح الله صاحب دواوين الانشاء الشريف بالممالك الاسلامية كان على لسان قاضى القضاة شرف الدين مسعود الشافعى واعيان طرابلس المحروسة وقد وصلوا الى الديار المصرية فى البحر قسرا مما عاينوه من أهوال تلك المحنة المشهورة التى قدرها الله تعالى على طرابلس المحروسة وحسن الختام فى القصة المذكورة قولى والقوم بانتظام الملك قد دهمهم من لم يفرق بين التحليل والتحريم الى ان صرحوا بالطلاق ووقعوا فى التغابن وشمت المنافقون ومنعوا فى الجمعة الصف وأمست فرقتهم الممتحنة فى الحشر ولم يسمع لهم مجادلة لما نازعوا بالحديد فى هذه الواقعة ولكن من الرحمن وطلع قمر الامن ولاحظهم نجم السعد وصعدوا طور النجاة وكفكفوا ذاريات الدموع وطردت عنهم العداة الى قاف لما دخلوا حجرات مصر وحظوا من مولانا السلطان بعد سد المذاهب بالفتح (قلت) هذا الختام جعلته خاتمة للامثلة المنثورة فى هذا الباب وأما الامثلة الشعرية فمن المجيدين فيها أبو نواس حيث قال فى خاتمة قصيدة مدح بها الخصيب

وانى جدير اذ بلغتك بالمنى * وأنت بما أملت منك جدير

فان تولنى منك الجميل فأهله * والا فانى عاذر وشكور

ومنه قول أبى تمام معتذرا فى آخر قصيدة

فان يك ذنب عن أو تك هفوة * على خطا منى فعذرى على عمد

ومنه قول أبى الطيب فى ختام قصيدة

فلا حطت لك الهيجاء سرجا * ولا ذاقت لك الدنيا فراقا

وقال أبو العلاء من ختام قصيدة

ولا تزال بك الدنيا ممتعة * بالآل والحال والعلياء والعمر

وقول الارجانى فى ختام قصيدة

وأمرهم أن يأخذوا بالسنة ويعضوا عليها بالنواجذ وضمن الجنة للآخذ وخلف فيهم القران حبلا ممدودا وجسرا معقودا ليتخذوه اماما ولا يحلوا دونه حلالا ولا حراما ثم لحق بالرفيق الاعلى وقد خرج عن عهدة ما حمل وصدع بما أمر فصلى الله عليه وعلى آله وسلم تسليما فأوصى وهو يقول ان صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين لاشريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين وأوصى وهو يدين لله تعالى بما دان به السلف الصالح والصدر الاول من المهاجرين والانصار والذين اتبعوهم باحسان بريا من الأهواء والبدع والرأى المخترع والافك المتسع راجيا قوى الطمع خائفا شديد الفزع حاذرا أهوال المطلع مؤمنا بعذاب القبر وفتنته عائذا بالله منهما ومنه راغبا اليه فى ان يلقنه حجته ويثبته بالقول الثابت موقنا بالبعث والبحث شاهدا

بقيت ولا أبقى لك الدهر كاشحا * فانك فى هذا الزمان فـريد
عـلاك سوار والممالك معصم * وجودك طوق والبرية جيد

وقال ابن نبيه فى ختام قصيدة أشرفية

دمتم بنى ايوب فى نعـمة * تجوز فى التخليد حد الزمان
والله لا زلتم ملوك الورى * شرقا وغربا وعلى الضمان

وقال شيخ شيوخ حماة فى ختام مديح مظفرى

فلا زلت ذا ملك جـديد مؤيد * تدين لك الدنيا وتصفو لك الاخرى
ولا زال للايام طول على الورى * وما الطول الا ان يطيل لك العمرا

وقال ابن سنا الملك فى ختام مديح عادلى

بقيت حتى يقول الناس قاطبة * هذا ابو الياس او هذا أبو الخضر

وقال الشيخ جمال الدين بن نباتة رحمه الله فى ختام مديح مؤيدى

فابق عالى المقام دانى العطايا * قاهر الباس ظاهر الأنباء
بتمنى عـدولك العيش حتى * أتمنى له امتـداد البقاء

وقال الشيخ برهان الدين القيراطى رحمه الله تعالى فى ختام مديح نبوى

يا امام الهدى عليك صلاة * وسلام فى الصبح ثم العشاء
ملصبا فى أصائل قلب صب * ذكر الملتقى عـلى الصفراء

ومثله قول الشيخ زين الدين عمر بن الوردى فى ختام قصيد نبوى

صلى عليك الله يا خير الورى * ما نار نور من ضريحك فى الدجى

ومثلهما قولى فى ختام مديح نبوى ولكن مسك هذا الختام أضوع من ختامهما فى المديح النبوى وهو

عسى وقفـة او قعـدة لابن حجـة * على بابكم يسعى بها وهو محرم
فقد جاء يشكو من ذنوب تعاظمت * وقـدرك فى يوم الشفاعـة اعظـم
وقـد نابه فى عنفوان شبابه * هموم وسيف الهـم للظهر يقصم
وعارضـه قد شاب فى زمن الصبا * عسى بك من ذا العارض الصعب يسلم
فما وردنا الصافى طمو وقـاوينا * عليك اذا ما نابها الضـيم حوّم

وقلت بعده فى حسن الختام

عليك سلام نشره كلما ابدا * به يتغالى الطيب والمسك يختم

وبيت الشيخ صفى الدين فى حسن الختام

فان سعدت فمدحى فيك موجبه * وان شقيت فذنبى موجب النقم

وبيت العميان فيه

لكن وان طال مدحى لا أفى أبدا * فأجعل العذر والاقرار مختتمى

وبيت الشيخ عز الدين الموصلى قوله

فاجعل له مخلصا من قبح زلته * فى حسن مفتتحه ومختتم

ان الجنـة حق وحسنت مستقرا ومقاما وان النار حق وان عذابها كان غراما وان الساعة آتية لاريب فيها وان الله يبعث من فى القبور اوصى اذا جاءه الحق واشخصه الامر وجد به الجد وتوفاه الموت ان لا تعـقد عليـه مناحـة ولا يلطـم خد ولا يخمش وجه ولا ينشر شعر ولا يمزق ثوب ولا يشق جيب ولا يهال نقع ولا يرفـع صوت ولا يدعى ويـل ولا يسود باب ولا يخـرق متاع ولا يقلع غـرس ولا يهدم بناء ولا يطـرق الشـيطان اليـه طريقا ولا يجعل له امرا نعن فعل ذلك فليس من الله تعالى فى حل ولا من الميت فى حل وانما يفعل ذلك من لا يرى الحياة عارية ولا يرى العارية مردودة ومن علم ان الدنيا

وبيت العميان فى حسن الختام ابدع من بيت الشيخ صفى الدين الحلى فى حسن ختامه وموجب ذلك التورية بتسمية النوع وتمكين القافية فى آخر البيت وبيت الشيخ عزالدين أبدع من بيت العميان اذ فيه الترشيح بذكر التخلص والافتتاح والختم ولكن فاته الترتيب فانه قدم ذكر التخلص على الافتتاح وبيت بديعيتى

حسن ابتدائى به أرجو التخلص من * نار الجحيم وهذا حسن مختتمى

هذا البيت العامر بمدح النبى صلى الله عليه وسلم ختامه مسك لكونه جاء خاتمة لما وصلت اليه القدرة من الاوصاف النبوية واجتمع فيه حسن الابتداء مورى به مع حسن التخلص وحسن الختام على الترتيب ولو قال الشيخ عزالدين فى بيته بحسن مبتدا ساعدته التورية بتسمية النوع الذى هو حسن الابتداء قال المؤلف رحمه الله تعالى هذا المصنف المبارك أعنى البديعية وشرحها اذا املكه متأدب شرفت نفسه عن النظر فى غيره من تذاكر الآداب فانى ما تركت نوعا من أنواع البديع الا أطلقت عنان القلم فى ميادين الطروس مستطردا الى استيعاب ماوقع من جيده ورديئه ونصبت فيه البحث بين المقصرين والمجيدين بيدانى أقول وبالله المستعان ان العميان اختصروا واجابوا كبيرا من البديع وما أجادوا النظم فيما وقع اختيارهم عليه والشيخ صفى الدين الحلى أجاد فى الغالب لخلاصه من التورية فى تسمية النوع ولكنه قصر فى مواضع نبهت عليها فى مظانها والشيخ عزالدين رحمه الله قصر فى غالب بديعيته لالتزامه بتسمية النوع البديعى ومراعاة التورية والبحث مقرر مع كل منهم فى اجادته وتقصيره عند ايراد بيته على ذلك النوع الوارد وقد تقدم الاطناب فى تقرير حسن الابتداء وبراعة الاستهلال وفى الفرق بينهما وأوردت فى حسن التخلص ماوقع من غريبه وبديعه وماتقرر من البحث مع المقصر فى نظمه ومايتفرق به شمل مجاميع الادب وينسى تذاكره وقد انتهت الغاية بحمد الله الى حسن الختام وأوردت فيه مالا تخفى محاسنه على المتأمل ولا ضمه صدر كتاب وأنا أسأل الله سبحانه وتعالى حسن الخاتمة ببركة الممدوح عليه أفضل الصلاة وأتم السلام

قال المصنف رحمه الله فرغت من تاليف هذا الكتاب فى شهر ذى الحجة الحرام سنة ست وعشرين وثمانمائة وحسبنا الله ونعم الوكيل ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم وسبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم واستغفر الله العظيم وأتوب اليه وصلى الله على سيدنا محمد النبى الامى وعلى آله وصحبه وسلم

رجها زوان الموت جسمر
واز استشعره قبل حلوله
برعه وقت نزوله وان
فن فى ثلاثة أثواب بيض
طى لاسرف فيها وحرج
لى من يتولى امره ان
رنه ثوب خيلاء من
رز اومعلم او ابريسيم
ومنسوج بذهب انه
ج ان يستفيق ويتشبه
ساكين فى بدله بعد
عه فانما اثمه على الذين
لونه ان الله سميع عليم
ن يتولى الصلاة عليه
حاب الحديث واهل
نة وان يلحد ولا يبنى
يه ولا تشهد النساء
ملهن على الصراخ
لعويل *(تم)*

بعد حمد الله على آلائه والصلاة والسلام على خاتم انبيائه يقول راجى شفاعة المختار
ابراهيم الدسوقى الملقب بعبد الغفار خادم تصحيح كتب العلوم بدار الطباعة
أعانه الله على مشاق هذه الصناعة

تم بعون ملهم الحجة طبع كتاب خزانة ابن حجة موشاة الطرر بالمنشآت ذات الجنى الدانى المنسوبة لاديب زمانه البديع الهمذانى على ذمة صاحب الاخلاق الغرر حضرة على أفندى قر بالمطبعة العامرة ذات التحريرات الباهرة المتوفرة دواعى الجد المشرقة كواكب السعد فى ... ونور طلعة كيوان حسنة الليالى والايام مركز مدار العد... سائر الا... حب اسمه الجليل والقدر الجليل جناب عزيز مصر

الخديو

الخديو اسمعيل لازالت الايام مشرقة بطلعة وجوده والليالى منيرة بكوكب سعوده ولا برح قرير العين منتعش الروح والعين برؤية انجاله الكرام وأشباله الفخام لافتئت الايام مضيئة بشموس علاهم والليالى منيرة ببدور حلاهم وكان طبعه الميمون وتمثيله المصون مشمولا بادارة من خاطبته المعالى بابالك أعنى سعادة حسين بك حسنى ونظارة وكيله السالك جادة سبيله من لم تزل عليه احاسن اخلاقه تثنى حضرة محمد افندى حسنى وملاحظة ذى الرأى المسدد حضرة ابى العينين افندى احمد وكان تمام طبعه فى اوائل الشهر المعظم وهو شهر الله المحرم ابتداء سنة ١٢٩١ الف ومائتين واحدى وتسعين من هجرة خاتم النبيين صلى الله وسلم عليه وآله وكل منتسب اليه ما ذر شارق ولمع بارق آمين

م

